حاشية

العارف بالله تعالى المغفور له

أحمد بن محمّد الصّاوي المالكي الخلوتي

١١٧٥ - ١٢٤١ هـ

على

تفسير الجلالين

للإمامين العظيمين الجلالين المحلّى والجلال السيُّوطي

رحمهما الله تعالى آمين

القرآن الكريم مضبوط بالشكل الكامل

الطبعة الأخيرة راجع تصحيحها

فضيلة الشيخ علي محمّد الضباع

شيخ القراء والمقارئ بالديار المصريّة

حاشية

العارف بالله تعالى المغفور له
أحمد بن محمّد الصّاوي المالكي الخلوتي
١١٧٥ - ١٢٤١هـ

على

تفسير الجلالين

للإمامين العظيمين الجلالين المحلّى والجلال السيُّوطي
رحمهما الله تعالى آمين

القرآن الكريم مضبوط بالشكل الكامل

الجزء الأول

الطبعة الأخيرة راجع تصحيحها
فضيلة الشيخ علي محمّد الضباع
شيخ القراء والمقارئ بالديار المصريّة

دار الجيل
بيروت

خطبة صاحب الحاشية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أنزل الفرقان مصدقا لما بين يديه هدى و بشرى للمتقين ، قرآنا عربيا غير ذى عوج موعظة وذكرى للمؤمنين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة ندخل بها الفردوس آمنين ، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الصادق الأمين ، المنزل عليه الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الذين أوتوا العلم درجات .

وبعد ، فيقول العبد الفقير الذليل «أحمد بن محمد الصاوى المالكى الخلوتى» : لما كان علم التفسير أعظم العلوم مقدارا وأرفعها شرفا ومنارا إذ هو رئيس العلوم الدينية ورأسها ، ومبنى قواعد الشرع وأساسها ، وكان كتاب الجلالين من أجل كتب التفسير ، وأجمع على الاعتناء به الجم الغفير من أهل البصائر والتنوير ، وجاءنى الداعى الإلهى بقراءته فاشتغلت به على حسب عجزى ووضعت عليه كتابة ماخصة من حاشية شيخنا العلامة المحقق المدقق الورع الشيخ «سليمان الجمل» مع زوائد وفوائد فتح بها مولانا من نور كتابه ، وإنما اقتصرت على تلخيص تلك الحاشية لكونى وجدتها ماخصة من جميع كتب التفسير التى بأيدينا تنسب لنحو عشرين كتابا : منها البيضاوى وحواشيه وحواشى هذا الكتاب . ومنها الخازن والخطيب والسمين وأبو السعود والكواشى والبحر والنهر والساقية والقرطبى والكشاف وابن عطية والتحبير والاتقان ، ولم أنسب العبارات لأصحابها غالبا اكتفاء بنسبة الأصل ، والله على ما أقول وكيل وهو حسبى وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى .

وقد تلقيت هذا الكتاب من أوله إلى آخره مرتين عن العلامة الصوفى سيدى الشيخ سليمان الجمل وعن الامام أبى البركات العارف بالله تعالى أستاذنا الشيخ أحمد الدردير وعن أستاذنا العلامة الشيخ الأمير ، وكل من هؤلاء الأئمة تلقاه عن تاج العارفين شمس الدين سيدى محمد بن سالم الحفناوى ، وعن الامام أبى الحسن سيدى الشيخ على الصعيدى العدوى ، والشيخ الحفناوى تلقاه عن العلامة سيدى محمد بن محمد البديرى الدمياطى الشهير بابن الميت ، وهو عن نور الدين سيدى على الشبراملسى ، وهو عن الشيخ الحلبى صاحب السيرة ، وهو عن خاتمة المحققين سيدى على الأجهورى ، وهو عن البرهان العلقمى ، وهو عن أخيه شمس الدين محمد العلقمى ، عن الجلال عبد الرحمن السيوطى . وأما سندنا للجلال المحلى فهو بعينه إلى الامام الحلبى ، وهو عن الامام الزيادى عن الشيخ الرملى ، وهو عن شيخ الاسلام زكريا الأنصارى عن الجلال محمد بن أحمد المحلى ، رضى الله عنهم ونفعنا بهم . ولد السيوطى سنة ثمانمائة وتسع وأربعين وتوفى سنة تسعمائة وثلاث عشرة ، فعاش أربعا وستين .

مقدمة

ينبغى لكل شارع فى فن أن يعرف مباديه العشرة ليكون على بصيرة فيه ، وهى : حده وموضوعه وواضعه واستمداده واسمه وحكمه ومسائله ونسبته وفائدته وغايته ، فحد هذا الفن علم بأصول يعرف بها معانى كلام الله على حسب الطاقة البشرية ، وأما معناه لغة فمأخوذ من الفسر وهو الكشف ، وموضوعه آيات القرآن من حيث فهم معانيها ، وواضعه الراسخون فى العلم من عهد النبى إلى هنا على التحقيق كما شهد الله بذلك ، واستمداده من الكتاب والسنة والآثار والفصحاء من العرب العرباء ، واسمه : علم التفسير ، وحكمه : الوجوب الكفائى ، ومسائله : قضاياه من حيث الأمر والنهى والموعظة إلى غير ذلك ، ونسبته : أنه أفضل العلوم الشرعية وأصلها ، وفائدته المعرفة بمعانى كلام الله على الوجه الأكمل ، وغايته : الفوز بسعادة الدارين أما الدنيا فبامتثال الأوامر واجتناب النواهى ، وأما الآخرة فبالجنة ونعيمها ولذلك يقال له اقرأ وارق .

واعلم أن القرآن نزل ليلة القدر جملة واحدة إلى سماء الدنيا فى مكان يقال له بيت العزة على هذا الترتيب الذى نقرؤه فانه توقيفى ، ثم نزل على النبى صلى الله عليه وسلم فى ثلاث وعشرين سنة على حسب الوقائع لقوله تعالى ـ ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا ـ لكن لا على هذا الترتيب فانه نزل عليه ثلاث وثمانون سورة بمكة أى قبل الهجرة ، وبالمدينة

إحدى وثلاثون على التحقيق ، فأول مانزل بمكة اقرأ وآخر مانزل بها قيل العنكبوت وقيل المؤمنون وقيل ويل للمطففين وأول سورة نزلت بالمدينة البقرة وآخر سورة نزلت بها المائدة وهناك بعض سور اختلف فيها منها الفاتحة ويمكن تكرار نزولها . وأما أول آية نزلت على الاطلاق فاقرأ باسم ربك وآخر آية على الاطلاق - واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله - .
واعلم أيضا أن القرآن ينقسم إلى أربعة أقسام : قسم فيه الناسخ والمنسوخ وهو خمسة وعشرون سورة ، وقسم فيه المنسوخ فقط وهو أربعون سورة ، وقسم فيه الناسخ فقط وهو ست سور ، وقسم لاناسخ فيه ولامنسوخ وهو ثلاث وأربعون سورة وأغلبها من الربع الأخير ، وعدّة حروف القرآن ألف ألف ألف وخمسة وعشرون ألفا ودرج الجنة على قدر ذلك و بين الدرجتين خمسمائة عام ، وعدة آياته ستة آلاف وستمائة وستة وستون ، ونصفه بحسب الآيات قوله تعالى فى سورة الشعراء - فألقى موسى عصاه فاذا هى تلقف مايأفكون - ، ونصفه بحسب الحروف قوله تعالى - لقد جئت شيئا نكرا - فالنون من النصف الأول والكاف من الثانى ، ونصفه بحسب السور الحديد والمجادلة من النصف الثانى ، وعدّة كلماته سبعة وسبعون ألفا وأربعمائة وخمسون كلمة وكل كلمة لها أربعة علوم : علم بحسب ظاهرها وعلم بحسب باطنها وعلم بحسب حدّها وعلم بحسب مقطعها ، وإن نظرت إلى تناسبها مع ماقبلها ومابعدها زادت كثيرا ، وترتيب السور هكذا توقيفى . وأما وضع أسمائها فى المصاحف وتقسيمها إلى أعشار وأرباع وأثلاث وأجزاء وأحزاب فمن الحجاج الثقفى بأخذ عن الصحابة فى وضع أسماء السور وباجتهاد منه فى تقسيمه إلى ماذكر ولذلك تجد ابتداء الربع وسط قصة (قوله الحمد لله الخ) افتتح رحمه الله كتابه بهذه الصيغة لأنها أفضل المحامد كما ورد وهى مقتبسة من قوله صلى الله عليه وسلم « الحمد لله حمدا يوافى نعمه ويكافئ مزيده » وقد غير المصنف الحديث بعض تغيير وهو مغتفر فى الاقتباس (قوله موافيا لنعمه) أى مقابلا لها بحيث يكون بقدرها فلاتقع نعمة إلا مقابلة بهذا الحمد وهذا على سبيل المبالغة بحسب ماترجاه وإلا فكل نعمة تحتاج لحمد مستقل (٣) (قوله مكافئا لمزيده) أى مماثلا ومساويا له والمزيد مصدر ميمى من زاده الله النعم والزيادة النمو وبابه باع ويستعمل متعديا ولازما يقال زاده الله خيرا وزاد الشىء ، والمعنى أنه ترجى أن يكون الحمد الذى أتى به موفيا بحق النعم الحاصلة بالفعل ومايزيد منها فى المستقبل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً موافياً لنعمه مكافئاً لمزيده ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، وآله وصحبه وجنوده . هذا ما اشتدت إليه حاجة الراغبين فى تكملة تفسير القرآن الكريم ،

(قوله على محمد) فى نسخة على سيدنا محمد وعليها فعطف وآله ومابعده على سيدنا لاعلى محمد لما يلزم عليه من إبدال محمد وماعطف عليه من السيد وهو فى نفس الأمر محمد فقط (قوله وجنوده) جمع جند اسم جنس جمعى يفرق بينه وبين واحده بالياء على خلاف الغالب فالياء فى المفرد ، والمراد بجنده كل من يعين على الدين بالقتال فى سبيل الله أو بتقرير العلم وضبطه أو بتعمير المساجد أو بغير ذلك من عصره صلى الله عليه وسلم إلى آخر الزمان (قوله هذا) هى بمنزلة أما بعد وبمنزلة أيضا فى أن كلا منهما اقتضاب مشوب بتخلص لأن الكلام الثانى وهو المقصود مقتطع عن الكلام الأول الذى هو الخطبة لكن فيه نوع مناسبة من حيث إن سبب التأليف والمقصود أمر ذو بال وقد ندب الشارع للابتداء فيه بالبسملة والحمدلة والصلاة على النبىّ فحصلت المناسبة ولكنها ليست كاملة وآثرها على أما بعد وإن كانت الواردة لاختصارها واسم الاشارة عائد إما على المعانى أو الألفاظ أو النقوش أو المعانى والألفاظ أو النقوش والمعانى أو النقوش والألفاظ أو الثلاثة احتمالات سبعة المختار منها عوده على المعانى المستحضرة ذهنا سواء قلنا إن الخطبة متقدمة على التأليف أو متأخرة وفى الكلام استعارة تصريحية أصلية حيث شبه المعقول بالمحسوس واستعار اسم المشبه به وهو اسم الاشارة للمشبه (قوله مااشتدت) ماواقعة على المعانى الذهنية كما هو المختار من الاحتمالات المتقدمة وعبر باشتدت دون دعت إشارة إلى أن حاجتهم بلغت حدّ الضرورة لمزيد احتياجهم إلى هذه التكملة وذلك أن تفسير النصف الثانى قد احتوى على المعنى العزيز والمطوى على اللفظ الوجيز فلم ينسج أحد على منواله (قوله الراغبين) أى المحبين والمريدين لتكميل هذا الكتاب بالتأليف وتستعمل الرغبة متعدية بنفسها وبفى فى المحبة والميل ومتعدية بعن للزهد فى شىء والكراهية له (قوله تفسير القرآن) المراد منه مايعم التأويل ، والفرق بينهما أن التفسير هو التوضيح لكلام الله أو رسوله أو الآثار أو القواعد الأدبية العقلية . وأما التأويل فهو أن يكون الكلام محتملا لمعان فتقصره على بعضها كما فى - ويبقى وجه ربك - والقرآن

فى اللغة مأخوذ من القرء وهو الجمع وفى الاصطلاح اللفظ المنزل على النبىّ صلى الله عليه وسلم المتعبد بتلاوته ووصفه بالكريم لأن نفعه ليس قاصرا بل عمّ الخلق جميعا فى الدنيا والآخرة . واعلم أن المدرسين وان تباينت مراتبهم فى العلم ثلاثة أصناف : الأول من إذا درس آية قتصر على مافيها من المنقول وأقوال المفسرين وأسباب النزول والمناسبة وأوجه الإعراب ومعانى الحروف . والثانى من يأخذ فى وجوه الاستنباط منها ويستعمل فكره بمقدار ما آتاه الله من الفهم ولايشتغل بأقوال السابقين اعتمادا على كونها موجودة فى بطون الأوراق لامعنى لذكرها . والثالث من يرى الجمع بين الأمرين والتحلى بالوصفين ولايخفى أنه أرفع الأصناف ومن هذا الصنف الجلال المحلى والجلال السيوطى رضى الله عنهما وعنابهما (قوله الذى ألفه) صفة للتفسير مخصصة له (قوله الامام) هو لغة المقدم واصطلاحا من بلغ رتبة أهل الفضل (قوله العلامة) مبالغة فى العلم ومعناه الجامع بين المعقول والمنقول بأبلغ وجه (قوله المحقق) أى الآتى بأدلة على الوجه الحق (قوله جلال الدين) لقب له ومعناه ذوجلالة فى الدين أومجلّ ومعظم له لأنه شيده وأظهرقواعده (قوله محمد) هواسمه وقوله ابن أحمد هواسم أبيه (قوله المحلى) بفتح الحاء نسبة للمحلة الكبرى مدينة من مدن مصر مشهورة ، ولد سنة سبعمائة وإحدى وتسعين وتوفى سنة ثمانمائة وأربعة وستين فعمره ثلاث وسبعون وقبره قبالة باب النصر مشهور (قوله الشافعى) نسبة للامام أبى عبدالله محمد بن إدريس (قوله وتميم) بالرفع عطف على ما فى قوله ماالشتدّت إليه حاجة الراغبين أو بالجر عطف على قوله فى تكملة تفسير القرآن وذكره وإن علم مماقبله توطئة للأوصاف التى ذكرها بقوله على نمطه الخ وفى التعبير بالتتميم تسمح من حيث إن ماأتى به السيوطى تميم لما أتى به المحلى لا لمافاته إذ الذى فاته هو نفس ماأتى به السيوطى وقوله وهو من أول الخ الضمير راجع لما فاته أوللتتميم لما علمت أن مافاته والتتميم مصدوقهما واحد وهو تفسير السيوطى وقوله من أول (٤) سورة البقرة الخ أى وأما الفاتحة ففسرها المحلى فجعلها السيوطى فى آخر تفسير

الذى ألفه الإمام العلامة المحقق جلال الدين محمد بن أحمد المحلى الشافعى رحمه الله ، وتميم ما فاته ، وهو من أول سورة البقرة إلى آخر الإسراء بتتمة على نمطه من ذكر ما يفهم به كلام الله تعالى ، والاعتماد على أرجح الأقوال ، وإعراب ما يحتاج إليه وتنبيه على القراءات المختلفة المشهورة على وجه لطيف ، وتعبير وجيز ، وترك التطويل بذكر أقوال غير مرضية ، وأعاريب محلها كتب العربية ، والله أسأل النفع به فى الدنيا ، وأحسن الجزاء عليه فى العقبى بمنه وكرمه .

سورة

المحلى لتكون منضمة لتفسيره وابتدأ هو من أول البقرة (قوله بتتمة) متعلق بتتميم والباء بمعنى مع أى هذا التتميم الذى أتى به السيوطى تفسيرا للنصف الأول مصاحب لتتمة والمراد بها ماذكره بعد فراغه من سورة الاسراء بقوله هذا آخر ما كملت به تفسير القرآن الكريم الخ (قوله على نمطه) حال من التتميم أى حال كون هذا التتميم كائنا على نمط تفسير المحلى أى طريقته وأسلوبه (قوله من ذكر مايفهم الخ) بيان للنمط (قوله والاعتماد) بالجر عطف على ذكر أى والاقتصار على أرجح الأقوال وكذا قوله وإعراب وتنبيه الخ (قوله وتنبيه الخ) نكر هذا المصدر دون ماقبله إشارة إلى قلة التنبيه المذكور وأنه لم ينبه على جميع القراءات المختلفة (قوله المختلفة) أى المتنوّعة وتنوّعها من سبعة أوجه لأنه إما من حيث الشكل فقط كالبخل والبخل قرئ بهما والمعنى واحد وإما حيث المعنى فقط نحو ـ فتلقى آدم من ربه كلمات ـ برفع آدم ونصب كلمات وعكسه قرئ بهما أيضا . وإما من حيث اللفظ والمعنى وصورة الحرف واحدة نحو تبلو كل نفس وتتلو قرئ بهما وصورة الباء والتاء واحدة بقطع النظر عن النقط ، وإما أن يكون الاختلاف فى صورة الحرف لافى المعنى كسراط وصراط ، وإما من حيث اللفظ والمعنى وصورة الحرف نحو فاسعوا وامضوا قرئ بهما ، وإما من حيث الزيادة والنقص كأوصى ووصى ، وإما من حيث التقديم والتأخير كيقتلون ويقتلون بتقديم المبنى للفاعل على المبنى للمفعول وبالعكس (قوله على وجه لطيف) متعلق بالمصادر الأربعة قبله ، والمراد باللطيف هنا القصير فعطف قوله وتعبير وجيز للتفسير (قوله وترك التطويل) معطوف على وجه لطيف وهو تصريح بما علم من قوله وتعبير وجيز إذ يلزم من كونه وجيزا أن لايكون طويلا (قوله بذكر أقوال) متعلق بتطويل وقوله غير مرضية أى عند المفسرين وقوله وأعاريب معطوف على أقوال (قوله والله أسأل النفع به) أى بالتتميم المذكور (قوله بمنه وكرمه) الباء فيه للتوسل أى أتوسل إليه بصفتيه العظيمتين وهما منه الذى هو تفضله على عباده بالعطايا وكرمه الذى هو إيصال فضله للبارّ والفاجر .

(قوله سورة البقرة الخ) مبتدأ ومدنية خبر أول ومائتان الخ خبر ثان و يؤخذ من هذا أن تسميتها بما ذكر غير مكروه خلافا لمن قال بذلك وادّعى أنه إنما يقال السورة التى تذكر فيها البقرة وأسماء السور توقيفية وكذا ترتيبها على التحقيق كما تقدم والسورة مأخوذة من سور البلد لارتفاع رتبتها و إحاطتها وهى طائفة من القرآن لها أول وآخر وترجمة باسم خاص بها بتوقيف كما سبق . والراجح أن المكى ما نزل قبل الهجرة ولو فى غير مكة والمدنى ما نزل بعد الهجرة ولو فى غير المدينة (قوله وثمانون آية) قيل أصلها أيية قلبت عينها ألفا على غير قياس وهى فى العرف طائفة من كلمات القرآن متميزة بفصل وقد تكون كلمة مثل والفجر والضحى والعصر وكذا الم وطه ويس ونحوها عند الكوفيين وغيرهم لا يسميها آيات بل يقول هى فواتح السور وعن أبى عمرو الدانى لا أعلم كلمة هى وحدها آية إلا قوله تعالى ـ مدهامتان ـ . [فائدة] قال ابن العربى سورة البقرة فيها ألف أمر وألف نهى وألف حكم وألف خبر أخذها بركة وتركها حسرة لا تستطيعها البطلة وهم السحرة إذا قرئت فى بيت لم تدخله مردة الشياطين ثلاثة أيام اهـ وروى مسلم عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا تجعلوا بيوتكم مقابر إن الشيطان يفر من البيت الذى تقرأ فيه سورة البقرة» وعنه فى رواية «لكل شئ سنام وسنام القرآن سورة البقرة» وفى رواية «سيدة آى القرآن آية الكرسى» [فائدة أخرى] فى الكلام على الاستعاذة ولفظها المختار أعوذ بالله من الشيطان الرجيم عند مالك وأبى حنيفة والشافعى لقوله تعالى ـ فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ـ وقال أحمد : الأولى أن يقول أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم جمعا بين هذه الآية وآية فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم . وقال الثورى والأوزاعى الأولى أن يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم إن الله هو السميع العليم ، فاتفق الجمهور على أنه يستحب لقارئ القرآن خارج الصلاة أن يتعوّذ . وحكى عن عطاء وجوبها . وقال ابن سيرين إذا تعوّذ الرجل فى عمره مرة واحدة كفى فى إسقاط الوجوب ، ووقت الاستعاذة قبل القراءة عند الجمهور وحكى عن النخعى أنه بعد القراءة وهو قول داود وأحد الروايتين عن ابن سيرين (٥) ومعنى أعوذ بالله ألتجئ إليه

سورة البقرة مدنية مائتان وست أو سبع وثمانون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم الم) الله أعلم بمراده بذلك ،

وأتحصن به مما أخشاه والشيطان أصله من شطن أى بعد عن الرحمة وقيل من شاط بمعنى احترق وهو اسم لكل عات من الجن والانس والرجيم فعيل بمعنى فاعل أى راجم بالوسوسة والشر وقيل بمعنى مفعول أى مرجوم بالشهب عند استراق السمع أو بالعذاب أو مطرود عن الرحمة والخيرات فحكمة الاستعاذة تطهير القلب من كل شئ يشغل عن الله تعالى فإن فى تعوّذ العبد بالله إقرارا بالعجز والضعف واعترافا بقدرة البارئ وأنه الغنى القادر على دفع المضرّات وأن الشيطان عدو مبين وقد دخل منه فى الحصن الحصين (قوله بسم الله الرحمن الرحيم) اختلف الأئمة فى كون البسملة من الفاتحة وغيرها من السور سوى سورة براءة فذهب الشافعى وجماعة من العلماء إلى أنها آية من الفاتحة ومن كل سورة ذكرت فى أولها سوى سورة براءة وقال به جماعة من الصحابة وذهب الأوزاعى ومالك وأبو حنيفة إلى أن البسملة ليست آية من الفاتحة وزاد أبو داود ولا من غيرها من السور وإنما هى بعض آية فى سورة النمل وإنما كتبت للفصل والتبرك . قال مالك ويكره استفتاح صلاة الفرض بها واختلفت الرواية عن أحمد فى كونها من الفاتحة أولا . والأحسن أن يقدر متعلق الجار هنا قولوا لأن هذا المقام مقام تعليم صادر عن حضرة الربّ تعالى (قوله الم) اعلم أن مجموع الأحرف المنزلة فى أوائل السور أربعة عشر حرفا وهى نصف حروف الهجاء وقد تفرّقت فى تسع وعشرين سورة المبدوء بالألف واللام منها ثلاثة عشر وبالحاء والميم سبعة و بالطاء أربعة وبالكاف واحدة وبالياء واحدة وبالصاد واحدة و بالقاف واحدة و بالنون واحدة وبعض هذه الحروف المبدوء بها أحادى وبعضها ثنائى وبعضها ثلاثى وبعضها رباعى و بعضها خماسى ولا تزيد (قوله الله أعلم بمراده بذلك) أشار بهذا إلى أرجح الأقوال فى هذه الأحرف التى ابتدأ بها تلك السور وهو أنها من المتشابه جريا على مذهب السلف القائلين باختصاص الله تعالى بعلم المراد منه وعلى هذا فلا محلّ لها من الاعراب لأنه فرع إدراك المعنى فلا يحكم عليها باعراب ولا بناء ولا بتركيب مع عامل ومقابل هذا أقوال قيل إنها أسماء للسور التى ابتدئت بها ، وقيل أسماء للقرآن ، وقيل لله تعالى ، وقيل كلّ حرف منها مفتاح اسم من أسمائه تعالى : أى جزء من اسم فالألف مفتاح لفظ الجلالة واللام مفتاح اسم لطيف والميم مفتاح لسم مجيد وهكذا ، وقيل كل حرف منها يشير إلى نعمة من نعم الله ، وقيل إلى ملك ، وقيل إلى نبى ، وقيل الألف تشير إلى آلاء الله واللام إلى لطف الله والميم إلى ملك الله وعلى هذه الأقوال فلها

محل من الاعراب فقيل الرفع وقيل النصب وقيل الجر فالرفع على أحد وجهين إما بكونها مبتدأ و إما بكونها خبرا والنصب على أحد وجهين أيضا إما باضمار فعل لائق تقديره اقرؤا مثلا و إما باسقاط حرف القسم كقول الشاعر :

إذ ماالخبز تأدمه بلحم فذاك أمانة لله الثريد

يريد وأمانة الله والجر بوجه واحد وهو أنها مقسم بها حذف حرف القسم و بقي عمله أجاز ذلك الزمخشري و إن كان ضعيفا لأن ذلك من خصائص الجلالة المعظمة لايشاركها فيه غيرها (قوله ذلك) اسم الاشارة مبتدأ واللام للبعد والكاف حرف خطاب والكتاب نعت لاسم الاشارة أو عطف بيان وجملة لا ريب فيه خبر كما قال المفسر (قوله أي هذا) أشار بذلك إلى أن حق الاشارة أن يؤتى بها للقريب وسيأتي الجواب عنه (قوله الكتاب) بمعنى المكتوب وهو القرآن . إن قلت إن القرآن قريب فلا يشار له باشارة البعيد . أجاب المفسر بقوله والاشارة به للتعظيم أي فالقرآن و إن كان قريبا منا إلا أنه مرفوع الرتبة وعظيم القدر من حيث إنه منزه عن كلام الحوادث وذلك كمناداة المولى سبحانه وتعالى بيا التي ينادى بها البعيد مع كونه أقرب إلينا من حبل الوريد لكونه سبحانه منزها عن صفات الحوادث فنزل تنزهه عن الحوادث منزلة بعدنا عنه والكتاب في الأصل مصدر يطلق بمعنى الجمع (قوله الذي يقرؤه محمد) أي وهو القرآن احترز بذلك عن باقي الكتب السماوية (قوله لاشك) هذا أحد معان ثلاثة والثاني التهمة والثالث القلق والاضطراب وكلها منزه عنها القرآن لخروجه عن طاقة البشر قال تعالى ـ قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ـ الآية . إن قلت إن قوله تعالى لاريب فيه خبر وهو لايتخلف مع أن بعض الكفار ارتاب فيه حيث قالوا سحر وكهانة وأساطير الأولين إلى غير ذلك . أجيب بأجوبة أحسنها أن قوله لاريب فيه أي لمن أذعن وأقام البرهان وتأمل فلا ريب فيه للعارفين المنصفين وأما من عاند فلا يعتد به إنهم إلا كالأنعام بل هم أضل ومنها أن معنى قوله لاريب فيه أي لاينبغي أن يرتاب فيه لقيام الأدلة الواضحة على كونه من عند الله ومنها (٦) أن المعنى لاريب فيه أي للمؤمنين وأما الكافرون فلا يعتد بهم فالجواب الأول عام فمن تأمل لايحصل له ريب مسلما أو كافرا وجحده بعد ذلك عناد والجواب الثاني أنه نفي بمعنى النهي والثالث خاص بالمسلم (قوله أنه من عند الله) بفتح الهمزة بدل من الضمير في قوله فيه ويدل عليه قوله تعالى في الآية الأخرى ـ لاريب فيه من رب العالمين ـ (قوله والاشارة به للتعظيم) تقدم أن هذا جواب عن سؤال مقدر . إن قلت إنه لايشار إلا للمحسوس والقرآن ألفاظ تنقضي بمجرد النطق بها . أجيب بأنه نزل المعقول منزلة المحسوس أو الاشارة لما في المصاحف أو اللوح المحفوظ (قوله هدى) أي رشاد و بيان وهو مصدر إما بمعنى اسم الفاعل وهو الذي اقتصر عليه المفسر أي مرشد ومبين والاسناد له مجاز عقلي من الاسناد للسبب أو ذو هدى أو بولغ فيه حتى جعل نفس الهدى على حد زيد عدل (قوله للمتقين) إن قلت إن القرآن هدى بمعنى مبين طريق الحق من الباطل للناس مؤمنهم وكافرهم فلم خص المتقين . أجيب بأنه خصهم بالذكر لكونهم انتفعوا بثمرته عاجلا وآجلا وهذا إن أريد به البيان حصل وصول للمقصود أم لا وأما إن أريد به الوصول للمقصود فالتخصيص ظاهر وأصل متقين متقيين استثقلت الكسرة على الياء الأولى فحذفت فالتقى ساكنان حذفت الياء لالتقاء الساكنين (قوله الصائرين للتقوى) أشار بذلك إلى أن في الكلام مجاز الأول أي المتقين في علم الله أو من يؤول إلى كونهم متقين فهو جواب عن سؤال مقدر حاصله أنهم إذا كانوا متقين فهم مهتدون فلا حاجة له (قوله بامتثال الأوامر) يصح أن تكون الباء سببية أو للتصوير وقوله واجتناب النواهي عطف عليه والمعنى أن امتثال الأوامر على حسب الطاقة واجتناب النواهي جميعها سبب للتقوى أو هي مصورة بذلك (قوله لاتقائهم) علة لتسميتهم متقين وقوله بذلك أي المذكور وهو امتثال الأوامر واجتناب النواهي ، وهذا اشارة إلى تقوى الخواص وتحتها تقوى العوام وهي تقوى الشرك وفوقها تقوى خواص الخواص ، وهي تقوى مايشغل عن الله ، قال العارف :

ولو خطرت لي في سواك إرادة على خاطري يوما حكمت بردتي

والآية في حد ذاتها شاملة للمراتب الثلاث (قوله الذين يؤمنون) هذا تفصيل لبعض صفات المتقين وخصها لأنها أعلى الأوصاف وهو في محل جر صفة للمتقين أو رفع خبر لمحذوف أو نصب مفعول لمحذوف و يصح أن يكون مستأنفا مبتدأ خبره

(ذَٰلِكَ) أي هذا (الْكِتَابُ) الذي يقرؤه محمد (لَا رَيْبَ) شك (فِيهِ) أنه من عند الله وجملة النفي خبر مبتدؤه ذلك والإشارة به للتعظيم (هُدًى) خبر ثان أي هاد (لِلْمُتَّقِينَ) الصائرين إلى التقوى بامتثال الأوامر واجتناب النواهي لا تقائهم بذلك النار (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ) يصدقون (بِالْغَيْبِ)

قوله أولئك على هدى وعلى هذا فالوقف على المتقين تام لعدم ارتباطه بما بعده وعلى الاعراب الأول فهو حسن لأنه رأس آية وإن كان له ارتباط بما بعده (قوله بما غاب) أشار بذلك إلى إطلاق المصدر وإرادة اسم الفاعل وما غاب عنا قسمان مادل عليه دليل عقلى أوسمعى كالجنة والنار والملائكة والعرش والكرسى واللوح والقلم والمولى سبحانه وتعالى وصفاته ومالم يدل عليه دليل كالساعة ووقت نزول المطر ومافى الأرحام وباقى الخمسة المذكورة فى الآية وأما الشهادة فهى ماظهر لنا حسا أوعقلا ببداهة العقل كالواحد نصف الاثنين وأن الجرم متحيز (قوله من البعث الخ) بيان لما وقوله والجنة والنار عطف عليه أى ونحو ذلك مما لم لنا الدليل عليه ويحتمل أن يبقى الغيب على مصدريته والباء متعلقة بمحذوف حال أى إيمانا ملتبسا بحالة الغيبة ففيها بيان لحال المؤمنين الخالصين وتعريض لحال المنافقين فانهم كانوا يؤمنون ظاهرا فقط فمدح الله من يؤمن فى حال غيبته عن كل أحد كما يؤمن ظاهرا ويحتمل أن المراد بالغيب القلب سمى بذلك لخفائه أى يؤمنون بحالة السر وهو الايمان القلبى فالمصدر باق على حاله وفيه ردّ على المنافقين أيضاحيث قالوا بألسنتهم ماليس فى قلوبهم (قوله ويقيمون الصلاة) إما مأخوذة من الصلاة اللغوية بمعنى الدعاء لأنها مشتملة عليه فى الركوع والسجود وعليه فأصلها صلوة تحركت الواو وانفتح ما قبلها قلبت ألفا وقيل من الوصلة لأنها وصلة بين العبد وبين ربه وعليه فأصلها وصلة قلبت قلبا مكانيا فصار صلوة تحركت الواو وانفتح ماقبلها قلبت ألفا وقوله يقيمون من قوّمت العود عدلته (قوله أى يأتون بها بحقوقها) أى الظاهرية كالشروط والآداب والأركان والباطنية كالخشوع والخضوع والاخلاص (قوله ومما رزقناهم) فيه حذف نون من التبعيضية لفظا وخطا لادغامها فى ما الموصولة ورزقناهم صلة الموصول ونا فاعل والهاء مفعول أوّل وحذف المفعول الثانى فيصح (٧) تقديره متصلا أى رزقناهموه

(بِالْغَيْبِ) بما غاب عنهم من البعث والجنة والنار (وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ) أى يأتون بها بحقوقها (وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ) أعطيناهم (يُنْفِقُونَ) فى طاعة الله (وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ) أى القرآن (وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ) أى التوراة والإنجيل وغيرهما (وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ) يعلمون (أُولَئِكَ) الموصوفون بما ذكر (عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) الفائزون بالجنة الناجون من النار (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا) كأبى جهل وأبى لهب ،

أومنفصلا أى رزقناهم إياه على حدّ قول ابن مالك :

وصل أوافصل هاء سلنيه

(قوله أعطيناهم) أشار بذلك إلى أن الرزق معناه الملك وليس المراد به الرزق الحقيقى إذ لايتأتى تعديه لغيره وقدم الجار والمجرور للاهتمام (قوله ينفقون) أى إنفاقا واجبا كالزكاة والنفقة على الوالدين والعيال أومندوبا كالتوسعة على العيال ومواساة الأقارب والفقراء (قوله فى طاعة الله) فى تعليلية أى من أجل طاعة الله لارياء ولاسمعة قال تعالى ـ إنما نطعمكم لوجه الله ـ (قوله والذين يؤمنون) معطوف على الموصول الاول وهو نوع آخر للمتقين فانها نزلت فيمن كان آمن بعيسى وأدرك النبى صلى الله عليه وسلم كعبد الله بن سلام وعمار بن ياسر وسلمان والنجاشى وغيرهم . وأما النوع الأول فهم مشركو العرب الذين لم يرسل لهم غيره صلى الله عليه وسلم فنزلت فيهم الآية الأولى (قوله بما أنزل إليك) نزل المستقبل منزلة الماضى لتحقق الوقوع لأنه لم يكن تمّ نزوله (قوله وما أنزل من قبلك) أى فلم يفرقوا بين الأنبياء بحيث يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض (قوله وبالآخرة هم يوقنون) قدم الجار والمجرور لإفادة الحصر وأتى بالجملة اسمية لأنه أعلى من الانفاق (قوله يعلمون) أى علما لاشك فيه ولا ريب ولذا اتصف مولانا بالعلم ولم يتصف باليقين وفيه ردّ على من أنكر الآخرة ممن لم يؤمن بمحمد (قوله أولئك الموصوفون بما ذكر) إن قلنا إن قوله الذين يؤمنون الخ وصف للمتقين كان ماهنا مبتدأ وخبرا بيان لعاقبة المتقين وإن قلنا إنه مستأنف مبتدأ كان ماهنا خبره (قوله على هدى) عبر بعلى إشارة إلى تمكنهم من الهدى كتمكن الراكب من المركوب (قوله الناجون من النار) أى ابتداء وانتهاء وعطف الجملتين إشارة إلى تغايرهما وأن كلا غاية فى الشرف وأن الثانية مسببة عن الأولى (قوله إن الذين كفروا) جرت عادة الله سبحانه وتعالى فى كتابه أنه إذا ذكر بشرى المؤمنين يذكر بلصقها وعيد الكافرين فذكر حال الكافرين ظاهرا وباطنا ثم ذكر حال الكافرين باطنا وهم المنافقون وأنهم أسوأ حالا من الكافرين ظاهرا وباطنا وإن حرف توكيد ونصب والذين كفروا اسمها وجملة لايؤمنون خبرها وجملة ـ سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم ـ معترضة بين اسم إن وخبرها وإعرابها أن تقول على المشهور سواء اسم مصدر مبتدأ بمعنى مستو وسوّغ الابتداء به تعلق الجار والمجرور به وأأنذرتهم أم لم تنذرهم مؤول بمفرد خبر تقديره مستو عليهم

إنذارك وعدمه وهو فعل مسبوك بلاسابك . إن قلت إن خبر المبتدا إذاوقع جملة لابدّ له من رابط . أجيب بأن الخبر عين المبتدا فى المعنى وهو يكفى فى الربط . وأجيب أيضا بأن محل الاحتياج للرابط مالم يؤوّل الخبر بمفرد و إلا فلا يحتاج للرابط وقولهم لابدّ للفعل من سابك أغلبي و يصح العكس وهوأن الجملة مبتدأ مؤخر وسواء خبر مقدّم (قوله ونحوهما) أى من كفار مكة الذين سبق علم الله بعدم إيمانهم والحكمة فى إخبار الله نبيه بذلك ليريح قلبه من تعلقه بإيمانهم فلا يشتغل بهدايتهم ولا بتأليفهم و يحتمل أن ذلك إعلام من الله لنبيه بمن كفر من أوّل الزمان إلى آخره لأنه أطلعه على النار وعلى من أعدّلها من الكفار والحكمة فى عدم الدعاء منه عليهم مع علمه بأنه يستحيل إيمانهم أنه يرجو الايمان من ذرّيتهم (قوله بتحقيق الهمزتين) أى مع مدّة بينهما مدّا طبيعيا وتركه فهما قراءتان وقوله و إبدال الثانية ألفا : أى مدّا لازما وقدره ست حركات وقوله وتسهيلها: أى بأن تكون بين الهمزة والهاء وقوله و إدخال ألف الواو بمعنى مع فحاصله أن القراآت خمس قراءات مع التحقيق وقراءتان مع التسهيل وقراءة مع الابدال وكلهاسبعية على التحقيق خلافاللبيضاوى حيث قال إن قراءة الابدال لحن لوجهين الأوّل أن الهمزة المتحركة لاتبدل ألفا والثانى أن فيه التقاء الساكنين على غير حدّه ، وردّ عليه ملاعلى قارى بأن القراءة متواترة عن رسول الله ومن أنكرها كفر فيستدل بها لالها ، وأما قوله إن الهمزة المتحركة لا تبدل ألفا محله فى القياسى ، وأما السماعى فلا لحن فيه لأنه يقتصر فيه على السماع . وقوله فيه التقاء الساكنين على غير حدّه نقول سهله طول المدّ والسماع ، وأما قولهم كل ماوافق وجه النحو الخ محله فى قراءة الآحاد لا فى المتواترة و إلا فالتواتر نفسه حجة على غيره لايحتج له (قوله إعلام مع تخويف) أى فى وقت يسع التحرز من الأمر المخوف و إلا فيسمى إخبارا بالعذاب (قوله ختم الله على قلوبهم) هذا ومابعده كالعلة والدليل لماقبله والمراد بالقلوب العقول وهى اللطيفة الربانية القائمة بالشكل الصنوبرى قيام العرض بالجوهر أو قيام حرارة النار بالفحم (قوله طبع عليها) هذا إشارة إلى المعنى الأصلى فأطلقه وأراد لازمه وهو عدم تغيير مافى قلوبهم بدليل قوله فلايدخلها خير وفى القلوب استعارة بالكناية حيث شبه قلوب الكفار بمحل فيه شىء مختوم عليه وطوى ذكرالمشبه به ورمزله بشىء من لوازمه وهوالختم فاثباته تخييل (قوله أى مواضعه) إنماقدّر ذلك المضاف لأن السمع معنى من المعانى لايصح إسنادالختم لها وأفرده إمالأنه مصدر لايثنى ولايجمع أولكون المسموع واحدا وتمّ الوقف على قوله وعلى سمعهم ، وقوله وعلى أبصارهم خبرمقدم وغشاوة مبتدأ مؤخر جملة مستأنفة نظير قوله تعالى ـ أفرأيت من اتخذإلهه هواه ـ الآية والمراد من الغشاوة عدم وصول النور المعنوى لهم فأطلق اللازم وأراد الملزوم وخص الثلاثة لأنهاطرق العلم بالله (قوله ولهم عذاب عظيم) العذاب هو إيصال الآلام للحيوان على وجه الهوان (قوله قوى دائم) إنمافسره بذلك لأن الأصل فى العظم أن يكون وصفا للأجسام فلذلك حول العبارة (قوله ونزل فى المنافقين) أى فى أحوالهم وهوانهم واستهزاء الله بهم وضرب الأمثال فيهم وعاقبة أمرهم وجملة ذلك ثلاث عشرة آية آخرها إن الله على كل شىء قدير ، وأخرهم عن المؤمنين والكافرين ظاهرا و باطنا إشارة إلى أنهم أسوأ حالا من الكفار (قوله ومن الناس من يقول) يحتمل أن الجار والمجرور خبرمقدم ومن اسم موصول أونكرة موصوفة مبتدأ مؤخروجملة يقول إماصلة أوصفة ، والمعنى الذى يقول أوفريق يقول ماذكر كائن من الناس ورد ذلك بأنه لافائدة فى ذلك الاخبار، والحق أن يقال إن من اسم بمعنى بعض مبتدأوجرّبها لأنها على صورة الحرف أو صفة لمحذوف مبتدأ تقديره فريق من الناس وخبره قوله من يقول الخ وعهد جعل الظرف مبتدأ حيث كان تمام الفائدة بما بعده كقوله تعالى ـ ومنا دون ذلك ـ وقوله تعالى ـ ومنهم الذين يؤذون النبى ـ وأصل ناس أناس أتى بأل بدل الهمزة مشتق من التأنس لتأنس بعضهم ببعض وتسمية الانس به حقيقة والجنّ به مجاز ، وقيل مشتق من ناس إذا تحرك وعليه فتسمية الجنّ به حقيقة أيضا والحق الأوّل ، ولذاقيل لم يوجد منافق أومشرك إلا فى بنى آدم فقط وكفرالجنّ بغير الاشراك

ونحوهما (سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ) بتحقيق الهمزتين و إبدال الثانية ألفا وتسهيلها و إدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه (أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) لعلم الله منهم ذلك فلا تطمع فى إيمانهم والإنذار إعلام مع تخويف (خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ) طبع عليها واستوثق فلا يدخلها خير (وَعَلَى سَمْعِهِمْ) أى مواضعه فلا ينتفعون بما يسمعونه من الحق (وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ) غطاء فلا يبصرون الحق (وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) قوى دائم . ونزل فى المنافقين (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ ،

وباليوم

والنفاق ، وهو جمع إنسان أو إنسى ، والمراد من المنافقين هنا بعض سكان البوادى و بعض أهل المدينة فى زمنه صلى الله عليه وسلم وخبر مافسرته بالوارد ، قال تعالى ـ وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة ـ الآية (قوله و باليوم الآخر) أعاد الجار لافادة تأكيد دعواهم الايمان بكل ماجاء به رسول الله فرد عليهم المولى بأبلغ رد بقوله ـ وماهم بمؤمنين ـ حيث أتى بالجملة اسمية وزاد الجار فى الخبر (قوله لأنه آخر الأيام) علة لتسميته اليوم الآخر والمراد بالأيام الأوقات وهل المراد الأوقات المحدودة وهو بناء على أن أوله النفخة وآخره الاستقرار فى الدارين أو الأوقات غير المحدودة بناء على أنه لانهاية له (قوله وماهم بمؤمنين) جملة اسمية تفيد الدوام والاستمرار : أى لم يتصفوا بالايمان فى حال من الأحوال لافى الماضى ولافى الحال ولافى الاستقبال (قوله يخادعون الله) هذا جواب عن سؤال مقدر تقديره ما الحامل لهم على إظهار الايمان و إخفاء الكفر وحقيقة المخادعة أن يظهر لصاحبه أنه موافق ومساعد له على مراده والواقع أنه ساع فى إبطال مراده فاظهار خلاف ما يبطن إن كان فى الدين سمى نفاقا وخديعة ومكرا و إن كان فى الدنيا بأن يصانع أهل الدنيا لأجل حماية الدين ووقايته يسمى مداراة وهى ممدوحة (قوله من الكفر) بيان لما أبطنوه وقوله ليدفعوا علة للاظهار (قوله أحكامه) أى الكفر وقوله الدنيوية : أى الكائنة فى الدنيا وذلك كالقتل والسبى والجزية والذل ولو قصدوا دفع أحكامه الأخروية من الخلود فى النار وغضب الجبار لأخلصوا فى إيمانهم (قوله لأن و بال خداعهم) أى عذابه وعاقبة أمره (قوله راجع اليهم) قال تعالى ـ ولايحيق المكر السيء إلا بأهله ـ (قوله فيفتضحون) تفريع على قوله لأن و بال خداعهم الخ (قوله باطلاع الله نبيه) أى وأمره باخراجهم من المسجد، ونزل فيهم ـ

وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ) أى يوم القيامة لأنه آخر الأيام (وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ) روعى فيه معنى من وفى ضمير يقول لفظها (يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا) بإظهار خلاف ما أبطنوه من الكفر ليدفعوا عنهم أحكامه الدنيوية (وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ) لأن وبال خداعهم راجع إليهم فيفتضحون فى الدنيا بإطلاع الله نبيه على ما أبطنوه ويعاقبون فى الآخرة (وَمَا يَشْعُرُونَ) يعلمون أن خداعهم لأنفسهم والمخادعة هنا من واحد كعاقبت اللص وذكر الله فيها تحسين وفى قراءة وما يخدعون (فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) شك ونفاق فهو يمرض قلوبهم أى يضعفها (فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضًا) بما أنزله من القرآن لكفرهم به (وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم (بِمَا كَانُوا يُكَذِّبُونَ) بالتشديد

ولاتصل على أحد منهم ـ الآيات (قوله و يعاقبون فى الآخرة) أى بالعذاب الدائم المؤبد فى الدرك الأسفل (قوله يعلمون) سمى العلم شعورا لأنه يكون بأحد المشاعر الخمس وهى الشم والذوق واللمس والسمع والبصر (قوله والمخادعة هنا من واحد) أى فليست على بابها وهو جواب عن سؤال تقديره إن المفاعلة تكون من الجانبين وفعل الله لا يقال فيه مخادعة فأجاب بما ذكر ، وقد ورد سؤال آخر حاصله أن الخداع لا يكون إلا لمن تخفى عليه الأمور فما معنى إسناد المخادعة إلى الله ؟ . أجيب بأن فى الكلام استعارة تمثيلية حيث شبه حالهم مع ربهم فى إيمانهم ظاهرا لا باطنا بحال رعية تخادع سلطانها ، واستعير اسم المشبه به للمشبه ، أو مجاز عقلى : أى يخادعون رسول الله من إسناد الشيء إلى غير من هو له أو مجاز بالحذف أو فى الكلام تورية ، وهى أن يكون للكلام معنى قريب و بعيد فيطلق القريب ويراد البعيد ، وهو مطلق الخروج عن الطاعة باطنا و إن كان المعامل لا تخفى عليه خافية ، وأشار المفسر لذلك كله بقوله : وذكر الله فيها تحسين : أى بذكر المجاز لأنه أبلغ من الحقيقة (قوله فى قلوبهم مرض) يطلق على الحسى وهو الحرقة وعلى المعنوى وهو الشك والنفاق ، ولا شك أن فى قلوبهم المرضين ، والمعنوى سبب فى الحسى فقوله شك ونفاق إشارة للمرض المعنوى ، وقوله فهو يمرض قلوبهم بيان لما يتسبب عنه وهو إشارة للحسى وهى فى محل التعليل لما قبلها (قوله بما أنزله من القرآن) أشار بذلك الى أن نزول القرآن يزيد الكافر والمنافق مرضا بمعنى كفرا وشكا فينشأ عنه المرض الحسى كما يزيد المؤمن إيمانا فينشأ عنه البهجة والسرور . قال تعالى ـ و إذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا ـ الآيات ، ويحتمل أن المراد بما أنزله : أى فى حقهم من فضيحتهم خصوصا بسورة التوبة فانها تسمى الفاضحة (قوله مؤلم) يقرأ اسم مفعول : أى العذاب يتألم من شدته فكأنه لشدته كأن الألم قائم به ، هو أبلغ ويصح قراءته اسم فاعل ، لا بلاغة فيه .

(قوله أى نبى الله) إشارة إلى المفعول وقوله أى فى قولهم إشارة إلى التعلق على القراءة الثانية (قوله و إذا قيل لهم) شروع فى ذكر قبائحهم وأحوالهم الشنيعة وفى الحقيقة هو تفصيل للمخادعة الحاصلة منهم وهذه الجملة يحتمل أنها استئنافية و يحتمل أنها معطوفة على يكذبون أو على صلة من وهى يقول التقدير من صفاتهم أنهم يقولون آمنا الخ ومن صفاتهم أنهم إذا قيل لهم لاتفسدوا فى الأرض الخ وأصل قيل قول استثقلت الكسرة على الواو فنقلت إلى ما قبلها بعد سلب حركتها ثم وقعت الواو ساكنة بعد كسرة قلبت ياء وفاعل القول قيل الله سبحانه وتعالى وقيل النبي والصحابة ومقول القول جملة لاتفسدوا فى الأرض فى محل نصب وهى نائب الفاعل باعتبار لفظها (قوله بالكفر) الباء سببية بيان لسبب الافساد وقوله والتعويق عن الايمان معطوف عليه أى تعويق الغير عن الايمان وصدّهم عنه (قوله إنما نحن مصلحون) أى ليس شأننا الافساد أبدا بل نحن محصورون فى الاصلاح ولا نخرج عنه إلى غيره فهو من حصر المبتدإ فى الخبر وأكدوا ذلك بإنما المفيدة الحصر و بالجملة الاسمية المفيدة الدوام والاستمرار فرد عليهم سبحانه وتعالى بجملة مؤكدة بأربعة تأكيدات: ألا التى للتنبيه و إنّ وضمير الفصل وتعريف الخبر (قوله للتنبيه) وتأتى أيضا للاستفتاح وللعرض والتحضيض وفى الحقيقة الاستفتاح والتنبيه شىء واحد وتدخل إذا كانت لهما على الجملة الاسمية والفعلية وأما إذا كانت للعرض أوالتحضيض فانها تختص بالأفعال وهى بسيطة على التحقيق لامركبة من همزة الاستفهام ولا النافية (قوله ولكن لايشعرون بذلك) أى ليس عندهم شعور بالافساد لطمس بصيرتهم وعبر بالشعور دون العلم إشارة إلى أنهم لم يصلوا (١٠) إلى رتبة البهائم فان البهائم تمتنع من المضار فلاتقربها لشعورها بخلاف هؤلاء

أى نبى الله و بالتخفيف أى فى قولهم آمنا (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ) أى لهؤلاء (لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ) بالكفر والتعويق عن الايمان (قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ) وليس مانحن فيه بفساد، قال الله تعالى ردّا عليهم (أَلَا) للتنبيه (إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِنْ لَا يَشْعُرُونَ) بذلك (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ) أصحاب النبى (قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ) الجهال أى لانفعل كفعلهم، قال تعالى ردّا عليهم (أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِنْ لَا يَعْلَمُونَ) ذلك (وَإِذَا لَقُوا) أصله لقيوا حذفت الضمة للاستثقال ثم الياء لالتقائها ساكنة مع الواو (الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا) منهم ورجعوا (إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ) رؤسائهم (قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ) فى الدين (إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ) بهم بإظهار الايمان (اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ) يجازيهم

(قوله إذا قيل لهم) مقول القول قوله آمنوا وهو نائب الفاعل وفاعل القول قيل الله وقيل النبي وأصحابه كما تقدم (قوله أصحاب النبي) أشار بذلك إلى أن أل فى الناس للعهد العلمى الخارجى ويحتمل أن تكون أل للكمال أى الناس الكاملون (قوله قالوا) أى فيما بينهم و إلا فلو قالوا ذلك جهارا لظهر كفرهم وقتلوا (قوله الجهال) أى بناء على أن السفه ماقابل العلم و يصح أن المراد به نقص العقل بناء على أنه ماقابل الحلم فان الصحابة أنفقوا أموالهم فى سبيل الله حتى افتقروا وتحملوا المشاق فسموهم سفهاء لذلك (قوله ردّا عليهم) أى بجملة مؤكدة بأربع تأكيدات كالأولى (قوله ولكن لايعلمون ذلك) أى السفه أو علم النبي بسفههم وعبر هنا بالعلم إشارة إلى أن السفه معقول بخلاف الفساد فانه مشاهد فلذلك عبر هنا بالعلم وهناك بالشعور (قوله و إذا لقوا) سبب نزول هذه الآية أن أبا بكر وعمر وعليا توجهوا لعبد الله ابن سلول لعنه الله فقال له أبو بكر هلم أنت وأصحابك وأخلص معنا فقال له مرحبا بالشيخ والصديق، ولعمر مرحبا بالفاروق القوى فى دينه، ولعلى مرحبا بابن عم النبي فقال له على اتق الله ولا تنافق فقال ماقلت ذلك إلا لكون إيمانى كايمانكم فلما توجهوا قال لجماعته إذا لقوكم فقولوا مثل ماقلت فقالوا لم نزل بخير ماعشت فينا . و إذا ظرف منصوب بقالوا (قوله أصله لقيوا) أى على وزن شربوا (قوله حذفت الضمة) لم يكمل التصريف وتمامه ثم ضمت القاف للمناسبة (قوله منهم) أشار بذلك إلى أن متعلق خلا محذوف وقوله إلى شياطينهم متعلق بمحذوف أيضا قدره المفسر بقوله ورجعوا و يحتمل كما قال البيضاوى أن خلا بمعنى انفرد و إلى بمعنى مع أى انفردوا مع شياطينهم ولا حذف فيه وأصل خلوا خلووا بواوين الأولى لام الكلمة والثانية علامة الاعراب قلبت لام الكلمة ألفا لتحركها وانفتاح ماقبلها فبقيت ساكنة و بعدها واو الضمير ساكنة فحذفت لالتقاء الساكنين و بقيت الفتحة دالة عليها (قوله رؤسائهم) إنما سموا شياطين لأن كل رئيس منهم معه شيطان يوسوس له و يعلمه المكر وقيل لأنهم كالشياطين

فى الاغواء ، ورؤساؤهم فى ذلك الوقت خمسة كعب بن الأشرف فى المدينة وعبدالدار فى جهينة وأبو بردة فى بنى أسلم وعوف بن عامر فى بنى أسد وعبدالله بن الأسود فى الشام (قوله يجازيهم باستهزائهم) إنما سمى المجازاة استهزاء من باب المشاكلة والاستهزاء الاستخفاف بالشىء (قوله يمهلهم) أتى بذلك دفعا لما يتوهم من أن المجازاة واقعة حالا وحكمة الامهال مذكورة فى قوله تعالى ـ إنما نملى لهم ليزدادوا إثما ـ إلى غير ذلك من الآيات (قوله بالكفر) الباء سببية أى تجاوزهم الغاية بسبب الكفر (قوله حال) أى جملة يعمهون وهى إما حال من الهاء فى يمدهم أومن الهاء فى طغيانهم والمراد بالعمه عدم معرفة الحق من الباطل فمنهم من يظهر له وجه الحق و يكفر عنادا ومنهم من يشك فى الحق و يقال له عمى أيضا فبين العمه والعمى عموم وخصوص مطلق يجتمعان فى طمس القلب و ينفرد العمى بفقد البصر وقوله تحيرا إما مفعول لأجله أو تمييز (قوله استبدلوها به) أشار بذلك إلى أن المراد بالشراء مطلق الاستبدال والباء داخلة على الثمن والمراد بالضلالة الكفر و بالهدى الايمان وكلامه يقتضى أن الهدى كان موجودا عندهم ثم دفعوه وأخذوا الضلالة وهو كذلك لقوله صلى الله عليه وسلم «كل مولود يولد على الفطرة حتى يهودانه أبواه» الحديث ولأنهم فى العهد يوم ألست بربكم أجابوا بالايمان جميعا (قوله أى ما ربحوا فيها) أشار بذلك إلى أن إسناد الربح للتجارة مجاز عقلى وحقه أن يسند للتاجر (قوله بل خسروا) أى الربح ورأس المال جميعا خسرانا دائما فقوله لمصيرهم علة له فمثلهم كمثل من عنده كنز عظيم ينفع فى الدنيا والآخرة استبدله بالنار لأن الضلالة سبب للنار (قوله مثلهم) لما بين قبائحهم وعاقبة أمرهم شرع يضرب أمثالهم و يبين فيها وصفهم ومآلهم عليه (قوله صفتهم) أشار بذلك إلى أن المثل بالتحريك هنا معناه الصفة وليس المراد به المثل السائر وهو كلام شبه مضربه بمورده لغرابته كقولهم الصيف (١٢) ضيعت اللبن وقوله تعالى ـ ضرب

يجازيهم باستهزائهم (وَيَمُدُّهُمْ) يمهلهم (فِى طُغْيَانِهِمْ) بتجاوزهم الحد بالكفر (يَعْمَهُونَ) يترددون تحيرا حال (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ) أى استبدلوها به (فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ) أى ما ربحوا فيها بل خسروا لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم (وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ) فيما فعلوا (مَثَلُهُمْ) صفتهم فى نفاقهم (كَمَثَلِ الَّذِى اسْتَوْقَدَ) أوقد (نَارًا) فى ظلمة (فَلَمَّا أَضَاءَتْ) أنارت (مَا حَوْلَهُ) فأبصر واستدفأ وأمن مما يخافه (ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ) أطفأه وجمع الضمير مراعاة لمعنى الذى (وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ) ما حولهم متحيرين عن الطريق خائفين فكذلك هؤلاء أمنوا بإظهار كلمة الإيمان فإذا ماتوا جاءهم الخوف والعذاب ،

الله مثلا عبدا مملوكا ـ الآية و إنما فسره بالصفة ولم يفسره بالمثل بمعنى الشبه لئلا يلزم عليه زيادة الكاف والأصل عدم الزيادة والجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر مثل التقدير صفتهم كائنة مثل صفة الذى استوقد نارا و يصح فى هذه الكاف أن تكون اسما وهى نفسها هى الخبر و إنما جرّ بها لأنها على صورة الحرف وأن تكون حرفا متعلقة بمحذوف وعلى كل معناها مثل (قوله استوقد) راعى فى الافراد لفظ الذى وفى قوله ذهب الله بنورهم معناه (قوله أوقد) أشار بذلك إلى أن السين والتاء زائدتان لا للطلب لأنه لايلزم من الطلب الايقاد بالفعل (قوله فى ظلمة) أى شديدة وهى ظلمة الليل والسحاب والريح مع المطر (قوله فلما أضاءت) الاضاءة النور القوى قال تعالى ـ هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا ـ فقوله أنارت أى نورا قويا والفاء للترتيب والتعقيب لأن الاضاءة تعقب الايقاد (قوله ماحوله) يحتمل أن ما نكرة موصوفة وحوله صفة والضمير عائد على الموقد للنار وفاعل أضاءت ضمير يعود على النار و يحتمل أن ما اسم موصول وحوله صلة وهو صفة لموصوف محذوف تقديره المكان الذى حوله (قوله واستدفأ) أى امتنع عنه ألم البرد (قوله وأمن مما يخافه) أى من عدو وسباع وحيات وغير ذلك مما يضر وحينئذ فقد تم له النفع بالنار (قوله بنورهم) الضمير عائد على متقدم ضمنا فى قوله فلما أضاءت إذ المعنى أنارت على حد ـ اعدلوا هو أقرب للتقوى ـ ولم يقل بضوئهم إشارة إلى انعدام النور بالكلية بخلاف مالو عبر بالضوء لأنه لايلزم من نفى الأخص نفى الأعم والباء للتعدية كالهمزة فلذلك دخلت على المفعول ولا تستلزم الباء المصاحبة كالهمزة فذهبت بزيد مثل أذهبت زيدا خلافا للمبرد حيث جعلها تفيد المصاحبة ورد عليه بهذه الآية لاستحالة المصاحبة فيها (قوله وتركهم) عطف على ذهب (قوله فى ظلمات) أى ثلاث ظلمة الليل والسحاب والريح مع المطر (قوله ماحولهم) هذا هو مفعول يبصرون وقوله متحيرين حال من الضمير فى تركهم (قوله فكذلك) أشار بذلك إلى حال المشبه وهم المنافقون وقوله أمنوا بالقصر ضد الخوف أى حيث أسلموا بألسنتهم ولم تؤمن قلوبهم فقد أمنوا من القتل والسبي وانتفعوا بأخـ

الغنائم والزكاة فاذا ماتوا فقد ذهب الله بنورهم فلم يأمنوا من النار ولم ينتفعوا بالجنة وتركهم فى ظلمات ثلاث : ظلمة الكفر والنفاق والقبر والجامع بينهما أن الانتفاع ودفع المضار فى كل شىء قليل ثم يذهب (قوله صم) خبر لمحذوف قدّره المفسر بقوله هم (قوله فهم لايرجعون) أى لفقد هذه الادراكات الثلاثة من قلوبهم (قوله أو مثلهم) يصح أن تكون أو للتنويع أو للابهام أو للشك أو للاباحة أو للتخيير أو للاضراب أو بمعنى الواو وأحسنها الأول (قوله أى كأصحاب مطر) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف ، والمثل هنا بمعنى الصفة كما تقدم (قوله وأصله صيوب) أى اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون قلبت الواو ياء وأدغمت فى الياء (قوله السحاب) أشار بذلك إلى أن المراد بالسماء السماء اللغوية وهى كل ما ارتفع وأصل سماء سماو وقعت الواو متطرفة فقلبت همزة (قوله أى السحاب) المناسب عود الضمير على الصيب (قوله ظلمات) أى ظلمة الريح والسحاب والليل (قوله (قوله هو الملك) أى وعليه قوله تعالى ـ ويسبح الرعد بحمده ـ (قوله وقيل صوته) أى فقوله تعالى : يسبح الرعد أى ذو الرعد (قوله لمعان صوته) أى الآلة التى يسوق بها وهى من نار (قوله أى أصحاب الصيب) أى فهو بيان للواو فى يجعلون (قوله أى أناملها) أشار بذلك إلى أن فى الأصابع مجازا من باب تسمية الجزء باسم الكل مبالغة فى شدة الحرص فى إدخال رأس الأصبع فكأنه مدخل لها كلها (قوله شدة صوت الرعد) الاضافة بيانية إن كان المراد بالرعد صوت الملك وحقيقية

(١٣)

هم (صُمٌّ) عن الحق فلا يسمعونه سماع قبول (بُكْمٌ) خرس عن الخير فلا يقولونه (عُمْيٌ) عن طريق الهدى فلا يرونه (فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ) عن الضلالة (أَوْ) مثلهم (كَصَيِّبٍ) أى كأصحاب مطر وأصله صيوب من صاب يصوب أى ينزل (مِنَ السَّمَاءِ) السحاب (فِيهِ) أى السحاب (ظُلُمَاتٌ) متكاثفة (وَرَعْدٌ) هو الملك الموكل به وقيل صوته (وَبَرْقٌ) لمعان سوطه الذى يزجره به (يَجْعَلُونَ) أى أصحاب الصيب (أَصَابِعَهُمْ) أى أناملها (فِي آذَانِهِمْ مِنَ) أجل (الصَّوَاعِقِ) شدة صوت الرعد لئلا يسمعوها (حَذَرَ) خوف (الْمَوْتِ) من سماعها كذلك هؤلاء اذا نزل القرآن وفيه ذكر الكفر المشبه بالظلمات والوعيد عليه المشبه بالرعد والحجج البينة المشبهة بالبرق يسدون آذانهم لئلا يسمعوه فيميلوا إلى الايمان وترك دينهم وهو عندهم موت (وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ) علما وقدرة فلا يفوتونه (يَكَادُ) يقرب (الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ) يأخذها بسرعة (كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ) أى فى ضوئه (وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا) وقفوا ، تمثيل لإزعاج ما فى القرآن من الحجج قلوبهم وتصديقهم لما سمعوا فيه مما يحبون ووقوفهم عما يكرهون ،

إن كان المراد به ذاته (قوله كذلك هؤلاء) أى المنافقون (قوله علما وقدرة) تمييزان محوّلان عن الفاعل والاحاطة الاحتواء على الشىء كاحتواء الظرف على المظروف وهى محالة فى حقه تعالى فأشار المفسر إلى دفع ذلك بقوله علما وقدرة أى فالمراد الاحاطة المعنوية وهى كونهم مقهورين فلا يتأتى منهم فوات ولا فلات قال تعالى ـ وما كان الله ليعجزه من شىء فى السموات ولا فى الأرض إنه كان عليما قديرا ـ (ولو

(قوله يكاد البرق) هذا من تمام المثل . وأما قوله ـ والله محيط بالكافرين ـ فجملة معترضة بين أجزاء المشبه به جىء بها تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم وأصل يكاد يكود بفتح الواو نقلت فتحة الواو إلى الساكن قبلها فتحركت الواو وانفتح ماقبلها قلبت ألفا وأصل ماضيها كود بكسر الواو تحركت الواو وانفتح ماقبلها فقلبت ألفا وهذا التصريف فى الناقصة ، وأما التامة ففعلها يأتى وهى بمعنى المكر قال تعالى ـ إنهم يكيدون كيدا ـ وأصل مضارعها يكيد بسكون الكاف وكسر الياء نقلت كسرة الياء إلى الكاف فصحت الياء (قوله يخطف) بفتح الطاء مضارع خطف بفتح الطاء وكسرها (قوله كلما أضاء لهم) كل بحسب ماتضاف إليه وما نكرة بمعنى وقت فكل ظرفية والعامل فيها مشوا وفاعل أضاء يعود على البرق وأضاء يحتمل أن يكون متعديا والمفعول محذوف التقدير كل وقت أضاء لهم البرق طريقا مشوا فيه فالضمير فى فيه عائد على الطريق ويحتمل أن يكون لازما والضمير عائد على الضوء (قوله تمثيل) أى من باب تمثيل الجزئيات بالجزئيات فقوله من الحجج أى المشبهة بالرعد والبرق الخاطف وقوله وتصديقهم لما سمعوا فيه مما يحبون أى من الآيات الموافقة لطبعهم كالقسم لهم من الغنائم وعدم التعرض لهم وأموالهم وأشار لذلك بقوله ـ كلما أضاء لهم مشوا فيه ـ فكذلك هؤلاء وقوله ووقوفهم عما يكرهون أى من التكاليف كالصلاة

والصوم والحج والحكم عليهم قال تعالى ـ وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين ـ وأشار إلى ذلك بقوله ـ وإذا أظلم عليهم قاموا ـ (قوله ولوشاء الله لذهب بسمعهم) يحتمل أن هذا من تعلقات المشبه به الذى هوأصحاب الصيب التقدير لولا مشيئة الله سبقت لخطف البرق أبصارهم ولأذهب الرعد أسماعهم فان ماذكر سبب عادى لإذهاب السمع والبصر ولكن قد يوجد السبب ولايوجد المسبب لتخلف المشيئة والمقصود من ذلك زيادة القوّة فى المشبه به ويلزم منه القوّة فى المشبه وهذا ماعليه أبوحيان والبيضاوى ويحتمل أنه من تعلقات المشبه وهم المنافقون وعليه المفسر حيث أشار لذلك بقوله كما ذهب بالباطنة (قوله بمعنى أسماعهم) أشار بذلك إلى أن السمع بمعنى الأسماع (قوله إنّ الله على كل شىء) هذا دليل لماقبله (قوله شاءه) دفع بذلك مايقال إن الشىء هو الموجود ومن ذلك ذات الله وصفاته وكل للاستغراق فيقتضى أن القدرة تتعلق بالواجبات فدفع ذلك بقوله شاءه أى أراده والارادة لاتتعلق إلا بالممكن فكذا القدرة فخرجت ذات الله وصفاته فلاتتعلق بهما القدرة وإلا لزم إما تحصيل الحاصل أوقلب الحقائق (قوله قدير) من القدرة وهى صفة أزلية قائمة بذاته تعالى تتعلق بالممكنات إيجادا أو إعداما على وفق الارادة والعلم (قوله ومنه إذهاب ماذكر) أى من جملة الشىء الذى شاءه وقوله ماذكر أى السمع والبصر (قوله يأيها الناس) لم يناد فى القرآن إلا بيا سواء كان النداء من الله لعباده أومنهم لله وهى لنداء البعيد، ولما كان الله لايشبه شيئا من الحوادث وهو منزه عنهم ذاتا وصفات وأفعالا نودى بيا تنزيلا للبعد المعنوى منزلة البعد الحسى ولما كان البعد قائما بالحوادث للحجب الموجودة بينهم وبين الله سبحانه وتعالى ناداهم بيا أيضا ويا حرف نداء وأيّ منادى مبنى على الضم والناس نعت لأى باعتبار اللفظ وهو مرفوع بضمة ظاهرة واستشكل ذلك بأن العامل إنما طلب النصب لاالبناء على الضم وإنما هو اصطلاح للنحاة فما وجه رفع الناس مع أن القاعدة أن النعت تابع للمنعوت فى الاعراب وهذا إشكال قديم لاجواب له. واعلم أن النداء على سبعة أقسام نداء تنبيه مع مدح كيأيها النبيّ أومع ذم كيأيها الذين هادوا أوتنبيه محض كيأيها الانسان أو إضافة كياعبادى أونسبة كيانساء النبى أوتسمية كياداود أوتخصيص كيا أهل الكتاب (قوله أى أهل مكة) يصح رفع أهل نظرا للفظ الناس ونصبه نظرا لمحل أيّ لأن لمابعد أيّ فى الاعراب حكم مافسرته (قوله وحدوا) هذا تفسير للعبادة والمفسر قد تبع فى تفسير الناس بأهل مكة والعبادة بالتوحيد ابن عباس وقال جمهور المفسرين إن المراد بالناس جميع المكلفين وبالعبادة جميع أنواعها أصولا وفروعا وهو أشمل واستدل المفسر بقاعدة أن ماقيل فى القرآن بيأيها الناس كان خطابا لأهل مكة ويأيها الذين آمنوا كان خطابا لأهل المدينة وهى قاعدة أغلبية فان السورة مدنية (قوله الذى خلقكم) صفة لرب وتعليق الحكم بمشتق يؤذن بالعلية أى اعبدوه لخلقه إياكم فانه هوالذى يعبد لاغيره (قوله عقابه) إشارة إلى مفعول تتقون (قوله ولعل فى الأصل للترجى) أى أصل اللغة والترجى هوتوقع الأمر المحبوب على سبيل الظن (قوله وفى كلامه تعالى للتحقيق) أى ومثلها عسى كما قال سيبويه ودفع بذلك مايتوهم من معنى لعل كون المولى سبحانه وتعالى جاهلا بالأمور المستقبلة وأتى به على صورة الترجى بالنسبة لحال المخاطبين لا لخبر الله فانه من قبيل الوعد وهو لايتخلف. (قوله خلق) أى فتنصب مفعولا واحدا وهو الأرض وقوله فراشا حال كما قال المفسر ويحتمل أنها على بابها بمعنى صير فيكون فراشا مفعولا ثانيا والمراد على الثانى التصيير من عدم (قوله فلايمكن الاستقرار عليها) مفرع على المنفى بشقيه (قوله سقفا) أى وقد صرّح به فى آية ـ وجعلنا السماء سقفا محفوظا ـ (قوله من السماء) أى اللغوية وهى ماعلا وارتفع والمراد السحاب (قوله ماء) هو من الجنة فينزل بمقدار على السحب وهو كالغربال ثم يساق حيث شاء الله على مختار أهل السنة، وقالت المعتزلة: إن السحاب له خراطيم كالابل فينزل يشرب من البحر المالح بمقدار ويرتفع فى الجوّ فتنسفه الرياح فيحلو ثم يساق حيث شاء الله.

(وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ) بمعنى أسماعهم (وَأَبْصَارِهِمْ) الظاهرة كما ذهب بالباطنة (إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ) شاءه (قَدِيرٌ) ومنه إذهاب ما ذكر (يَٰأَيُّهَا النَّاسُ) أى أهل مكة (اعْبُدُوا) وحدوا (رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ) أنشأكم ولم تكونوا شيئا (وَ) خلق (الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) بعبادته عقابه، ولعل فى الأصل للترجى وفى كلامه تعالى للتحقيق (الَّذِى جَعَلَ) خلق (لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا) حال بساطا يفترش لاغاية فى الصلابة أو الليونة فلا يمكن الاستقرار عليها (وَالسَّمَاءَ بِنَاءً) سقفا (وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ) أنواع

(قوله الثمرات) أى المأكولات لجميع الحيوانات بدليل قول المفسر وتعلفون به دوابكم والمراد بها مادبّ على وجه الأرض غير الآدمى (قوله فلا تجعلوا لله أندادا) لاناهية والفعل مجزوم بحذف النون والواوفاعل وأندادا مفعول أول مؤخر ولله جار ومجرور متعلق بمحذوف مفعول ثان مقدم واجب التقديم لأن المفعول الأول فى الأصل نكرة ولم يوجد له مسوّغ إلا تقديم الجار والمجرور ومعنى تجعلوا تصيروا أو تسموا وعلى كل فهى متعدية لمفعولين والفاء سببية والأنداد جمع ندّ معناه المقاوم المضاهى سواء كان مثلا أو ضدا أو خلافا (قوله وأنتم تعلمون) جملة من مبتدإ وخبر فى محلّ نصب على الحال وقوله أنه الخالق بفتح الهمزة فى تأويل مصدر سدت مسد مفعولى تعلمون أى تعلمونه خالقا (قوله ولا يكون إلها إلا من يخلق) هذا هو تمام الدليل قال تعالى ـ أفمن يخلق كمن لايخلق أفلا تذكرون ـ (قوله وإن كنتم فى ريب) استشكلت هذه الآية بوجوه ثلاثة : الأول أن إن تقلب المضى إلى الاستقبال ولوكان الفعل كان خلافا للمبرد القائل بأنها لاتقلبه إذا كان الفعل كان واحتج بهذه الآية فيقتضى أن الريب مستقبل وليس حاصلا الآن مع أنه حاصل . أجيب عنه بأن الاستقبال بالنسبة للدوام والمعنى إن دمتم على الريب . الوجه الثانى أنّ إن للشكّ فيفيد أن ريبهم مشكوك فيه مع أنه محقق. أجيب بأنه أتى بان إشارة للائق أى اللائق والمناسب أن لا يكون عندكم ريب. الوجه الثالث[1] أن قوله وإن كنتم فى ريب أى شك فى أنه من عند الله أو من عند محمد فليس عندهم جزم بأنه من عند محمد وقوله إن كنتم صادقين يفيد أن عندهم جزما بأنه من عند محمد فبين أول الآية وآخرها تناف. أجيب بأنه أشار فى أول الآية إلى عقيدتهم الباطنية وفى آخرها إلى عنادهم لإظهار الاغاظة له صلى الله عليه وسلم فلا يخلو حالهم الباطنى إما أن يكون عندهم شك فى أنه من عند الله أو تحقيق بأنه من عند الله و إنما إظهارهم الجزم بأنه ليس من عند الله عناد (قوله شك)

(الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ) تأكلونه وتعلفون به دوابكم (فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا) شركاء فى العبادة (وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) أنه الخالق ولا يخلقون ولا يكون إلها إلا من يخلق (وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ) شك (مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا) محمد من القرآن أنه من عند الله (فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ) أى المنزل ومن للبيان أى هى مثله فى البلاغة وحسن النظم والاخبار عن الغيب . والسورة قطعة لها أول وآخر أقلها ثلاث آيات (وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ) آلهتكم التى تعبدونها (مِنْ دُونِ اللَّهِ) أى غيره لتعينكم (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) فى أن محمداً قاله من عند نفسه فافعلوا ذلك ، فانكم

جعل الشك ظرفا لهم إشارة إلى أنه تمكن منهم تمكن الظرف من المظروف (قوله مما نزلنا) من حرف جرّ وما اسم موصول أو نكرة موصوفة والعائد محذوف والجملة صلة أو صفة والجار والمجرور صفة لريب والتقدير فى ريب كائن من الذى نزلناه أو فى ريب كائن من كلام نزلناه

(قوله على عبدنا) الاضافة للتشريف وقرئ على عبادنا فعلى هذه القراءة المراد بالجمع محمد وأمته لأن المكذب لمحمد مكذب لأمته (قوله من القرآن) بيان لما (قوله أنه من عند الله) الكلام على حذف الجارّ أى بأنه (قوله فأتوا) أصله ائتيوا بهمزتين الأولى للوصل والثانية فاء الكلمة وقعت الثانية ساكنة بعد كسرة قلبت ياء واستثقلت الضمة على الياء التى هى لام الكلمة فحذفت الياء لالتقاء الساكنين وضمت التاء للتجانس وفى الدرج تحذف همزة الوصل وتعود الهمزة التى قلبت ياء كما هنا فأتوا على وزن فافعوا (قوله أى المنزل) أى وهو القرآن ويشهد لهذا التفسير مافى سورة يونس ـ قل فأتوا بسورة مثله ـ ويحتمل أن الضمير عائد على عبدنا الذى هو محمد : أى فأتوا بسورة من رجل مثل محمد فى كونه أميا بشرا عربيا فانكم مثله وحيث كان كذلك فلا بعد فى مناظرته (قوله ومن للبيان) ويحتمل أن تكون للتبعيض والأولى أقرب (قوله فى البلاغة) هذا بيان لوجه المماثلة (قوله أقلها ثلاث آيات) ليس من تمام التعريف بل هو بيان للواقع فان أقصر سورة ثلاث آيات ولوفرض أنها آيتان لعجزوا أيضا (قوله أى آلهتكم) إنما سموا شهداء لزعمهم أنهم يشهدون لهم يوم القيامة (قوله أى غيره) أشار بذلك إلى أن دون بمعنى غير ، والمعنى ادعوا شهداءكم الذين اتخذتموهم من دون الله أولياء أو آلهة وزعمتم أنها تشهد لكم يوم القيامة فقوله من دون الله وصف لشهداء أو حال منه وهو على زيادة من إذ تقديره شهداءكم التى هى غير الله أو حال كونها مغايرة لله وقوله لتعينكم علة لقوله ادعوا (قوله فافعلوا) إشارة إلى جواب الشرط الثانى وأما جواب الأول فهو مذكور بقوله فأتوا هكذا قال المفسر ولكن سيأتى له فى قوله تعالى ـ قل إن كانت لكم الدار الآخرة ـ الآية وللمحلى فى تفسير قوله تعالى ـ قل

(١) (قوله الثالث الخ) كلام خال عن الخبر والظاهر أن يقال الثالث أن قوله وان كنتم الخ يفيد أنه ليس عندهم جزم الخ

يا أيها الذين هادوا ـ الآية أنه إذا اجتمع شرطان وتوسط بينهما جواب كان للأخير والأول قيد فيه ولا يحتاج لجواب ثان والتقدير في الآية إن كنتم صادقين في دعواكم أنه من عند محمد ودمتم على الريب فأتوا بسورة من مثله وهو أولى لعدم التقدير (قوله فانكم عربيون) علة لقوله فافعلوا (قوله فان لم تفعلوا) إن حرف شرط ولم حرف نفي وجزم وقلب وتفعلوا مجزوم بلم وعلامة جزمه حذف النون والجملة من الجازم والمجزوم في محل جزم فعل الشرط وقوله فاتقوا جواب الشرط وقرن بالفاء لأنه فعل طلبي (قوله أبدا) أخذ التأبيد من قرينة خارجية لا من لن خلافا للزمخشري (اعتراض) أي جملة معترضة بين فعلي الشرط وجوابه قصد بها تأكيد العجز وليس معطوفا على جملة لم تفعلوا (قوله وأنه) بفتح الهمزة على حذف الجار أي وبأنه (قوله التي وقودها) بفتح الواو ما توقد به وأما بالضم فهو الفعل، وقيل بالعكس على حد ما قيل في الوضوء والطهور والسحور (قوله كأصنامهم منها) إنما خص الأصنام بكونها من الحجارة مسايرة للآية وإلا فالأصنام مطلقا تدخل النار قال تعالى ـ إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ـ ويستثنى من ذلك عيسى والعزير وكل معبود من الصالحين وإنما دخلت الأصنام النار وإن كانت غير مكلفة إهانة لعبادها وليعذبوا بها لا لتعذيبها (قوله بما ذكر) أي بالناس الكفار والحجارة (قوله لا كنار الدنيا) أي كما ورد إن نار الدنيا قطعة من جهنم غمست في البحر سبع مرات ثم بعد أخذها أوقد على جهنم ثلاثة آلاف سنة ألف حتى ابيضت وألف حتى احمرت وألف حتى اسودت فهي الآن سوداء مظلمة (قوله جملة مستأنفة الخ) أشار بذلك إلى أن هذه الجملة لا ارتباط لها بما قبلها وقعت في جواب سؤال مقدر تقديره هذه النار التي وقودها الناس والحجارة لمن؟ (قوله أو حال لازمة) أي والتقدير فاتقوا النار حال كونها معدة ومهيأة للكافرين ودفع بقوله لازمة ما قيل

فانكم عربيون فصحاء مثله، ولما عجزوا عن ذلك قال تعالى (فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا) ماذكر لعجزكم (وَلَنْ تَفْعَلُوا) ذلك أبداً لظهور إعجازه اعتراض (فَاتَّقُوا) بالإيمان بالله وأنه ليس من كلام البشر (النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ) الكفار (وَالْحِجَارَةُ) كأصنامهم منها يعني أنها مفرطة الحرارة تتقد بما ذكر لا كنار الدنيا تتقد بالحطب ونحوه (أُعِدَّتْ) هيئت (لِلْكَافِرِينَ) يعذبون بها جملة مستأنفة أو حال لازمة (وَبَشِّرِ) أخبر (الَّذِينَ آمَنُوا) صدقوا بالله (وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) من الفروض والنوافل (أَنَّ) أي بأن (لَهُمْ جَنَّاتٍ) حدائق ذات أشجار ومساكن (تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا) أي تحت أشجارها وقصورها (الْأَنْهَارُ)

إنها معدة للكافرين اتقوا أم لم يتقوا (قوله وبشر) جرت عادة الله في كتابه أنه إذا ذكر مايتعلق بالكافرين وأحوالهم وعاقبة أمرهم يذكر بأصقه مايتعلق بالمؤمنين وأحوالهم وعاقبة أمرهم فان القرآن نزل لهذين الفريقين . والبشارة هي الخبر السار سمي الخبر بذلك لطلاقة البشرة والفرح والسرور عنده والأمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو للوجوب لأن البشارة من جملة ما أمر بتبليغه ويحتمل أن الأمر عام له ولكل من تحمل شرعه كالعلماء (قوله أخبر) مشى المفسر على أن معنى البشارة الخبر مطلقا لكن غلب في الخير وضده على النذارة وأما قوله تعالى ـ فبشرهم بعذاب أليم ـ فمن باب التشبيه بجامع أن كلا صادر من المولى وهو لا يتخلف (قوله صدقوا بالله) إنما اقتصر على ذلك لأنه يلزم من التصديق بالله التصديق بما أخبر به على لسان رسله (قوله الصالحات) وصف جرى مجرى الأسماء فلذلك صح إسناد العوامل له فلا يقال إنه صفة لموصوف محذوف أي الأعمال الصالحات (قوله من الفروض) أي كالصلوات الخمس وصيام رمضان والحج في العمر مرة وزكاة الأموال والجهاد إذا فجأ العدو وقوله والنوافل أي كصلاة التطوع وصومه ومواساة الفقراء وغير ذلك من أنواع البر والمراد عملوا الصالحات على حسب الطاقة قال تعالى ـ فاتقوا الله ما استطعتم ـ (قوله أي بأن) أشار بذلك إلى حذف الجار وهو مطرد مع أن، قال ابن مالك:

نقلا وفي أن وأن يطرد ... مع أمن لبس كعجبت أن يدوا

(قوله لهم جنات) جمع جنة واختلف في عددها فقيل أربع وهو ما يؤخذ من سورة الرحمن وقيل سبع وعليه ابن عباس: جنة عدن وجنة المأوى والفردوس ودار السلام ودار الجلال وجنة النعيم وجنة الخلد (قوله حدائق) جمع حديقة وهي الروضة الحسنة (قوله ذات أشجار ومساكن) أي موجودات فيها الآن ومع ذلك تقبل الزيادة، فالجنة تامة فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، ومع ذلك أرضها واسعة طيبة تقبل الزيادة (قوله أي تحت أشجارها) أي على وجه الأرض بقدرة الله فلا تبلي فرشا، ولا تهدم بناء، ولا تقطع شجرا (قوله الأنهار) يحتمل أن تكون أل للعهد، والمراد بها ما ذكر في سورة

القتال بقوله تعالى - فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى - (قوله أى المياه فيها) أى الأنهار وأشار بذلك إلى أن فى الجنة حفرا كأنهار الدنيا ، وقيل لم يوجد فى الجنة حفر تجرى فيها المياه بل تجرى على وجه الأرض (قوله والنهر الموضع) أى بحسب الأصل اللغوى (قوله و إسناد الجرى إليه مجاز) أى عقلى أو الاسناد حقيقى و إنما التجوز فى الكلمة من إطلاق المحل و إرادة الحال فيه (قوله كلما رزقوا) ظرف لقوله قالوا (قوله من ثمرة) أى نوعها (قوله أى مثل ما) الأولى حذف ما وتقديم مثل على الذى وأتى بمثل دفعا لما يتوهم من قولهم هذا الذى رزقنا من قبل أنه عينه وذلك مستحيل لأنه قد أكل والمعنى أن الله قادر على صنع طعام متحد اللون مختلف الطعم واللذة فاذا رأوه قالوا هذا الذى رزقنا من قبل بحسب مارأوا من اتحاد اللون فاذا أكلوه علموا بعدم الاتحاد (قوله أى قبله فى الجنة) أشار بذلك إلى ردّ ماقيل إن المراد بقوله من قبل فى الدنيا وقوله وأتوا به متشابها أى يشبه ثمر الدنيا فى الصورة (قوله جيئوا بالرزق) أي يأتى به الولدان والملائكة والمراد بالرزق المرزوق أى المأكول (قوله وغيرها) أى نساء الدنيا فقد ورد إن نساء الدنيا يكنّ أجمل من الحور العين ، وقد ورد أن كل رجل يزوج بأربعة آلاف بكر وثمانية آلاف أيم ومائة حوراء (قوله وكل قذر) أى كالنفاس والبصاق والمخاط وليس فى الجنة إنزال ولاحمل ولاولادة ، وليس الأكل والشرب عن جوع وظمأ (قوله لايفنون) أى ولا يمرضون ولاتبلى ثيابهم ولايفنى شبابهم (قوله ولا يخرجون) أى لقوله تعالى - وماهم منها بمخرجين - (قوله ونزل ردّا) فاعل نزل جملة إنّ الله لايستحيي قصد لفظها وردّا بمعنى جوابا مفعول لأجله أوحال من فاعل نزل وقوله لما ضرب الله المثل ظرف للقول ومقول القول قوله ماأراد الله الخ وقوله بالذباب الباء للتصوير وهو متعلق بضرب وجواب استفهامهم قوله تعالى - يضل به كثيرا و يهدى به كثيرا - (قوله فى قوله) أى تعالى وحذفها للاختصار وكذا بقية المثلين (قوله بذكر هذه الأشياء الحسيسة) أى مع أنه عظيم وقالوا أيضا : إن الواحد منا يستحي أن يضرب المثل بالشىء الحسيس فالله أولى وجعلوا ذلك ذريعة لإنكار كونه من عند الله (قوله إنّ الله لايستحيي) مضارع استحيا ومصدره استحياء وقرئ بحذف إحدى الياءين فاختلف هل المحذوف اللام أوالعين فعلى الأول وزنه يستفع وعلى الثانى وزنه يستفل وعلى كل نقلت حركة مابعد الساكن إليه فحذفت إما اللام أوالعين . والحياء فى حق الحوادث تغير و إنكسار يعترى الانسان من فعل مايعاب ولازمه الترك فأطلق فى حق الله وأريد لازمه وهو الترك و إنما أتى به مشاكلة لقولهم الله عظيم يستحي أن يضرب المثل بالشىء الحقير (قوله أن يضرب) فيه حذف الجار أى من أن يضرب وقوله يجعل أى فينصب مفعولين (قوله أو زائدة) أى وهو الأقرب، والمعنى على الأول إن الله لايستحيي أن يجعل مثلا شيئا موصوفا بكونه بعوضة فما فوقها وعلى الثانى إن الله لايستحيي أن يجعل مثلا بعوضة فما فوقها (قوله لتأكيد الحسة)أى فليست زيادة محضة وهكذا كل زائد فى القرآن (قوله وهو صغار البق) يطلق البق على الناموس وعلى الأحمر المنتن الرائحة والأقرب الأول لأنه عجيب فى الخلقة فله ستة أرجل وأربعة أجنحة وخرطوم طويل وذنب ومع ضعفه وصغره يقتل الجمل العظيم بمنقاره وهو القاتل للنمرود (قوله أى أكبر منها)أى فى الجسم كالجمل مثلا و يحتمل أن المراد بقوله فما فوقها أى فى الخسة كالذرة (قوله أى لايترك بيانه)هذا هو معنى الاستحياء فى حق الله وتقدم أنه مجاز من إطلاق الملزوم وإرادة اللازم (قوله لما فيه من الحكم) علة لعدم الترك (قوله فأما الذين آمنوا) شروع فى بيان الحكمة المترتبة على ضرب المثل

أى المياه فيها . والنهر الموضع الذى يجرى فيه الماء لأن الماء ينهره أى يحفره و إسناد الجرى إليه مجاز (كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا) أطعموا من تلك الجنات (مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هٰذَا الَّذِى) أى مثل ما (رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ) أى قبله فى الجنة لتشابه ثمارها بقرينة (وَأُتُوا بِهِ) أى جيئوا بالرزق (مُتَشَابِهًا) يشبه بعضه بعضا لونا و يختلف طعما (وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ) من الحور وغيرها (مُطَهَّرَةٌ) من الحيض وكل قذر (وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) ماكثون أبدا لايفنون ولا يخرجون * ونزل ردا لقول اليهود لما ضرب الله المثل بالذباب فى قوله و إن يسلبهم الذباب شيئا والعنكبوت فى قوله كمثل العنكبوت ما أراد الله بذكر هذه الأشياء الخسيسة (إِنَّ اللّٰهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ) يجعل (مَثَلًا) مفعول أول (مَا) نكرة موصوفة بما بعدها مفعول ثان أى أى مثل كان أو زائدة لتأكيد الخسة فما بعدها المفعول الثانى (بَعُوضَةً) مفرد البعوض وهو صغار البق (فَمَا فَوْقَهَا) أى أكبر منها أى لايترك بيانه لما فيه من الحكم (فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا

فيعلمون

(قوله الواقع موقعه) صادق بالأفعال الصائبة والذات الثابتة والأقوال الصادقة (قوله تمييز) أى محوّل عن المفعول على حد ـ وفجرنا الأرض عيونا ـ (قوله استفهام إنكار) أى بمعنى النفى (قوله بمعنى الذى) أى والعائد محذوف أى أراده (قوله أى أىّ فائدة) هذا زبدة معنى التركيب وقصدهم بهذا الاستفهام نفى الفائدة فيتوصلون بذلك إلى انكار كونه ـ من عند الله ـ (قوله به) الباء سببية وقوله لكفرهم به علة لضلالهم (قوله لتصديقهم به) علة لهدايتهم (قوله إلا الفاسقين) يطلق لفظ الفاسقين على من فعل الكبائر فى بعض الأحيان وعلى من فعلها فى كل الأحيان غير مستحل لها وعلى من استحلها وهو المراد هنا فقول المفسر الخارجين عن طاعته أى بالكلية وهم الكفار (قوله نعت) أى للفاسقين (قوله ماعهده إليهم) إنما فسر المصدر باسم المفعول لأن العهد الذى هو أمر الله بالايمان بالنبي قد حصل فلا ينقض وإنما الذى ينقض المأمور به والمراد العهد الواقع على ألسنة أنبيائهم فى كتبهم فان الله عاهد كل نبى مع أمته من آدم إلى عيسى أنه إذا ظهر محمد ليؤمنن به ولينصرنه قال تعالى ـ وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه ـ الآية ومن جملة العهد أوصافه المذكورة فى كتبهم فنقضوا ذلك بتبديلهم إياها وإنكارها وعدم الايمان بها وفى قوله تعالى ـ ينقضون عهد الله استعارة بالكناية حيث شبه العهد بالحبل وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشىء من لوازمه وهو ينقضون فاثباته تخييل والنقض فى الأصل فك طاقات الحبل والمراد منه هنا الابطال ففيه استعارة تصريحية تبعية حيث شبه الابطال بالنقض واستعير النقض

فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ) أى المثل (الْحَقُّ) الثابت الواقع موقعه (مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا) تمييز أى بهذا المثل وما استفهام إنكار مبتدأ وذا بمعنى الذى بصلته خبره أى أىّ فائدة فيه قال تعالى فى جوابهم (يُضِلُّ بِهِ) أى بهذا المثل (كَثِيرًا) عن الحق لكفرهم به (وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا) من المؤمنين لتصديقهم به (وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ) الخارجين عن طاعته (الَّذِينَ) نعت (يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ) ما عهده إليهم فى الكتب من الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم (مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ) توكيده عليهم (وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ) من الإيمان بالنبى والرحم وغير ذلك وأن بدل من ضمير به (وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ) بالمعاصى والتعويق عن الإيمان (أُولَٰئِكَ) الموصوفون بما ذكر (هُمُ الْخَاسِرُونَ) لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم (كَيْفَ تَكْفُرُونَ) يا أهل مكة (بِاللَّهِ وَ) قد (كُنْتُمْ أَمْوَاتًا) نطفاً فى الأصلاب (فَأَحْيَاكُمْ) فى الأرحام، والدنيا بنفخ الروح فيكم ؟ والاستفهام للتعجب من كفرهم مع قيام البرهان أو للتوبيخ

للابطال واشتق من النقض ينقضون بمعنى يبطلون والعهود ثلاثة عهد عام وهو عهد الله فى الأزل لجميع الخلق على التوحيد واتباع الرسل وعهد خاص بالأنبياء وهو تبليغ الشرائع والأحكام وعهد خاص بالعلماء وهو تبليغ ماتلقوه عن الأنبياء والكفار قد نقضوها (قوله من الايمان) بيان لما وقوله بالنبى أى من توقيره ونصره والايمان به ومتابعته وقوله والرحم أى ومن وصل ذى الرحم أى القرابة من الاحسان إليهم ومواساتهم والبر بهم (قوله وأن بدل من ضمير به) أى فأن والفعل بعدها فى تأويل مصدر فى محل جر على البدلية للضمير فى به التقدير ما أمر الله بوصله ويصح أن يكون أن يوصل بدلا من ما فهو فى محل نصب والأول أقرب (قوله والتعويق عن الايمان) عطف خاص على عام فان التعويق من أكبر المعاصى (قوله أولئك) مبتدأ أول وهم مبتدأ ثان والخاسرون خبر الثانى والثانى وخبره خبر الأول ويحتمل أن هم ضمير فصل لا محل له من الاعراب والخاسرون خبر أولئك (قوله لمصيرهم) علة لكونهم خاسرين (قوله يا أهل مكة) الأحسن العموم سواء كان المخاطب جنا أو إنسا من أهل مكة أو غيرها (قوله وقد كنتم) قدر المفسر لفظ قد إشارة إلى أن الجملة حالية مع كونها ماضوية والجملة الماضوية إذا وقعت حالا وجب اقترانها بقد إما لفظا أو تقديرا (قوله فى الأصلاب) إنما قدره لأجل اقتصاره على النطف وإلا ففى حالة كونهم فى الرحم علقة ومضغة أموات أيضا (قوله فأحياكم) مرتب على محذوف تقديره وكنتم علقة فمضغة فأحياكم وإنما قلنا ذلك لأن الاحياء لايكون عقب كونهم نطفا بسرعة بل بعد مضى زمن كونهم علقة وكونهم مضغة ولو قال المفسر وقد كنتم أمواتا نطفا أو علقا أو مضغا فأحياكم لحسن الترتيب (قوله بنفخ الروح) الباء سببية (قوله والاستفهام للتعجب) التعجب استعظام أمر خفى سببه وهو بالنسبة للخلق لا للخالق فهو مستحيل والأحسن أن يكون الاستفهام للتعجب والتوبيخ معا وهو الردع والزجر

(قوله ثم يميتكم) الترتيب فى هذا ومابعده ظاهر فان بين نفخ الروح والموت زمناطويلا و بين الموت والاحياء بالبعث زمن طويل و بين الاحياء والمجازاة على الأعمال كذلك (قوله لما أنكروه) أى استغرابا واستبعادا قال تعالى ـ أئذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد ـ (قوله أى الأرض ومافيها) أى فمراده العالم السفلى بجميع أجزائه وأل فى الأرض للجنس فيشمل الأرضين السبع (قوله وتعتبروا) أى إذا تأملتم الأرض وتغير الأحوال فيها وماحوته علمتم أن ذلك صنع حكيم قادر فينشأ عن ذلك الاعتبار كمال التوحيد وقوله لتنتفعوا به أى ظاهرا و باطنا وهو جميع المخلوقات ماعدا المؤذيات وأما المؤذيات كالحيات والعقارب والسباع وغير ذلك فنفعها من حيث العبرة بها فما من شئ مخلوق إلا وفى خلقه حكمة تبهر العقول سبحانك ماخلقت هذا عبثا ولما سئل الامام الشافعى رضى الله عنه عن حكمة خلق الذباب أجاب بقوله مذلة للملوك (قوله ثم استوى) الاستواء فى الأصل الاعتدال والاستقامة وهذا المعنى مستحيل على الله تعالى فالمراد منه هنا فى حق الله القصد والارادة فقوله قصد أى تعلقت إرادته التعلق التنجيزى الحادث بخلق السموات وثم للترتيب مع الانفصال لأنه خلق الأرض فى يومين وخلق الجبال والأقوات وما فى الأرض فى يومين فتكون الجملة أربعة أيام فالترتيب الرتبى ظاهر ويشهد لذلك قوله تعالى ـ قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين ـ الآيات وعلى ذلك درج المفسر حيث قال أى الأرض ومافيها ويحتمل أن ثم للترتيب الذكرى بناء على أن الأرض خلقت مكورة فبعد ذلك خلقت السماء ثم بعد خلق السماء دحا الأرض وخلق جميع مافيها ويشهد لذلك قوله تعالى ـ ءأنتم أشد خلقا أم السماء بناها ـ ثم قال

ـ والأرض بعد ذلك دحاها ـ وعلى ذلك درج القرطبى وغيره وهو الحق

(ثُمَّ يُمِيتُكُمْ) عند انتهاء آجالكم (ثُمَّ يُحْيِيكُمْ) بالبعث (ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) تردون بعد البعث فيجازيكم بأعمالكم . وقال دليلا على البعث لما أنكروه (هُوَ الَّذِى خَلَقَ لَكُمْ مَافِي الْأَرْضِ) أى الأرض وما فيها (جَمِيعاً) لتنتفعوا به وتعتبروا (ثُمَّ اسْتَوَى) بعد خلق الأرض أى قصد (إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ) الضمير يرجع إلى السماء لأنها فى معنى الجمع الآيلة إليه أى صيرها كما فى آية أخرى فقضاهن (سَبْعَ سَمٰوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ) مجملا ومفصلا أفلا تعتبرون أن القادر على خلق ذلك ابتداء وهو أعظم منكم قادر على إعادتكم (وَ) اذكر يامحمد (إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) يخلفنى فى تنفيذ أحكامى فيها وهو آدم

(قالوا

(قوله إلى السماء) أى جهة العلو وأل للجنس (قوله فقضاهن) بدل من آية فسوّى وصير وقضى بمعنى واحد وكل واحد ينصب مفعولين (قوله سبع سموات) أى طباقا بالاجماع للآية و بين كل سماء خمسمائة عام وسمكها كذلك والأولى من موج مكفوف والثانية من مرمرة بيضاء والثالثة من حديد والرابعة من نحاس والخامسة من فضة والسادسة من ذهب والسابعة من زمردة خضراء (قوله مجملا ومفصلا) هذا هو مذهب أهل السنة خلافا لمن ينكر علم الله بالأشياء تفصيلا فانه كافر (قوله على خلق ذلك) أى الأرض وما فيها والسموات وما فيها وقوله وهو الضمير عائد على اسم الاشارة (قوله وهو أعظم منكم) أى لقوله تعالى ـ لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ـ (قوله قادر على إعادتكم) هذا هو روح الدليل (قوله وإذ قال ربك) إذ ظرف فى محل نصب معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر أى اذكر يامحمد قصة قول ربك الخ والأحسن أنه معمول لقوله بعد قالوا التقدير قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها وقت قول ربك للملائكة الخ لأن إذ إذا وقعت ظرفا لاتكون إلا للزمان (قوله للملائكة) جمع ملك مخفف ملأك وأصله مألك على وزن مفعل مشتق من الألوكة وهى الارسال دخله القلب المكانى فأخرت الهمزة عن اللام فنقلت حركة الهمزة للساكن قبلها وهو اللام فسقطت الهمزة (قوله إنى جاعل) يصح أن يكون بمعنى مصير فخليفة مفعول أول وفى الأرض مفعول ثان قدم لأنه المسوغ للابتداء بالنكرة فى الأصل ويصح أن يكون بمعنى خالق فخليفة مفعول وفى الأرض متعلق به (قوله خليفة) فعيلة بمعنى مفعول أى مخلف أو بمعنى فاعل أى خالف بمعنى أنه قائم بالخلافة وحكمة جعله خليفة الرحمة بالعباد لا لافتقار الله له وذلك أن العباد لاطاقة لهم على تلقى الأوامر والنواهى من الله بلا واسطة بل ولا بواسطة ملك فمن رحمته ولطفه وإحسانه إرسال الرسل من البشر (قوله وهو آدم) أى وهو أبو البشر والخليفة الأول باعتبار عالم الأجساد وأما باعتبار عالم الأرواح فهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قال العارف :

(قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا) بالمعاصى (وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ) يريقها بالقتل كما فعل بنو الجان ، وكانوا فيها فلما أفسدوا أرسل الله عليهم الملائكة فطردوهم إلى الجزائر والجبال (وَنَحْنُ نُسَبِّحُ) ملتبسين (بِحَمْدِكَ) أى نقول سبحان الله وبحمده (وَنُقَدِّسُ لَكَ) ننزهك عما لايليق بك فاللام زائدة والجملة حال أى فنحن أحق بالاستخلاف (قَالَ) تعالى (إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) من المصلحة فى استخلاف آدم وأن ذريته فيهم المطيع والعاصى فيظهر العدل بينهم فقالوا لن يخلق ربنا خلقاً أكرم عليه منا ولا أعلم لسبقنا له ورؤيتنا ما لم يره فخلق تعالى آدم من أديم الأرض أى وجهها بأن قبض منها قبضة من جميع ألوانها وعجنت بالمياه المختلفة وسواه ونفخ فيه الروح فصار حيواناً حساساً بعد أن كان جماداً (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ) أى أسماء المسميات (كُلَّهَا) حتى القصعة والقصيعة والفسوة والفسية والمغرفة

فانى وإنى كنت ابن آدم صورة   فلى فيه معنى شاهد بأبوتى

وهو مأخوذ من أديم الأرض لخلقه من جميع أجزائها وكانت ستين جزأ ولذلك كانت طباع بنيه ستين طبعا وكفارة الظهار والصوم ستين وعاش من العمر تسعمائة وستين ومامات حتى رأى من أولاده مائة ألف عمروا الأرض بأنواع الصنائع والملائكة المخاطبون يحتمل أنهم النوع المسمى بالجان ورئيسهم إبليس فان الله خلق خلقا وأسكنهم الأرض يسمون بنى الجان فأفسدوا فى الأرض فسلط الله عليهم هؤلاء الملائكة فطردوهم وسكنوا موضعهم ويحتمل أن الخطاب لعموم الملائكة (قوله من يفسد فيها) أى بمقتضى القوة الشهوية وقوله ويسفك الدماء أى بمقتضى القوة الغضبية فان فى الانسان ثلاثة أشياء قوة شهوية وقوة غضبية وقوة عقلية فبالأولين يحصل النقص وبالأخيرة يحصل الكمال والفضل وقد نظر الملائكة للأولين ولم ينظروا للثالثة (قوله كما فعل بنو الجان) قيل الجان إبليس وقيل مخلوق آخر وإبليس أبو الشياطين (قوله أرسل الله عليهم الملائكة) أى المسمين بالجان ورئيسهم ابليس وفى هذه الآية أمور: منها مشاورة العظيم للحقير ولابأس بها لتأليف الحقير قال تعالى - وشاورهم فى الأمر - ومنها إظهار عجز الملائكة عن علم الغيب ومنها إظهار فضل آدم للملائكة ومنها أنه لاينبغى ترك الخير الكثير من أجل شر قليل فان بنى آدم خيرهم غالب شرهم فان منهم الأنبياء والرسل والأولياء وإن لم يكن منهم إلا سيدنا محمد لكفى (قوله ملتبسين) أشار بذلك إلى أن الباء للملابسة والجملة من قبيل الحال المتداخلة (قوله ونقدس لك) التقديس فى اللغة يرجع لمعنى التسبيح وهو التنزيه عما لايليق وأما هنا فالتسبيح يرجع للعبادة الظاهرية والتقديس يرجع للاعتقادات الباطنية (قوله فاللام زائدة) أى لتأكيد التخصيص ويحتمل أنها للتعدية والتعليل أى ننزهك لك لاطمعا فى عاجل ولا آجل ولاخوفا من عاجل ولا آجل فتنزيهنا لذاتك فقط (قوله أى فنحن أحق بالاستخلاف) ليس المقصود من ذلك الاعتراض على الله ولا احتقار آدم وإنما ذلك لطلب جواب يريحهم من العناء حيث وقعت المشورة من الله لهم (قوله فيظهر العدل بينهم) أى فالطائع المؤمن له الجنة والعاصى الكافر له النار (قوله فقالوا) أى سرا فى أنفسهم (قوله لسبقنا له) أى للخلق وهو راجع لقوله أكرم وقوله ورؤيتنا راجع لقوله ولا أعلم فهو لف ونشر مرتب (قوله جميع ألوانها) تقدم أنها ستون وورد أن الله لما أراد خلق آدم أوحى إلى الأرض إنى خالق منك خلقا من أطاعنى أدخلته الجنة ومن عصانى أدخلته النار فقالت يارب أتخلق منى خلقا يدخل النار فقال نعم فبكت فنبعت العيون من بكائها فهى تجرى إلى يوم القيامة (قوله بالمياه المختلفة) أى على حسب الألوان (قوله وعلم آدم) الحق أن آدم ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة فليس منصرفا ولامشتقا على التحقيق (قوله أى أسماء المسميات) أشار بذلك إلى أن أل عوض عن المضاف إليه والمراد بالمسميات مدلولات الأسماء سواء كانت جواهر أو أعراضا أومعانى أومعنوية فالحاصل أن الله أطلع آدم على المسميات جميعها وعلمه أسماءها وأطلع الملائكة على المسميات ولم يعلمهم أسماءها فاشترك آدم مع الملائكة فى معرفة المسميات واختص آدم بمعرفة الأسماء بجميع اللغات وتلك اللغات تفرقت فى أولاده (قوله حتى القصعة) غاية فى الخسة اشارة إلى كونه تعلم جميع الأسماء شريفة أو خسيسة وحكمتها أيضا كما يأتى والقصعة هى الاناء الكبير من الخشب والقصيعة الاناء الصغير منه أيضا المسمى بالزويلى (قوله والفسوة) من باب عتا والمصدر فسوا والاسم الفساء بالمد واوى هو الريح الخارج من الدبر بلاصوت فان كان شديدا سمى فسوة وإن كان خفيفا سمى فسية وإن كان بصوت سمى ضراطا وهو من باب تعب وضرب والمصدر ضرطا بفتح الراء وسكونها فالمكبر للشديد والمصغر للخفيف

(قوله بأن ألقى فى قلبه علمها) أى الأسماء وحكمتها حين صور الله المسميات كالذر وذلك قبل دخوله الجنة وهو ظاهر فى الأشياء المحسوسة ، وأما المعقولة كالحياة والقدرة والفرح وغير ذلك فبالقاء الله الدال والمدلول فى قلبه (قوله وفيه تغليب العقلاء) أى فى الاتيان بميم الجمع التى للعقلاء الذكور وإلا فلو لم يغلب لقال عرضها أو عرضهن و بهما قرئ شاذا (قوله على الملائكة) يحتمل عموم الملائكة و يحتمل خصوص الملائكة المسمين بالجان الذين كانوا فى الأرض (قوله أنبئونى) الإنباء هو الإخبار بالشىء العظيم فهو أخص من الخبر (قوله أخبرونى) أى أجيبونى ليظهر علمكم وذلك تعجيز لهم لأنهم ليسوا بعالمين ذلك لا لاستفادته العلم منهم (قوله فى أنى لا أخلق أعلم منكم) متعلق بصادقين (قوله دل عليه ماقبله) أى قوله أنبئونى فهو دليل الجواب والجواب محذوف تقديره إن كنتم صادقين فأنبئونى (قوله سبحانك) مصدر ، وقيل اسم مصدر منصوب بعامل محذوف وجوبا : أى أسبح وهى كلمة تقال مقدمة للأمر العظيم كان توبة واستغفارا أم لا والمقصود منها توبتهم واستغفارهم كقول موسى عليه السلام ـ سبحانك تبت إليك ـ وقول يونس ـ سبحانك إنى كنت من الظالمين ـ والغالب عليه الإضافة ، وأما * سبحان من علقمة الفاخر * فمؤول أو شاذ أو من غير الغالب (قوله إياه) أشار بذلك إلى أن المفعول الثانى محذوف (قوله إنك) كالدليل لما قبله (قوله تأكيد للكاف) أى فهو ضمير فصل لا محل له من الاعراب أو فى محل نصب كالمؤكد والعليم الحكيم خبران لأن أو الحكيم صفة للعليم ويحتمل أن أنت مبتدأ والعليم خبره والجملة خبر إن (قوله العليم) قدم العلم على الحكمة لمناسبة علم آدم ولا علم لنا ولأن الحكمة تنشأ عن العلم والعلم فى حق الله صفة أزلية تتعلق بجميع أقسام الحكم العقلى الواجب والمستحيل والجائز تعلق إحاطة وانكشاف (قوله الحكيم) أى ذو الحكمة : أى الاتقان فهو صفة فعل أو العلم فيكون صفة ذات (قوله فسمى) أى آدم (قوله توبيخا) أى تقريعا لهم على مامضى منهم فالهمزة فى ألم أقل للاستفهام التوبيخى فالقصد منه توبيخهم على ما مضى منهم وليست للانكار ولا للتقرير (قوله ماغاب فيهما) أى عنا (قوله أتجعل فيها الخ) أى من يفسد فيها و يسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك . بقى شىء آخر وهو أن مقتضى الآية أن آدم علم الأسماء والمسميات ومقتضى قول البوصيرى فى الهمزية

لك ذات العلوم من عالم الغيـ ... ـب ومنها لآدم الأسماء

أن آدم علم الأسماء دون المسميات فيكون بينه و بين الآية مخالفة والحق أنه لامخالفة لأنه يلزم من علم الأسماء علم المسميات لعرض المسميات عليه أولا ، فمعنى قول البوصيرى لك ذات العلوم أى أصلها فعلم آدم مأخوذ من نبينا لأن رسول الله أعطى أصل العلوم بل وأصل كل كمال ، ويشهد لذلك قول ابن مشيش وتنزلت علوم آدم : أى صل على من منه تنزلت علوم آدم فعلوم آدم كائنة منه فأعجز بها الملائكة خاصة ، وأما علوم رسول الله فأعجز بها الخلائق جميعا ، هذا هو الحق ولا تغتر بما قيل إن آدم علم الأسماء فقط ومحمد علم الأسماء والمسميات (قوله واذكر إذ قلنا) أشار المفسر بذلك إلى أن إذ ظرف عاملها محذوف ، والتقدير واذكر وقت قولنا الخ إن قلت إن المقصود ذكر القصة لا ذكر الوقت . أجيب بأن التقدير اذكر القصة الواقعة فى ذلك الوقت ، ومحصل ذلك أنه بعد خلق آدم ونفخ الروح فيه وعرض المسميات على الملائكة وإنباء آدم لهم بالأسماء أمرهم الله بالسجود له لأنه صار شيخهم ، ومن حق الشيخ التعظيم والتوقير وكان ذلك كله خارج الجنة (قوله بالانحناء) أشار بذلك إلى أن المراد السجود اللغوى وهو الانحناء كسجود إخوة يوسف وأبويه له (قوله فسجدوا

بأن ألقى فى قلبه علمها (ثُمَّ عَرَضَهُمْ) أى المسميات وفيه تغليب العقلاء (عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ) لهم تبكيتا (أَنْبِئُونِي) أخبرونى (بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ) المسميات (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) فى أنى لا أخلق أعلم منكم أو أنكم أحق بالخلافة وجواب الشرط دل عليه ما قبله (قَالُوا سُبْحَانَكَ) تنزيها لك عن الاعتراض عليك (لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا) إياه (إِنَّكَ أَنْتَ) تأكيد للكاف (الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ) الذى لايخرج شىء عن علمه وحكمته (قَالَ) تعالى (يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ) أى الملائكة (بِأَسْمَائِهِمْ) أى المسميات فسمى كل شىء باسمه وذكر حكمته التى خلق لها (فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ) تعالى لهم توبيخا (أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) ماغاب فيهما (وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ) تظهرون من قولكم أتجعل فيها الخ (وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ) تسرون من قولكم لن يخلق الله أكرم عليه منا ولا أعلم (وَ) اذكر (إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ) سجود تحية بالانحناء

وهو تحية الأمم الماضية ، وأما تحيتنا فهى السلام وعليه فلا إشكال ، وقال بعض المفسرين : إن السجود شرعى بوضع الجبهة على الأرض وآدم قبلة كالكعبة فالسجود لله وإنما آدم قبلة والآية محتملة للمعنيين ولا نص يعين أحدهما وعلى الثانى فاللام بمعنى إلى : أى اسجدوا إلى جهة آدم فاجعلوه قبلتكم (قوله فسجدوا) أى الملائكة كلهم أجمعون بدليل الآية الأخرى فالخطاب بالسجود لجميع الملائكة على التحقيق لا الملائكة الذين طردوا بنى الجان (قوله إلا إبليس) قيل مشتق من أبلس إبلاسا بمعنى يئس وهذا هو اسمه فى اللوح المحفوظ [فائدة] قال كعب الأحبار : إن إبليس اللعين كان خازن الجنة أربعين ألف سنة ومع الملائكة ثمانين ألف سنة ووعظ الملائكة عشرين ألف سنة وسيد الكروبيين ثلاثين ألف سنة وسيد الروحانيين ألف سنة وطاف حول العرش أربعة عشر ألف سنة ، وكان اسمه فى سماء الدنيا العابد ، وفى الثانية الزاهد ، وفى الثالثة العارف ، وفى الرابعة الولى ، وفى الخامسة التقى ، وفى السادسة الخازن ، وفى السابعة عزازيل ، وفى اللوح المحفوظ إبليس وهو غافل عن عاقبة أمره (قوله هو أبو الجن) هذا أحد قولين والثانى هو أبو الشياطين فرقة من الجن لم يؤمن منهم أحد (قوله كان بين الملائكة) أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع وأنه ليس من الملائكة . قال فى الكشاف: لما اتصف بصفات الملائكة جمع معهم فى الآية واحتيج إلى استثنائه ويدل على ذلك قوله تعالى - إلا إبليس كان من الجن - وكررت قصة إبليس فى سبعة مواضع فى البقرة والأعراف والحجر والاسراء والكهف وطه وص تسلية له صلى الله عليه وسلم وعبرة لبنى آدم فلا يغتر العابد ولا يقنط العاصى ويحتمل أن الاستثناء متصل ، وقوله تعالى - كان من الجن - أى فى الفعل والأقرب الأول (قوله واستكبر) من عطف العلة على المعلول : أى أبى وامتنع لكبره والسين للتأكيد (قوله وقال أنا خير منه) هذا وجه تكبره وبين وجه الخيرية فى الآية الأخرى . قال تعالى - خلقتنى من نار وخلقته من طين - . قال بعض المفسرين: وذلك مردود بأمور منها أن آدم مركب من العناصر الأربع بخلاف إبليس فلا وجه للخيرية ومنها أن الله هو الخالق لكل ولا يعلم الفضل إلا هو فله أن يفضل من شاء على من يشاء ومنها غير ذلك

(٢١)

(فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ) هو أبو الجن كان بين الملائكة (أَبَى) امتنع من السجود (وَاسْتَكْبَرَ) تكبر وقال أنا خير منه (وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ) فى علم الله (وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ) تأكيد للضمير المستتر ليعطف عليه (وَزَوْجُكَ) حواء بالمد وكان خلقها من ضلعه الأيسر (الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا) أكلا

(قوله فى علم الله) دفع بذلك ما قيل إنه لم يكن كافرا بل كان عابدا وإنما كفر الآن ويجاب أيضا بأن كان بمعنى صار (قوله وقلنا يا آدم) هذه الجملة معطوفة على جملة وإذ قلنا للملائكة من عطف قصة على قصة وإنما عطفت عليها لوقوعها بعدها فإنه بعد أمر الملائكة بالسجود لآدم وامتناع إبليس منه أمر آدم بسكنى الجنة (قوله ليعطف عليه وزوجك) إن قلت إن فعل الأمر لا يعمل فى الظاهر والمعطوف على الفاعل فاعل فيقتضى عمله فى الظاهر . أجيب بأنه يغتفر فى التابع ما لا يغتفر فى المتبوع وفصل بالضمير المنفصل لقول ابن مالك : وإن على ضمير رفع متصل عطفت فافصل بالضمير المنفصل (قوله وكان خلقها) أى الله وقوله من ضلعه : أى آدم فلذلك كان كل ذكر ناقصا ضلعا من الجانب الأيسر لجهة اليمين ثمانية عشر واليسار سبعة عشر وقد خلقت بعد دخوله الجنة نام فلما استيقظ وجدها فأراد أن يمد يده إليها، فقالت له الملائكة مه يا آدم حتى تؤدى مهرها ، فقال وما مهرها ؟ فقالوا ثلاث صلوات أو عشرون صلاة على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ولا يقال إن شرط الصداق عود منفعته للزوجة لأنا نقول ليس المقصود منه حقيقة المهر وإنما هو ليظهر قدر محمد لآدم من أول قدم إذ لولاه ما تمتع بزوجة فهو الواسطة لكل واسطة حتى آدم وقوله من ضلعه الأيسر : أى وهو القصير ووضع الله مكانه لحما من غير أن يحس آدم بذلك ولم يجد له ألما ولو وجده لما عطف رجل على امرأة والنون فى قلنا للعظمة ، وقوله اسكن : أى دم على السكنى فإنه كان ساكنا فيها قبل خلق حواء ، واستشكل شيخ الإسلام هذه الآية بأنه أتى فى هذه الآية بالواو فى قوله وكلا وفى آية الأعراف بالفاء هل لذلك من حكمة أجاب بأن الأمر هنا فى هذه الآية كان داخل الجنة فلا ترتيب بين السكنى والأكل وفى آية الأعراف كان خارجها فحسن الترتيب بين السكنى والأكل ه والحق أن يقال إن ذلك ظاهر إن دل دليل على اختلاف القصة ولم يوجد فالقصة واحدة والأمر فى الموضعين يحتمل أن يكون داخل الجنة أو خارجها فعلى الأول معنى اسكن دم على السكنى والفاء فى آية الأعراف بمعنى الواو وعلى الثانى معناه ادخل على سبيل السكنى فتكون الواو بمعنى الفاء .

(رَغَدًا) واسعاً لا حجر فيه (حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ) بالأكل منها وهى الحنطة أو الكرم أو غيرهما (فَتَكُونَا) فتصيرا (مِنَ الظَّالِمِينَ) العاصين (فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ) إبليس أذهبهما وفى قراءة فأزالهما نحاهما (عَنْهَا) أى الجنة بأن قال لهما هل أدلكما على شجرة الخلد وقاسمهما بالله إنه لهما لمن الناصحين فأكلا منها (فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ) من النعيم (وَقُلْنَا اهْبِطُوا) إلى الأرض أى أنتما بما اشتملتما عليه من ذريتكما (بَعْضُكُمْ) بعض الذرية (لِبَعْضٍ عَدُوٌّ) من ظلم بعضهم بعضاً (وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ) موضع قرار (وَمَتَاعٌ) ما تتمتعون به من نباتها (إِلَىٰ حِينٍ) وقت انقضاء آجالكم (فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ) ألهمه إياها وفى قراءة بنصب آدم ورفع كلمات أى جاءه وهى ربنا ظلمنا أنفسنا الآية فدعا بها

(قوله رغدا) يقال رغد بالضم رغادة من باب ظرف ورغد رغدا من باب تعب اتسع عيشه (قوله حيث شئتما) أى فى أى مكان أردتماه (قوله أو غيرهما) قيل شجر التين أو البلح أو الأترج والأقرب أنها الحنطة والحقيقة لايعلمها إلا الله (قوله فتكونا) مسبب عن قوله ولا تقربا وتعبيره بعدم القرب منها كناية عن عدم الأكل كقوله تعالى - ولاتقربوا الزنا - فالنهى عن القرب يستلزم النهى عن الفعل بالأولى (قوله العاصين) أى الذين تعدّوا حدود الله (قوله فأزلهما الشيطان) أتى بالفاء إشارة إلى أن ذلك عقب السكنى والشيطان مأخوذ من شاط بمعنى احترق لأنه محروق بالنار أو من شطن بمعنى بعد لأنه بعيد عن رحمة الله والزلل الزلق وهو العثرة فى الطين مثلا فأطلق وأريد لازمه وهو الاذهاب (قوله وفى قراءة) أى سبعية لحمزة (قوله أى الجنة) ويحتمل أن الضمير عائد على الشجرة وعن بمعنى الباء أى أوقعهما فى الزلة بسبب أكل الشجرة (قوله بأن قال لهما) أى وهو خارج الجنة وهما داخلها لكن أتيا على بابها فقال لهما ذلك ويحتمل أنه دخل الجنة على صورة دابة من دوابها وخزنتها غفلوا عنه ويحتمل أنه دخلها فى فم الحية ويحتمل أنه وسوس فى الأرض فوصلت وسوسته لهما إن قلت إن ذلك ظاهر فى حواء لعدم عصمتها وما الحكم فى آدم أجيب بأنه اجتهد فأخطأ فسمى الله خطأه معصية فلم يقع منه صغيرة ولا كبيرة وإنما هو من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين فلم يتعمد المخالفة ومن نسب التعمد والعصيان له بمعنى فعل الكبيرة أو الصغيرة فقد كفر كما أن من نفى اسم العصيان عنه فقد كفر أيضا لنص الآية (قوله مما كانا فيه) يحتمل أن ما اسم موصول وما بعده صلته أو نكرة موصوفة ومابعدها صفة وقوله من النعيم بيان لما (قوله أى أتيا الخ) أشار بذلك إلى إلى حكمة الإتيان بالواو فى اهبطوا أى الجمع باعتبار ما اشتملا عليه من الذرية ويحتمل أن الأمر لآدم وحواء وإبليس والحية فهبط آدم بالهند بمكان يقال له سرنديب وحواء بجدّة وإبليس بالأبلة والحية بأصبهان (قوله بعض الذرية) أشار بذلك إلى أن العداوة فى الذرية لا فى الأصول ويحتمل أن يكون ذلك فى بعض الأصول كالحية وإبليس وأفرد عدوّا إما مراعاة للفظ بعض أو لأنه يستعمل بلفظ واحد للمثنى والجمع . بقى شىء آخر وهو أنه تقدّم لنا أن حوّاء خلقت داخل الجنة حين ألقى على آدم النوم كيف ذلك مع أن الجنة لانوم فيها ولا يخرج أهلها منها ولا تكاليف فيها والثلاثة قد حصلت أجيب بأن ذلك فى الدخول يوم القيامة وأما الدخول الأوّلى فلا يمتنع فيه شىء من ذلك (قوله ألهمه إياها) أى فهم آدم من ربه تلك الكلمات (قوله وفى قراءة) أى سبعية لابن كثير (قوله بنصب آدم) أى على المفعولية وقوله ورفع كلمات أى على الفاعلية فتحصل أن التلقى نسبة تصلح للجانبين يقال تلقيت زيدا وتلقانى زيد فالمعنى على القراءة الأولى تعلم آدم الكلمات فحفظ بسببها من المهالك وعلى الثانية الكلمات تلقت آدم من السقوط فى المهاوى إذ لولاها لسقط فهى الدواء له وأما إبليس فلم يجعل الله له دواء فالكلمات جاءته بالاسعاف وهو جاءها بالقبول والتسليم ومن هنا أن الذاكر لاينتفع بالذكر ولاينور باطنه إلا إذا كان الشيخ عارفا وأذنه فى ذلك والذاكر مشتاق كتلقى آدم الكلمات (قوله وهى ربنا ظلمنا أنفسنا الخ) مشى المفسر على أن المراد بالكلمات المذكورة فى سورة الأعراف وهو أحد أقوال ولا يقال إن التلقى كان لآدم فقط والدعاء بها صدر منهما لأنه يقال إن الخطاب لآدم والمراد هو معها وكم من خطاب فى القرآن يقصد به الرجال والمراد مايشمل الرجال والنساء

(فتاب

وقيل إن المراد بالكلمات سبحانك اللهم و بحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا إله إلا أنت ظلمت نفسي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت وتقدم أن معصية آدم ليست كالمعاصي بل من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين والحق أن يقال إن ذلك من سر القدر فهي منهي عنه ظاهرا لا باطنا فانه في الباطن مأمور بالأولى من قصة الخضر مع موسى و إخوة يوسف معه على أنهم أنبياء فان الله حين قال للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة كان قبل خلقه وهذا الأمر مبرم يستحيل تخلفه فلما خلقه وأسكنه الجنة أعلمه بالنهي عن الشجرة صورة فهذا النهي صوري وأكله من الشجرة جبري لعلمه أن المصلحة مترتبة على أكله و إنما سمي معصية نظرا للنهي الظاهري فمن حيث الحقيقة لم يقع منه عصيان ومن حيث الشريعة وقعت منه المخالفة ومن ذلك قول ابن العربي: لو كنت مكان آدم لأكلت الشجرة بتمامها لما ترتب على أكله من الخير العظيم و إن لم يكن من ذلك إلا وجود سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لكفى ومن هذا المقام قول الجيلي:

ولي نكتة غرا هنا سأقولها … وحق لها أن ترعويها المسامع
هي الفرق ما بين الولي وفاسق … تنبه لها فالأمر فيه بدائع
وما هو إلا أنه قبل وقعه … يخبر قلبي بالذي هو واقع
فأجني الذي يقضيه في مرادها … وعيني لها قبل الفعال تطالع
فكنت أرى منها الارادة قبل ما … أرى الفعل مني والأسير مطاوع
إذا كنت في أمر الشريعة عاصيا … فاني في حكم الحقيقة طائع اهـ

(قوله التواب) أي كثير التوبة بمعنى أن العبد كلما أذنب وتاب قبله فهو كثير القبول لتوبة من تاب ويسمى العبد توابا بمعنى أنه كلما أذنب ندم واستغفر ولا يصر وشرط توبة العبد الندم والاقلاع والعزم على أن لا يعود فان كانت المعصية متعلقة بمخلوق اشترط إما رد المظالم لأهلها أو مسامحتهم له فكل من العبد والرب يسمى توابا بالوجه المتقدم لكن لا يقال في الرب تائب لأن أسماءه توقيفية وقد قيل إن آدم لما نزل الأرض مكث ثلثمائة سنة لا يرفع رأسه إلى السماء حياء من الله تعالى وقد قيل لو أن دموع أهل الأرض جمعت لكانت دموع داود أكثر ولو أن دموع داود مع أهل الأرض جمعت لكانت دموع آدم أكثر (قوله قلنا) أتى بنون العظمة لأنها له حقيقة

(فَتَابَ عَلَيْهِ) قبل توبته (إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ) على عباده (الرَّحِيمُ) بهم (قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا) من الجنة (جَمِيعاً) كرره ليعطف عليه (فَإِمَّا) فيه إدغام نون إن الشرطية في ما الزائدة (يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى) كتاب ورسول (فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ) فآمن بي وعمل بطاعتي (فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) في الآخرة بأن يدخلوا الجنة (وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا) كتبنا (أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) ماكثون أبدا لا يفنون ولا يخرجون (يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ)

ومن ادعاها غير مولانا قصم (قوله اهبطوا) جمع باعتبار الذرية التي في صلب آدم (قوله جميعا) حال من فاعل اهبطوا أي مجتمعين إما في زمان واحد أو في أزمنة متفرقة لأن المراد الاشتراك في أصل الفعل فان جاءوا جميعا لا تستلزم الصحبة بخلاف جاءوا معا (قوله ليعطف عليه) أي فهذه حكمة التكرار فالأول أفاد الأمر بالهبوط مع ثبوت العداوة والثاني أفاد الأمر بالهبوط والتكاليف وترتب السعادة والشقاوة على الامتثال وعدمه فالشيء مع غيره غيره في نفسه (قوله كتاب ورسول) أي أو رسول فقط فالمراد بالهدى مطلق دال على الله والمراد أي رسول وأي كتاب من آدم إلى محمد والرسول صادق بكونه من الملك أو البشر فيشمل الأمم والأنبياء فتأمل (قوله إن الشرطية) أي وفعلها يأتينكم مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة وجوابه جملة فمن اتبع هداي وجملة والذين كفروا الآية إذ التقدير ومن لم يتبع هداي فأولئك أصحاب النار (قوله يابني إسرائيل) ذكر سبحانه وتعالى خطاب المكلفين عموما في أول السورة ثم ثنى بمبدإ خلق آدم وقصته مع إبليس وثلث بذكر بني إسرائيل سواء كانوا في زمنه صلى الله عليه وسلم أو قبله وما يتعلق بهم من هنا إلى سيقول السفهاء فعدد عليهم نعما عشرة وقبائح عشرة وانتقامات عشرة والحكمة في ذكر بني إسرائيل الذين تقدموا قبل رسول الله مع أنهم لم يخاطبوا بالايمان برسول الله أن من كان في زمنه صلى الله عليه وسلم يدعي أنه على قدمهم وأنه متبع لهم وأن أصولهم كانوا على شيء فلذلك تبعوهم فبين سبحانه وتعالى النعم التي أنعم بها على أصولهم و بين لهم أنهم قابلوا تلك النعم بالقبائح وبين أنه أنزل عليهم العذاب ليعتبر من يأتي بعدهم وحكمة تخصيصهم بالخطاب أن السورة أول ما نزل بالمدينة وأهل المدينة كان غالبهم يهود وهم أصحاب كتاب وشوكة فاذا أسلموا وانقادوا انقاد جميع أتباعهم فلذلك توجه الخطاب لهم وبني منادى مضاف منصوب بالياء لأنه ملحق بجمع المذكر السالم لكونه ليس علما ولا صفة لمذكر عاقل وبني مضاف و إسرائيل مضاف إليه مجرور بالفتحة لأنه اسم لا ينصرف وللمانع له من الصرف العلمية والعجمة وبني جمع ابن وأصله قيل بنو فهو واوي وقيل بني فهو يائي فعلى الأول هو من البنوة كالأبوة

وعلى الثانى هو من البناء و إسرائيل قيل معناه عبد الله وقيل القوى بالله لأن إسرا قيل معناه عبد أو القوى و إيل معناه الله وقيل مأخوذ من الاسراء لأنه أسرى بالليل مهاجرا إلى الله تعالى و إسرائيل فيه لغات سبع الأولى بالألف ثم همزة ثم ياء ثم لام وبها جاءت القراآت السبع الثانية بقلب الهمزة ياء بعد الألف الثالثة باسقاط الياء مع بقاء الهمزة والألف . الرابعة والخامسة باسقاط الألف والياء مع بقاء الهمزة مفتوحة أومكسورة . السادسة باسقاط الهمزة والياء مع بقاء الألف . السابعة إبدال اللام الأخيرة بالنون مع بقاء الألف والهمزة والياء وجمعه أساريل وأسارلة وأسارل (قوله أولاد يعقوب) أى ابن إسحق بن إبراهيم الخليل (قوله اذكروا نعمتى) الذكر بكسر الدال وضمها بمعنى واحد وهوما كان باللسان أو بالجنان وقال الكسائى : ما كان باللسان فهو بالكسر وما كان بالقلب فهو بالضم وضد الأول صمت والثانى نسيان والنعمة اسم لما ينعم به وهى شبيهة بفعل بمعنى مفعول والمراد بها الجمع لأنها اسم جنس قال تعالى - وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها - وقوله - التى أنعمت عليكم - جملة الصلة والموصول صفة للنعمة والعائد محذوف تقديره أنعمتها بالنصب على نزع الخافض ولايقدر أنعمت بها لئلا يلزم حذف العائد من غير وجود شرطه لقول ابن مالك * كذا الذى جرّ بما الموصول جر * وليس الموصول مجرورا فتأمل (قوله وغير ذلك) أى من بقية العشرة وهى العفو عنهم وغفران خطاياهم و إتيان موسى الكتاب والحجر الذى تفجرت منه اثنتاعشرة عينا والبعث بعد الموت و إنزال المنّ والسلوى عليهم . [تنبيه] بقى ذكر قبائحهم العشرة وهى قولهم سمعنا وعصينا واتخاذهم العجل وقولهم : أرنا الله جهرة ، وتبديل القول الذى أمروا به وقولهم : لن نصبر على طعام واحد ، وتحريف الكلم وتوليهم عن الحق بعد ظهوره وقسوة قلوبهم (٢٤) وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق . وأما عقوباتهم العشرة فهى ضرب الذلة والمسكنة عليهم والغضب من الله و إعطاء الجزية وأمرهم بقتل أنفسهم ومسخهم قردة وخنازير و إنزال الرجز عليهم من السماء وأخذ الصاعقة لهم وتحريم طيبات أحلت لهم وهذه العشرات فى أصولهم . وقد وبخ الله المعاصرين لمحمد صلى الله عليه وسلم بعشرة أخرى : من كتمانهم أمر محمد وتحريف الكلم وقولهم هذا من عند الله وقتلهم أنفسهم و إخراجهم فريقا من ديارهم وحرصهم على الحياة وعداوتهم لجبريل واتباعهم السحر وقولهم نحن أبناء الله وقولهم يد الله مغلولة قال تعالى - غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا - (قوله بأن تشكروها) أى تصرفوها فيما يرضى ربكم (قوله وأوفوا) يقال أوفى ووفى مشددا ومخففا (قوله من الإيمان بمحمد) أى فى قوله تعالى - ولقد أخذ الله ميثاق بنى إسرائيل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا - الآيات (قوله بدخول الجنة) أى فى قوله تعالى : الذين يتبعون الرسول النبىّ الأمىّ الآيات وقوله تعالى : لأكفرنّ عنهم سيئاتهم الآيات (قوله دون غيرى) أخذ الحصر من تقديم المعمول و إياى مفعول لمحذوف يفسره قوله فارهبون وهذا فى الحصر أبلغ من إياك نعبد لأن إياك معمول لنعبد . وأما هنا فهو معمول لمحذوف لاستيفاء الفعل المذكور معموله وهو الياء المذكورة أو المحذوفة تخفيفا فهو فى قوة تكرار الفعل مرتين (قوله وآمنوا) من عطف المسبب على السبب (قوله من القرآن) بيان لما (قوله مصدقا) حال من الضمير المحذوف فى أنزلت أو من ما (قوله بموافقته) الباء سببية ولايلزم من موافقته للتوراة أنه لم يزد عليها بل القرآن جمع الكتب السماوية وزاد عليها (قوله من أهل الكتاب) هذا جواب عن سؤال مقدر تقديره أن أول بعثة النبىّ فى مكة وأول كافر أهلها ولم يأت المدينة إلا بعد ثلاث عشرة سنة فليس كفار أهل الكتاب بأول كافر أجاب المفسر بأن المراد الذى فى أيديهم الكتب بالنسبة لمن يأتى بعدهم إلى يوم القيامة فليس المراد الأولية الحقيقية بل النسبية (قوله فإثمهم عليكم) أى لأن من سنّ سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عملها إلى يوم القيامة (قوله تستبدلوا) حوّل المفسر العبارة لأن الشراء ليس حقيقيا بل هو مطلق استبدال ومعاوضة

أولاد يعقوب (اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ) أى على آبائكم من الانجاء من فرعون وفلق البحر وتظليل الغمام وغير ذلك بأن تشكروها بطاعتى (وَأَوْفُوا بِعَهْدِي) الذى عهدته إليكم من الإيمان بمحمد (أُوفِ بِعَهْدِكُمْ) الذى عهدت إليكم من الثواب عليه بدخول الجنة (وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ) خافون فى ترك الوفاء به دون غيرى (وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ) من القرآن (مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ) من التوراة بموافقته له فى التوحيد والنبوة (وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ) من أهل الكتاب لأن خلفكم تبع لكم فإثمهم عليكم (وَلَا تَشْتَرُوا) تستبدلوا (بِآيَاتِي) التى فى كتابكم

من نعت محمد (ثَمَنًا قَلِيلاً) عوضاً يسيرا من الدنيا أى لا تكتموها خوف فوات ما تأخذونه من سفلتكم (وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ) خافون فى ذلك دون غيرى (وَلاَ تَلْبِسُوا) تخلطوا (الْحَقَّ) الذى أنزل عليكم (بِالْبَاطِلِ) الذى تفترونه (وَ) لا (تَكْتُمُوا الْحَقَّ) نعت محمد (وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) أنه حق (وَأَقِيمُوا الصَّلٰوةَ وَآتُوا الزَّكٰوةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ) صلوا مع المصلين محمد وأصحابه . ونزل فى علمائهم وكانوا يقولون لأقربائهم المسلمين اثبتوا على دين محمد فانه حق (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ) بالإيمان بمحمد (وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ) تتركونها فلا تأمرونها به (وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ) التوراة وفيها الوعيد على مخالفة القول العمل (أَفَلاَ تَعْقِلُونَ) سوء فعلكم فترجعون فجملة النسيان محل الاستفهام الإنكارى (وَاسْتَعِينُوا) اطلبوا المعونة على أموركم (بِالصَّبْرِ) الحبس للنفس على ما تكره (وَالصَّلٰوةِ) أفردها بالذكر تعظيما لشأنها وفى الحديث « كان صلى الله عليه وسلم إذا حَزَبه أمر بادر إلى الصلاة » وقيل الخطاب لليهود لما عاقهم عن الإيمان الشره وحب الرياسة فأمروا بالصبر وهو الصوم ؛

(قوله من نعت محمد) أى أوصافه وأخلاقه التى ذكرت فى التوراة والإنجيل (قوله من سفلتكم) أى عامتكم (قوله و إياى فاتقون) يقال فيه ماقيل فى و إياى فارهبون (قوله ولاتلبسوا) من لبس بالفتح من باب ضرب . وأما اللبس وهو سلك الثوب فى العنق فمن باب تعب (قوله الذى تفترونه) أى من تغيير صفات محمد (قوله صلوا مع المصلين) أشار بذلك إلى أنه من باب تسمية الكل باسم جزئه وآثر الركوع على غيره لأنه لم يكن فى شريعتهم فكأنه قال صلوا الصلاة ذات الركوع فى جماعة (قوله ونزل فى علمائهم) فاعل نزل جملة تأمرون الناس والضمير فى علمائهم عائد على اليهود ومثل ذلك يقال فى علماء المسلمين لأن كل آية وردت فى الكفار تجرّ ذيلها على عصاة المؤمنين فالحاصل أن العالم إن كان كافرا فهو معذب من قبل عباد الوثن لأن وزر من كفر فى عنقه ، وأما إن كان مسلما ولكنه فرط فى العمل بالعلم فهو أقبح العصاة عذابا هذا هو الحق فقولهم : وعالم بعلمه لن يعملن معذب من قبل عباد الوثن محمول على العالم الكافر كعلماء اليهود والنصارى (قوله لأقربائهم المسلمين) إنما نصحوا معهم ليأسهم من دنياهم (قوله أتأمرون) سيأتى للمفسر أن الهمزة للاستفهام الانكارى ومحط الاستفهام قوله وتنسون أنفسكم أى لايليق منكم الأمر بالمعروف والبرّ لغيركم مع كونكم ناسين أنفسكم ، قال الشاعر : يا أيها الرجل المعلم غيره هلا لنفسك كان ذا التعليم إلى أن قال : لاتنه عن خلق وتأتى مثله عار عليك إذا فعلت عظيم وقال الشاعر أيضا : أتنهى الناس ولاتنتهى متى تلحق القوم يالكع وياحجر السن ماتستحى تسن الحديد ولاتقطع (قوله بالايمان بمحمد) الاخصر حذف بالايمان فالبرّ اسم جامع لكل خير كما أن الإثم اسم جامع لكل شرّ ولما كان الايمان بمحمد يستلزم كل خير فسره به وسيأتى تفسيره فى قوله تعالى : ولكن البرّ من آمن بالله الآية (قوله تتركونها) أشار بذلك إلى أنه من باب استعمال اللازم فى الملزوم أو السبب فى المسبب لأنه يلزم من نسيان الشىء تركه وسبب الترك النسيان والحكمة فى ارتكاب المجاز الاشارة إلى أن الشأن أن العالم لايقع منه ذلك إلا نسيانا (قوله أفلا تعقلون) قال بعض المفسرين إن الفاء فى مثل هذا الموضع مؤخرة من تقديم وجملة تعقلون معطوفة على جملة تتلون والمستفهم عنه مابعد الفاء التقدير فأى شىء لاتعقلونه وقال الزمخشرى إن الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف التقدير أتفعلون ذلك فلا تعقلون (قوله واستعينوا) قيل إنّ هذا الخطاب للمسلمين وقيل لليهود فعلى الأول تكون الجملة معترضة بين أجزاء القصة وعلى الثانى لااعتراض (قوله الحبس للنفس على ماتكره) أى من المصائب والطاعات وترك المعاصى فأقسام الصبر ثلاثة : صبر على المصيبة وصبر على دوام الطاعة وصبر عن المعاصى فلا يفعلها والكامل من تحقق بجميعها (قوله أفردها بالذكر) أى مع أنها داخلة فى الصبر فذكر الخاص بعد العام لابد له من نكتة أجاب عن ذلك بقوله تعظيما لشأنها (قوله تعظيما لشأنها) أى من حيث إن الصلاة جامعة لأنواع العبادة من تسبيح وتهليل وتكبير وذكر والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وركوع وسجود وفى الحديث لما أسرى به ورأى الملائكة منهم القائم لاغير والراكع لاغير وهكذا تمنى عبادة تجمع عبادات الملائكة فأعطى الصلاة (قوله إذا حزبه) بالباء والنون ومعناهما همه وشقّ عليه وهذا يؤيد أن الخطاب لمحمد وأصحابه (قوله الشره) أى الشهوة فالمانع لهم من الايمان بمحمد الشهوات والكبر ولكن قد يقال إن الكافر لايصح منه صوم ولاصلاة حتى يدخل فى الاسلام فما معنى أمرهم بذلك ؟ أجيب بأن المراد أمرهم بعد الاسلام .

(قوله لأنه يكسر الشهوة) أى يضعفها (قوله تورث الخشوع) هو خضوع النفس وسكونها تحت المقادير (قوله ثقيلة) قال تعالى : و إذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى الآية (قوله إلا على الخاشعين) استثناء مفرغ مضمن معنى النفى أى لاتسهل إلا على الخاشعين (قوله الساكنين) أى المائلين المحبين للطاعة الذين اطمأنت قلوبهم لها وفى الحديث «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد» وفى الحديث «وجعلت قرة عينى فى الصلاة» هكذا مشى المفسر على أن الضمير عائد على الصلاة و يحتمل عوده على الاستعانة بالصبر والصلاة و يحتمل عوده على ماتقدم من قوله ـ اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم ـ أى و إن ما أمر به بنو إسرائيل لكبيرة (قوله يوقنون) أشار بذلك إلى أن الظن يستعمل بمعنى اليقين وقد يستعمل اليقين بمعنى الظن قال تعالى ـ فان علمتموهن مؤمنات ـ أى ظننتموهن (قوله أنهم ملاقوا ربهم) أى يعتقدون أنهم يبعثون و يرون ربهم فقوله بالبعث الباء سببية (قوله وأنهم إليه راجعون) أى صائرون فيحاسبهم على أعمالهم فيدخلهم إما الجنة أو النار و بهذا التفسير فلا تكرار بين قوله أنهم ملاقوا ربهم و بين قوله وأنهم إليه راجعون (قوله يابنى إسرائيل) كرر هذا النداء لطول الفصل بناء على أن الخطاب فى واستعينوا بالصبر والصلاة لغير بنى إسرائيل ولتعداد النعم عليهم وللتأكيد لبلادتهم فان الذكى يفهم بالمثال الواحد مالايفهمه الغبى بألف شاهد (قوله بالشكر عليها) أى باتباع محمد والدخول فى دينه ولا ينفعهم الانتساب لغيره مع وجوده (قوله وأنى فضلتكم) فى تأويل مصدر معطوف على نعمتى أى اذكروا نعمتى وتفضيلى إياكم (قوله أى آباءكم) إشارة إلى أنه على حذف مضاف فالفضل ثابت لآبائهم المتقدمين لا لمن وجد **(٢٦)** فى زمنه صلى الله عليه وسلم فان المصر منهم على الكفر من همج الهمج

لأنه يكسر الشهوة، والصلاة لأنها تورث الخشوع وتنفى الكبر (وَإِنَّهَا) أى الصلاة (لَكَبِيرَةٌ) ثقيلة (إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ) الساكنين إلى الطاعة (الَّذِينَ يَظُنُّونَ) يوقنون (أَنَّهُمْ مُلاَقُوا رَبِّهِمْ) بالبعث (وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) فى الآخرة فيجازيهم (يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ) بالشكر عليها بطاعتى (وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ) أى آباءكم (عَلَى الْعَالَمِينَ) عالمى زمانهم (وَاتَّقُوا) خافوا (يَوْمًا لاَ تَجْزِي) فيه (نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا) هو يوم القيامة (وَلاَ تُقْبَلُ) بالتاء والياء (مِنْهَا شَفَاعَةٌ) أى ليس لها شفاعة فتقبل فما لنا من شافعين (وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ) فداء (وَلاَ هُمْ يُنْصَرُونَ) يمنعون من عذاب الله (وَ) اذكروا (إِذ

(قوله عالمى زمانهم) دفع بذلك مايقال إن المراد بالعالمين ماسوى الله فيقتضى أن بنى إسرائيل أفضل مما سواهم من الأولين والآخرين فأجاب بأن المراد بالعالمين عالمو زمانهم وهذا هو المرتضى وهناك أجوبة أخر منها أن المراد بآبائهم الأنبياء وهو مخدوش بأن إبراهيم أفضل من أنبياء بنى إسرائيل ومحمدا أفضل الخلق جميعا ومنها أن المراد تفضيل أمم بنى إسرائيل على جميع الأمم وهو مخدوش أيضا بأن أمة محمد أفضل الامم جميعا باتفاق لقوله تعالى ـ كنتم خير أمة أخرجت للناس ـ ولذلك طلب موسى أن يكون منهم فلم يتم إلا الأول (قوله واتقوا) أصله اوتقوا قلبت الواو تاء وأدغمت فى التاء وقوله يوما مفعول به وليس ظرفا لأن الخوف واقع على اليوم لافى اليوم (قوله لاتجزى فيه) صفة ليوما وقدر المفسر قوله فيه إشارة للرابط وحذف لأنه يتوسع فى الظروف مالايتوسع فى غيرها (قوله عن نفس) متعلق بتجزى ونفس فاعل تجزى وهو بمعنى تغنى أى لاتغنى نفس مؤمنة عن نفس كافرة شيئا من عذاب الله وأما قولهم يحشر المرء مع من أحب أى إذا كان المحب مؤمنا والأصول لاتنفع الفروع إلا إذا كان مع الفروع إيمان قال تعالى ـ بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم ـ (قوله بالتاء والياء) قراءتان سبعيتان فعلى التاء الأمر ظاهر وعلى الياء لأنه مجازى التأنيث فيصح تذكير الفعل وتأنيثه (قوله منها شفاعة) أى النفس المؤمنة لاتقبل شفاعتها فى النفس الكافرة (قوله ليس لها شفاعة فتقبل) أى لم يؤذن لها فى أصل الشفاعة حتى يتسبب عنها القبول وليس المراد أنها تشفع ولكن لايقبل منها تلك الشفاعة لقوله تعالى فما لنا من شافعين وخير مافسرته بالوارد كما أشار لذلك المفسر (قوله ولايؤخذ منها عدل) الضمير عائد على النفس الكافرة والعدل بالفتح الفداء و يطلق على المماثل فى القدر لافى الجنس وأما المماثل فى الجنس فبالكسر (قوله ولاهم ينصرون) جمع باعتبار أفراد النفس لأن المراد بها جنس الأنفس وأتى بالجملة اسمية للتأكيد والمعنى ليس لهم مانع يمنعهم من عذاب الله .

(قوله إذ نجيناكم) معطوف على نعمتي مسلط عليه اذكروا الأول أي اذكروا نعمتي وتفضيلي إياكم ووقت إنجائي لكم والمقصود ذكر الانجاء أومعطوف على جملة اذكروا فقول المفسر اذكروا ليس تقديرا للعامل الأول بل هو عامل مماثله وهكذا يقال فيما يأتي مما فيه إذ من جميع مايتعلق ببني إسرائيل (قوله أي آباءكم) ويصح أن النجاة لهم إذ لو غرقت أصولهم ماوجدوا والنجاة مأخوذة من النجوة وهي الأرض المرتفعة والوضع عليها ليسلم من الآفات يسمى إنجاء لهم ثم أطلق على كل خلوص من ضيق إلى سعة فالمعنى خلصناهم من المهلكات (قوله بما أنعم على آبائهم) أي وعدد عليهم نعما عشرة نهايتها و إذ استسقى (قوله من آل فرعون) لايرد أن الآل لايضاف إلا للذي شرف لأن فرعون ذو شرف دنيوي والمراد أعوانه وكانوا يوم الغرق ألف ألف وسبعمائة ألف غير المتخلفين بمصر وكانت الخيل الدهم سبعين ألفا و بنو إسرائيل كانوا ستمائة ألف وعشرين ألفا وعند دخول يعقوب مصر كانوا سبعين نفسا ذكورا وإناثا و بين موسى و يعقوب أربعمائة سنة فكمل فيهاذلك العدد مع كثرة قتل الأطفال وموت الشيوخ فسبحان الخلاق العظيم. وفرعون اسمه الوليد بن مصعب بن الريان وفرعون لقب له من الفرعنة وهي العتو والتمرد ومدة ادعائه الألوهية أربعمائة سنة وكان يأكل كل يوم فصيلا وكان لايتغوط إلا كل أربعين يوما مرة وفرعون اسم لكل من ملك العمالقة كما أن قيصر اسم لمن ملك الروم وكسرى لمن ملك الفرس والنجاشي لمن ملك الحبشة وتبع لمن ملك اليمن وخاقان لمن ملك الترك (قوله يذيقونكم) أي على سبيل الدوام (قوله سوء العذاب) اسم جامع لكل مايغم النفس كالشر وهو ضد الخير . إن قلت إن العذاب سيء أجاب المفسر بأن المراد أشده (قوله بيان لما قبله) أي

لبعض ماقبله فانهم كانوا يعذبون بأنواع العذاب فكانوا يخدمون أقوياء بني إسرائيل في قطع الحجر والحديد والبناء وضرب الطوب والنجارة وغير ذلك وكان نساؤهم يغزلن الكتان لهم و ينسجنه وضعفاؤهم يضربون عليهم الجزية و إنما قلنا لبعض ماقبله لأن ذبح الأولاد وماذكر معه ليس هو عين أشد العذاب بل بعضه بدليل سورة إبراهيم فانها بالعطف وهو يقتضي المغايرة (قوله و يستحيون) أصله يستحييون بياءين الأولى عين الكلمة والثانية لامها استثقلت الكسرة على الياء الأولى فحذفت فالتقى ساكنان حذفت الياء لالتقاء الساكنين وقيل حذفت الياء الثانية تخفيفا وضمت الأولى لمناسبة الواو فعلى الأول وزنه يستفلون وعلى الثاني وزنه يستفعون (قوله لقول بعض الكهنة) أي حين دعاهم ليقص عليهم مارآه في النوم وهو أن نارا أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر فأحرقت القبط وتركت بني إسرائيل فشق عليه ذلك ودعا الكهنة وسألهم عن ذلك فقالوا له ماذكر (قوله أو الانجاء) أي من حيث عدم الشكر عليه فصار الانجاء بلاء فالبلاء يطلق على الخير والشر قال تعالى ـ ونبلوكم بالشر والخير فتنة ـ (قوله ابتلاء) راجع للعذاب وقوله أو إنعام راجع للانجاء فهو لف ونشر مرتب (قوله واذكروا إذ فرقنا) هذا من جملة المعطوف على نعمتي أو على اذكروا فالمقصود تعداد النعم عليهم وفرق من باب قتل ميز الشيء من الشيء قال تعالى ـ وقرآنا فرقناه ـ أي ميزنا به الحق من الباطل (قوله فلقنا) الفلق والفرق بمعنى واحد قال تعالى ـ فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم ـ (قوله البحر) هو الماء الكثير عذبا أوملحا لكن المراد هنا الملح والمراد به بحر القلزم (قوله آل فرعون) يطلق آل الرجل عليه وعلى آله قال تعالى ـ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ـ والمراد محمد وآله ـ ولقد كرمنا بني آدم ـ المراد آدم و بنوه (قوله إلى انطباق البحر) إشارة إلى أن المتعلق محذوف .

(إِذْ نَجَّيْنَاكُمْ) أي آباءكم والخطاب به وبما بعده للموجودين في زمن نبينا بما أنعم على آبائهم تذكيراً لهم بنعمة الله تعالى ليؤمنوا (مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ) يذيقونكم (سُوءَ الْعَذَابِ) أشده والجملة حال من ضمير نجيناكم (يُذَبِّحُونَ) بيان لما قبله (أَبْنَاءَكُمْ) المولودين (وَيَسْتَحْيُونَ) يستبقون (نِسَاءَكُمْ) لقول بعض الكهنة له إن مولوداً يولد في بني إسرائيل يكون سبباً لذهاب ملكك (وَفِي ذَلِكُمْ) العذاب أو الانجاء (بَلَاءٌ) ابتلاء أو إنعام (مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ . وَ) اذكروا (إِذْ فَرَقْنَا) فلقنا (بِكُمُ) بسببكم (الْبَحْرَ) حتى دخلتموه هاربين من عدوكم (فَأَنْجَيْنَاكُمْ) من الغرق (وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ) قومه معه (وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ) إلى انطباق البحر عليهم (وَإِذْ وَاعَدْنَا)

(قوله بألف ودونها) أى فهما قراءتان سبعيتان فعلى الألف المواعدة من الله باعطاء التوراة ومن موسى بر ياضته الأربعين يوما و إتيانه حبل الطور لأخذ التوراة وعلى عدمها فالأمر ظاهر (قوله موسى) هو اسم أعجمى غير منصرف وهو فى الأصل مركب والأصل موشى بالشين لأن الماء بالعبرانية له يقال مو والشجر يقال له شى فغيرته العرب وقالوه بالسين سمى بذلك لأن فرعون أخذه من بين الماء والشجر حين وضعته أمه فى الصندوق وألقته فى اليم كما سيأتى فى سورة القصص وهذا بخلاف موسى الحديد فانه عربى مشتق من أوسيت رأسه إذا حلقته ، وعاش موسى مائة وعشرين سنة (قوله أربعين ليلة) اشارة إلى غاية المدة وأما فى سورة الأعراف فبين المبدإ والمنتهى قال تعالى - وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة - وهى ذو القعدة وعشر ذى الحجة واقتصر على ذكر الليالى مع أن النهار تبع لها لأن الليل محل الصفاء والأنس والعطايا الربانية (قوله عند انقضائها) أى فراغها فبعد تمام الخدمة من العبد العطايا من الرب قال عليه الصلاة والسلام « تمام الرباط أربعون يوما » (قوله التوراة) أى فى ألواح من زبرجد فيها الأحكام التكليفية من خرج عنها فهو ضال مضل لقوله تعالى - إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور - الآية وأعطاه أيضا ألواحا أخر فيها مواعظ وأسرار ومعارف قال تعالى - وكتبنا له فى الألواح من كل شىء موعظة وتفصيلا لكل شىء - يخص بها من شاء فلما رجع بها ووجدهم قد عبدوا العجل ألقى الألواح فتكسر ما عدا التوراة كذا قالوا هنا وسيأتى تحقيق ذلك فى الأعراف (قوله السامرى) واسمه موسى وكان ابن زنا ولدته أمه فى الجبل وتركته لخوفها من قومها فرباه جبريل وكان يسقيه من أصبعه لبنا فصار يعرف جبريل ويعرف أن أثر حافر فرس جبريل إذا وضع على ميت يحيا فاستعار حليا منهم وصاغه عجلا ووضع التراب فى أنفه وفمه فصار له خوار وكان السامرى منافقا من بنى إسرائيل فعكفوا على عبادته جميعا إلا اثنى عشر ألفا

بألف ودونها (مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً) نعطيه عند انقضائها التوراة لتعملوا بها (ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ) الذى صاغه لكم السامرى إلها (مِنْ بَعْدِهِ) أى بعد ذهابه إلى ميعادنا (وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ) باتخاذه لوضعكم العبادة فى غير محلها (ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ) محونا ذنوبكم (مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ) الاتخاذ (لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) نعمتنا عليكم (وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ) التوراة (وَالْفُرْقَانَ) عطف تفسير أى الفارق بين الحق والباطل والحلال والحرام (لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) به من الضلال (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ) الذين عبدوا العجل (يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ) إلها (فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ) خالقكم من عبادته (فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ) أى ليقتل البرىء منكم المجرم (ذَلِكُمْ) القتل (خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ) فوفقكم لفعل ذلك وأرسل عليكم سحابة سوداء لئلا يبصر بعضكم بعضا فيرحمه حتى قتل منكم نحو سبعين ألفا (فَتَابَ عَلَيْكُمْ) قبل توبتكم (إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ . وَإِذْ قُلْتُمْ) وقد خرجتم مع موسى لتعتذروا إلى الله من عبادة العجل وسمعتم كلامه ،

قال بعضهم : إذا المرء لم يخلق سعيدا من الأزل ... فقد خاب من ربى وخاب المؤمل (ياموسى

موسى الذى رباه جبريل كافر ... وموسى الذى رباه فرعون مرسل

(قوله إلها) قدره اشارة للمفعول الثانى لاتخذ هذا إذا كانت بمعنى جعل وأما إن كانت بمعنى عمل نصبت مفعولا واحدا (قوله لعلكم تهتدون) أى تتدبرون فى معانيه فتعلموا الحق من الباطل (قوله باتخاذكم) من اضافة المصدر لفاعله والعجل مفعول أول وإلها مفعول ثان (قوله إلى بارئكم) البارىء هو الخالق للشىء على غير مثال سابق (قوله فاقتلوا أنفسكم) هذا بيان لتوبتهم (قوله أى ليقتل البرىء الخ) ورد أنهم أمروا جميعا بالاحتباء فصار الواحد منهم يقتل أخاه أو ابنه فشق عليهم ذلك فشكوا لموسى ذلك فتضرع موسى لربه فأرسل عليهم سحابة سوداء مظلمة كما قال المفسر (قوله فتاب عليكم) أى لما تضرع موسى وهرون وبكيا فأرسل الله جبريل يأمرهم بالكف عن الباقى وأخبرهم أن الله قبل توبة من قتل ومن لم يقتل وقوله فتاب عليكم الفاء سببية مرتب على محذوف قدره المفسر بقوله فوفقكم لفعل ذلك الخ وقوله حتى قتل منكم نحو سبعين ألفا أى فى يوم واحد (قوله التواب) أى الذى يقبل التوبة كثيرا (قوله الرحيم) أى المنعم المحسن (قوله وقد خرجتم الخ) بيان للسبب . وحاصل ذلك أنه بعد قبول توبتهم أوحى الله إلى موسى أن خذ من قومك سبعين رجلا ممن لم يعبدوا العجل ومرهم بطهارة الثياب والأبدان والذهاب معك إلى جبل الطور ليعتذروا عمن عبدوا العجل ويستغفروا ، توبوا فاختارهم وذهبوا معه إلى جبل الطور فسمعوا

كلام لله ، ورد أن الله قال لهم إنى أنا الله لا إله إلا أنا أخرجتكم من أرض مصر بيد شديدة فاعبدون ولا تعبدوا غيرى فقالوا ياموسى لن نؤمن لك الآية (قوله لن نؤمن لك) أى لن نصدقك فى أن المخاطب لنا ربنا (قوله الصيحة) قيل صاح عليهم ملك وقيل نزلت عليهم نار فأحرقتهم وجمع بأنه أصابهم كل منهما (قوله وأنتم تنظرون) أى فماتوا مترتبين واحدا بعد واحد ومكثوا ميتين يوما وليلة والحى ينظر للميت (قوله ماحل بكم) اشارة إلى مفعولى تنظرون (قوله ثم بعثناكم) أى واحدا بعد واحد لتعتبروا وهذا الموت حقيقى وإنما أحيوا بشفاعة موسى ليستوفوا آجالهم المقدرة لهم، وماذكره للفسر من أن السائل لرؤية الله جهرة هم السبعون المختارون للمناجاة أحد طريقتين والثانية أن السائل غيرهم وأما المختارون فصعقوا من هيبة الله ولم يسألوا رؤية ولم يكن منهم إنكار فتضرع موسى لربه وقال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياى أتهلكنا بما فعل السفهاء منا فأحياهم الله بعد ذلك ويشهد لذلك مافى آية النساء فان مافيها يدل على أن طلب الرؤية كان قبل عبادة العجل وأما السبعون المختارون للمناجاة فكانوا بعد عبادة العجل قال تعالى فى سورة النساء ـ فقالوا أرنا الله جهرة ـ الآية وأما ماهنا فالواو لاتقتضى ترتيبا ولا تعقيبا فان ماهنا بصدد تعداد ماقالوا ويشهد لذلك أيضا أنه عبر فى جانب من طلب الرؤية بالصعقة وهى أخذة غضب وفى جانب من يسمع الكلام بالرجفة وهى أخذة هيبة ولا تقتضى الغضب إذا علمت ذلك فما مشى عليه المفسر مشكل من وجوه والأقرب الطريقة الثانية (قوله سترناكم بالسحاب) حاصله أن الله أوحى إلى موسى أن فى أريحا قوما جبارين فتجهز لقتالهم فخرج فى ستمائة ألف فلما وصل التيه واد بين الشام ومصر وقدره تسعة فراسخ مكثوا فيه أربعين سنة متحيرين وكانوا يبتدئون السير من أول النهار فاذا جاء الليل وجدوا

(٢٩)

(يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً) عيانا (فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ) الصيحة فمتم (وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ) ما حل بكم (ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ) أحييناكم (مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) نعمتنا بذلك (وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ) سترناكم بالسحاب الرقيق من حر الشمس فى التيه (وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ) فيه (الْمَنَّ وَالسَّلْوَى) هما الترنجبين والطير السمانى بتخفيف الميم والقصر وقلنا (كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ) ولا تدخروا فكفروا النعمة وادخروا فقطع عنهم (وَمَا ظَلَمُونَا) بذلك (وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) لأن وباله عليهم (وَإِذْ قُلْنَا) لهم بعد خروجهم من التيه (ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ) بيت المقدس أو أريحا ،

أنفسهم فى المبدإ وهكذا وسيأتى بسطه فى المائدة. ومات هرون قبل موسى بسنة وكان بالتيه ولما توفى هرون وذهب موسى لدفنه أشاعوا أنه قتل أخاه فذهب إلى قبره ودعاه وسأله عن سبب موته فبرأه ،ولما حضرت موسى الوفاة تمنى أن يدفن بمحل قريب من الأرض المقدسة قدر رمية الحجر فأجابه الله ثم لما مات ومات كبارهم نبىء يوشع ابن نون عليهم فوفقوا بعد تمام الأربعين سنة لقتال الجبارين فتوجه مع من بقى من بنى اسرائيل فكان النصر على يديه (قوله الترنجبين) شىء يشبه العسل الأبيض ، وقيل هو هو (قوله والطير السمانى) أى بارسال ريح الجنوب به قيل كان يأتيهم مطبوخا وقيل كانوا يطبخونه بأيديهم ، قيل هو الطير المعروف وقيل طير يشبهه (قوله كلوا من طيبات مارزقناكم) أى مستلذات الذى رزقناكموه فما اسم موصول وما بعدها صلة والعائد محذوف ويصح أن تكون نكرة والجملة بعدها صفة وأن تكون مصدرية والجملة صلتها ولم تحتج إلى عائد ويكون المصدر واقعا موقع المفعول أى من طيبات مرزوقنا (قوله فقطع عنهم) هذا أحد تفسيرين أن القطع بسبب الادخار وقيل إن القطع بسبب تمنى غيره كما يأتى فى قوله تعالى ـ وإذ قلتم ياموسى لن نصبر على طعام واحد ـ (قوله ولكن كانوا) جمع فى هذه الآية وآية الاعراف بين لكن وكانوا واقتصر على لكن ولم يذكر كانوا فى آل عمران لأن ماهنا والأعراف حكاية عن بنى اسرائيل وأما آل عمران فمثل ضربه الله فهو مستمر إلى الآن فناسب عدم التعبير بكان (قوله قلنالهم) القائل الله سبحانه وتعالى على لسان موسى وهم فى التيه بطريق الكشف والمعنى إذا خرجتم من التيه بعد مضى الأربعين سنة فادخلوا الخ وأما إن كان بعد الخروج من التيه فيكون ذلك على لسان يوشع وهو المعتمد (قوله هذه القرية) هذه منصوبة عند سيبويه على الظرف وعند الأخفش على المفعولية والقرية نعت لهذه أو عطف بيان وهى مشتقة من قريت أى جمعت لجمعها لأهلها وهى فى الأصل اسم للمكان الذى يجتمع فيه القوم وقد تطلق عليهم مجازا وقوله تعالى ـ واسأل القرية ـ يحتمل الوجهين (قوله بيت المقدس) هو قول مجاهد وقوله أو أريحا هو قول ابن عباس

وهى بفتح الهمزة وكسر الراء وبالحاء المهملة قرية بالغور بغين معجمة مكان منخفض بين بيت المقدس وحوران وعبارة الخازن قال ابن عباس القرية هى أريحا قرية الجبارين قيل كان فيها قوم من بقية عاد يقال لهم العمالقة ورأسهم عوج بن عنق (قوله فكلوا) أتى بالفاء لأن الأكل منها إنما يكون بعد الدخول لحسن الترتيب ولم يأت بالفاء فى الأعراف بل أتى بالواو لتعبيره هناك باسكنوا وهو يجامع الأكل فلم يحصل بينهما ترتيب فلذا أتى بالواو بخلاف الدخول فيعقبه الأكل عادة فلذلك أتى بالفاء (قوله أى بابها) أى أريحا وهو المعتمد، والمراد أى باب من أبوابها وكان لها سبعة أبواب أو بيت المقدس ومن قال بذلك فالمراد باب من أبواب المسجد يسمى الآن بباب حطة (قوله منحنين) أى على صورة الراكع وقيل إن السجود حقيقة وهو وضع الجبهة على الأرض، وقيل المراد بالسجود التواضع والتذلل لله والأمر بالسجود قيل لصغر الباب وقيل تعبدى (قوله مسألتنا) إشارة إلى أن حطة خبر لمحذوف قدره المفسر والجملة فى محل نصب مقول القول وحطة بوزن قعدة أو جلسة ومعناها حطيطة الذنوب عنا (قوله خطايانا) جمع خطيئة وهى الذنوب التى ارتكبوها من عبادة العجل وقولهم - أرنا الله جهرة - إلى غير ذلك وفى قراءة شاذة بنصب حطة إما مفعول مطلق أى حط عنا الذنوب حطة أو مفعول لمحذوف: أى نسألك حطة ومعنى حطها إزالتها ومحوها (قوله نغفر) هذه القراءة تناسب ماقبلها ومابعدها لأنه تكلم (قوله وفى قراءة بالياء والتاء) أى وهما مناسبان لمعنى الخطايا والخطايا مجازى التأنيث فلذلك جاز تذكير الفعل وتأنيثه (قوله خطاياكم) جمع خطيئة وأصله خطايئ بياء قبل الهمزة فقلبت تلك الياء همزة مكسورة فاجتمع همزتان فقلبت الثانية ياء وقلبت كسرة الهمزة الأولى فتحة ثم يقال تحركت الياء التى بعد الهمزة وانفتح ما قبلها (٣٠) فقلبت ألفا فصار خطاءا بألفين بينهما همزة فاستثقل ذلك لأن الهمزة تشبه

(فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا) واسعاً لاحجر فيه (وَادْخُلُوا الْبَابَ) أى بابها (سُجَّدًا) منحنين (وَقُولُوا) مسألتنا (حِطَّةٌ) أى أن تحط عنا خطايانا (نَغْفِرْ) وفى قراءة بالياء والتاء مبنياً للمفعول فيهما (لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ) بالطاعة ثوابا (فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا) منهم (قَوْلاً غَيْرَ الَّذِى قِيلَ لَهُمْ) فقالوا حبة فى شعرة ودخلوا يزحفون على أستاههم (فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا) فيه وضع الظاهر موضع المضمر مبالغة فى تقبيح شأنهم (رِجْزًا) عذابا طاعونا (مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ) بسبب فسقهم أى خروجهم عن الطاعة،

الألف فكأنه اجتمع ثلاث ألفات متواليات فقلبت الهمزة ياء للخفة هنا ففيه خمس إعمالات قلب الياء التى قبل الهمزة همزة ثم قلب الهمزة الثانية ياء ثم قلب كسرة الأولى فتحة ثم قلب الثانية ألفا ثم قلب الأولى ياء تأمل وخطايا هنا باتفاق القراء وأما فى الأعراف فيقرأ خطيئات وحكمة ذلك أنه هنا أسند القول لنفسه فهو يغفر الذنوب وإن عظمت فهلك فناسب التعبير بخطايا الذى هو جمع كثرة وفى الأعراف بنى الفعل للمجهول فعبر بجمع القلة وقوله نغفر مجزوم فى جواب قوله ادخلوا المقيد بالسجود وبالقول (قوله وسنزيد) عبر بالسين والمضارع إشارة إلى أن المحسن لاينقطع ثوابه بل دائما يتجدد شيئا فشيئا (قوله الذين ظلموا) حكمة الاتيان بذلك الزيادة فى التقبيح عليهم (قوله منهم) قدرها هنا لأنه ذكرها فى الأعراف والقصة واحدة فما ذكره هنا قدره هناك وبالعكس (قوله قولا) أى وفعلا ففيه اكتفاء على حد سرابيل تقيكم الحر: أى والبرد أو المراد بالقول الأمر الالهى وهو يشمل القول والفعل كأنه قال فبدل الذين ظلموا أمرا غير الذى أمروا به (قوله فقالوا حبة فى شعرة الخ) لف ونشر مشوش لأن هذا راجع إلى حطة وقوله ودخلوا الخ راجع لقوله سجدا ومافسر به المفسر هو الصحيح لأنه حديث البخارى وقيل قالوا حنطة فى شعرة وشعيرة أو حنطة حمراء فى شعرة سوداء أو حنطة بيضاء فى شعرة سوداء ومعنى حبة فى شعرة جنس الحب وجنس الشعر أى نسألك حبا فى زكائب من شعر (قوله ودخلوا يزحفون) وقيل إنهم دخلوا مستلقين على ظهورهم (قوله على أستاههم) جمع سته وهو الدبر أى أدبارهم (قوله رجزا) هو فى الأصل فناء ينزل بالابل أطلق وأريد منه مطلق الفناء (قوله بسبب فسقهم) أشار بذلك إلى أن الباء سببية وما مصدرية تسبك مع مابعدها بمصدر ومشى المفسر على أن كان لاتتصرف فسبكه من الخبر وقيل إن كان متصرفة يأتى منها المصدر لقول الشاعر:

ببذل وحلم ساد فى قومه الفتى ... وكونك إياه عليك يسير

فعليه آن ماتسبك بها بمصدر: أى بكونهم فاسقين وهو المعتمد.

> فهلك منهم فى ساعة سبعون ألفاً أو أقلّ (وَ) اذكر (إِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ) أى طلب السقيا (لِقَوْمِهِ) وقد عطشوا فى التيه (فَقُلْنَا ٱضْرِبْ بِعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ) وهو الذى فرّ بثوبه خفيف مربع كرأس الرجل رخام أو كذان فضرب به (فَٱنْفَجَرَتْ) انشقت وسالت (مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً) بعدد الأسباط (قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ) سبط منهم (مَشْرَبَهُمْ) موضع شربهم فلا يشركهم فيه غيرهم وقلنا لهم

(قوله فهلك منهم الخ) أى فالطاعون عذاب لهم بخلاف الأمة المحمدية فانه رحمة لهم من مات به أو فى زمنه كان شهيدا . وقد ذكروا أن فى الآية سؤالات : الأول قوله هنا و إذ قلنا وفى الأعراف و إذ قيل . وأجيب بأنه صرّح هنا بالفاعل لازالته الابهام وحذفه فى الأعراف للعلم به مما هنا . الثانى قال هنا ادخلوا وهناك اسكنوا . وأجيب بأن الدخول مقدّم على السكنى فذكر الدخول فى السورة المتقدّمة والسكنى فى المتأخرة على حسب الترتيب الطبيعى . الثالث قال هنا خطايا كم باتفاق السبعة وهناك خطيئاتكم فى بعضها وتقدّم جوابه . الرابع ذكر هنا رغدا وحذفه من هناك . والجواب أن القصة ذكرت هنا مبسوطة وهناك مختصرة . الخامس قدم هنا دخول الباب على قولوا حطة وعكس هناك . وأجيب بأن ماهنا هو الأصل فى الترتيب وعكس فيما يأتى اعتناء بحط الذنوب . السادس إثبات الواو فى وسنزيد هنا وحذفها هناك . وأجيب بأنه لما تقدم أمران كان المجىء بالواو مؤذنا بأن مجموع الغفران والزيادة جزء واحد لمجموع الأمرين وحيث تركت الواو أفاد توزيع كلّ واحد على كلّ واحد من الأمرين فالغفران فى مقابلة القول والزيادة فى مقابلة ادخلوا . السابع لم يذكر هنا منهم وذكرها هناك . وأجيب بأن أول القصة فى الأعراف مبنى على التخصيص بلفظ من حيث قال ومن قوم موسى أمة فذكر لفظ منهم آخرا ليطابق الآخر الأول . الثامن ذكر هنا أنزلنا وهناك أرسلنا . وأجيب بأن الانزال يفيد حدوثه فى أول الأمر والارسال يفيد تسلطه عليهم واستئصالهم بالكلية وهذا إنما يحدث فى آخر الأمر . التاسع هنا يفسقون وهناك يظلمون . وأجيب بأنه لما بين هنا كون ذلك الظلم فسقا اكتفى بذكر الظلم هناك لأجل ماتقدّم من البيان هنا . العاشر قوله تعالى ـ فبدل الذين ظلموا قولا ـ فيه إخبار بالمجازاة عن المخالفة فى القول دون الفعل وجوابه ما تقدّم فلتحفظ (قوله واذكر) أى يامحمد والمناسب لما تقدم وما يأتى أن يقدر اذكروا ويكون خطابا لبنى إسرائيل تعداد النعم عليهم والأول و إن كان صحيحا إلا أنه خلاف النسق (قوله أى طلب السقيا) أشار بذلك إلى أن السين والتاء للطلب والفعل إما رباعى أو ثلاثى يقال سقى وأسقى قال تعالى ـ وسقاهم ربهم شرابا طهورا . وأسقيناكم ماء فراتا ـ والمصدر سقيا والاسم اسقيا (قوله وقد عطشوا فى التيه) أشار بذلك إلى أن المراد بقومه من كان معه فى التيه لاجميعهم وتقدم أنهم ستمائة ألف غير دوابهم وقدر مسافة الأرض التى تكفيهم اثنا عشر ميلا وعطش من باب ضرب وعلم (قوله فقلنا) القائل الله على لسان جبريل أو غيره (قوله بعصاك) كانت من آس الجنة طولها عشرة أذرع وطول موسى كذلك وكان لها شعبتان تضيئان له فى الظلام وتظلانه فى الحرّ وكانت تسوق له الغنم وتطرد عنها الذئاب (قوله وهو الذى فرّ بثوبه) أى حين رموه بالأدرة وهى انتفاخ الخصية وكان بنو إسرائيل لايبالون بكشف العورة فأراد موسى الغسل فوضع ثوبه على ذلك الحجر ففرّ بذلك الثوب فخرج موسى من الماء وقال ثوبى حجر ثوبى حجر فنظر بنو إسرائيل لعورته فلم يروه كما ظنوا قال تعالى ـ فبرّأه الله مما قالوا ـ وهذا الحجر قيل أخذه هو والعصا من شعيب ، وقيل إن الحجر أخذه من وقت فراره بثوبه وكان طوله ذراعا وعرضه كذلك وله جهات أربع فى كل جهة ثلاثة أعين فكان يضربه بالعصا عند طلب السقيا فتخرج منه اثنتا عشرة عينا بعدد فرق بنى إسرائيل وتلك العصا كانت من الجنة خرجت مع آدم مع عدة أشياء نظمها سيدى على الأجهورى بقوله :

وآدم معه أنزل العود والعصا ... لموسى من الآس النبات المكرم

وأوراق تين واليمين بمكة ... وختم سليمان النبىّ المعظم

(قوله أو كذان) بفتح الكاف وتشديد الذال المعجمة الحجر اللين (قوله فضربه) أشار بذلك إلى أن الفاء فى قوله فانفجرت عاطفة على محذوف (قوله فانفجرت) عبر هنا بالانفجار وفى الأعراف بالانبجاس إشارة إلى أن ماهنا بيان للغاية وما فى الأعراف بيان للمبدأ فان مبدأ خروج الماء الرشح الذى هو الانبجاس ثم إذا قوى سمى انفجارا وقيل معناهما واحد (قوله اثنتا) فاعل انفجرت مرفوع بالألف لأنه ملحق بالمثنى وعشرة بمنزلة النون فى المثنى (قوله قد علم كلّ أناس) أى فكانت كلّ عين تأتى لقبيلة وأعظم من هذه المعجزة نبع الماء من أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(قوله من رزق الله) تنازعه كل من كلوا واشربوا فأعمل الأخير وأضمر فى الأول وحذف والمراد بالرزق المرزوق وهو بالنسبة للأكل المنّ والسلوى (قوله مؤكدة لعاملها) وحكمة ذلك عظم بلادتهم فنزلوا منزلة الساهى والغافل (قوله من عثى) أى والمصدر عثيا بضم العين وكسرها (قوله وإذ قلتم) أى واذكروا إذ قالت أصولكم (قوله أى نوع منه) جواب عن سؤال كيف يقولون واحد مع أنهما اثنان فأجاب بأن المراد وحدة النوع الذى هو الطعام المستلذ (قوله شيئا) قدره إشارة إلى أن مفعول يخرج محذوف (قوله مما تنبت الأرض) بيان لذلك الشىء (قوله للبيان) أى بيان ما تنبته الأرض (قوله بقلها) هو مالا ساق له كالكرات والفجل والملوخية وشبهها (قوله وقثائها) هى الخضراوات كالبطيخ والخيار وغير ذلك (قوله حنطتها) وقيل هو الثوم لأن الثاء تقلب فاء فى اللغة والأقرب ماقاله المفسر (قوله قال لهم موسى) وقيل القائل الله على لسان موسى (قوله بالذى هو خير) الباء داخلة على المتروك (قوله للانكار) أى التوبيخى (قوله فدعا الله) أشار بذلك إلى أن قوله اهبطوا مرتب على محذوف (قوله اهبطوا) يطلق الهبوط على النزول من أعلى لأسفل وعلى الانتقال من مكان لمكان وهو المراد. إن قلت ظاهر الآية أنهم متمكنون من الانتقال مع أن الأمر ليس كذلك. أجيب بأن ذلك على سبيل التوبيخ واللوم عليهم فى ذلك تقدير الكلام إن مطلوبكم يكون فى الأمصار فان كنتم متمكنين منها فلكم ماسألتم

(كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللهِ وَلاَ تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ) حال مؤكدة لعاملها من عثى بكسر المثلثة أفسد (وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ) أى نوع منه (وَاحِدٍ) وهو المنّ والسلوى (فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا) شيئا (مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ) للبيان (بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا) حنطتها (وَعَدَسِهَا، وَبَصَلِهَا قَالَ) لهم موسى (أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى) أخس (بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ) أشرف أى أتأخذونه بدله والهمزة للإنكار فأبوا أن يرجعوا فدعا الله تعالى فقال تعالى (اهْبِطُوا) انزلوا (مِصْرًا) من الأمصار (فَإِنَّ لَكُمْ) فيه (مَا سَأَلْتُمْ) من النبات (وَضُرِبَتْ) جعلت (عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ) الذل والهوان (وَالْمَسْكَنَةُ) أى أثر الفقر من السكون والخزى فهى لازمة لهم وإن كانوا أغنياء لزوم الدرهم المضروب لسكته (وَبَاءُوا) رجعوا (بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ ذَلِكَ) أى الضرب والغضب (بِأَنَّهُمْ) أى بسبب أنهم (كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ) كزكريا ويحيى (بِغَيْرِ الْحَقِّ) أى ظلما (ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ) يتجاوزون الحد فى المعاصى وكرره للتأكيد (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا) بالأنبياء من قبل، (والذين

وإلا فاصبروا على حكم الله (قوله مصرا) بالتنوين لجمهور القراء ولم يقرأ بعدمه إلا الحسن وأبىّ للعلمية والتأنيث ونظيرها يجوز فيه الصرف وعدمه لأنه اسم ثلاثى ساكن الوسط (قوله عليهم) أى على ذرياتهم إلى يوم القيامة وكل من نحا نحوهم (قوله أى أثر الفقر) أى القلبى ولو كثرت أمواله قال عليه الصلاة والسلام «الفقر سواد الوجه فى الدارين» (قوله لزوم الدرهم الخ) الكلام على القلب أى لزوم السكة للدرهم والمراد بالسكة أثرها لأن السكة اسم للحديدة المنقوشة يضرب عليها الدراهم فكذلك لايخلو يهودى من آثار الفقر قال المفسرون مبدأ زيادة الذلة والغضب من وقت إشاعتهم قتل عيسى (قوله بآيات الله) أى المعجزات التى أتى بها موسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم (قوله كزكريا) أى بالنشر حين أوى إلى شجرة الأثل فانفتحت له فدخلها فنشروها معه (قوله ويحيى) أى قتلوه على كلمة الحق ورد أنهم قتلوا فى يوم واحد سبعين نبيا وأقاموا سوقهم (قوله بغير الحق) من المعلوم أن قتل الأنبياء لا يكون إلا بغير الحق وإنما ذكره إشارة إلى أن اعتقادهم موافق للواقع فهم يعتقدون أنه بغير الحق كما هو الواقع (قوله بما عصوا) أصله عصيوا تحركت الياء وانفتح ماقبلها قلبت ألفا ثم حذفت لالتقاء الساكنين وبقيت الفتحة لتدل عليها (قوله وكرره) أى اسم الاشارة وهو لفظ ذلك قال بعضهم وفى تكرير الاشارة قولان: أحدهما أنه مشار به إلى ما أشير إليه بالأول على سبيل التأكيد. والثانى أنه مشار به إلى الكفر وقتل الأنبياء على معنى أن ذلك بسبب عصيانهم واعتدائهم لأنهم انهمكوا فيها ومامصدرية والباء للسببية وأصل يعتدون يعتديون استثقلت الضمة على الياء فحذفت فالتقى ساكنان حذفت الياء لالتقائهما وضمت الدال لمناسبة الواو (قوله إن الذين آمنوا) هذه الآية معترضة بين قصص بنى إسرائيل (قوله من قبل) أى قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم كبحيرا الراهب وأبى ذر الغفارى وورقة بن نوفل وسلمان الفارسى وقس بن ساعدة وغيرهم ممن آمن بعيسى

(وَالَّذِينَ هَادُوا) هم اليهود (وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ) طائفة من اليهود أو النصارى (مَنْ آمَنَ) منهم (بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) فى زمن نبينا (وَعَمِلَ صَالِحًا) بشريعته (فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ) أى ثواب أعمالهم (عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) روعى فى ضمير آمن وعمل لفظ من ،وفيما بعده معناها (وَ) اذكر (إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ) عهدكم بالعمل بما فى التوراة (وَ) قد (رَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ) الجبل اقتلعناه من أصله عليكم لما أبيتم قبولها وقلنا (خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ) بجد واجتهاد (وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ) بالعمل به (لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) النار أو المعاصى (ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ) أعرضتم (مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ) الميثاق عن الطاعة (فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ) لكم بالتوبة أو تأخير العذاب (لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ) الهالكين (وَلَقَدْ) لام قسم (عَلِمْتُمُ) عرفتم (الَّذِينَ اعْتَدَوْا) تجاوزوا الحد (مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ) بصيد السمك وقد نهيناهم عنه ،

ولم يغير ولم يبدل حتى أدرك محمدا وآمن به وأما من آمن بعيسى وأدرك محمدا ولم يؤمن به فذلك مخلد فى النار لقوله تعالى ـ ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين ـ والذين اسم إن وآمنوا صلته والذين معطوف عليه وهادوا صلته (قوله هم اليهود) من هاد إذا رجع سموا بذلك لرجوعهم من عبادة العجل على أنه عربى وأما على أنه عبرانى فعرب فأصله يهوذا اسم أكبر أولاد يعقوب فأبدلت المعجمة مهملة (قوله والنصارى) جمع نصرى والياء للمبالغة كأحمرى سموا بذلك لأنهم نصروا عيسى على كلمة الحق كما سمى الأنصار أنصارا لنصرته صلى الله عليه وسلم وقيل نسبة لناصرة قرية بالشأم (قوله والصابئين) أى المائلين عن دينهم (قوله أو النصارى) إشارة إلى تنويع الخلاف أى صبأوا عن دينهم وعبدوا النجوم والملائكة وقيل فرقة ادّعوا أنهم على دين صابئ بن شيث بن آدم والأرجح ما قاله المفسر (قوله من) اسم موصول مبتدأ وآمن صلته والعائد محذوف قدره المفسر بقوله منهم وبالله متعلق بآمن وقوله فلهم أجرهم خبر المبتدإ وقرن بالفاء لما فى المبتدإ من العموم ويصح أن يكون من اسم شرط مبتدأ وآمن فعل الشرط وقوله فلهم أجرهم جواب الشرط وخبر المبتدإ فيه خلاف قيل فعل الشرط وقيل جوابه وقيل هما والجملة خبر إن ويصح أن يكون من بدلا من اسم إنّ وجملة فلهم أجرهم خبر إن (قوله أجرهم) فى الأصل مصدر بمعنى الايجار والمراد به هنا الثواب وهو مقدار من الجزاء أعدّه الله لعباده فى نظير أعمالهم الحسنة بمحض الفضل (قوله ولا خوف عليهم) أى فى الآخرة (قوله ميثاقكم) الخطاب لبنى إسرائيل (قوله وقد رفعنا) قدر المفسر لفظ قد إشارة إلى أنّ الجملة حالية (قوله الطور) فى الأصل اسم لكل جبل لكن المراد به هنا جبل معروف بفلسطين (قوله وقلنا خذوا) قدره المفسر إشارة إلى أن خذوا مقول لقول محذوف . وحاصل ذلك أن الله لما آتى موسى التوراة وأمرهم بالسجود شكرا لله أبوا من قبول التوراة ومن السجود فرفع الله جبل الطور فوق رءوسهم كأنه سحابة قدر قامتهم وكان على قدرهم فسجدوا على نصف الجبهة الايسر فصار ذلك فيهم إلى الآن ثم لما رفع عنهم أبوا (قوله لعلكم تتقون) الترجى بالنسبة للمخاطبين (قوله الميثاق) أشار بذلك إلى مرجع اسم الاشارة وقال البيضاوى إنه راجع لرفع الجبل وإيتاء التوراة (قوله فلولا فضل الله) لو حرف امتناع لوجود أى امتنع خسرانكم لوجود فضل الله ورحمته وجوابها يقترن باللام غالبا إن كان مثبتا فان كان منفيا بما فالغالب الحذف أو بغيرها فالواجب الحذف وتختص بالجمل الاسمية ومدخولها المبتدأ يجب حذف خبره لاغناء جوابها عنه، قال ابن مالك * وبعد لولا غالبا حذف الخبر * حتم (قوله بالتوبة) هذا فى حق المؤمنين وقوله أو تأخير العذاب فى حق الكافرين (قوله الهالكين) أى فى الدنيا والآخرة (قوله عرفتم) أى فتنصب مفعولا واحدا والعلم والمعرفة قيل مترادفان ولكن يقال فى الله عالم لا عارف لأن أسماءه توقيفية وقيل العلم أوسع دائرة من المعرفة لتعلقه بالجزئيات والكليات والبسائط والمركبات بخلاف المعرفة فلذلك يقال فى الله عالم لعموم ما تعلق به علمه لا عارف لأنه يوهم القصور والمعتمد الأول وقوله لام قسم أى محذوف تقديره والله لقد عرفتم (قوله الذين) مفعول علمتم واعتدوا صلته وأصله اعتديوا تحركت الياء وانفتح ما قبلها قلبت ألفا ثم حذفت لالتقاء الساكنين (قوله منكم) جار ومجرور متعلق بمحذوف حال من فاعل اعتدوا (قوله فى السبت) هو لغة القطع وهو أصل وضعه لأنه ورد أن الدنيا ابتدئت بالأحد وختمت بالجمعة فكان يوم السبت يوم انقطاع عمل خصت اليهود به لقطعهم عن رحمة الله أو مأخوذ من السبوت وهو السكون لأن بانقطاع العمل السكون

(قوله وهم أهل أيلة) حاصله أن سبعين ألفا من قوم داود كانوا بقرية تسمى أيلة عند العقبة فى أرغد عيش فامتحنهم الله بأن حرم عليهم اصطياد السمك يوم السبت وأحل لهم باقى الجمعة فاذا كان يوم السبت وجدوا السمك بكثرة على وجه الماء وفى باقيها لم يجدوا شيئا ، ثم إن إبليس علمهم حيلة يصطادون بها فقال لهم اصنعوا جداول حول البحر فاذا جاء السمك نزل فى الجداول فسدوا عليه وخذوه فى غير يوم السبت فافترقوا ثلاث فرق فاثنا عشر ألفا فعلوا ذلك واصطادوا وأكلوا فمسخوا قردة ومكثوا ثلاثة أيام لم يأكلوا ولم يشربوا ثم ماتوا، وأما ما وجد من القردة الآن فلم يكونوا من ذريتهم بل خلق آخر، وقيل مسخت شبابهم قردة وشيوخهم خنازير . وقيل الذين مسخوا خنازير أهل المائدة وفرقة نهوهم وجعلوا بينهم سدا وفرقة أنكروا بقلوبهم ولم يتعرضوا لهم فمن نهى نجا وكذا من لم ينه على المعتمد (قوله فقلنا) المراد بالقول تعلق الإرادة (قوله مبعدين) أى عن رحمة الله (قوله نكالا) هو فى الأصل القيد الحديد أطلق وأريد لازمه وهو المنع لأن القيد ممنوع فكذا تلك العقوبة مانعة (قوله مثل ما عملوا) المماثلة فى مطلق المخالفة (قوله واذكروا) أى يا بنى إسرائيل (قوله قتيل) اسمه عاميل (قوله بقرة) واحدة البقر

وهم أهل أيلة (فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ) مبعدين فكانوها وهلكوا بعد ثلاثة أيام (فَجَعَلْنَاهَا) أى تلك العقوبة (نَكَالاً) عبرة مانعة من ارتكاب مثل ما عملوا (لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا) أى للأمم التى فى زمانها وبعدها (وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ) الله وخصوا بالذكر لأنهم المنتفعون بها بخلاف غيرهم (وَ) اذكر (إِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ) وقد قتل لهم قتيل لايدرى قاتله وسألوه أن يدعو الله أن يبينه لهم فدعاه (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً) مهزوءا بنا حيث تجيبنا بمثل ذلك (قَالَ أَعُوذُ) أمتنع (بِاللَّهِ) من (أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ) المستهزئين فلما علموا أنه عزم (قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ) أى ماسنها (قَالَ) موسى (إِنَّهُ) أى الله (يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ) مسنة (وَلَا بِكْرٌ) صغيرة (عَوَانٌ) نصف (بَيْنَ ذَلِكَ) المذكور من السنين (فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ) به من ذبحها (قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا) شديد الصفرة (تَسُرُّ النَّاظِرِينَ) إليها بحسنها أى تعجبهم (قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ) أسائمة أم عاملة (إِنَّ الْبَقَرَ) أى جنسه المنعوت بما ذكر (تَشَابَهَ عَلَيْنَا) لكثرته فلم نهتد إلى المقصودة (وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ) إليها فى الحديث «لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الأبد» (قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ) غير مذللة بالعمل (تُثِيرُ الْأَرْضَ) تقلبها للزراعة والجملة صفة ذلول ،

يفرق بين مذكره ومؤنثه بالوصف تقول بقرة أنثى وبقرة ذكر فالتاء للوحدة وقيل للتأنيث فالأنثى بقرة والذكر ثور وسمى البقر بقرا لأنه يبقر الأرض بحافره : أى يشقها . وأول القصة قوله فيما يأتى وإذ قتلتم نفسا ــ الآية (قوله مهزوءا بنا) أشار بذلك إلى أنه مصدر بمعنى اسم المفعول ويصح أن يبقى على مصدريته مبالغة أو على حذف مضاف : أى ذوى هزء على حد ما قيل فى زيد عدل والهزؤ هو الكلام الساقط الذى لا معنى له (قوله من الجاهلين) أى المبلغين عن الله الكذب (قوله أنه عزم) أى مفروض وحق لا هزل فيه (قوله أى ماسنها) أى فما واقعة داخلة على الأوصاف وقولهم إن ما يسئل بها عن الماهية والحقيقة أغلبى (قوله لا فارض) من الفرض وهو القطع سميت بذلك لقطعها عمرها (قوله نصف) بالتحريك يقال للمرأة والبقرة . قال الشاعر :

وإن آتوك وقالوا إنها نصف   قل إن أحسن نصفيها الذى ذهبا

وكرر لا لوقوع النعت بعدها وكذا إذا وقع بعدها الحال والخبر (قوله به) هو عائد الموصول وقوله من ذبحها بيان لما (قوله قال) أى موسى وقوله إنه : أى الله (قوله فاقع) صفة لصفراء وهو مبالغة فى الصفرة يقال أحمر قانى وأسود حالك وأبيض ناصع وأصفر فاقع (قوله بحسنها) أى لجمال خلقتها وحيث شددوا شدد عليهم إذ لو أتوا أولا بأى بقرة لكفت ثم لو أتوا بما فى السؤال الثانى لكفت ثم ما فى الثالث لكفت ولكن شددوا فشدد عليهم (قوله أسائمة) أى متروكة فى الجبال ترعى من كلئها (قوله أم عاملة) أى يعلفها ربها ويشغلها (قوله إن البقر) تعليل للأسئلة الثلاثة (قوله لو لم يستثنوا) أى بالمشيئة (قوله آخر الأبد) أى إلى انقضاء الدنيا (قوله لا ذلول) من الذلة وهى السهولة بل فيها الصعوبة

(قوله داخلة فى النفى) أى فالمعنى ليست مذللة لعمل ولامثيرة للأرض (قوله الأرض المهيأة الخ) المناسب أن يقول الحرث : أى الزرع لأن الحرث يطلق على الزرع (قوله الآن) ظرف زمان للوقت الحاضر (قوله جئت بالحق) أى بصفات البقرة التى لاتحقق ولا تلتبس فلا تنافى بين الآية وقول المفسر فطلبوها (قوله نطقت بالبيان التام) جواب عن سؤال ورد على الآية وهو أن ظاهر مفهوم الآية يقتضى أنهم كفار ، فأجاب المفسر بأن فيه حذف النعت مع بقاء المنعوت وهو جائز لقول ابن مالك :

وما من المنعوت والنعت عقل   يجوز حذفه وفى النعت يقل

(قوله فطلبوها) أى بحثوا عنها (قوله عند الفتى البار بأمه) وحاصل ذلك أن أبا الفتى المذكور كان رجلا صالحا من بنى إسرائيل قد حضرته الوفاة وكانت عنده بقرة قد ولدت أنثى فأخذ تلك الأنثى ووضعها فى غيضة وأوصى أم الغلام أن تعطيه تلك البقرة حين يكبر ومات ، ثم إن الولد صار يحتطب و يبيع الحطب و يقسم ثمنه أثلاثا يصرف ثلثه على نفسه والثلث الآخر على أمه والثلث الآخر يتصدق به و يقسم ليله أثلاثا ينام ثلثه و يخدم أمه ثلثه و يقوم لطاعة الله ثلثه ، فلما كبر الغلام قالت له أمه اذهب إلى الغيضة الفلانية فان فيها بقرة تركها لك أبوك وأوصانى إذا كبرت أن أعطيها لك وأقسم عليها بابراهيم الخليل واسحاق و يعقوب فانها تأتى لك طائعة ففعل كما أمرته ، فجاءت له طائعة وقالت له اركب على ظهرى ، فقال لها إن أمى لم تأمرنى بالركوب ، فقالت له لو ركبت على ظهرى ماقدرتنى إلى الأبد ، فأخذها وذهب إلى أمه فقالت له اذهب إلى السوق فبعها بثلاثة دنانير على مشورتى فذهب فأتاه ملك على صورة رجل وقال له بكم تبيعها فقال بثلاثة دنانير على مشورة أمى فقال له بعها لى بستة دنانير من غير مشورة فقال لا ثم ذهب إلى أمه وأخبرها بذلك فقالت له بعها بستة على مشورتى فذهب فأتاه ثانيا وأعطاه فيها اثنى عشر على غير مشورة فأبى فذهب إلى أمه وأخبرها فقالت له إن هذا ملك من عند الله فاذهب إليه واقرئه السلام وقل له أنبيع البقرة أم لا فذهب إليه وأخبره بذلك ، فقال له إن بنى إسرائيل يقتل لهم قتيل و يتوقف بيان قاتله على تلك البقرة فلا تبعها إلا بملء مسكها ذهبا ففعل ما أمر به والفتى هو الشاب السخى ، ولاشك أنه كان كذلك (قوله مسكها) بفتح الميم الجلد (قوله فذبحوها) مرتب على محذوف قدره المفسر بقوله فطلبوها الخ (قوله وما كادوا يفعلون) أى ماقاربوا الفعل (قوله لغلاء ثمنها) أى أو للتعنت فى أوصافها (قوله فيه إدغام التاء فى الأصل الخ) أى أصله تدارأتم قلبت التاء دالا وأدغمت فيها وأتى بهمزة الوصل توصلا للنطق بالساكن (قوله أى تخاصمتم) أى اتهم بعضكم بعضا (قوله وهذا اعتراض) أى جملة معترضة بين المعطوف وهو فقلنا اضربوه الخ والمعطوف عليه وهو فذبحوها (قوله وهو أول القصة) وإنما أخره ليوصل قبائح بنى إسرائيل بعضها ببعض (قوله فقلنا) معطوف على فذبحوها والقائل الله على لسان موسى (قوله بلسانها) أى لأنه محل الكلام (قوله أو عجب ذنبها) إشارة لتنويع الخلاف والحكمة فى ذلك أنه محل حياة ابن آدم ، وقيل ضربوه بفخذها اليمنى ، وقيل بقطعة لحم منها (قوله فحيى) ورد أنه قام وأوداجه تشخب دما (قوله ومات) أى سريعا بلا مهلة (قوله فحرما الميراث) أى لأن القاتل لايرث من تركة المقتول شيئا حق فى شرع موسى وسبب قتله إياه أن المقتول كان غنيا والقاتل كان فقيرا فلما طال عمر المقتول قتله ليرثه ، وقيل غير ذلك (قوله كذلك) هذه الجملة معترضة بين قصص بنى إسرائيل ردا على منكرى البعث فان بنى إسرائيل لم يكونوا منكرين له ، فالخطاب لمشركى العرب المنكرين للبعث .

داخلة فى النفى (وَلَا تَسْقِى الْحَرْثَ) الأرض المهيأة للزراعة (مُسَلَّمَةٌ) من العيوب وآثار العمل (لَا شِيَةَ) لون (فِيهَا) غير لونها (قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ) نطقت بالبيان التام فطلبوها فوجدوها عند الفتى البار بأمه فاشتروها بملء مسكها ذهبا (فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ) لغلاء ثمنها وفى الحديث «لو ذبحوا أى بقرة كانت لأجزأتهم ولكن شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم» (وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ) فيه إدغام التاء فى الأصل فى الدال أى تخاصمتم وتدافعتم (فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ) مظهر (مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ) من أمرها وهذا اعتراض وهو أول القصة (فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ) أى القتيل (بِبَعْضِهَا) فضرب بلسانها أو عجب ذنبها فحيى وقال قتلنى فلان وفلان لابنى عمه ومات فحرما الميراث وقتلا قال تعالى (كَذَلِكَ) الإحياء (يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ) دلائل قدرته (لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) تتدبرون فتعلمون أن القادر على إحياء نفس واحدة قادر على إحياء نفوس كثيرة فتؤمنون .

(قوله ثم قست قلوبكم) نزل استبعاد قسوة قلوبهم لظهور الخوارق للعادات العظيمة منزلة التراخى فأتى بثم وأكده بالظرف بعده (قوله أيها اليهود) دفع بذلك مايقال إنه خطاب لغير بنى إسرائيل كالذى قبله (قوله صلبت عن قبول الحق) أشار بذلك إلى أن فى قست استعارة تصريحية تبعية حيث شبه عدم الاذعان بالقسوة بجامع عدم قبول التأثير فى كل واستعير اسم المشبه به للمشبه واشتق من القساوة قست بمعنى لم تذعن فلم تقبل المواعظ ولم تؤثر فيها (قوله فهى كالحجارة) لم يشبههم بالحديد لوجود اللين فيه فى الجملة (قوله أو أشدّ) هـذا ترق فى ذكر قسوتهم فأو بمعنى بل (قوله فيه إدغام التاء الخ) أى فأصله يتشقق أبدلت التاء شينا ثم أدغمت فيها (قوله فيخرج منه الماء) أى أنهارا أو غيرها كالعيون فهو من عطف العام على الخاص (قوله ينزل من علو إلى سفل) أى كجبل الطور وورد مامن حجر يسقط من علو إلى سفل إلا من خشية الله (قوله من خشية الله) أخذ أهل السنة من ذلك ومن قوله تعالى ـ وإن من شىء إلايسبح بحمده ـ ومن قوله تعالى ـ ألم تر أنّ الله يسبح له من فى السموات والأرض ـ الآية أن كل شىء يعرف الله ويسبحه ويخشاه إلا الكافر من الانس والجنّ (قوله وما الله بغافل) مانافية ولفظ الجلالة اسمها وبغافل خبرها وقوله عما تعملون يحتمل أن ما اسم موصول وتعملون صلته والعائد محذوف أى عن الذى تعملونه ويحتمل أنها مصدرية تسبك مع مابعدها بمصدر أى عن عملكم (قوله أفتطمعون) سيأتى للمفسر أن الهمزة للانكار فيحتمل أنها مقدّمة من تأخير والأصل فأتطمعون قدمت لأن لها الصدارة وهومذهب الجمهور وقال الزمخشرى إن الهمـــزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف التقدير أتسمعون كلامهم وتعـــرفون أحوالهـــم فتطمعون الخ أى لا يكون منكم ذلك. واعلم أن الهمزة لاتدخل إلا على ثلاثة من حـــروف العطف الواو والفاء وثم (قوله أن يؤمنوا) اى يستبعد ذلك منهم لافتراقهم أربع فرق في كل فرقة صفة مانعة له (بما) من الايمان: الأوّل كونهم يحرفون كلام الله. الثانى النفاق. الثالث التوبيخ من غير المنافق للمنافق على ملاطفة المسلمين. الرابع كونهم أميين لايعلمون الكتاب إلا أمانى فهذه يستبعد معها الايمان لرسوخ الكفر فى قلوبهم (قوله وقد كان فريق) الجملة حالية وقد قربت الماضى من الحال والمراد من كان بالنسبة لأن هذا الكلام فيمن كان موجودا زمن النبى لافيمن كان قبلهم (أحبارهم) علماؤهم جمع حبر بالكسر ويقال بالفتح وجمعه حبور كفلس وفلوس (قوله من بعد ماعقلوه) أى من بعد تعقلهم إياه وتحريفهم فى الكلام كأوصاف النبي من كونه أكحل العينين جعد الشعر فغيروه إلى أزرق العينين سبط الشعر وآية الرجم غيروها إلى الجلد وغير ذلك (قوله وهم يعلمون) الجملة حالية من فاعل يحرفون (قوله أنهم مفترون) أشار بذلك إلى ان مفعول يعلمون محذوف والافتراء هو الكذب الذى لا شك فيه (قوله للانكار) أى الاستبعادى (قوله أى لاتطمعوا) عبر بالطمع دون الرجاء إشارة إلى فقد أسباب الايمان منهم وعدم قابليتهم له (قوله فلهم سابقة فى الكفر) أى كفر سابق قبل دعوة النبي صلى الله عليه وسلم إياهم للايمان وهذه الجملة علة لقوله لا تطمعوا (قوله وإذا لقوا) شروع فى ذكر الفرقة الثانية وهم المنافقون ورئيسهم عبد الله ابن سلول (قوله وإذا خلا) شروع فى الفرقة الثالثة وهم الموبخون للمنافقين .

(ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ) أيها اليهود صلبت عن قبول الحق (مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ) المذكور من إحياء القتيل وما قبله من الآيات (فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ) فى القسوة (أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً) منها (وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ) فيه إدغام التاء فى الأصل فى الشين (فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ) ينزل من علو الى أسفل (مِنْ خَشْيَةِ اللّٰهِ) وقلوبكم لا تتأثر ولا تلين ولا تخشع (وَمَا اللّٰهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) وإنما يؤخركم لوقتكم وفى قراءة بالتحتانية وفيـــه التفات عن الخطاب (أَفَتَطْمَعُونَ) أيها المؤمنون (أَنْ يُؤْمِنُوا) أى اليهود (لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ) طائفة (مِنْهُمْ) أحبارهم (يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللّٰهِ) فى التوراة (ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ) يغيّرونه (مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ) فهموه (وَهُمْ يَعْلَمُونَ) أنهم مفترون والهمزة للانكار أى لا تطمعوا فلهم سابقة فى الكفر (وَإِذَا لَقُوا) أى منافقو اليهود (الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا) بأن محمداً نبىّ وهو المبشر به فى كتابنا (وَإِذَا خَلَا) رجع (بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا) أى رؤساؤهم الذين لم ينافقوا لمن نافق (أَتُحَدِّثُونَهُمْ) أى المؤمنين ،

(بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ) أى عرفكم فى التوراة من نعت محمد (لِيُحَاجُّوكُمْ) ليخاصموكم واللام للصيرورة (بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ) فى الآخرة ويقيموا عليكم الحجة فى ترك اتباعه مع علمكم بصدقه (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) أنهم يحاجونكم إذا حدثتموهم فتنتهوا قال تعالى (أَوَلَا يَعْلَمُونَ) الاستفهام للتقرير والواو الداخلة عليها للعطف (أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ) ما يخفون ومايظهرون من ذلك وغيره فيرعووا عن ذلك (وَمِنْهُمْ) أى اليهود (أُمِّيُّونَ) عوام (لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ) التوراة (إِلَّا) لكن (أَمَانِيَّ) أكاذيب تلقوها من رؤسائهم فاعتمدوها (وَإِنْ) ما (هُمْ) فى جحد نبوة النبى وغيره مما يختلقونه (إِلَّا يَظُنُّونَ) ظناً ولا علم لهم (فَوَيْلٌ) شدة عذاب (لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ) أى مختلقاً من عندهم (ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا) من الدنيا وهم اليهود غيروا صفة النبى فى التوراة وآية الرجم وغيرهما وكتبوها على خلاف ما أنزل (فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ) من المختلق (وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ) من الرشا (وَقَالُوا) لما وعدهم النبى النار (لَنْ تَمَسَّنَا) تصيبنا (النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً) قليلة أربعين يوما مدة عبادة آبائهم العجل ثم تزول (قُلْ) لهم يا محمد (أَتَّخَذْتُمْ) حذفت منه همزة الوصل ،

(قوله بما فتح الله عليكم) ما اسم موصول والجملة فتح صلته والعائد محذوف التقدير بالذى فتح الله عليكم به وماواقعة على اوصاف محمد صلى الله عليه وسلم (قوله من نعت محمد) بيان لما (قوله واللام للصيرورة) أى عاقبة أمرهم أنهم يحاجونكم عند ربكم والفعل منصوب بأن مضمرة بعدها (قوله فى الآخرة) إشارة إلى معنى العندية وهومتعلق بيحاجوكم (قوله أنهم يحاجونكم) أشار بذلك إلى مفعول تعقلون وأنه من كلام الرؤساء الذين لم ينافقوا (قوله الاستفهام للتقرير) أى على سبيل التوبيخ حيث اعتقدوا أن المنافق يؤاخذ والكافر الأصلى لاحجة عليه وله عذر قائم عند ربه وهذه الجملة حالية (قوله الداخل) نعت سببى للواو فكان عليه أن يظهرفاعله ويقول والواو الداخل الاستفهام عليها للعطف لوجود اللبس (قوله للعطف) أى على محذوف تقديره أيلومونهم ولا يعلمون وتقدم أن هذا مذهب الزمخشرى (قوله أن الله يعلم) هذه الجملة سدت مسد مفعولى يعلمون إن كانت على بابها أو مفعولها إن كانت بمعنى يعرفون (قوله فيرعوو) أى فينكفوا وينزجروا وهو مرتب على قوله أو لايعلمون كما أن قوله فتنتهوا مرتب على قوله أفلا تعقلون (قوله ومنهم) شروع فى ذكر الفرقة الرابعة (قوله أميون) أى منسوبون للأم لعدم انتقالهم عن حقيقتهم الأصلية التى ولدتهم عليها قال تعالى - والله أخرجكم من بطون (٣٧) أمهاتكم لاتعلمون شيئا - والأمى هو من لايقرأ ولا يكتب (قوله إلا لكن أمانى) أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع والأمانى جمع أمنية وهو مايتمناه الشخص ويطلق على القراءة وعلى الأكاذيب وهو المراد هنا (قوله فاعتمدوها) أى ثبتوا عليها ورسخت فى قلوبهم (قوله ماهم) أشار بذلك إلى أن إن نافية بمعنى ما والغالب وقوعها بعد إلا التى بمعنى لكن وهل تعمل عمل ما الحجازية فتنصب الاسم وترفع الخبر أو لاعمل لها فما بعده مبتدأ وخبر خلاف بين الجمهور وسيبويه فاختار سيبويه الاول مستدلا بقول الشاعر :

إن هو مستوليا على أحد ... إلا على أضعف المجانين

واختار الجمهور الثانى (قوله ولا علم لهم) أى ليس عندهم جزم مطابق للواقع وإنما أخر الأميون لأنهم أقرب للايمان بخلاف من قبلهم فانهم ضلوا وأضلوا أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم (قوله فويل) شروع فى ذكر مايستحقونه (قوله شدة عذاب) وقيل واد فى جهنم لو سيرت فيه جبال الدنيا لانماعت من حره (قوله الكتاب) أى المكتوب (قوله بأيديهم) دفع بذلك مايتوهم أن المراد أملوه لغيرهم (قوله ليشتروا)علة لقوله يكتبون (قوله غيروا صفة النبى) أى من كونه ربعة جعد الشعر أكحل العينين فغيروها وقالوا طويل سبط الشعر أزرق العينين (قوله وآية الرجم) أى غيروه إلى الجلد (قوله وغيرهما) أى كقولهم لن تمسنا النار إلا أياما معدودة وكدعواهم أنهم من أهل الجنة (قوله من الرشا) بكسر الراء وضمها جمع رشوة بتثليث الراء وهو من باب تقديم السبب على المسبب لأن أخذ الرشوة سبب للتبديل وقوله مما كتبت يحتمل أن ما اسم موصول وكتبت صلتها والعائد محذوف أى كتبته ويحتمل أن ما مصدرية التقدير من كتبهم وكذا قوله مما يكسبون (قوله أربعين يوما) وقيل سبعة أيام وقوله قليلة تفسير باللازم لمعدودة لأن معنى المعدودة التى يسهل عدها وشأن القليلة سهولة عدها

(قوله استغناء بهمزة الاستفهام) أى لأنه يحصل بها التوصل للنطق بالساكن مع إفادة المراد من الاستفهام وفى أتخذتم قراءتان سبعيتان الأولى بالفك والثانية بالادغام وطريقته أن تقلب الذال دالا ثم تاء وتدغمها فى التاء وهذا الاستفهام يحتمل أن يكون تقريريا فتكون الجملة إنشائية وأم متصلة معادلة للهمزة التى لطلب التعيين التقدير أتخذتم عند الله عهدا أم لم تتخذوا ويحتمل أن يكون إنكاريا بمعنى النفى فتكون الجملة خبرية وأم منقطعة بمعنى بل التقدير لم تتخذوا عند الله عهدا بل تقولون على الله مالا تعلمون وهذا هو الأقرب ولذا اختاره المفسر (قوله فلن يخلف الله عهده) هذه الجملة فى محل جزم جواب الاستفهام وقيل إنها جواب شرط مقدّر تقديره ان اتخذتم فلن يخلف الله عهده وقرن بالفاء لوجود لن فى حيزه (قوله بل تقولون) أشار بذلك إلى أنها منقطعة والاضراب انتقالى (قوله بلى) هو حرف جواب للنفى لكنه يصير إثباتا. وأما نعم وجير وأجل وأى فلتقرير ماقبلها إثباتا أونفيا (قوله تمسكم) ردّ لقولهم لن تمسنا وقوله وتخلدون فيها ردّ لقولهم إلا أياما معدودة (قوله من كسب) يحتمل أن تكون من شرطية وكسب فعل الشرط وجوابه فأولئك أصحاب النار وأن تكون موصولة وكسب صلتها وقرن خبرها بالفاء لما فى الموصول من معنى العموم ولم يقرن خبر الآتى بعدها بالفاء إشارة إلى أن خلود النار مسبب عن الكفر بخلاف خلود الجنة فلايتسبب عن الايمان بل بمحض فضل الله كذا قاله بعض الأشياخ (قوله سيئة) أصلها سيوئة اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون قلبت الواو ياء وأدغمت فى الياء على حد ماقيل فى سيد وميت (قوله بالافراد) أى باعتبار ذات الشرك وقوله والجمع أى باعتبار أنواعه (قوله وأحدقت به من كل جانب) أى فلم يجد ملجأ للجنة لكفره (قوله وعملوا الصالحات) أي وأما من آمن ولم يعمل

صالحا غير الايمان فخلد فى الجنة أيضا وتحت المشيئة فى الابتداء وقد جرت

استغناء بهمزة الاستفهام (عِنْدَ اللهِ عَهْدًا) ميثاقا منه بذلك (فَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ عَهْدَهُ) به؟ لا (أَمْ) بل (تَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَالاَ تَعْلَمُونَ. بَلَى) تمسكم وتخلدون فيها (مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً) شركا (وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ) بالإفراد والجمع أى استولت عليه وأحدقت به من كل جانب بأن مات مشركا (فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) روعى فيه معنى من (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ. وَ) اذكر (إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ) فى التوراة وقلنا (لاَ تَعْبُدُونَ) بالتاء والياء (إِلاَّ اللهَ) خبر بمعنى النهى وقرئ لاتعبدوا (وَ) أحسنوا (بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) برًّا (وَذِي الْقُرْبَىٰ) القرابة عطف على الوالدين (وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ

وقولوا

عادة الله فى كتابه أنه إذا ذكر آية الكفار وعاقبة أمرهم يتبعها بذكر آية المؤمنين وعاقبة أمرهم (قوله واذكر) أى يا محمد والمناسب للسياق اذكروا ويكون خطابا لبنى إسرائيل الفروع تذكيرا لهم بقبائح أصولهم (قوله وقلنا لاتعبدون) قدّر ذلك إشارة إلى أن جملة لاتعبدون فى محل نصب مقول لقول محذوف وذلك القول فى محل نصب على الحال من فاعل أخذنا التقدير وإذ أخذنا ميثاق بنى إسرائيل حال كوننا قائلين لاتعبدون الخ ويحتمل أن جملة لاتعبدون إلا الله مفسرة للميثاق لامحل لها من الاعراب ولاحذف وهو الأقرب (قوله بالتاء والياء) أى فهما قراءتان سبعيتان ولا التفات فى ذلك على ماقرره المفسر من تقدير القول وعلى الاحتمال الثانى ففيه التفات على قراءة التاء من الغيبة إلى الخطاب فان الاسم الظاهر من قبيل الغيبة (قوله خبر بمعنى النهى) أى فهى جملة خبرية لفظا لعدم جزم الفعل إنشائية معنى لأن القصد النهى عن عبادة غير الله لا الاخبار عنهم بأنهم لايعبدون غير الله والحكمة فى التعبير عن الانشاء بالخبر استبعاد ذلك منهم وتقوية للانشاء كأنه قيل لاينبغى أن تعبدوا غير الله حتى تنهوا عنه بل أخبر عنهم بأنهم لايعبدون إلا الله كأنه لم يقع منهم عبادة لغيره أبدا (قوله وقرئ) أى قراءة شاذة لأن قاعدة المفسر يشير للشاذة بقرئ وللسبعية فى قراءة غالبا (قوله وأحسنوا) قدّر ذلك إشارة إلى أنه من عطف الجمل على جملة لاتعبدون وأتى بحق الوالدين عقب حق الله إشارة إلى أنه آكد الحقوق بعد عبادة الله قال تعالى ـ أن اشكر لى ولوالديك ـ فانهما السبب فى وجود الشخص ويجب برّهما ولوكافرين، وبالجملة فلم يشدّد الله على أمر كتشديده على برّهما (قوله عطف على الوالدين) أى من عطف المفردات وأحسنوا مسلط عليه التقدير وأحسنوا بذى القربى لأن حق القرابة تابع لحق الوالدين والاحسان إليهم إنما هو بواسطتهما (قوله واليتامى) جمع يتيم وهو من الآدميين من فقد أباه ومن غيرهم من فقد أمه (قوله والمساكين) المراد مايشمل الفقراء فان الفقير والمسكين متى اجتمعا افترقا ومتى افترقا اجتمعا.

وَقُولُوا لِلنَّاسِ) قولا (حَسَنًا) من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والصدق فى شأن محمد والرفق بهم ، وفى قراءة بضم الحاء وسكون السين مصدر وصف به مبالغة (وَأَقِيمُوا الصَّلٰوةَ وَآتُوا الزَّكٰوةَ) فقبلتم ذلك (ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ) أعرضتم عن الوفاء به ، فيه التفات عن الغيبة والمراد آباؤهم (إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ) عنه كآبائكم (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ) وقلنا (لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ) تريقونها بقتل بعضكم بعضاً (وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ) لا يخرج بعضكم بعضاً من داره (ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ) قبلتم ذلك الميثاق (وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ) على أنفسكم (ثُمَّ أَنْتُمْ) يا (هٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ) يقتل بعضكم بعضاً (وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَّاهَرُونَ) فيه إدغام التاء فى الأصل فى الظاء ، وفى قراءة بالتخفيف على حذفها : تتعاونون (عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ) بالمعصية (وَالْعُدْوَانِ) الظلم (وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى) وفى قراءة أسرى (تَفْدُوهُمْ)

(قوله وقولوا للناس) أى عموما ومنه الحديث « وخالق الناس بخلق حسن » (قوله قولا حسنا) أشار بذلك إلى أن حسنا بفتحتين صفة مشبهة لموصوف محذوف (قوله والنهى عن المنكر) أى على حسب مراتبه من النهى باليد ثم اللسان ثم القلب (قوله والرفق بهم) أى بالناس بأن يوقر كبيرهم ويرحم صغيرهم (قوله وفى قراءة) أى سبعية (قوله مصدر) أى على غير قياس إن كان فعله أحسن وهو المتبادر وقياسى إن كان فعله حسن كظرف وكرم (قوله وصف به مبالغة) أى أوعلى حذف مضاف على حد ماقيل فى زيد عدل (قوله وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) أى المفروضات عليهم فى ملتهم ومانزل بقارون من الخسف به وبداره سببه منع الزكاة (قوله فقبلتم ذلك) قدّر ذلك لأجل العطف بثم عليه (قوله فيه التفات) وحكمته الاستلذاذ للسامع وعدم الملل منه فان الالتفات من المحسنات للكلام (قوله إلا قليلا منكم)أى من أجدادكم وهو من أقام اليهودية على وجهها قبل النسخ أى ومنكم أيضا وهو من آمن منهم كعبدالله بن سلام وأضرابه (قوله وأنتم معرضون)خطاب للفروع ويلاحظ قوله إلا قليلا هنا كما علمت فتغاير معنى الجملتين فلا تكرار (قوله وإذ أخذنا ميثاقكم) المقدر اذكروا فهو خطاب لبنى إسرائيل وهو معطوف على الجملة الأولى المتعلقة بالله وهذه الجملة متعلقة بحقوق العباد فخانوا كلا من العهدين وهى متضمنة لأربعة عهود : الأوّل لايسفك بعضهم دماء بعض . الثانى لايخرج بعضهم بعضا من ديارهم . الثالث لايتظاهر بعضهم على بعض بالاثم والعدوان . الرابع إن وجد بعضهم بعضا أسيرا فداه ولو بجميع مايملك (قوله ميثاقكم) أى ميثاق آبائكم فى التوراة فان هذا خطاب لقريظة و بنى النضير الكائنين فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله وقلنا لاتسفكون) قدّر القول إشارة إلى أن الجملة فى محل نصب مقول لقول محذوف والجملة حالية من فاعل أخذنا التقدير أخذنا ميثاقكم حال كوننا قائلين ويحتمل أن الجملة لامحل لها من الاعراب تفسير للميثاق وتقدم ذلك فى نظيره (قوله لاتسفكون) مضارع سفك من باب ضرب وقتل: أراق الدم أو الدمع (قوله يقتل بعضكم بعضا) أشار بذلك إلى أنه من إطلاق الملزوم وإرادة اللازم لأنه يلزم من القتل إراقة الدم غالبا والاضافة فى دماءكم لأدنى ملابسة فان دم الأخ كدم النفس أو باعتبار أن من قتل يقتل أى فلاتتسببوا فى قتل أنفسكم بقتالكم غيركم وهنا حذف يعلم مما يأتى أى ظلما وعدوانا (قوله من دياركم) أصله دوار وقعت الواو إثر كسرة قلبت ياء وأسند الاخراج لأنفسهم مع أنهم يخرجون غيرهم لأن المكر السيء لايحيق إلا بأهله (قوله ثم أقررتم) لم يذكر هنا بقية العهود لأن عهد عدم التظاهر بالاثم والعدوان ملاحظ فى العهدين الأولين ، وأما الرابع فقد وفوا به فلم يعاتبهم الرب عليه (قوله على أنفسكم) أشار بذلك إلى أن الجملة مؤكدة لجملة ثم أقررتم لأن الشهادة على النفس هى الاقرار بعينه ويحتمل أن قوله ثم أقررتم خطاب لبنى إسرائيل الأصول وقوله وأنتم تشهدون خطاب للفروع فتغاير معنى الجملتين ولاتأكيد (قوله ثم أنتم هؤلاء) أنتم مبتدأ وجملة تقتلون خبره وهؤلاء منادى وحرف النداء محذوف والجملة معترضة بين المبتدا والخبر (قوله تظاهرون) فى محل نصب على الحال من فاعل تخرجون وهو من باب الحذف من الأوائل لدلائل الأواخر التقدير تقتلون أنفسكم متظاهرين وتخرجون فريقا كذلك (قوله فى الأصل) أى بعد قلبها ظاء (قوله بالتخفيف) أى بحذف التاء الثانية التى ليست للمضارعة ولم تحذف التى للمضارعة لأنه أتى بها لمعنى (قوله بالإثم) يجمع على آثام (قوله وفى قراءة أسرى) أى بالامالة وهى لحمزة وكل منهما جمع لأسير .

وفى قراءة تفادوهم : تنقذوهم من الأسر بالمال أو غيره وهو مما عهد إليهم (وَهُوَ) أى الشأن (مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ) متصل بقوله وتخرجون والجملة بينهما اعتراض أى كما حرم ترك الفداء،وكانت قريظة حالفوا الأوس والنضير الخزرج فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه ويخرب ديارهم ويخرجهم فاذا أسروا فدوهم وكانوا إذا سئلوا لم تقاتلونهم وتفدونهم قالوا أمرنا بالفداء فيقال فلم تقاتلونهم فيقولون حياء أن تستذل حلفاؤنا، قال تعالى (أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ) وهو الفداء (وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ) وهو ترك القتل والإخراج والمظاهرة (فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ) هوان وذل (فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) وقد خزوا بقتل قريظة ونفى النضير إلى الشام وضرب الجزية (وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ) بالياء والتاء (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ) بأن آثروها عليها (فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ) يمنعون منه (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ) التوراة (وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ) أى أتبعناهم رسولا فى أثر رسول (وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ،

البينات

(قوله وفى قراءة تفادوهم) الحاصل أن القراآت خمس أسرى بالامالة مع تفدوهم فقط أسارى بالأمالة وعدمها مع تفدوهم وتفادوهم (قوله أى الشأن) ويقال ضمير القصة يفسره مابعده . قال ابن هشام ويختص بخمسة أشياء كونه مفردا ولو كان مرجعه مثنى أو مجموعا وتأخير مرجعه وكونه جملة ولايعمل فيه إلا الابتداء أوالناسخ ولايتبع (قوله محرم عليكم إخراجهم) مبتدأ وخبر والجملة خبر ضمير الشأن ولم تحتج لرابط لأنها عين المبتدإ فى المعنى (قوله والنضير) معطوف على قريظة والعامل فيه كانت وقوله الخزرج معطوف على الأوس والعامل فيه حالفوا ففيه العطف على معمولى عاملين مختلفين قصدا للاختصار ويحتمل أن الخزرج معمول لمحذوف التقدير حالفوا . والحاصل أن الأوس والخزرج فرقتان فى المدينة وهم الأنصار وكان بينهما عداوة ولم يرسل لهم نبي غير رسول الله ، وأما قريظة وبنو النضير فكانوا مكلفين بشريعة موسى وكانوا أذلاء فاستعز قريظة بالأوس وبنو النضير بالخزرج فكان إذا اقتتل الأوس مع الخزرج قاتل مع كلّ حلفاؤه فاذا أسر حلفاء قريظة أسيرا من بنى النضير افتداه قريظة وبالعكس فاذا سئلوا عن القتال أجابوا بأنهم قاتلوا خشية أن يستذل من استعزوا به ، وعن الفداء أجابوا بأننا أمرنا به (قوله أفتؤمنون) أى تصدقون بالعمل به (قوله وقد خزوا) أصله خزيوا استثقلت الضمة على الياء فحذفت فالتقى ساكنان الياء والواو وحذفت الياء لالتقاء الساكنين وقلبت كسرة الزاى ضمة لمناسبة الواو (قوله بقتل قريظة) أى حين دخل النبيّ المدينة وأسلم الأوس والخزرج فغزاهم النبيّ وأصحابه إلى أن نزلوا على حكم سعد بن معاذ فحكم فيهم بقتل شجعانهم وسبى ذراريهم ونسائهم فقتل منهم سبعمائة وكان ذلك فى السنة الرابعة من الهجرة (قوله ونفى النضير إلى الشام) أى مع كل واحد حمل بعير من طعام لاغير (قوله وضرب الجزية) أى على من بقى من قريظة وسكن خيبر وعلى بنى النضير بعد ذهابهم إلى الشام (قوله يردون) وقرئ شاذا بالتاء (قوله بالياء والتاء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله بأن آثروها) بالمد بمعنى قدموها (قوله ولقد آتينا موسى الكتاب) شروع فى ذكر نعم أخرى لبنى إسرائيل قابلوها بقبائح عظيمة وصدّر الجملة بالقسم زيادة فى الرد عليهم (قوله وقفينا) من التقفية وهى المشى خلف القفا أطلق وأريد به مطلق الاتباع (قوله من بعده) يحتمل أن الضمير عائد على موسى أو الكتاب (قوله أى أتبعناهم رسولا فى أثر رسول) ظاهره أنه لايجتمع رسولان فى زمن واحد وليس كذلك فان زكريا ويحيى كانا فى زمن واحد وكذا داود وسليمان وورد أنهم قتلوا سبعين نبيا فى يوم واحد وأقاموا سوقهم . وأجيب بأن المراد التبع فى العمل بالتوراة فكل الأنبياء الذين بين موسى وعيسى يعملون بالتوراة بوحى من الله لاتقليدا لموسى إذا علمت ذلك فالمناسب للمفسر أن يقول أى أتبعنا بعضهم بعضا فى العمل بالتوراة كانوا فى زمن واحد أولا وقوله بالرسل مراده مايشمل الأنبياء . وعدّة الأنبياء والرسل الذى بين موسى وعيسى سبعون ألفا وقيل أربعة آلاف (قوله وآتينا عيسى) معطوف على آتينا موسى وخصه بالذكر وإن كان داخلا فى قوله وقفينا من بعده بالرسل لعظم شرفه ومزيته ولكونه رسولا مستقلا بشرع يخصه لأنه نسخ بعض مافى التوراة وللردّ على اليهود حيث ادعوا أنهم قتلوه.وعيسى لغة عبرانية معناه السبوح (قوله ابن مريم) معنى مريم خادمة الله وفى اصطلاح العرب المرأة التى تكره مخالطة الرجال .

(قوله البينات) أل للعهد أى المعجزات المعهودة له (قوله وإبراء الأكمه) هو من ولد أعمى (قوله أى الروح المقدسة) أى المطهرة (قوله جبريل) وجه تسميته روحا أن الروح جسم نورانى به حياة الأبدان وجبريل جسم نورانى به حياة القلوب (قوله لطهارته) أى من المعاصى والمخالفات والأقذار وقد مدحه الله بقوله تعالى ـ إنه لقول رسول كريم ـ الآية (قوله يسير معه حيث سار) أى ولم يزل معه حتى رفعه إلى السماء (قوله فلم تستقيموا) قدره المفسر لعطف قوله أفكلما جاءكم رسول عليه (قوله بما لا تهوى) ماضيه هوى من باب تعب وضرب سمى بذلك لأنه يهوى بصاحبه فى النار وهو تذكير للفروع بقبائح أصولهم (قوله استكبرتم) السين زائدة والتقدير تكبرتم كلما جاءكم رسول بالذى لا تحبه أنفسكم (قوله والمراد به التوبيخ) أى اللوم والتقريع عليهم (قوله ففريقا) معمول لكذبتم وقدم مراعاة للفواصل وقدم التكذيب على القتل مع أن القتل أشنع لأن التكذيب مبدأ القتل (قوله كعيسى) أى كذبوه ولم يتمكنوا من قتله بل رفعه الله إلى السماء (قوله المضارع لحكاية الحال الماضية) أى فنزل وقوعه منهم فيما مضى منزلة وقوعه الآن استعظاما له (قوله كزكريا) أى حيث نشروه حين هرب منهم وأوى إلى شجرة أثل فانفتحت له ودخلها (قوله ويحيى) أى قتلوه من أجل امرأة فاجرة أراد محرمها التزوج بها فمنعه من ذلك (قوله وقالوا) أى الموجودون فى زمن النبي صلى الله عليه وسلم (قوله أى مغشاة بأغطية) أى حسية (قوله فقليلا ما يؤمنون) المراد بالقلة الاستبعاد أى فإيمانهم مستبعد لطرد الله إياهم عن رحمته وسبق شقاوتهم ويحتمل أن تبقى القلة على بابها أى فمن آمن منهم قليل كعبد الله ابن سلام وأضرابه ويحتمل أن القلة باعتبار الزمن أى أن الزمن الذى يؤمنون فيه قليل جدا قال تعالى ـ وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره ـ (قوله ولما جاءهم كتاب) هذه الجملة من تعلقات الجملة التى قبلها وكل منهما حكاية عن اليهود الذين كانوا فى زمنه صلى الله عليه وسلم وقوله من عند الله صفة أولى لكتاب وقوله مصدق صفة ثانية له وجملة وكانوا من قبل حال من الضمير فى جاءهم (قوله من قبل) مبنى على الضم لحذف المضاف إليه ونية معناه (قوله يستنصرون) السين والتاء للطلب (قوله وهو بعثة النبى) فى الحقيقة بعثة النبى والكتاب (قوله دل عليه جواب الثانية) أى والأصل ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم كفروا بذلك الكتاب وكانوا يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا وهو النبي الكريم كفروا به فبين الجملتين تغاير لفظا وإن كان بينهما تلازم معنى (قوله بئسما اشتروا الخ) بئس فعل ماض لانشاء الذم وفاعلها مستتر فيه وجوبا تقديره هو يعود على الشىء يفسره قوله ما اشتروا فما تمييز لذلك الفاعل وما بعدها صفة لها وأن يكفروا فى تأويل مصدر المخصوص بالذم وهو يعرب مبتدأ والجملة التى قبله خبر عنه أو خبر لمبتدإ محذوف قال ابن مالك : ويعرب المخصوص بعد مبتدا أو خبر اسم ليس يبدو أبدا (قوله من القرآن) بيان لما

(الْبَيِّنَاتِ) المعجزات كإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص (وَأَيَّدْنَاهُ) قويناه (بِرُوحِ الْقُدُسِ) من إضافة الموصوف إلى الصفة أى الروح المقدسة جبريل لطهارته يسير معه حيث سار فلم تستقيموا (أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى) تحب (أَنْفُسُكُمُ) من الحق (اسْتَكْبَرْتُمْ) تكبرتم عن اتباعه جواب كلما وهو محل الاستفهام والمراد به التوبيخ (فَفَرِيقًا) منهم (كَذَّبْتُمْ) كعيسى (وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ) المضارع لحكاية الحال الماضية أى قتلتم كزكريا ويحيى (وَقَالُوا) للنبى استهزاء (قُلُوبُنَا غُلْفٌ) جمع أغلف أى مغشاة بأغطية فلا تعى ما تقول قال تعالى (بَلْ) للإضراب (لَعَنَهُمُ اللَّهُ) أبعدهم عن رحمته وخذلهم عن القبول (بِكُفْرِهِمْ) وليس عدم قبولهم لخلل فى قلوبهم (فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ) ما زائدة لتأكيد القلة أى إيمانهم قليل جدا (وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ) من التوراة هو القرآن (وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ) قبل مجيئه (يَسْتَفْتِحُونَ) يستنصرون (عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا) يقولون اللهم انصرنا عليهم بالنبى المبعوث آخر الزمان (فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا) من الحق وهو بعثة النبى (كَفَرُوا بِهِ) حسدا وخوفا على الرياسة وجواب لما الأولى دل عليه جواب الثانية (فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ. بِئْسَمَا اشْتَرَوْا) باعوا (بِهِ أَنْفُسَهُمْ) أى حظها من الثواب وما نكرة بمعنى شيئا تمييز لفاعل بئس والمخصوص بالذم (أَنْ يَكْفُرُوا) أى كفرهم (بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ) من القرآن

(قوله مفعول له ليكفروا) أى مفعول لأجله والعامل فيه يكفروا (قوله على أن ينزل الله) المعنى كفرهم بما أنزل الله حسدا على إنزال الله من فضله وذلك بمعنى قوله تعالى - أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله - (قوله الوحى) قدره إشارة إلى أن مفعول ينزل محذوف (قوله على من يشاء) مفعول يشاء محذوف التقدير يشاؤه (قوله بكفرهم) الباء يصح أن تكون للتعدية وللسببية (قوله والتنكير للتعظيم) أى فى قوله غضب على حد شر أهر ذا ناب (قوله والكفر بعيسى) أى ثم الكفر بمحمد وما جاء به فقد آمنوا بموسى ثم كفروا به وضيعوا التوراة فلما جاءهم عيسى آمنوا به ثم كفروا به فلما جاءهم محمد كفروا به وازدادوا كفرا (قوله عذاب مهين) أصله مهون نقلت كسرة الواو إلى الهاء فوقعت الواو ساكنة بعد كسرة قلبت ياء (قوله ذو إهانة) أى هوان وذل ولا يوصف بذلك إلا عذاب الكافرين وأما ما يقع للعصاة فى الدنيا من المصائب وفى الآخرة من دخول النار فهو تطهير لهم (قوله بما وراءه) يطلق بمعنى سوى و بمعنى بعد و بمعنى أمام اقتصر المفسر على الأولين (قوله من القرآن) أى والانجيل (قوله وهو الحق) حال من ما (قوله مؤكدة) أى لمضمون الجملة قبلها على حد زيد أبوك عطوفا وقوله ثانية أى فى التأكيد و إلا فهى ثالثة (قوله فلم تقتلون) ما اسم استفهام حذفت ألفها لجرها باللام والفاء واقعة فى جواب شرط مقدر تقديره إن كنتم صادقين فى دعواكم الايمان بالتوراة فلأى شىء تقتلون أنبياء

(بَغْياً) مفعول له ليكفروا أى حسداً على (أَنْ يُنْزِلَ اللهُ) بالتخفيف والتشديد (مِنْ فَضْلِهِ) الوحى (عَلَى مَنْ يَشَاءُ) للرسالة (مِنْ عِبَادِهِ فَبَاؤُا) رجعوا (بِغَضَبٍ) من الله بكفرهم بما أنزل والتنكير للتعظيم (عَلَى غَضَبٍ) استحقوه من قبل بتضييع التوراة والكفر بعيسى (وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ) ذو إهانة (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ) القرآن وغيره (قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا) أى التوراة، قال تعالى (وَيَكْفُرُونَ) الواو للحال (بِمَا وَرَاءَهُ) سواه أو بعده من القرآن (وَهُوَ الْحَقُّ) حال (مُصَدِّقاً) حال ثانية مؤكدة (لِمَا مَعَهُمْ قُلْ) لهم (فَلِمَ تَقْتُلُونَ) أى قتلتم (أَنْبِيَاءَ اللهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) بالتوراة وقد نهيتم فيها عن قتلهم والخطاب للموجودين فى زمن نبينا بما فعل آباؤهم لرضاهم به (وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ) بالمعجزات كالعصا واليد وفلق البحر (ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ) إلها (مِنْ بَعْدِهِ) من بعد ذهابه إلى الميقات (وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ) باتخاذه (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ) على العمل بما فى التوراة (وَ) قد (رَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ) الجبل حين امتنعتم من قبولها ليسقط عليكم وقلنا (خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ) بجد واجتهاد (وَاسْمَعُوا) ما تؤمرون به سماع قبول (قَالُوا سَمِعْنَا) قولك (وَعَصَيْنَا) أمرك (وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ) أى خالط حبه قلوبهم كما يخالط الشراب (بِكُفْرِهِمْ قُلْ) لهم (بِئْسَمَا) شيئاً (يأمركم

الله (قوله أى قتلتم) أشار بذلك إلى أن المضارع بمعنى الماضى، إنما عبر بالمضارع لحكاية الحال الماضية (قوله إن كنتم مؤمنين) جواب إن محذوف دل عليه المذكور فقد حذف من الجملة الأولى أداة الشرط وفعلها ومن الثانية الجواب فهو احتباك وقيل إن إن نافية بمعنى ما نتيجة الشرط المقدر (قوله بما فعل آباؤهم) الحاصل أنه أقيمت الحجة عليهم مرتين الأولى دعواكم الايمان بالتوراة كذب لكفركم بالقرآن فان الكافر بأى كتاب كافر بالجميع وعلى تسليم هذه الدعوى فهى كذب من جهة أخرى وهى قتل الأنبياء فلو كنتم مؤمنين بالتوراة لانتهيتم عما نهاكم الله عنه فانه نهاكم فيها عن قتل الأنبياء (قوله لرضاهم به) جواب عما يقال إن ذلك فيمن قتل الأنبياء وأما هؤلاء فلم يقع منهم ذلك. فأجاب بأن الرضا بالكفر كفر وقد يقال إنهم مصرون على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تسببوا فى ذلك مرارا (قوله ولقد جاءكم موسى) هذا أيضا من جملة قبائح بنى إسرائيل (قوله كالعصا) دخل تحت الكاف باقى التسع وهى الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والسنين والطمس (قوله إلها) قدره إشارة إلى مفعول اتخذتم (قوله وأنتم ظالمون) أى كافرون (قوله ليسقط عليكم) علة لقوله رفعنا أى رفعناه لأجل السقوط عليكم إن لم تمتثلوا (قوله وأشربوا فى قلوبهم العجل) الجملة حالية على حذف مضافين أى حب عبادة العجل وفى الكلام استعارة بالكناية وتقريرها أن تقول شبه حب عبادة العجل بمشروب لذيذ سائغ بجامع الامتزاج فى كل وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشىء من لوازمه وهو الاشراب فاثباته تخييل ولم يعبر بالأكل لأنه ليس فيه شدة مخالطة (قوله كما يخالط الشراب) أى خلال القلوب والأبدان فمفعول يخالط محذوف (قوله شيئا) أشار بذلك إلى أن ما نكرة بمعنى شىء مفسرة لفاعل بئس وقوله يأمركم صفة لما و إيمانكم فاعل يأمر وقوله عبادة العجل هو المخصوص بالذم قدره المفسر وهذا من جملة التشنيع عليهم أى أنتم ادعيتم الايمان بالتوراة ثم رأيناكم قد عبدتم العجل فان كان إيمانكم بها أمركم وحملكم على عبادته

فبلس إيمانكم وما يأمركم به فانه كفر لا إيمان ، وقوله بالتوراة إن قلت إن عبادة العجل متقدمة على التوراة . أجيب بأن موسى كان يأمرهم بالتوحيد وهو موافق لما فى التوراة (قوله إن كنتم مؤمنين) يحتمل أنّ إن شرطية وكنتم فعل الشرط وجوابه محذوف دلّ عليه قوله بئسما يأمركم به إيمانكم و يحتمل أنها نافية نتيجة قوله بئسما يأمركم به إيمانكم وكلام المفسر يحتملهما (قوله المعنى الخ) إشارة إلى قياس حملى من الشكل الأول ، وتقريره أن تقول اعتقادكم يأمركم بعبادة العجل وكل اعتقاد يأمر بعبادة العجل فهو كفر ينتج اعتقادكم كفر (قوله أى فكذلك أنتم الخ) أشار بذلك إلى قياس آخر تقريره أن تقول اعتقادكم يأمركم بتكذيب محمد وكل اعتقاد يأمر بذلك فهو كفر ينتج اعتقادكم كفر (قوله إن كانت لكم الدار الآخرة الخ) فى هذه الآية أعاريب منها أن الدار اسم كانت ولكم جار ومجرور خبرها وعندالله ظرف وخالصة حال ، ومنها أن الخبر قوله خالصة وعند الله ظرف على كل حال ، ومنها أن الخبر هو الظرف وخالصة حال (قوله تعلق بتمنيه الشرطان) فى العبارة قلب والأصل تعلق تمنيه بالشرطين لأن تمنوا هو الجواب وهو متعلق بالشرطين (قوله قيد فى الثانى) حاصله أنه إذا اجتمع شرطان وتوسط بينهما جواب كان الأول قيدا فى الثانى بمعنى أنه من تمام معناه و يكون الجواب لذلك الثانى فتقدير الآية إن كنتم صادقين

(يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ) بالتوراة :عبادة العجل (إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) بها كما زعمتم ، المعنى لستم بمؤمنين لأن الإيمان لا يأمر بعبادة العجل والمراد آباؤهم أى فكذلك أنتم لستم بمؤمنين بالتوراة وقد كذبتم محمداً والإيمان بها لا يأمركم بتكذيبه (قُلْ) لهم (إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ) أى الجنة (عِنْدَ اللهِ خَالِصَةً) خاصة (مِنْ دُونِ النَّاسِ) كما زعمتم (فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) تعلق بتمنيه الشرطان على أن الأول قيد فى الثانى ، أى إن صدقتم فى زعمكم أنها لكم ومن كانت له يؤثرها والموصل إليها الموت فتمنوه (وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ) من كفرهم بالنبى المستلزم لكذبهم (وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ) الكافرين فيجازيهم (وَلَتَجِدَنَّهُمْ) لام قسم (أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَ) أحرص (مِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا) المنكرين البعث عليها لعلمهم بأن مصيرهم النار دون المشركين لإنكارهم له (يَوَدُّ) يتمنى (أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ) لو مصدرية بمعنى أن وهى بصلتها فى تأويل مصدر مفعول يود (وَمَا هُوَ) أى أحدهم (بِمُزَحْزِحِهِ) مبعده (مِنَ الْعَذَابِ) النار (أَنْ يُعَمَّرَ) فاعل مزحزحه أى تعميره (وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ) بالياء والتاء فيجازيهم . وسأل ابن صوريا النبى أو عمر عمن يأتى بالوحى من الملائكة ،

فى زعمكم أن الدار الآخرة لكم خاصة فتمنوا الموت وقيل إن الجواب للأول وجواب الثانى محذوف دلّ عليه جواب الأول (قوله أى إن صدقتم) إشارة إلى الشرط الثانى وقوله أنها لكم إشارة الأول (قوله يؤثرها) أى يقدمها و يختارها (قوله بما قدمت) الباء سببية وما يحتمل أنها اسم موصول وقدمت صلته والعائد محذوف : أى قدمته و يحتمل أنها نكرة موصوفة والعائد محذوف على كلّ حال

والحكمة فى الاتيان هنا بلن وفى الجمعة بلا أن ادّعاءهم هنا أعظم من ادّعائهم هناك فانهم ادّعوا هنا اختصاصهم بالجنة وهناك كونهم أولياء لله من دون الناس فلاتفيد اختصاصهم بالجنة فناسب هنا التوكيد بلن وهناك بلا (قوله ولتجدنهم) عطف على قوله ولن يتمنوه من عطف اللازم على الملزوم (قوله أحرص) مفعول ثان لتجدنهم حيث كانت بمعنى علم، وأما إن كانت بمعنى أصاب أوصادف نصبت مفعولا واحدا فيكون أحرص حالا (قوله وأحرص من الذين أشركوا) من عطف الخاص على العام زيادة فى التقبيح عليهم ودفعا لتوهم أن المشركين أحرص منهم (قوله لو مصدرية) أى ولاتنصب الفعل فهى سابكة فقط (قوله وماهو) يحتمل أن ماحجازية وهو اسمها و بمزحزحه خبرها وأن يعمر فاعل مزحزحه وأنها تميمية وهو مبتدأ و بمزحزحه خبره وأن يعمر فاعله على كل حال (قوله أى أحدهم الخ) وقيل إن هو ضمير شأن ورد بأن ضمير الشأن يفسر بجملة وهنا ليس كذلك (قوله بالياء والتاء) ظاهره أنهما سبعيتان وليس كذلك بل التاء عشرية واختلف فيما زاد على السبعة هل يلحق بها فتجوز القراءة والصلاة بها أم بالشواذ فيمتنعان والمعتمد الأول (قوله وسأل ابن صوريا الخ) أشار بذلك إلى سبب نزول الآية وابن صوريا اسمه عبد الله وكان من أحبار اليهود (قوله أو عمر) أشار بذلك إلى تنويع الخلاف فإن عمر كان له أرض بالعوالى وكان يمر على مدارسهم ليختبر صفات محمد من كتبهم فقالوا ياعمر لقد أحببناك فقال والله ما أحبكم و إنما أدخل عليكم لأزداد بصيرة فى أمر محمد ، فسأله ابن صوريا عمن يأتى بالوحى

لمحمد ، فقال جبريل ، فقال هو عدونا الخ ، فأخبر النبي بذلك فنزلت الآية (قوله فقال) أي المسئول وهو النبي أو عمر (قوله يأتى بالعذاب) أي كالصواعق والخسف والمسخ (قوله بالخصب) بكسر الخاء : أي الرخاء (قوله والسلم) أي الصلح (قوله فليمت غيظا) جواب لاسم الشرط الذى هو من وهو مبتدأ خبره قيل فعل الشرط ، وقيـل جوابه ، وقيل هما ، وأما قوله تعالى ــ فإنه نزله ــ فلا يصح أن يكون جوابا للشرط لمانعين : الأول عدم الرابط . والثانى عدم تسبب الجواب عن الشرط ، وقوله لجبريل الصحيح أنه اسم أعجمى علم على رئيس الملائكة فلا اشتقاق فيه ولا تصرف ، وقيل مشتق من الجبروت وهو عالم الأسرار وقيل مركب إضافى وقيل مزجى والصحيح الأول ، وورد عن ابن عباس أن جبر معناه عبد و إيل معناه الله وميكا معناه عبد و إيل معناه الله (قوله فإنه) أى جبريل (قوله أى القرآن) وقيل الوحى أعمّ من أن يكون قرآنا أو غيره (قوله على قلبك) عبر بعلى إشارة لتمكنه وانصبابه ورسوخه فإن الشىء إذا صب من أعلى لأسفل رسخ وثبت (قوله بأمر الله) أشار بذلك إلى أن المراد بالإذن الأمر لا العلم (قوله مصدقا) حال من الضمير فى نزله وكذلك قوله هدى و بشرى (قوله بالجنة) أى وما فيها من النعيم ورؤية وجه الله الكريم (قوله للمؤمنين) أى ونذيرا للكافرين بالنار، وهذا ردّ أول لكلام ابن صوريا حاصله أن جبريل لا اختيار له فى إنزال العذاب ولا فى إنزال القرآن (قوله من كان عدوا لله) قدم لأنه المنشىء للأشياء جميعها وثنى بالملائكة لأنهم المرسلون من حضرته وثلث بالرسل لنزول الملائكة عليهم (قوله وجبريل) خص هو وميكائيل زيادة فى التشنيع عليهم ولأن حياة الأرواح والأشباح بواسطتهما وتنبيها على أن عداوتهما خسران وضلال (قوله بكسر الجيم) أى على وزن قنديل (قوله وفتحها) أى على وزن شمويل (قوله وبه بياء ودونهما) هذا فى المفتوح وهو على وزن سلسبيل وجحمرش فجملة القراآت السبعية أربعة وهى من جملة لغات أنهاها بعضهم لثلاثة عشر خامسها فتح الجيم مع الهمزة واللام مشددة على أنها اسم من أسماء الله وفى بعض التفاسير لا يرقبون فى مؤمن إلا : أى الله. سادسها فتح الجيم وألف بعد الراء وهمزة مكسورة بعدها. سابعها مثلها إلا أنها بياء بعد الهمزة . ثامنها فتح الجيم و ياآن بعد الألف من غير همزة . تاسعها فتح الجيم وألف بعد الراء ولام . عاشرها فتح الجيم و ياء بعد الراء مكسورة ولام. حادى عشرها فتح الجيم و ياء بعد الراء ونون . ثانى عشرها كذلك إلا أنها بكسر الجيم . ثالث عشرها فتح الجيم وألف بعد الراء وهمزة و ياء ونون وأكثرها قرىء به شاذا (قوله من عطف الخاص على العام) والنكتة شرفهما وعظمهما وكون النزاع فيهما (قوله وفى أخرى بلا ياء) فتكون القراآت السبعية ثلاثا بالهمزة والياء معا وبإسقاط الياء فقط وبإسقاطهما وهى من جملة لغاته السبع. رابعها مثل بيكعيل . خامسها كذلك إلا أنه لا ياء بعد الهمزة مثل بيكعل . سادسها بياءين بعد الألف . سابعها بهمزة مفتوحة بعد الألف وقرىء بالجميع شاذا (قوله فإن الله عدوّ للكافرين) هذا هو جواب الشرط والرابط موجود وهو الاسم الظاهر لقيامه مقام الضمير ، وقيل الرابط العموم (قوله بياناً لحالهم) أى ولزيادة التقبيح عليهم ، والمراد بعداوتهم لله خروجهم عن طاعته وعدم امتثالهم أمره (قوله حال) المناسب أن يقول صفة لأن الحال لا يكون من النكرة إلا إذا وجد لها مسوغ (قوله إلا الفاسقون) أى الكافرون (قوله أكفروا بها) أشار بذلك إلى أن الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة على ذلك المحذوف وهو أحد احتمالين تقدما (قوله عاهدوا الله) قدر المفسر لفظ الجلالة إشارة إلى أن عاهـدوا بمعنى أعطوا فالله مفعول أول وعهدا مفعول ثان (قوله على الإيمان بالنبى) أى فالعهد مأخوذ عليهم قديما فى كتبهم وعلى أنبيائهم (قوله أو النبى) إشارة إلى تفسير ثان فقد كانوا

فقال جبريل فقال هو عدونا يأتى بالعذاب ولو كان ميكائيل لآمنا لأنه يأتى بالخصب والسلم فنزل (قُلْ) لهم (مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ) فليمت غيظاً (فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ) أى القرآن (عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ) بأمر (اللهِ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ) قبله من الكتب (وَهُدًى) من الضلالة (وَبُشْرَى) بالجنة (لِلْمُؤْمِنِينَ. مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ) بكسر الجيم وفتحها بلا همز و به بياء ودونها (وَمِيكَالَ) عطف على الملائكة من عطف الخاص على العام وفى قراءة ميكائيل بهمز وياء وفى أخرى بلا ياء (فَإِنَّ اللهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ) أوقعه موقع لهم بياناً لحالهم (وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ) يا محمد (آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ) واضحات حال ردّ لقول ابن صوريا للنبى ما جئتنا بشىء (وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ. أَ) كفروا بها (وَكُلَّمَا عَاهَدُوا) الله (عَهْدًا) على الإيمان بالنبى إن خرج ، أو النبىّ أن لا يعاونوا عليه المشركين ،

(نبذه)

يأتون النبي و يقولون له إن كنت نبيا فائت لنا بكذا فيقيم عليهم الحجة فيعاهدونه أن لا يعاونوا عليه المشركين ثم ينقضونه (قوله بنقضه) الباء سببية (قوله أكثرهم لايؤمنون) دفع بذلك مايتوهم من قوله فريق أن الفريق يصدق بالقليل والكثير فيتوهم أن المراد القليل فدفع ذلك بقوله بل أكثرهم الخ وهو إما من عطف الجمل أو المفردات فعلى الأول جملة أكثرهم لايؤمنون معطوفة على جملة نبذه فريق منهم وعلى الثانى أكثرهم معطوف على فريق إشارة إلى أن النابذ للعهد أكثرهم وقوله لايؤمنون إخبار عنهم بعدم الايمان لرسوخ الشرك فى قلوبهم (قوله ولما جاءهم رسول) هذا من جملة التشنيع على بنى إسرائيل (قوله لما معهم) أى التوراة والمعنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بإثبات التوراة وأنها من عند الله فكان مقتضى ذلك اتباعه والعمل بشريعته ولكن الله طمس على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم (قوله من الذين أوتوا الكتاب) صفة لفريق وأوتوا ينصب مفعولين نائب الفاعل الذى هو الواو مفعول أول والكتاب مفعول ثان وقوله كتاب الله مفعول لنبذ وهو بمعنى طرح (قوله أى لم يعملوا بما فيها) أشار بذلك إلى أن قوله وراء ظهورهم ليس على حقيقته بل هو كناية عن عدم العمل بما فى التوراة و إلا فهم يعظمونها إلى الآن (قوله من أنه نبي حقا) إشارة إلى مفعول يعلمون والمعنى أنهم أنكروا صفة رسول الله و بدلوها ولم يذعنوا للأحكام التى فى التوراة كأنهم جاهلون بها مع أنهم عالمون بها (قوله عطف على نبذ) اشتشكل بأن المعطوف على

(نَبَذَهُ) طرحه (فَرِيقٌ مِّنْهُمْ) بنقضه جواب كلما وهو محل الاستفهام الانكارى (بَلْ) للانتقال (أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ . وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ) محمد صلى الله عليه وسلم (مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ) أى التوراة (وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ) أى لم يعملوا بما فيها من الإيمان بالرسول وغيره (كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) ما فيها من أنه نبي حق أو أنها كتاب الله (وَاتَّبَعُوا) عطف على نبذ (مَا تَتْلُوا) أى تلت (الشَّيَاطِينُ عَلَى) عهد (مُلْكِ سُلَيْمَانَ) من السحر وكانت دفنته تحت كرسيه لما نزع ملكه أو كانت تسترق السمع وتضم إليه أكاذيب وتلقيه إلى الكهنة فيدونونه وفشا ذلك وشاع أن الجن تعلم الغيب فجمع سليمان الكتب ودفنها فلما مات دلت الشياطين عليها الناس فاستخرجوها فوجدوا فيها السحر فقالوا إنما ملككم بهذا فتعلموه ورفضوا كتب أنبيائهم . قال تعالى تبرئة لسليمان وردا على اليهود فى قولهم انظروا إلى محمد يذكر سليمان فى الأنبياء وما كان إلا ساحرا (وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ) أى لم يعمل السحر لأنه كفر (وَلَٰكِنَّ) بالتشديد والتخفيف (الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا

الجواب جواب وقوله اتبعوا لايصلح أن يكون جوابا لعدم ترتبه على الشرط لأنه سابق على بعثة رسول الله فالأحسن عطفه على جملة ولما جاءهم رسول بيان لسوء حالهم (قوله أى تلت) أشار بذلك إلى أن المضارع بمعنى الماضى لأن السماء محفوظة من استراقهم السمع من بعثة رسول الله وتلت بمعنى قرأت أو كذبت (قوله على عهد) على بمعنى فى وعهد بمعنى زمن التقدير واتبعوا ماتلت الشياطين فى زمن ملك سليمان و يحتمل أن تتلوا بمعنى تتقول وعلى على بابها ومتعلقها محذوف تقديره على الله فيصير المعنى واتبعوا ماتتقوله الشياطين على الله زمن ملك سليمان وقوله من السحر بيان لما وعائد الموصول محذوف تقديره تتلوه (قوله أو كانت تسترق السمع) أو لتنويع الخلاف لأنه اختلف فى الذى اتبعته اليهود فقيل هو السحر الذى وضعته الشياطين تحت كرسيه لما نزع ملكه وسبب ذلك أن امرأة من نساء سليمان سجدت لصنم أربعين يوما فعاتبه الله بنزع ملكه تلك المدة وسبب عزله أنه كان خاتمه الذى نزل به آدم من الجنة يضعه إذا دخل الخلاء عند امرأة من نسائه تسمى الأمينة وكان كل من لبسه يملك الدنيا بما فيها فوضعه عندها مرة فجاءها شيطان يسمى صخرا المارد وتشكل بشكل سليمان وطلب الخاتم فأعطته له ثم أتى الكرسى وجلس عليه أربعين يوما فجمعت الشياطين كتب السحر ودفنتها تحت كرسيه ثم لما انقضت المدة وجاء الأمر بتولية سليمان ثانيا طار الشيطان فوقع الخاتم فى البحر فحملته دابة من دواب الماء وأتته به فأمر سليمان الشياطين أن يأتوا بصخر المارد فأتوه به فأمرهم أن ينقحوا صخرة ففعلوا ثم أمرهم أن يضعوه فيها و يسدوا عليه بالرصاص والنحاس و يرموه فى قعر البحر الملح ففعلوا فلما مات سليمان دلت الشياطين على تلك الكتب المدفونة الناس وقيل إنه ما استرقته الشياطين من السماء فكان الشيطان يسمع الكلمة الصدق و يضع عليها تسعة وتسعين كذبة و يلقيها إلى الكهنة إلى آخر ماقال المفسر (قوله دلت الشياطين) المراد الجنس لأن الذى دل شيطان منهم (قوله لأنه كفر)

أى فى شرعه وأما فى شرعنا ففيه تفصيل فإن اعتقد صحته وأنه يؤثر بنفسه فهو كفر وأما إن تعلمه ليسحر به الناس فهو حرام وإن كان لالشئ فمكروه وإن كان ليبطل به السحر فجائز، وعرفه ابن العربى بأنه كلام مؤلف يعظم به غير الله وتنسب له المقادير فعلمه هو كفر حق فى شرعنا وعبارة الغزالى تفيد ماقاله ابن العربى (قوله يعلمون الناس) إما بدل من كفروا بدل فعل من فعل على حد إن تصل تسجد لله يرحمك أو خبر بعد خبر أو جملة مستأنفة أو حال من الشياطين أو حال من الواو فى كفروا فهذه خمس احتمالات اختار المفسر آخرها (قوله ويعلمونهم ما أنزل) أشار بذلك إلى أن ما اسم موصول معطوف على السحر من عطف الخاص على العام والنكتة قوة ما أنزل على الملكين وصعوبته ويحتمل أنه مغاير وأن ما أنزل على الملكين وإن كان سحرا إلا أنه نوع آخر منه غير متعارف بين الناس (قوله وقرئ) أى قراءة شاذة وفيها دليل لمن يقول إنهما ليسا ملكين حقيقيين وإنما هما رجلان صالحان وسميا بذلك لحسنهما وصلاحهما على حد ماقيل فى يوسف ماهذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم (قوله الكائنين) قدره إشارة إلى أن ببابل جار ومجرور متعلق بمحذوف صفة للملكين (قوله ببابل) ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث أو العجمة مأخوذة من البلبلة لأن أهلها كانوا يتكلمون بثمانين لغة وأول من اختطها نوح وسماها ثمانين (قوله هاروت وماروت) هما ممنوعان من الصرف للعلمية والعجمة ويجمعان على هواريت ومواريت أو على هوارية وموارية مأخوذان من الهرت والمرت وهو الكسر ولكن حيث قلنا إنهما أعجميان فلا يتصرف فيهما ولا يعلم لهما اشتقاق (قوله هما ساحران) قدم هذا القول

يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ) الجملة حال من ضمير كفروا (وَ) يعلمونهم (مَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ) أى ألهماه من السحر وقرئ بكسر اللام الكائنين (بِبَابِلَ) بلد فى سواد العراق (هَارُوتَ وَمَارُوتَ) بدل أو عطف بيان للملكين. قال ابن عباس هما ساحران كانا يعلمان السحر، وقيل ملكان أنزلا لتعليمه ابتلاء من الله للناس (وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ) زائدة (أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا) له نصحاً (إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ) بلية من الله للناس ليمتحنهم بتعليمه فمن تعلمه كفر ومن تركه فهو مؤمن (فَلَا تَكْفُرْ) بتعلمه فإن أبى إلا التعليم علماه (فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ) بأن يبغض كلا إلى الآخر (وَمَا هُمْ) أى السحرة (بِضَارِّينَ بِهِ) بالسحر (مِنْ) زائدة (أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) بإرادته (وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ) فى الآخرة (وَلَا يَنْفَعُهُمْ) وهو السحر (وَلَقَدْ) لام قسم (عَلِمُوا)،

إشارة لقوته وأنهما رجلان ساحران وليسا بملكين (قوله ابتلاء من الله) أى اختبارا وامتحانا وقصة هاروت وماروت على القول بثبوتها أن الملائكة لما رأوا أعمال بنى آدم الخبيثة تصعد إلى السماء قالوا سبحانك ياربنا خلقت خلقا وأكرمتهم وهم يعصونك فقال الله تعالى لهم لو ركبت فيكم ماركبت فيهم لفعلتم فعلهم فقالوا سبحانك لانعصيك أبدا فقال اختاروا لكم ملكين فاختاروا هاروت وماروت أى وكانا من أصلحهم فركب الله فيهما الشهوة وأمرهما بالهبوط إلى الأرض والحكم بين الناس بالحق ونهاهما عن الشرك والقتل والزنا وشرب الخمر وعلمهما الله الاسم الأعظم فكان إذا أمسى الوقت صعدا به إلى السماء ثم إنه جاءت إليهما امرأة تسمى الزهرة وكانت جميلة جدا فلما وقع نظرهما عليها أخذت بقلوبهما فراوداها عن نفسها فأبت إلا أن يحكما لها على زوجها ففعلا فراوداها فأبت إلا أن يقتلاه ففعلا ثم راوداها فأبت إلا أن يشربا الخمر ففعلا ثم راوداها فأبت إلا أن يسجدا للصنم ففعلا ثم راوداها فأبت إلا أن يعلماها الاسم الذى يصعدان به إلى السماء ففعلا فتلته فصعدت به إلى السماء فمسخها الله كوكبا فهى الزهرة المعروفة فلما علما ذلك أرادا تلاوة الاسم الأعظم فلم تطاوعهما أجنحتهما فذهبا إلى إدريس وسألاه أن يشفع لهما عند الله ففعل ذلك فخيرهما الله بين عذاب الدنيا والآخرة فاختارا عذاب الدنيا لعلمهما بانقطاعه فهما ببابل معلقان بشعورهما يضربان بسياط من حديد إلى يوم القيامة مزرقة أعينهما مسودة جلودهما وما زالا يعلمان الناس السحر وقد اختلف فى صحة هذه القصة وعدمها فاختار الحافظ ابن حجر الأول لورودها من عدة طرق عن الامام أحمد بن حنبل واختار البيضاوى ومن تبعه الثانى لأنه لم تثبت روايتها إلا عن اليهود (قوله فمن تعلمه كفر) أى إن اعتقد صحته وتأثيره (قوله فيتعلمون منهما) معطوف على وما يعلمان من أحد إن قلت إن الأول منفى والثانى مثبت وكيف يصح عطف المثبت على المنفى أجيب بأنه فى المعنى مثبت التقدير ويعلمون الناس السحر قائلين لهم إنما نحن فتنة فلا تكفروا (قوله وما هم الخ) يحتمل أن ما حجازية وهم اسمها وبضارين خبرها والباء زائدة فى خبرها ويحتمل أنها تميمية وما بعدها مبتدأ وخبر والباء زائدة فى خبر المبتدا

(قوله أى اليهود) أى جميعهم لأنهم علموا ذلك فى التوراة (قوله ومن موصولة) أى وهى مبتدأ واشتراه صلتها وجملة ماله فى الآخرة الخ خبرها والجملة منها ومن خبرها سادة مسدّ مفعولى علم (قوله باعوا) أشار بذلك إلى أنه يطلق الشراء على البيع قال تعالى - وشروه بثمن بخس - (قوله أن تعلموه) أن وما دخلت عليه فى تأويل مصدر هو المخصوص بالذم وقوله حيث أوجب لهم النار حيثية تعليلية (قوله لو كانوا يعلمون) لامنافاة بينه و بين قوله ولقد علموا الخ لأنهم علموا أنهم ليس لهم نصيب فى الآخرة ولكن لم يعلموا أنهم لا يفلتون من العذاب الدائم (قوله من عند الله) صفة لمثوبة وأصلها مثوبة بوزن مفعلة نقلت ضمة الواو إلى الثاء (قوله لما آثروه عليه) أى لما قدموا السحر على ما عند الله وهو إشارة إلى جواب لو (قوله راعنا) أى أمهلنا بنظرك ليفتح الله علينا لأنهم كانوا يقولونها عند سماعهم الوحى منه (قوله أمر من المراعاة) أى وهى المبالغة فى الرعى وحفظ الغير (قوله سب من الرعونة) أى الحمق والجهل وقلة العقل أو معناها اسمع لا سمعت وعليه فهى عبرانية أو سريانية وعلى ما قاله المفسر فهى عربية . روى أن سعد بن معاذ رضى الله عنه سمع اليهود يقولونها لرسول الله فقال يا أعداء الله عليكم لعنة الله لئن سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله لأضربن عنقه قالوا أو لستم تقولونها فنزلت الآية ونهى فيها المؤمنون عن ذلك قطعا لألسنة اليهود عن التدليس وأمروا بما فى معناها ولا يقبل التدليس الذى هو انظرنا (قوله أى انظر إلينا) أشار بذلك إلى أنه من باب الحذف والايصال حذف الجار فاتصل الضمير (قوله سماع قبول) أى بحضور قلب عند تلقى الأحكام فإنه إذا وجدت القابلية من الطالب مع نظر العالم حصل الفتح العظيم (قوله ما يودّ) من الودّة وهى المحبة أى ما يحب وقوله الذين كفروا فاعل يودّ ومن أهل الكتاب الخ بيان للذين كفروا (قوله ولا المشركين) معطوف على أهل الكتاب ولا زائدة لتوكيد النفى (قوله أن ينزل عليكم) فى تأويل مصدر مفعول يودّ ومن زائدة وخير نائب فاعل ينزل والتقدير ما يحب الذين كفروا وهم أهل الكتاب والمشركون إنزال خير من ربكم عليكم (قوله حسدا لكم) تعليل للنفى وحسد اليهود بسبب زعمهم أن النبوّة لا تليق إلا بهم لكونهم أبناء الأنبياء وحسد مشركى العرب بسبب ما عندهم من الرياسة والفخر فقالوا لا تليق النبوّة إلا بنا (قوله والله يختصّ) يستعمل متعديا ولازما فعلى الأوّل فاعله ضمير مستتر فيه والموصول بصلته فى محل نصب على المفعولية والمعنى والله يخص الخ وعلى الثانى الفاعل هو الموصول بصلته والمعنى والله يميز برحمته من يشاؤه (قوله العظيم) أى الواسع (قوله ولما طعن الكفار الخ) أشار بذلك إلى سبب نزول الآية والمقصود من ذلك بيان حكمة النسخ والرد على الكفار حيث قالوا إن القرآن افتراء من محمد فلو كان من عند الله لما بدل فيه وغير ورد عليهم أيضا بقوله تعالى - وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل - الآية وقوله تعالى - قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى - (قوله شرطية) أى وهى نكرة بمعنى شىء معمولة لننسخ وقوله من آية بيان لما .

أى اليهود (لَمَنِ) لام ابتداء معلقة لما قبلها ومن موصولة (اشْتَرَاهُ) اختاره أو استبدله بكتاب الله (مَا لَهُ فِى الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ) نصيب فى الجنة (وَلَبِئْسَمَا) شيئا (شَرَوْا) باعوا (بِهِ أَنْفُسَهُمْ) أى الشارين أى حظها من الآخرة أن تعلموه حيث أوجب لهم النار (لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) حقيقة ما يصيرون إليه من العذاب ما تعلموه (وَلَوْ أَنَّهُمْ) أى اليهود (آمَنُوا) بالنبى والقرآن (وَاتَّقَوْا) عقاب الله بترك معاصيه كالسحر وجواب لو محذوف أى لأثيبوا دلّ عليه (لَمَثُوبَةٌ) ثواب وهو مبتدأ واللام فيه للقسم (مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ) خبره مما شروا به أنفسهم (لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) أنه خير لما آثروه عليه (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا) للنبى (رَاعِنَا) أمر من المراعاة وكانوا يقولون له ذلك وهى بلغة اليهود سبّ من الرعونة فسروا بذلك وخاطبوا بها النبى فنهى المؤمنون عنها (وَقُولُوا) بدلها (انْظُرْنَا) أى انظر إلينا (وَاسْمَعُوا) ما تؤمرون به سماع قبول (وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم هو النار (مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ) من العرب عطف على أهل الكتاب ومن للبيان (أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ) زائدة (خَيْرٍ) وحى (مِنْ رَبِّكُمْ) حسداً لكم (وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ) نبوّته (مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) . ولما طعن الكفار فى النسخ وقالوا إن محمداً يأمر أصحابه اليوم بأمر وينهى عنه غدا نزل (مَا) شرطية ،

(قوله ننسخ) من النسخ وهو لغة الازالة والنقل يقال نسخت الشمس الظل أزالته ونسخت الكتاب نقلت مافيه واصطلاحا بيان انتهاء حكم التعبد إما باللفظ أوالحكم أو بهما فنسخ اللفظ والحكم كعشر رضعات معلومات يحرمن ونسخ اللفظ دون الحكم الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألبتة ونسخ الحكم دون اللفظ كقوله تعالى ـ كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية للوالدين ـ الآية نسخت بآية المواريث و بقوله عليه الصلاة والسلام «لاوصية لوارث» وقوله تعالى ـ والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم متاعا إلى الحول ـ الآية فنسخت بقوله تعالى ـ يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا ـ إلى غير ذلك (قوله إما مع لفظها) أى كعشر رضعات الخ (قوله أولا) أى بان نزيل حكمها فقط (قوله أوجبريل) فى الحقيقة بينهما تلازم (قوله فلا نزل حكمها) أى لاننسخه بل نبقيه وقوله ونرفع تلاوتها أى ننسخه فعلى هذا التفسير دخل تحت قوله ماننسخ من آية حكمان من أحكام النسخ وهما نسخ الحكم واللفظ أوالحكم فقط وتحت قوله أوننسأها الحكم الثالث وهو نسخ اللفظ دون الحكم (قوله أونؤخرها فى اللوح المحفوظ) أى لانطلعكم عليها ولا نعلمكم بها وعلى هذا التفسير فقد دخل تحت قوله ماننسخ الأحكام الثلاثة (قوله وفى قراءة بلا همز) المناسب أن يقول وفى قراءة بضم النون من غير همز (قوله من النسيان) الأولى أن يقول من الانساء لأنه مصدر الرباعى (قوله أى نمحها من قلبك) أى وقلب أمتك بأن يبقى الحكم دون اللفظ أو يمحيان (قوله فى السهولة) أى كقوله تعالى ـ الآن خفف الله عنكم ـ الآية (قوله أو كثرة الأجر) أى كقوله تعالى ـ فمن شهد منكم الشهر فليصمه ـ بعد قوله تعالى ـ وعلى الذين يطيقونه فدية ـ فليس ثواب من خير بين الأمرين كثواب من تحتم عليه الصوم (قوله أو مثلها) أى كنسخ استقبال بيت المقدس باستقبال الكعبة فانه لامشقة فى كل وليس أحدهما أكثر ثوابا من الآخر (قوله والاستفهام للتقرير) أى أقر واعترف بكون (ودّ

الله قديرا على كل شىء (قوله ومالكم من دون الله) ماحجازية ولكم خبرها مقدم ومن دون الله حال من ولى ومن زائدة وولى اسمها مؤخر ولا نصير معطوف على ولى ولازائدة لتأكيد النفى ويحتمل أنها تميمية وما بعدها مبتدأ وخبر ويحتمل أن من فى قوله من دون الله زائدة أو أصلية متعلقة بما تعلق به الخبر (قوله من ولى ولا نصير) الفرق بين الولى والنصير أن الولى قد يضعف عن النصرة والنصير قد يكون أجنبيا من المنصور فبينهما عموم وخصوص من وجه (قوله أن يوسعها) أى بإزالة الجبلين المحيطين بها (قوله ويجعل الصفا ذهبا) أى وغير ذلك مما ذكره الله فى سورة الإسراء فى قوله تعالى ـ وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا ـ الآية هكذا ذكر المفسر واستشكل ذلك بأن هذه السورة مدنية والسؤال من أهل مكة كان قبل الهاجرة فالحق أن يقال إن سبب نزولها سؤال يهود المدينة إنزال كتاب من السماء بدليل أن السورة مدنية وأن السياق فى خطاب اليهود ووجود أم التى بمعنى بل التى للاضراب الانتقالى المفيد أن له تعلقا بما قبله (قوله رسولكم) أى محمدا صلى الله عليه وسلم لأنه رسول الخلق أجمعين (قوله كما سئل موسى) بنى الفعل للمجهول للعلم بالفاعل (قوله وغير ذلك) أى من قولهم ادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض ومن قولهم اجعل لنا إلها كما لهم آلهة ونحو ذلك (قوله ومن يتبدل الكفر) استئناف لبيان حال من تعنت على نبيه (قوله سواء السبيل) من إضافة الصفة للموصوف أى السبيل السواء بمعنى المستوى (قوله أخطأ الطريق الحق) أى فقد شبه الدين الحق بالطريق المستوى بجامع أن كلا يوصل للمقصود

(نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ) أى نزل حكمها إما مع لفظها أولا وفى قراءة بضم النون من أنسخ أى نأمرك أو جبريل بنسخها (أَوْ نَنْسَأْهَا) نؤخرها فلا نزل حكمها ونرفع تلاوتها أو نؤخرها فى اللوح المحفوظ وفى قراءة بلا همز من النسيان أى ننسكها أى نمحها من قلبك وجواب الشرط (نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا) أنفع للعباد فى السهولة أو كثرة الأجر (أَوْ مِثْلِهَا) فى التكليف والثواب (أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ) ومنه النسخ والتبديل والاستفهام للتقرير (أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ) يفعل فيهما ما يشاء (وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ) أى غيره (مِنْ) زائدة (وَلِىٍّ) يحفظكم (وَلَا نَصِيرٍ) يمنع عذابه عنكم إن أتاكم. ونزل لما سأله أهل مكة أن يوسعها ويجعل الصفا ذهبا (أَمْ) بل أ (تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى) أى سأله قومه (مِنْ قَبْلُ) من قولهم أرنا الله جهرة وغير ذلك (وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ) أى يأخذه بدله بترك النظر فى الآيات البينات واقتراح غيرها (فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ) أخطأ الطريق الحق، والسواء فى الأصل الوسط.

(قوله ود كثير) سبب نزولها أن عمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان لما رجعا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة أحد اجتمعا برهط من اليهود فقالوا لهما ألم نقل لكما إن دين اليهودية هو الحق وغيره باطل فلو كان ماعاينه محمد حقا ماقتلت أصحابه مع دعواه أنه يقاتل والله معه فقال عمار بن ياسر ماحكم نقض العهد عندكم فقالوا فظيع جدا فقال إنى عاهدت محمدا على اتباعه إلى أن أموت فلا أنقضه أبدا فقالوا قد صبأ فقال حذيفة رضيت بالله ربا و بالاسلام دينا والكعبة قبلة والقرآن إماما والمؤمنين اخوانا فلما رجعا أخبرا رسول الله بذلك فقال أصبتما الخير وأفلحتما فنزلت (قوله ود كثير) من المودة وهى المحبة (قوله من أهل الكتاب) أى وهم اليهود (قوله لومصدرية) فتسبك مع مابعدها بمصدر مفعول ودّ التقدير ود كثير ردكم الخ ورد تنصب مفعولين لأنها بمعنى صير مفعولها الأول الكاف والثانى كفارا و يصح أن تكون لوشرطية وجوابها محذوف تقديره فيسرون و يفرحون بذلك (قوله كائنا) أشار بذلك إلى أن قوله من عند أنفسهم متعلق بمحذوف صفة لحسدا ومن ابتدائية (قوله من بعد ماتبين لهم) متعلق بود وما مصدرية أى من بعد تبين الحق لهم وهذا أبلغ قبح منهم لأنهم عرفوا الحق فلم يهتدوا ومع ذلك وقعت المراودة لغيرهم على الضلال فقد ضلوا وأضلوا (قوله فاعفوا) أى لاتؤاخذوهم

(وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ) مصدرية (يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَدًا) مفعول له كائنا (مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِمْ) أى حملتهم عليه أنفسهم الخبيثة (مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ) فى التوراة (الْحَقُّ) فى شأن النبى (فَاعْفُوا) عنهم أى اتركوهم (وَاصْفَحُوا) أعرضوا فلا تجازوهم (حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ) فيهم من القتال (إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ) طاعة كصلة وصدقة (تَجِدُوهُ) أى ثوابه (عِندَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) فيجازيكم به (وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا) جمع هائد (أَوْ نَصَارَى) قال ذلك يهود المدينة ونصارى نجران لما تناظروا بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم أى قال اليهود: لن يدخلها إلا اليهود وقال النصارى لن يدخلها إلا النصارى (تِلْكَ) القولة (أَمَانِيُّهُمْ) شهواتهم الباطلة (قُلْ) لهم (هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ) حجتكم على ذلك (إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) فيه (بَلَى) يدخل الجنة غيرهم (مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ) أى انقاد لأمره وخص الوجه لأنه أشرف الأعضاء فغيره أولى (وَهُوَ مُحْسِنٌ) موحد (فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ) أى ثواب عمله الجنة (وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) فى الآخرة (وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ) معتد به وكفرت بعيسى (وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ) معتد به وكفرت بموسى (وَهُمْ) أى الفريقان

بهذه المقالة وقوله واصفحوا أى لاتلوموهم فبينهما مغايرة وقيل متحدان وعليه مشى المفسر ومعناها عدم المؤاخذة ولم يؤمر النبى وأصحابه بقتالهم مع أنهم ناقضون للعهد بتلك المقالة لأن الواقعة كانت بعد غزوة أحد فكان الاذن فى القتال حاصلا فالجواب أن القتال المأذون فيه كان للمشركين وأما أهل الكتاب فلم يؤمروا بقتالهم إلا فى غزوة الاحزاب قيل قبلها وقيل بعدها فقتل قريظة وأجلى بنى النضير وغزا خيبر (قوله من القتال) أى الخاص بهم (قوله عند الله) العندية معنوية على حد: لى عند زيد يد أى مصون ومحفوظ مدخر (قوله قال ذلك يهود المدينة الخ) لف ونشر مرتب (قوله لما تناظروا) لما حينية ظرف لقالوا (قوله لن يدخلها إلا اليهود) سميت اليهود بذلك لأنهم هادوا بمعنى رجعوا من عبادة العجل وسميت النصارى بذلك لأنهم نصروا عيسى وهو جمع نصران أو نصرى (قوله تلك أمانيهم) مبتدأ وخبر وجمع الخبر مع كون المبتدأ مفردا لأنه جمع فى المعنى لأنه عائد على القولة وهى بمعنى للقالات (قوله هاتوا) قيل هو اسم فعل أمر وقيل فعل أمر وقيل اسم صوت والحق الوسط للحوق العلامة لها والمعنى أحضروا (قوله برهانكم) قيل مأخوذ من البرهة أى القطعة لأن به قطع حجة الخصم وقيل من البرهنة أى البيان فعلى الأول ممنوع من الصرف وعلى الثانى مصروف (قوله بلى) أى لايدخلها أحد منكم (قوله من أسلم وجهه) أى دخل الاسلام بوجهه أى بذاته ومعناه انقاد بظاهره وقوله موحد أى بباطنه لامنافق بل منقاد بظاهره مؤمن موحد بباطنه (قوله معتد به) أى بل هم على باطل وقدره المفسر اشارة إلى أن صفة شىء محذوفة وهذه أصدق مقالة قالتها اليهود والنصارى (قوله وكفرت بعيسى) أى وزعمت أنها قتلته

(قوله يتلون الكتاب) المراد به بالنسبة لليهود التوراة و بالنسبة للنصارى الأنجيل (قوله المشركون من العرب الخ) أى فالمراد من ذلك تسلية رسول الله على ماوقع من المشركين فان اليهود والنصارى كفروا وضلوا مع علمهم بالحق فكيف بمن لاعلم عنده فلا يستغرب ذلك منهم (قوله فالله يحكم بينهم) أى الفرق المذكورة اليهود والنصارى ومشركى العرب ومن أسلم وجهه لله وهو محسن (قوله ومن أظلم) من اسم استفهام مبتدأ وأظلم خبره (قوله أى لاأحد أظلم) استشكل بأنه يقتضى أن من منع مساجد الله من ذكر اسمه فيها لم يساوه أحد فى الظلم فكيف ذلك مع قوله تعالى ـ ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا ـ ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه، فمن أظلم ممن كذب على الله ـ الآية المقتضى كل آية منها أنه لا أحد أظلم ممن ذكر فيها . وأجيب بأن هؤلاء الموجودين فى الآيات ظلمهم زائد عن غيرهم وكون الظلم الواقع من بعضهم مساويا للبعض الآخر أم لا شىء آخر تأمل وأشار المفسر بقوله أى لاأحد أظلم إلى أن الاستفهام انكارى بمعنى النفى (قوله ممن منع) يتعدى للمفعولين الأول بنفسه وهو مساجد والثانى قوله أن يذكر فهو فى تأويل مصدر مجرور بمن التقدير لا أحد أظلم ممن منع مساجد الله من ذكر اسمه فيها والمنع إما بغلقها أو تعطيل الناس عنها أو تخريبها أو أكل ريعها أو التفريط فى حقوقها والعبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب (قوله مساجد الله) جمع مسجد سمى باسم السجود لأنه أشرف أركان الصلاة لقوله عليه الصلاة والسلام «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد» ولأنه محل غاية الذل والخضوع لله عز وجل و إن كان القياس فتح عينه فى المفرد لكنه لم يسمع إلا الكسر فالقراءة سنة متبعة (قوله بالصلاة والتسبيح) أشار بذلك إلى أن المراد بذكر اسم الله فيها مايعم الصلاة وغيرها (قوله نزلت الخ) هذا اشارة إلى بيان سبب نزولها (قوله إخبارا عن الروم) أى قبل بعثة الرسول حين توجهت جيوش بختنصر مع نصارى الروم لتخريب بيت المقدس وكان بختنصر هو مجوسيا من أهل بابل وذلك حين قتل بنو إسرائيل يحيى بن زكريا ولم يزل كذلك حتى بناه المسلمون فى خلافة عمر بن الخطاب (قوله عام الحديبية) أى وهو عام ست من الهجرة حين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ألف وأربعمائة بقصد العمرة فصده المشركون وهو بالحديبية فتحلل ورجع (قوله أن يدخلوها إلاخائفين) المعنى ليس لهم دخولها يعنى البيت أو بيت المقدس فى حال من الأحوال إلا فى حال كونهم خائفين (قوله خبر بمعنى الأمر) أى فالجملة خبرية لفظا إنشائية معنى وقوله أى أخيفوهم بالجهاد أى فالمراد من الآية أن الله كلفنا بقتالهم ومنعهم عن المسجد الحرام و بيت المقدس قال تعالى ـ ياأيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا ـ فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا بعد الفتح ينادى فى الناس أن لايطوف بالبيت عريان وأن لايحج بعد هذا العام مشرك وفى خلافة عمر فتح الشام ومدينة بيت المقدس ومنع المشركين من دخول بيت المقدس و يحتمل أنه خبر لفظا ومعنى فهو إخبار من الله بما وقع من النبى صلى الله عليه وسلم ومن عمر وهو الأقرب كما قال المفسرون ويصح أن يكون المعنى ما كان ينبغى لهم أن يدخلوها إلابخشية وخضوع فضلا عن أن يجترئوا على تخريبها وقيل غير ذلك (قوله فلا يدخلها أحد آمنا) من ذلك اختلفت المذاهب فى دخول الكافر المسجد فمنعه المالكية إلالحاجة وفصل الشافعية فقالوا إن أذن له مسلم فى غير المساجد الثلاثة جاز و إلا فلا وجوّزه الحنفية مطلقا (قوله لهم فى الدنيا خزى) هذا عام لكل من منع مساجد الله من ذكر اسم الله فيها كان مسلما أو كافرا فخزى المسلم فى الدنيا بالمصائب والفقر والعمى والموت على غير حالة مرضية وذكر المفسر خزى الكافر

(يَتْلُونَ الْكِتَابَ) المنزل عليهم وفى كتاب اليهود تصديق عيسى وفى كتاب النصارى تصديق موسى والجملة حال (كَذٰلِكَ) كما قال هؤلاء (قَالَ الذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ) أى المشركون من العرب وغيرهم (مِثْلَ قَوْلِهِمْ) بيان لمعنى ذلك أى قالوا لكل ذى دين ليسوا على شىء (فَاللهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) من أمر الدين فيُدخل المحق الجنة والمبطل النار (وَمَنْ أَظْلَمُ) أى لا أحد أظلم (مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ) بالصلاة والتسبيح (وَسَعَى فِي خَرَابِهَا) بالهدم أو التعطيل . نزلت إخباراً عن الروم الذين خربوا بيت المقدس أو فى المشركين لما صدوا النبى صلى الله عليه وسلم عام الحديبية عن البيت (أُولٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَائِفِينَ) خبر بمعنى الأمر أى أخيفوهم بالجهاد فلا يدخلها أحد آمناً (لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ) هوان بالقتل والسبى والجزية (وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ)

(قوله هو النار) أى على سبيل الخلود إن مات كافرا أوعلى سبيل التطهير إن مات مسلما فان العبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب وكل آية وردت فى الكفار فانها تجر ذيلها على عصاة المؤمنين (قوله لما طعن اليهود فى نسخ القبلة) أى التى هى بيت المقدس فان النبى صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة أمر بالصلاة لجهة بيت المقدس تأليفا لليهود فأشاعوا أن محمدا تابع لهم فى دينهم وشريعتهم ثم بعد مدة أمره الله بالانتقال إلى الكعبة فقالوا إن محمدا يفعل على مقتضى هواه وليس مأمورا بشرع فنزلت الآية (قوله أو فى الصلاة النافلة) أى نزلت فى شأن اعتراض اليهود على النبى حين شرعت صلاة النافلة على الدابة فى السفر حيثما توجهت (قوله ولله المشرق والمغرب) أى مكان الشروق والغروب وهذا ظاهر وأما آية رب المشرقين ورب المغربين فباعتبار مشرقى الصيف والشتاء ومغربيهما وأما آية ـ فلا أقسم برب المشارق والمغارب ـ فباعتبار مشرق كل يوم ومغربه لأن للشمس طرقا فى الشروق والغروب على قدر أيام السنة (قوله أى الأرض كلها) جواب عن سؤال مقدر كأنه قيل ماوجه الاقتصار على المشرق والمغرب ويحتمل أن فيه حذف الواو مع ماعطفت أى ومابينهما (قوله فأينما تولوا) أينما اسم شرط جازم ظرف مكان وتولوا فعل الشرط وقوله فثم وجه الله جواب الشرط وثم إشارة للمكان خبر مقدم ووجه الله مبتدأ مؤخر (قوله فثم وجه الله) أى جهته يعنى جهة رضاه وليس المراد بوجهه ذاته بل المراد أينما تولوا وجوهكم فى جهة أمركم الله بها تجدوا جهة رضاه والصوفية يريدون بالوجه الذات وهودليل على تنزه الله عن التخصيص بالجهة ومن هنا قال ابن العربى مقتضى التوحيد

هو النار . ونزل لما طعن اليهود فى نسخ القبلة أو فى صلاة النافلة على الراحلة فى السفر حيثما توجهت (وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ) أى الأرض كلها لأنهما ناحيتاها (فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا) وجوهكم فى الصلاة بأمره (فَثَمَّ) هناك (وَجْهُ اللَّهِ) قبلته التى رضيها (إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ) يسع فضله كل شىء (عَلِيمٌ) بتدبير خلقه (وَقَالُوا) بواو ودونها أى اليهود والنصارى ومن زعم أن الملائكة بنات الله (اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا) قال تعالى (سُبْحَانَهُ) تنزيها له عنه (بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) ملكا وخلقا وعبيدا والملكية تنافى الولادة وعبر بما تغليبا لما لا يعقل (كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ) مطيعون كل بما يراد منه وفيه تغليب العاقل (بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) موجدهما لاعلى مثال سبق (وَإِذَا قَضَى) أراد (أَمْرًا) أى إيجاده ،

أن الصلاة لأى جهة تصح وإنما أمرنا بجهة مخصوصة تعبدا ولم نعقل له معنى (قوله يسع فضله كل شىء) أى فسحة الصلاة ليست متوقفة على جهة بيت المقدس فقط كما زعمت اليهود بل خصنا الله بمزايا على حسب مزيد فضله لم تكن فيهم فمنها أمر القبلة ومنها جعل الأرض كلها مسجدا وتربتها طهورا وغير ذلك (قوله وقالوا) هذا من جملة قبائح اليهود ومشركى العرب حيث قالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقال مشركو العرب الملائكة بنات الله (قوله بواو ودونها) أى فهما قراءتان سبعيتان فعلى الواو هو معطوف على منع مساجد الله التقدير ومن أظلم ممن قال اتخذ الله ولدا وعلى عدمها هو مستأنف لبيان حال الكفرة وأما آية يونس فبترك الواو لاغير لعدم مايناسب العطف (قوله سبحانه) أى تنزه عنه لأن الولدية تقتضى النوعية والجنسية والافتقار والتشبيه والحدوث وهوسبحانه منزه عن ذلك كله (قوله لما لايعقل) أى غير العاقل لكثرته وإنما غلبه لأنه فى سياق القهر وهو مناسب لغير العاقل بخلاف قانتون فانه فى سياق الطاعة (قوله مطيعون) أى نافذ فيهم مراده فالمراد بالطاعة هنا الانقياد ونفوذ المراد (قوله وفيه تغليب العاقل) أى حيث جمعه بالواو والنون وإنما غلب العاقل هنا لشرفه ولأن شأن الطاعة أن تكون للعاقل وفيه مراعاة معنى كل ولو راعى لفظها لأفرد (قوله بديع) خبر لمبتدأ محذوف أى هو وقرىء بالجر بدل من الضمير فى له وبالنصب على المدح أى أمدح بديع (قوله لاعلى مثال سبق) أى فهما فى غاية الإتقان قال تعالى ـ أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها ـ الآيات (قوله وإذا قضى) يطلق القضاء على الوفاء يقال قضى دينه بمعنى وفاه ويطلق على الارادة وهو المراد هنا (قوله أراد) أى تعلقت إرادته به وفسر القضاء بالارادة للآية الأخرى وهى قوله تعالى ـ إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ـ وخير مافسرته بالوارد .

(قوله فإنما يقول له كن فيكون) ليس المراد أنه إذا تعلقت إرادته بإيجاد أمر أتى بالكاف والنون بل ذلك كناية عن سرعة الإيجاد فمراده نافذ ولا يتخلف بل ما علمه أزلا تعلقت به الارادة تعلقا تنجيزيا حادثا وأبرزه بالقدرة سريعا (قوله أى فهو يكون) أشار بذلك إلى أنه مستأنف مرفوع خبر لمبتدأ محذوف (قوله بالنصب) أى بأن مضمرة بعد فاء السببية أى يحصل و يوجد فى الخارج (قوله وقال الذين لايعلمون) أى الجاهلون الذين هم كالبهائم أو أضل (قوله أى كفار مكة) تقدم الاشكال بأن السورة مدنية وأن السائل له يهود المدينة ويمكن أن يجاب هنا بأن هذه الآية بخصوصها مكية وهو بعيد وأجاب أستاذنا الشيخ الدردير بأنه لامانع أن كفار مكة أرسلوا ذلك السؤال له وهو بالمدينة (قوله هلا) أشار بذلك إلى أنها تحضيضية وهى بذلك المعنى فى غالب القرآن (قوله يكلمنا الله) أى مشافهة أو على لسان جبريل فينزل علينا كما ينزل عليك (قوله مما اقترحناه) أى طلبناه والمقترح هو الشىء الذى لم يسبق إليه (قوله من التعنت الخ) هذا هو وجه المماثلة لأن ماوقع من الأمم الماضية ليس عين ما وقع من كفار مكة (قوله فيه تسلية للنبى) أى من قوله كذلك (قوله قد بينا الآيات لقوم يوقنون) أى فلا تحزن على من كفر فإنا قد وضحنا آياتنا لقوم يؤمنون بك ولا يتعنتون عليك قال تعالى تسلية له - ياأيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين (قوله تعنت) أى ممن كفر وعاند فلا تحزن عليه ويكفيك من آمن (قوله إنا أرسلناك) الخطاب له صلى الله

(فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) أى فهو يكون . وفى قراءة بالنصب جوابا للأمر (وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) أى كفار مكة للنبى صلى الله عليه وسلم (لَوْلَا) هلا (يُكَلِّمُنَا اللَّهُ) أنك رسوله (أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ) مما اقترحناه على صدقك (كَذَلِكَ) كما قال هؤلاء (قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) من كفار الأمم الماضية لأنبيائهم (مِثْلَ قَوْلِهِمْ) من التعنت وطلب الآيات (تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ) فى الكفر والعناد، فيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم (قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ) يعلمون أنها آيات فيؤمنون فاقتراح آية معها تعنت (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ) يامحمد (بِالْحَقِّ) بالهدى (بَشِيرًا) من أجاب إليه بالجنة (وَنَذِيرًا) من لم يجب إليه بالنار (وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ) النار أى الكفار ما لهم لم يؤمنوا إنما عليك البلاغ . وفى قراءة بجزم تسئل نهيا (وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ) دينهم (قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ) أى الإسلام (هُوَ الْهُدَى) وما عداه ضلال (وَلَئِنِ) لام قسم (اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ) التى يدعونك إليها فرضا (بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ) الوحى من الله (مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ) يحفظك (وَلَا نَصِيرٍ) يمنعك منه

عليه وسلم أى أرسلناك الناس كافة (قوله بالحق) الباء للملابسة أو المصاحبة أو السببية والأقرب الأولان (قوله بالهدى) أى دين الاسلام أو القرآن (قوله بشيرا) هو ونذيرا حالان إما من الكاف فى أرسلناك أو من الحق (قوله من) اسم موصول معمول لبشيرا وقوله أجاب إليه صلتها والمعنى انقاد له (قوله من لم يجب إليه) أى من لم ينقد إليه ولم يختره دينا (قوله النار) سميت النار جحيما لجحمها أى اضطرابها بأهلها من شدة لهيبها كاضطراب موج البحر (قوله مالهم لم يؤمنوا) (الذين هذه هو صورة السؤال أى حيث بلغت الرسالة ونصحت الأمة وكشفت الغمة وجليت الظلمة فلا تخف من كفرهم ولا يسألك الله عنه (قوله إنما عليك البلاغ) علة للنفى (قوله بجزم تسأل) أى مع فتح التاء مبنيا للفاعل وهما قراءتان سبعيتان والمعنى على هذه القراءة لا تسألنا يا محمد عن صفاتهم وأحوالهم فانها شنيعة فظيعة لا يسعك السؤال عنها لهولها أو المعنى لا تسألنا الشفاعة فيهم لأن كلمة العذاب حقت عليهم (قوله ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى) هذه مقالة قالها الله له حين قالت اليهود لانرضى عنك حتى تتبع ما نحن عليه وكذلك قالت النصارى (قوله وماعداه ضلال) أخذ ذلك من الجملة المعرفة الطرفين فانها تفيد الحصر (قوله لام قسم) أى محذوف تقديره وعزتى أو والله وعلامة كونها لام قسم وقوعها قبل إن الشرطية (قوله فرضا) أى على فرض وقوعه أو ذلك تخويف لأمته على حد ما قيل فى لئن أشركت ليحبطن عملك (قوله مالك من الله من ولى) هذا جواب القسم وجواب الشرط محذوف دل عليه المذكور لتأخر الشرط عن القسم لقول ابن مالك :

واحذف لدى اجتماع شرط وقسم ... جواب ما أخرت فهو ملتزم

ولو كان جوابا للشرط لاقترن بالفاء لكونه منفيا بما (قوله من ولى) من زائدة لتأكيد النفى

(قوله الذين آتيناهم الكتاب) أى القرآن وآتينا صلة الذين والهاء مفعول أوّل والكتاب مفعول ثان (قوله والجملة حال) أى إما مؤولة باسم الفاعل أو المفعول فعلى الأوّل هى حال من مفعول آتينا الأول الذى هو الضمير وعلى الثانى هى حال من الكتاب (قوله نصب على المصدر) فى الحقيقة صفة لمصدر محذوف تقديره تلاوة حق التلاوة والمعنى يقرءونه مجوّدا مرتلا بخشوع وخضوع كما نزل من جبريل لاينقصون عما ورد ولايزيدون عليه يأتمرون بأمره وينتهون بنهيه ويصدّقون وعده ووعيده ويتدبرون معانيه يعملون بمحكمه ويفوّضون علم متشابهه إلى الله (قوله أولئك يؤمنون) مبتدأ وخبر والجملة خبر المبتدا (قوله نزلت فى جماعة) أى أربعين اثنان وثلاثون من الحبشة وثمانيـة من رهبان الشام منهم بحيرا الراهب مقدّمهم جعفر بن أبى طالب ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله وأسلموا) أى وصاروا يتلون القرآن حق التلاوة، هكذا ذكر المفسر سبب نزولها وقيل نزلت فى كل من اتصف بهذا الوصف وقيل فى عبد الله بن سلام وأضرابه (قوله بأن يحرّفه) أى متعمدا بأن يتلاعب بمعانيه وألفاظه ويأخذ بظاهره والضمير عائد على القرآن وذلك كالخوارج الذين يأخذون بظاهره ولايعرفون معانيه فضلوا وأضلوا فإن من جملة أبواب الكفر الأخذ بظواهر الكتاب والسنة (قوله يابنى إسرائيـل) تقدمت هذه الآية وكررها لمزيد التقبيح عليهم (قوله اذكروا نعمتى) أى بالشكر عليها والمراد بها الجنس (قوله تقدم مثـله) أى من أن المراد عالمى زمانهم أو أن المراد آباؤهم الأنبياء أو المراد بالتفضـيل المزايا ففيهم مزايا لم توجد فى غـيرهم كفلق البحر وتفجير الماء من الحجر والمنّ والسلوى (قوله يوما) أى عذاب يوم (قوله تغنى نفس) أى مؤمنة وقوله عن نفس أى كافرة وهذه الجملة صفة ليوما وهو نكرة والجملة إذا وقعت صفة لنكرة فلابد لها من رابط وقد قدّره المفسر (٥٣) بقوله فيه (قوله ولا تنفعها شفاعة)

(الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ) مبتدأ (يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ) أى يقرءونه كما أنزل والجملة حال وحق نصب على المصدر والخبر (أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ) نزلت فى جماعة قدموا من الحبشة وأسلموا (وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ) أى بالكتاب المؤتى بأن يحرفه (فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم (يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ) تقدم مثله (وَاتَّقُوا) خافوا (يَوْمًا لَا تَجْزِي) تغنى (نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ) فيه (شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ) فداء (وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ) يمنعون من عذاب الله (وَ) اذكر (إِذِ ابْتَلَىٰ) اختبر (إِبْرَاهِيمَ) وفى قراءة إبراهام (رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ) بأوامر ونواه كلفه بها قيل هى

أى لا شـفاعة لها حق يترتب عليهـا النفع قال تعـالى - فمالنا من شافعين ولاصديق حميم - واتفقت القراآت السبع على الياء فى يقبل ولم يقرأ أحد بالتاء والقراءة سنة متبعـة (قوله واذكر إذ ابتلى) أشار بذلك إلى أن إذ ظرف لمحذوف قدّره بقوله اذكر والخطاب لمحمد أى اذكر يامحمد لقومك وقت ابتلاء إبراهيم ويصح تقدير اذكروا ويكون خطابا لبنى إسرائيل. والمقصود من ذكر قصـة إبراهيم إقامة الحجة على المخالف من اليهود والنصارى ومشركى العرب لأن الفرق جميعها يعترفون بفضل إبراهيم كان النبىّ صلى الله عليه وسلم يقول انظروا التكاليف التى كلف الله بها إبراهيم هل هى موافقة لما جئت به أو مخالفة (قوله وفى قراءة إبراهام) هما قراءتان سبعيتان وهذان لغتان من سبع والثالثة والرابعة والخامسة بغير ياء والهاء مثلثة والسادسة بغـير ياء والضم فتح الهاء والسابعة إبراهوم وهو اسم أعجمى وتعريبه أب رحيم وهو ابن تارخ بن آزر بن ناخور بن شاروخ بن ارغو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح وإبراهيم مفعول مقدم وربه فاعل مؤخر وتقديم المفعول هنا واجب لاتصال الفاعل ضمير يعود على المفعول فلو قدّم الفاعل لزم عليـه عود الضمير على متأخر لفظا ورتبة. قال ابن مالك:

وشاع نحو خاف ربه عمر وشذ نحو زان نوره الشجر

والاختبار فى الأصل الامتحان بالشىء ليعلم صـدق ذلك الشخص أو كذبه وهو مستحيل على الله لأنه عالم بذلك قبل الاختبار وإنما المراد عامله معاملة المختـبر ليظهر ذلك للخلق فاختبر إبراهيم فظهر صـدقه وإبليس فظهر كذبه (قوله بكلمات) قيل ثلاثون من شريعتنا: عشرة فى براءة وهى التائبون العابدون إلى وبشر المؤمنين، وعشرة فى الأحزاب وهى: إن المسلمين والمسلمات إلى قوله: أعدّ الله لهم مغفرة الآية، وتسعة فى المؤمنون من أولها إلى أولئك هم الوارثون وواحدة فى سأل وهى: والذين هم بشهاداتهم قائمون. وقيـل هى التـكاليف بخدمة البيت. وقيل ذبح ولده والرمى فى النار وهجرته من الشام إلى مكة

والنظر فى الشمس والقمر والكواكب لإقامة الحجة على قومه وبضميمة ماذكره المفسر تكون أقوالا خمسة ولا مانع من إرادة جميعها (قوله مناسك الحج) أى واجباته وسننه (قوله وقيل المضمضة الخ) هذه عشرة أشياء الخمسة الأول فى الوجه والرأس وماعداها فى باقى الجسد (قوله والختان) ورد أنه أول من اختتن وأول من قص الشارب وأول من قلم الأظفار وأول من رأى الشيب فلما رآه قال يارب ماهذا قال الوقار قال يارب زدنى وقارا ، وقوله والاستنجاء أى بالماء وأما بالحجر فهو من خصائص هذه الأمة (قوله فأتمهن) أى لم يفرط فى شىء منها (قوله قال تعالى له) هذا كلام مستأنف واقع فى جواب سؤال كأنه قيل مافعل الله به بعد ذلك أجاب بقوله قال له إنى جاعلك للناس إماما ومن ذلك أن العطايا الربانية تكون بعد التخلى عن الأغيار بالاختبار (قوله للناس) يحتمل أن يكون ظرفا لغوا متعلقا بجاعلك ويحتمل أنه حال من إماما لأنه نعت نكرة تقدم عليها وجاعل بمعنى مصير فينصب مفعولين الكاف مفعول أول وإماما مفعول ثان (قوله قال ومن ذريتى) هذا كعطف التلقين كما يقال لك سأكرمك فتقول وزيدا ومن للتبعيض وتخصيص البعض بذلك لبداهة استحالة إمامة الكل وإن كانوا على الحق (قوله اجعل أئمة) أى أنبياء أوملوكا عدولا أوعلماء وقد اجتمع ذلك فى ذريته (قوله عهدى) فاعل ينال فهو مرفوع بضمة مقدرة على ماقبل ياء المتكلم المحذوفة لالتقاء الساكنين منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المناسبة والظالمين مفعوله . والمعنى إن عهدى لايدرك الظالمين وقرىء بالعكس شذوذا لأنه إذا دار الأمر بين الاسناد للمعنى والذات فالاسناد للمعنى أولى (قوله وإذ جعلنا) معطوف على وإذ ابتلى وماقدر هناك يقدر هنا وجعل إن كانت

مناسك الحج وقيل المضمضة والاستنشاق والسواك وقص الشارب وفرق الرأس وقلم الأظفار ونتف الإبط وحلق العانة والختان والاستنجاء (فَأَتَمَّهُنَّ) أداهن تامات (قَالَ) تعالى له (إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا) قدوة فى الدين (قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِى) أولادى اجعل أئمة (قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى) بالامامة (الظَّالِمِينَ) الكافرين منهم دل على أنه ينال غير الظالم (وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ) الكعبة (مَثَابَةً لِلنَّاسِ) مرجعاً يثوبون إليه من كل جانب (وَأَمْنًا) مأمنا لهم من الظلم والاغارات الواقعة فى غيره كان الرجل يلقى قاتل أبيه فيه فلا يهيجه (وَاتَّخِذُوا) أيها الناس (مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ) هو الحجر الذى قام عليه ،

بمعنى خلق نصبت مفعولا واحدا وهو البيت ومثابة حال منه وإن كانت بمعنى صير نصبت مفعولين البيت مفعول أول ومثابة مفعول ثان وللناس جار ومجرور متعلق بجعلنا أو بمحذوف صفة لمثابة (قوله الكعبة) أشار بذلك إلى أن أل فى البيت للعهد (قوله مثابة) يحتمل أن يكون مصدرا ميميا وهو الذى درج عليه المفسر حيث فسره بقوله مرجعا ويحتمل أن يكون ظرف مكان أى محل رجوع يرجع إليه المرة بعد المرة أو المراد محل ثواب أى أن من لاذ به حصل له من الثواب مالايحصل له فى غيره لما ورد « ينزل من السماء مائة وعشرون رحمة على البيت ستون للطائفين وأربعون للمصلين وعشرون للناظرين » وأصل مثابة مثوبة تحركت الواو وانفتح ماقبلها قلبت ألفا (قوله وأمنا) إما مصدر باق على مصدريته أو بمعنى اسم الفاعل أوظرف مكان أى محل أمن وعليه درج المفسر وعلى كونه اسم فاعل فالاسناد مجاز أى آمنا من دخله ، وخير مافسرته بالوارد ، قال تعالى - ومن دخله كان آمنا - (قوله فلا يهيجه) أى لا يزعجه ولا يؤاخذه بما فعل ، وكان البيت معظما فى الجاهلية ففى الاسلام أولى ولذا قال ابن عباس إن معصيته تضاعف لأنه يشدد على من فى الحضرة مالايشدد على غيره . قال بعضهم :

لقد أسرك من يرضيك ظاهره   وقد أبرك من يعصيك مستترا

(قوله واتخذوا) أمر إما معطوف على ماتضمنه قوله مثابة تقديره فتوبوا واتخذوا أومستأنف مقول لقول محذوف تقديره وقال الله لهم اتخذوا (قوله أيها الناس) فيه حذف حرف النداء وهذا على قراءة الأمر (قوله من مقام إبراهيم) يحتمل أن من تبعيضية أوزائدة فى الاثبات على مذهب الأخفش أو بمعنى فى وكل بعيد والأقرب أنها بمعنى عند ، والسنة بينت أن الصلاة خلفه بأن يكون الحجر بين المصلى والكعبة (قوله هو الحجر) ورد أن طوله ذراع وعرضه كذلك وقد نزل هو والحجر الأسود مع آدم من الجنة وهما ياقوتتان من يواقيتها ولولا مس الكفار لهما لأضاءا مابين المشرق والمغرب .

(قوله عند بناء البيت) أى و بناؤه كان متأخرا عن بناء مكة لجرهم بنوا مكة أولا و إبراهيم بنى البيت ثانيا وذلك أن إبراهيم لما جاء بأم إسمعيل وابنها وهى ترضعه وضعهما عند مكان البيت وليس هناك يومئذ بناء ولا أحد فعطشت واشتد عليها الأمر فجاءها جبريل فبحث بعقبه أو بجناحه فى موضع زمزم حتى ظهر الماء فصارت تشرب منه فاستمرت كذلك هى وولدها حتى مرت بهم طائفة من جرهم فقالوا لها أتأذنين أن ننزل عندك؟ قالت نعم ولكن لاحق لكم فى الماء قالوا نعم فنزلوا عندها و بنوا مكة فلما شب اسمعيل وأعجبهم زوجوه امرأة منهم (قوله بأن تصلوا خلفه) هذا تخصيص لكون الصلاة عنده ومعنى كون الصلاة خلفه باعتبار مقصورته و إلا فهو مربع لاخلف له ولا أمام وهذا بحسب ماسبق من الزمان فانه كان على الحجر مقصورة بابها لجهة البيت وأما الآن فقد حول الباب فالمصلى لأن يصلى لجهة الباب فهو قبالته لاخلفه (قوله وفى قراءة) هما سبعيتان (قوله خبر) أى جملة خبرية معطوفة على جعلنا مسلط عليها إذ أى اذكر إذ جعلنا واذكر إذ اتخذ الناس من مقام إبراهيم مصلى (قوله و إسمعيل) فيه لغتان باللام والنون ويجمع على سماعل وسماعلة وأسامع قيل سمى بذلك لأن إبراهيم لما دعا الله أن يرزقه ولدا صار يقول اسمع ايل أى استجب يا ألله (قوله أن) يحتمل أنها تفسيرية وهو الأقرب لوجود ضابطها وهو أن تتقدمها جملة فيها معنى القول دون حروفه وصحة حلول أى محلها ويحتمل أنها مصدرية وكلام المفسر يحتملهما (قوله من الأوثان) إن قلت إنه لم يكن

عند بناء البيت (مُصَلًّى) مكان صلاة بأن تصلوا خلفه ركعتى الطواف وفى قراءة بفتح الخاء خبر (وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَعِيلَ) أمرناهما (أَنْ) أى بأن (طَهِّرَا بَيْتِيَ) من الأوثان (لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ) المقيمين فيه (وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ) جمع راكع وساجد المصلين (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا) المكان (بَلَدًا آمِنًا) ذا أمن وقد أجاب الله دعاءه فجعله حرما لايسفك فيه دم إنسان ولا يظلم فيه أحد ولا يصاد صيده ولا يختلى خلاه (وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ) وقد فعل بنقل الطائف من الشام إليه وكان أقفر لازرع فيه ولا ماء (مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) بدل من أهله وخصهم بالدعاء لهم موافقة لقوله لاينال عهدى الظالمين (قَالَ) تعالى (وَ) أرزق (مَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ) بالتشديد والتخفيف فى الدنيا بالرزق (قَلِيلًا) مدة حياته (ثُمَّ أَضْطَرُّهُ) ألجئه فى الآخرة (إِلَى عَذَابِ النَّارِ) فلا يجد عنها محيصا (وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) المرجع هى (وَ) اذكر (إِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ)،

حين بناء البيت أوثان قلت أجيب بأن المراد طهراه فيما يستقبل من الزمان لعلم الله أن المشركين ستتخذ أوثانا وليس المراد أن الأوثان كانت موجودة حينئذ وأمر بطهارته منها (قوله للطائفين) جمع طائف وهو الذى يطوف حوله الأشواط (قوله والعاكفين) جمع عاكف وهو عرفا اللازم للمسجد للعبادة على وجه مخصوص ولكن المراد به هنا المقيم فيه يفسره قوله فى الآية الأخرى والقائمين فالعاكفون والقائمون والمقيمون بمعنى واحد (قوله المصلين) أخذ ذلك من عدم عطف السجود على الركع فالمراد جمعهما فى عبادة لا أن الركع قسم والسجود قسم آخر (قوله و إذ قال إبراهيم) معطوف على و إذ ابتلى (قوله بلدا) نكره هنا وعرفه بأل فى سورة إبراهيم لأنه قيل إن ماهنا كان قبل بنائها وماهناك بعده (قوله آمنا) إن قلت إن الله قد امتن به من غير سؤال إبراهيم. أجيب بأن المراد بالذى امتن الله به الأمن من إغارات الأعداء وبالذى طلبه إبراهيم الأمن من القحط والجوع (قوله خلاه) بالقصر أى حشيشه (قوله من الثمرات) أى بعضها (قوله إليه) أى إلى قربه بنحو مرحلتين وقد نقل الموضع الذى كان بالحجاز موضع ما نقل من الشام بمكان يسمى الحرة أقفر مشهور بالشام كذا قيل (قوله وأرزق من كفر) هذا يسمى عطفا تلقينيا (قوله و بئس المصير) جملة استئنافية لانشاء الذم وليست معطوفة على ثم أضطره (قوله هى) هذا هو المخصوص بالذم. والحاصل أن إبراهيم لما قال الله له إنى جاعلك للناس إماما طلب أن يكون من ذريته من هو كذلك فأجابه الله بأنه لاينال عهده الظالمين، فلما بنى البيت ودعا لأهله بالرزق من الثمرات خصص دعوته بالمؤمن منهم قياسا منه الرزق على الامامة وخوفا من رد دعوته إذا عمم فلقنه الله قوله ومن كفر أى فالمؤمن والكافر سواء فى الرزق الدنيوى وأما فى الامامة فليسوا سواء (قوله واذكر) أى يا محمد وقت رفع إبراهيم القواعد (قوله القواعد) جمع قاعدة

وهى حجارة كبار كل حجر قدر البعير والمراد برفع القواعد بناء البيت ورفعه عليها (قوله الأسس) جمع أساس وهى القواعد وقوله والجدر جمع جدار وهى الأسس فالعطف مرادف . وقصة بناء البيت أن الله لما خلق الماء قبل الأرض بألفى عام كان ذلك البيت زبدة بيضاء على وجه الماء فدحيت الأرض و بسطت وامتدت من تلك الزبدة فلما أهبط آدم إلى الأرض استوحش إلى ذكر الله فأنزل الله البيت المعمور وهو من ياقوتة حمراء له بابان من زمردة خضراء باب بالمشرق و باب بالمغرب ووضع موضع الزبدة فكان يأتيه ماشيا من الهند ورد أنه حجه ماشيا أربعين عاما فلما فرغ قالت الملائكة لقد برّ حجك يا آدم فلما جاء الطوفان أمر الله برفعه إلى السماء السابعة فكان . وضع البيت خاليا إلى زمن إبراهيم و بعث الله جبريل حين رفعه فخبأ الحجر الأسود فى جبل أبى قبيس صيانة له من الغرق هكذا قيل والمشهور أن أول من بناه الملائكة ثم آدم ثم شيث واستمر حتى جاء طوفان نوح فأذهب رسومه الظاهرية لاقواعده لأنها ثابتة متصلة بالأرض السابعة ثم أتى جبريل بالحجر الأسود وألقمه بل أبى قبيس فلما أتى إبراهيم وأراد بناءه جاءه جبريل وحدده له وأعلمه بالحجر الأسود فبناه على طبق ما رأى من القواعد ثم بناه بعده العمالقة ثم جرهم ثم قصى ثم قريش وكان الواضع للحجر الأسود فى محله النبى صلى الله عليه وسلم وقصرت بهم النفقة فلم يتموا بناءه على قواعد إبراهيم بل نقضوه وأخرجوا الحجر منه ثم ابن الزبير وقد رده لقواعد إبراهيم مستدلا بحديث عن عائشة «لولا قومك حديثو عهد بكفر لبنيت البيت على قواعد إبراهيم» ثم لما تولى الحجاج عامله الله بعدله حارب ابن الزبير وقتله وهدم البيت بالمنجنيق و بناه كما بنته قريش وهو الآن على بنائه ونظمهم بعضهم فقال :

بنى بيت رب العرش عشر فخذهم
ملائكة الله الكرام وآدم
فشيث فإبراهيم ثم عمالق
قصى قريش قبل هذين جرهم
وعبد الاله ابن الزبير بنى كذا
بناء لحجاج وهذا متمم

الأسس أو الجدر (مِنَ الْبَيْتِ) يبنيه متعلق بيرفع (وَإِسْمٰعِيلُ) عطف على إبراهيم يقولان (رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا) بناءنا (إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ) للقول (الْعَلِيمُ) بالفعل (رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ) منقادين (لَكَ وَ) اجعل (مِنْ ذُرِّيَّتِنَا) أولادنا (أُمَّةً) جماعة (مُسْلِمَةً لَكَ) ومن للتبعيض وأتى به لتقدم قوله لاينال عهدى الظالمين (وَأَرِنَا) علمنا (مَنَاسِكَنَا) شرائع عبادتنا أو حجنا (وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) سألاه التوبة مع عصمتهما تواضعا وتعليما لذريتهما (رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ) أى أهل البيت (رَسُولاً مِنْهُمْ) من أنفسهم وقد أجاب الله دعاءه بمحمد صلى الله عليه وسلم (يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ) القرآن (وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ) القرآن (وَالْحِكْمَةَ) أى ما فيه من الأحكام (وَيُزَكِّيهِمْ) يطهرهم من الشرك (إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ) الغالب (الْحَكِيمُ) فى صنعه (وَمَنْ) ،

(قوله يقولان) قدره المفسر ليصح جعل الجملة حالا من إبراهيم و إسماعيل لان الجملة الانشائية لاتقع حالا إلا بتقدير وعبر بالمضارع فى يرفع استحضارا للحال الماضية لعظم شأنه كأنه حصل الآن وهو يحدث عنه (قوله للقول) أى دعائنا (قوله بالفعل) أى بنائنا (قوله منقادين) أى كاملين فى الانقياد لأن الكامل يقبل الكمال وليس المراد طلب أصل الاسلام لأن الأنبياء معصومون من كل معصية سيما الكفر (قوله جماعة) أى وهو الأصل الكثير وتطلق على المقتدى به كقوله تعالى - إن إبراهيم كان أمة - وتطلق على الملة ، قال تعالى - إنا وجدنا آباءنا على أمة - (قوله وأرنا) رأى عرفانية تنصب مفعولا واحدا ودخلت عليها الهمزة فتعدت لاثنين فنا مفعول أول ومناسكنا مفعول ثان (قوله التواب) أى كثير القبول لتوبة من تاب و يوصف العبد بذلك الوصف بمعنى كثير التوبة والرجوع عن القبائح والرذائل (قوله الرحيم) أى عظيم الرحمة وهى الانعام أو إرادته (قوله تواضعا) أى أوطلبا للارتقاء من مقام أعلى مما هما فيه (قوله أهل البيت) أى بيت إبراهيم وهم ذريته ولم يأت نبى من ذرية إبراهيم و إسمعيل إلا نبينا صلى الله عليه وسلم وأما غالب الأنبياء فمن ذرية إسحق (قوله والحكمة) هى العلم النافع (قوله الغالب) أى الذى أمره نافذ (قوله الحكيم) هو الذى يضع الشىء فى محله (قوله ومن يرغب عن ملة إبراهيم) سبب نزولها أن عبد الله بن سلام أسلم وكان له ابنا أخ أحدهما اسمه مهاجر والثانى اسمه سلمة فدعاهما إلى الاسلام وقال لهما قد علمتما أن الله قال فى التوراة إنى باعث من ولد إسمعيل نبيا اسمه أحمد من آمن به فقد اهتدى ومن لم يؤمن به فهو ملعون فأسلم سلمة وأبى مهاجر فنزلت الآية والعبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب .

(قوله أى لا يرغب) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفى والاستثناء المفرغ لايكون إلابعد النفى ومافى معناه والرغبة عن الشىء الزهد فيه (قوله عن ملة إبراهيم) أى دينه وشريعته فالملة والدين والشريعة بمعنى واحد وهو الأحكام التى جعلها الله للتعبد بها فمن حيث إملاؤها يقال لها ملة ومن حيث شرعها يقال لها شريعة ومن حيث التدين بها يقال لها دين (قوله إلا من سفه نفسه) يحتمل أن من اسم موصول والجملة بعدها صلة أو نكرة والجملة بعدها صفة وعلى كل فهو بدل من فاعل يرغب التقدير ولايرغب عن ملة إبراهيم أحد إلا الذى أو شخص سفه نفسه (قوله جهل أنها مخلوقة) هذا بناء على أنه لايتعدى بنفسه إلا بتضمينه معنى جهل ومعنى جهله نفسه لم يتأمل ولم ينظرفيها فيستدل على أن لها صانعا أتقن صنعها فيؤمن به (قوله أو استخف بها) هذا بناء على أنه يتعدى بنفسه كالمشدد ومعنى استخفافه بها تركه العبادة لله التى بها العز الأبدى (قوله ولقد اصطفيناه) هذا حجة لقوله ومن يرغب وأكدت هذه الجملة باللام فقط ومابعدها بان واللام لأن هذه الجملة متعلقة بأمر الدنيا وهو فيها ظاهر الحال بخلاف الجملة الثانية فانها متعلقة بالآخرة وهو أمر مغيب لايؤمن به إلا من نور الله بصيرته فاحتاجت لزيادة التأكيد (قوله وفى قراءة وأوصى) أى فهما قراءتان سبعيتان فالهمز والتضعيف أخوان (قوله إبراهيم بنيه) أى (٥٧) وهم إسمعيل وهو من هاجر و إسحق وهو من سارة وكان له ستة أولاد من امرأة تسمى قنطورا الكنعانية تزوجها بعد وفاة سارة فجملة أولاده ثمانية وقيل أربعة عشر (قوله ويعقوب بنيه) أشار بذلك إلى أن يعقوب بالرفع معطوف على إبراهيم والمفعول محذوف قدره المفسر بقوله بنيه وهم اثنا عشر روبيل[1] بضم الراء وشمعون ولاوى ويهودا ويشسبوخون وزبولون ودون وبقيون وكودا وأوشيز وبنيامين ويوسف كذا فى البيضاوى (قوله قال يابنى) هذا هو صورة الوصية

أى لا (يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ) فيتركها (إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ) جهل أنها مخلوقة لله يجب عليها عبادته أو استخف بها وامتهنها (وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ) اخترناه (فِي الدُّنْيَا) بالرسالة والخلة (وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ) الذين لهم الدرجات العلى . واذكر (إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ) انقد لله وأخلص له دينك (قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ وَوَصَّى) وفى قراءة وأوصى (بِهَا) بالملة (إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ) بنيه قال (يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ) دين الاسلام (فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) نهى عن ترك الاسلام وأمر بالثبات عليه إلى مصادفة الموت . ولما قال اليهود للنبى : ألست تعلم أن يعقوب يوم مات أوصى بنيه باليهودية نزل (أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ) حضورا (إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ) بدل من إذ قبله (قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي) بعد موتى (قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ) عدّ إسماعيل من الآباء تغليب ولأن العم بمنزلة الأب (إِلَٰهًا وَاحِدًا) بدل من إلهك (وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) وأم بمعنى همزة الانكار أى لم تحضروه وقت موته فكيف تنسبون إليه ما لا يليق به (تِلْكَ) مبتدأ والإشارة إلى إبراهيم ويعقوب وبنيهما وأنث لتأنيث خبره (أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ) سلفت

(قوله فلاتموتنّ) أصله تموتون أكد بالنون فصار تموتوننّ حذفت نون الرفع لتوالى الأمثال فالتقى ساكنان الواو والنون حذفت الواو لالتقائهما (قوله نهى عن ترك الاسلام الخ) دفع بذلك مايقال إنّ الموت على الاسلام ليس فى طاقة العبد لما معنى التكليف به. فأجاب بأنّ المراد التكليف بالاسلام والنهى عن تركه كقولك لشخص لاتصلّ إلا وأنت خاشع فهو نهى عن ترك الخشوع فيها (قوله بدل من إذ قبله) أى بدل اشتمال (قوله ماتعبدون من بعدى) أتى بما دون من امتحانا لهم لأنه فى زمنه كثرت عبادة غيرالله و إنما امتحنهم لتظهر سرائرهم (قوله إبراهيم الخ) بدل من آبائك وكرر إله لأنه الفصيح مطلقا اسما كما هنا أوحرفا كمررت بك وبزيد . قال ابن مالك :

وعود خافض لدى عطف على ضمير خفض لازما قد جعلا

(قوله وإسماعيل) قدمه على إسحق وإن كان أبا يعقوب لمزيتين كونه أسنّ منه وكونه أبا النبى عليه الصلاة والسلام (قوله ولأن العم بمنزلة الأب) أى لما فى الحديث «عمك صنو أبيك» (قوله إلها واحدا) كرره لدفع توهم التعدّد من تعدّد المضاف (قوله بمعنى همزة الانكار) أى فتارة تفسر بها وحدها كما هنا وتارة تفسر بها وببل وتارة تفسر ببل وحدها (قوله أمة قد خلت) هذا ردّ على اليهود من حيث افتخارهم بآبائهم .

(١) قوله روبيل الخ فى بعض هذه الأسماء مخالفة لما فى أبى الفداء فليراجع اهـ .

(قوله من العمل) أى فلاينفع أحدا كسب غيره بل كل امرىء بما كسب رهين خيرا كان أو شرا (قوله استئناف) أى قلها خبر مقدم وما مبتدأ مؤخر وكسبت صلتها والعائد محذوف أى كسبته (قوله والجملة تأكيد لما قبلها) أى لأنه إذا كان لها ما كسبت فلايسئلون عن عملكم وإذا كان لكم ما كسبتم فلا تسئلون عما كانوا يعملون وقوله كما لايسئلون عن عملكم إشارة إلى أن فى الكلام اكتفاء (قوله وقالوا كونوا هودا أونصارى) هذا فى المعنى معطوف على قوله فى ماننسخ وقالوا لن يدخل الجنة إلامن كان هودا أونصارى (قوله تهتدوا) أى تصلوا للخير وتبلغوا السعادة (قوله أوللتفصيل) أى لاللجمع فانّ مقالة يهود المدينة كونوا هودا تهتدوا لأنه لايدخل الجنة إلامن كان هودا، ومقالة نصارى نجران كونوا نصارى تهتدوا لأنه لايدخل الجنة إلامن كان نصارى (قوله نتبع) قدره إشارة إلى أن ملة معمول لمحذوف والجملة مقول القول فى محل نصب (قوله حال من إبراهيم) أى والشرط موجود وهو كون المضاف كالجزء من المضاف إليه (قوله وما كان من المشركين) تعريض لهم بأنهم هم المشركون (قوله خطاب للمؤمنين) أى ويصح أن يكون خطابا لليهود والنصارى أى إذا أردتم النجاة فلاتشركو وقولوا آمنا (قوله وماأنزل إلينا) معطوف على لفظ الجلالة وقوله من القرآن بيان لما (قوله من الصحف العشر) قال تعالى - إنّ هذا لفى الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى -

(لَهَا مَا كَسَبَتْ) من العمل أى جزاؤه استئناف (وَلَكُمْ) الخطاب لليهود (مَا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْئَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) كما لايسألون عن عملكم ، والجملة تأكيد لما قبلها (وَقَالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا) أو للتفصيل ، وقائل الأول يهود المدينة والثانى نصارى نجران (قُلْ) لهم (بَلْ) نتبع (مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً) حال من إبراهيم مائلا عن الأديان كلها إلى الدين القيم (وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ . قُولُوا) خطاب للمؤمنين (آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا) من القرآن (وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ) من الصحف العشر (وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ) أولاده (وَمَا أُوتِيَ مُوسَى) من التوراة (وَعِيسَى) من الانجيل (وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ) من الكتب والآيات (لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ) فنؤمن ببعض ونكفر ببعض كاليهود والنصارى (وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ . فَإِنْ آمَنُوا) أى اليهود والنصارى (بِمِثْلِ) مثل زائدة (مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا) عن الايمان به (فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ) خلاف معكم (فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ) يامحمد شقاقهم (وَهُوَ السَّمِيعُ) لأقوالهم (الْعَلِيمُ) بأحوالهم .

(قوله وإسمعيل الخ) إن قلت إن إسمعيل وإسحق ويعقوب والأسباط لم ينزل عليهم كتاب أجيب بأنه أوحى إليهم بصحف إبراهيم فلم يكن مغايرا لما نزل على إبراهيم (قوله أولاده) أى أولاد يعقوب وهم أسباط بالنسبة لاسحاق وإبراهيم وأولادهم أسباط للجميع ويؤخذ من الآية أن الأسباط أنبياء وهو المعتمد كما ذكره ابن حجر فى شرحه على الهمزية . إن قلت حيث كانوا أنبياء فهم معصومون من الصغائر والكبائر قبل النبوة وبعدها فكيف ذلك مع مايأتى فى سورة يوسف من رميه فى الجب وإتيانهم على قميصه بدم كذب وغير ذلك من الأمور المنافية للنبوة . أجيب بأنهم غير مشرعين بل هم أنبياء فقط فلايلزمهم إجراء فعلهم على مقتضى الظاهر بل على سرّ القدر فالمدار على خلوصهم فى الباطن على حدّ ماقيل فى أفعال الخضر مع موسى وقد شهد الله له بأنه مافعله عن أمره فيكون ماجرى من الأسباط فى حق يوسف كما جرى من الخضر أوأولى وسيأتى بسط ذلك فى سورة يوسف إن شاء الله تعالى (قوله وماأوتى موسى) عبر أوّلا بأنزل وثانيا بأوتى تفننا ودفعا للثقل (قوله وعيسى) لم يكرر ماأوتى لأن مؤدّى الانجيل والتوراة واحد وإنما التغاير فى شىء يسير وهو تحليل بعض ماحرم (قوله وما أوتى النبيون) هذا من عطف العام على الخاص إشارة إلى أنه يجب علينا الايمان بجميع أنبياء الله وما أنزل عليهم (قوله كاليهود) أى فانهم آمنوا بموسى وكفروا بمن عداه وقوله والنصارى أى فانهم آمنوا بعيسى وكفروا بمن عداه (قوله مثل زائدة) أى لأن المعنى على أصالتها فاسد لأنه يوهم أنهم مأمورون بالايمان بمثل الله ومثل ماأنزل على محمد الخ وهذا باطل (قوله خلاف) أى مخالفة للدين الحق ويطلق على الضلال وعلى العداوة ويصح إرادة كل منها لأن من تولى عن الايمان فهو فى ضلال ومعاداة لله (قوله شقاقهم) أى ضرر ضلالهم ومخالفتهم ومعاداتهم

(قوله بقتل قريظة) أى فقد قتل منهم فى يوم واحد سبعمائة من صناديدهم ورموا فى الخندق (قوله وضرب الجزية عليهم) أى اليهود والنصارى (قوله صبغة الله) الصبغ بالكسر أثر الصبغ بالفتح الذى هو المصدر . وسبب نزول الآية أن النصارى كانوا يغمسون أولادهم فى ماء أصفر يسمى ماء للعمودية ويقولون حينئذ قد صار نصرانيا حقا ، فنزلت ردًّا عليهم كأن الله يقول لهم صبغتى تعبيدى لا أحسن منها صبغة (قوله أى صبغنا) من باب نفع وضرب ونصر (قوله كالصبغ فى الثوب) أشار بذلك إلى أن فى الكلام استعارة تصريحية أصلية حيث شبه آثار الايمان القائم بالشخص بالصبغ القائم بالثوب بجامع المكث والظهور فى كلّ واستعير اسم المشبه به للمشبه وفى هذه الآية بشرى للمؤمنين عظيمة وهى أن الايمان فى القلب كالصبغ المتقن فى الثوب فكما لا يزول الصبغ من الثوب كذلك الايمان لا يزول من القلب لأن صبغة الله لا أحسن منها ولذا قيل إن موت المؤمن على غير الايمان نادر كالكبريت الأحمر والمراد من الصبغة الأنوار الكائنة فى القلب والأعضاء لأن الايمان لا يكمل إلا إذا صبغ به كصبغة الثوب قال تعالى ـ سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ـ وقال تعالى ـ نورهم يسعى بين أيديهم و بأيمانهم ـ وفى الحديث «لو كشف عن نور المؤمن العاصى لأضاء ما بين المشرق والمغرب و إنما انحجب عنه ليتم وعد الله ووعيده» (قوله قال اليهود)

وقد كفاه إياهم بقتل قريظة ونفى النضير وضرب الجزية عليهم (صِبْغَةَ اللهِ) مصدر مؤكد لآمنا ونصبه بفعل مقدر أى صبغنا الله والمراد بها دينه الذى فطر الناس عليه لظهور أثره على صاحبه كالصبغ فى الثوب (وَمَنْ) أى لا أحد (أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً) تمييز (وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ) قال اليهود للمسلمين نحن أهل الكتاب الأول وقبلتنا أقدم ولم تكن الأنبياء من العرب ولو كان محمد نبيًّا لكان منا فنزل (قُلْ) لهم (أَتُحَاجُّونَنَا) تخاصموننا (فِى اللهِ) أن اصطفى نبيًّا من العرب (وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ) فله أن يصطفى من عباده من يشاء (وَلَنَا أَعْمَالُنَا) نجازى بها (وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ) تجازون بها فلا يبعد أن يكون فى أعمالنا ما نستحق به الإكرام (وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ) الدين والعمل دونكم فنحن أولى بالاصطفاء . والهمزة للانكار ، والجمل الثلاث أحوال (أَمْ) بل أ (يَقُولُونَ) بالياء والتاء (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ) لهم (ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللهُ) أى الله أعلم وقد برأ منهما إبراهيم بقوله « ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانياً » والمذكورون معه تبع له (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ) أخفى الناس (شَهَادَةً عِنْدَهُ) كائنة (مِنَ اللهِ) أى لا أحد أظلم وهم اليهود كتموا شهادة الله فى التوراة لإبراهيم بالحنيفية (وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ)

شروع فى ذكر سبب نزول الآية (قوله الأول) أى السابق على الانجيل والقرآن (قوله من العرب) أى بل كانت من بنى إسرائيل (قوله قل) أى يا محمد والخطاب لكلّ عاقل يريد إقامة الحجة عليهم (قوله فله أن يصطفى من عباده من يشاء) أى فلا حرج عليه فى أفعاله (قوله ولنا أعمالنا) أى فان كانت النبوّة من جهة اصطفاء الله واختياره فربكم هو ربنا فيختص برحمته من يشاء و إن كانت من جهة العمل فكما لكم أعمال تجازون عليها لنا أعمال نجازى عليها فنحن مشتركون معكم فى العبودية والأعمال (قوله ونحن له مخلصون) أى لم نشرك به أحدا بخلافكم أنتم فقد زدنا عليكم وصفا وهو الاخلاص فكان الأولى بذلك نحن لا أنتم (قوله أحوال) أى إما من الواو أو نا لكن الأظهر فى الأخيرة أنها حال من نا وعامل الحال على كلّ هو الفعل الذى هو أتحاجوننا (قوله بالياء والتاء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله أو نصارى) أو للتقسيم والتوزيع فاليهود نسبوا لهم اليهودية والنصارى نسبوا لهم النصرانية (قوله أأنتم أعلم) الهمزة للاستفهام وما بعدها مبتدأ وخبر والمستفهم عنه يجوز توسطه بين الهمزة وأم كما هنا وهو الأحسن ويجوز فى غير القرآن أن تقول أأعلم أنتم أم الله او أأنتم أم الله أعلم (قوله أم الله) أم معادلة للهمزة التى هى لطلب التعيين واسم التفضيل ليس على بابه بل للتهكم والاستهزاء (قوله أى الله أعلم) أشار بذلك إلى أنه جواب الاستفهام وأن خبر المبتدأ محذوف دل عليه المذكور (قوله تبع له) جواب عن سؤال مقدر تقديره إن الله قد برأ إبراهيم ولم يذكر معه أولاده ومن جملة ما رد عليهم به قوله تعالى ـ يا أهل الكتاب لم تحاجون فى إبراهيم وما أنزلت التوراة والانجيل إلا من بعده أفلا تعقلون ـ (قوله كائنة من الله) أشار بذلك إلى أن قوله عنده صفة أولى لشهادة وقوله من الله متعلق بمحذوف صفة ثانية لها (قوله لابراهيم بالحنيفية) أى ولمحمد بالرسالة حيث ذكر الله أوصافه وأخلاقه فى كتبهم فغيروها وبدلوها (قوله وما الله بغافل عما تعملون)

الغفلة هى ترك الشىء مع التمكن من العلم به وذلك مستحيل على الله تعالى فالمراد بها الامهال ليوم القيامة ومما يفسر تلك الآية قوله تعالى ـ ولاتحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار ـ وقوله ـ وما الله بغافل عما تعملون ـ أبلغ فى التهديد من قوله ـ والله عليم بما تعملون ـ مثلا لأن عدم الغفلة يستلزم العلم بخلاف العلم فلايستلزم عدم الغفلة (قوله تلك أمة) أى أنبياء بنى إسرائيل (قوله قد خلت) أى سبقت (قوله لها ما كسبت) أى من خير أو شر (قوله ولا تسئلون عما كانوا يعملون) أى ولا يسئلون عن عملكم (قوله تقدم مثله) أى وإنما كرره الله لمزيد بلادتهم فان السامع إذا كان بليدا فالأبلغ تكرار الكلام له لاقامة الحجة عليه (قوله سيقول السفهاء) سيأتى للمفسر أن الآية من الاخبار بالغيب . وحاصل ذلك أن النبى كان يستقبل الكعبة فى صلاته وهو بمكة فلما هاجر إلى المدينة أمر باستقبال بيت المقدس فأنزل الله هذه الآية ليعلمه بأنه سيحوله للكعبة فيعترض عليه وليكون معجزة له من حيث إخباره بالمغيبات ثم نزلت آية تحويل القبلة لمقتضاه أن هذه الآية متقدمة فى النزول والتلاوة ودرج على ذلك جماعة من المفسرين والذى ورد عن ابن عباس وغيره أنها متقدمة فى التلاوة متأخرة فى النزول عن آية التحويل وحكمة الاتيان بالسين إفادة الاستمرار على هذه المقالة منهم وممن يأتى بعدهم. والسفهاء جمع سفيه وهو من يتجنب المنافع ويتعلق بالمضار دنيوية أو دينية ولا شك أن الكافر تعلق بالمضار الدينية فكل كافر سفيه (قوله من الناس) بيان للسفهاء احترازا عن البهائم فانها تسمى سفهاء أيضا (قوله اليهود) أى فانهم اعترضوا على النبى وأصحابه فى تحولهم عن جهة بيت المقدس إلى جهة الكعبة وقوله والمشركين أى فانهم اعترضوا عليهم فى تحولهم أولا ورجوعهم ثانيا (قوله ماولاهم) ما استفهامية والجملة بعدها خبر عنها (قوله إلى أى جهة شاء) أى فالأمر باستقبال جهة مخصوصة تعبدى لا نعقل له معنى (قوله هدايته) مفعول يشاء (قوله ومنهم أنتم) أى من المهتدين أمة محمد صلى الله عليه وسلم (قوله وكذلك) اسم الاشارة عائد على الهداية (قوله أى كما هديناكم إليه

تهديد لهم (تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْئَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) تقدم مثله (سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ) الجهال (مِنَ النَّاسِ) اليهود والمشركين (مَا وَلَّاهُمْ) أى شىء صرف النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا) على استقبالها فى الصلاة وهى بيت المقدس والاتيان بالسين الدالة على الاستقبال من الإخبار بالغيب (قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ) أى الجهات كلها فيأمر بالتوجه إلى أى جهة شاء لا اعتراض عليه (يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ) هدايته (إِلَى صِرَاطٍ) طريق (مُسْتَقِيمٍ) دين الإسلام أى ومنهم أنتم ، دل على هذا (وَكَذَلِكَ) كما هديناكم إليه (جَعَلْنَاكُمْ) يا أمة محمد (أُمَّةً وَسَطًا) خيارا عدولا (لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ) يوم القيامة أن رسلهم بلغتهم (وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) أنه بلغكم

جعلناكم) أى فمن الله عليهم بمنتين الأولى الهداية الثانية جعلهم خيارا عدولا وجعل بمعنى صير فالكاف (وما مفعول أول وأمة مفعول ثان (قوله وسطا) هو فى الأصل المكان الذى استوت إليه الجهات ثم أطلق وأريد منه الخصال الحميدة فالمعنى أصحاب خصال حميدة ولا شك أن من كان كذلك فهم خيار عدول (قوله خيارا عدولا) أى أصحاب علم وعمل ولا يخلو زمان منهم لما فى الحديث «لاتزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لايضرهم من خالفهم حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك» ومادام القرآن موجودا فهم موجودون لقوله تعالى ـ الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ـ فلولا أن أناسا موجودون بهذه المثابة ما بقى القرآن ونزول البلاء ليس دليلا على عدم وجود الخيار فان الأنبياء كانوا موجودين مع حصول الخسف والمسخ بأممهم فليسوا أعظم من الأنبياء ولما فى الحديث «أنهلك وفينا الصالحون قال نعم إذا كثر الخبث» (قوله لتكونوا) اللام للتعليل وقيل للصيرورة وعلى كل فالفعل منصوب بأن مضمرة بعدها جوازا وعلامة نصبه حذف النون والواو فاعل (قوله أن رسلهم بلغتهم) هذا بيان للمشهود به (قوله أنه بلغكم) هذا بيان لشهادة الرسول . وحاصل ذلك أنه يوم القيامة توقف كفار الأمم السابقة فى صعيد واحد ويقول الله لهم لم لم تؤمنوا بى ألم يأتكم نذير فيقولون ياربنا ماجاءنا نذير فيؤتى بأنبيائهم فيقول الله لهم ألم تبلغوا أممكم الرسالة فيقولون يا ربنا قد بلغنا ما أرسلتنا به فلم يؤمنوا فيقول الله لهم وهو أعلم بهم لاقامة الحجة عليهم ومن يشهد لكم فيقولون أمة محمد فيؤتى بهم فيقول الله لهم أتشهدون أن الرسل بلغت الرسالة لأممهم فكفروا بهم فيقولون نعم نشهد بذلك فتقول الأمم كيف يشهدون علينا مع كونهم متأخرين عنا ، فيقولون يا ربنا أخبرنا رسولنا بذلك فى كتابنا عنك وهو صادق

فى خبره فيقول الله لهم ومن يزكيكم فيقولون نبينا فيؤتى به فيقول أشهد أن أمتى عدول ، وقوله على الناس إن كان المراد بهم أمم الأنبياء السابقة فعلى على بابها و إن كان المراد بهم الأنبياء فعلى بمعنى اللام فهى مستعملة فى حقيقتها ومجازها وقوله ـ عليكم شهيدا ـ أى على كفاركم وسميت شهادة و إن كانت فى الواقع دعوى لعدم ردّها ، ويحتمل أن على بمعنى اللام والضمير عائد على العدول الشاهدين على الأمم السابقة من حيث تزكيته لهم (قوله وماجعلنا) اختلف فى إعراب هذه الآية فدرج المفسر على أن قوله القبلة مفعول ثان لجعلنا مقدّم ، وقوله التى صفة لموصوف محذوف مفعول أوّل ودرج غيره على العكس وهو أن القبلة مفعول أوّل والتى صفة لموصوف محذوف مفعول ثان والأقرب الأوّل . وحاصل ذلك أن رسول الله وهو بمكة كان يصلى للكعبة فلما هاجر إلى المدينة أمر باستقبال بيت المقدس تأليفاً لليهود فصلى لها سبعة عشر أوستة عشر شهرا فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشمّ منهم الكبر فكانوا يقولون إن محمدا يفارق ديننا ويصلى لقبلتنا ، وكان رسول الله يحبّ أن يصلى للكعبة حتى نزل عليه جبريل يوما ، فقال له ياجبريل أودّ أن الله يحوّلنى لقبلة أبى إبراهيم فسل ربك ذلك ، فقال له أنت أكرم عليه منى ، ثم صعد إلى السماء فصار رسول الله ينظر لجهتها منتظرا للاذن فى ذلك فنزل عليه جبريل بعد ركعتين من صلاة الظهر فى رجب بالأمر بالتحويل للكعبة فتحوّل وتحوّل الناس معه وكان يوما مشهودا فافتتن اليهود وأهل النفاق

(وَمَا جَعَلْنَا) صيرنا (الْقِبْلَةَ) لك الآن الجهة (الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا) أوّلا وهى الكعبة وكان صلى الله عليه وسلم يصلى إليها فلما هاجر أمر باستقبال بيت المقدس تألفا لليهود فصلى إليه ستة أو سبعة عشر شهراً ثم حوّل (إِلَّا لِنَعْلَمَ) علم ظهور (مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ) فيصدقه (مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ) أى يرجع إلى الكفر شكاً فى الدين وظنا أن النبى صلى الله عليه وسلم فى حيرة من أمره وقد ارتد لذلك جماعة (وَإِنْ) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أى وإنها (كَانَتْ) أى التولية إليها (لَكَبِيرَةً) شاقة على الناس (إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ) منهم (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ) أى صلاتكم إلى بيت المقدس بل يثيبكم عليه لأن سبب نزولها السؤال عمن مات قبل التحويل (إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ) المؤمنين (لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ) فى عدم إضاعة أعمالهم. والرأفة شدة الرحمة وقدم الأبلغ للفاصلة (قَدْ) للتحقيق (نَرَى تَقَلُّبَ) تصرف (وَجْهِكَ فِي) جهة (السَّمَاءِ) متطلعاً إلى الوحى ومتشوقا للأمر باستقبال الكعبة وكان يود ذلك لأنها قبلة إبراهيم ولأنها أدعى إلى إسلام العرب (فَلَنُوَلِّيَنَّكَ) نحولنك

(قوله علم ظهور) جواب عما يقال إن علم الله قديم فلا يتجدد والمعنى ليظهر لكم متعلق علمنا بتمييز المؤمن من الكافر (قوله فيصدقه) أى يدوم على صدقه (قوله أى يرجع إلى الكفر) أشار بذلك إلى أن قوله ممن ينقلب على عقبيه ليس على حقيقته لأن الانقلاب على العقب معناه الرجوع لخلف وليس مرادا بل هو كناية عن الرجوع للكفر نظير ثم ارتدوا على أدبارهم من بعد ماتبين لهم الهدى (قوله وقد ارتد لذلك) أى التحويل ، والمعنى ظهر كفرهم و إلا فمتى صبغ القلب بالايمان فلايزول لأن الكريم إذا منّ تمم (قوله إلا على الذين هدى الله) أى فكان عيدا لهم حتى صار فضل من صلى مع النبى للقبلتين أعظم ممن آتى بعد ذلك ، قال صاحب الجوهرة : * والسابقون فضلهم نصا عرف * (قوله أى صلاتكم) عبر بالايمان عن الصلاة لأنها أعظم أركان الاسلام بعد الشهادتين (قوله لأن سبب نزولها الخ) وسبب ذلك شبهة ألقاها حيي ابن أخطب للمسلمين ، وهى أن استقبالكم لبيت المقدس لايخلو إما أن يكون هدى فقد انتقلتم الآن إلى ضلال ، وإما أن يكون ضلالا فلم أقرّكم عليه ، وأيضا من مات قبل التحويل مات على الضلال وضاعت أعماله فشقّ ذلك على أقارب من مات قبل التحويل فشكوا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية وتحويل القبلة أول نسخ ورد فى الشرع (قوله إن الله بالناس) هذا كالدليل لما قبله : أى لم يضيع صلاتكم لكونه رءوفا رحيما (قوله للفاصلة) أى التى هى قوله إلى صراط مستقيم فهى على الميم فيهما (قوله قد نرى) تقدّم سبب نزول هذه الآية (قوله للتحقيق) وقيل للتكثير وهو بالنظر لفعل النبى لا لرؤية الله وهو خطاب تودد (قوله متطلعا) أى متطلبا ومتشوفا وهو إشارة لحال محذوفة (قوله لأنها قبلة إبراهيم) أى وقبلته من قبل (قوله ولأنها أدعى إلى إسلام العرب) أى فإنهم قالوا حين استقبل بيت المقدس حيث عدل عن قبلة أبيه إبراهيم لانتبعه أبدا (قوله نحولنك) مقتضى هذا التفسير أن قبلة منصوب بنزع الخافض ولو أبقى نولى على حالها لفسرها بنعطى لأنها تنصب مفعولين

فالكاف مفعول أول وقبلة مفعول ثان (قوله تحبها) أى بحسب الطبع وإلا فهو يحب أوامر الله مطلقا لكن إذا كانت موافقة للطبع كانت أحب وهذا وعد من الله له بما يحبه وفى قوله فول إنجاز له (قوله شطر) يطلق على الجهة وهو المراد هنا ويطلق على النصف ويطلق على البعد يقال شطر فلان بمعنى بعد (قوله أى الكعبة) أشار بذلك إلى أن المراد بالمسجد الحرام خصوص الكعبة، ولما نزلت هذه الآية تحول لجهة الميزاب وهكذا قبلتنا بمصر فانها لجهته (قوله وحيثما) شرطية لاقترانها بما وكنتم فعل الشرط، وقوله فولوا الخ جوابه وقرن بالفاء لأنه فعل طلبى، وفى هذه الآية إشارة أخرى لحكمة النسخ وهى تطلعه لجهة السماء ومحبته الكعبة وتقدمت الحكمة الأولى كونها فتنة للناس ليتميز المؤمن من غيره (قوله خطاب للأمة) ودفع بذلك مايتوهم أنه من خصائصه عليه الصلاة والسلام (قوله فولوا وجوهكم) أى فى أى مكان وفى أى زمان (قوله وإن الذين أوتوا الكتاب) قيل المراد بهم اليهود لأنهم هم المعارضون له فى ذلك الوقت والكتاب هو التوراة، وقيل اليهود والنصارى والكتاب هو التوراة والإنجيل (قوله أى التولى إلى الكعبة) ويصح أنه عائد على النبى أو النسخ لأن كلا مذكور فى الآية والمآل واحد (قوله أيها المؤمنون) أى فيه تسلية للنبى عليه الصلاة والسلام ووعد حسن وبشرى (قوله وبالياء: أى اليهود) أى ففيه وعيد وزجر وتهديد وهما قراءتان سبعيتان (قوله ولئن أتيت) هذا أيضا تسلية للنبى وتيؤس من إيمانهم لأنهم ضلوا على علم فلا تنفع فيهم موعظة :

وإذا ضلت العقول على علم فماذا تقوله النصحاء

(قوله لام قسم) أى وإن حرف شرط وقوله أتيت فعل الشرط وقوله ماتبعوا جواب القسم، وأما جواب الشرط فهو محذوف للقاعدة النحوية أنه إذا اجتمع شرط وقسم فانه يحذف جواب المتأخر منهما، وأيضا قوله ماتبعوا لايصلح أن يكون جوابا للشرط كائنا لأنه فعل منفى بما لحقه دخول الفاء فيه (قوله قطع لطمعه فى إسلامهم) راجع لقوله ماتبعوا قبلتك وقوله وطمعهم الخ راجع لقوله وما أنت بتابع قبلتهم فهو لف ونشر مرتب. إن قلت كيف يطمعون فى عوده لبيت المقدس مع أنه مذكور فى كتبهم أنه لايرجع عن الكعبة بعد أن تحول إليها. قلت إن ذلك الطمع واقع من جهلتهم الذين لايعرفون فى التوراة شيئا (قوله أى اليهود قبلة النصارى) هذا مما يؤيد أن المراد بالذين أوتوا الكتاب اليهود والنصارى وقبلة اليهود بيت المقدس وقبلة النصارى مطلع الشمس وكانت باختراع منهم لزعم بولس القسيس أنه بعد رفع عيسى قال: لقيت عيسى عليه السلام فقال لى إن الشمس كوكب أحبه يبلغ سلامى فى كل يوم فمر قومى ليتوجهوا إليها فى صلاتهم ففعلوا ذلك (قوله إن اتبعتهم فرضا) أى على سبيل الفرض والتقدير على حد لئن أشركت ليحبطن عملك، وقيل الخطاب له، والمراد غيره لمزيد الزجر (قوله كما يعرفون أبناءهم) ما مصدرية تسبك مع ما بعدها بمصدر: أى كمعرفتهم أبناءهم والمشبه أقوى من المشبه به (قوله ومعرفتى لمحمد أشد) سئل عن ذلك فقال: لأن معرفتى بابنى ظنية لأنه يحتمل أن يكون من غيرى وأما معرفتى بمحمد فهى عن الله وأى خبر أصدق من خبر الله؟

(قِبْلَةً تَرْضَاهَا) تحبها (فَوَلِّ وَجْهَكَ) استقبل فى الصلاة (شَطْرَ) نحو (الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) أى الكعبة (وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ) خطاب للأمة (فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ) فى الصلاة (شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ) أى التولى إلى الكعبة (الْحَقُّ) الثابت (مِنْ رَبِّهِمْ) لما فى كتبهم من نعت النبى صلى الله عليه وسلم من أنه يتحول إليها (وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) بالتاء أيها المؤمنون من امتثال أمره، وبالياء أى اليهود من إنكار أمر القبلة (وَلَئِنْ) لام قسم (أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ) على صدقك فى أمر القبلة (مَا تَبِعُوا) أى يتبعون (قِبْلَتَكَ) عنادا (وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ) قطع لطمعه فى إسلامهم وطمعهم فى عوده إليها (وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ) أى اليهود قبلة النصارى وبالعكس (وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ) التى يدعونك إليها (مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ) الوحى (إِنَّكَ إِذًا) إن اتبعتهم فرضا (لَمِنَ الظَّالِمِينَ. الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ) أى محمدا (كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ) بنعته فى كتبهم قال ابن سلام لقد عرفته حين رأيته كما أعرف ابنى ومعرفتى لمحمد أشد (وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ) نعته (وَهُمْ يَعْلَمُونَ) هذا الذى أنت عليه (الْحَقُّ)

كائناً (مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ) الشاكين فيه أى من هذا النوع فهو أبلغ من لا تمتر (وَلِكُلٍّ) من الأمم (وِجْهَةٌ) قبلة (هُوَ مُوَلِّيهَا) وجهه فى صلاته وفى قراءة مولاها (فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ) بادروا إلى الطاعات وقبولها (أَيْنَمَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا) يجمعكم يوم القيامة فيجازيكم بأعمالكم (إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ) لسفر (فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) بالتاء والياء تقدم مثله وكرره لبيان تساوى حكم السفر وغيره (وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ) كرره للتأكيد (لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ) اليهود والمشركين (عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ) أى مجادلة فى التولى إلى غيره أى لتنتفى مجادلتهم لكم من قول اليهود يجحد ديننا ويتبع قبلتنا وقول المشركين يدعى ملة إبراهيم ويخالف قبلته (إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ) بالعناد فانهم يقولون ما تحول إليها إلا ميلا إلى دين آبائه

(قوله كائنا) أشار بذلك إلى أن قوله من ربك متعلق بمحذوف حال من الحق وهو خبر لمبتدا محذوف والأظهر أنه مبتدأ خبره الجار والمجرور بعده أو مبتدأ والخبر محذوف تقديره يعرفونه وأل يحتمل أنها للعهد الذكرى أو الجنس أو الاستغراق (قوله الشاكين فيه) أى فى كونهم يعرفوى نعتك أوفى الحق (قوله فهو أبلغ من لا تمتر) أى لكون النهى عاما فيفيد أن الشك يصير كل من قام به ولكونه مؤكدا بالنون ولأن الكناية أبلغ من الحقيقة بخلاف لا تمتر فربما يتوهم أن الشك لا يضر إلاهو فقط ولم يكن مؤكدا (قوله ولكل وجهة) هذا كالنتيجة لما قبله كأنه قال فلما تفرقوا صار لكل وجهة (قوله قبلة) أشار بذلك إلى أن وجهة اسم للمكان فثبوت الواو قياسى وأما إن أريد بها المعنى المصدرى فثبوت الواو غير قياسى على حد عدة ورقة وإنما ثبتت الواو تنبيها على الأصل (قوله هو) أى الفريق المفهوم من الأمم لأن المراد بهم الفرق ولو عبر به لكان أوضح (قوله موليها) اسم فاعل فاعله ضمير يعود على الفريق والهاء مفعول أول وقول المفسر وجهه مفعول ثان (قوله وفى قراءة مولاها) أى بصيغة اسم المفعول فنائب الفاعل مفعول أول والهاء مفعول ثان والمعنى موجه إليها (قوله الخيرات) جمع خير بالتخفيف والتشديد أو جمع خيرة معناه الطاعة على كل (قوله أينما تكونوا) أين اسم شرط جازم يجزم فعلين تكونوا فعل الشرط مجزوم بحذف النون والواو فاعل و يأت جواب الشرط مجزوم بحذف الياء والكسرة دليل عليها و بكم متعلق بيأت والله فاعل يأت وجميعا حال من الكاف فى بكم وقوله فيجازيكم يصح فيه الجزم والرفع والنصب ولكن الرسم يأبى الأول وإنما جازت الأوجه الثلاثة فيه لقول ابن مالك :

والفعل من بعد الجزا إن يقترن
بالفا أو الواو بتثليث قمن

والمعنى فى أى مكان تكونون فيه يجمعكم الله للحساب فيترتب عليه الجزاء (قوله إن الله على كل شىء قدير) هذا كالدليل لما قبله اى إنما كان ذلك لأنه قدير على كل شىء قال تعالى ـ وهو على جمعهم إذا يشاء قدير ـ (قوله ومن حيث خرجت الخ) حيث هنا ظرف مكان ومن للابتداء وجملة خرجت فى محل جر باضافة حيث إليها وليست شرطية لأنها لا تكون كذلك إلا إذا اقترنت بما (قوله لسفر) ظاهره فرضا ونفلا ولكن السنة خصصت ذلك بالفريضة وأما النافلة فتجوز فى السفر لغير القبلة بشروط مذكورة فى الفقه (قوله شطر المسجد الحرام) أى جهة الكعبة (قوله وإنه) أى النسخ او التولى للكعبة أو النبى (قوله للحق) أى جنسه أو المعهود وهو نعت النبى أو كل فرد من أفراده (قوله بالتاء والياء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله لبيان تساوى حكم السفر الخ) أشار بذلك لدفع مايتوهم أنه تكرار محض (قوله كرره للتأكيد) أى للتثبيت فى عقولهم لغرابة الحكم حينئذ لأنه أول ماورد من النسخ (قوله لئلا يكون للناس عليكم) هذا هو حكمة التولية أى إنما أمرناكم بالتولية لأجل انتفاء حجة الناس عليكم واللام هذه لام كى وأن مصدرية ولا نافية و يكون منصوب بأن وللناس خبرها مقدم وحجة اسمها مؤخر وعليكم حال من حجة لأنه نعت نكرة تقدم عليها (قوله أى لتنتفى الخ) هذا حل معنى لا حل إعراب ولوحله حل اعراب لقال لعدم كون حجة ثابتة للناس عليكم (قوله أى مجادلة) أى جدال فى الباطل واعتراض وليس المراد بها المجادلة فى الحق واظهار حجته (قوله من قول اليهود) هذا بيان للمجادلة (قوله وقول المشركين) أى فقد زال ذلك وأما قولهم مازال محمد فى حيرة فباقية لم تزل (قوله فانهم يقولون) أى اليهود . والحاصل أن الحجج

أربع لليهود حجتان والمشركين كذلك فأما حجة اليهود فهي ماله يصلي لقبلتنا ولايتبع ديننا وأما حجة المشركين فهي يدعي ملة إبراهيم ويخالف قبلته وهاتان الحجتان قد انقطعتا وبقيت حجة لكل أما حجة اليهود فقولهم ماتحول إليها إلاميلا لدين الجاهلية وأما حجة المشركين فقولهم لم يزل محمد في حيرة (قوله والاستثناء متصل) أي لأن ماقبله ظالمون أيضا (قوله تخافوا جدالهم) أي لأنهم لايقدرون على إيصال نفع ولادفع ضر (قوله عطف على لئلا يكون) أي فتحويل القبلة لحكم عظيمة الأولى تمييز المؤمن من غيره الثانية انقطاع الحجج الثالثة اتمام النعمة الرابعة الاهتداء . إن قلت إن مقتضى هذه الآية أن النعمة تمت الآن ومقتضى مايأتي في سورة المائدة في قوله تعالى ـ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ـ أنها لم تتم إلاحين نزولها وهو يوم عرفة في حجة الوداع أجيب بأن النعمة مقولة بالتشكيك فالمراد بها هنا استقبال الأشرف الذي هو الكعبة والمراد بها هناك الدين (قوله منكم) هذه نعمة أخرى فوق أصل الارسال لأنه لو كان ملكا لما استطاعوه لأن علة الانضمام المجانسة (قوله القرآن) خصه من دون المعجزات لأنه باق إلى الآن (قوله يطهركم من الشرك) أي حتى صرتم عدولا تشهدون على الناس يوم القيامة ويصح أن يقال معنى يزكيكم يشهد لكم بالعدالة يوم القيامة (قوله ويعلمكم الكتاب) أي حتى حفظتم لفظه عن ظهر قلب لقوله في «الحديث وجعلت من أمتك أقواما قلوبهم أناجيلهم» (قوله مافيه من الأحكام) أي المعاني التي لاتحصى قال علي بن أبي طالب لو أردت أن أوقر من الفاتحة حمل سبعين بعيرا لفعلت ومن معناه ماقال الخواص مما من الله به علي أن أعطاني مائة ألف علم وتسعة وتسعين ألفا من علوم (٦٤) الفاتحة (قوله ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون) عطف عام على خاص (قوله ونحوه) أي كالتهليل والتحميد و قال بالصلاة لأن الذكر إما باللسان أو بالجوارح أو بالجنان ولا شك أن الصلاة جامعة لكل ذكر فالقراءة والتكبير والتسبيح والدعاء ذكر لساني والركوع والسجود ذكر بالجوارح والخشوع والخضوع والمراقبة ذكر قلبي (قوله أجازكم عليه) أي أثبكم على ذكركم إياي (قوله

والاستثناء متصل والمعنى لا يكون لأحد عليكم كلام إلا كلام هؤلاء (فَلَا تَخْشَوْهُمْ) تخافوا جدالهم في التولي إليها (وَاخْشَوْنِي) بامتثال أمري (وَلِأُتِمَّ) عطف على لئلا يكون (نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ) بالهداية إلى معالم دينكم (وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) إلى الحق (كَمَا أَرْسَلْنَا) متعلق بأتم أي إتماما كإتمامها بإرسالنا (فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ) محمدا صلى الله عليه وسلم (يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا) القرآن (وَيُزَكِّيكُمْ) يطهركم من الشرك (وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ) القرآن (وَالْحِكْمَةَ) ما فيه من الأحكام (وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ فَاذْكُرُونِي) بالصلاة والتسبيح ونحوه (أَذْكُرْكُمْ) قيل معناه أجازكم . وفي الحديث عن الله من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير من ملئه .

(واشكروا ...) عن الله) أي فهو حديث قدسي (قوله في نفسه) أي خاليا وبعيدا عن الخلق (قوله ذكرته في نفسي) أي أعطيه عطايا لايعلمها غيري (قوله ومن ذكرني في ملإ) أي بين الناس (قوله ذكرته في ملإ) أي أعطيه عطايا ظاهرة لعبادي وأظهر فضله لهم . إن قلت إن الانسان قد يذكر الله بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم كالصحابة فأي ملإ خير من النبي قلت أجيب بأن الشيء يشرف بما نسب إليه فان المجلس ينسب لكبيره وفرق بين حضرة الله وملائكته وبين حضرة النبي وأصحابه وأيضا كون النبي في حضرة الله أشرف من نفسه في حضرة أصحابه فمعنى قوله خير من ملئه ذكرته في حضرة النبي والملائكة المقربين في الملإ الأعلى ولاشك أن تلك الحضرة لايعد لها شيء أبدا والملأ بالقصر الجماعة الأشراف (قوله خير) بالجر صفة لملإ وقيل معنى اذكروني تذللوا لجلالي أذكركم أكشف الحجب عنكم وأفيض عليكم رحمتي وإحساني وأحبكم وأرفع ذكركم في الملإ الأعلى لمافي الحديث لها ومن تقرب إلى شبرا تقربت منه ذراعا وفي الحديث أيضا إن الله إذا أحب عبدا نادى جبريل فقال له ياجبريل إني أحب فلانا فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء إن الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض وهذا من جملة الثمرات المعجلة وأما المؤجلة فرؤية وجه ربه الكريم ورفع الدرجات وغيرذلك وينبغي للانسان أن يذكر الله كثيرا لقوله تعالى ـ والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما ـ ولايلتفت لواش ولارقيب لقول السيد الحنفي خطابا للعارف بالله تعالى أستاذنا الشيخ الدردير :

يامبتغي طرق أهل الله والتسليك ... دع عنك أهل الهوى تسلم من التشكيك
إن اذكروني لرد المعترض يكفيك ... فاجعل سلاف الجلالة دائما في فيك

ولا تترك الذكر لعدم حضورك مع الله فيه فربما ذكر مع غفلة يجر لذكر مع حضور لأنهم شبهوا الذكر بقدح الزناد فلا يترك الانسان القدح لعدم إيقاده من أول مرة مثلا بل يكرر حتى يوقد فاذا ولع القلب ثارت الأعضاء فلا يقدر الشيطان على وسوسته لقوله تعالى ـ إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا ـ وخفت العبادة على الأعضاء فلا يكون على الشخص كلفة فيها قال العارف إذا رفع الحجاب فلا ملاله بتكليف الإله ولا مشقة ويكفى الذاكر من الشرف قول الله تعالى فى الحديث القدسى «أنا جليس من ذكرنى» وقوله تعالى ـ واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ـ وهل الأفضل الذكر مع الناس أو الذكر فى خلوة والحق التفصيل وهو إن كان الانسان ينشط وحده ولم يكن مدعوّا من الله لهداية الناس فالخلوة فى حقه أفضل و إلا فذكره مع الناس أفضل إما لينشط أولتقتدى الناس به نسأل الله أن يجعلنا من أهل ذكره (قوله واشكروا لى) الحق أنه يتعدى بنفسه و باللام والمعنى واحد وهو من عطف الخاص على العام والنكتة فى ذلك بيان أعلى المقاصد فى الذكر فان المقاصد فى الذكر مختلفة فمن قصد بذكره الدنيا فقط فهو دنىء ومن قصد بذكره دخول الجنة والنجاة من النار فهو أعلى من الأول ومن قصد بذكره شكر الله على خلقه إياه و إنعامه عليه ولم يقصد غيره فهو من المقربين لما فى الحديث «أفلا أكون عبدا شكورا» (قوله ولا تكفرون) أى لأن حقيقة الشكر أن يطاع فلا يعصى وأن يذكر فلا ينسى وأن يشكر فلا يكفر فمعنى لاتكفرون لاتصرفوا نعمى فى غير ماخلقتها له (قوله على الطاعة) أى على دوامها سواء كانت الطاعة فعلا أو تركا (قوله والبلاء) أى المصائب فأقسام الصبر ثلاثة صبر على الطاعة بدوام فعلها وصبر عن المعصية بدوام تركها وصبر على البلاء بحمد الله وشكره عليها فيكون شاكرا على السراء والضراء وأعظمها الصبر عن المعاصى وأقل منه الصبر على الطاعة وأقل منهما الصبر على البلاء لأنه ورد أن الصابر على البلاء يرفعه الله ثلثمائة درجة بين كل درجتين كما بين السماء والأرض مرة والصابر على دوام الطاعة يرفعه الله ستمائة درجة بين كل درجتين كما بين السماء والأرض مرتين والصابر عن المعصية يرفعه الله تسعمائة درجة بين كل درجتين كما بين السماء والأرض ثلاث مرات (قوله إن الله مع الصابرين) خصهم و إن كان الله مع كل أحد لأن المراد معية مخصومة وهى العون والاغاثة وأما المعية مع كل أحد فمعية علم وقدرة يتصرف فيهم كيف شاء وأما الصابرون فهم المحبوبون لله لقوله فى الحديث «ولا يزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه» الحديث (قوله ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله) هذه الآية نزلت فى قتلى بدر وكان المقتول من المسلمين أربعة عشر ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار لما قال المشركون والمنافقون هؤلاء قد ماتوا وضيعوا على أنفسهم الحياة الدنيا ولذاتها وقد ادعوا أنهم ماتوا فى مرضاة محمد فنزلت هذه الآية (قوله هم أموات) أشار بذلك إلى أن أموات خبر لمبتدا محذوف والجملة فى محل نصب مقول القول والمعنى يحرم قول ذلك للشهيد لأنه ليس بموت حقيقة و إنما هو انتقال من دار الكدر إلى دار الصفا ومن دار الحزن إلى دار السرور (قوله لمن يقتل فى سبيل الله) أى وهم الشهداء وسموا بذلك لأن أرواحهم شهدت دار السلام عند خروجها من البدن أولأن الملائكة تشهد له بنصره لدين الاسلام (قوله بل هم أحياء) أى حياة أخروية بالجسم والروح ليست كحياة أهل الدنيا لايشاهدها إلا أهل الآخرة ومن خصه الله بالاطلاع عليها وهذا هو التحقيق خلافا لمن قال إنهم أحياء بالروح فقط لأنه يرد بأن كل إنسان حى الروح مسلما كان أو كافرا لعدم فناء الروح ولا مزية للشهيد على غيره وهذه الحياة حقيقية و إنما خروج روحه انتقال من دار إلى أخرى وهى مزية من مزايا الأنبياء فلا يقال إنهم ساووهم وحكمة عدم تغسيل الشهداء بقاء دمهم ليشهد لهم يوم القيامة لما فى الحديث «زملوهم بثيابهم اللون لون الدم والريح ريح المسك» وأما تغسيل الأنبياء فتعبدى أوللتشريع ولاتأكل الأرض أجساد الشهدا (قوله أرواحهم فى حواصل طيور الخ) أى فهى كالهودج لها وأما أرواح المؤمنين المطيعين غير الشهداء فتتنعم خارج الجنة بريحها ومأواها البرزخ وأما أرواح العصاة والكفار فهى مسجونة لاتصرف لها وأما أرواح الأنبياء فورد أنها تأوى إلى قناديل معلقة بالعرش فى الجنة وأما أرواح صغار المؤمنين ففى الجنة فى كفالة إبراهيم وسارة

(وَأشْكُرُوا لِي) نعمتى بالطاعة (وَلاَ تَكْفُرُونِ) بالمعصية (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا) على الآخرة (بِالصَّبْرِ) على الطاعة والبلاء (وَالصَّلاَةِ) خصها بالذكر لتكررها وعظمها (إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) بالعون (وَلاَ تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ) هم (أَمْوَاتٌ بَلْ) هم (أَحْيَاءٌ) أرواحهم فى حواصل طيور خضر تسرح فى الجنة حيث شاءت لحديث بذلك (وَلٰكِنْ لاَ تَشْعُرُونَ) تعلمون ماهم فيه

(قوله ولنبلونكم) اللام موطئة لقسم محذوف أي والله لنبلونكم ونبلون جوابه واقترن باللام والنون لكونه مضارعا مثبتا مستقبلا والمعنى لنختبرنكم أيها المؤمنون لما في الحديث «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر» أي ولو كان المؤمن في غاية نعيمها والكافر في أشد ضيقها (قوله القحط) هو في الأصل تخلف المطر وهو سبب في الجوع فقد فسر الشيء بسببه (قوله بالجوائح) أي الآفات المتلفة للزرع ونحوه (قوله أي لنختبرنكم) أي لنظهر ذلك للملائكة ولبعضكم فمن صبر فله الرضا ومن جزع فله السخط (قوله بالجنة) متعلق ببشر والمعنى بشرهم بالجنة من غير سابقة عذاب (قوله هم الذين) أشار بذلك إلى أن الذين خبر لمبتدإ محذوف واقع في جواب سؤال مقدر قيل نعت مقطوع وقيل إن الذين نعت للصابرين وهو أحسنها وقيل منصوب على المدح بفعل محذوف تقديره أمدح وقيل مبتدأ خبره قوله أولئك (قوله مصيبة) أي مصيبة كانت سواء كانت فقد مال أو نفس أو جوعا أو خوفا أو غير ذلك (قوله إنا لله) أي مملوكون ومخلوقون له يتصرف فينا على ما أراد وهذه المنقبة من خصائص هذه الأمة ولو كانت لغيرهم لكانت ليعقوب حين فقد يوسف فقال يا أسفا (قوله وإنا إليه راجعون) أي صائرون (قوله من استرجع) أي قال إنا لله وإنا إليه راجعون (قوله أجره الله فيها) أي بسببها وفي المصباح أجره الله أجرا من بابي ضرب وقتل وآجره بالمد لغة ثالثة إذا أثابه (قوله وأخلف عليه خيرا) أي

منها إما في الآخرة فقط أو فيها وفي الدنيا فمن رضي بأحكام الله وصبر على ما أصابه فله الرضا من الله ولكل مصيبة دواء إلا الموت على الكفر والعياذ بالله تعالى قال بعضهم :

لكل شيء إذا فارقته عوض
وليس لله إن فارقت من عوض

(قوله إنما هذا مصباح) أي شيء قليل (قوله صلوات) جمع صلاة وهي المغفرة كما فسرها بذلك المفسر وجمعها إشارة إلى أنه لا يبقى عليهم ذنوب أبدا بل عليهم مغفرة متكررة (قوله نعمة) دفع بذلك ما يقال فيه إن الصلاة هي الرحمة فعطف الرحمة عليها مرادف فما حكمة التكرار فأجاب المفسر بمنع ذلك وأن العطف مغاير فالصلاة محو الذنوب والرحمة العطايا فهو من باب التحلية بعد التخلية وقد ورد إطلاق الصلاة على المغفرة ففي الحديث اللهم صل على آل أبي أوفى أي اغفر لهم وفي الحديث أيضا «إن الملائكة لتصلي على أحدكم مادام في مصلاه تقول اللهم اغفر له اللهم اغفر له» وقيل إن الصلاة بمعنى الرحمة والعطف مرادف وحكمة التكرار الاشارة لتوالي الرحمات والنعم وارضاء عليه حيث رضي بأحكام سيده وحبس نفسه على ما تكره (قوله وأولئك هم المهتدون) أي الكاملون في الهدى فان الرضا عن الله في كل حال من علامات الهدى الكامل (قوله إن الصفا) جمع صفاة اسم للحجر الأملس والمراد هنا الجبل المعروف الذي يبتدأ السعي منه (قوله والمروة) في الأصل اسم للمكان الرخو والمراد هنا الجبل الذي ينتهي السعي إليه (قوله جبلان بمكة) أي بجوار المسجد الحرام (قوله من شعائر الله) أي من أمور دين الله التي تعبدنا بها فمن أنكر كون السعي من أمور الدين فقد كفر (قوله فمن حج البيت) الحج في اللغة القصد واصطلاحا عبادة يلزمها طواف بالبيت سبعا وسعي بين الصفا والمروة كذلك ووقوف بعرفة ليلة عاشر ذي الحجة على وجه مخصوص (قوله أو اعتمر) العمرة في اللغة الزيارة واصطلاحا عبادة يلزمها طواف وسعي على وجه مخصوص (قوله وأصلهما القصد الخ) لف ونشر مرتب

(وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ) للعدو (وَالْجُوعِ) القحط (وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ) بالهلاك (وَالْأَنْفُسِ) بالقتل والموت والأمراض (وَالثَّمَرَاتِ) بالجوائح أي لنختبرنكم فننظر أتصبرون أم لا (وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ) على البلاء بالجنة هم (الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ) بلاء (قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ) ملكا وعبيداً يفعل بنا مايشاء (وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) في الآخرة فيجازينا ، في الحديث «من استرجع عند المصيبة أجره الله فيها وأخلف عليه خيرا» وفيه «أن مصباح النبي صلى الله عليه وسلم طفىء فاسترجع فقالت عائشة إنما هذا مصباح فقال : كل ماساء المؤمن فهو مصيبة » رواه أبو داود في مراسيله (أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ) مغفرة (مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ) نعمة (وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ) إلى الصواب (إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ) جبلان بمكة (مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ) أعلام دينه جمع شعيرة (فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ) أي تلبس بالحج أو العمرة وأصلهما القصد والزيارة (فَلَا جُنَاحَ) إثم (عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ) ،

(قوله فيه إدغام التاء فى الأصل) أى فأصله يتطوّف قلبت التاء طاء ثم أدغمت فى الطاء (قوله لما كره المسلمون) أى حين كرهوا ذلك (قوله وعليهما صنمان) أحدهما يسمى إسافا والثانى يسمى نائلة . قيل كانا على صورة رجل وامرأة وذلك أن رجلا اسمه إساف وامرأة اسمها نائلة زنيا فى الكعبة فمسخهما الله حجرين على صورتهما الأصلية فلما تقادم الزمان عبدتهما الجاهلية فلما جاء الاسلام أبطل ذلك ونسخه (قوله غير فرض) أى ووافقه على ذلك ابن حنبل (قوله من التخيير) ليس المراد أنه مباح بل هو مطلوب بدليل ضم أول الآية لآخرها (قوله وغيره) أى وهو مالك (قوله إن الله كتب عليكم السعى) تمامه فاسعوا ، وأصل الحديث « اسعوا فان الله كتب عليكم السعى » فتحصل أن الآية ليست صريحة فى الفرضية ولا فى الوجوب وإنما أخذ ذلك من السنة (قوله وفيه إدغام التاء) أى بعد قلبها طاء (قوله أى بخير) أشار بذلك إلى أن خيرا منصوب بنزع الخافض (قوله من طواف وغيره) أى كسعى فى حج أو عمرة أو طواف مطلقا لأن عبادة الطواف لاتقيد بالنسك بخلاف السعى (قوله فانّ الله شاكر) هذا دليل الجواب وليس هو الجواب بل هو محذوف تقديره شكره الله لأن الله شاكر عليم ، والشكر فى الأصل مجازاة أصحاب الحقوق عليها وليس ذلك مرادا فى حق مولانا وإنما المراد عاملناه معاملة الشاكر بأنه ألزم نفسه الجزاء من فضله لأنه كريم واسع العطاء (قوله ونزل فى اليهود) أى فى أحبارهم ككعب بن الأشرف

فيه إدغام التاء فى الأصل فى الطاء (بِهِمَا) بأن يسعى بينهما سبعاً . نزلت لما كره المسلمون ذلك لأن أهل الجاهلية كانوا يطوفون بهما وعليهما صنمان يمسحونهما . وعن ابن عباس أن السعى غير فرض لما أفاده رفع الأثم من التخيير . وقال الشافعى وغيره ركن و بين صلى الله عليه وسلم فرضيته بقوله «إن الله كتب عليكم السعى» رواه البيهقى وغيره وقال «أبدءوا بما بدأ الله به » يعنى الصفا . رواه مسلم (وَمَنْ تَطَوَّعَ) وفى قراءة بالتحتية وتشديد الطاء مجزوما وفيه إدغام التاء فيها (خَيْراً) أى بخير أى عمل مالم يجب عليه من طواف وغيره (فَإِنَّ اللهَ شَاكِرٌ) لعمله بالاثابة عليه (عَلِيمٌ) به . ونزل فى اليهود (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ) الناس (مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى) كآية الرجم ونعت محمد صلى الله عليه وسلم (مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ) التوراة (أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ) يبعدهم من رحمته (وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ) الملائكة والمؤمنون أو كل شىء بالدعاء عليهم باللعنة (إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا) رجعوا عن ذلك (وَأَصْلَحُوا) عملهم (وَبَيَّنُوا) ما كتموا ،

ومالك بن الصيف وعبد الله بن صوريا (قوله الناس) قدّره المفسر إشارة إلى أنه مفعول يكتمون الثانى والمعنى يكتمون الحق عن الناس بحيث يظهرون الباطل ويخفون الحق من نعت محمد وغيره (قوله ما أنزلنا) أى الشىء أو الذى أنزلناه وقوله من البينات بيان لما والمراد بالبينات الآيات الواضحات التى من أذعن لها فقد اهتدى وعطف الهدى عليها للتفسير (قوله كآية الرجم) أى الكائنة فى التوراة وهى أن من زنى يرجم فمحوها وقالوا لم يكن ذلك عندنا فحصل منهم التكذيب لنبيهم (قوله ونعت محمد) أى صفاته وأخلاقه من مولده إلى انتهاء أجله وهذان مثالان للبينات والهدى معا لأن بالآيات يحصل الهدى (قوله للناس) أى عموما (قوله أولئك) مبتدأ وجملة يلعنهم الله خبره وأتى باشارة البعيد إشارة لبعدهم عن رحمة الله (قوله والمؤمنون) أى من غيرهم كالإنس والجنّ (قوله أو كل شىء) أى حتى الجمادات والحيتان فى البحر ويشهد له الحديث « العاصى يلعنه كل شىء حتى الحيتان فى البحر » وأو لتنويع الخلاف ثم إن العبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب فهذا الوعيد وإن كان واردا فى شىء خاص إلا أنه لكل من كتم علما ومنه شاهد الزور والمفتى بغير الحق (قوله إلا الذين) استثناء متصل أفاد به أن اللعنة معلقة (قوله رجعوا عن ذلك) أى الكتمان بأن أنصفوا من أنفسهم وأسلموا فهذا الوعيد خاص بمن مات كافرا . وأما من مات مؤمنا ولو عاصيا فليس له هذا الوعيد ولايجوز الدعاء باللعنة على المعين ولو كافرا إلا أن يثبت موته على الكفر . وأما غير المعين فيجوز على الكافر والعاصى (قوله وأصلحوا عملهم) أى فى المستقبل كعبد الله بن سلام وأضرابه (قوله ما كتموا) أى من البينات والهدى ويحتمل أن قوله تعالى - وبينوا - أى التوبة .

(قوله فأولئك) أتى باشارة البعيد إشارة رفعة رتبتهم عن رتبة غيرهم على حد ذلك الكتاب (قوله وأنا التواب) أى الكثير القبول لتوبة من تاب ، والجملة حالية من فاعل أتوب (قوله بالمؤمنين) أى ولو عصاة والمراد من مات مسلما (قوله إن الذين كفروا) أى أحبارا أوغيرهم وقوله وماتوا وهم كفار أى استمروا على الكفر حتى ماتوا عليه (قوله أى هم مستحقون ذلك) أشار بذلك لدفع التكرار كأنه قال المراد باللعنة الأولى حصولها بالفعل و بالثانية استحقاقها وفى الحقيقة لا تكرار لأن ماتقدم فى الكفار من أحبار اليهود وهذا فى الكفار عموما (قوله قيل عام) أى حتى الكفار لأنه يلعن بعضهم بعضا (قوله وقيل المؤمنون) أى من الانس والجن والملائكة (قوله أى اللعنة) أى ويلزم من خلوده فى اللعنة خلوده فى النار (قوله المدلول بها) أى باللعنة وقوله عليها أى النار (قوله طرفة) أى مقدار تغميض العين وفتحها العادى (قوله يمهلون) أشار بذلك إلى أنه من الانظار بمعنى الامهال والتأخير قال تعالى ـ كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب ـ أجارنا الله والمسلمين من النار (قوله ونزل) أى بمكة لأن هذه الآية ومابعدها مكية وإن كانت السورة مدنية (قوله لما قالوا) أى مشركو العرب وكانوا إذ ذاك يعبدون ثلثمائة وستين صنما حول الكعبة ونزلت سورة الاخلاص أيضا ردا عليهم (قوله وإلهكم) مبتدأ وإله خبره وواحد صفته وهو محط الفائدة على حد مررت بزيد رجلا صالحا فهى كالحال الموطئة وقوله لا إله إلا هو خبر ثان مؤكد لما قبله لقصد الايضاح (قوله لا نظير له الخ) فيه نفى الكموم الخمسة وتوضيحه أن قوله لا نظير له فى ذاته أى أن ذاته ليست مركبة من أجزاء وليس لأحد ذات كذاته ولا فى صفاته أى ليست صفاته متعددة من جنس واحد بمعنى أنه ليس له علمان ولا سمعان إلى آخرها وليس لأحد صفة كصفات مولانا ، فهذه أربعة

(٦٨)

(فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ) أقبل توبتهم (وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) بالمؤمنين (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ) حال (أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) أى هم مستحقون ذلك فى الدنيا والآخرة والناس قيل عام وقيل المؤمنون (خَالِدِينَ فِيهَا) أى اللعنة أو النار المدلول بها عليها (لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ) طرفة عين (وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ) يمهلون لتوبة أو معذرة . ونزل لما قالوا صف لنا ربك (وَإِلَٰهُكُمْ) المستحق للعبادة منكم (إِلَٰهٌ وَاحِدٌ) لا نظير له فى ذاته ولا فى صفاته (لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ) هو (الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ) وطلبوا آية على ذلك فنزل (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) ومافيهما من العجائب (وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ)

كموم متصلان فى الذات والصفات ومنفصلان فيهما والخامس المنفصل فى الأفعال بمعنى أنه ليس لأحد فعل مع الله . وأما المتصل فيها فهو ثابت لا ينفى لأن أفعاله على حسب شئونه فى خلقه (قوله لا إله إلا هو) أى لا معبود بحق موجود إلا هو أى إلهكم وفى الكلام تغليظ لهم وإعرابه لا نافية للجنس بالذهاب تعمل عمل إن وإله اسمها مبنى على الفتح فى محل نصب والخبر محذوف تقديره موجود وإلا أداة حصر وهو ضمير منفصل بدل من الضمير المستتر فى الخبر والتقدير لا إله موجود هو إلا هو وقوله الرحمن الرحيم خبر ثالث ، والمقصود من تعداد الأخبار إيضاح أمر الاله لهم وتبكيت لهم لالزامهم الحجة وهذه طريقة ومشى المفسر على أن الرحمن الرحيم خبر لمبتدإ محذوف وكل صحيح (قوله وطلبوا آية) أى دليلا على ماتقدم من الدعاوى فان قوله وإلهكم إله واحد دعوى أولى وقوله لا إله إلا هو دعوى ثانية وقوله الرحمن الرحيم دعوى ثالثة (قوله فنزل إن فى خلق السموات) أى إلى قوله لآيات وهى ثمانية أشياء فى كل شىء منها آيات فهو إجابة المطلوب وزيادة :

وفى كل شىء له آية تدل على أنه الواحد

وإن حرف توكيد ونصب وفى خلق السموات جار ومجرور خبر مقدم ولآيات اسمها مؤخر وحذفه من الأول لدلالة الأخير عليه كأنه قال واختلاف الليل والنهار لآيات والفلك التى تجرى فى البحر لآيات وهكذا وقوله فى خلق أطلق المصدر وأراد اسم المفعول أى مخلوق هو السموات والأرض وقد جعل الخازن السماء مع الأرض شيئا واحدا من ثمانية أشياء وقوله بما ينفع الناس شىء مستقل (قوله ومافيهما من العجائب) أى فعجائب السموات رفعها بلا عمد وكون الشمس فى السماء الرابعة مع إضاءتها لأهل الأرض ونفعها لهم النفع التام وإضاءة النجوم لأهل الأرض واهتداؤهم بها مع كونها ثوابت فى العرش وهكذا ، وعجائب الأرض مدها وبسطها وتثبيتها بالجبال الرواسى وهكذا قال تعالى ـ أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج ـ وأفرد الأرض ولم يجمعها كالسموات لاتحاد جنسها وهو الماء والتراب واختلاف جنس السموات .

بالذهاب والمجىء والزيادة والنقصان (وَالْفُلْكِ) السفن (الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ) ولا ترسب موقرة (بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ) من التجارات والحمل (وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ) مطر (فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ) بالنبات (بَعْدَ مَوْتِهَا) يبسها (وَبَثَّ) فرّق ونشر به (فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ) لأنهم ينمون بالخصب الكائن عنه (وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ) تقليبها جنوبا وشمالا حارة وباردة (وَالسَّحَابِ) الغيم (الْمُسَخَّرِ) المذلل بأمر الله تعالى يسير إلى حيث شاء الله (بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) بلا علاقة (لَآيَاتٍ) دالات على وحدانيته تعالى (لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) يتدبرون (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ) أى غيره ،

(قوله بالذهاب والمجىء) أشار بذلك إلى وجه اختلافهما ، ومن جملة عجائب الليل كونه مقمرا أومظلما وكونه طويلا على أناس دون غيرهم ، ومن جملة عجائب النهار طوله على أناس دون غيرهم فقد يكون الفجر عند قوم هوالعصر عند آخرين وغير ذلك وقدم الليل على النهار لأنه سابقه على الأصح لأن الظلمة سابقة على النور ، وقيل بسبق النهار ، وينبنى على هذا الخلاف فائدة وهى أن الليلة تابعة لليوم قبلها أولليوم بعدها ، فعلى الصحيح تكون الليلة تابعة لليوم بعدها وعلى مقابله تكون تابعة لليوم قبلها فيوم عرفة مستثنى على القول الأول لأنه تابع لليلة بعده ، ولايرد قوله تعالى ـ ولا الليل سابق النهار ـ لأن المعنى ليس الليل يسبق النهار بحيث يأتى قبل انقضاء النهار بل كل يلزم الحد الذى حده الله له (قوله والفلك) يستعمل مفردا وجمعا بوزن واحد والتغاير بالوصف، يقال فلك مشحونة وفلك مشحونات (قوله التى تجرى فى البحر) أى يسيرها الله بالريح مقبلة ومدبرة ، قال تعالى ـ ومن آياته الجوار فى البحر كالأعلام (قوله ولا ترسب) أى لا تسقط لأسفل (قوله موقرة) أى حاملة للأثقال أشار به إلى أن قوله بما ينفع الناس متعلق بمحذوف هو الشىء الرابع (قوله بما ينفع الناس) أى ومن جملة منافعهم اتصال الأقطار بعضها ببعض من حيث انتفاعهم بما فى القطر الآخر من الزروع وغيرها فلولا تسخير السفن لاستقل كل قطر بما فيه وضاق على الناس معاشهم (قوله من السماء من ماء) من الأولى ابتدائية والثانية يصح أن تكون بيانية أوللتبعيض (قوله فأحيا به الأرض) أى أظهر مافيها من النضارة والبهجة . قال تعالى ـ ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذى أحياها لمحيى الموتى إنه على كل شىء قدير ـ (قوله لأنهم ينمون بالخصب) أى فإذا كثر الرعى شبعت البهائم فيأتى منها النسل وإذا كثرت الأقوات شبعت الناس فتأتى منهم الذرية (قوله وشمالا) هى ماجاءت من جهة القطب والجنوب ماقابلتها والصبا ماجاءت من مطلع الشمس والدبور ما قابلتها (قوله حارة وباردة) أى وتأتى بالخير والشر ، ففى الحديث « نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور » . والحاصل أن الريح تنقسم إلى قسمين : رحمة وعذاب ، ثم إن كل قسم ينقسم إلى أربعة أقسام ولكل قسم اسم ، فأسماء أقسام الرحمة المبشرات والنشر والمرسلات والرخاء ، وأسماء أقسام العذاب العاصف والقاصف وهما فى البحر والعقيم والصرصر وهما فى البر ، وقد جاء فى القرآن بكل هذه الأسماء وقد نزل الأطباء كل ريح على طبيعة من الطبائع الأربع فطبع الصبا الحرارة واليبس وتسميها أهل مصر الشرقية لأن مهبها من الشرق وتسمى قبولا لاستقبالها وجه الكعبة ، وطبع الدبور البرد والرطوبة ويسميها أهل مصر الغربية لأن مهبها من الغرب وهى تأتى من دبر الكعبة ، وطبع الشمال البرد واليبس وتسمى البحرية لأنها يسار بها فى البحر على كل حال وقلماتهب ليلا ، وطبع الجنوب الحرارة وتسمى القبلية لأن مهبها من مقابلة القطب وهى عن يمين مستقبل المشرق وتسميها أهل مصر المريسية ، وهى من عيوب مصر المعدودة فإنها إذا هبت عليهم سبع ليال استعدوا للأكفان (قوله والسحاب) أصله طرح شجرة فى الجنة جعله الله محمولا للريح يسير حيث شاء الله فسيره أعجب من سير المراكب على ظهر البحر (قوله بلا علاقة) أى بلا شىء يتعلق به ويحفظه من السقوط (قوله يتدبرون) أى يتفكرون ويتأملون فى عجائب قدرته فيعلمون أنه القادر على كل شىء ، فهذا الدليل من تمسك به وأتقنه كفاه فى عقائد إيمانه ، وأما المقلد فهو من لم يحضر العلماء ولم يجالس بين أيديهم ولايعرف الأرض من السماء كالبهائم (قوله ومن الناس) هذه الآية وردت لاستعظام ماوقع من بعض بنى آدم من الكفر بعد ثبوت البراهين القطعية كأن الله يقول اعجبوا لكفر بعض العبيد مع ثبوت الأدلة على وحدانيته تعالى والجار والمجرور خبر مقدم ومن يتخذ مبتدأ مؤخر وهواسم موصول ومابعده صلته أونكرة موصوفة ومابعده صفة (قوله من دون الله) هى فى الأصل ظرف مكان للمكان الأدنى يقال جلس فلان فى مكان دون مكان زيد يعنى أدنى منه ، ثم

أطلق الدون وأريد الغيرية من إطلاق الملزوم وإرادة اللازم لكن صار حقيقة عرفية فى الغير (قوله أندادا) مفعول يتخذ وقوله يحبونهم صفة لأندادا وفاعل يحبونهم عائد على من باعتبار المعنى وأفرد فى يتخذ مراعاة للفظ (قوله أى كحبهم له) أى كحب المشركين لله فقد سووا فى المحبة بين الله والأنداد ، ويحتمل أن المعنى كحب المؤمنين لله فمحبة المشركين للأصنام كمحبة المؤمنين لله وهو الأقرب. واستشكل الأول بأنه لايتأتى من عاقل التسوية فى المحبة بين من يخلق ومن لايخلق. أجاب المفسر بأن المراد بالحب التعظيم والخضوع وليس المراد الحب الحقيقى فان كل إنسان جبل على محبة خالقه (قوله أشد حبا لله) أى فقد انفرد المؤمنون بمحبة الله ، وأما محبة مثل الأنبياء والأولياء فمن المحبة لله . إن قلت إن الكفار كذلك يحبون الأنداد ليقربوهم إلى الله زلفى فيقتضى أنها أيضا من المحبة لله . أجيب بأنهم كفروا بعبادتهم لهم لا بمجرد المحبة ففرق بين المحبة والعبادة فلايعبد إلا الله لاغيره بخلاف المحبة من أجل كون ذلك المحبوب مقربا مثلا من الله كالأنبياء والأولياء ولذلك من عبدهم فقد كفر (قوله لأنهم لايعدلون عنه بحال) أى فهذا وجه الأشدية . وحاصل ماقرره المفسر أن المشركين سووا الأنداد فى المحبة بالله، والمؤمنين انفردوا بمحبة الله ومع ذلك فهى أشد من محبة المشركين للأنداد ، وقرر غيره أن قوله تعالى ــ أشد حبا لله ــ أى من جهة أن المحبة من الطرفين فالمؤمنون يحبون الله ويحبهم الله ، وأما المشركون فلايخلو إما أن يكون معبودهم عاقلا أم لا فالأول يلعنهم ولايحبهم والثانى لايوصف بحب ولا بغض على أنه يصير حصبا لهم فى نار جهنم يعذبون به

(أَندَادًا) أصناما (يُحِبُّونَهُمْ) بالتعظيم والخضوع (كَحُبِّ اللَّهِ) أى كحبهم له (وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ) من حبهم للأنداد لأنهم لايعدلون عنه بحال ما والكفار يعدلون فى الشدة إلى الله (وَلَوْ تَرَى) تبصر يامحمد (الَّذِينَ ظَلَمُوا) باتخاذ الأنداد (إِذْ يَرَوْنَ) بالبناء للفاعل والمفعول يبصرون (الْعَذَابَ) لرأيت أمرا عظيما وإذ بمعنى إذا (أَنَّ) أى لأن (الْقُوَّةَ) القدرة والغلبة (لِلَّهِ جَمِيعًا) حال (وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ) وفى قراءة يرى بالتحتانية والفاعل قيل ضمير السامع وقيل الذين ظلموا فهى بمعنى يعلم وأن وما بعدها سدت مسد المفعولين وجواب لو محذوف والمعنى لو علموا فى الدنيا شدة عذاب الله وأن القدرة لله وحده وقت معاينتهم له هو يوم القيامة لما اتخذوا من دونه أندادا (إِذْ) بدل من إذ قبله (تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا) أى الرؤساء (مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا) أى أنكروا إضلالهم (وَ) قد (رَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ) عطف على تبرأ (بِهِمُ) عنهم (الْأَسْبَابُ) الوصل التى كانت بينهم فى الدنيا ،

فمحبة الله للعبد سابقة على محبة العبد لله لأن الله هو الخالق للخير والهدى فى القلوب فحيث خلق الله فى قلب الشخص النور والهدى والمحبة وفق العبد للرضا عنه ومحبته له وامتثاله أمره ونهيه ، ولذا قال بعض العارفين :

أيها المعرض عنا

إن إعراضك منا

لو أردناك جعلنا

كل ما فيك يردنا

وإنما قال أشد حبا ولم يقل أحب لأن اسم التفضيل لايصاغ من الفعل المبنى للمجهول وحيث اختل منه شرط توصل له بأشد أو أشدد

(قوله الذين ظلموا) أظهر من فى محل الاضمار زيادة فى التشنيع عليهم والمراد بالظلم الكفر (قوله باتخاذ الأنداد) الباء للسببية ومفعول ظلموا محذوف تقديره أنفسهم (قوله يبصرون) على القراءة الأولى هو بضم الياء مع سكون الباء وكسر الصاد وعلى الثانية بضم الياء وفتح الباء مع تشديد الصاد (قوله العذاب) مفعول لقوله يرون (قوله لرأيت أمرا عظيما) هذا هو جواب لو الشرطية (قوله وإذ بمعنى إذا) جواب عن سؤال وهو أن إذ ظرف للماضى ورؤية العذاب مستقبلة فالمحل لإذا ، فأجاب بذلك أو أنه نزل المستقبل منزلة الماضى لتحقق لحصول (قوله أى لأن) أشار بذلك إلى أنه علة لجواب لو أى رأيت أمرا عظيما لكون القوة جميعها لله فلا تخش من إمهالهم الفوات والهروب (قوله وأن الله شديد العذاب) هذا لدفع توهم الكافر أنه وإن كانت له القوة جميعا يمكن أن يسامح فى ذلك فقال إن لله شديد العذاب (قوله قيل ضمير السامع) أى والذين ظلموا مفعوله والجواب محذوف تقديره لرأى أمرا فظيعا (قوله فهى بمعنى يعلم) أى فتنصب مفعولين (قوله وأن)أى الأولى (قوله سدت مسد المفعولين) أى فهذا موجب فتحها ويوجب فتحها أيضا تأويلها بمصدر (قوله والمعنى) أى على هذا الوجه الأخير (قوله وقت معاينتهم) هذا تفسير لإذ (قوله لما اتخذوا) هذا هو جواب الشرط (قوله أى الرؤساء) أى كفرعون والنمرود وعبد الله ابن سلول وحيي بن اخطب وغيرهم (قوله أى أنكروا إضلالهم) أى قالوا يا ربنا لم نضل هؤلاء بل ضلوا فى أنفسهم وكفروا بإرادتهم (قوله عنهم) أشار بذلك إلى أن الباء بمعنى عن على حد فاسئل به خبيرا .

من الأرحام والمودة (وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً) رجعة إلى الدنيا (فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ) أي المتبوعين (كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا) اليوم ولو للتمني ونتبرأ جوابه (كَذَٰلِكَ) أي كما أراهم شدة عذابه وتبرأ بعضهم من بعض (يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ) السيئة (حَسَرَاتٍ) حال ندامات (عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ) بعد دخولها. ونزل فيمن حرم السوائب ونحوها (يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا) حال (طَيِّبًا) صفة مؤكدة أي مستلذا (وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ) طرق (الشَّيْطَانِ) أي تزيينه (إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ) بين العداوة (إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ) الإثم (وَالْفَحْشَاءِ) القبيح شرعا (وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) من تحريم مالم يحرم وغيره (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ) أي الكفار (اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ) من التوحيد وتحليل الطيبات (قَالُوا) لا (بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا) وجدنا (عَلَيْهِ آبَاءَنَا) من عبادة الأصنام وتحريم السوائب والبحائر. قال تعالى:

(قوله من الأرحام) قال تعالى ـ يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه ـ (قوله ونتبرأ جوابه) أي فهو منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية (قوله كذلك) أي يتحاجون ولاتنفعهم المحاجة (قوله وتبرأ بعضهم) معطوف على أراهم أي مثل ما أراهم شدة العذاب ومثل ماتبرأ بعضهم يريهم (قوله أعمالهم) أي جزاءها (قوله حال) أي من أعمالهم (قوله ندامات) جمع ندامة (قوله ونزل فيمن حرم السوائب) أي وهم قبائل من العرب حرموا أمورا لم يرد تحريمها من الشرع. والسوائب جمع سائبة والمراد بها في عرف الجاهلية الناقة أو البعير المنذورة للصنم كأن يقول الواحد منهم إن قدمت من سفري فناقتي أو بعيري سائبة للأصنام فتصير لاملك لأحد عليها ولا تؤكل وإن ذكيت (قوله ونحوها) أي كالبحيرة والوصيلة والحام فالبحيرة هي المنذورة اللبن للأصنام والوصيلة هي التي تبكر بالأنثى ثم تتبعها بالأنثى فإن الأم صارت عتيقة الأصنام لايحمل عليها ولايؤكل لبنها ولالحمها والحام فحل الابل يضرب مدة في الابل معلومة فاذا استوفاها صار عتيقا للأصنام وسيأتي إيضاح ذلك (قوله ياأيها الناس) هذا خطاب لأهل مكة ولاينافيه كون السورة مدنية فإن ذلك من حيث النزول (قوله مما في الأرض) من للتبعيض لأن بعض مافي الأرض لايجوز أكله كالحجارة والخنزير وما ورد تحريمه (قوله صفة مؤكدة) أي فمعنى الطيب الحلال وقوله أي مستلذا أي لنفس المؤمن وهو ماعدا الحرام هكذا في نسخة وفي نسخة أخرى أو مستلذا وهي أولى فعليها هو صفة مخصصة فان الحلال بعضه غير مستلذ كالصبر والمر وبعضه مستلذ كالسمن والعسل. والحاصل أنه إن أريد بالمستلذ الشرعي وهو ماعدا الحرام فالصفة مؤكدة ويناسبها نسخة أي مستلذا وإن أريد به المستلذ الطبعي أي الذي لايمجه الطبع فالصفة مخصصة ويناسبها نسخة أو مستلذا (قوله خطوات) بسكون الطاء وضمها قراءتان سبعيتان وقرأ أبو السماك بفتح الخاء والطاء (قوله أي تزيينه) أي فأطلق الخطوات التي هي ما بين القدمين وأراد التزيين والجامع بينهما الاتباع في كل (قوله إنه لكم عدو) هذا علة للنهي عن اتباع تزيينه (قوله بين العداوة) أي للصالحين وأما غيرهم فلا تظهر عداوته لمصاحبتهم له ويقرب ذلك البيت الذي فيه النور فإنه يبين فيه كل مؤذ بخلاف غيره (قوله إنما يأمركم بالسوء) هذا كالعلة لقوله ـ إنه لكم عدو مبين ـ والسوء اسم جامع لما يغضب الله كان فيه حد أولا سمي بذلك لأنه يسوء صاحبه فعطف الفحشاء عليه من عطف الخاص على العام لأن المراد بها الكبائر وكلام المفسر يفيد أن السوء والفحشاء مترادفان وكل صحيح (قوله وأن تقولوا) معطوف على السوء أي وقولكم على الله (قوله من تحريم ما لم يحرم) أي كالبحيرة والسائبة والوصيلة والحام وقوله وغيره أي كاتخاذ أنداد غير الله (قوله من التوحيد) أي فلاتعبدوا إلا الله ولا تشركوا به شيئا (قوله وتحليل الطيبات) أي كالبحائر والسوائب والوصيلة والحام وهو لف ونشر مرتب فإن قوله من التوحيد راجع لقوله ـ ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا ـ وقوله وتحليل الطيبات راجع لقوله ـ يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا ـ (قوله قالوا لا) أي لانتبع ماأنزل الله وقوله بل نتبع بل للاضراب الابطالي وهو معطوف على جملة محذوفة أشار لها المفسر بتقدير لاقيل كل إضراب في القرآن انتقالي أي يفيد الانتقال من قصة إلى قصة إلا هذه وإلا بل في قوله تعالى ـ أم يقولون افتراه بل هو الحق من ربك ـ فمحتمل للأمرين فان اعتبرت قوله أم يقولون افتراه كان انتقاليا وإن اعتبرت افتراه وحده كان إبطاليا (قوله وجدنا) إن كانت وجد بمعنى أصاب نصبت مفعولا واحدا وهو آباءنا وقوله عليه ظرف لغو متعلق بألفينا وإن كانت بمعنى علم نصبت مفعولين عليه وآباءنا (قوله من عبادة الأصنام) راجع للفريق الأول وقوله

وتحريم السوائب الخ راجع للفريق الثانى فهو لف ونشر مرتب (قوله أيتبعونهم) أشار بذلك إلى أن الهمزة للانكار داخلة على محذوف والواو عاطفة على ذلك المحذوف والجملة حالية فالواو للحال أيضا (قوله ولو كان آباؤهم لايعقلون شيئا) أى فهم تابعون لهم سواء ظهر لهم عقل آبائهم وهداهم أو شكوا فى ذلك بل ولو ظهر لهم عدم عقلهم وعدم هداهم (قوله والهمزة للانكار) أى والتوبيخ والتعجب ، والمعنى لايليق منكم ذلك (قوله ومثل الذين كفروا) أى الدعوين وقوله ومن يدعوهم أى كالأنبياء فقد حذف الداعى من هنا وذكر مايدل عليه بقوله كمثل الذى ينعق والمعنى أن مثل الكفار فى عدم سماع المواعظ والآيات والبراهين القطعية ومثل داعيهم وهو النبى فى تكرار المواعظ والآيات كمثل راع يرشد البهائم الوحشية بصوته إلى مصالحها فكما أن البهائم الوحشية لاينفع فيها الصوت ولاتفهمه ولاتعقل معناه بل لايرشدها إلا الضرب مثلا كذلك الكفار لاتنفع فيهم المواعظ والآيات بل جزاؤهم فى الدنيا السيف وفى الآخرة النار وعذابها (قوله بما لايسمع) الباء بمعنى على (قوله ونداء) عطف مرادف (قوله كالبهائم) أى الوحشية وإلا فالإنسية ربما تسمع صوت راعيها وتنزجر به (قوله هم صم) أشار بذلك إلى أن صم وما عطف عليه خبر لمبتدإ محذوف وقوله صم : أى لايسمعون المواعظ ولا ينزجرون بها وقوله بكم أى لاينطقون بالحق وقوله عمى أى لاينظرون الهدى ولا يتبعونه وإن كانت صورة الحواس موجودة (قوله فهم لايعقلون) نتيجة ماقبله .

[تنبيه] ماحل به المفسر هذه الآية هو أظهر التفاسير لأنهم اختلفوا فى ذلك فمنهم من قال مثل ما قال المفسر ومنهم من قال إن المثل مضروب لتشبيه الكافر فى دعائه للأصنام بالناعق على البهائم ومنهم من قال غير ذلك (قوله

(أ) يتبعونهم (وَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا) من أمر الدين (وَلَا يَهْتَدُونَ) إلى حق والهمزة للإنكار (وَمَثَلُ) صفة (الَّذِينَ كَفَرُوا) ومن يدعوهم إلى الهدى (كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ) يصوت (بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً) أى صوتاً ولا يفهم معناه أى هم فى سماع الموعظة وعدم تدبرها كالبهائم تسمع صوت راعيها ولا تفهمه ، هم (صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) الموعظة (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ) حلالات (مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ) على ما أحل لكم (إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ) أى أكلها إذ الكلام فيه وكذا مابعدها وهى مالم يذك شرعاً وألحق بها بالسنة ما أبين من حى وخص منها السمك والجراد (وَالدَّمَ) ،

يأيها الذين آمنوا) جرت عادة الله فى كتابه غالبا مناداة أهل مكة بيأيها الناس ومناداة أهل المدينة بيأيها الذين آمنوا (قوله حلالات) أى مستلذة كانت أولا أو المراد المستلذات وتقدم ذلك ويطلق الطيب فى غير المأكولات على الطاهر قال تعالى - فتيمموا صعيدا طيبا - وقوله من طيبات أى من تبعيضية فى موضع المفعول والأمر للوجوب بالنسبة لاقامة البنية وللندب بالنسبة للاستعانة على أمور مندوبة وللاباحة إن كان تفكها أوتبسطا (قوله مارزقناكم) يصح أن تكون مامصدرية : أى من طيبات رزقنا إياكم أو اسم موصول والجملة صلة أو نكرة موصوفة والجملة صفة : أى من طيبات الشئ الذى رزقناكموه أو شئ رزقناكموه ، ويؤخذ من ذلك أن الرزق بعضه حلال وبعضه غير حلال وهو مذهب أهل السنة ، قال فى الجوهرة :

فيرزق الله الحلال فاعلما ويرزق المكروه والمحرما

(قوله واشكروا لله) أى اعتقدوا أن النعم صادرة لكم من الله وهو بذلك المعنى واجب وإنكاره كفر أوالمعنى راقبوا فى كل لحظة أن كل نعمة من الله وهو بهذا المعنى مندوب لأن هذا مقام الخواص (قوله إن كنتم إياه تعبدون) إن شرطية وكنتم فعل الشرط والتاء اسمها وجملة تعبدون خبرها وإياه مفعول تعبدون قدم رعاية للفواصل وللحصر وجواب الشرط محذوف دل عليه الأمر : أى فكلوا من طيبات مارزقناكم واشكروا لله (قوله إنما حرم عليكم الميتة) المقصود من هذا الحصر الرد على من حرم البحيرة والسائبة والوصيلة والحام وعلى من أحل بعض المحرمات فالحصر إضافى (قوله وهو مالم يذك شرعا) أى إما لكونها لاتعمل فيه أصلا كالبغال والحمير أو تعمل فيه ولكن لم يذك كالأنعام إجماعا والخيل على مذهب الشافعى (قوله ما أبين من حى) أى فهو ميتة (قوله وخص منها السمك والجراد) أى لما فى الحديث «أحلت لنا ميتتان ودمان السمك والجراد والكبد والطحال» وإنما أحل الكبد والطحال المنفصلان من الحيوان بعد ذكاته شرعا لكونهما ليسا من الدم المسفوح .

(قوله أى المسفوح) أى ولو من سمك خلافا لأبى حنيفة ومن هنا اختلف فى الفسيخ فقال الأئمة الثلاثة بحرمة أكله و بيعه لتشرب بعضه من دم بعض حين تكديسه وقال أبو حنيفة بطهارته لأنه لا دم له أصلا و إنما الذى ينزل منه دهن لا دم بدليل أنه لو نشف لصار أبيض لا أحمر وقال أستاذنا العارف بالله تعالى شيخنا الشيخ الدردير الذى أدين الله به أن الفسيخ بجميع أجزائه طاهر يجوز أكله وأما لو نشف بحيث لم يسل منه دم كالسمك المالح فهو طاهر حلال باجماع (قوله كما فى الأنعام) أى فى سورة الأنعام فى قوله تعالى ـ قل لا أجد فيما أوحى إلىّ محرّما ـ الآية فما هنا يقيد بما هناك (قوله ولحم الخنزير) أى البرى إنسيا أو وحشيا وأما البحرى فهو حلال وكلبه كذلك (قوله وغيره تبع له) ظاهره حتى الشعر ولكن مذهب مالك حلّ لبسه والانتفاع به (قوله والاهلال رفع الصوت) أى فقد سمى الشىء باسم مصاحبه ولذلك يقال استهلّ المولود بمعنى صاح عند الولادة وسمى الهلال بذلك لرفع الصوت عند رؤيته (قوله فمن اضطرّ) هذا كالاستدراك على عموم قوله إنما حرّم عليكم الميتة (قوله غير باغ) حال من الضمير فى اضطر (قوله لأوليائه) أى الذين أكلوا عن اضطرار (قوله حيث وسع لهم فى ذلك) أى فأباح لهم أكلها والشبع منها حيث كانت المخمصة دائمة وأجمعت الأئمة على ذلك واختلفوا إذا لم تدم المخمصة فرجح مالك الشبع والتزوّد وذكر غيره قولين وعلى كل فاذا استغنى عنها طرحها و يقدم الميتة وما أهلّ به لغير الله فى الأكل على لحم الخنزير (٧٣) (قوله وعليه الشافعى) أى لمذهب

أى المسفوح كما فى الأنعام (وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ) خص اللحم لأنه معظم المقصود وغيره تبع له (وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ) أى ذبح على اسم غيره والإهلال رفع الصوت وكانوا يرفعونه عند الذبح لآلهتهم (فَمَنِ اضْطُرَّ) أى ألجأته الضرورة إلى أكل شىء مما ذكر فأكله (غَيْرَ بَاغٍ) خارج على المسلمين (وَلَا عَادٍ) متعد عليهم بقطع الطريق (فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ) فى أكله (إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ) لأوليائه (رَحِيمٌ) بأهل طاعته حيث وسع لهم فى ذلك وخرج الباغى والعادى ويلحق بهما كل عاص بسفره كالآبق والمكاس فلا يحل لهم أكل شىء من ذلك مالم يتوبوا وعليه الشافعى (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ) المشتمل على نعت محمد وهم اليهود (وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا) من الدنيا يأخذونه بدله من سفلتهم فلا يظهرونه خوف فوته عليهم (أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ) لأنها مآله (وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) غضبا عليهم (وَلَا يُزَكِّيهِمْ) يطهرهم من دنس الذنوب (وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم هو النار (أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ،

الشافعى أن العاصى بسفره لا يأكل من الميتة إلا إن تاب وأما مذهب مالك وأبى حنيفة أن العاصى بسفره له الأكل من الميتة و إن لم يتب وفسر قوله غير باغ أى غير طالب الميتة وما معها وهو يجد غيرها وغير عاد أى متعدّ ما أحل الله وقيل غير مستحل لها (قوله إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب) نزلت هذه الآية فى حق علماء اليهود وقد كانوا يأخذون من سفلتهم مالا وكانوا يودّون أن نبى آخر الزمان يكون منهم فلما بعث رسول الله من غيرهم خافوا أن رياستهم تذهب بسبب ظهوره واتباع سفلتهم له فينقطع ما كان يصلهم من سفلتهم فغيروا صفته وصفة أصحابه و بلده حرصا على الرياسة وعلى ما كانوا يأخذونه من سفلتهم قال تعالى ـ يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتمّ نوره ولو كره الكافرون ـ (قوله المشتمل على نعت محمد) أى فالكتاب مشتمل على أمور كثيرة منها نعت محمد ومنها غيره فالمغير إنما هو المشتمل على نعت محمد لا جميع ما فى الكتاب (قوله يأخذونه بدله) أى يأخذون الثمن بدل الكتمان بمعنى أن الحامل لهم على الكتمان إنما هو العوض الفانى الذى يأخذونه من سفلتهم وليس المراد أنهم قالوا لهم خذوا هذا المال واكتموا وصف محمد (قوله خوف فوته) أى الأمر الدنيوى عليهم (قوله إلا النار) أى سببها كما يشير له قول المفسر لأنها مآله أى مأواه وعاقبة أمره ففيه مجاز الأول (قوله ولا يكلمهم الله) أى كلام رضا بل يكلمهم كلام غضب (قوله غضبا عليهم) أى من أجل غضبه عليهم أى طرده لهم و إبعادهم عن رضاه (قوله يطهرهم من دنس الذنوب) أو المعنى لا يشهد لهم بالطهارة يوم القيامة (قوله ولهم عذاب أليم) هذا بيان حالهم فى الآخرة وهو عدم كلام الله لهم المترتب على كتمانهم وعدم طهارة الله لهم المترتب على اشترائهم ثمنا قليلا والعذاب الأليم المترتب على أكلهم سبب النار (قوله أولئك الذين اشتروا)

(قوله الهدى) الباء داخلة على المتروك أي فقد تركوا الهدى وأخذوا الضلالة بدله (قوله لو لم يكتموا) لو شرطية وجوابها محذوف تقديره ما اشتروا العذاب بالمغفرة (قوله فما أصبرهم على النار) الأحسن أن ما نكرة تامة مبتدأ والجملة بعدها في محل رفع خبر والمعنى شيء أصبرهم على النار فأصبر فعل تعجب والفاعل مستتر وجوبا والهاء مفعول وقيل استفهامية فيها معنى التعجب والاعراب واحد وقيل اسم موصول ومابعدها صلتها والخبر محذوف وقيل نكرة موصوفة ومابعدها صفتها والخبر محذوف (قوله أي ما أشد صبرهم) هذا حل معنى لا إعراب (قوله وهو تعجيب للمؤمنين) جواب عن سؤال مقدر، حاصله أن التعجب هو استعظام شيء خفي سببه وذلك مستحيل على الله تعالى لأنه لايخفى عليه خافية فأجاب بأن التعجب واقع من المؤمنين فالمعنى تعجبوا أيها المؤمنون من صبر هؤلاء على موجبات النار التي من جملتها الكتمان وأخذهم الثمن القليل وغير ذلك من غير مبالاة (قوله وإلا فأي صبر لهم) أي وإلا نقدر موجبات بل لو أبقينا الكلام على ظاهره لايصح ذلك لأنه ليس لأحد صبر على ذات النار (قوله الذي ذكر) أي وهو أمور ستة أكلهم سبب النار وعدم كلام الله لهم وعدم تزكيته لهم والعذاب الأليم واشتراؤهم الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة (قوله نزل الكتاب) المراد به التوراة باتفاق المفسرين وإنما الخلاف في الكتاب الثاني (قوله فاختلفوا فيه) قدره المفسر لتمام الفائدة وإلا فالسبب ليس نزول الكتاب بالحق فقط (قوله وكفروا ببعضه) أي فما وافق هواهم آمنوا به وما خالفه كتموه وقالوا لم ينزله ربنا (قوله وهم اليهود) أي فالمراد بالكتاب التوراة والآية من تمام ماقبلها

بِالْهُدَى) أخذوها بدله في الدنيا (وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ) المعدة لهم في الآخرة لو لم يكتموا (فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ) أي ما أشد صبرهم وهو تعجيب للمؤمنين من ارتكابهم موجباتها من غير مبالاة وإلا فأي صبر لهم (ذَٰلِكَ) الذي ذكر من أكلهم النار وما بعدها (بِأَنَّ) بسبب أن (اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ) متعلق بنزل فاختلفوا فيه حيث آمنوا ببعضه وكفروا ببعضه بكتمه (وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ) بذلك وهم اليهود وقيل المشركون في القرآن حيث قال بعضهم شعر وبعضهم سحر وبعضهم كهانة (لَفِي شِقَاقٍ) خلاف (بَعِيدٍ) عن الحق (لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ) في الصلاة (قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ) نزل ردا على اليهود والنصارى حيث زعموا ذلك (وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ) أي ذا البر وقرئ بفتح الباء أي البار (مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ) أي الكتب (وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى)

(قوله وقيل المشركون) أي فهو كلام مستأنف والكتاب هو القرآن (قوله حيث قال بعضهم شعر) هذا هو وجه الاختلاف (قوله بعيد عن الحق) أي فمن آمن بالبعض وكفر بالبعض لم يصادف الحق بل هو بعيد عنه ومن قال من المشركين إنه شعر أو سحر أو كهانة أو غير ذلك لم يصادف الحق بل هو في بعد عنه وبهذه الآية تم الرد على جميع من كفر كان من اليهود أو المشركين (قوله ليس البر أن تولوا وجوهكم) هذا ابتداء نصف السورة الثاني وهو متعلق بتبيين غالب أحكام الدين، وأما النصف الأول فهو متعلق بأصول الدين وقبائح اليهود والبر بالنصب والرفع قراءتان سبعيتان فمن نصب جعله خبرا لليس مقدما وأن تولوا في تأويل مصدر اسمها مؤخر ومن رفع جعله اسمها وأن تولوا خبرها والبر اسم جامع لكل خير كما أن الاثم اسم جامع لكل شر (قوله نزل ردا على اليهود والنصارى) أي فقد زعم النصارى أن البر في استقبال جهة طلوع الشمس وزعم اليهود أن البر في استقبال بيت المقدس فالمراد بالمغرب ماعدا المشرق فيشمل جهة الشمال وقيل بكسر القاف وفتح الباء ظرف مكان معناه جهة وقيل نزلت ردا على المسلمين وكانوا في صدر الاسلام أمروا بالايمان بالله والصلاة فقط لأي جهة كانت فالمعنى ليس البر كما تعتقدون أنه مقصور على الايمان والصلاة فقط بل هو من جمع هذه الخصال والأظهر الأول (قوله أي ذا البر) قدر ذا إشارة إلى أن من اتصف بهذه الخصال يسمى بارا لابرا وبالجملة يقال فيه ماقيل في زيد عدل وقيل إن برا اسم فاعل أصله برر نقلت كسرة الراء إلى الباء ثم أدغمت إحدى الراءين في الأخرى (قوله من آمن بالله) أي صدق بقلبه ونطق بلسانه أن الله يجب له كل كمال ويستحيل عليه كل نقص (قوله واليوم الآخر) أي مع مايتعلق به من الحشر والنشر والصراط والميزان والجنة والنار ومافيهما من الثواب والعقاب (قوله والملائكة) أي بأنهم عباد مكرمون أجسام نورانية لايوصفون بذكورة ولا أنوثة لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون (قوله أي الكتب) أي المنزلة من عند الله على أنبيائه (قوله والنبيين) أي إجمالا في الاجمالي وتفصيلا في التفصيلي فيجب الايمان بخمسة وعشرين منهم وهم المذكورون في القرآن

(قوله مع حبه له) أى المال بأن يعطيه مع كونه يحبه لنفسه و يحتمل أن المعنى مع حبه لله أى يعطى المال مع كونه يحب وكل صحيح (قوله القرابة) أى فاعطاء الأقارب مقدم لأن فيه قربتين الصدقة وصلة الرحم (قوله واليتامى) أى الفقراء منهم وهم من مات آباؤهم قبل بلوغهم (قوله والمساكين) المراد ما يشمل الفقراء وهم المحتاجون (قوله المسافر) أى الغريب ولو مليا ببلده (قوله الطالبين) أى مطلقا لما فى الحديث «أعطوا السائل ولو جاء على فرس» (قوله المكاتبين) أى ليستعينوا على فك رقابهم من الرق (قوله والاسرى) أى ليستعينوا على خلاص أنفسهم من الكفرة (قوله المفروضة) أى ومن المعلوم أن لها أصنافا مذكورة فى الفقه تصرف لها (قوله والموفون بعهدهم) أى وهم من إذا وعدوا أنجزوا و إذا نذروا أوفوا و إذا حلفوا لم يحنثوا فى أيمانهم و إذا قالوا صدقوا فى أقوالهم و إذا ائتمنوا لم يخونوا والموفون معطوف على من آمن التقدير ولكن البر المؤمنون والموفون (قوله نصب على المدح) أى بفعل محذوف تقديره وأمدح الصابرين وخصهم بالذكر لأن الصبر يزين العبادة وتركه يشينها (قوله شدة الفقر) أى فلا يشكون لأحد غير الله لأنه يحب الملحين فى الدعاء (قوله وقت شدة القتال) أى فلا يفر من الأعداء (قوله الموصوفون بما ذكر) أى بجميع هذه الخصال قال بعضهم لا تكون هذه الخصال جميعها إلا فى الأنبياء وقال بعضهم لا مانع أن تكون فى غيرهم (قوله أو ادعاء البر) أى فمعنى الصدق هنا الصدق فى الأقوال فاذا أخبروا بشىء فهم صادقون فيه (قوله وأولئك هم المتقون الله) أى الكاملون فى التقوى (قوله فرض عليكم) . إن قلت إن مقتضى الفرض أنه متحتم

لا يجوز العدول عنه وهو مخالف

مع (حُبِّهِ) له (ذَوِى الْقُرْبَىٰ) القرابة (وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ) المسافر (وَالسَّائِلِينَ) الطالبين (وَفِى) فك (الرِّقَابِ) المكاتبين والأسرى (وَأَقَامَ الصَّلَوٰةَ وَآتَى الزَّكَوٰةَ) المفروضة وما قبله فى التطوع (وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا) الله أو الناس (وَالصَّابِرِينَ) نصب على المدح (فِى الْبَأْسَاءِ) شدة الفقر (وَالضَّرَّاءِ) المرض (وَحِينَ الْبَأْسِ) وقت شدة القتال فى سبيل الله (أُولَٰئِكَ) الموصوفون بما ذكر (الَّذِينَ صَدَقُوا) فى إيمانهم أو ادعاء البر (وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) الله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ) فرض (عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ) المماثلة (فِى الْقَتْلَى) وصفا وفعلا (الْحُرُّ) يقتل (بِالْحُرِّ) ولا يقتل بالعبد (وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَىٰ بِالْأُنْثَىٰ) و بينت السنة أن الذكر يقتل بها وأنه تعتبر المماثلة فى الدين فلا يقتل مسلم ولو عبدا بكافر ولو حرا (فَمَنْ عُفِىَ لَهُ) من القاتلين (مِنْ) دم (أَخِيهِ) المقتول (شَىْءٌ) بأن ترك القصاص منه وتنكير شىء يفيد سقوط القصاص بالعفو عن بعضه ،

لما يأتى . أجيب بأن الفرض بالنسبة لولاة الأمور إذا شح الولى وأبى إلا القتل فالمعنى يجب عليهم فعل القتل إن شح الولى ولم يعف . وسبب نزول الآية أن رسول الله لما دخل المدينة وجد الأوس والخزرج يتفاخرون على بعضهم فصاروا يقتلون الاثنين بالواحد والحر بالعبد منهم فنزلت هذه الآية فآمنوا وأسلموا (قوله القصاص) نائب فاعل كتب وقوله فى القتلى أى بسببها ففى للسببية على حد دخلت امرأة النار فى هرة حبستها. والقتلى جمع قتيل (قوله المماثلة) أى التماثل فى الوصف والفعل وهذا هو المراد به هنا و إلا فالقصاص فى الأصل القود وهو قتل القاتل (قوله وصفا) أى يشترط التماثل فى الوصف بأن يكون مماثلا له فى وصفه من حرية و إسلام و بالجملة فالمدار فى القصاص على كون القاتل مثل المقتول أو أدنى فان كان أعلى منه إما بالدين أو الحرية فلا قود (قوله وفعلا) أى فلو قتل بسيف فانه يقتل به أو بغيره فبغيره (قوله ولا يقتل بالعبد) أى بل يلزمه قيمته ويضرب مائة ويحبس سنة كما بينته السنة (قوله والعبد بالعبد) أى إن طلب سيد المقتول القصاص و إلا فله إما قيمة القاتل أو المقتول أو ذات القاتل والخيار فى ذلك لسيد القاتل (قوله وأن الذكر يقتل بالأنثى) أى و بالعكس (قوله وأنه تعتبر المماثلة) معطوف على أن الذكر مسلط عليه قوله و بينت السنة (قوله فلا يقتل مسلم الخ) أى فالاسلام أعلى من الحرية وعكسه يقتل به (قوله فمن عفى له) هذا تقييد لما قبله وسيأتى للمفسر أن من يصح أن تكون شرطية وموصولة فالمعنى على الثانى فالشخص الذى ترك له شىء من دم أخيه فاتباع بالدية بالمعروف وقرن بالفاء لما فى المبتدا من معنى الشرط وعلى الأول فأى شخص ترك له الخ فقد بطل القتل فلا مطالبة به (قوله من القاتلين) بيان لمن (قوله من دم أخيه) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله المقتول) وصف للأخ (قوله عن بعضه) أى القصاص ولو شيئا يسيرا كعشره وذلك كما إذا كان الولى واحدا وعفا عن بعض القصاص .

(قوله ومن بعض الورثة) أى ولو كان العافى واحدا من ألف مثلا ولمن بقى نصيبه من الدية (قوله تعطف) أى من الله (قوله لايقطع أخوة الايمان) أى خلافا للخوارج القائلين بقطع الايمان بالمعاصى (قوله والخبر فاتباع) أى جملته من المبتدا والخبر الذى قدره المفسر بقوله فعلى العافى اتباع (قوله بالمعروف) الجار والمجرور متعلق بمحذوف صفة لاتباع أى اتباع ملتبس بالمعروف (قوله وترتيب الاتباع على العفو) أى بعد ذكر وجوب القصاص (قوله أن الواجب أحدهما) أى القصاص أو الدية فالدية واجب مستقل مقابل للقصاص (قوله وهو أحد قولى الشافعى) أى ومالك أى فأحد قوليهما أن الواجب أحدهما فاذا كان عفا على الدية وامتنع من إعطائها فله جبره على الدية ولايقتل (قوله والثانى الواجب القصاص الخ) أى فالخيار للأولياء فى ثلاثة: إما القصاص أو العفو على الدية أو مجانا فلو عفوا على الدية وامتنع القاتل من دفعها فللأولياء إما قتله أو العفو مجانا وهذا هو المرتضى فى المذهبين (قوله فلاشىء) أى على هذا القول وأما على الأول فيلزمه الدية (قوله والعفو عنه لاعلى الدية) أى أو مجانا كما بينته السنة (قوله بأن قتله بعد ذلك) أى فحيث ترك

حقه لاحق له (قوله ولكم فى القصاص) هذا هو حكمة القصاص (قوله بقاء عظيم) أى القاتل والمقتول (قوله يا أولى الألباب) جمع لب وهو العقل الكامل (قوله فشرع) تفريع على بيان الحكمة وأخره لتعلق لعلكم تتقون به (قوله مخافة القود) أى مخافة أن يقتص منكم (قوله أى أسبابه) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف والمراد بأسبابه علاماته كالأمراض الشديدة والجراحات التى يظن منهـا الموت عادة (قوله إن ترك خيرا) شرط فى الشرط الذى هو إذا (قوله مالا) سماه خيرا إشارة إلى أنه ينبغى أن يكون حلالا طيبا (قوله

ومن بعض الورثة وفى ذكر أخيه تعطف داع إلى العفو وإيذان بأن القتل لا يقطع أخوة الإيمان ومن مبتدأ شرطية أو موصولة والخبر (فَاتِّبَاعٌ) أى فعلى العافى اتباع القاتل (بِالْمَعْرُوفِ) بأن يطالبه بالدية بلا عنف وترتيب الاتباع على العفو يفيد أن الواجب أحدهما وهو أحد قولى الشافعى والثانى الواجب القصاص والدية بدل عنه فلو عفا ولم يسمها فلا شىء ورجح (وَ) على القاتل (أَدَاءٌ) للدية (إِلَيْهِ) أى العافى وهو الوارث (بِإِحْسَانٍ) بلا مطل ولا بخس (ذَٰلِكَ) الحكم المذكور من جواز القصاص والعفو عنه على الدية (تَخْفِيفٌ) تسهيل (مِنْ رَبِّكُمْ) عليكم (وَرَحْمَةٌ) بكم حيث وسع فى ذلك ولم يحتم واحدا منهما كما حتم على اليهود القصاص وعلى النصارى الدية (فَمَنِ اعْتَدَى) ظلم القاتل بأن قتله (بَعْدَ ذَٰلِكَ) أى العفو (فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم فى الآخرة بالنار أو فى الدنيا بالقتل (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ) أى بقاء عظيم (يَا أُولِي الْأَلْبَابِ) ذوى العقول لأن القاتل إذا علم أنه يقتل ارتدع فأحيا نفسه ومن أراد قتله فشرع (لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) القتل مخافة القود (كُتِبَ) فرض (عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ) أى أسبابه (إِنْ تَرَكَ خَيْرًا) مالا (الْوَصِيَّةُ) مرفوع بكتب ومتعلق إذا إن كانت ظرفية ودال على جوابها إن كانت شرطية وجواب إن أى فليوص (لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ) بالعدل بأن لايزيد على الثلث ولا يفضل الغنى (حَقًّا) مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله (عَلَى الْمُتَّقِينَ) الله وهذا منسوخ بآية الميراث وبحديث «لاوصية لوارث» رواه الترمذى (فَمَنْ بَدَّلَهُ) ،

مرفوع بكتب) أى على أنه نائب الفاعل ولم توجد فى الفعل علامة التأنيث لوجود الفاعل سيما مع كونه أى جازى التأنيث كقولهم طلع فى النهار الشمس (قوله إن كانت ظرفية) أى محضة لم يكن فيها معنى الشرط بل المراد منها الوقت والزمن. إن قلت الوصية إما مصدر أو اسم مصدر والمصدر أو اسمه لايتقدم معموله عليه. أجيب بأنه يتوسع فى الظروف مالايتوسع فى غيرها (قوله وجواب إن) بالجر معطوف على جوابها أى ودالة على جواب إن وقوله أى فليوص هذا هو جواب إذا وإن (قوله للوالدين) متعلق بالوصية وقوله والأقربين عطف عام على خاص (قوله مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله) أى حيث صدر بقوله كتب على حد زيد أبوك عطوفا. واستشكل بأن المصدر المؤكد لايعمل مع أنه عامل فى قوله على المتقين فالأحسن أن يجعل مصدرا مبينا للنوع إلا أن يقال يتوسع فى الظروف والمجرورات مالايتوسع فى غيرها لأنه يكتفى فيها بأى عامل ولو ضعيفا (قوله وهذا منسوخ) أى الحكم لاالتلاوة فحكمها حكم القرآن (قوله بآية الميراث) أى قوله تعالى ـ يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين ـ الآيات (قوله لاوصية لوارث) صدره إن الله أعطى كل ذى حق حقه فلاوصية الخ .

أى الايصاء من شاهد ووصى (بَعْدَ مَا سَمِعَهُ) علمه (فَإِنَّمَا إِثْمُهُ) أى الايصاء المبدل (عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ) فيه إقامة الظاهر مقام المضمر (إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ) لقول الموصى (عَلِيمٌ) بفعل الوصى فمجاز عليه (فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ) مخففا ومثقلا (جَنَفًا) ميلا عن الحق خطأ (أَوْ إِثْمًا) بأن تعمد ذلك بالزيادة على الثلث أو تخصيص غنى مثلا (فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ) بين الموصى والموصى له بالأمر بالعدل (فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ) فى ذلك (إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ) فرض (عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ) من الأمم (لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) المعاصى فإنه يكسر الشهوة التى هى مبدؤها (أَيَّامًا) نصب بالصيام أو بصوموا مقدرا (مَعْدُودَاتٍ) أى قلائل أومؤقتات بعدد معلوم وهى رمضان كما سيأتى وقلله تسهيلا عن المكلفين (فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ) حين شهوده (مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ) أى مسافرا سفر القصر وأجهده الصوم فى الحالين فأفطر (فَعِدَّةٌ) فعليه عدة ماأفطر (مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ) يصومها بدله (وَعَلَى الَّذِينَ) لا (يُطِيقُونَهُ) لكبر أو مرض لا يرجى برؤه (فِدْيَةٌ) هى (طَعَامُ مِسْكِينٍ) أى قدر ما يأكله فى يومه وهو مد من غالب قوت البلد لكل يوم وفى قراءة بإضافة فدية وهى للبيان وقيل لاغير مقدرة وكانوا مخيرين فى صدر الإسلام بين الصوم والفدية ثم نسخ ،

(قوله أى الايصاء) أى أو المعرف أو الوصية (قوله من شاهد ووصى) بيان لمن (قوله علمه) أى ولو لم يسمعه من الموصى (قوله أى الايصاء المبدل) أو المعروف (قوله فيه إقامة الظاهر الخ) أى مع مراعاة معنى من ولو راعى لفظها لقال على الذى بدله ولو أضمر لقال عليه (قوله فمن خاف) الأحسن أن هذا الحكم عام فهو غير منسوخ ويؤخذ هذا من تقديم المفسر قوله وهذا منسوخ عليه (قوله مخففا ومثقلا) أى فهما قراءتان سبعيتان والمعنى واحد (قوله خطأ) حمله على ذلك عطف قوله أو إثما عليه وإلا فالجنف فى الأصل الميل عن الحق مطلقا (قوله بين الموصى والموصى له) أى إن أدرك وهو حى وحصل إصلاح فالاثم مرتفع وإلا فعليه الاثم ويبطل مازاد على الثلث (قوله يأيها الذين آمنوا) خطاب للمؤمنين من أهل المدينة لكن المراد العموم (قوله الصيام) هو لغة الامساك ومنه إنى نذرت للرحمن صوما أى إمساكا عن الكلام ومنه أيضا :

* خيل صيام وخيل غير صائمة * أى ممسكة عن الجرى وغير ممسكة عنه واصطلاحا الامساك عن شهوتى البطن والفرج يوما كاملا من طلوع الفجر إلى غروب الشمس بنية التقرب إلى الله تعالى (قوله من الأمم) اى وأنبيائهم من آدم إلى نبينا لكن لا كصومنا من كل وجه فالتشبيه فى الفرضية لا الكيفية والثواب وحكمة ذكر التشبيه التأكيد فى الأمر والتسلى بمن قبلنا لأن فى الصوم نوع صعوبة (قوله فانه يكسر الشهوة) أى لما فى الحديث « يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحفظ للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء» أى قاطع لشهوته كما تنقطع بالخصى (قوله نصب بالصوم) أى على أنه ظرف له أى الصيام فى أيام وقوله أو بصوموا مقدرا أى دل عليه قوله الصيام وهو الأحسن (قوله معدودات) أى أقل من أربعين إذ العادة فى لغة العرب متى ذكر لفظ العدد يكون المراد به ذلك (قوله أو مؤقتات) هذا هو الأولى ليعلم منه تعيينها وقيل معنى معدودات معدات للعطايا الربانية فالصالحون يتهيأون لها لما فى الحديث «إن لله فى أيام دهركم نفحات فتعرضوا لها» وأيضا فيه ليلة خير من ألف شهر وغير ذلك من فضائله المشهورة (قوله تسهيلا على المكلفين) أى ليقدموا عليها قال تعالى ـ يريد الله بكم اليسر ـ الآية (قوله أو على سفر) أى ملتبسا به (قوله فى الحالين) أى المرض والسفر وهذا ظاهر بالنسبة للمرض لا للسفر فان المسافر يباح له الفطر وإن لم يجهده الصوم لكن الصوم أفضل له فى هذه الحالة ولا فرق فى السفر بين كونه برا أو بحرا (قوله أخر) بالجمع صفة لأيام ممنوع من الصرف للوصفية والعدل ولم يقل أخرى مع صحته لتوهم كونه صفة لعدة مع أنه ليس مرادا (قوله لايرجى برؤه) أى كمرض القصبة والجذام (قوله هى طعام) أشار بذلك إلى أن فدية بالتنوين وطعام خبر لمبتدا محذوف بيان لفدية (قوله وفى قراءة بإضافة فدية) أى مع جمع مسكين وأما الأولى ففيها وجهان الافراد والجمع (قوله وقيل لاغير مقدرة) هذا مقابل ماحل به المفسر فعلى الأول لآية محكمة وعلى الثانى منسوخة

بتعيين الصوم بقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه . قال ابن عباس إلا الحامل والمرضع إذا أفطرتا خوفا على الولد فإنها باقية بلا نسخ فى حقهما (فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً) بالزيادة على القدر المذكور فى الفدية (فَهُوَ) أى التطوع (خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا) مبتدأ خبره (خَيْرٌ لَكُمْ) من الافطار والفدية) إن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) أنه خير لكم فافعلوه ، تلك الأيام (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ) من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا فى ليلة القدر منه (هُدًى) حال هاديا من الضلالة (لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ) آيات واضحات (مِنَ الْهُدَى) بما يهدى إلى الحق من الأحكام (وَ) من (الْفُرْقَانِ) مما يفرق بين الحق والباطل (فَمَنْ شَهِدَ) حضر (مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ) تقدم مثله وكرر لئلا يتوهم نسخه بتعميم

(قوله بتعيين الصوم) أى ولا يقبل منه فدية بعد ذلك والتارك له جحداً كافر أو كسلا يؤخر لمقدار النية قبل الفجر فإن لم ينو قتل حداً (قوله خوفا على الولد) أى فإنهما يقضيان و يفتديان ، وأما على أنفسهما فقط أو والولد فإن عليهما القضاء لا غير (قوله بالزيادة على القدر المذكور) أى بأن زاد على المد أو فى عدد المساكين (قوله مبتدأ) أى مؤول بمصدر تقديره صيامكم (قوله فافعلوه) قدره إشارة إلى أن جواب الشرط محذوف (قوله شهر رمضان) خبر لمبتدإ محذوف قدره المفسر بقوله تلك الأيام . واعلم أن أسماء الشهور أعلام أجناس ورمضان ممنوع من الصرف للعلمية وزيادة الألف والنون لأنه من الرمض وهو الاحراق لأنه يرمض الذنوب أى يحرقها وسمى الشهر شهرا لاشتهاره لمنافع الناس فى دينهم ودنياهم وسيأتى إيضاحه فى قوله تعالى ـ يسألونك عن الأهلة ـ (قوله القرآن) هو لغة من القرء وهو الجمع واصطلاحا اللفظ المنزل على النبى صلى الله عليه وسلم المتعبد بتلاوته للاعجاز بأقصر سورة منه (قوله فى ليلة القدر منه) أى فقد حوى رمضان مزيتين نزول القرآن فيه ووجود ليلة القدر به وليلة القدر به هى المعنية بقوله تعالى ـ إنا أنزلناه فى ليلة مباركة ـ . والحاصل أن جبريل تلقاه من اللوح المحفوظ ونزل به إلى سماء الدنيا فأملاه للسفرة فكتبته فى الصحف على هذا الترتيب ومقرها بيت العزة فى سماء الدنيا ثم نزل به على النبى فى ثلاث وعشرين سنة مفرقا على حسب الوقائع لجبريل أملى السفرة ابتداء وتلقى عنها انتهاء والحكمة فى نزوله مفرقا تثبيته فى قلبه وتجديد الحجج على المعاندين وزيادة إيمان للمؤمنين

قال تعالى ـ وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا ـ وقال تعالى ـ وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا ـ وقال تعالى ـ وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا ـ وتلك الليلة التى نزل فيها القرآن ليلة أربع وعشرين . واعلم أن ليلة القدر تكون فى رمضان وقد تنتقل عنه لغيره لكن الغالب كونها فى رمضان والغالب كونها فى العشر الأواخر منه والغالب كونها فى الأوتار هذا مذهب مالك وذهب الشافعى إلى أنها لا تنتقل عن رمضان بل هى ملازمة له والغالب كونها فى العشر الأواخر منه والغالب كونها فى الأوتار خصوصا إذا صادف الوتر ليلة جمعة (قوله هاديا) و يصح أن يبقى على مصدريته والوصف به مبالغة و يصح أن يكون على حذف مضاف أى ذو هدى على حد زيد عدل (قوله من الضلالة) أى الكفر (قوله و بينات) معطوف على هدى من عطف الخاص على العام لأن الهدى بعضه ظاهر واضح كآية الكرسى والاخلاص وغير ذلك و بعضه غير واضح قال تعالى منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات إلى أن قال كل من عند ربنا فالايمان بكل آية هدى واضحة أولا (قوله مما يفرق بين الحق والباطل) أى فيه آيات بينات مصحوبة بالأدلة القطعية التى تقنع الخصم كقوله تعالى إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب وقوله تعالى أم من يجيب المضطر إذا دعاه الآيات وعطف الفرقان على الهدى من عطف الخاص على العام فكل أخص مما قبله الهدى صادق بالواضح وغيره كان معه دليل أم لا والبينات من الهدى صادقة بوجود الحجج معها أم لا والفرقان هو الآيات البينات التى معها حجج (قوله فمن شهد منكم الشهر) إن كان المراد به الأيام فالمعنى شهد بعضه و إن كان المراد به الهلال فالمعنى علمه إما بأن يكون رآه أو ثبت عنده وقوله فليصمه أى الشهر بمعنى الأيام وعلى كل ففيه استخدام على كل حال لأنه ذكر الاسم الظاهر بمعنى وأعاد عليه الضمير بمعنى آخر والخطاب للمكلف القادر غير المعذور (قوله مريضا) أى مرضا شديدا يشق معه الصوم (قوله أو على سفر) أى سفر قصر وتلبس به قبل الفجر والمعنى فأفطروا فعليهم عدة

(قوله بتعميم من شهد) أى فان لفظ من يعم المسافر وغيره والمريض وغيره (قوله ولا يريد بكم العسر) عطف لازم على ملزوم (قوله فى المرض والسفر) أى وما والاهما من الأعذار المبيحة للفطر التى نص عليها الفقهاء (قوله فى معنى العلة أيضا للأمر بالصوم) أى فهو علة الأمرين الأول جواز الفطر للمريض والمسافر الثانى التوسعة فى القضاء فلم يجب زمن معين ولا تتابع ولا مبادرة (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله أى عدة صوم رمضان) يحتمل أن المعنى من جهة قضائه أى أردت بكم اليسر لتكملوا قضاءه إذا فاتكم لعذر فاذا فاتكم شهر رمضان مثلا فاقضوا شهرا إن كاملا فكاملا و إن ناقصا فناقصا و يحتمل أن المعنى من جهة صوم رمضان الحاضر أى أردت بكم اليسر لتكملوا عدة رمضان ولا تنقصوها إلا لعذر كمرض وسفر فلا بأس بالفطر لذلك وهذا مرتب أيضا على قوله يريد الله بكم اليسر فالمعنى أبحت لكم الفطر فى السفر والمرض لارادة اليسر بكم وكلفتكم بالصوم مع اليسر وأبحت لكم الفطر فى المرض والسفر لتكمل منكم العدة إما فى رمضان أو فى أيام أخر (قوله ولتكبروا الله) أى يوم العيد وهو يوم اكمال العدة و بينت السنة كيفية التكبير (قوله على ذلك) أى على التكليف مع اليسر (قوله وسأل جماعة) هذا اشارة من المفسر لسبب نزول الآية (قوله فنناجيه) أى نساره أى ندعوه سرا ولا نجهر بالدعاء (قوله فنناديه) أى ندعوه جهرا والفعلان يصح فيهما النصب بأن مضمرة بعد فاء السببية لوقوعهما فى جواب الاستفهام والرفع على الاستئناف أى فنحن نناجيه ونحن نناديه والأظهر الثانى لقول بعض شراح الحديث إنه الرواية . واعلم أن هذا السؤال الواقع من الصحابة لا يقتضى جهلهم بالتوحيد لأن الله منزه عن القرب والبعد الحسيين لأنهما من صفات الحوادث والله منزه عنها فمن ذلك حارت عقولهم فى ذلك فمقتضى إحاطته

بجميع خلقه وتصرفه فيهم كيف يشاء يوصف بالقرب ومقتضى تنزهه عن صفات الحوادث جميعها يوصف بالبعد لأن صفاته توقيفية فالمسئول عنه القرب أو البعد المعنويان لا الحسيان و إلا لالهمهم الله على ذلك ولم يضفهم له (قوله فأخبرهم بذلك)

بتعميم من شهد (يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ) ولذا أباح لكم الفطر فى المرض والسفر ولكون ذلك فى معنى العلة أيضاً للأمر بالصوم عطف عليه (وَلِتُكْمِلُوا) بالتخفيف والتشديد (ٱلْعِدَّةَ) أى عدة صوم رمضان (وَلِتُكَبِّرُوا ٱللَّهَ) عند إكمالها (عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ) أرشدكم لمعالم دينه (وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) الله على ذلك . وسأل جماعة النبى صلى الله عليه وسلم أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه ؟ فنزل (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ) منهم بعلمى فأخبرهم بذلك (أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ) بإنالته ما سأل (فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي) دعائى بالطاعة (وَلْيُؤْمِنُوا) ،

أى بأنى قريب وقدر ذلك المفسر لعدم صحة ترتب قوله فانى قريب على الشرط الذى هو إذا فان جوابها لابد وأن يكون مستقبلا وكون الله قريبا وصف ذاتى له لا ينفك عنه أزلا ولا أبدا و إنما المستقبل الإخبار بذلك وقوله بعلمى أى وسمعى و بصرى وقدرتى وارادتى ولم يقل بذاته و إن كانت الصفات لا تفارق الذات لأنه ربما يتوهم للقاصر الحلول فيقع فى الحيرة وأما من فنى عن وجوده فلم يشهد إلا الله فقد زال عنه الحجاب فلا حيرة عنده إذ لم يشهد غيره و إنما خص المفسر العلم بذلك لأنه من صفات الاحاطة ، ومن غلبة رحمته تعالى أنه وصف نفسه بالقرب و إلا فمقتضى التوحيد وصفه بالبعد أيضا بالاعتبار المتقدم فلو قال فانى بعيد لحصل اليأس من رحمته (قوله أجيب دعوة الداع إذا دعان) اليا آن من قوله الداع ودعان من الزوائد عند القراء ومعناه أن الصحابة لم تثبت لهما صورة فى المصحف ولذا اختلفت فيها القراء فمنهم من أسقطها وصلا ووقفا تبعا للرسم ومنهم من يثبتها فى الحالين ومنهم من يثبتها وصلا ويحذفها وقفا (قوله بإنالته ماسأل) أى مالم يسأل بإثم أو قطيعة رحم وهذه الاجابة وعد من الله وهو لا يتخلف لكن على مراده تعالى لا على مراد الداعى فالدعاء نافع ولا يخيب فاعله وما يحتمل أن تكون موصولة وسأل صلتها والعائد محذوف أو نكرة موصوفة وسأل صفتها أو مصدرية أى بإنالته سؤاله (قوله فليستجيبوا لى) يحتمل أن السين والتاء زائدتان والمعنى فليجيبونى بالامتثال والطاعة كما أجبت دعاءهم هل جزاء الاحسان إلا الاحسان وهذا مامشى عليه المفسر ويحتمل أنهما للطلب والمعنى فليطلبوا منى الاجابة عقب دعائهم ، وفى الحديث «ادعوا الله وأنتم موقنون بالاجابة» فشرط الاجابة تيقنها ، وقد أشار لذلك السيد البكرى بقوله فلا تردنا واستجب لنا كما وعدتنا.

(قوله يديموا) فعله أدام رباعيا وفى نسخة يدوموا وفعله دام ثلاثيا وهما لغتان فصيحتان (قوله على الإيمان بى) أى فلا يرتدوا (قوله لعلهم يرشدون) هكذا قرأ الجمهور بفتح الياء وضم الشين من باب قتل وقرئ بكسر الشين وفتحها والياء مفتوحة على كل من بابى ضرب وعلم وقرئ بضم الياء مبنيا للفاعل والمفعول محذوف أى غيرهم أى يدلوهم على طريقة الرشاد ولذا قيل حال رجل فى ألف رجل أنفع من وعظ ألف رجل فى رجل أو مبنيا للمفعول فقراآت غير الجمهور أربع (قوله أحل لكم ليلة الصيام) ليلة ظرف لأحل والمعنى أحل لكم فى ليلة الصيام وفى الناصب له ثلاثة أقوال قيل أحل وهو المشهور عند المعربين وليس بشىء لأن الاحلال ثابت قبل ذلك الوقت وقيل مقدر مدلول عليه بلفظ الرفث تقديره أحل لكم أن ترفثوا ليلة الصيام وقيل متعلق بالرفث لأنه يتوسع فى الظروف مالا يتوسع فى غيرها (قوله الرفث) ضمنه معنى الافضاء فعداه بالى وإلا فهو يتعدى بالباء أو بفى وهو فى الأصل الكلام الذى يستقبح ذكره الواقع عند الجماع فأطلق وأريد منه الجماع على سبيل الكناية لاستقباح ذكره (قوله بمعنى الافضاء) هو فى الأصل أن لا يكون بينك و بين الشىء حائل وليس مرادا هنا بل المراد به هنا إفضاء خاص بالجماع ولذا قال المفسر بمعنى الافضاء إلى نسائكم بالجماع (قوله إلى نسائكم) المراد حلائلكم من زوجة وأمة (قوله من تحريمه) أى الجماع (قوله بعد العشاء) أى دخول وقتها أو بعد النوم ولو كان قبلها (قوله كناية عن تعانقهما) أى فالتشبيه من حيث الاعتناق فكما أن اللباس يسلك فى العنق كذلك المرأة تسلك فى عنق الرجل والرجل يسلك فى عنقها ويصح أن التشبيه من حيث الستر فالمرأة تستر الرجل والرجل يسترها قال تعالى ـ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ـ وإليه الاشارة بقول المفسر أو احتياج كل منهما لصاحبه والحكمة فى تقديم قوله هن لباس لكم أن طلب المواقعة غالبا يكون ابتداء من الرجل لحاجة الرجل إليها أكثر لما أى فى الحديث «لاخير فى النساء ولاصبر عنهن يغلبن كريما ويغلبهن لئيم فأحب أن أكون كريما مغلوبا ولا أحب أن أكون لئيما غالبا»

يديموا على الإيمان (بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ) يهتدون (أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ) بمعنى الافضاء (إِلَى نِسَائِكُمْ) بالجماع . نزل نسخا لما كان فى صدر الإسلام من تحريمه وتحريم الأكل والشرب بعد العشاء (هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ) كناية عن تعانقهما أو احتياج كل منهما إلى صاحبه (عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ) تخونون (أَنْفُسَكُمْ) بالجماع ليلة الصيام . وقع ذلك لعمر وغيره واعتذروا إلى النبى صلى الله عليه وسلم (فَتَابَ عَلَيْكُمْ) قبل توبتكم (وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ) إذ أحل لكم (بَاشِرُوهُنَّ) جامعوهن (وَابْتَغُوا) اطلبوا (مَا كَتَبَ اللهُ لَكُمْ) أى أباحه من الجماع أو قدره من الولد (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا) الليل كله (حَتَّى يَتَبَيَّنَ) يظهر (لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ)،

(قوله تختانون) هو أبلغ من تخونون لزيادة بنائه (قوله وقع ذلك لعمر) وحاصله أنه بعد أن صلى العشاء وجد بأهله رائحة طيبة فواقع أهله حينئذ ثم لما أصبح جاء رسول الله وأخبره الخبر فقال يارسول الله إنى أعتذر إلى الله وإليك مما وقع منى فقام جماعة فقالوا مثل ماقال عمر فنزلت الآية نسخا للتحريم الواقع بالسنة (قوله فالآن) . إن قلت إنه ظرف للزمان الحاضر وقوله باشروهن مستقبل فحينئذ لا يحسن ذلك . أشار المفسر لدفع ذلك حيث حول العبارة بقوله إذ أحل لكم فمتعلق الظرف الحل لا المباشرة فالمعنى حصل لكم التحليل الآن فحينئذ باشروهن فيما يستقبل (قوله جامعوهن) أى فالمراد مباشرة خاصة فأطلق الملزوم وهو المباشرة وأراد لازمه وهو الجماع (قوله أى أباحه من الجماع) أى فى النساء الحلائل وأشار بذلك إلى أنه ينبغى أن يقصد بجماعه العفة بالحلال عن الحرام له ولها أو رجاء النسل لتكثير الأمة ففى الحديث «تناكحوا تناسلوا فإنى مباه بكم الأمم يوم القيامة» (قوله وكلوا واشربوا) نزلت فى صرمة بن قيس وكان عاملا فى أرض له وهو صائم فحين جاء المساء رجع لأهله فلم يجد طعاما فغلبته عيناه من التعب فلما حضر الطعام استيقظ فكره أن يأكل خوفا من الله فبات طاويا فلما انتصف النهار حتى غشى عليه فلما أفاق أخبر النبى بذلك فنزلت الآية (قوله من الخيط الأسود) قيل قبل نزول قوله من الفجر وضع على بن حاتم عقالا أبيض وعقالا أسود وجعل يأكل و يشرب حتى تبين كل منهما فلما أصبح أخبر النبى بذلك فقال له إنما ذلك سواد الليل و بياض النهار .

أى الصادق بيان للخيط الأبيض و بيان الأسود محذوف أى من الليل، شبه ما يبدو من البياض وما يمتد معه من الغبش بخيطين أبيض وأسود فى الامتداد (ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ) من الفجر (إِلَى اللَّيْلِ) أى إلى دخوله بغروب الشمس (وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ) أى نساءكم (وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ) مقيمون بنية الاعتكاف (فِي الْمَسَاجِدِ) متعلق بعاكفون ، نهى لمن كان يخرج وهو معتكف فيجامع امرأته و يعود (تِلْكَ) الأحكام المذكورة (حُدُودُ اللَّهِ) حدها لعباده ليقفوا عندها (فَلَا تَقْرَبُوهَا) أبلغ من لا تعتدوها المعبر به فى آية أخرى (كَذَٰلِكَ) كما بين لكم ماذكر (يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) محارمه (وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ) أى لا يأكل بعضكم مال بعض (بِالْبَاطِلِ) الحرام شرعاً كالسرقة والغصب (وَ) لا (تُدْلُوا) تلقوا (بِهَا) أى بحكومتها أو بالأموال رشوة (إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا) بالتحاكم (فَرِيقًا) طائفة (مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ) ملتبسين (بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) أنكم مبطلون (يَسْأَلُونَكَ) يا محمد (عَنِ الْأَهِلَّةِ) جمع هلال لم تبدو دقيقة ثم تزيد حتى تمتلئ نورا ثم تعود كما بدت ولا تكون على حالة واحدة كالشمس ؟ (قُلْ) لهم (هِيَ مَوَاقِيتُ) جمع ميقات (لِلنَّاسِ) يعلمون بها أوقات زرعهم ومتاجرهم وعدد نسائهم وصيامهم و إفطارهم (وَالْحَجِّ) عطف على الناس ، أى :

(قوله أى الصادق) احترز بذلك عن الكاذب وهو مايظهر قبل الصادق كذنب السرحان ثم تعقبه ظلمة ثم يطلع الصادق وهو الضياء المنتشر (قوله و بيان الأسود محذوف) أى فلو بينه لقال من الفجر والليل ليكون لفا ونشرا مرتبا ولم يذكره لعدم تعلق حكم به فان الصوم متعلق بظهور الأبيض (قوله من الغبش) أى ظلمة الليل (قوله أبيض وأسود) لف ونشر مرتب والتشبيه هنا إنما هو فى الصورة والهيئة وليس هناك خيط أبيض ولا أسود كما توهمه بعض الصحابة (قوله فى الامتداد) هذا هو وجه الشبه (قوله بغروب الشمس) أشار بذلك إلى أن الغاية غير داخلة فى المغيا و إنما صيام جزء من الليل من باب مالايتم الواجب إلابه فهو واجب (قوله ولاتباشروهن) أى مطلقا ليلا كان أونهارا وليس كالصيام (قوله نهى) خبر لمبتدإ محذوف تقديره هذه الآية نهى (قوله الأحكام المذكورة) أى من أول آية الصيام إلى هنا . واستشكل ذلك بأن الحد هو قوله تعالى ـ ولا تباشروهن ـ الآية . وأجيب بأن الله أمرنا بالصوم بقوله ـ كتب عليكم الصيام ـ والأمر بالشىء نهى عن ضده (قوله أبلغ من لا تعتدوها) أى لأن النهى عن المقاربة نهى عن المجاوزة وزيادة (قوله أى لايأكل بعضكم مال بعض) أى لأن الله قدر لكل رزقه فلايتسع بالباطل ولا يضيق بالحق (قوله كالسرقة والغصب) أى والمكس والنهب من كل ما لم يأذن فيه الشارع (قوله تلقوا) أى تسرعوا وتبادروا (قوله وأنتم تعلمون) جملة حالية من فاعل تأكلوا (قوله أنكم مبطلون) بفتح الهمزة إشارة إلى أنه مفعول تعلمون (قوله يسئلونك) أى أصحابك (قوله لم تبدو دقيقة) هذا هو صورة السؤال (قوله ثم تزيد) أى شيئافشيئا (قوله حتى تمتلئ نورا) أى وذلك ليلة أربعة عشر (قوله ثم تعود كما بدت) أى فالهلال إما آخذ فى الزيادة وذلك فى النصف الأول من الشهر و إما آخذ فى النقص وذلك فى النصف الأخير منه (قوله قل هى مواقيت للناس) قيل إن الجواب غيرمطابق للسؤال لأن سؤالهم عن حكمة كونه يبدو دقيقا ثم إذا تم عاد كما كان والجواب إنما هو عن حكمة الهلال الظاهرية وهى كونه مواقيت للناس والحج ، وأماجواب سؤالهم فليسوا مكلفين به ولاحاجة لهم بذلك لأنه من المغيبات ، وقيل إن الجواب مطابق للسؤال فقوله ـ يسئلونك عن الأهلة ـ أى عن حكمها الظاهرة ، وهذا هو الأنسب بمقامهم لأن الأول من باب لاتسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم ، والضمير يعود على الأهلة وتقدم أنه جمع هلال سمى بذلك لاستهلال الناس عند رؤيته بمعنى رفع أصواتهم ويسمى بالهلال ليلتين أو ثلاثا و بعد ذلك يسمى قمرا (قوله جمع ميقات) أصله موقات وقعت الواو ساكنة إثر كسرة قلبت ياء (قوله أوقات زرعهم) أى فكل زرع له وقت يطلع فيه فزرع هذا الشهر مثلا لايطلع فى غيره وهكذا (قوله وعدد نسائهم) أى من كونها أربعة أشهر وعشرا أو ثلاثة أشهر مثلا (قوله وصيامهم) أى فى رمضان مثلا (قوله و إفطارهم) أى فى شوال (قوله عطف على الناس) أى مسلط عليه مواقيت واللام وفى الحقيقة هو معطوف على المضاف المحذوف : أى لمصالح الناس والحج

(قوله يعلم بها وقته) أى وهو شوال وذوالقعدة وعشر ذى الحجة فلو تقدّم أو تأخر لم يصح وه .اهوحكمة تخصيصه من دون العبادات وإن كان من مصالح الناس (قوله وليس البرّ) الحكمة فى ذكر هذه الآية بعد ماتقدّم أنهم سألوا عن ذلك أيضا وصورة سؤالهم هل من البرّ إتيان البيوت من ظهورها فأجابهم الله بأنه ليس من البرّ ويتعين رفع البر هنا لأن مابعد الباء يتعين جعله خبرا لليس فان الباء إنما تدخل على الخبر لا على الاسم (قوله بأن تنقبوا فيها نقبا) أى من خوف الاستظلال بالسقف وهذا فى الحاضر، وأما البادى فكان يشق الخيمة وذلك فى الإحرام زاعمين أن عدم تغطية الرأس بشئ أصلا غير الدخول برّ (قوله بترك مخالفته) أى مطلقا وامتثال المأمورات على حسب الطاقة (قوله وأتوا البيوت من أبوابها) حاصل ذلك أن الله أخبرنا بجملتين وأمرنا بجملتين مرتبا لهما على الأوليين فقوله ـ وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ـ جملة خبرية رتب عليها قوله ـ وأتو البيوت من أبوابها ـ وقوله ـ ولكن البر من اتقى ـ جملة خبرية أيضا رتب عليها قوله ـ واتقوا الله ـ (قوله تفوزون) أى تسعدون وتظفرون برضاه (قوله ولما صدّ الخ) أي صدّه المشركون ومنعوه وصرفوه ، والمراد بالبيت الكعبة . وحاصله أن النبي صلى الله عليه وسلم سنة ست من الهجرة توجه مع ألف وأربعمائة لفعل عمرة لأن الحج إذ ذاك لم يكن فرض فنزلوا الحديبية بمكان قريب من مكة يسمى وادى فاطمة فخرجت عليهم سفهاء مكة يقاتلونهم بالأحجار والسهام فأرسل رسول الله عثمان يستأذن أهل مكة فى أن يدخل هو وأصحابه ويطوفوا ويكملوا عمرتهم فأشاع الكفار وإبليس أن عثمان قد مات فبايع النبي أصحابه

يعلم بها وقته فلو استمرت على حالة لم يعرف ذلك (وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا) فى الاحرام بأن تنقبوا فيها نقباً تدخلون منه وتخرجون وتتركوا الباب وكانوا يفعلون ذلك ويزعمونه براً (وَلَـكِنَّ الْبِرَّ) أى ذا البر (مَنِ اتَّـقَى) الله بترك مخالفته (وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا) فى الاحرام كغيره (وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّـكُمْ تُفْلِحُونَ) تفوزون . ولما صدّ النبى صلى الله عليه وسلم عن البيت عام الحديبية وصالح الكفار على أن يعود العام القابل ويخلوا له مكة ثلاثة أيام وتجهز لعمرة القضاء وخافوا أن لاتفى قريش ويقاتلوهم وكره المسلمون قتالهم فى الحرم والاحرام والشهر الحرام نزل (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ) أى لإعلاء دينه (الَّذِينَ يُقَاتِلُونَـكُمْ) من الكفار (وَلاَ تَعْتَدُوا) عليهم بالابتداء بالقتال (إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ)المتجاوزين ماحدّ لهم وهذا منسوخ بآية براءة،أو بقوله (وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ) وجدتموهم (وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ) أى مكة وقد فعل بهم ذلك عام الفتح :

تحت الشجرة على قتالهم فحصل صلح بينه وبينهم عشر سنين ، وتبين أن عثمان حى لم يمت وأتى اليهم ، وقال إن الكفار واعدونا إلى العام القابل فتحلل المسلمون مكانهم فى الحديبية ونحروا هديهم وحلقوا وانصرفوا راجعين ثم فى العام القابل وهو سنة سبع تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمرة القضاء وسميت قضاء لأنها وقع فيها المقاضاة والصلح لا لأنه لزمهم قضاء للعمرة السابقة لأن من صدّ لا يلزمه قضاء

(والفتنة)

فخاف المسلمون أن قريشا لاتفى بالوعد ويحصل قتال فى الشهر الحرام والحرم والاحرام فنزلت الآية (قوله وصالح الكفار) يصح أن الكفار فاعل بصالح والمفعول محذوف تقديره صالحه ويصح أن الفاعل مستتر تقديره هو يعود على النبى والكفار مفعول (قوله على أن يعود العام القابل) تقدّم أنه عام سبع (قوله وخافوا أن لاتفى قريش الخ) أى فيحصل المحذور الذى هو القتال فى الحرم والإحرام والشهر الحرام (قوله نزل) هذا جواب لما : أى فهو سبب النزول (قوله وقاتلوا فى سبيل الله) السبيل فى الأصل الطريق فاستعير لدين الله وشرائعه بجامع التوصل للمقصود فى كل (قوله الذين يقاتلونكم) أى لاتبتدئوهم بالقتال (قوله ولاتعتدوا) المراد بالاعتداء هنا ابتداء القتال لاحقيقة الاعتداء الذى هو تجاوز الحد (قوله وهذامنسوخ بآية براءة) أى بقوله وقاتلوا المشركين كافة فأزال الله الضيق عن المسلمين وأبدله بالسعة ، وفى الحقيقة هذه الآية نسخت نحو سبعين آية من القرآن حصل فيها نهى عن القتال (قوله أو بقوله الخ) أى وهذا أبلغ لكونها بلصقها (قوله وأخرجوهم من حيث أخرجوكم) أى من المكان الذى أخرجوكم منه يعنى مكة وهو أمر بالإخراج فكأنه وعد من الله بالفتح لمكة ، وقد أنجز الله ماوعد به عام ثمان (قوله وقد فعل) أى رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم : أى بالكفار منهم (قوله عام الفتح) أى وهو العام الثامن . إن قلت إن مدة الصلح باقية مع أن إخراجهم وقتالهم حصل قبل مضى تلك المدة . أجيب بأنه حصل منهم نقض العهد بعد عمرة القضاء .

(وَالْفِتْنَةُ) الشرك منهم (أَشَدُّ) أعظم (مِنَ الْقَتْلِ) لهم فى الحرم أو الاحرام الذى استعظمتموه (وَلاَ تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) أى فى الحرم (حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ) فيه (فَاقْتُلُوهُمْ) فيه وفى قراءة بلا ألف فى الأفعال الثلاثة (كَذٰلِكَ) القتل والاخراج (جَزَاءُ الْكَافِرِينَ. فَإِنِ انْتَهَوْا) عن الكفر وأسلموا (فَإِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ) لهم (رَحِيمٌ) بهم (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ) توجد (فِتْنَةٌ) شرك (وَيَكُونَ الدِّينُ) العبادة (لِلّٰهِ) وحده لا يعبد سواه (فَإِنِ انْتَهَوْا) عن الشرك فلا تعتدوا عليهم دل على هذا (فَلاَ عُدْوَانَ) اعتداء بقتل أو غيره (إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ) ومن انتهى فليس بظالم فلا عدوان عليه (الشَّهْرُ الْحَرَامُ) المحرم مقابل (بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ) فكما قاتلوكم فيه فاقتلوهم فى مثله ردٌّ لاستعظام المسلمين ذلك (وَالْحُرُمَاتُ) جمع حرمة مايجب احترامه (قِصَاصٌ) أى يقتص بمثلها إذا انتهكت (فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ) بالقتال فى الحرم أو الاحرام أو الشهر الحرام (فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ) سمى مقابلته اعتداء لشبهها بالمقابل به فى الصورة (وَاتَّقُوا اللّٰهَ) فى الانتصار وترك الاعتداء (وَاعْلَمُوا أَنَّ اللّٰهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) بالعون والنصر (وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللّٰهِ) طاعته الجهاد وغيره .

(قوله والفتنة الخ) هذا جواب عن سؤال مقدّر تقديره إن خفتم ان تقاتلوهم فى الشهر الحرام وراعيتم حرمة الشهر والاحرام والحرم فالشرك الذى حصل منهم الذى فيه تهاون برب الحرم أبلغ (قوله ولاتقاتلوهم الخ) هذا توكيد للمنسوخ وهو تفسير لقوله ولاتعتدوا (قوله أى فى الحرم) إنما فسر عند بفى لأنه ظرف منصوب وهو على تقدير فى وأطلق المسجد الحرام وأراد مايعم الحرم بتمامه (قوله وفى قراءة بلا ألف) والقراءتان سبعيتان والتلاوة على هذا ولا تقتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقتلوكم فيه فان قتلوكم فاقتلوهم والمعنى فخذوا فى أسباب قتلهم (قوله جزاء الكافرين) أى فى الدنيا وفى الآخرة العذاب الأليم (قوله فان انتهوا) أى رجعوا عن الكفر وأصله انتهيوا بياء مضمومة بعد الهاء استثقلت الضمة على الياء فحذفت وتحركت الياء بحسب الأصل وانفتح ما قبلها بحسب الآن قلبت ألفا فالتقى ساكنان حذفت الألف وبقيت الفتحة دليلا عليها (قوله وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة) هذه الآية ناسخة أيضا لماقبلها (قوله ويكون الدين لله) أى فى مكة أى لأن المراد تخليص الدين فى مكة من الشرك فقط لا كل الجهات ، وأما آية الأنفال فى قوله ويكون الدين كله أى فى كل الجهات (قوله فان انتهوا) أى رجعوا عن الكفر وأسلموا (قوله فلاعدوان الخ) هذا خبر فى صورة الأمر مبالغة أى فلاتنتقموا ولاتقتلوا (٨٣) إلا الظالمين والمعنى لايجازى على عدوانه إلا الظالمون لأن العدوان واقع من الكفار بكفرهم وقتالهم للمسلمين لامن المسلمين بقتالهم لهم (قوله الشهر الحرام الخ) هذا نزل أيضا زيادة طمأنينة للمسلمين لأنه كان يشق عليهم القتال فيها تعظيما لها وقيل أنها نزلت ردّا على الكفار والمنافقين المعترضين فى قولهم إن الأشهر الحرم والحرم معظمة قديما ويزعم محمد أنه يحكم بالعدل وهو ينتهك حرمة الشهر الحرام والحرم فرد الله عليهم بقوله الشهر الحرام : أى الذى نقاتلكم فيه فى مقابلة الشهر الحرام : أى الذى صددتمونا فيه عن العمرة والدخول وقاتلنا سفهاؤكم ولا يسمى انتهاكا ولا عدم تعظيم للحرم لأنه لما كان بأمر الله اندفع ذلك كله (قوله والحرمات قصاص) أى متى حصل انتهاك من أحد لحرمة آخر سقطت حرمته فيقتص له منه ومن هنا قول بعضهم ملغزا فيمن قطعت يده ظلما ومن قطعت يده لأجل السرقة :

يد بخمس مئين عسجد وديت ما بالها قطعت فى ربع دينار

أجاب عنه القاضى عبد الوهاب البغدادى بقوله :

عزّ الأمانة أغلاها وأرخصها ذلّ الخيانة فافهم حكمة البارى

(قوله فمن اعتدى عليكم) تسميته اعتداء ظاهر لأنه تجاوز للحد وقوله فاعتدوا عليه : أى انتقموا منه وقاتلوه فتسميته اعتداء مشاكلة لمقابله وقوله بمثل ما اعتدى عليكم توكيد لقوله والحرمات قصاص وكلّ هذا منسوخ بقوله واقتلوهم حيث ثقفتموهم (قوله واتقوا الله) أى ومن التقوى رحمة عباده سيما إذا لم يقاتلوكم أو إذا قدرتم عليهم فالأولى العفو (قوله واعلموا أن الله مع المتقين) أى معية خاصة فيمدّهم بالنصر والعون وإلا فهو مع كل نفس بعلمه وتصرفه (قوله وأنفقوا فى سبيل

الله) أى ابذلوا أنفسكم وأموالكم فى طاعته ومراضيه سواء الجهاد وغيره كصلة الرحم ومراعاة الضعفاء والفقراء من عباد الله (قوله ولا تلقوا بأيديكم) عبر بالأيدى عن الأنفس اكتفاء بالجزء الأهم من النفس كقوله فى آية أخرى ـ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ـ أى أنفسكم (قوله إلى التهلكة) أى إلى الهلاك : أى إلى أسبابه وأسباب الهلاك إمساك الأموال والأنفس عن الجهاد لأن به يقوى العدوّ وتكثر المصائب فى الدين والذلّ لأهله كما هو مشاهد ، ومن أنفق أمواله ونفسه فى سبيل الله فقد ألقى بنفسه إلى العز الدائم فى الدنيا والآخرة أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون (قوله وأحسنوا) أى افعلوا الاحسان بالانفاق فى سبيل الله وغيره من أنواع العبادات والقربات (قوله أى يثيبهم) فسر المحبة فى حق الله بالاثابة لأن حقيقتها وهى ميل القلب للمحبوب مستحيلة فى حق الله تعالى والاثابة لازمة لذلك والقاعدة أن كلّ ما استحال على الله باعتبار مبدئه وورد يطلق و يراد لازمه وغايته (قوله وأتموا الحجّ والعمرة لله) المتبادر من الآية يشهد لقول الشافعى بوجوب العمرة عينا فى العمر مرّة كالحجّ . وقال مالك بسنيتها فى العمر مرة عينا وقرئ وأقيموا الحج والعمرة وهى تؤيد مذهب الشافعى سيما مع كون الأصل فى الأمر الوجوب ، وحجة مالك أن المراد تمموهما إذا شرعتم فيهما ولا يلزم من وجوب الاتمام وجوب الابتداء . فالحاصل أن العلماء اتفقوا على وجوب الحج عينا فى العمر مرة وماعدا ذلك فهو فرض كفاية لاقامة الموسم واتفقوا على مشروعية العمرة واختلفوا فى حكمها ، فقال الشافعى بوجوبها كالحجّ وحمل الاتمام على الأداء ، وقال مالك بسنيتها وحمل الاتمام على حقيقته (قوله فان أحصرتم) أى عن البيت ولم تتمكنوا من دخوله كما وقع للمصطفى صلى الله عليه وسلم وهذا رفع للحرج الواقع فى الأمر من قوله وأتموا (قوله تيسر) أشار بذلك إلى أن السين ليست لمعنى زائد بل بل استيسر وتيسر بمعنى واحد (قوله وهو شاة) أى ضأنا أو معزا مجزئة فى الضحية (قوله ولا تحلقوا رءوسكم) اعلم أنه إذا اجتمع هدى وحلق فالهدى مقدّم على الحلق فاذا اجتمع معهما رمى وطواف قدم الرمى ثم النحر ثم الحلق ثم الطواف وضبطها بعضهم بقوله رنحط (قوله حتى يبلغ الهدى محله) اعلم أنه اختلف فى الهدى فقيل يؤمر به وهو قول الشافعى ، وعليه فان لم يجد هديا قوّمه بطعام وأخرجه ، فان لم يجد صام بعدد الأمداد ، وقيل لا يؤمر به ، والآية محمولة على من كان معه هدى تطوّعا مثلا وهو قول مالك ، وعليه فان لم يجد هديا فلا شئ عليه غير الحلق (قوله محله) هو بالكسر يطلق على الزمان والمكان و بالفتح على المكان فقط (قوله عند الشافعى) أى ومالك أيضا فالمدار عندهما على مكان الاحصار حلا أو حرما . وقال أبو حنيفة لابد أن يذبح بالحرم (قوله أو به أذى) متعلق بمحذوف معطوف على مريضا الواقع خبرا لكان وقوله أذى فاعل بالجار والمجرور أو الجار والمجرور خبر مقدّم وأذى مبتدأ مؤخر والجملة معطوفة على مريضا (قوله ففدية عليه) قدره إشارة إلى أنه خبر المبتدإ والجملة جواب من . واعلم أن دماء الحج ثلاثة فدية وهدى وقد ذكرهما هنا وجزاء وقد ذكره فى المائدة فما كان عن إزالة أذى أو ترفه فهو فدية وما ترتب عن نقص فى حج أو عمرة بفعل اختيارى أولا فهدى وما كان عن صيد فجزاء (قوله على ستة مساكين) أى لكل مسكين مدان (قوله لغير عذر) أى و إن كان حراما (قوله وكذا من استمتع بغير الحلق) أى فهو مقيس عليه (قوله بعذر أو غيره) راجع للثلاثة غير أن الحرمة فيما كان لغير عذر وألحق بذلك من قلم ظفره وأما الوطء وتقبيل الزوجة فكذا عند الشافعى وعند مالك فيه هدى

(وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ) أى أنفسكم والباء زائدة (إِلَى التَّهْلُكَةِ) الهلاك بالامساك عن النفقة فى الجهاد أو تركه لأنه يقوى العدو عليكم (وَأَحْسِنُوا) بالنفقة وغيرها (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) أى يثيبهم (وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ) أدوهما بحقوقهما (فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ) منعتم عن إتمامهما بعدوّ (فَمَا اسْتَيْسَرَ) تيسر (مِنَ الْهَدْيِ) عليكم وهو شاة (وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ) أى لاتتحللوا (حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ) المذكور (مَحِلَّهُ) حيث يحل ذبحه وهو مكان الاحصار عند الشافعى فيذبح فيه بنية التحلل ويفرق على مساكينه ويحلق وبه يحصل التحلل (فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ) كقمل وصداع فحلق فى الاحرام (فَفِدْيَةٌ) عليه (مِنْ صِيَامٍ) لثلاثة أيام (أَوْ صَدَقَةٍ) بثلاثة آصع من غالب قوت البلد على ستة مساكين (أَوْ نُسُكٍ) أى ذبح شاة وأو للتخيير وألحق به من حلق لغير عذر لأنه أولى بالكفارة وكذا من استمتع بغير الحلق كالطيب واللبس والدهن لعذر أو غيره .

(قوله فإذا أمنتم) أى ابتداء وانتهاء (قوله فمن تمتع) حاصل مافى المقام أن الشخص إذا كان مفردا فانه لاشيء عليه ، وأما إذا كان قارنا أومتمتعا فعليه دم (قوله أى بسبب فراغه منها) دفع بذلك مايقال إن العمرة فيها مشقة ولا تمتع فيها (قوله إلى الحج) أى تمتع من فراغه من العمرة واستمر على ذلك إلى الاحرام بالحج (قوله تيسرمن الهدى) أى وأفضل الهدايا الإبل ثم البقر ثم الغنم (قوله فمن لم يجد) أى فهوعلى الترتيب وهذا الدم يلزم بشروط أربعة : الأول أن لايكون أهله بالمسجد الحرام . الثانى أن لايكون تحلله من العمرة فى أشهر الحج . الثالث أن يحج فى عامه . الرابع أن لايرجع إلى بلده أومثلها، وقال الشافعى أن لايرجع إلى الميقات (قوله فصيام ثلاثة أيام فى الحج) محل ذلك إن كان النقص قبل الوقوف و إلاصام العشرة متى شاء (قوله قبل السابع) أى ليصوم الثلاثة الأيام ومامشى عليه المفسر قول ضعيف فى مذهب الشافعى والمعتمد أنه لايجب عليه ذلك لأنه لايجب عليه تحصيل سبب الوجوب ووافقه مالك على ذلك (قوله على أصح قولى الشافعى) وقال مالك بجواز صومها

(فَإِذَا أَمِنْتُمْ) العدو بأن ذهب أو لم يكن (فَمَنْ تَمَتَّعَ) استمتع (بِالْعُمْرَةِ) أى بسبب فراغه منها بمحظورات الاحرام (إِلَى الْحَجِّ) أى إلى الاحرام به بأن يكون أحرم بها فى أشهره (فَمَا اسْتَيْسَرَ) تيسر (مِنَ الْهَدْيِ) عليه وهو شاة يذبحها بعد الإحرام به والأفضل يوم النحر (فَمَنْ لَمْ يَجِدْ) الهدى لفقده أو فقد ثمنه (فَصِيَامُ) أى فعليه صيام (ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ) أى فى حال الإحرام به فيجب حينئذ أن يحرم قبل السابع من ذى الحجة والأفضل قبل السادس لكراهة صوم يوم عرفة ولا يجوز صومها أيام التشريق على أصح قولى الشافعى (وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ) إلى وطنكم مكة أو غيرها وقيل إذا فرغتم من أعمال الحج وفيه التفات عن الغيبة (تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ) جملة تأكيد لما قبلها (ذَٰلِكَ) الحكم المذكور من وجوب الهدى أو الصيام على من تمتع (لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) بأن لم يكونوا على دون مرحلتين من الحرم عند الشافعى فإن كان فلا دم عليه ولا صيام وإن تمتع وفى ذكر الأهل إشعار باشتراط الاستيطان فلو أقام قبل أشهر الحج ولم يستوطن وتمتع فعليه ذلك وهو أحد وجهين عند الشافعى، والثانى لا. والأهل كناية عن النفس، وألحق بالمتمتع فيما ذكر بالسنة القارن وهو من أحرم بالعمرة والحج معا أو يدخل الحج عليها قبل الطواف (وَاتَّقُوا اللَّهَ) فيما يأمركم به وينهاكم عنه (وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) لمن خالفه (الْحَجُّ) وقته (أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ) شوال وذو القعدة وعشر ليال من ذى الحجة وقيل كله .

(قوله وفيه التفات عن الغيبة) أى مع مراعاة معنى من (قوله تأكيد لما قبلها) أى لدفع توهم الكثرة فى العدد وقوله كاملة أى فى الثواب كالهدى وفيه تسلية للفقير العاجز عن الهدى (قوله عند الشافعى) أى وعند مالك لاينتفى الهدى إلا عمن كان متوطنا بأرض الحرم فيشمل أهل منى ومزدلفة (قوله وهو أحد وجهين عند الشافعى) أى وهو مذهب مالك (قوله والأهل كناية عن النفس) أى فعلى هذا يكون معنى الآية ذلك لمن أى لمحرم لم يكن أهل أى نفسه حاضرى المسجد الحرام وهذا معنى بعيد فالأولى ماقاله غيره من أن المراد بالأهل الزوجة والأولاد الذين تحت حجره دون الآباء والاخوة ومعدوم الأهل المتوطن بنفسه كذلك و إنما عبر بالأهل لكون شأن التوطن يكون بذلك (قوله القارن) أى و يطوف لهما طوافا واحدا وسعيا واحدا عند مالك والشافعى وقال أبوحنيفة لابد لهما من طوافين وسعيين (قوله فيما يأمركم به الخ) أى وخصوصا فى الحج والعمرة (قوله وقته) إنما قدّره لأن الحج عمل والأشهر زمن ولا يخبر عن العمل بالزمن (قوله أشهر معلومات) هذه الآية مقيدة لآية — قل هى مواقيت للناس والحج — لأن المتبادر منها أن الأهلة كلها مواقيت للحج فأفاد بهذه الآية أن الحج له زمن معلوم يؤدّى فيه . وأما العمرة فوقتها السنة كلها مالم يكن متلبسا بالحج و إلا فلا يعتمر حتى يفرغ منه (قوله وعشر ليال من ذى الحجة) أى فالجمع فى الآية لما فوق الواحد أو باعتبار جبر الكسر (قوله وقيل كله) أى فالجمع على حقيقته و بذلك قال مالك والمعنى على ماقال مالك أن له التحلل فى ذى الحجة بتمامه ولايلزمه دم إلابدخول المحرم لاأن المعنى أن يبتدئ الاحرام به بعد فجر النحر فإن ذلك لم يقله مالك ولاغيره ممن يعتد به. فالحاصل أن الحج له ميقاتان مكانى وزمانى فالمكانى ماأشار له بعضهم بقوله :

عرق العراق يلملم اليمن   وبذى الحليفة يحرم المدنى   والشام جحفة إن مررت بها   ولأهل نجد قرن فاستبن

والزمانى لابتداء الاحرام به شوّال وذوالقعدة وعشر ليال من ذى الحجة وأما لانتهاء التحليل منه فبقية ذى الحجة (قوله فمن فرض على نفسه) أى ألزم نفسه الدخول فى أفعال الحج بأن أحرم به سواء كان فرضا عليه قبل ذلك أولا (قوله فيهن) أى الشهرين والعشر ليال . وأما فى غير هذه الأشهر فقال مالك ينعقد و يكره وقال غيره لاينعقد (قوله فلا رفث) فى الآية ثلاث قراآت غير شاذة الأولى برفع الجميع مع التنوين الثانية برفع الأولين و بناء الثالث على الفتح وقرئ شاذا بنصب الثلاثة (قوله معاص) أى بأىّ وجه من أوجه المعاصى والنهى عنها و إن كان عاما إلا أنه فى الحج أشد (قوله ولاجدال) هومقابلة الحجة بالحجة لنصرة الباطل وأما لنصرة الحق فلابأس بذلك (قوله فى الحج) أظهر فى مقام الاضمار اهتماما بشأنه (قوله بفتح الأولين) أى مع الثالث (قوله والمراد فى الثلاثة النهى) أى لاالاخبار و إنما أتى بها على صورة الاخبار إشارة إلى أنه لاينبغى أن يقع ذلك والتعبير عن النهى بصورة الخبر أبلغ فى الانزجار (قوله وماتفعلوا من خير يعلمه الله) إن قلت إن الله كما يعلم الخير من العبد يعلم الشرّ منه. أجيب بأن شأن الله ستر الشرّ عن العبيد فلايظهره عليهم بخلاف الخير فيظهره للخلائق لما فى الحديث « إذا تاب العبد أنسى الله الحفظة ذنوبه وأنسى ذلك جوارحه ومعالمه حتى يأتى يوم القيامة وليس عليه شاهد بذنب » وأيضا الآية مسوقة

(٨٦)

(فَمَنْ فَرَضَ) على نفسه (فِيهِنَّ الْحَجَّ) بالاحرام به (فَلاَ رَفَثَ) جماع فيه (وَلاَ فُسُوقَ) معاص (وَلاَ جِدَالَ) خصام (فِى الْحَجِّ) وفى قراءة بفتح الأولين والمراد فى الثلاثة النهى (وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ) كصدقة (يَعْلَمْهُ اللهُ)فيجازيكم به . ونزل فى أهل اليمن وكانوا يحجون بلا زاد فيكونون كَلاًّ على الناس(وَتَزَوَّدُوا) ما يبلّغكم لسفركم (فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى) ما يتقى به سؤال الناس وغيره (وَاتَّقُونِ يَا أُولِى الْأَلْبَابِ) ذوى العقول (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ) فى (أَنْ تَبْتَغُوا) تطلبوا (فَضْلاً) رزقا (مِنْ رَبِّكُمْ) بالتجارة فى الحج ، نزل رداً لكراهتهم ذلك (فَإِذَا أَفَضْتُمْ) دفعتم (مِنْ عَرَفَاتٍ) بعد الوقوف بها (فَاذْكُرُوا اللهَ) بعد المبيت بمزدلفة بالتلبية والتهليل والدعاء (عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ) هو جبل فى آخر المزدلفة يقال له قزح وفى الحديث أنه صلى الله عليه وسلم وقف به يذكر الله ويدعو حتى أسفر جداً رواه مسلم (وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ) لمعالم دينه ومناسك حجه والكاف للتعليل (وَإِنْ) مخففة (كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ) قبل هداه (لَمِنَ الضَّالِّينَ. ثُمَّ أَفِيضُوا) يا قريش (مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ) أى من عرفة بأن تقفوا بها معهم وكانوا يقفون بالمزدلفة ترفعاً عن الوقوف معهم ،

فى أفعال الحج وكلها خير (قوله ونزل فى أهل اليمن) أى وكانوا حديثى عهد بالاسلام ويزعمون أنهم متوكلون (قوله كلا على الناس) أى عالة (قوله وغيره) أى كالغصب والسرقة (قوله نزل ردًا لكراهتهم ذلك) أى لابأس بالتجارة بالحج إذا كانت لاتشغل عن أفعاله واختلف هل التجارة تنقص ثواب الحج أولا ؟ قال بعضهم إن كانت التجارة أكبر همه ومبلغ علمه سقط الفرض عنه وليس ثوابه كمن لاقصد له إلا الحج و إن استوى الأمران وثم فلايذم ولايمدح وإن كانت التجارة تبعا للحج فقد حاز خير الدنيا والآخرة (قوله من عرفات) هومصروف و يصح منعه من الصرف للعلمية والتأنيث لأنه علم على البقعة (قوله بعد الوقوف بها) اعلم أن الركن عند مالك إدراك جزء من الليل . وأما النهار فهوواجب يجبر بالدم، وعند الشافعى أحدهما كاف فمن أدرك جزءا من الليل وجزءا من النهار فقد تمّ حجه باتفاق والأفضل الوقوف عند الصخرات العظام هناك لأنه موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله بعد المبيت بمزدلفة) أى و يجمعون بها المغرب والعشاء جمع تأخير و يقصرون العشاء إلا أهلها و يستمرون بها إلى صلاة الصبح فيصلونها ثم يتوجهون إلى المشعر الحرام فيقفون به إلى الاسفار (قوله بالتلبية) هذا جرى على مذهب الشافعى وأما عند مالك فيقطع التلبية من وصوله لعرفة وصلاته الظهر والعصر بها (قوله هو جبل فى آخر المزدلفة) أى من جهة منى عند منارة بلاجامع (قوله قزح) على وزن عمر (قوله والكاف للتعليل) أى فالمعنى اذكروه لأجل هدايته إياكم ولأجل أنكم كنتم قبل ذلك من الضالين (قوله و إن مخففة) أى مهملة لاعمل لها (قوله لمن الضالين) أى من التائهين عن الهدى فهى نعمة ثانية يجب الشكر عليها قال تعالى فى مقام تعداد النعم ـ ما كنت تدرى ماالكتاب ولا الايمان ـ الآية (قوله ثم أفيضوا) أى قفوا بعرفة وتقدم أن معنى الافاضة الدفع فأطلقه وأراد لازمه وهو الوقوف (قوله ترفعا) أى تكبرا .

(قوله وثم للترتيب فى الذكر) جواب عن سؤال مقدر حاصله أن الإتيان بثم يقتضى أن الأمر بالوقوف بعد رجوع الناس من عرفة ووصولهم منى مع أن الأمر ليس كذلك فأجاب المفسر بذلك . وأجيب أيضا بأن ثم بمعنى الواو وهى لاتقتضى ترتيبا . وأجيب أيضا بأن فى الكلام تقديما وتأخيرا فقوله ثم أفيضوا معطوف على قوله فاتقون وقوله فاذا أفضتم مرتب عليه ويكون الخطاب لعموم الناس (قوله واستغفروا الله) أى اطلبوا منه مغفرة ذنوبكم بتلك المواضع المطهرة فانها مهبط تجلى الرحمات وإجابة الدعوات (قوله مناسككم) جمع منسك وهى العبادات التى عين الشارع لها أماكن مخصوصة كالطواف لايكون إلا بالبيت والسعى لايكون إلا بين الصفا والمروة والوقوف لايكون إلا بعرفة والرمى لايكون إلا بمنى فالمعنى أديتم العبادات فى أماكنها المعهودة (قوله بالمفاخرة) كانت العرب فى الجاهلية بعد فراغ حجهم يذكرون آباءهم بالخصال الحميدة نظما ونثرا فكان الواحد منهم يقول مثلا إن أبى كان كبير الجفنة أى القصعة فتاكا بالشجعان وهكذا لأنه يوم اجتماع للقبائل من العام إلى العام (قوله من ذكرا المنصوب باذكروا) أى على المصدرية (قوله إذ لو تأخر عنه لكان صفة له) أى لأن القاعدة أن نعت النكرة إذا تقدم عليها يعرب حالا وتعرب النكرة بحسب العوامل فيكون التقدير فاذكروا الله ذكرا كائنا كذكركم آباءكم أو أشد (قوله فمن الناس) هذا بيان لحال من يقف بعرفة (قوله من خلاق) من صلة (قوله نصيب) أى حظ وهذا دعاء غير المؤمنين بغير الآخرة وقوله ومنهم هذا هو دعاء المؤمنين بها

وثم للترتيب فى الذكر (وَٱسْتَغْفِرُوا ٱللَّهَ) من ذنوبكم (إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ) للمؤمنين (رَحِيمٌ) بهم (فَإِذَا قَضَيْتُمْ) أديتم (مَنَاسِكَكُمْ) عبادات حجكم بأن رميتم جمرة العقبة وطفتم واستقررتم بمنى (فَٱذْكُرُوا ٱللَّهَ) بالتكبير والثناء (كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ) كما كنتم تذكرونهم عند فراغ حجكم بالمفاخرة (أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا) من ذكركم إياهم ونصب أشد على الحال من ذكرا المنصوب باذكروا إذ لو تأخر عنه لكان صفة له (فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا) نصيبنا (فِي ٱلدُّنْيَا) فيؤتاه فيها (وَمَا لَهُ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ) نصيب (وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً) نعمة (وَفِي ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً) هى الجنة (وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ) بعدم دخولها وهذا بيان لما كان عليه المشركون ولحال المؤمنين والقصد به الحث على طلب خير الدارين كما وعد بالثواب عليه بقوله (أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ) ثواب (مِنْ) أجل (مَا كَسَبُوا) عملوا من الحج والدعاء (وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ) يحاسب الخلق كلهم فى قدر نصف نهار من أيام الدنيا لحديث بذلك (وَٱذْكُرُوا ٱللَّهَ) بالتكبير عند رمى الجمرات (فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ) أى أيام التشريق الثلاثة (فَمَنْ تَعَجَّلَ) أى استعجل بالنفر من منى (فِي يَوْمَيْنِ) ،

(قوله نعمة) أى بركة وخيرا وذلك كالعافية والزوجة الحسنة والدار الواسعة وغير ذلك مما يعين على الدار الآخرة فكل أمر فى الدنيا يوافق الطبع ويعين على الدار الآخرة فهو من حسنات الدنيا (قوله هى الجنة) أى دخولها بسلام بحيث يموت على الاسلام ولا يلحقه حساب ولاعذاب ويرى وجه الله الكريم وهذا أحسن مافسر به حسنة الدنيا والآخرة وهو معنى قوله فى الحديث لعائشة «سلى الله العافية فى الدارين» (قوله وقنا عذاب النار) من عطف اللازم على الملزوم وأصل قنا اوقنا حذفت الواو لوقوعها بين عدوتيها فى المضارع ثم حذفت الهمزة للاستغناء عنها لأنه أتى بها توصلا للنطق بالساكن وقد زال وقد ورد «إن المؤمن الناجى يكون بينه وبين النار مسيرة خمسمائة عام عرضا وعمقا» (قوله بعدم دخولها) أى أصلا فلا ندخلها ولا نراها (قوله لما كان عليه المشركون) أى وهو الأول وقوله ولحال المؤمنين أى وهو الثانى (قوله الحث على طلب خير الدارين) أي لا التخيير بين كونه يدعوه بشىء يؤتاه فى الدنيا فقط أو بحسنة الدنيا والآخرة ولحسة الأول فى دعائهم لم يبين الله ماطلبوه فى الدنيا (قوله ثواب) أى على الطلب فيؤتون سؤالهم ويزدادون ثوابا على طلبهم ذلك لأن الدعاء مخ العبادة (قوله فى قدر نصف نهار) بل قد ورد أنه فى مقدار ساعة بل ورد أيضا أنه كلمح البصر وذلك كناية عن عظيم قدرته فمن كان هذا وصفه ينبغى أن يتقى ويخشى ومامن أحد من المحاسبين إلا ويرى أنه لايحاسب غيره وذلك بعد انفضاض الموقف الذى تدنو الشمس فيه من الرءوس ويسيل العرق فى الأرض سبعين ذراعا وتكون النار حول الخلائق وتحيط الملائكة بالمخلوقات فيكونون سبع صفوف يحولون بينهم وبين النار وهو يختلف باختلاف الناس فنسأل الله السلامة من أهواله (قوله عند رمى الجمرات) أى عند رمى كل حصاة من حصيات الجمار يقول الله أكبر وكذلك عقب الصلوات وعند الذبح بأن يقول: بسم الله والله أكبر اللهم إن هذا منك وإليك (قوله أى أيام التشريق الثلاثة) أى وهو ثانى يوم النحر وتالياه . وأما يوم النحر فمعلوم للذبح غير معدود للرمى واليومان بعده معلومان معدودان والرابع معدود

غيرمعلوم عند مالك وأبى حنيفة وعند الشافعى معلوم أيضا وماذكره المفسر من أن المراد بالأيام المعدودات أيام التشريق الثلاثة هو ماعليه مالك والشافعى وإطلاق التشريق على الثلاثة اعتبار بمذهب الشافعى . والحاصل أن يوم النحر يفعل فيه رمى جمرة العقبة ثم النحر ثم الحلق ثم طواف الافاضة وفى الثانى يرمى ثلاث جمرات يبدأ بالتى تلى مسجد منى ثم بالوسطى ثم يختم بالعقبة وكذا فى الثالث والرابع إن لم يتعجل (قوله أى فى ثانى أيام التشريق) دفع بذلك مايتوهم أن له التعجل فى كل من اليومين مع أنه لامعنى له (قوله بعد رمى جماره) أى وهو بعد الزوال ومحل التخيير إن لم تغرب عليه الشمس وهو بمنى وإلا فيلزمه المبيت بها لرمى الثالث . وأصل مشروعية الرمى عندأمر إبراهيم الخليل بذبح ولده فلما توجه به لمنى تعرّض له الشيطان عند المسجد فرماه بسبع حصيات ثم تعرض له عند الوسطى فرماه أيضا بسبع ثم تعرض له عند العقبة فرماه أيضا بسبع فهو مما زال سببه وبقى حكمه (قوله فلاإثم عليه) أى لاحرج لأنه رخصة (قوله أى هم مخيرون) جواب عن سؤال وهو أن التأخر آتى بالمطلوب فكيف ينفى عنه الاثم . وأجيب أيضا بأن ذكر الاثم فى جانب المتأخر مشاكلة . وأجيب أيضا بأنه ردّ على من زعم من الجاهلية أن على المعجل الاثم ، وعلى من زعم منهم أن على المتأخر الاثم (قوله ونفى الاثم لمن اتقى) أشار بذلك إلى أن لمن اتقى خبر لمحذوف قدره بقوله ونفى الاثم (قوله لأنه الحاج على الحقيقة) وفى نسخة فى الحقيقة أى لاستكماله الشروط والآداب وأماغير المتقى فعليه الاثم مطلقا تعجل أو تأخر كالحاج بالمال الحرام ومرتكب المعاصى (قوله فيجازيكم بأعمالكم) أى إن خيرا فخير وإن شرا فشر (قوله ومن الناس) معطوف على قوله فمن الناس من يقول ربنا الآية فقد قسم الله الناس على أربعة أقسام : الأول من يطلب الدنيا لاغير ، ومنهم من يطلب الدنيا والآخرة ، ومنهم من يظهر أنه من أهل الآخرة مع أنه فى الواقع حيث من أهل النار، ومنهم من هو مؤمن ظاهرا وباطنا وذكرهم على هذا الترتيب (قوله الأخنس بن شريق) هذا لقبه واسمه أبىّ وكان يتبعه ثلثمائة منافق من بنى زهرة وسبب تلقيبه بالأخنس أنه اختفى يوم بدر هو وجماعته فقال لهم إن انتصر محمد فالعزة لكم لعدم ظهور العداوة منكم وإن انتصر الكفار فقد كفيتموه (قوله حلو الكلام) أى والنظر (قوله فيدنى مجلسه) أى فيقربه منه وفى الحديث «إنا لنبش فى وجوه قوم وقلوبنا تلعنهم» (قوله فأكذبه الله فى ذلك) أى فى دعواه وفى حلفه (قوله وحمر) جمع حمار (قوله وعقرها) أى قطع أرجلها (قوله ليفسد فيها) علة لقوله سعى (قوله ويهلك الحرث والنسل) تفصيل للافساد (قوله بالاثم) الباء للملابسة والاتيان بقوله بالاثم يسمى عند علماء البديع تتميما لأنه ربما يتوهم أن المراد عزة ممدوحة (قوله ولبئس المهاد) أى أن الله جعل له جهنم غطاء ووطاء فأكرمه كما تكرم أم الصبى ولدها بالغطاء والوطاء اللينين وذلك من باب التهكم (قوله وهو صهيب) أى ابن سنان الرومى حين أسلم تعرّض له المشركون وآذوه فقال إنى رجل كبير مسكين ليس بنافعكم وفرارى ليس بضاركم فإن كان من جهة المال فهاهو فتركه وهاجر لرسول الله وقد مدحه رسول الله بقوله « نعم العبد صهيب لو لم يخف الله

أى فى ثانى أيام التشريق بعد رمى جماره (فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ) بالتعجيل (وَمَنْ تَأَخَّرَ) بها حتى بات ليلة الثالث ورمى جماره (فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ) بذلك أى هم مخيرون فى ذلك ، ونفى الاثم (لِمَنِ اتَّقَى) الله فى حجه لأنه الحاج فى الحقيقة (وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) فى الآخرة فيجازيكم بأعمالكم (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) ولا يعجبك فى الآخرة لمخالفته لاعتقاده (وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ) أنه موافق لقوله (وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ) شديد الخصومة لك ولأتباعك لعداوته لك وهو الأخنس بن شريق كان منافقا حلو الكلام للنبى صلى الله عليه وسلم يحلف أنه مؤمن به ومحب له فيدنى مجلسه فأكذبه الله فى ذلك ، ومرّ بزرع وحُمُر لبعض المسلمين فأحرقه وعقرها ليلا كما قال تعالى (وَإِذَا تَوَلَّى) انصرف عنك (سَعَى) مشى (فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ) من جملة الفساد (وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ) أى لايرضى به (وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ) فى فعلك (أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ) حملته الأنفة والحمية على العمل (بِالْإِثْمِ) الذى أمر باتقائه (فَحَسْبُهُ) كافيه (جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ) الفراش هى (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي) يبيع (نَفْسَهُ) أى يبذلها فى طاعة الله (ابْتِغَاءَ) طلب (مَرْضَاتِ اللَّهِ) رضاه وهو صهيب لما آذاه المشركون هاجر إلى المدينة وترك لهم ماله (وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ).

لم يعصه » أى لو انتفى عنه خوف الله لا يقع منه عصيان لأن طاعته محبة فى الله لا طمعا فى جنة ولا خوفا من نار (قوله حيث أرشدهم لما فيه رضاه) أى لقد جعل النعيم الدائم فى نظير العمل القليل فإن الخلود فى الجنة جزاء كلمة الإخلاص ومن جملة رأفته مضاعفة الحسنات وعدم مضاعفة السيئات وعدم مؤاخذة من كفر خوف القتل وقبول التائب وإن بالغ فى العصيان وطال زمانه (قوله ونزل فى عبد الله بن سلام) أى وكان من أحبار اليهود (قوله وأصحابه) أى الذين أسلموا معه من اليهود (قوله لما عظموا السبت) أى احترموه بتحريم الصيد فيه كما كان فى شرع موسى (قوله وكرهوا الإبل) أى حيث حرموا أكل لحومها وشرب ألبانها (قوله بعد الإسلام) أى بعد أن دخلوا فى الإسلام لم يتمسكوا بجميع شرائعه فوبخهم الله على ذلك (قوله بفتح السين وكسرها) قراءتان سبعيتان هنا وفى الأنفال والقتال لكن الأكثر هنا الكسر وما هناك العكس وقوله الإسلام إشارة لمعناه هنا على القراءتين وأما فى الأنفال والقتال فمعناه الصلح (قوله حال من السلم) أى وهو يذكر ويؤنث فلذا أنث بالتاء فى كافة وقال تعالى أيضا - وإن جنحوا للسلم فاجنح لها - (قوله أى تزيينه) أى تحسينه الأمور لكم والمعنى لا تتبعوا طرق الشيطان التى يزينها لكم بوسوسته (قوله بالتفريق) أى بأن تتبعوا محمدا فى أمور وموسى فى أمور أخر (قوله إنه لكم عدو) تعليل لما قبله والعدو هو الذى يسره ما يضرك ويضره ما يسرك (قوله بين العداوة) من أبان اللازم

والمعنى أن عداوته بينة وظاهرة لمن نور الله بصيرته وأراد به خيرا قال تعالى - إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا - (قوله عن الدخول فى جميعه) أى جميع أحكامه (قوله من بعد ما جاءتكم البينات) إن قلت إن الزلل لا يكون إلا بعد مجيئها. أجيب بأن المراد بمجيئها ظهورها ظهورا بينا (قوله لا يعجزه شىء) أى فلا تفلتون منه (قوله حكيم فى صنعه) أى يضع الأشياء فى محلها ومنه عذاب المفرق (قوله هل ينظرون) الاستفهام هنا إنكارى توبيخى (قوله الدخول فيه) أى فى جميع أحكامه (قوله إلا أن يأتيهم الله) استثناء مفرغ والمعنى لا ينتظرون شيئا إلا إتيان الله فى ظلل (قوله أى أمره) دفع بذلك ما يقال إن الإتيان بمعنى الانتقال من صفات الحوادث وهى مستحيلة على الله تعالى (قوله فى ظلل) ظرف للإتيان المذكور والمعنى أن الله يرسل عليهم العذاب فى صورة الرحمة وذلك لأن شأن السحاب الرقيق أن يأتى بالأمطار التى يكون فيها منافع لهم وذلك مكر عظيم من الله بهم (قوله والملائكة) عطف على لفظ الجلالة، والمعنى أن إتيان الملائكة مصاحب لعذاب الله المظروف فى السحاب الرقيق وقرئ شاذا بجر الملائكة واختلفوا فى عطفه فقيل معطوف على ظلل وقيل على الغمام (قوله وقضى الأمر) عبر بالماضى لتحقق وقوعه وإلا فالمقام للمضارع لمناسبة يأتيهم وينظرون، وهذا وعيد عظيم لكل من لم يستجمع أحكام الإسلام والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (قوله فيجازى كلا بعمله) أى فيحاسبكم على النقير والقطمير ويؤول أمركم إما إلى جنة أو إلى نار (قوله سل) أصله اسأل نقلت فتحة الهمزة الثانية إلى الساكن قبلها فسقطت تلك الهمزة تخفيفا ثم سقطت همزة الوصل للاستغناء عنها فصار وزنه فل (قوله تبكيتا) أى تقريعا وتوبيخا لا للاستفهام منهم وهذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم أى فلا غرابة فى عدم إيمانهم بك فإننا آتيناهم آيات بينات على يد موسى فلم يؤمنوا ولم ينقادوا

حيث أرشدهم لما فيه رضاه . ونزل فى عبد الله بن سلام وأصحابه لما عظموا السبت وكرهوا الإبل بعد الإسلام (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ) بفتح السين وكسرها : الإسلام (كَافَّةً) حال من السلم أى فى جميع شرائعه (وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ) طرق (الشَّيْطَانِ) أى تزيينه بالتفريق (إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ) بين العداوة (فَإِنْ زَلَلْتُمْ) ملتم عن الدخول فى جميعه (مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ) الحجج الظاهرة على أنه حق (فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ) لا يعجزه شىء عن انتقامه منكم (حَكِيمٌ) فى صنعه (هَلْ) ما (يَنْظُرُونَ) ينتظر التاركون الدخول فيه (إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ) أى أمره كقوله أو يأتى أمر ربك أى عذابه (فِي ظُلَلٍ) جمع ظلة (مِنَ الْغَمَامِ) السحاب (وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ) تم أمر هلاكهم (وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ) بالبناء للمفعول والفاعل فى الآخرة فيجازى كلا بعمله (سَلْ) يا محمد (بَنِي إِسْرَائِيلَ) تبكيتا (كَمْ آتَيْنَاهُمْ) كم استفهامية ،

(قوله معلقة سل عن المفعول الثانى) التعليق هو إبطال العمل لفظا لامحلا والإلغاء إبطاله لفظا ومحلا فتكون جملة كم آتيناهم فى المعنى فى محل المفعول الثانى لسل. إن قلت إن التعليق مختص بأفعال القلوب وسل ليست منها. أجيب بأنها سبب العلم والعلم منها (قوله وهو ثانى مفعولى آتينا) أى كم ومفعولها الأول الهاء من هم (قوله ومميزها) أى مميز كم (قوله كفلق البحر) أى اثنى عشر طريقا (قوله وإنزال المن والسلوى) أى وهم فى التيه حين أمروا بقتال الجبارين (قوله فبدلوها كفرا) هذا إشارة للبدل والمعنى أن الله يأتيهم بالآيات فيبدلونها بالكفر (قوله ومن يبدل نعمة الله) من شرطية ويبدل فعل الشرط وقوله فان الله شديد العقاب جوابه (قوله من بعد ماجاءته) أى اتضحت وتبينت له (قوله كفرا) هذا هو المفعول الثانى وقد صرح به فى قوله تعالى - ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا - (قوله له) قدره المفسر لصحة جعل الجملة جواب الشرط (قوله زين للذين كفروا) زين فعل ماض مبنى للمفعول ونائب الفاعل قوله الحياة الدنيا والذين كفروا متعلق بزين وفاعل الزينة حقيقة هو الله والشيطان مجازا وقرىء ببناء الفعل للفاعل والحياة مفعول والفاعل ضمير يعود على الله أو الشيطان وجرد الفعل من العلامة لكون نائب الفعل مجازى التأنيث سيما مع وجود الفاصل (قوله من أهل مكة) تخصيص بحسب السبب وإلا فكل كافر كذلك (قوله بالتمويه) أى التحسين الظاهرى الذى باطنه قبيح (قوله وهم يسخرون) قدره المفسر إشارة إلى أن الجملة حالية

معلقة سل عن المفعول الثانى وهى ثانى مفعولى آتينا ومميزها (مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ) ظاهرة كفلق البحر وإنزال المن والسلوى فبدلوها كفراً (وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللهِ) أى ما أنعم به عليه من الآيات لأنها سبب الهداية (مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ) كفراً (فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) له (زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا) من أهل مكة (الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا) بالتمويه فأحبوها (وَ) هم (يَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا) لفقرهم كبلال وعمار وصهيب أى يستهزئون بهم ويتعالون عليهم بالمال (وَالَّذِينَ اتَّقَوْا) الشرك وهم هؤلاء (فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) أى رزقا واسعا فى الآخرة أو الدنيا بأن يملك المسخور منهم أموال الساخرين ورقابهم (كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً) على الإيمان فاختلفوا بأن آمن بعض وكفر بعض (فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ) إليهم (مُبَشِّرِينَ) من آمن بالجنة (وَمُنْذِرِينَ) من كفر بالنار (وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ) بمعنى الكتب (بِالْحَقِّ) متعلق بأنزل (لِيَحْكُمَ) به (بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ) من الدين (وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ) أى الدين،

قال ابن مالك :

وذات واو بعدها انو مبتدا
له المضارع اجعلن مسندا

(قوله لفقرهم) أى لتركهم الدنيا وإقبالهم على الآخرة (قوله كعمار) أى ابن ياسر (قوله وبلال) أى الحبشى لما أسلم عذب فى الله عذابا شديدا، (قوله وصهيب) تقدمت قصته (قوله والذين اتقوا) جملة حالية (قوله فوقهم) أى حسا لكونهم فى الجنة وهى عالية وجهنم سافلة ومعنى لكونهم مكرمين والكفار مهانون

(قوله والله يرزق) جملة مستأنفة كالدليل لما قبلها (قوله أى رزقا واسعا فى الآخرة) أى لما فى الحديث «لموضع سوط أحدكم فى الجنة خير من الدنيا ومافيها» (قوله أو فى الدنيا) هذا تفسير آخر وقوله بأن يملك المسخور منهم الخ أى وقد حصل ذلك بعد الفتح وفى الغزوات فانه مامن غزوة إلا ويأخذ منهم الأموال والرقاب فى تلك الغزوة بل زادهم الله بأن ملكهم رقاب الملوك وأموالهم. والحاصل أن رزق المؤمن فى الدنيا بغير حساب بخلاف الكافر وفى الحديث «أبى الله أن يرزق عبده المؤمن إلا من حيث لايحتسب» وأما فى الآخرة فالأمر ظاهر (قوله كان الناس أمة واحدة) أى فى مبدإ الدنيا من آدم إلى إدريس، وقيل من آدم إلى نوح والمعنى أنهم كانوا على الحق ولا اختلاف بينهم فى تلك المدة وقيل كانوا على باطل فى تلك المدة وهو ضعيف ولذا لم يعرج عليه المفسر (قوله بأن آمن بعض الخ) أى بعد ظهور نوح أو إدريس (قوله من آمن) هذا معمول مبشرين وقوله من كفر معمول لمنذرين (قوله وأنزل معهم) أى مع مجموعهم لاجميعهم (قوله بمعنى الكتب) أشار بذلك إلى أن أل جنسية (قوله متعلق بأنزل) أى والباء للملابسة (قوله ليحكم) يحتمل عود الضمير على الله لأنه الحاكم حقيقة، ويحتمل عوده على الأنبياء باعتبار كل فرد من أفرادهم أى ليحكم كل نبى بين أمته (قوله من الدين) بيان لما

(قوله إلا الذين أوتوه) استثناء مفرغ فالمستثنى منه محذوف أى وما اختلف فيه أحد إلا الذين أوتوه والمعنى لم يختلف فى الدين أحد إلا الذين أوتوا الكتاب فالاختلاف من عهد إنزال الكتب وذلك يؤيد القول بأن الاختلاف من زمن إدريس (قوله وهى وما بعدها مقدم على الاستثناء) أى فيكون المعنى وما اختلف فى الدين أحد من بعد ظهور الحجج الواضحة حال كون الاختلاف بغيا إلا الذين أوتوه وإنما جعل مقدما على الاستثناء لئلا يكون الاستثناء المفرغ متعددا مع أنه لايكون كذلك لأنه يصير المعنى حينئذ إلا الذين أوتوه إلا من بعد ماجاءتهم البينات إلا بغيا بينهم (قوله بغيا) أى ظلما وتعديا (قوله للبيان) أى بيان الأمر الذى اختلفوا فيه (قوله بإرادته) أى سبقت إرادته بهداية الذين آمنوا للحق الذى اختلف فيه الكفار (قوله هدايته) أشار بذلك إلى أنه مفعول يشاء وأشار بذلك إلى أن الهداية والاضلال ليسا من فعل الانسان بل بخلق الله فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا (قوله طريق الحق) أى دين الاسلام سمى طريقا لأنه يوصل للمقصود كما أن الطريق كذلك (قوله ونزل فى جهد) هو بالفتح المشقة (قوله أصاب المسلمين) قيل كان ذلك فى غزوة الأحزاب حين حاصر الكفار المدينة واحتاطوا بها وقطعوا عنها الوارد ولم يكن بينهم و بين دخولها إلا الخندق وكانوا إذ ذاك عشرة آلاف مقاتل فاشتد الكرب والخوف على المسلمين سيما مع وجود ثلاثمائة منافق (٩١) بين أظهرهم فنزلت الآية (قوله

(إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ) أى الكتاب فآمن بعض وكفر بعض (مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ) الحجج الظاهرة على التوحيد ومن متعلقة باختلف وهى وما بعدها مقدم على الاستثناء فى المعنى (بَغْيًا) من الكافرين (بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ) للبيان (الْحَقِّ بِإِذْنِهِ) بإرادته (وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ) هدايته (إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) طريق الحق. ونزل فى جهد أصاب المسلمين (أَمْ) بل أ (حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا) لم (يَأْتِكُمْ مَثَلُ) شبه ما أتى (الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ) من المؤمنين من المحن فتصبروا كما صبروا (مَسَّتْهُمُ) جملة مستأنفة مبينة ما قبلها (الْبَأْسَاءُ) شدة الفقر (وَالضَّرَّاءُ) المرض (وَزُلْزِلُوا) أزعجوا بأنواع البلاء (حَتَّى يَقُولَ) بالنصب والرفع، أى قال (الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ) استبطاء للنصر لتناهى الشدة عليهم (مَتَى) يأتى (نَصْرُ اللَّهِ) الذى وعدناه فأجيبوا من قبل الله (أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ) إتيانه (يَسْأَلُونَكَ) يا محمد (مَاذَا يُنْفِقُونَ) أى الذى ينفقونه، والسائل عمرو بن الجموح وكان شيخا ذا مال،

أم حسبتم) قدر المفسر بل إشارة إلى أن أم منقطعة والهمزة للاستفهام الانكارى التوبيخى والمقصود منه تقويتهم على الصبر (قوله لم) قدرها إشارة إلى أن لما نافية بمعناها (قوله ما أتى) قدر ذلك المضاف إشارة إلى أن الشبه فى الأمر الذى أتاهم لا فى الذوات (قوله من قبلكم) تأكيد لخلوا (قوله من المحن) بيان لما أتى (قوله بالنصب والرفع) أى فهما قراءتان سبعيتان والنصب بأن مضمرة وحتى بمعنى إلى وهى تنصب المضارع إذا كان مستقبلا ولاشك أن القول مستقبل بالنسبة للزلزال. إن قلت إن القول والزلزال قد مضى. فالجواب أنه على حكاية الحال الماضية، وأما الرفع فهو بناء على أن الفعل بعدها حال مقارن لما قبلها والحال لاينصب بعد حتى فتحصل أن لما بعد حتى ثلاثة أحوال إما أن يكون مستقبلا أو ماضيا أو حالا فالأول ينصب والأخيران يرفعان (قوله متى نصر الله) قدر المفسر يأتى إشارة إلى أن نصر الله فاعل بفعل محذوف ولكن الأحسن جعله مبتدأ مؤخرا ومتى خبر مقدم وليس قول الرسول قلقا وعدم صبر بل ذلك دعاء وطلب لما وعده الله به (قوله ألا إن نصر الله قريب) أخذ من ذلك أنه إذا اشتد الكرب كان الدعاء بالفرج مستجابا قال تعالى ـ أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ـ وقد حقق الله ذلك سريعا كما قال فى سورة الأحزاب ـ فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها ـ (قوله يسئلونك) أى أصحابك المسلمون (قوله ماذا ينفقون) ما اسم استفهام مبتدأ وذا اسم موصول بمعنى الذى خبره وجملة ينفقون صلته والعائد محذوف أى ينفقونه. والمعنى أن أصحابك يسئلونك عن الشئ الذى ينفقونه هل ينفقون مما تيسر ولو حراما أو يتحرون الحلال وفى الآية حذف سؤال آخر دل عليه الجواب والتقدير وعلى من ينفقون والسؤال عن صدقة التطوع بدليل الجواب (قوله والسائل عمرو) أى وإنما جمع السائل فى الآية لأن التكليف لكل مسلم فكان هذا السائل ترجمانا عن كل مسلم وإنما اعتنى بذلك السؤال لأن الانسان يوم القيامة ورد أنه يسئل عن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه؟

(قوله فسأل النبي الخ) أي وحينئذ ففي الآية اكتفاء في السؤال حيث حذف الشق الثاني واكتفى بجوابه (قوله من خير) أي حلال (قوله الذي هو أحد شقي السؤال) أي المذكور في الآية وقوله وأجاب أي عن المصرف الخ أي الذي سؤاله مطوي (قوله والأقربين) أي من أولاد وإخوة وأعمام وعمات وهو من عطف العام على الخاص وصرح بذكر الوالدين وإن دخلا في الأقربين اعتناء بشأنهما (قوله واليتامى) جمع يتيم وهو من فقد أباه وهو دون البلوغ وقدم اليتامى على المساكين لعجزهم عن التكسب (قوله والمساكين) المراد بهم مايشمل الفقراء (قوله وابن السبيل) أي الغريب المسافر (قوله وما تفعلوا من خير) ما شرطية وتفعلوا فعل الشرط وما بعد الفاء جوابه وأتى بتلك الجملة طمأنينة للمؤمن في الاكتفاء بوعد الله في المجازاة لأنه وعدها ووعده لا يتخلف ومع ذلك لا يغيب عن علمه مثقال ذرة فيلزم من علمه بالخير من العبد مجازاته عليه والاسرار بنفقة التطوع أفضل لأن صاحبها من جملة من يظله الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله (قوله أو غيره) أي كالكلام اللين الطيب (قوله فان الله به عليم) أي وقد التزم جزاءه وحقيق بأن ينجزه (قوله كتب عليكم القتال) أي وكان فرضه بعد الهجرة بعد أن نهى رسول الله عنه في نيف وسبعين آية، وهو فرض عين إن لجأ العدو وكفاية إن لم يفجأ بأن كان في بلده ونحن الطالبون له (قوله للكفار) أي الحربيين وأما أهل الذمة فيحرم قتالهم (قوله طبعا) أي فهو مكروه من جهة الطبع ولا يلزم من كون الطبع يكرهه أنه كاره حكم الله به بل هو من باب مخالفة النفس (قوله وعسى أن تكرهوا شيئا) الترجي في كلام الله ليس على بابه بل هو للتحقيق لأنه خبر من أحاط بكل شيء علما وعسى هنا تامة تكتفي بمرفوعها قال ابن مالك:

بعد عسى اخلولق أوشك قد يرد
غنى بأن يفعل عن ثان فقد

(قوله وهو خير لكم) جملة حالية من قوله شيئا أو صفة له. واستشكل كل منهما بأن الحال لا يأتي من النكرة بدون مسوغ، وبأن الصفة لا تقترن بالواو. وأجيب عن الأول بأن إتيان الحال من النكرة بدون مسوغ قليل وعن الثاني بأن الصفة أجريت مجرى الحال في جواز اقترانها بالواو وقوله الموجبة لسعادتها أي فالسعادة في طاعة الله والشقاوة في معاصيه (قوله إما الظفر والغنيمة) أي لمن عاش وقوله أو الشهادة والأجر أي لمن مات (قوله لأن فيه الذل) أي بغلبة العدو علينا وقوله والفقر أي لكونه يسلب مالنا وقوله وحرمان الأجر أي المترتب على الجهاد في سبيل الله وهو مضاعفة الحسنات إلى سبعمائة ضعف وغير ذلك مما وعد الله به المجاهدين (قوله وأرسل النبي) هذا بيان لسبب نزول هذه الآيات من هنا إلى آخر الربع (قوله أول سراياه) أي وكانت تلك السرية إذ ذاك ثمانية رجال وقيل اثني عشر أرسلهم النبي لمحل يقال له نخلة جهة الطائف يتجسسون على الكفار ويأتون بأخبارهم فبينما هم في ذلك الموضع إذ مرت بهم عير لقريش من جهة الطائف ومعها أربعة رجال فقتل أهل السرية أحد الأربعة وأسروا اثنين وهرب واحد وغنموا العير وما عليها وكان ذلك في آخر يوم من جمادى الآخرة قبل بدر بشهرين. واعلم أن جملة سراياه وغزواته سبعون. والسرية من خمسة رجال إلى أربعمائة وما فوقها يقال لها جيش ثم صريح المفسر يقتضي أنه لم يكن قبلها سرية والذي ذكره في المواهب أن أول سرية كانت في رمضان سابع شهر من هجرته عليه الصلاة والسلام والثانية في شوال والثالثة في صفر وهذه هي الرابعة وغزا قبل تلك السرية ثلاث غزوات إلا أن يجاب عن المفسر بأن المراد بأول سراياه التي حصل منها القتل والغنيمة

فسأل النبي صلى الله عليه وسلم عما ينفق وعلى من ينفق (قُلْ) لهم (مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ) بيان لما شامل للقليل والكثير، وفيه بيان المنفق الذي هو أحد شقي السؤال وأجاب عن المصرف الذي هو الشق الآخر بقوله (فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ) أي هم أولى به (وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ) إنفاق أو غيره (فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ) فمجاز عليه (كُتِبَ) فرض (عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ) للكفار (وَهُوَ كُرْهٌ) مكروه (لَكُمْ) طبعاً لمشقته (وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ) لميل النفس إلى الشهوات الموجبة لهلاكها ونفورها عن التكليفات الموجبة لسعادتها فلعل لكم في القتال وإن كرهتموه خيراً لأن فيه إما الظفر والغنيمة أو الشهادة والأجر، وفي تركه وإن أحببتموه شراً لأن فيه الذل والفقر وحرمان الأجر (وَاللَّهُ يَعْلَمُ) ما هو خير لكم (وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) ذلك فبادروا إلى ما يأمركم به. وأرسل النبي صلى الله عليه وسلم أول سراياه

الكفار وأما قبلها فلم يقع فيه قتل ولا غنيمة (قوله وعليها عبد الله بن جحش) أي أميرا وهو ابن عمة رسول الله (قوله فقاتلوا المشركين) أي الذين كانوا مع العير (قوله والتبس عليهم برجب) أي حيث رأوا الهلال كبيرا فالتبس عليهم هل هو ابن ليلة أو ليلتين (قوله فعيرهم الكفار باستحلاله) أي حيث قال الكفار للمسلمين أنتم قد استحللتم القتال في الأشهر الحرم (قوله يسئلونك) أي سؤال اعتراض (قوله بدل اشتمال) أي من الشهر إذ هو مشتمل على القتال لوقوعه فيه (قوله كبير) أي إن كان عمدا (قوله مبتدأ وخبر) أي والمسوغ وصفه بالجار والمجرور (قوله وصد عن المسجد الحرام) قدر ذلك المفسر إشارة إلى أنه معطوف على سبيل الله مسلط عليه صد لكن يلزم عليه العطف على المبتدإ قبل استكمال مسوغه. وأجيب بأنه لا يلزم محذور إلا إذا كان المعطوف أجنبيا من المعطوف عليه وهنا ليس بأجنبي لأن الكفر والصد عن سبيل الله والمسجد الحرام من واد واحد (قوله وخبر المبتدا) أي وما عطف عليه وإنما أفرد الخبر لأنه اسم تفضيل مجرد والقاعدة أن اسم التفضيل إذا كان مجردا أو مضافا لنكرة يلزم أن يكون بلفظ واحد للمثنى والجمع والمذكر والمؤنث، قال ابن مالك :

وإن لمنكور يضف أو جردا * ألزم تذكيرا وأن يوحدا

(قوله ولا يزالون يقاتلونكم) المقصود من ذلك تحريض المؤمنين على القتال (قوله كي يردوكم) أشار بذلك إلى أن حتى للتعليل والفعل منصوب بأن مضمرة بعدها وعن دينكم متعلق بيردوكم (قوله إن استطاعوا) جملة شرطية حذف جوابها لدلالة ماقبلها عليه ومفعولها محذوف أيضا أي إن استطاعوا ذلك فلا يزالون يقاتلونكم (قوله ومن يرتدد منكم) هكذا القراءة هنا بالفك لاغير وأما في المائدة ففيها قراءتان بالفك والادغام (قوله أعمالهم الصالحة) أي وأما السيئة فباقية يعذبون عليها (قوله وعليه الشافعي) هذا ضعيف والمعتمد عنده أنه يرجع له عمله مجردا عن الثواب وأما عند مالك وأبي حنيفة فهو كالكافر الأصلي إذا أسلم فلا يرجع له شيء من أعماله ولا يؤمر بالقضاء ترغيبا له في الاسلام إلا ما أسلم في وقته فيفعله وثمرة الخلاف تظهر في صحابي ارتد ثم عاد للاسلام ولم تثبت رؤيته للنبي بعد ذلك هل ترجع له الصحبة مجردة عن الثواب وعليه الشافعي، أولا وعليه مالك وأبو حنيفة ، وأما زوجته فتبين منه وترجع له بالاسلام من غير عقد عند الشافعي وعند مالك وأبي حنيفة لا ترجع إلا بالعقد. وحكم المرتد عند مالك أنه يستتاب ثلاثة أيام فان تاب وإلا قتل بعد غروب الثالث (قوله ولما ظن السرية الخ) بل ورد أنهم سألوا النبي عن ذلك (قوله إن الذين آمنوا) أي وهم عبد الله بن جحش ومن معه (قوله فارقوا أوطانهم) أشار بذلك إلى معنى الهجرة هنا (قوله والله غفور رحيم) أي ومن رحمته بهم غفران خطيئتهم وقسم الغنيمة عليهم فانه نزل بعد هذه الآية - واعلموا أنما غنمتم من شيء - الآية فأخذ رسول الله الخمس لبيت المال وفرق عليهم الأربعة أخماس

وعليها عبد الله بن جحش فقاتلوا المشركين وقتلوا ابن الحضرمي آخر يوم من جمادى الآخرة والتبس عليهم برجب فعيرهم الكفار باستحلاله فنزل (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ) المحرم (قِتَالٍ فِيهِ) بدل اشتمال (قُلْ) لهم (قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ) عظيم وزرا مبتدأ وخبر (وَصَدٌّ) مبتدأ : منع للناس (عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) دينه (وَكُفْرٌ بِهِ) بالله (وَ) صد عن (الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) أي مكة (وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ) وهم النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون وخبر المبتدأ (أَكْبَرُ) أعظم وزرا (عِنْدَ اللَّهِ) من القتال فيه (وَالْفِتْنَةُ) الشرك منكم (أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ) لكم فيه (وَلَا يَزَالُونَ) أي الكفار (يُقَاتِلُونَكُمْ) أيها المؤمنون (حَتَّى) كي (يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ) إلى الكفر (إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ) بطلت (أَعْمَالُهُمْ) الصالحة (فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) فلا اعتداد بها ولا ثواب عليها، والتقييد بالموت عليه يفيد أنه لو رجع إلى الإسلام لم يبطل عمله فيثاب عليه ولا يعيده كالحج مثلا وعليه الشافعي (وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) . ولما ظن السرية أنهم إن سلموا من الاثم فلا يحصل لهم أجر نزل (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا) فارقوا أوطانهم (وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) لإعلاء دينه (أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ) ثوابه (وَاللَّهُ غَفُورٌ) للمؤمنين (رَحِيمٌ) بهم،

(قوله يسئلونك عن الخمر والميسر) السائل عمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل وجماعة من الصحابة بقولهم إن الخمر والميسر يضيعان العقل والمال فأفتنا فيهما . وحاصل ماوقع فى الخمر فى زمان رسول الله أنه نزل فيه أربع آيات الأولى نزلت بمكة تدل على حله وهى قوله تعالى ــ ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا ــ ثم سأل عمر ومعاذ وجماعة النبى بالمدينة عن حكمه فنزل يسئلونك عن الخمر والميسر الآية فشربها قوم لقوله ومنافع للناس وامتنع آخرون خوفا من قوله فيهما إثم كبير ثم إن عبدالرحمن بن عوف صنع طعاما لبعض أصحابه فأكلوا وشربوا الخمر فحضرت صلاة المغرب فأمهم واحد منهم فقرأ قل يا أيها الكافرون أعبد ماتعبدون بإسقاط لا إلى آخر السورة فنزل ــ يأيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى ــ الآية فحرمت فى أوقات الصلاة دون غيرها ثم إن عتبان بن مالك صنع طعاما لجماعة من الصحابة وفيهم سعد بن أبى وقاص فأكلوا وشربوا الخمر فافتخروا وتناشدوا الشعر فأنشد سعد قصيدة يمدح بها قومه ويهجو الأنصار فشجّ رجل منهم رأسه فرفع ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا فأنزل الله آية المائدة إلى قوله فهل أنتم منتهون فقال عمر انتهينا يارب فكان يوم نزولها عيدا عظيما. والخمر كل مائع غيب العقل ولو من غير ماء العنب وهو نجس وفيه الحد قليلا أو كثيرا بل بالغ بعض المالكية فى الحدّ حيث أوجبه على من وضع إبرة فيه ومصها وبلع ريقه . والحاصل أن المتخذ من ماء العنب نجس يحرم قليله وكثيره أسكر أم لا ويحدّ شاربه بإجماع ، وأما المتخذ من غيره من سائر المائعات التى دخلتها الشدة المطربة فكذلك عند الأئمة الثلاثة وبعض الحنفية . وقال بعضهم

لايحرم منه إلا القدر المسكر. وأما الجامد الذى يغيب العقل كالحشيشة والأفيون

(يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ) القمار ما حكمهما (قُلْ) لهم (فِيهِمَا) أى فى تعاطيهما (إِثْمٌ كَبِيرٌ) عظيم وفى قراءة بالمثلثة لما يحصل بسببهما من المخاصمة والمشاتمة وقول الفحش (وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ) باللذة والفرح فى الخمر وإصابة المال بلا كدّ فى الميسر (وَإِثْمُهُمَا) أى ما ينشأ عنهما من المفاسد (أَكْبَرُ) أعظم (مِنْ نَفْعِهِمَا) ولما نزلت شربها قوم وامتنع آخرون إلى أن حرمتها آية المائدة (وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ) أى ماقدره ؟ (قُلِ) أنفقوا (الْعَفْوَ) أى الفاضل عن الحاجة ولا تنفقوا ما تحتاجون إليه وتضيعوا أنفسكم ، وفى قراءة بالرفع بتقدير هو (كَذَٰلِكَ) أى كما بين لكم ما ذكر (يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ فِي) أمر (الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) فتأخذون بالأصلح لكم فيهما (وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ)

والبنج والداتورة فطاهر يحرم القدر المغيب للعقل منه وفيه الأدب (قوله القمار) هو آلات الملاهى التى يلعب بها فى نظير مال فيشمل الطاب والشطرنج والسيجة وأما إن كان بغير مال ففيه خلاف قيل كبيرة وقيل صغيرة وقيل مكروه (قوله أى فى تعاطيهما) لاحاجة له بعد تقدير ماحكمهما (قوله بالمثلثة) أى كثير (قوله باللذة والفرح) وما أى والقوة على الجماع والشجاعة والكرم (قوله إلى أن حرمتها آية المائدة) ظاهره أن آية المائدة نزلت بعد هذه الآية وليس كذلك بل بينهما آية النساء (قوله ويسئلونك) السائل عمرو بن الجموح المتقدم فسأل أولا عن جنس المال الذى ينفق منه وعلى من ينفقه وسأل ثانيا عن القدر المنفق فلم يكن بين السؤالين تكرار وتقدم الجواب عن الجمع بأنه لما كان ذلك السؤال ينفع جميع الناس فكأن السائل جميع الناس (قوله وتضيعوا أنفسكم) أى فالاسراف مذموم وكذا التقتير قال تعالى ــ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولاتبسطها كل البسط ــ الآية، وقال تعالى ــ والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ــ (قوله قراءة بالرفع) أى وهى لأبى عمرو من السبعة وسبب القراءتين الاختلاف فى إعراب ماذا ينفقون فمن أعرب ماذا جميعها اسم استفهام معمولا لينفقون فالجملة فعلية فيكون جوابها كذلك فقوله العفو بالنصب معمول لمحذوف والجملة فى محل نصب مقول القول لأن القول لاينصب إلا الجمل أو ما قام مقامها ومن أعرب ما وحدها اسم استفهام مبتدأ وذا اسم موصول خبره وجملة ينفقون صلته فالجملة اسمية فيكون جوابها كذلك فالعفو بالرفع خبر لمحذوف : أى هو العفو والجملة على كل حال مقول القول وهذا هو المناسب وإلا فيصح جعل السؤال جملة اسمية والجواب جملة فعلية وبالعكس (قوله فى أمر الدنيا) أى فتصلحوها ولا تسرفوا ولا تقتروا (قوله والآخرة) أى فتصلحوها أيضا بالأعمال الصالحة فلا تشددوا حتى تملوا ولا تتركوا حتى تغفلوا بل التوسط مطلوب فى أمر الدنيا والآخرة (قوله ويسئلونك عن اليتامى) سبب نزولها أنه لما نزل قوله تعالى ــ إن الذين يأكلون

وما يلقونه من الحرج فى شأنهم فإن واكلوهم يأثموا و إن عزلوا ما لهم من أموالهم وصنعوا لهم طعامًا وحدهم لحرج (قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ) فى أموالهم بتنميتها ومداخلتكم (خَيْرٌ) من ترك ذلك (وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ) أى تخلطوا نفقتكم بنفقتهم (فَإِخْوَانُكُمْ) أى فهم إخوانكم فى الدين ومن شأن الأخ أن يخالط أخاه أى فلكم ذلك (وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ) لأموالهم بمخالطته (مِنَ الْمُصْلِحِ) بها فيجازى كلا منهما (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ) لضيق عليكم بتحريم المخالطة (إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ) غالب على أمره (حَكِيمٌ) فى صنعه (وَلَا تَنْكِحُوا) تتزوجوا أيها المسلمون (الْمُشْرِكَاتِ) أى الكافرات (حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ) حرة لأن سبب نزولها العيب على من تزوج أمة وترغيبه فى نكاح حرة مشركة ،

أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا ـ اشتد الكرب على أولياء الأيتام فشكوا لرسول الله ذلك فقالوا يارسول الله إنا إن خالطناهم فبالضرورة لا بد من أكل شىء من أموالهم ، و إن عزلناهم يلزم عليه المشقة على اليتامى وعلى أوليائهم فنزلت الآية (قوله وما يلقونه من الحرج) هذا بيان لوجه السؤال كأنه قال، و يسألونك عما يلقونه من الحرج فى شأن اليتامى ، والمراد بالحرج الوعيد الوارد فى سورة النساء (قوله فان واكلوهم) أى خالطوهم (قوله يأثموا) أى يقعوا فى الاثم المترتب عليه الوعيد وهذا بيان لوجه الحرج (قوله و إن عزلوا مالهم) أى مال اليتامى وقوله من أموالهم : أى الأولياء ويصح العكس (قوله لحرج) أى هو حرج فالجملة جواب الشرط (قوله قل إصلاح لهم خير) التنوين عوض عن المضاف إليه أى إصلاحكم لهم خير والوعيد محمول على الأكل بنية الافساد (قوله بتنميتها) الباء للسببية : أى بسبب زيادتها بالاتجار فيها وفى الحديث «اتجروا فى أموال اليتامى لاتأكلها الزكاة» (قوله ومداخلتكم) أى مخالطتكم لهم بأن تدخلوا أموالهم فى أموالكم (قوله خير من ترك ذلك) أى العزل. واختلف فى تنمية مال اليتيم بالاتجار ونحوه ، فقال مالك حفظ ماله بأى وجه واجب والأولى أن يكون بالتنمية فهى ليست واجبة وحمل حديث « اتجروا » على الندب واسم التفضيل على بابه فترك التنمية خير أيضا لكن الأولى التنمية ، وقال الشافعى تنميته والاتجار فيه على حسب الطاقة واجب وحمل الحديث على الوجوب واسم التفضيل فى الآية على غير بابه فترك التنمية لاخير فيه بل هى المتعينة (قوله أى فهم إخوانكم) أشار بذلك إلى أنه خبر لمحذوف والجملة جواب الشرط وهذا من التعبير باللازم ولذا أشار المفسر بقوله : أى فلكم ذلك (قوله والله يعلم المفسد من المصلح) أى فيدخل المفسد النار والمصلح الجنة ودفع بذلك مايقال ربما الأولياء يدعون الاصلاح بالخلطة والواقع غير ذلك (قوله بتحريم المخالطة) أى بأن يكلف الأولياء بعزل مال اليتيم وطعامه وشرابه و إن تلف شىء من ذلك فعلى الولى (قوله إن الله عزيز) هذا كالتعليل لماقبله ، فالمعنى لوشاء الله عنتكم لأعنتكم لأنه غالب على أمره (قوله حكيم فى صنعه) أى يضع الشىء فى محله ، لحيث أوجب الله حفظ مال اليتيم سوغ المخالطة رفقا بالأولياء . والحاصل أنه يخرج من تركة أبى الأيتام مؤن تجهيزه وأما ماأوصى به من السبح والجمع فمن ثلثه إن وسعه وأما إن لم يوص وقدجرت العادة بذلك والمال واسع وفعل ذلك كبير رشيد فعند المالكية يلزم الأيتام ذلك ولايحرم الأكل منه حيث كان لاإسراف فيه ، وعند الشافعية لايلزم الأيتام ذلك ويحرم الأكل منه ، وأما إن كان المال ضيقا فلايلزم الأيتام ذلك اتفاقا ويحرم الأكل منه إلا أن يهدى للأيتام مايفى بما أكله (قوله تتزوجوا) يشير إلى أن المراد بالنكاح العقد لاالوطء ولم يرد فى القرآن بمعنى الوطء ، وسبب نزول الآية أن رجلا من الصحابة كان عاشقا امرأة فى الجاهلية فلما أسلم اجتمع بها فى مكة بعد هجرة النبى إلى المدينة فراودته عن نفسه ، فقال لها قد حال بينى و بين ماتطلبينه الاسلام فقالت له فهل لك فى التزوج بى ؟ فقال حتى أستأذن رسول الله فلما أخبره نزلت الآية (قوله أيها المسلمون) تفسير للواو فى تنكحوا (قوله الكافرات) أى غير الكتابيات بدليل مايأتى فى المفسر (قوله حتى يؤمن) فعل مضارع مبنى على السكون لاتصاله بنون النسوة وهى فاعله سكنت وأدغمت فى نون الفعل (قوله خير من مشركة) اسم التفضيل ليس على بابه أو باعتبار أمر الدنيا (قوله على من تزوج أمة) أى وهو عبد الله بن رواحة أوحذيفة بن اليمان كان عند كل منهما أمة فأعتقها وتزوج بها فعيرا بذلك وفى الحقيقة لم يتزوجا إلا بحرة وأما التزوج بالأمة من غير عتق فيجوز بشرط أن لايجد للحرائر طولا وأن يخشى العنت وأن تكون تلك الأمة مؤمنة

وهذا إن كان يولد له منها و إلا فيجوز بغير شرط ، وسيأتى التعرض له فى قوله تعالى ـ ومن لم يستطع منكم طولا ـ الآيات (قوله بغير الكتابيات) أى الحرائر ، وأما الأمة الكتابيه فلا تحل إلا بالملك (قوله ولا تنكحوا المشركين) القراءة بضم التاء بإجماع وهو ينصب مفعولين المشركين مفعول أول وقدر المفسر المفعول الثانى ، والمعنى لا تزوجوا الكفار ولو أهل كتاب المؤمنات (قوله المؤمنات) قدره إشارة إلى مفعول تنكحوا الثانى (قوله حتى يؤمنوا) أى إلى أن يدخلوا فى الإيمان (قوله ولو أعجبكم) الواو للحال ولو شرطية بمعنى إن جوابها محذوف تقديره فلا تزوجوه (قوله إلى الجنة والمغفرة) قدم الجنة هنا لمناسبة النار و إلا فالمغفرة سبب فى دخول الجنة والسبب مقدم على المسبب وقد قدمت فى قوله تعالى ـ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة ـ وقوله تعالى ـ سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة (قوله بتزويج أوليائه) أى وهم المسلمون (قوله و يبين آياته للناس) أى يظهرها و يوضحها لهم وللناس متعلق بيبين (قوله و يسألونك عن المحيض) السائل أبو الدحداح وجماعة من الصحابة . وسبب ذلك أن اليهود كانوا يعتزلون النساء فى الحيض بالمرة حتى إنه لا يبيت فى مكان فيه حائض ولا تصنع له حاجة أبدا ثم اقتدت بهم الجاهلية ، وأما النصارى فبخلاف ذلك فانهم كانوا لا يفرقون بين كونها حائضا أو لا فبين الله أن شرعنا بين ذلك قواما (قوله أى الحيض أومكانه) اعلم أن المحيض مصدر ميمى يصلح للزمان والمكان فقوله أومكانه : أى أوزمانه والحيض لغة السيلان يقال حاض الوادى إذا سال ، واصطلاحا دم أوصفرة أو كدرة خرج

من قبل من تحمل عادة حالة الصحة والاعتياد خرج بقولنا دم الخ القصة البيضاء فانها علامة الطهر من الحيض لا نفس الحيض وبقولنا من قبل من تحمل عادة : أى وهو ما بين الاثنى عشر والخمسين سنة ، وأما ما فوق الخمسين إلى الستين ومن التسعة إلى الاثنى عشر يسئل النساء العارفات فان قلن إنه حيض كان حيضا و إلا فلا خرج به من لا تحمل عادة لصغر أو يأس كبنت ست أوسبعين فليس بحيض وقولنا حالة الصحة والاعتياد خرج بذلك ما نزل على وجه المرض كالسلس فليس بحيض (من

(وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ) لجمالها ومالها وهذا مخصوص بغير الكتابيات بآية والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب (وَلَا تُنْكِحُوا) تزوجوا (الْمُشْرِكِينَ) أى الكفار المؤمنات (حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ) لماله وجماله (أُولَئِكَ) أى أهل الشرك (يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ) بدعائهم إلى العمل الموجب لها فلا تليق منا كحتهم (وَاللَّهُ يَدْعُوا) على لسان رسله (إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ) أى العمل الموجب لهما (بِإِذْنِهِ) بإرادته فتجب إجابته بتزويج أوليائه (وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) يتعظون (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ) أى الحيض أو مكانه ماذا يفعل بالنساء فيه (قُلْ هُوَ أَذًى) قذر أو محله (فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ) اتركوا وطأهن (فِي الْمَحِيضِ) أى وقته أو مكانه (وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ) بالجماع (حَتَّى يَطْهُرْنَ) بسكون الطاء وتشديدها والهاء . وفيه إدغام التاء فى الأصل فى الطاء أى يغتسلن بعد انقطاعه (فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ) بالجماع ،

إلا أن تميزه بعد طهر تام وأكثره للمبتدأة نصف شهر فان زاد كان استحاضة وللمعتادة عادتها فان زاد استظهرت عليها بثلاثة أيام مالم تجاوز نصف شهر وتصير هى مع الاستظهار عادة لها وأحكام الحيض مفصلة فى الفروع (قوله ماذا يفعل بالنساء) هذا هو صورة السؤال (قوله قل هو) أى المحيض بمعنى الدم السائل لا بالمعنى المصدرى الذى هو السيلان ففيه استخدام (قوله قذر أو محله) لف ونشر مرتب فان قوله قذر راجع لتفسيره بالمصدر وقوله أومحله راجع لتفسيره بالمكان (قوله فاعتزلوا النساء) مفرع على قوله قل هو أذى ، ولما نزلت هذه الآية فهم بعض الصحابة أن الاعتزال مطلق حتى فى المسكن فقال ناس من الأعراب يارسول الله البرد شديد والثياب قليلة فان آثرناهن هلك سائر أهل البيت و إن استأثرنا بها هلكت الحيض فقال « إنما أمرتم أن تعتزلوا مجامعتهن ولم تؤمروا باخراجهن من البيوت كفعل الأعاجم » ثم اعلم أنه يحرم وطء الحائض فى الفرج بإجماع ، وأما التلذذ بما بين السرة والركبة فان كان من فوق الإزار ففيه خلاف ، وأما ماعدا ذلك من سائر الجسد فهو جائز بإجماع لما فى الحديث « الحائض تشد إزارها شأنك بأعلاها » (قوله أى وقته أومكانه) تفسير له بالزمان أو المكان (قوله بالجماع) أى فالمراد قرب خاص (قوله وفيه إدغام التاء فى الأصل) أى فأصله يتطهرن قلبت التاء طاء ثم أدغمت فى الطاء (قوله أى يغتسلن بعد انقطاعه) أى بالماء إن كان موجودا وقدرن على استعماله ، و إلا فالتيمم يقوم مقامه ولا يجوز قربانها بعد الانقطاع وقبل الطهر عند الأئمة الثلاثة وجوزه

أبوحنيفة حيث انقطع بعد مضى أكثره وهو عشرة أيام عنده ، وأما إن انقطع قبل مضى أكثره فلايجوز قربانها إلا بالغسل أو بمضى وقت الصلاة (قوله من حيث) أى فى المكان الذى أمركم الله بتجنبه فى زمن الحيض (قوله ولاتعدوه) بسكون العين وضم الدال و يصح فتح العين وتشديد الدال (قوله إلى غيره) أى وهو الدبر فلا يجوز الايلاج فيه مطلقا زمن الحيض أولا (قوله التوابين) أى وهم الذين كلما أذنبوا تابوا (قوله من الأقذار) أى الحسية والمعنوية وقدّم التوابين لئلا يقنطوا وأخر المتطهرين لئلا يعجبوا و إن كانوا أعلى منهم (قوله نساؤكم حرث) أى كالأرض تحرث ليوضع فيها البذر فشبه النساء بالأرض التى تحرث وشبه النطفة بالبذر الذى يوضع فى تلك الأرض وشبه الولد بالزرع الذى ينبت من الأرض ، والمراد من تلك الآية بيان الآية المتقدمة وهى قوله ـ من حيث أمركم الله ـ فبين أن المراد به موضع الزرع وهو القبل لاغيره (قوله وهو القبل) أخذ بعضهم من الآية أنه يحرم وطء النساء فى أدبارهن لأنه ليس محل الزرع وحكمة النكاح وجود النسل و إنما جعلت الشهوة وسيلة لذلك وجعلت شهوة النساء أعظم لأن مشقة النسل عليهن أعظم من الرجال فتنسلى النساء عن المشقة بعظم الشهوة (قوله أنى شئتم) أنى بمعنى كيف فهى لتعميم الأحوال (قوله وإدبار) أى فيجامعها من جهة دبرها لكن فى الفرج ، والوارد فى السنة عن رسول الله فى صفة إتيانه لنسائه أنه كان يجلس بين شعبها الأربع وهى مستلقية على ظهرها . وقال الحكماء : إدامة الجماع وهو مضطجع على جنبه يورث وجع الجنب (قوله جاء الولد أحول) أى بياض عينه مكان سوادها (قوله كالتسمية عند الجماع) أى بأن يقول بسم الله الرحمن الرحيم اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان مارزقتنا فانه إذا فعل ذلك حفظ الولد من الشيطان وكتب له بعدد أنفاسه وأنفاس أولاده حسنات إلى يوم القيامة (قوله فى أمره) أى بالاتيان فى القبل والتسمية وقوله ونهيه : أى عن الاتيان فى الدبر و إنما طلبت التسمية فى ذلك الموضع لأنه ذاكر فى وقت غفلة فيكتب من الذاكرين الله فى الغافلين وأهل الله فى ذلك لهم تجليات ومشاهدات تجل عن الحصر والكيف ، و إلى ذلك الإشارة بقوله عليه الصلاة والسلام « حبب إلىّ من دنياكم ثلاث : النساء والطيب وجعلت قرة عينى فى الصلاة » حيث قدم النساء ، ولايقال إن الاشتغال بمشاهدة النعم يحجب عن اللذة لأنه يقال إنه مقام جمال و بسط لاجلال وقبض فعند ذلك تزداد القوة لما روى أن رسول الله أعطى قوة أربعة آلاف رجل من أهل الدنيا فى الجماع و يقرب ذلك إذا أضافك ملك عظيم وصنع لك طعاما عظيما وجلس معك يباسطك بأنواع المباسطات فان شهودك له ومسامرته تزيد لذة فى طعامه وشرابه أكثر من تمتعك بذلك فى حال غيبتك عنه فسبحان المعطى المانع (قوله واعلموا أنكم ملاقوه) أى ملاقو جزائه (قوله ولاتجعلوا الله عرضة) سبب نزول هذه الآية أن عبد الله بن رواحة كان بينه و بين ختنه : أى نسيبه وهو النعمان بن بشير شىء فحلف أنه لايواصله أبدا فنزلت ، وقيل نزلت فى حق الصديق حين حلف على مسطح لما تكلم فى الافك أن لايصله (قوله لأيمانكم) أى أفعال بركم وسميت أيمانا لتعلق الأيمان بها ، وقوله أن تبروا الخ بدل من أيمانكم (قوله أى نصبا لها) أى غرضا مانعا من فعل البر (قوله بأن تكثروا الحلف به) هذا تفسير آخر للآية فكان المناسب للمفسر أن يأتى بأو (قوله أن تبروا) أى تصلوا الرحم مثلا وقوله وتتقوا أى تصلوا أو تصوموا مثلا ، وقوله وتصلحوا بين الناس من عطف الخاص على العام والمعنى أن الفعل الذى يحصل لكم به خير فلا تحلفوا على تركه ، وهذا على التفسير الأول ، وأما على الثانى فلا يحتاج لتقدير لا و إنما يقدر لام التعليل: أى لا تكثروا الحلف بالله لما فيه من ابتذال اسمه تعالى فى كل شىء قليل

(مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ) بتجنبه فى الحيض وهو القبل ولا تعدوه إلى غيره (إِنَّ اللهَ يُحِبُّ) يثيب ويكرم (التَّوَّابِينَ) من الذنوب (وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) من الأقذار (نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ) أى محل زرعكم الولد (فَأْتُوا حَرْثَكُمْ) أى محله وهو القبل (أَنَّى) كيف (شِئْتُمْ) من قيام وقعود واضطجاع و إقبال و إدبار . نزل رداً لقول اليهود من أتى امرأته فى قبلها من جهة دبرها جاء الولد أحول (وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ) العمل الصالح كالتسمية عند الجماع (وَاتَّقُوا اللهَ) فى أمره ونهيه (وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ) بالبعث فيجازيكم بأعمالكم (وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) الذين اتقوه بالجنة (وَلَا تَجْعَلُوا اللهَ) أى الحلف به (عُرْضَةً) علة مانعة (لِأَيْمَانِكُمْ) أى نصباً لها بأن تكثروا الحلف به (أَنْ) لا (تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا) ،

أو كثير عظيم أو حقير لأجل أن تكونوا من أهل البر والتقوى والإصلاح بين الناس فالنهى عن الكثرة على هذا والأيمان على بابها بمعنى الأقسام وعرضة بمعنى معروض فهى اسم مفعول : أى محل للحلف كغرض الرماة وعلى الأول فهى بمعنى عارضة أى لا تجعلوا الله مانعا من بركم وتقواكم وإصلاحكم بواسطة القسم به (قوله فتكره اليمين على ذلك) أى إن كان مندوبا وهو مفرع على التفسير الأول (قوله فهى طاعة) أى مندوب وتعتريها الحرمة كما إذا حلف على ترك واجب (قوله لا يؤاخذكم الله باللغو) اختلف العلماء فى معنى اللغو فقال الشافعى : هو ماسبق إليه اللسان من غير قصد عقد اليمين فلا إثم ولا كفارة له . وقال أبو حنيفة ومالك : هو أن يحلف على ما يعتقد فيتبين خلافه وفى الفروع تفاصيل موكولة لأربابها (قوله ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم) وقعت هنا لكن بين نقيضين باعتبار وجود اليمين لأنها لا تخلو إما أن لا يقصدها القلب بل جرت على اللسان وهى اللغو عند الشافعى وإما أن يقصدها وهى المنعقدة ، والمعنى لا يؤاخذكم الله بغير المقصودة لقلوبكم وإنما يؤاخذكم بالمقصودة لها ، وهذا التقرير على مذهب الشافعى ويقال على مذهب أبى حنيفة ومالك لا يؤاخذكم الله باللغو : أى بما حلفتم عليه معتقدين حقيته بحيث يكون اللسان موافقا للجنان ولكن يؤاخذكم بما حلفتم عليه غير معتقدين حقيته وهى اليمين الغموس ، وقد نظم الأجهورى من المالكية صور كفارة اللغو والغموس بقوله : كفر غموسا بلا ماض يكون كذا * لغو بمستقبل لا غير فامتثلا (قوله لما كان من اللغو) أى والخطأ (قوله بتأخير العقوبة عن مستحقها) أى ومن ذلك اليمين الغموس فكفارتها الغمس فى جهنم (قوله الذين يؤلون من نسائهم) حقيقة الايلاء الحلف بالله أو بغيره على ترك وطء الزوجة المدخول بها المطيقة الوطء أكثر من أربعة أشهر إما صريحا كلا أطؤك أو ضمنا كلا أغتسل من جنابة منك وحكمه كما قال الله وللذين خبر مقدم وتربص مبتدأ مؤخر والاضافة على معنى فى : أى انتظار فى أربعة عن أشهر ولها النفقة والكسوة فى تلك المدة لأن الامتناع من قبله بخلاف الناشز فلا نفقة لها ولا كسوة لأن الامتناع منها (قوله أى يحلفون أن لا يجامعوهن) بيان لحقيقة الايلاء الشرعى وإلا فمعناه لغة مطلق الحلف (قوله أربعة أشهر) أى وتحسب من يوم الحلف إن كانت صريحة فى ترك الوطء ومن يوم الرفع للحاكم إن لم تكن صريحة (قوله رجعوا فيها) أى فى الأربعة أشهر ويلزمه ما يترتب على الحنث من كفارة إن كانت اليمين بالله أو العتق إن كان به (قوله أى عليه) أشار بذلك إلى أن الطلاق منصوب بنزع الخافض (قوله فليوقعوه) قدره المفسر إشارة لجواب الشرط فان امتنعوا من إيقاعه ومن الوطء فان الحاكم يأمرها بالطلاق ثم يحكم . وقيل ينشئ الطلاق وهو رجعى كالطلاق على المعسر بالنفقة لأن كل طلاق أوقعه الحاكم فهو بائن إلا المولى والمعسر بالنفقة (قوله المعنى) أى المراد من قوله تعالى ـ فان فاءوا ـ الآيتين (قوله تربص ماذكر) أى الأربعة أشهر (قوله إلا الفيئة أو الطلاق) أى مالم ترض بالمقام معه بلا وطء فان استمرت على ذلك فالأمر ظاهر فان رفعت ثانيا وشكت للحاكم أمره إما بالفيئة أو الطلاق فان امتنع منهما طلق عليه الحاكم (قوله والمطلقات) أى رجعيا أو بائنا (قوله بأنفسهن) يحتمل أن الباء زائدة لتوكيد النون : أى يتربصن أنفسهن ويحتمل أنها للتعدية والمعنى أنهن لا يحتجن لحكم .

فتكره اليمين على ذلك ويسن فيه الحنث ويكفر بخلافها على فعل البر ونحوه فهى طاعة (وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ) المعنى لا تمتنعوا من فعل ما ذكر من البر ونحوه إذا حلفتم عليه بل ائتوه وكفروا لأن سبب نزولها الامتناع من ذلك (وَاللَّهُ سَمِيعٌ) لأقوالكم (عَلِيمٌ) بأحوالكم (لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ) الكائن (فِي أَيْمَانِكُمْ) وهو ما يسبق إليه اللسان من غير قصد الحلف نحو لا والله وبلى والله فلا إثم فيه ولا كفارة (وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ) أى قصدته من الأيمان إذا حنثتم (وَاللَّهُ غَفُورٌ) لما كان من اللغو (حَلِيمٌ) بتأخير العقوبة عن مستحقها (لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ) أى يحلفون أن لا يجامعوهن (تَرَبُّصُ) انتظار (أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا) رجعوا فيها أو بعدها عن اليمين إلى الوطء (فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ) لهم ما أتوه من ضرر المرأة بالحلف (رَحِيمٌ) بهم (وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ) أى عليه بأن لم يفيئوا فليوقعوه (فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ) لقولهم (عَلِيمٌ) بعزمهم المعنى ليس لهم بعد تربص ماذكر إلا الفيئة أو الطلاق (وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ) أى لينتظرن (بِأَنْفُسِهِنَّ) ،

(قوله عن النكاح) أي نكاح غير المطلق (قوله تمضي من حين الطلاق) أي وتصدق المرأة في ذلك لأنها أمينة على فرجها إلا مضي زمن تنقضي العادة فيه بمضي الثلاثة الأقراء (قوله بفتح القاف) أي وأما الضم فجمعه أقراء كقفل وأقفال و إنما ضبطه المفسر بالفتح فقط لأجل جمعه في الآية على قروء و إلا فهو في نفسه يصح فيه الضم والفتح (قوله وهو الطهر) أي و إليه ذهب مالك والشافعي وأحمد في أول أمره (قوله أو الحيض) أي و إليه ذهب أبو حنيفة وأحمد في آخر أمره (قوله قولان) أي للعلماء وتظهر ثمرة الخلاف فيما إذا طلقت في طهر ثم حاضت ثم طهرت ثم حاضت ثم طهرت ثم حاضت فعند مالك والشافعي وأحمد في أول أمره أنها تحل للأزواج بمجرد رؤية الدم لأن الأقراء قد تمت وعند أبي حنيفة وأحمد في آخر أمره أنها لاتحل حتى تطهر وأما إذا طلقها في الحيض فلا تحسب ذلك الحيض من العدة اتفاقا و يأتي الخلاف في الحيضة الرابعة هل تحل بأولها أو بانقضائها (قوله وفي غير الآيسة) أي وهي بنت كسبعين (قوله والصغيرة) أي المطيقة للوطء ولم تبلغ أوان الحمل (قوله كما في سورة الطلاق) راجع للآيسة والصغيرة والحامل. وحاصل ما في المقام أن غير المدخول بها لاعدة عليها في الطلاق حرة كانت أو أمة وأما المدخول بها ففيها تفصيل فالآيسة والصغيرة عدتهما ثلاثة أشهر والحامل وضع حملها كله لافرق في ذلك كله بين

الحرة والأمة وأما من يأتيها الحيض

عن النكاح (ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ) تمضي من حين الطلاق جمع قرء بفتح القاف وهو الطهر أو الحيض قولان وهذا في المدخول بهن أما غيرهن فلا عدة عليهن لقوله فما لكم عليهن من عدة وفي غير الآيسة والصغيرة فعدتهن ثلاثة أشهر والحوامل فعدتهن أن يضعن حملهن كما في سورة الطلاق والإماء فعدتهن قرءان بالسنة (وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ) من الولد أو الحيض (إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ) أزواجهن (أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ) بمراجعتهن ولو أبين (فِي ذَلِكَ) أي في زمن التربص (إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا) بينهما لا إضرار المرأة وهو تحريض على قصده لا شرط لجواز الرجعة وهذا في الطلاق الرجعي، وأحق لا تفضيل فيه إذ لا حق لغيرهم في نكاحهن في العدة (وَلَهُنَّ) على الأزواج (مِثْلُ الَّذِي) لهم (عَلَيْهِنَّ) من الحقوق (بِالْمَعْرُوفِ) شرعا من حسن العشرة وترك الضرار ونحو ذلك (وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ) فضيلة في الحق من وجوب طاعتهن لهم لما ساقوه من المهر والانفاق (وَاللَّهُ عَزِيزٌ) في ملكه (حَكِيمٌ) فيما دبره لخلقه (الطَّلَاقُ) أي التطليق الذي يراجع بعده (مَرَّتَانِ) أي اثنتان (فَإِمْسَاكٌ) :

فعدتها ثلاثة أقراء إن كانت حرة وقرآن إن كانت أمة وهذا في الطلاق أما في الوفاة فسيأتي أنها للحرة أربعة أشهر وعشر وللأمة نصفها والحامل وضع الحمل (قوله من الولد أو الحيض) أي أو عيوب الفرج كالرتق والقرن والعفل والبخر والافضاء (قوله إن كن يؤمن بالله) هذا من باب الزجر والتشديد عليهن وجواب الشرط محذوف دل عليه قوله فلا يحل (قوله و بعولتهن) جمع بعل يطلق على الرجل والمرأة لكن المراد به هنا الرجل فالتاء لتأنيث الجمع لأن كل جمع يجوز تأنيثه (قوله لا إضرار المرأة) أي فتحرم الرجعة إذ ذاك و يعتريها الوجوب إن خشي على نفسه الزنا وتكره إن شغلته عن عبادة مندوبة وتندب إن كانت تعينه على تلك العبادة (قوله لجواز الرجعة) أي مضيها فلا ينافي أنه شرط في جواز القدوم عليها (قوله في نكاحهن في العدة) صوابه أن يقول فلا حق لغيرهم في ردهن ورجعتهن كما عبر به غيره تأمل (قوله ولهن مثل الذي عليهن) حاصله أن الرجل له حقوق على المرأة من طبخ وعجن وكنس وغير ذلك من الخدمة الباطنية، وللمرأة حقوق على الرجل من نفقة وكسوة واظهار محبة وغير ذلك فالمماثلة في الآية في مطلق الوجوب لا في صفة الحقوق وفي الآية احتباك حيث حذف من كل نظير ما أثبته في الآخر يشير لذلك تقدير المفسر قوله على الأزواج وقوله لهم (قوله فضيلة في الحق) أي في حق الرجل زائد على حقها (قوله لما ساقوه) علة لوجوب طاعتهن لهم ومعناه دفعوه وقوله من المهر والانفاق بيان لما (قوله الطلاق مرتان) سبب نزول هذه الآية أنه كان في صدر الاسلام إذا طلق الرجل امرأته طلاقا رجعيا وراجعها في العدة كان له ذلك ولو طلق ألف مرة فطلق رجل امرأته طلقة رجعية ثم راجعها قبل انقضاء عدتها بشيء يسير فقال والله لا آويك ولا تحلين لغيري أبدا فنزلت الآية فاستأنف الناس الطلاق وألغوا ما مضى وقوله مرتان أي مرة بعد أخرى أو المرتان دفعة وهو تخصيص لقوله ـ و بعولتهن أحق بردهن في ذلك ـ (قوله أي التطليق) إنما فسر اسم المصدر بالمصدر لأجل قوله أو تسريح (قوله أي اثنتان) دفع بذلك ما يتوهم أنه لابد أن يكون على مرتين

(قوله أى فعليكم) قدر ذلك اشارة إلى أن إمساك مبتدأ خبره محذوف وقدره مقدما عليه ليكون مسوغا للابتداء بالنكرة (قوله أو تسريح) يحتمل أن المراد بذلك إنشاء طلاق ثالث بعد المراجعة الثانية ويحتمل أن المراد عدم المراجعة إذا طلقها ثانيا وأما الطلقة الثالثة فمأخوذة من قوله تعالى فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره وهو الأقرب لأنه المتبادر من المفسر فالرجل مخير فى عدة الطلقة الأولى بين أن يراجعها بالمعروف أو يسرحها من غير مراجعة وكذا فى عدة الثانية (قوله باحسان) أى فيؤدى ماعليه لها من الحقوق ولايذكرها بسوء (قوله ولايحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا) يوضح معنى الآية قوله تعالى وآتيتم إحداهن قنطارا الآيتين (قوله من المهور) بيان لما (قوله إذا طلقتموهن) أى وأما إن كانت فى عصمته ووهبت له صداقها أو بعضه فلا بأس بذلك (قوله أن لايقيما حدود الله) أن ومادخلت عليه فى تأويل مصدر مجرور بمن التقدير من عدم إقامتهما حدود الله. وسبب نزولها أن امرأة اسمها جميلة بنت عبدالله بن أبى ابن سلول كانت تبغض زوجها ثابت بن قيس فشكت للنبي صلى الله عليه وسلم حيث قالت يارسول الله إنى لاأعيبه فى دين ولافى خلق غير أنى وجدته مقبلا فى جماعة فرأيته أشدهم سوادا وقصرا وأقبحهم وجها لايجمع رأسى ورأسه شئ وانى لأكره الكفر فى الاسلام فلما نزلت هذه الآية أمرها رسول الله بالفداء فأخذ ما كان أعطاه لها وطلقها وكان قد أمهرها حديقة (قوله وفى قراءة) أى فهما سبعيتان (قوله بالبناء للمفعول) أى فالضمير نائب فاعل والفاعل ولاة الأمور أى فان خاف ولاة الأمور الزوجين وأن لايقيما بدل اشتمال من نائب الفاعل (قوله وقرئ) أى قراءة شاذة (قوله فان خفتم) خطاب لولاة الأمور (قوله فيما افتدت به) أى كان بمهرها أو أقل أو أكثر (قوله لاحرج على الزوج فى أخذه) أى لعدم ظلمه لها وقوله ولا على الزوجة فى بذله أى لدفعها الضرر عن نفسها (قوله فلا تعتدوها) أى تتجاوزها بأن تعينوا الظالم على المظلوم منهما (قوله ومن يتعد حدود الله) ذكر هذا الوعيد بعد النهى عن تعديها للمبالغة فى التهديد وقوله الظالمون أى لأنفسهم بتعريضها لسخط الله تعالى وعقابه (قوله فان طلقها) أى طلقة ثالثة سواء وقع الاثنتان فى مرة أو مرتين والمعنى فان ثبت طلاقها ثلاثا فى مرة أو مرات فلاتحل الخ كما إذا قال لها أنت طالق ثلاثا أو البتة وهذا هو المجمع عليه وأما القول بأن الطلاق الثلاث فى مرة واحدة لايقع إلاطلقة فلم يعرف إلا لابن تيمية من الحنابلة وقد رد عليه أئمة مذهبه حتى قال العلماء إنه الضال المضل ونسبتها للامام أشهب من أئمة المالكية باطلة (قوله حتى تنكح) المراد به هنا العقد مع الوطء كما بين ذلك فى الحديث والاجماع عليه خلافا لما نقل عن ابن المسيب أن العقد كاف فى التحليل (قوله زوجا) أى لاسيدا فلا يقع به تحليل ولابد من كون الزوج بالغا عند مالك لقوله فى الحديث «حتى يذوق عسيلتك وتذوقى عسيلته» ولا عسيلة للصبي قال الشافعى بعدم اشتراط بلوغه ومن هنا المسئلة الملفقة وهى أن يقلد الشافعى فى صحة تحليل غير البالغ ، ومالكا فى صحة طلاق وليه عنه لمصلحة وفى عدم العدة عليها من وطئه ، وهذه المسئلة قال العلماء فيها الورع تركها ويشترط للتحليل عند مالك شروط عشرة تعلم من الفروع (قوله ويطأها) أى ولا يشترط الانزال (قوله كما فى الحديث) وهو أنه جاءت امرأة تسمى تميمة القرظية وكانت متزوجة بابن عمها رفاعة القرظى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله إن رفاعة أبت طلاق فتزوجت بعبد الرحمن بن الزبير بفتح الزاى وإنما معه مثل هدبة الثوب فتبسم رسول الله ، وقال أتريدين أن ترجعى إلى رفاعة لاحتى يذوق عسيلتك

أى فعليكم إمساكهن بعده بأن تراجعوهن (بِمَعْرُوفٍ) من غير إضرار (أَوْ تَسْرِيحٌ) أى إرسالهن (بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ) أيها الأزواج (أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ) من المهور (شَيْئًا) إذا طلقتموهن (إِلَّا أَنْ يَخَافَا) أى الزوجان (أَنْ لَا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ) أى لا يأتيا بما حده لهما من الحقوق وفى قراءة يخافا بالبناء للمفعول فأن لايقيما بدل اشتمال من الضمير فيه وقرئ بالفوقانية فى الفعلين (فَإِنْ خِفْتُمْ أَنْ لَا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ) نفسها من المال ليطلقها أى لا حرج على الزوج فى أخذه ولا الزوجة فى بذله (تِلْكَ) الأحكام المذكورة (حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ فَإِنْ طَلَّقَهَا) الزوج بعد الثنتين (فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ) بعد الطلقة الثالثة (حَتَّى تَنْكِحَ) تتزوج (زَوْجًا غَيْرَهُ) ويطأها كما فى الحديث ،

رواه

رواه الشيخان (فَإِنْ طَلَّقَهَا) أى الزوج الثانى (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا) أى الزوجة والزوج الأول (أَنْ يَتَرَاجَعَا) إلى النكاح بعد انقضاء العدة (إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ وَتِلْكَ) المذكورات (حُدُودُ اللهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) أى يتدبرون (وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ) قاربن انقضاء عدتهن (فَأَمْسِكُوهُنَّ) بأن تراجعوهن (بِمَعْرُوفٍ) من غير ضرار (أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ) اتركوهن حتى تنقضى عدتهن (وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ) بالرجعة (ضِرَارًا) مفعول له (لِتَعْتَدُوا) عليهن بالإلجاء إلى الافتداء والتطليق وتطويل الحبس (وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ) بتعريضها إلى عذاب الله (وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللهِ هُزُوًا) مهزوءا بها بمخالفتها (وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ) بالاسلام (وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ) القرآن (وَالْحِكْمَةِ) مافيه من الأحكام (يَعِظُكُمْ بِهِ) بأن تشكروها بالعمل به (وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) لا يخفى عليه شىء (وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ) انقضت عدتهن (فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ) خطاب للأولياء أى تمنعوهن من (أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ) المطلقين لهن لأن سبب نزولها أن أخت معقل بن يسار طلقها زوجها فأراد أن يراجعها فمنعها معقل بن يسار كما رواه الحاكم (إِذَا تَرَاضَوْا) أى الأزواج والنساء (بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ) شرعا (ذَٰلِكَ) النهى عن العضل (يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) لأنه المنتفع به (ذَٰلِكُمْ) أى ترك العضل (أَزْكَىٰ) خير (لَكُمْ وَأَطْهَرُ) لكم ولهم لما يخشى على الزوجين من الريبة بسبب العلاقة بينهما (وَاللهُ يَعْلَمُ) مافيه المصلحة (وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) ذلك فاتبعوا أمره (وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ) أى ليرضعن

وقولى هنيته فسكتت مدة ثم جاءت ثانيا لرسول الله وقالت إنه مسنى ودخل معه وذاق منى فقال لها رسول الله إن قولك الأول كذبك الآن فجاءت الصديق فى خلافته وقالت مثل ماقالت لرسول الله فقال لها إنى شهدت مجيئك لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكلامك له لاترجعى فجاءت لعمر فى خلافته فقالت له كذلك فقال لها إن عدت لرفاعة رجمتك» (قوله رواه الشيخان) أى عن عائشة (قوله أن يتراجعا إلى النكاح) أى بعقد ومهر وولىّ وشهود (قوله بعد انقضاء العدّة) أى فلا بدّ من عدّتين عدّة للزوج الأوّل وعدّة للثانى (قوله أن يقيما حدود الله) أن ومادخلت عليه فى تأويل مصدر مفعول ظنّ الثانى ومعنى إقامة حدود الله زوال ما فى أنفسهما من الكدر الذى كان سببا فى الطلاق (قوله لقوم يعلمون) خصهم لأنهم المنتفعون بتلك الأحكام وهم الذين يعقلون الخطاب (قوله أى يتدبرون) أى ينظرون فى عواقب أمورهم . تنبيه : يقع الطلاق فيما ذكر ولو كان سكران بحرام لعدم عذره بذلك أو فى حماقة وليست الحماقة من باب الاكراه الذى قال فيه رسول الله «لاطلاق فى إغلاق» خلافا لمن يفتى بذلك فانه ضالّ مضلّ اللهم إلا أن يطيش عقله فلا يعرف الأرض من السماء ويصير كالمجنون فلا شىء عليه (قوله وإذا طلقتم النساء) أى طلاقا رجعيا وإنما كرره الايضاح (قوله قاربن انقضاء عدّتهنّ) أى أشرفن عليها (قوله مفعول له) أى لأجله (قوله لتعتدوا) علة لقوله ضرارا (قوله بالالجاء) أى الاضطرار (قوله وتطويل الحبس) أى العدّة (قوله فقد ظلم نفسه) أى لما فى الحديث «يغلبن كريما ويغلبهنّ لئيم فأحبّ أن أكون كريما مغلوبا ولا أحبّ أن أكون لئيما غالبا» (قوله بمخالفتها) أى فأطلق الاستهزاء وأراد المخالفة (قوله مافيه من الأحكام) أى العلوم النافعة (قوله بالعمل به) أى ولا تتخذوها هزؤا (قوله لايخفى عليه شىء) أى فيثيب المطيع ويعذب العاصى (قوله انقضت عدّتهنّ) أى فبلوغ الأجل فى المحلين مختلف (قوله خطاب للأولياء) أى وأما الخطاب فى طلقتم فهو خطاب للأزواج ويصح أن يكون خطابا للأولياء أيضا والمعنى إذا رفعن أمورهنّ إليكم أيها الأولياء وتسببتم فى طلاقهنّ من أزواجهنّ ثم زال مافى النفوس وأرادوا العقد على أزواجهم فلا يكن منكم عضل لهنّ من ذلك (قوله أن أخت معقل) أى واسمها جميلة (قوله طلقها زوجها) أى واسمه عاصم بن عدىّ (قوله أى الأزواج والنساء) وغلب الذكور لشرفهم وهو جمع باعتبار أفراد الرجال والنساء (قوله لأنه المنتفع به) جواب عما يقال لم خص المؤمن (قوله بسبب العلاقة) أى الارتباط (قوله فاتبعوا أمره) أى ولا تطيعوا أنفسكم فى العضل فمتى كان لكل منهما رغبة فى الآخر لا يكن منكم منع فى ذلك لأنه لامصلحة فيه وقد جرت عادة الله فى كتابه أنه يتخلل الأحكام والقصص بالمواعظ الجليلة وفى الحديث «كان يتخوّلنا المواعظ مخافة السآمة علينا» (قوله أى ليرضعن) فسره بالأمر إشارة إلى أن الجملة خبرية لفظا إنشائية معنى فالمقصود منها

الأمر وهو الندب للأم بشروط ثلاثة إن كان للولد أب موسر أومال ووجد من ترضعه غيرأمه وقبلها فان فقد شرط منها وجب عليها الرضاع (قوله أولادهنّ) أى ذكورا أو إناثا (قوله كاملين) هذا تقريب عند مالك فألحق الشهران بالحولين وتحديد عند الشافعى (قوله صفة مؤكدة) أى لدفع توهم تسمية الأقل منهما باسم الكامل تسمحا والمقصود من النص على الحولين قطع النزاع بين الزوجين حيث أراد أحدهما أكثر من الحولين أوأقل والآخر الحولين فانه يقضى لمن أرادهما (قوله لمن أراد أن يتم الرضاعة) الجار والمجرور خبر لمبتدأ محذوف قدره المفسر بقوله ذلك وهوجواب عن سؤال مقدّر (قوله ولازيادة عليه) أى خلافا لمن قال إذا شحت المرأة قضى لها بثلاثين شهرا ولمن قال بثلاثة أعوام (قوله وعلى المولود له) أى المنسوب له الولد احترازا عن ابن الزنا ومن نفاه أبوه بلعان فلا يلزم أباه شىء من أجله لقطع نسبه (قوله رزقهنّ) أى دفع الرزق بمعنى الأجرة التى يتحصل بها الطعام والشراب والكسوة (قوله إذا كنّ مطلقات) أى بائنا وأما الرجعيات واللاتى فى العصمة فلا يلزمه أجرة على الرضاع عند الشافعى وكذا عند مالك فى غير من شأنها عدم الارضاع بنفسها كنساء الملوك وأما هى فلها أن تأخذ الأجرة على ذلك هكذا حمله المفسر على غير الزوجة و بعضهم حمله على ما يعمّ الزوجة بمعنى أن الزوجة تأخذ الأجرة على الرضاع ولو ناشزا ولايجرى على حكم نفقة الزوجية (قوله بقدر طاقته) أى عسرا ويسرا (قوله لا تكلف نفس) ببناء الفعل للمجهول ونفس نائب الفاعل وفى قراءة يكلف نفسا ببناء الفعل للفاعل والفاعل هو الله سبحانه وتعالى (قوله بأن تكره على إرضاعه) أى بغير أجرة أوبأجرة دون أجرة المثل حيث طلبتها (قوله إذا امتنعت) أى ووجد غيرها وقبلها الولد وكان الأب موسرا أوللولد مال وإلا أكرهت الأم على إرضاعه إما بنفسها أو تكرى له من يرضعه (قوله فى ماله) أى وهو مقدّم ثم مال الأب ثم مال الأم عند مالك (قوله للوالدة) أى المرضعة والدة كانت أوغيرها (قوله فان أرادا فصالا) هذا تقييد لما تقدّم فى قوله حولين كاملين (قوله عن تراض) الجار والمجرور متعلق بمحذوف صفة لفصالا قدره المفسر بقوله صادرا (قوله فى فعل ذلك) أى ولا فى الزيادة على الحولين عند الاتفاق بل هو جائز شرعا ومنعه الحكماء لما فيه من توريث البلادة للطفل (قوله مراضع) مفعول أوّل لتسترضعوا مؤخر وأولادكم مفعول ثان مقدّم على حذف الجار أى إن أردتم أن تطلبوا مراضع لأولادكم لأن أفعل إذا كان متعديا إلى مفعول واحد وزيدت فيه السين للطلب أوالنسبة يصير متعديا إلى مفعولين كما قال الزمخشرى وقال الجمهور إنما يتعدّى للثانى بحرف الجر فيكون أولادكم منصوبا بنزع الخافض وأن ومادخلت عليه فى تأويل مصدر مفعول أردتم (قوله غير الوالدات) أى حيث كانت أجرة الغير أقل من أجرة الأم أوكانت الغير ترضع مجانا أما إذا استويا فالأم أولى (قوله إذا سلمتم) ليس شرطا لصحة الاجارة بل هو بيان للأكمل لأن التعجيل أطيب لنفوسهنّ (قوله بالمعروف) فيه ثلاثة أوجه : أحدها أنه متعلق بسلمتم . الثانى أنه متعلق بآتيتم . الثالث أنه حال من فاعل سلمتم أوآتيتم والعامل فيه حينئذ محذوف أى ملتبسين بالمعروف (قوله واتقوا الله) مبالغة فى المحافظة على ماشرع فى أمر الأطفال والمراضع (قوله والذين يتوفون) بضم الياء مبنيا للمفعول وفى قراءة بفتحها للفاعل والمعنى عليها يستوفون آجالهم .

(أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ) عامين (كَامِلَيْنِ) صفة مؤكدة ، ذلك (لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ) ولا زيادة عليه (وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ) أى الأب (رِزْقُهُنَّ) إطعام الوالدات (وَكِسْوَتُهُنَّ) على الارضاع إذا كن مطلقات (بِالْمَعْرُوفِ) بقدر طاقته (لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا) طاقتها (لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا) بسببه بأن تكره على إرضاعه إذا امتنعت (وَلَا) يضار (مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ) أى بسببه بأن يكلف فوق طاقته . وإضافة الولد إلى كل منهما فى الموضعين للاستعطاف (وَعَلَى الْوَارِثِ) أى وارث الأب وهو الصبى أى على وليه فى ماله (مِثْلُ ذَلِكَ) الذى على الأب للوالدة من الرزق والكسوة (فَإِنْ أَرَادَا) أى الوالدان (فِصَالًا) فطاما له قبل الحولين صادرا (عَنْ تَرَاضٍ) اتفاق (مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ) بينهما لتظهر مصلحة الصبى فيه (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا) فى ذلك (وَإِنْ أَرَدْتُمْ) خطاب للآباء (أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ) مراضع غير الوالدات (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ) فيه (إِذَا سَلَّمْتُمْ) إليهن (مَا آتَيْتُمْ) أى أردتم إيتاءه لهن من الأجرة (بِالْمَعْرُوفِ) بالجميل كطيب النفس (وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) لايخفى عليه شىء منه (وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ) ، يموتون

يموتون (مِنكُمْ وَيَذَرُونَ) يتركون (أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ) أى ليتربصن (بِأَنفُسِهِنَّ) بعدهم عن النكاح (أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا) من الليالى وهذا فى غير الحوامل وأما الحوامل فعدتهن أن يضعن حملهن بآية الطلاق والأمة على النصف من ذلك بالسنة (فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ) انقضت مدة تربصهن (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ) أيها الأولياء (فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ) من التزين والتعرض للخطّاب (بِالْمَعْرُوفِ) شرعا (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) عالم بباطنه كظاهره (وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم) لوّحتم (بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ) المتوفى عنهن أزواجهن فى العدة كقول الانسان مثلا إنك لجميلة ومن يجد مثلك وربّ راغب فيك (أَوْ أَكْنَنتُمْ) أضمرتم (فِي أَنفُسِكُمْ) من قصد نكاحهن (عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ) بالخطبة ولا تصبرون عنهن فأباح لكم التعريض (وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا) أى نكاحا (إِلَّا) لكن (أَن تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا) أى ماعرف شرعا من التعريض فلكم ذلك (وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ) أى على عقده (حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ) أى المكتوب من العدة (أَجَلَهُ) بأن ينتهى (وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ) من العزم وغيره،

(قوله يموتون) المناسب يقبض أرواحهم ليناسب الفعل المبنى للمفعول (قوله أزواجا) جمع زوج بمعنى زوجة لأن الزوج يقع على الذكر والأنثى (قوله أى ليتربصن) أشار بذلك إلى أن المراد من الآية الأمر وإن كان ظاهرها الخبر (قوله بأنفسهن) الباء زائدة للتأكيد والأصل يتربصن أنفسهن يعنى لابواسطة حكم حاكم فإن العدة لاتحتاج لذلك (قوله بعدهم) الضمير عائد على اسم الموصول الواقع على الرجال وقدره المفسر ليصح الاخبار بجملة يتربصن عن الموصول هكذا أعرب المفسر وبعضهم قدّر فى المبتدأ فقال وأزواج الذين يتوفون وبعضهم قدّر فى الخبر حيث قال - والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا أزواجهم يتربصن - فأزواجهم مبتدأ وجملة يتربصن خبره والمبتدأ وخبره خبر الأول والرابط موجود (قوله عن النكاح) أى نكاح الغير لهن (قوله أربعة أشهر وعشرا) إما مفعول ليتربصن على حذف مضاف أى مضى أربعة أشهر وعشر أوظرف له (قوله من الليالى) أى مع النهار وخصّ الليالى لسبقها على النهار (قوله وهذا فى غير الحوامل) أى ماتقدم من العموم لايتناول الحوامل والإماء (قوله أن يضعن حملهن) أى كله ولوعلقة أومضغة فلاتحلّ إلا بوضعه ولومكث الزمن الطويل فى بطنها (قوله والأمة) بالجرّ معطوف على الحوامل (قوله على النصف من ذلك) أى فعدّتها شهران وخمس ليال وهو خبر لمبتدا محذوف تقديره وهى على النصف من ذلك. واعلم أن ذلك تعبد أمرنا به الشارع ولم نعقل له معنى ولذا أمرت بتلك العدّة الصغيرة وزوجة الصغير، وماقيل إنه معلل بوجود حركة الحمل بعد الأربعة الأشهر فغير مطرد فى الأمة والصغيرة وزوجة الصغير (قوله بالسنة) أى الدليل السنى (قوله من التزين) أى الشرعى بأن تفعل ذلك ببيتها (قوله والتعرّض للخطاب) معطوف على التزين فلايحرم كل من التزين والتعرض للخطاب بعد العدة. وأما فيها فيحرم على الأولياء وعليهن إذا بلغن ويجب عليهم كفهن ولو بالشتم والضرب (قوله فيما عرّضتم) التعريض هو الكلام الذى يفهم منه المقصود بطرف خفىّ (قوله من خطبة النساء) بكسر الخاء لتماس النكاح (قوله وربّ راغب) ربّ للتكثير (قوله أوأكننتم فى أنفسكم) أى ولوأخبرتم بذلك غير المجبر لها فالحرمة فى التصريح لها أولوليها المجبر (قوله فأباح لكم التعريض) أى والاضمار فى أنفسكم وهوتفريع على قوله علم الله الواقع علة لقوله ولاجناح عليكم، والمعنى إنما لم يحرم عليكم التعريض والاضمار فى الأنفس لعلمه أنه إن حرّم عليكم ذلك لوقعتم فيما هوأعظم الذى هوالتصريح فأباح لكم التعريض (قوله سرا) هو فى الأصل ضدالجهر أطلق وأريد منه الوطء لأنه لايكون إلا كذلك ثم أطلق وأريد منه العقد لأنه سببه فهومجاز على مجاز (قوله أى نكاحا) أى عقدا (قوله إلا لكن أن تقولوا الخ) جعل المفسر الاستثناء منقطعا لأن التعريض ليس من المواعدة والمواعدة إنما تحرم إذا كانت من الجانبين، وأما من جانب فتكره عند مالك (قوله ولاتعزموا عقدة النكاح) أى فالعقد فى العدة فاسد ويفسخ فإن انضم لذلك العقد مباشرة ولوبعد العدة تأبد تحريمها عند مالك وعند الشافعى يفسخ العقد فقط وله العقد عليها ثانية بعدها (قوله من العزم) أى التصميم على العقد فالعزم يؤاخذ الانسان به خيرا كان أوشرا وقد نظم بعضهم الأمور التى تطرأ على الشخص فقال:

مراتب القصد خمس هاجس ذكروا ... فخاطر فحديث النفس فاستمعا
يليه همّ فعزم كلها رفعت ... سوى الأخير ففيه الأخذ قدوقعا

(قوله فاحذروه) أى الله بمعنى احذروا عقابه (قوله لمن يحذره) أى يخافه ففى الحديث «إذا أذنب العبد ذنبا وعلم أن الله يغفره غفر له بمجرد فعله الذنب» (قوله بتأخير العقوبة عن مستحقها) أى فلا يغترّ العاصى بذلك فلربما يكون ذلك التأخير استدراجا له (قوله لاجناح عليكم إن طلقتم النساء) سبب نزولها أن رجلا من الأنصار تزوّج امرأة تفويضا ثم طلقها قبل الدخول فرفعته لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فقال له رسول الله أمتعها ولو بقلنسوتك (قوله مالم تمسوهن) فعله مسند للرجل لأنه الأقوى فى المسّ والأقرب أن ما شرطية بمعنى إن وليست مصدرية ظرفية كما قال المفسر لأن محل الظرفية فيما يقتضى الامتداد كقوله تعالى ـ خالدين فيها مادامت السموات والأرض ـ لأن شأن الخلود الامتداد (قوله وفى قراءة تماسوهن) أى بضم التاء وفعله ماس مماسة مفاعلة من الجانبين لأن كلا يمسّ الآخر. واستشكل مفهوم الآية بأن الطلاق بعد المس لاإثم فيه نعم فيه المهر. وأجيب بأنه مظنة الجناح بدفع المهر ووجود الإثم من حيث إنه قد يوقعه زمن الحيض، وأما الطلاق قبل الدخول فلاجناح فيه أصلا (قوله فطلقوهن ومتعوهنّ) أشار بذلك إلى أن ومتعوهن معطوف على محذوف قدّره بقوله فطلقوهنّ (قوله قدره) بفتح الدال وسكونها قراءتان سبعيتان (قوله يفيد أنه لانظر إلى قدر الزوجة) أى وهو أحد الأقوال عند الشافعى والمفتى به عند مالك ولكن المعتمد مراعاة حال الزوج والزوجة (قوله تمتيعا) أشار بذلك إلى أن اسم المصدر بمعنى المصدر (قوله شرعا) أى لابشىء حرام (قوله أو مصدر مؤكد) أى وعامله محذوف أى أحقه حقا. واعلم أنه اختلف فى المتعة فقيل واجبة نظرا للأمر ولقوله حقا وبه أخذ الشافعى وقيل مندوبة نظرا لقوله بالمعروف ولقوله على المحسنين وبه أخذ مالك (قوله من قبل) متعلق بطلقتموهن وقوله وقد فرضتم الجملة حالية (قوله فريضة) بمعنى مفروضة مفعول به وقيل مفعول مطلق بمعنى فرض لكن الأوّل أقرب

(فَاحْذَرُوهُ) أن يعاقبكم إذا عزمتم (وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ) لمن يحذره (حَلِيمٌ) بتأخير العقوبة عن مستحقها (لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَالَمْ تَمَسُّوهُنَّ) وفى قراءة تماسوهن أى تجامعوهن (أَوْ) لم (تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً) مهرا وما مصدرية ظرفية أى لا تبعة عليكم فى الطلاق زمن عدم المسيس والفرض بإثم ولا مهر فطلقوهن (وَمَتِّعُوهُنَّ) أعطوهن ما يتمتعن به (عَلَى الْمُوسِعِ) الغنى منكم (قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ) الضيق الرزق (قَدَرُهُ) يفيد أنه لانظر إلى قدر الزوجة (مَتَاعًا) تمتيعا (بِالْمَعْرُوفِ) شرعا صفة متاعا (حَقًّا) صفة ثانية أو مصدر مؤكد (عَلَى الْمُحْسِنِينَ) المطيعين (وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ) يجب لهن ويرجع لكم النصف (إِلَّا) لكن (أَنْ يَعْفُونَ) أى الزوجات فيتركنه (أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ) وهو الزوج فيترك لها الكل وعن ابن عباس الولى إذا كانت محجورة فلا حرج فى ذلك (وَأَنْ تَعْفُوا) مبتدأ خبره (أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ) أى أن يتفضل بعضكم على بعض (إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) فيجازيكم به،

(قوله فنصف ما فرضتم) مبتدأ خبره محذوف قدره المفسر بقوله يجب لهن ويحتمل أنه خبر لمبتدأ محذوف تقديره فاللازم لكم نصف ما فرضتم وما اسم موصول والعائد محذوف وجملة فرضتم صلته ونصف مثلث النون ونصيف كرغيف ولايقرأ فى جميع مواضع القرآن إلا بكسر النون لاغير (قوله إلا أن يعفون) إلا أداة استثناء وأن حرف مصدرى ونصب ويعفون مبنى على السكون لاتصاله بنون النسوة وهى فاعل والواو لام الكلمة لاواو الجماعة لأن وزنها يفعلن بخلاف الرجال يعفون فان وزنه يفعون وقدر المفسر لكن إشارة أن الاستثناء منقطع لأن العفو ليس من جنس ماقبله فان ماقبله وجوب دفع نصف المهر (قوله فيترك لها الكل) أى وتسميته عفوا مشاكلة لماقبله (قوله الولىّ) أى المجبر وقال به مالك (قوله محجورة) أى مجبورة (قوله وأن تعفوا) الضمير عائد على من ذكر من الرجال والنساء وإنما غلب الرجال لشرفهم وأصله تعفوون دخل الناصب فحذف النون ثم استثقلت الضمة على الواو فحذفت فالتقى ساكنان حذفت لام الكلمة لالتقائهما (قوله أقرب للتقوى) استشكل كلام ابن عباس بأن عفو الولى لاتقوى فيه. أجيب بأن المراد بالتقوى الألفة أى فاذا عفا الولى فربما تحصل الألفة من الزوج ثانيا (قوله أى أن يتفضل بعضكم على بعض) أى يفعل بعضكم مع بعض مكارم الأخلاق بأن يحصل العفو عن جميع المهر من الزوج أو من الزوجة عن النصف الثانى الذى يخصها.

(حافظوا

(قوله حافظوا على الصلوات) أتى بهذه الآية فى خلال مايتعلق بالأزواج والأولاد تنبيها على أنه لاينبغى من العبد أن يشتغل عن حقوق سيده بأمر الأزواج والأولاد قال تعالى ـ ياأيها الذين آمنوا لاتلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله (قوله بأدائها فى أوقاتها) أى مع استكمال شروطها وفرائضها وسننها وآدابها فان فقد شئ من ذلك دخل فى الوعيد قال تعالى ـ فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ـ وخص الصلاة بالذكر لأنها عماد الدين ومعظم أركان الاسلام بعد الشهادتين من أقامها فقد أقام الدين ومن هدمها فقد هدم الدين (قوله والصلاة الوسطى) فعلى مؤنث الأوسط بمعنى الأفضل والأخير لابمعنى المتوسطة بين شيئين فانه ليس فيه مزيد مزية وهومن عطف الخاص على العام والنكتة مزيد فضلها على غيرها كليلة القدرفهى أفضل الليالى (قوله هى العصر) أى لأنه وقت نزول ملائكة الليل وصعود ملائكة النهار و به قال الشافعى (قوله أوالصبح) أى لما ذكر ولما فى الحديث « بورك لأمتى فى بكورها » ولأنها تأتى الناس وهم نيام و به قال مالك (قوله أوالظهر) أى لأنهاأول صلاة ظهرت فى الاسلام وقوله أوغيرها قيل هى المغرب لأنها وتر صلاة النهار، وقيل العشاء لأنها تأتى الناس وهم كسالى، وقيل هى الصلاة على النبى، وقيل هى صلاة الجمعة، وقيل الجنازة، وقيل صلاة العيد، وحكمة إخفائها ليحافظ الانسان على ذلك كله كما أخفى ليلة القدر فى سائر الليالى ليقوم الانسان جميع الليالى، وساعة الاجابة فى يوم الجمعة،

والرجل الصالح فى الخلق، واختار

(حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ) الخمس بأدائها فى أوقاتها (وَالصَّلَوٰةِ الْوُسْطَى) هى العصر أو الصبح أو الظهر أو غيرها أقوال وأفردها بالذكر لفضلها (وَقُومُوا لِلّٰهِ) فى الصلاة (قَانِتِينَ) قيل مطيعين لقوله صلى الله عليه وسلم « كل قنوت فى القرآن فهو طاعة » رواه أحمد وغيره، وقيل ساكتين لحديث زيد بن أرقم « كنا نتكلم فى الصلاة حتى نزلت فأمرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام » رواه الشيخان (فَإِنْ خِفْتُمْ) من عدو أو سيل أو سبع (فَرِجَالاً) جمع راجل أى مشاة صلوا (أَوْ رُكْبَانًا) جمع راكب أى كيف أمكن مستقبلى القبلة أو غيرها و يومئ بالركوع والسجود (فَإِذَا أَمِنْتُمْ) من الخوف (فَاذْكُرُوا اللّٰهَ) اى صلوا (كَمَا عَلَّمَكُم مَّالَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ) قبل تعليمه من فرائضها وحقوقها والكاف بمعنى مثل وما موصولة أو مصدرية (وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا) فليوصوا (وَصِيَّةً) وفى قراءة بالرفع أى عليهم (لِأَزْوَاجِهِمْ) و يعطوهن (مَتَاعًا) مايتمتعن به من النفقة والكسوة (إِلَى) تمام (الْحَوْلِ) من موتهم الواجب عليهن تربصه (غَيْرَ إِخْرَاجٍ) ،

ابن العربى وابن أبى جمرة أن الصلاة الوسطى هى مجموع العصر والصبح مستدلين بأدلة كثيرة تشهد بفضل هذين الوقتين (قوله وأفردها بالذكر لفضلها) أشار بذلك لنكتة عطفها على الصلوات لأن عطف الخاص على العام يحتاج لنكتة (قوله قيل مطيعين) أى لامكرهين ولا كسالى بل ممتثلين الأمر مجتنبين النهى (قوله وقيل ساكتين) أى إلا عن ذكر الله و يلحق به مخاطبة النبى فانها لاتبطل الصلاة (قوله من عدو) أى مسلم أوكافر وقوله أوسيل أوسبع أى دافع كل منهما الناس لوتوانى واحد منهم أخذه ماذكر (قوله جمع راجل) أى و يجمع أيضا على رجل بسكون الجيم قال تعالى ـ وأجلب عليهم بخيلك ورجلك ـ و يجمع أيضا على رجال بتشديد الجيم المفتوحة (قوله أى مشاة) أى مستقبلين القبلة أم لا (قوله جمع راكب) هو فى الأصل راكب الابل لكن المراد به هنا الراكب مطلقا إبلا أو غيرها، ولصلاة الخوف أقسام تأتى فى سورة النساء (قوله أى صلوا) إنما سمى الصلاة ذكرا لأنها جمعت أنواع الذكر (قوله كما علمكم) أى على الصفة التى علمكم إياها قبل حصول الخوف ولوركعة، وحكمة الاتيان فى جانب الخوف بان التى تفيد الشك و باذا فى جانب الأمن المفيدة للتحقق الاشارة إلى أن الأصل الأمن وهومحقق والخوف طارئ يزول (قوله وماموصولة) أى والعائد محذوف والتقدير فاذكروا الله ذكرا مثل الذكر الذى علمكموه مالم تكونوا تعلمون وما الثانية بدل من ما الأولى أومن الضمير المحذوف وقوله أومصدرية أى تسبك بمصدر وظاهره أن الكاف أيضا بمعنى مثل ولكنه بعيد فالأظهر أنها للتعليل والتقدير فاذكروا الله لأجل تعليمه إياكم مالم تكونوا تعلمون ومامعمول لتعليم (قوله والذين يتوفون منكم) حاصله أنه كان فى صدر الاسلام يجب على الرجل إذا حضرته الوفاة أن يوصى بالنفقة والكسوة والسكنى لزوجته سنة لأنها عدتها ولاينقطع عنها ذلك إلا بخروجها من نفسها ثم نسخ ذلك (قوله وفى قراءة بالرفع) أى وهى سبعية (قوله متاعا) مفعول لمحذوف قدره المفسر بقوله و يعطوهن

(قوله حال) أي من الزوجات (قوله كالتزين وترك الاحداد) أي فكان حلالا لها في العدة (قوله وقطع النفقة عنها) أي بخروجها من نفسها من غير إخراج أحد لها (قوله المتأخرة في النزول) جواب عن سؤال، وهو أن المتقدم لا ينسخ المتأخر أجاب بأنه وإن تقدم تلاوة إلا أنه متأخر في النزول (قوله والسكنى ثابتة لها عند الشافعي) أي أربعة أشهر وعشرا وأما عند مالك فهي ثابتة لها إن كان المسكن له أو نقد كراءه وإلا نقدت هي كراءه ومكثت مكانها حتى تخرج من العدة (قوله وللمطلقات) أي مطلقا قبل الدخول أو بعده إلا من طلقت قبل الدخول وأخذت نصف الصداق فلا متعة لها وزاد مالك المختلعة فلا متعة لها أيضا (قوله متاع) أي متعة وهي بقدر إمكان الزوج فقط عند مالك وعند الشافعي بقدرهما ويسن أن لا تنقص عن ثلاثين درهما (قوله على المتقين) إنما قال هنا ذلك وقال فيما تقدم على المحسنين لأن بعض الأعراب حين نزلت الآية الأولى طلق زوجته ولم يمتعها وقال إن أردت أحسنت وإن أردت لم أحسن فنزلت حقا على المتقين (قوله بفعله المقدر) أي تقديره أحقه حقا (قوله إذ الآية السابقة في غيرها) أي وأما هذه فهي عامة في كل مطلقة ماعدا المطلقة قبل الدخول وأخذت نصف المهر والمختلعة والمخيرة والمملكة عند مالك (قوله كما بين لكم ماذكر) هذا وعد من الله ببيان كل شيء في القرآن ولذا قال الشافعي لوضاع مني عقال بعير لوجدته في القرآن (قوله استفهام تعجيب) أي إيقاع في العجب والخطاب قيل للنبي وقيل لكل من يصلح للخطاب وهو أولى (قوله وتشويق) أي إيقاعه في الشوق لأن ما سيق بعد الطلب ألذ مما سيق بلا تعب وعطف التشويق على التعجيب من عطف المسبب على السبب (قوله أي ينته علمك) أشار بذلك إلى أن تر مضمن معنى ينته والحامل له على ذلك تصريحه بالى وإلا فرأى علمية تتعدى للمفعولين بنفسها (قوله ألفا) تمييز حذفه من الأول لدلالة الأخير عليه وقد ذكر المفسر ستة أقوال أصحها الثلاثة الأخيرة لأن ألوفا جمع كثرة ومبدؤه بعد العشرات (قوله مفعول له) أي لأجله وقد استوفى شروطه المذكورة في العربية (قوله ففروا) أخذت الأئمة من الآية النهي عن الخروج من بلد فيها الطاعون فقال مالك بالكراهة وقال الشافعي بالحرمة (قوله فماتوا) قدره المفسر لعطف قوله ثم أحياهم عليه وقوله فقال لهم قيل المراد على لسان ملك وقيل كناية عن سرعة الإيجاد (قوله بعد ثمانية أيام) أي حتى انتثرت عظامهم وذاب لحمهم (قوله حزقيل) هو الخليفة الثالث في بني إسرائيل بعد موسى لأن موسى لما حضرته الوفاة خلف يوشع بن نون فلما حضرته الوفاة خلف كالب ثم عند موته خلف حزقيل ويسمى ابن العجوز لأنه جاءها وهي عجوز ويلقب بذي الكفل لأنه كفل أي وقى سبعين نبيا من القتل، ورد أنه لما مر عليهم وهم موتى قال يارب كنت في قوم يحمدونك ويهللونك ويكبرونك فبقيت وحدي لا قوم لي فأوحى الله إليه أن قل أيها العظام إن الله يأمرك أن تجتمعي فاجتمعت العظام فأوحى الله إليه أن قل أيها العظام إن الله يأمرك أن تكتسي لحما فاكتست ثم أمره الله أن يقول لها إن الله يأمرك أن تقومي فقاموا قائلين سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت . إن قلت كيف مات هؤلاء مرتين مع قوله تعالى - لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى - قلت إن الموت قبل استيفاء الأجل إما عقوبة كموت الذين سألوا الرؤية قبلهم أو عبرة كموت العزير وحماره

حال أي غير مخرجات من مسكنهن (فَإِنْ خَرَجْنَ) بأنفسهن (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ) يا أولياء الميت (فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ) شرعا كالتزين وترك الإحداد وقطع النفقة عنها (وَاللَّهُ عَزِيزٌ) في ملكه (حَكِيمٌ) في صنعه والوصية المذكورة منسوخة بآية الميراث وتربص الحول بآية أربعة أشهر وعشرا السابقة المتأخرة في النزول والسكنى ثابتة لها عند الشافعي رحمه الله (وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ) يعطينه (بِالْمَعْرُوفِ) بقدر الإمكان (حَقًّا) نصب بفعله المقدر (عَلَى الْمُتَّقِينَ) الله تعالى كرره ليعم الممسوسة أيضا إذ الآية السابقة في غيرها (كَذَٰلِكَ) كما بين لكم ماذكر (يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) تتدبرون (أَلَمْ تَرَ) استفهام تعجيب وتشويق إلى استماع ما بعده أي ينته علمك (إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ) أربعة أو ثمانية أو عشرة أو ثلاثون أو أربعون أو سبعون ألفا (حَذَرَ الْمَوْتِ) مفعول له وهم قوم من بني إسرائيل وقع الطاعون ببلادهم ففروا (فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا) فماتوا (ثُمَّ أَحْيَاهُمْ) بعد ثمانية أيام أو أكثر بدعاء نبيهم حزقيل بكسر المهملة والقاف وسكون الزاي ، فعاشوا

فعاشوا دهراً عليهم أثر الموت لا يلبسون ثوبا إلا عاد كالكفن واستمرت فى أسباطهم (إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ) ومنه إحياء هؤلاء (وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ) وهم الكفار (لَا يَشْكُرُونَ) والقصد من ذكر خبر هؤلاء تشجيع المؤمنين على القتال ولذا عطف عليه (وَقَٰتِلُوا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ) أى لإعلاء دينه (وَٱعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ) لأقوالكم (عَلِيمٌ) بأحوالكم فيجازيكم (مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ) بإنفاق ماله فى سبيل الله (قَرْضًا حَسَنًا) بأن ينفقه لله عز وجل عن طيب قلب (فَيُضَٰعِفَهُۥ) وفى قراءة فيضعفه بالتشديد (لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً) من عشر إلى أكثر من سبعمائة كما سيأتى (وَٱللَّهُ يَقْبِضُ) يمسك الرزق عمن يشاء ابتلاء (وَيَبْصُۜطُ) يوسعه لمن يشاء امتحانا (وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) فى الآخرة بالبعث فيجازيكم بأعمالكم (أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ) الجماعة (مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ،

(قوله فعاشوا دهرا) أى مدة عمرهم (قوله أثر الموت) أى من الصفرة (قوله واستمرت فى أسباطهم) أى أولادهم كما هو مشاهد فى بعض اليهود (قوله ومنه إحياء هؤلاء) أى ليعتبروا ويظفروا بالسعادة (قوله تشجيع المؤمنين) أى حملهم على القتال (قوله ولذا عطف عليه) أى على الخبر المذكور وقيل معطوف على قوله حافظوا على الصلوات الآية ومابينهما اعتراض (قوله لاعلاء دينه) أى لا لغنيمة ولا لإظهار شجاعة ونحو ذلك (قوله واعلموا الخ) فيه وعد للمجاهدين ووعيد لمن تخلف عنهم (قوله فيجازيكم) أى على مايعلم منكم فالجزاء على حسب البواطن لا الظواهر (قوله من ذا الذى) يحتمل أن من اسم استفهام مبتدأ وذا خبر والذى بدل منها ويقرض صلة الوصول لامحل لها من الاعراب ويحتمل أن من ذا اسم استفهام مبتدأ والذى خبر ويقرض صلة الوصول (قوله يقرض الله) أى يسلفه وهذا من تنزلات المولى لعباده حيث خاطبهم مخاطبة المحتاج المضطر مع أنه غنى عنهم رحمة بهم على حد كتب ربكم على نفسه الرحمة وسماه هنا قرضا وفى آية براءة بيعا وفى الحقيقة لابيع ولا قرض لأن الملك كله له وحينئذ فليست مضاعفته على ذلك ربا لأنه لا تجرى أحكام الربا بين السيد وعبده الحادثين لملكه له صورة فأولى بين السيد المالك القديم وعبده الذليل الضعيف الذى لايملك شيئا أصلا فمن إحسانه عليه خلق ونسب إليه (قوله قرضا) مفعول مطلق لقوله يقرض (قوله عن طيب قلب) أى لارياء ولاسمعة بل ينفقه من حلال خالصا لله (قوله فيضاعفه) بالرفع والنصب والتشديد والتخفيف قراآت أربع سبعية فالرفع عطف على يقرض والنصب بأن مضمرة بعد فاء السببية فى جواب الاستفهام (قوله كما سيأتى) أى فى قوله تعالى ـ مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة ـ الآية وكثرة المضاعفة على حسب الاخلاص قال عليه الصلاة والسلام «الله الله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضا من بعدى فوالذى نفسى بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا مابلغ مد أحدهم ولانصيفه» (قوله والله يقبض ويبسط) هذا كالدليل لما قبله أى إن الانفاق لايقبض الرزق وعدمه لايبسطه بل القابض الباسط هو الله (قوله ابتلاء) أى اختبارا هل يصبرون ولا يشكون أم لا (قوله امتحانا) أى هل يشكرون أم لا فالمطلوب من الانسان أن يكون كما قال الشاعر :

وتستغن ما أغناك ربك بالغنى ... وإذا تصبك خصاصة فتحمل

فلايشكو ربه فى حال فقره ولايطغى فى حال غناه قال أهل الاشارات فى الآية إشارة خفية إلى أن القبض لا بد وأن يعقبه بسط بخلاف العكس (قوله فيجازيكم بأعمالكم) أى فيثيب المنفق ويعذب الممسك (قوله ألم تر) ضمنت معنى ينته فعديت بالى كما تقدم نظيره والاستفهام هنا نظير ماتقدم فالمقصود من ذكر هذه القصة العبرة حيث كانوا كثيرا ولم يوجد الصدق فى غالبهم فالمعنى لاتكونوا يا أمة محمد كمن ذكروا فى الجبن والمخالفة (قوله الجماعة) أى الأشراف لأنهم هم الذين يملئون العين هيبة وأنسا (قوله من بنى إسرائيل) من تبعيضية . وحاصل مبدأ تلك القصة أنه عند وفاة موسى خلف الله على بنى إسرائيل يوشع بن نون فقام بالخلافة حق القيام ثم لما مات خلف عليهم كالب ثم حزقيل ثم إلياس ثم اليسع فقاموا جميعا بالخلافة كمن قبلهم ثم ظهرت لهم العمالقة وكانوا فى بلد قريبة من بيت المقدس يقال لها فلسطين وهم من أولاد عمليق بن عاد فغلبوا على كثير من بلادهم وأسروا من أبناء ملوكهم أربعمائة وزيادة وضربوا عليهم الجزية ولم يكن فيهم إذ ذاك نبى ولا ذرية نبى إلا امرأة حبلى من ذرية لاوى من أولاد يعقوب فولدت غلاما فسمته شمويل فلما كبر نبأه الله عليهم وأرسله إليهم ثم إنهم طلبوا منه ملكا يقيم أمرهم ويرشدهم لما فيه صلاحهم فأقام لهم طالوت إلى آخر ماقصه الله .

(قوله من بعد موسى) من ابتدائية (قوله إلى قصتهم وخبرهم) بيان للمراد من الآية لأنه لامعنى لرؤية ذواتهم (قوله نقاتل) مجزوم فى جواب الأمر (قوله والاستفهام لتقرير التوقع) والمعنى أترقب منكم عدم القيام بالقتال وقوله خبر عسى أى واسمها التاء وقوله إن كتب عليكم القتال جملة معترضة بين اسمها وخبرها وجواب الشرط محذوف تقديره فلا تقاتلوا (قوله قالوا ومالنا أن لا نقاتل) ما استفهامية بمعنى شىء مبتدأ ولنا متعلق بمحذوف خبر وأن مقدر قبلها الجار ولا بمعنى عدم و يكون المعنى أىّ شىء ثبت لنا فى عدم القتال (قوله وقد أخرجنا) جملة حالية والمعنى أخرج أصولنا وأبناؤهم (قوله فعل بهم ذلك قوم جالوت) أى حين مات آخر نبى لهم وهو اليسع وضربوا عليهم الجزية وأسروا من أبناء ملوكهم أربعمائة وشيئا فضلا عن غيرهم (قوله أى لامانع لنا منه) تفسير للمعنى المراد من الآية (قوله فلما كتب عليهم القتال) مرتب على محذوف تقديره فدعا شمويل ربه بذلك فبعث لهم ملكا وكتب عليهم القتال فلما كتب عليهم الخ (قوله وجبنوا) عطف تفسير وهو ترك القتال خوف الموت وسيأتى بيان جبنهم (قوله إلا قليلا) منصوب على الاستثناء من الواو فى تولوا وهو استثناء متصل وكان عدتهم ثلثمائة وثلاثة عشر

مِنْ بَعْدِ) موت (مُوسَى) أى إلى قصتهم وخبرهم (إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ) هو شمويل (ابْعَثْ) أقم (لَنَا مَلِكاً نُقَاتِلْ) معه (فِي سَبِيلِ اللهِ) تنتظم به كلمتنا ونرجع إليه (قَالَ) النبى لهم (هَلْ عَسَيْتُمْ) بالفتح والكسر (إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَنْ لَا تُقَاتِلُوا) خبر عسى والاستفهام لتقرير التوقع بها (قَالُوا وَمَا لَنَا أَنْ لَا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا) بسبيهم وقتلهم وقد فعل بهم ذلك قوم جالوت أى لا مانع لنا منه مع وجود مقتضيه قال تعالى (فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا) عنه وجبنوا (إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ) وهم الذين عبروا النهر مع طالوت كما سيأتى (وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ) فمجازيهم، وسأل النبى ربه إرسال ملك فأجابه إلى إرسال طالوت (وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً قَالُوا أَنَّى) كيف (يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ) لأنه ليس من سبط المملكة ولا النبوة، وكان دباغا أو راعيا (وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ) يستعين بها على إقامة الملك (قَالَ) النبى لهم (إِنَّ اللهَ اصْطَفَاهُ) اختاره للملك (عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً) سعة (فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ) وكان أعلم بنى إسرائيل يومئذ وأجملهم وأتمهم خلقا (وَاللهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ) إيتاءه لا اعتراض عليه (وَاللهُ وَاسِعٌ) فضله (عَلِيمٌ) بمن هو أهل له (وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ) لما طلبوا منه آية على ملكه (إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ) الصندوق كان فيه صور الأنبياء

(قوله والله عليم بالظالمين) أى منهم وهذا وعيد عظيم لمن جبن عن القتال (قوله كيف) تفسير لأنى والعامل فيها يكون (قوله لأنه ليس من سبط المملكة) أى لكونه لم يكن من ذرية يهوذا بن يعقوب وقوله ولا النبوة أى لكونه لم يكن من ذرية لاوى بل هو من ذرية بنيامين أصغر أولاد يعقوب وكانت ذريته لا نبوة فيهم ولا مملكة بل أقيموا فى الحرف الدنيئة من أجل معاصيهم (قوله سعة) أصله وسع حذفت فاء الكلمة وهى الواو وعوض عنها تاء التأنيث كما فى عدة وزنة وحذفت فى مضارعه لوقوعها بين عدوتيها لأن أصله يوسع

انزله

(قوله وكان أعلم بنى إسرائيل) أى فكان يحفظ التوراة وقوله وأتمهم خلقا أى فكان يزيد على أهل زمانه بكتفيه ورأسه. قيل ورد أنه لما دعا شمويل ربه أن يبعث لهم ملكا أعطاه الله قرنا فيه طيب ويسمى طيب القدس وعصا وأوحى إليه إذا دخل عليك رجل اسمه طالوت فانظر فى القرن فاذا فار فادهن رأسه به وقسه بالعصا فاذا جاء طولها فهو الملك فلما دخل عليه فعل به كما أمر فاذا هو طولها ثم دهن رأسه بذلك الدهن وقال له إن الله جعلك ملكا على بنى إسرائيل فقال كيف ذلك مع أنى أدنى منهم فقال له الله يؤتى ملكه من يشاء (قوله عليم بمن هو أهل له) أى فلا حرج عليه فى فعل ولا ترك (قوله وقال لهم نبيهم) أى حين استبعدوا مجىء الملك اه (قوله لما طلبوا منه آية) لما بمعنى حين ظرف لقوله قالوا أى وقع منهم القول وقت طلبهم منه آية (قوله الصندوق) ويقال بالزاى والسين وكل من الثلاثة إما مفتوح أو مضموم أفصحها بالصاد مع الضم وكان من خشب الشمشار وطوله ثلاثة أذرع وعرضه ذراعان مموه بالذهب وكان عند آدم فيه صور الأنبياء جميعهم وفيه صورة محمد وبيته وأصحابه وقيامه يصلى بينهم ثم توارثه ذرية آدم إلى أن وصل لموسى فكان يضع فيه التوراة ووضع فيه بقية الألواح التى تكسرت ثم أخذه بنو إسرائيل بعد

موسى وكانوا إذا خرجوا للقتال يقدّمونه بين أيديهم وكانت الملائكة تحمله فوق رءوس القاتلين ثم يشرعون فى القتال فإذا سمعوا صيحة تيقنوا النصر فلما انقرضت أنبياؤهم سلط الله عليهم العمالقة بسبب فسادهم فأخذوا منهم الصندوق وجعلوه فى موضع البول والغائط فلما أراد الله إظهار ملك طالوت سلط الله عليهم البلاء فكان كل من بال عنده ابتلى بالبواسير حتى خربت خمسة بلاد من بلادهم فلما كبر خوفهم منه أخرجوه للخلاء ثم حملته الملائكة وأتت به لطالوت (قوله أنزله الله على آدم) أى ثم توارثه ذريته من بعده (قوله فغلبتهم العمالقة) أى بعد موت أنبيائهم (قوله وكانوا يستفتحون به) أى يطلبون الفتح والنصر به (قوله ويسكنون إليه) أى يطمئنون بقدومه على العدو (قوله طمأنينة لقلوبكم) أى ففى للسببية فالمعنى أن السكينة تحصل بسببه ومن أجله ، وقيل المراد بالسكينة صورة من زبرجد على صورة الهرة غير أن لها جناحين فإذا صوّتت فى الصندوق استبشروا بالنصر وقيل المراد بالسكينة صور الأنبياء فالظرفية على بابها (قوله أى تركاه هما) بيان للمراد من الآية فأطلق الآل وأراد منه نفس موسى وهرون وكثيرا ما يطلق آل الرجل على الرجل نفسه (قوله ورضاض الألواح) أى كسرها (قوله حال من فاعل يأتيكم) أى وهو التابوت (قوله إن فى ذلك) أى إتيان التابوت على الوصف المذكور (قوله فاختار من شبابهم) أى الذين لا شاغل لهم دنيوى لأنه كان لا يأخذ من كان عنده بناء لم يتم ومن عقد على زوجة ولم يدخل بها ومن كان مشغولا بتجارة (قوله سبعين ألفا) وقيل ثمانون ألفا وقيل مائة ألف وعشرون ألفا (قوله فلما فصل) أى انفصل وهو مرتب على محذوف تقديره فجمعهم (قوله وهو بين الأردن) بفتح الهمزة وسكون الراء وضم الدال وتشديد النون موضع قريب من بيت المقدس وقوله وفلسطين بفتح الفاء وكسرها وفتح اللام لا غير قال بعضهم إنه قرية وقال بعضهم إنه عدة قرى قرب بيت المقدس (قوله فمن شرب منه) أى بكثرة بدليل ما بعده وهذا النهر باق يجرى إلى الآن بين الخليل وغزة (قوله يذقه) أشار بذلك إلى أن الطعم بمعنى الذوقان يطلق على المأكول والمشروب (قوله بالفتح والضم) قراءتان سبعيتان بمعنى الشىء المغروف وقيل بالفتح اسم للاغتراف وبالضم اسم للشىء المغروف وقيل بالفتح والضم بمعنى المصدر أشهرها أوسطها (قوله إلا قليلا منهم) استثناء من قوله فشربوا منه المقيد بالكثرة فالمعنى إلا قليلا شربوا منه بقلة فيؤخذ منه أن الجميع شربوا لكن أكثرهم شرب بكثرة وأقلهم شرب منه بقلة (قوله وبضعة عشر) البضعة من ثلاثة عشر إلى تسعة عشر لكن المراد هنا ثلاثة عشر كما فى أكثر الروايات وهم عدة غزوة بدر (قوله فلما جاوزه) أى تعداه (قوله وجنوده) قيل عدتهم مائة ألف شاكى السلاح وقيل أكثر وكان طول جالوت ميلا وخوذته التى على رأسه ثلثمائة رطل (قوله قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله) استشكل بأن من

أنزله الله على آدم واستمر إليهم فغلبتهم العمالقة عليه وأخذوه وكانوا يستفتحون به على عدوهم ويقدمونه فى القتال ويسكنون إليه كما قال تعالى (فِيهِ سَكِينَةٌ) طمأنينة لقلوبكم (مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ) أى تركاه هما وهى نعلا موسى وعصاه وعمامة هرون وقفيز من المن الذى كان ينزل عليهم ورضاض الألواح (تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ) حال من فاعل يأتيكم (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ) على ملكه (إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) فحملته الملائكة بين السماء والأرض وهم ينظرون إليه حتى وضعته عند طالوت فأقروا بملكه وتسارعوا إلى الجهاد فاختار من شبابهم سبعين ألفاً (فَلَمَّا فَصَلَ) خرج (طَالُوتُ بِالْجُنُودِ) من بيت المقدس وكان حراً شديداً وطلبوا منه الماء (قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ) مختبركم (بِنَهَرٍ) ليظهر المطيع منكم والعاصى وهو بين الأردن وفلسطين (فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ) أى من مائه (فَلَيْسَ مِنِّي) أى من أتباعى (وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ) يذقه (فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً) بالفتح والضم (بِيَدِهِ) فاكتفى بها ولم يزد عليها فإنه منى (فَشَرِبُوا مِنْهُ) لما وافوه بكثرة (إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ) فاقتصروا على الغرفة . روى أنها كفتهم لشربهم ودوابهم وكانوا ثلثمائة وبضعة عشر رجلا (فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ) وهم الذين اقتصروا على الغرفة (قَالُوا) أى الذين شربوا (لَا طَاقَةَ) قوة (لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ) أى بقتالهم وجبنوا ولم يجاوزوه (قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ) يوقنون (أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ) بالبعث وهم الذين جاوزوه (كَمْ) خبرية بمعنى كثير (مِنْ فِئَةٍ) جماعة (قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ) بإرادته ،

شرب كثيرا مؤمنون أيضا. وأجيب بأنهم سلب إيمانهم بكثرة شربهم. وأجيب أيضا بأن المراد يظنون أنهم ملاقوا الله أى بالموت فى تلك الوقعة فلا أمل لهم فى الحياة (قوله والله مع الصابرين) قيل من كلامهم وقيل من كلام الله بشارة لهم والمراد معية معنوية خاصة (قوله أى ظهروا لقتالهم) أى فلم يبق بينهم حجاب أبدا بل خرجوا فى البراز الذى هو صحراء الأرض (قوله اصبب علينا صبرا) أى كصب الماء على الأرض الجرز (قوله وقتل داود) أى ابن إيشا وكان إيشا من جملة عسكر طالوت وكان أولاده ثلاثة عشر معه أصغرهم داود وكان يرعى الغنم فلما خرجوا للقتال مرّ داود بحجر فناداه ياداود احملنى فانى حجر هرون فحمله ثم مر بآخر فقال له احملنى فانى حجر موسى فحمله ثم مر بآخر فقال له احملنى فانى حجرك الذى تقتل به جالوت فحمله ووضع الثلاثة فى مخلاته فلما تصافوا للقتال نادى طالوت كل من يقتل جالوت أزوجه ابنتى وأناصفه فى ملكى فلم يتقدم أحد فسأل طالوت شمويل فدعا ربه فأتى بقرن فيه دهن وقيل له إن الذى يقتل جالوت هو الذى إذا وضع الدهن على رأسه لايسيل على وجهه فدعا طالوت القوم فصار يدهن رءوسهم فلم تصادف تلك الصفة أحدا إلى أن وصل لداود فصادف فقال له أنت تبرز له فقال نعم فأتى بالمقلاع وأخرج حجرا من مخلاته وقال باسم رب إبراهيم وأخرج حجرا آخر وقال باسم رب إسحق وأخرج حجرا آخر وقال باسم رب يعقوب ثم وضعها فى مقلاعه فصارت الثلاثة حجرا واحدا فرمى به جالوت فأصابه فى خوذته وخرج من دماغه فقتل ثلاثين رجلا فأخذ داود جالوت حتى ألقاه بين يدى طالوت ففرح هو ومن معه من بنى

إسرائيل وزوجه ابنته وأعطاه نصف الملك فمكث كذلك أربعين سنة فلما مات طالوت وشمويل انفرد بالملك فعاش نبيا ملكا سبع سنين ثم خلفه سليمان ولده فى النبوة والملك (قوله وآتاه الله الملك) أى استقلالا سبع سنين (قوله كصنعة الدروع) أى وكان يلين فى يده من غير نار وينسجه كالغزل (قوله ومنطق الطير) أى فهم أصواتها بل وجميع الحيوانات (قوله ولولا دفع الله الناس)

(وَاللّٰهُ مَعَ الصَّابِرِينَ) بالعون والنصر (وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ) أى ظهروا لقتالهم وتصافوا (قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ) أصبب (عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا) بتقوية قلوبنا على الجهاد (وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ. فَهَزَمُوهُمْ) كسروهم (بِإِذْنِ اللّٰهِ) بإرادته (وَقَتَلَ دَاوُدُ) وكان فى عسكر طالوت (جَالُوتَ وَآتَاهُ) أى داود (اللّٰهُ الْمُلْكَ) فى بنى إسرائيل (وَالْحِكْمَةَ) النبوة بعد موت شمويل وطالوت ولم يجتمعا لأحد قبله (وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ) كصنعة الدروع ومنطق الطير (وَلَوْلَا دَفْعُ اللّٰهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ) بدل بعض من الناس (بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ) بغلبة المشركين وقتل المسلمين وتخريب المساجد (وَلٰكِنَّ اللّٰهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ) فدفع بعضهم ببعض (تِلْكَ) هذه الآيات (آيَاتُ اللّٰهِ نَتْلُوهَا) نقصها (عَلَيْكَ) يا محمد (بِالْحَقِّ) بالصدق (وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ) التأكيد بإن وغيرها رد لقول الكفار له لست مرسلا (تِلْكَ) مبتدأ (الرُّسُلُ) صفة والخبر (فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ)

أى لولا أن الله يدفع الناس وهم أهل الكفر والمعاصى ببعض الناس وهم أهل الايمان بتخصيصه والطاعة لغلب المشركون على الأرض فقتلوا المؤمنين وخرّبوا المساجد والبلاد وقيل معناه لولا دفع الله بالمؤمنين والأبرار عن الكفار والفجار لفسدت الأرض أى هلكت ومن فيها ولكن الله يدفع بالمؤمن عن الكافر وبالصالح عن الفاجر. وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة من أهل بيت من جيرانه البلاء ثم قرأ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض الآية » (قوله ولكن الله ذو فضل على العالمين) يعنى أن دفع الفساد على هذا الوجه بطريق إنعام الله وتفضله فعم الناس كلهم ومن المعلوم أن لولا حرف امتناع لوجود فالمعنى امتنع فساد الأرض لأجل وجود دفع الناس بعضهم عن بعض وهذه الآية كالدليل لما ذكر فى القصة من مشروعية القتال ونصر داود على جالوت (قوله هذه الآيات) أى فالاشارة عائدة على ما تقدم من أول الربع إلى آخره لما فيه من عظيم العجائب والاشارة فى الآية للبعد نظرا لبعد زمن تلك القصة وإنما فسره بالقريب نظرا للفظ الدال عليها فأفاد المفسر أنه يصح إرادة المعنيين فلا مخالفة بين إشارة الآية وإشارة المفسر (قوله بالصدق) أى الذى لايحتمل النقيض (قوله وغيرها) أى وهى اللام والجملة الاسمية (قوله تلك الرسل) اسم الاشارة عائد على الرسل المذكورين من أول السورة إلى هنا أو على المذكورين باصقها وأتى بالاشارة البعيدة نظرا لبعد زمنهم أو لبعد رتبتهم وعلوها عند الله (قوله صفة) أى أو عطف بيان أو بدل لأن المحلى بأل بعد اسم الاشارة يجوز فيه الثلاثة .

(قوله بتخصيصه بمنقبة) أى بصفة الكمال وذلك بفضل الله لا بصفة قائمة بذاته بحيث تقتضى التخصيص بالمناقب لذاته قال تعالى - ولولا فضل الله عليكم ورحمته مازكا منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكى من يشاء - (قوله منهم من كلم الله) بيان للتفضيل وقوله كلم الله أى كله الله بغير واسطة (قوله كموسى) أى فى الطور ليلة الحيرة وغيرها والحق أن كلام الله لموسى لايحصى بعدد وأدخلت الكاف محمدا ليلة الاسراء وإنما لم يشتهر بالكلام لأنه حاز منصبا أشرف من المكالمة وهى الرؤية (قوله أى محمدا) مثل هذا التفسير لايقال من قبل الرأى بل هو الوارد وقد أشار لذلك العارف بقوله :

فان الله كلم ذاك وحيا ... وإن ذكروا نجىّ الطور فاذكر ... نجى العرش مفتقرا لتغنى

بما كذب الفؤاد فهمت معنى ... وكلم ذا مشافهة وأدنى ... وإن قابلت لفظة لن ترانى

فموسى خر مغشيا عليه ... وأحمد لم يكن ليزيغ ذهنا

(قوله بعموم الدعوة) أى لجميع المخلوقات حتى الجمادات والملائكة والجن ولايرد حكم سليمان فى الجن فانه حكم سلطنة لارسالة (قوله وختم النبوة) أى فلا نبى بعده تبتدأ رسالته ويلزم من ذلك نسخه لشرع غيره وعدم نسخ شرعه (قوله وتفضيل أمته على سائر الأمم) قال تعالى - كنتم خير أمة أخرجت للناس - وأما قوله تعالى فى حق بنى اسرائيل

بتخصيصه بمنقبة ليست لغيره (مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ) كموسى (وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ) أى محمداً صلى الله عليه وسلم (دَرَجَاتٍ) على غيره بعموم الدعوة، وختم النبوة، وتفضيل أمته على سائر الأمم والمعجزات المتكاثرة والخصائص العديدة (وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ) قويناه (بِرُوحِ الْقُدُسِ) جبريل يسير معه حيث سار (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ) هُدى الناس جميعاً (مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ) بعد الرسل أى أممهم (مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ) لاختلافهم وتضليل بعضهم بعضاً (وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا) لمشيئة ذلك (فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ) ثبت على إيمانه (وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ) كالنصارى بعد المسيح (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا) تأكيد (وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ) من توفيق من شاء وخذلان من شاء (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ) زكاته (مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ) فداء (فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ) صداقة تنفع (وَلَا شَفَاعَةٌ) بغير إذنه وهو يوم القيامة وفى قراءة برفع الثلاثة (وَالْكَافِرُونَ) بالله أو بما فرض عليهم (هُمُ الظَّالِمُونَ) لوضعهم أمر الله فى غير محله (اللَّهُ لَا إِلَهَ) أى لامعبود بحق فى الوجود (إِلَّا هُوَ الْحَيُّ)،

- وأنى فضلتكم على العالمين - فالمراد عالمو زمانهم (قوله والمعجزات المتكاثرة) أى الكثيرة التى لاتحصى بحد ولاعد قال العارف البوصيرى : إنما فضلك الزمان وآيا لك فيما نعده الآناء (قوله والخصائص العديدة) أى كالحوض المورود والمقام المحمود والوسيلة وغير ذلك (قوله البينات) أى كاحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص (قوله يسير معه حيث سار) أى من مبدأ خلقته لأن خلقه كان على يده (قوله هدى الناس) مفعول لشاء وقوله ما اقتتل جواب لو وهو اشارة لقياس استثنائى نظمه أن تقول لو شاء الله هدى الناس جميعا مااقتتل الذين من بعد الرسل لكنهم اقتتلوا فلم يشأ الله هداهم جميعا (قوله بعد الرسل) أى بعد مجيئهم (قوله أى أممهم) تفسير للذين وقوله من بعد ماجاءتهم متعلق باقتتل ومامصدرية أى من بعد مجىء البينات لهم (قوله لاختلافهم) علة للاقتتال (قوله ولكن اختلفوا) هذا استثناء لنقيض التالى فينتج نقيض المقدم وهو لم يشأ الله هداهم لكنه عبر بالسبب وهو الاختلاف عن المسبب وهو الاقتتال (قوله لمشيئة ذلك) أى فلو شاء هداهم لم يختلفوا ولم يقتتلوا فالحق واضح ظاهر وإنما كفر من كفر بارادة الله عدم إيمانه فالعبد مجبور فى قالب مختار (قوله ثبت على إيمانه) أى بارادة الله (قوله زكاته) قدره اشارة إلى أن المراد الانفاق الواجب بدليل الوعيد العظيم ونحو الزكاة كل نفقة واجبة (قوله بغير إذنه) أشار بذلك إلى أن الآية مطلقة فتحمل على المقيدة وهى قوله تعالى - من ذا الذى يشفع عنده إلا باذنه - (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية (قوله برفع الثلاثة) أى على أن لانافية مهملة أو عاملة عمل ليس لأنها إذا تكررت جاز إعمالها وإلغاؤها وأما على القراءة الأولى فهى عاملة عمل إن تنصب الاسم وترفع الخبر (قوله بالله) أى فهو كفر حقيقى وقوله أو بما فرض عليهم : أى بالتفريط فى الفرائض وهو كفر مجازى (قوله الله لاإله إلا هو) هذه الآية تسمى آية الكرسى وهو أفضل آى القرآن لأن التوحيد الذى استفيد منها لم يستفد

من آية سواها لأن الشيء يشرف بشرف موضوعه فإنها اشتملت على أمهات المسائل الدالة على ثبوت الكمالات لله ونفي النقائص عنه تعالى، وورد في فضلها من الأحاديث الكثيرة مايجل عن الحصر: منها من قرأها عند خروجه من بيته كان في ضمان الله حتى يرجع ومنها من قرأها دبر كل صلاة لم يمنعه من دخول الجنة إلا الموت ومنها ماقرئت في دار إلا هجرتها الشياطين ثلاثين يوما ولايدخلها ساحر ولاساحرة أربعين ليلة ، ياعلى علمها ولدك وأهلك وجيرانك فما نزلت آية أعظم منها ومنها من قرأها إذا أخذ مضجعه آمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والأبيات حوله ، ومنها سيد الكلام القرآن وسيد القرآن البقرة وسيد البقرة آية الكرسي ومنها ماورد أنه نزل جبريل على موسى وقال له ربك يقول لك من قال عقب كل صلاة اللهم إني أقدم إليك بين يدي كل نفس ولمحة وطرفة يطرف بها أهل السموات وأهل الأرض وكل شيء هو في علمك كائن أو قد كان أقدم إليك بين يدي ذلك كله الله لاإله إلا هو الحي القيوم إلى آخرها فان الليل والنهار أربع وعشرون ساعة ليس منها ساعة إلا ويصعد إلى الله منه فيها سبعون ألف ألف حسنة حتى ينفخ في الصور وتشتغل الملائكة . وأخذ العارفون منها فوائد جمة منها من قرأها عقب كل صلاة أربعة عشر عدة فصولها أحبه العالم العلوي والسفلي ومن قرأها عدة الرسل ثلاثمائة وثلاثة عشر فرج الله عنه وأزال عنه ما يكره ومنها من قرأها عدد حروفها وهي مائة وسبعون حرفا لا يطلب منزلة إلا وجدها ولاسعة إلا نالها ولا فرجا من سائر الشدائد إلا حصل ومنها أنه إذا سقي المبطون حروفها مقطعة شفي باذن الله ، ومنها من كتبها عدد كلماتها وهي خمسون كلة وحملها أدرك غرضه من عدوه وحاسده وإن كان للمحبة والألفة نال مقصوده ، وتسميتها آية الكرسي من باب تسمية الشيء باسم جزئه لذكره فيها (قوله الدائم البقاء) أي لحياته ذاتية له (قوله القيوم) هو من صيغ المبالغة وإن لم تكن من الصيغ المشهورة (قوله المبالغ في القيام بتدبير خلقه) أي فلا يشغله شأن عن شأن ولا تخفى عليه خافية أبدا سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار ماخلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة ـ فقوّم السماء وزينها و بسط الأرض أي وجملها وأرضى كل انسان بما قسم له من غير تعب يحصل من ذلك قال تعالى ـ ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب ـ (قوله لا تأخذه سنة) هذا من صفات السلوب والسنة هي النوم في العين وهي نوم الأنبياء (قوله ولا نوم) عرف بأنه فترة طبيعية تهجم على الشخص قهرا عليه تمنع حواسه الحركة وعقله الادراك. إن قلت حيث كان منزها عن السنة فهو منزه عن النوم بالأولى . أجيب بأنه زيادة في الايضاح. وأجيب أيضا بأنه ذكر النوم لأنه ربما يتوهم من كونه يهجم قهرا أنه يغلبه فلا يلزم من نفي السنة نفي النوم وهذا هو الأتم لأنه لا يلزم من نفي الأخف نفي الأثقل . إن قلت إن الملائكة أيضا لا تأخذهم سنة ولا نوم فليس في ذكر هذه الصفة مزيد مزية أجيب بأن تنزه الملائكة عن النوم من إخبار الله فقط و إلا فالعقل يجوزه عليهم بخلاف تنزه الله عنه فالدليل العقلي قائم على تنزهه عنه (قوله له مافي السموات ومافي الأرض) كالدليل لما قبله وأتى بما تغليبا لغير العاقل لكثرته (قوله ملكا) بضم الميم معناه التصرف وقوله وخلقا : أي إيجادا وقوله وعبيدا أي مملوكين له إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا ولا نزاع في كون السموات والأرض ملكا لله قال تعالى ـ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم ـ وفي ذلك رد على الكفار حيث أثبتوا له شريكا فكأن الله يقول لهم ما أشركتموه لا يخرج عن السموات والأرض وشأن الشيء يلزمه أن يكون مستقلا خارجا عن مملكة الشريك الآخر (قوله من ذا) اسم استفهام مبتدأ والذي خبره وهو استفهام انكاري بمعنى النفي : أي لاشفيع في أحد يستحق النار يشفع عنده بغير مراده (قوله أي لاأحد) تفسير للاستفهام الانكاري (قوله إلا باذنه) أي مراده (قوله أي من أمر الدنيا) راجع لقوله مابين أيديهم وقوله والآخرة راجع لقوله وما خلفهم فهو لف ونشر مرتب و يصح العكس فيكون لفا ونشرا مشوشا والأقرب أن يقال المراد بما بين أيديهم مايستقبل

الدائم البقاء (الْقَيُّومُ) المبالغ في القيام بتدبير خلقه (لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ) نعاس (وَلاَ نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) ملكا وخلقا وعبيداً (مَنْ ذَا الَّذِى) أي لا أحد (يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ) له فيها (يَعْلَمُ مَابَيْنَ أَيْدِيهِمْ) أي الخلق (وَمَا خَلْفَهُمْ) أي من أمر الدنيا والآخرة (وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ)

من الدنيا والآخرة وقوله وماخلفهم ما انقضى من أمر الدنيا لعلم أمر الدنيا والآخرة مستوعندة بخلاف المخلوقات . قال الشاعر :

وأعلم علم اليوم والأمس قبله ولكنني عن علم مافي غد عمي

(قوله أي لايعلمون شيئا من معلوماته) دفع بذلك مايتوهم أن علم الله يتجزأ مع أنه ليس كذلك، ومايتوهم أيضا أنه يشاء إطلاع أحد على علمه مع أنه مستحيل إذ ليس في طاقة الحادث اطلاع على حقيقة القديم ولاصفاته، سبحان من لايعلم قدره غيره ولايبلغ الواصفون صفته (قوله منها) أي من معلوماته (قوله باخبار الرسل) أي فلا يصل لأحد علم إلا بواسطة الأنبياء فالأنبياء وسائط لأنهم في كل شئ وواسطتهم رسول الله، قال العارف: اللهم صل على من منه انشقت الأسرار وانفلقت الأنوار وفيه ارتقت الحقائق وتنزلت علوم آدم فأعجز الخلائق (قوله قيل أحاط علمه بهما) أي فالكرسي بضم الكاف وكسرها يطلق على العلم كما يطلق على السرير الذي يجلس عليه (قوله وقيل الكرسي نفسه) أي وهو مخلوق عظيم فوق السماء السابعة يحمله أربعة ملائكة لكل ملك أربعة أوجه أرجلهم تحت الصخرة التي تحت الأرض السابعة وتحت الأرض السفلى ملك على صورة آدم يسأل الرزق لبني آدم وملك على صورة الثور يسأل الرزق للبهائم وملك على صورة السبع يسأل الرزق للوحوش وملك على صورة النسر يسأل الرزق للطيور بينهم و بين حملة العرش سبعون حجابا من ظلمة وسبعون حجابا من نور سمك كل حجاب خمسمائة سنة وذلك لئلا تحترق حملة الكرسي من نور حملة العرش، وخلق العرش والكرسي من حكم الله لا لاحتياج لهما . قال صاحب الجوهرة :

والعرش والكرسي ثم القلم والكاتبون اللوح كل حكم (١١٣) لا لاحتياج وبها الايمان * يجب عليك أيها الانسان

أي لايعلمون شيئاً من معلوماته (إِلاَّ بِمَا شَاء) أن يعلمهم به منها باخبار الرسل (وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ) قيل أحاط علمه بهما ، وقيل ملكه ، وقيل الكرسي نفسه مشتمل عليهما لعظمته لحديث «ما السموات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس» (وَلاَ يَؤُدُهُ) يثقله (حِفْظُهُمَا) أى السموات والأرض (وَهُوَ الْعَلِيُّ) فوق خلقه بالقهر (الْعَظِيمُ) الكبير (لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ) على الدخول فيه (قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ) أى ظهر بالآيات البينات أن الإيمان رشد والكفر غي، نزلت فيمن كان له من الأنصار أولاد أراد أن يكرههم على الإسلام (فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ) الشيطان أو الأصنام ، وهو يطلق على المفرد والجمع (وَيُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ) ،

(قوله في ترس) هو ما يتترس به عند الحرب وهو المسمى بالدرقة (قوله ولا يؤده) أي الله وهو ظاهر أو الكرسي وهو أبلغ لأنه إذا لم تثقل السموات والأرض مع عظمها الكرسي مع أنه مخلوق فكيف بخالقه (قوله وهو العلي) أى المنزه عن صفات الحوادث فهو من صفات السلوب (قوله العظيم) أي المتصف بالعظم ، وقدم العلي عليه لأنه من باب تقديم التخلية على التحلية (قوله لا إكراه في الدين) قيل إن من هنا إلى خالدون من تمام آية الكرسي وقيل ليست منها وهو الحق وإنما ذكرت عقبها كالنتيجة لما ذكر فيها من خالص التوحيد، والمعنى لا يكره أحد أحدا على الدخول في الاسلام فإن الحق والباطل ظاهران لكل أحد فلا ينفع الاكراه قال تعالى ــ ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ــ (قوله أي ظهر بالآيات البينات) أي الدلائل الظاهرة على باهر قدرته وعظيم حكمته . قال تعالى ــ إن في خلق السموات والأرض ــ الآية (قوله فيمن كان له من الأنصار أولاد) أي وهو أبو الحصين كان له ابنان تنصرا قبل بعثة النبي ثم قدما المدينة بتجارة زيت فلقيهما أبوهما وأحب أن يكرههما على الاسلام فارتفع معهما إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أبوهما يارسول الله أيدخل بعضي النار وأنا أنظر إليه؟ فنزلت وهذه الآية يحتمل أنها منسوخة بآيات القتال أو محكمة وتحمل على من ضرب عليهم الجزية ويؤيده سبب نزولها (قوله بالطاغوت) مبالغة في الطغيان كالجبروت والملكوت والمراد به ما يعبد من دون الله ومعنى الكفر به جحده والاعراض عنه (قوله وهو يطلق على المفرد والجمع) أي و يعود الضمير عليه مؤنثا ومذكرا وهو قيل مصدر وقيل اسم جنس (قوله ويؤمن بالله) تقديم الكفر بالطاغوت على الايمان بالله من باب تقديم التخلية على التحلية لأنه لايصح إيمان بالله مع إشراك غيره معه (قوله فقد استمسك) هذه الجملة جواب الشرط الذي هو من وقرن بالفا لدخول قد عليها .

(قوله تمسك) أشار بذلك إلى أن السين والتاء زائدتان لتقوية الاستمساك (قوله بالعروة الوثقى) فيه استعارة تصريحية أصلية حيث شبه دين الاسلام بالعروة الوثقى وهى موضع المسك من الحبل بجامع أن كلا لايخشى منه الخلل واستعير اسم المشبه به وهو العروة الوثقى للمشبه وهو دين الاسلام والاستمساك وعدم الانفصام ترشيحان لأنه من ملائمات المشبه به أوفيه استعارة تمثيلية بأن يقال شبه حال من تمسك بدين الاسلام وأحكامه بحال من تمسك بالعروة الوثقى بجامع أن كلا لايخشى الانفكاك ولا الخلل واستعير اسم المشبه به للمشبه والاستمساك وعدم الانفصام ترشيحان أيضا (قوله لا انفصام لها) الانفصام الانقطاع بغير بينونة والانقصام بالقاف الانقطاع مع بينونة فالتعبير بالانفصام أبلغ (قوله لما يقال) أى سرا أو جهرا (قوله بما يفعل) أى خيرا أو شرا سرا أو جهرا (قوله الله ولىّ الذين آمنوا) هذا كالدليل لما قبله وولى فعيل بمعنى فاعل أى متولى أمر عباده وأما الولى من العبيد فبمعنى فاعل أى موالى طاعة ربه أو بمعنى مفعول أى تولاه الله فلم يكله لغيره (قوله الكفر) شبه بالظلمات الحسية للحيرة وعدم الاهتداء فى كل ولأنه يكون كذلك يوم القيامة قال تعالى ـ ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ـ وقوله الايمان شبه بالنور لأنه يهتدى بكل ولأنه يكون كذلك يوم القيامة . قال تعالى ـ نورهم يسعى بين أيديهم و بأيمانهم ـ فالكفر ظلمة معنوية فى الدنيا وحسية فى الآخرة، والايمان نور معنوى فى الدنيا وحسى فى الآخرة (قوله والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت) إنما لم يقل والطاغوت أولياء الذين كفروا لأجل المقابلة لئلا يكون الطاغوت مقابلا لاسم الله وهو قبيح فبدأ بكفرهم تقبيحا وتبكيتا لهم (قوله ذكر الاخراج الخ) جواب عن سؤال مقدر حاصله أن الكفار لم يكونوا فى نور فأخرجوا منه إلى الظلمات كيف ذلك. أجاب المفسر بجوابين : الأول أنه مشاكلة لما قبله والمراد منعهم من أصل النور والثانى أنه إخراج حقيقى وهو فى كل من آمن بالنبى قبل مبعثه ثم ارتد بعد ذلك وفى هذه الآية وعد من الله بالأمن للمؤمن من المخاوف دنيا وأخرى

تمسك (بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ) بالعقد المحكم (لَا انْفِصَامَ) انقطاع (لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ) لما يقال (عَلِيمٌ) بما يفعل (اللَّهُ وَلِيُّ) ناصر (الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ) الكفر (إِلَى النُّورِ) الإيمان (وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ) ذكر الإخراج إما فى مقابلة قوله يخرجهم من الظلمات أو فى كل من آمن بالنبى قبل بعثته من اليهود ثم كفر به (أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ. أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ) جادل (إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ) لـ(أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ) أى حمله بطره بنعم الله على ذلك وهو نمروذ (إِذْ) بدل من حاج (قَالَ إِبْرَاهِيمُ) لما قال له من ربك الذى تدعونا إليه (رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ) أى يخلق الحياة والموت فى الأجساد (قَالَ) هو :

(انا

(قوله ألم تر) الاستفهام لتقرير النفى مع التعجيب والمعنى ألم ينته علمك إلى هذا الذى قابله الله بالجود والاحسان وقابل مولاه بالكفر والطغيان وهذا كالدليل لقوله والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت الآية فان الشيطان طاغوت نمروذ وهو طاغوت غيره ماعدا إبراهيم ومن تبعه (قوله إلى الذى حاج) لم يصرح باسمه تبكيتا له وإظهارا لقبحه (قوله جادل) أى مجادلة باطلة وهى مقابلة الحجة بالحجة فإبراهيم يجادل بالحق ونمروذ يجادل بالباطل (قوله فى ربه) أى إبراهيم فالاضافة للتشريف أو نمروذ والاضافة لاقامة الحجة عليه حيث نازع خالقه فى وصفه (قوله أن آتاه الله الملك) مفعول لأجله وهو مجرور باللام لفقد أحد شروطه وهو عدم اتحاد الفاعل لأن فاعل المحاجة النمروذ وفاعل إيتاء الملك هو الله قال ابن مالك : وإن شرط فقد * فاجرره بالحرف، وحذف الجار لأن حذفه مطرد مع أنّ وأن (قوله بطره) هو الاستخفاف بآلاء الله (قوله بنعم الله) أى وهى ملك الدنيا لأنه لم يملك الدنيا إلا أربعة اثنان مسلمان واثنان كافران : سليمان وذو القرنين والنمروذ وبختنصر (قوله وهو نمروذ) أى ابن كنعان حملت به أمه من زنا خوفا على ملك أبيه من الضياع حيث كان أبوه عقيما وهو أول من لبس التاج المكلل وهذه الواقعة كانت بعد لقاء إبراهيم فى النار وكان النمروذ قد ملك أقوات الأرض كلها فكان لايعطى القوت إلا لمن آمن به فذهب إبراهيم له وطلب منه شيئا من القوت فامتنع حتى يتبعه فذهب إبراهيم إلى كثيب من رمل وملأ وعاءه فلما وصل منزله صار دقيقا فصار يأكل منه هو ومن تبعه (قوله بدل من حاج) أى بدل اشتمال (قوله لما قال له) ظرف لقوله قال إبراهيم أى قال إبراهيم ذلك وقت قوله له من ربك

(قوله أنا أحيي) الضمير قيل أن وحدها والألف زائدة لبيان الحركة فى حال الوقف وقيل بل كلها الضمير والصحيح أن فيه لغتين لغة تميم إثبات ألفه وصلا ووقفا والثانية إثباتها وقفا وحذفها وصلا (قوله غبيا) أى بليدا لايفهم جوابا ولايحسن خطابا وهو جواب عن سؤال مقدر. حاصله أن ماوقع من إبراهيم ليس من صناعة المناظرة لأنه كان الواجب إبطال حجة الإحياء والإماتة التى ادّعاها اللعين أولا ثم ينتقل لحجة أخرى. أجاب المفسر بأنه لما رآه غبيا لم يدقق عليه فى ذلك وانتقل لحجة أخرى (قوله أو كالذى) هذا كالدليل لقوله - الله ولىّ الذين آمنوا - فهو من باب اللف والنشر المشوّش فمن أراد الله هدايته جعل له كل شئ دليلا يستدل به على ذات صانعه وصفاته، ومن أراد الله خذلانه أضله بكلّ شئ وأعمى قلبه عن النظر فى المصنوعات، وإنما قدم مايتعلق بالكافر لقصر الكلام عليه واتصاله بماقبله بخلاف مايتعلق بالمؤمن. واعلم أنهم ذكروا أن فى الكاف قولين الأول أنها بمعنى مثل وعليه درج المفسر حيث قدر رأيت فيكون المعنى ألم ينته علمك إلى مثل الذى مرّ: أى مثله وصفته فقوله الكاف زائدة غير مناسب لحله. الثانى أنها زائدة والمعنى ألم ينته علمك إلى الشخص الذى مرّ الخ (قوله وهو عزير) أى ابن شرخيا كان من بنى إسرائيل، قيل كان نبيا، وقيل وليا، وقيل هو الخضر، وقيل رجل كان كافرا ينكر البعث فأراد الله له الهدى. والقرية قيل هى بيت المقدس كما قال المفسر، وقيل هى القرية التى خرج منها الألوف حذر الموت (قوله لما خربها بختنصر) بخت معناه ابن ونصر اسم للصنم سمى بذلك لأن أمه لما ولدته وضعته عنده فلما وجدوه قالوا بختنصر: أى ابن الصنم، وكان كافرا ملك الأرض مشرقا ومغربا. وسبب تخريبها أن بنى إسرائيل لما طغوا سلط الله عليهم بختنصر فتوجه إليهم فى ستمائة راية فلما ملكهم قسمهم ثلاثة أقسام

(أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ) بالقتل والعفو عنه ودعا برجلين فقتل أحدهما وترك الآخر فلما رآه غبيا (قَالَ إِبْرَاهِيمُ) منتقلا إلى حجة أوضح منها (فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا) أنت (مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ) تحير ودهش (وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) بالكفر إلى محجة الاحتجاج (أَوْ) رأيت (كَالَّذِي) الكاف زائدة (مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ) هى بيت المقدس راكبا على حمار ومعه سلة تين وقدح عصير وهو عزير (وَهِيَ خَاوِيَةٌ) ساقطة (عَلَى عُرُوشِهَا) سقوفها لما خربها بختنصر (قَالَ أَنَّى) كيف (يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا) استعظاما لقدرته تعالى (فَأَمَاتَهُ اللَّهُ) وألبثه (مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ) أحياه ليريه كيفية ذلك (قَالَ) تعالى له (كَمْ لَبِثْتَ) مكثت هنا (قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ) لأنه نام أول النهار فقبض وأحيي عند الغروب فظن أنه يوم النوم (قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ) التين (وَشَرَابِكَ) العصير (لَمْ يَتَسَنَّهْ) يتغير مع طول الزمان، والهاء قيل أصل من سانهت، وقيل للسكت من سانيت وفى قراءة بحذفها (وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ) كيف هو فرآه ميتا وعظامه بيض تلوح. فعلنا ذلك لتعلم (وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً) على البعث (لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ) من حمارك (كَيْفَ نُنْشِرُهَا) نحييها بضم النون وقرئ بفتحها،

قسم قتله وقسم قرّه بالشام وقسم استرقه، وكان ذلك مائة ألف فقسمه بين الملوك الذين كانوا معه فأصاب كل واحد أربعة فكانوا خمسة وعشرين ألف ملك، وكان من جملة من أسر عزير وفك من الأسر فلما مرّ عليها وهى بهذه الحالة قال ماذكر (قوله أنى يحيى هذه الله بعد موتها) يحتمل أن المراد فى الدنيا أو يوم القيامة وليس ذلك شكا واستغرابا لفعل الله بل ذلك سؤال عن تعلق قدرة الله كأنه قال هل تعلقت قدرة الله بإحيائها فيحييها أو بعدمه فيبقيها على ماهى عليه (قوله كيف) وقيل بمعنى متى (قوله استعظاما لقدرته) أى أنه لايقدر على ذلك إلا صاحب القدرة العظيمة (قوله وألبثه) قدره إشارة إلى أن قوله مائة عام متعلق بمحذوف ولايصح تعلقه بأماته لأنه لامعنى له. وسبب ذلك أنه لما دخل بيت المقدس وربط حماره فلم ير أحدا بها، ثم رأى أشجارها قد أثمرت فأكل منها ونام فأماته الله فى منامه فلما مضى من موته سبعون سنة وجه الله ملكا من ملوك فارس إلى بيت المقدس ليعمره فعمره وردّ من بقى من بنى إسرائيل إليه فلما تمت المائة أحياه الله (قوله أو بعض يوم) أو للاضراب لأنه نام ضحوة النهار فأحيي آخر النهار فظن أنه يوم النوم فبالضرورة ليس يوما كاملا (قوله قيل أصل) أى فهى لام الكلمة والفعل مجزوم بسكون الهاء فأصل سنة سنهة (قوله وقيل للسكت) أى فهى زائدة وأصل سنة سنو (قوله وفى قراءة بحذفها) أى وصلا.

(قوله من أنشر ونشر) لف ونشر مرتب (قوله ونرفعها) اى نرفع بعضها إلى بعض (قوله علم مشاهدة) جواب عن سؤال مقدّر (قوله أمر من الله له) أى وترق من علم اليقين ، روى أن العزير لما أحيي ورأسه ولحيته إذ ذاك سوداوان وهوابن أربعين سنة ركب حماره وأتى محلته فأنكره الناس وأنكر هوالناس والمنازل فانطلق على وهم منه حتى أتى منزله فاذاهو بعجوز عمياء مقعدة قد أدركت زمن عزير ، فقال عزير ياهذه هذا منزل عزير ؟ قالت نعم وأين عزير قد فقدناه منذ كذا وكذا فبكت بكاء شديدا ، قال فانى عزير ، قالت سبحان الله وأنى يكون ذلك ؟ قال قد أماتنى الله مائة عام ثم بعثنى قالت إن عزيرا كان رجلا مجاب الدعوة فادع الله لى يرد على بصرى حتى أراك فدعا ربه ومسح بين عينيها فصحتا فأخذ بيدها ، فقال لها قومى باذن الله فقامت صحيحة كأنما نشطت من عقال فنظرت إليه فقالت أشهد أنك عزير فانطلقت به إلى محلة بنى إسرائيل وهم فى أنديتهم وكان فى المجلس ابن لعزير قد بلغ مائة وثمانى عشرة سنة و بنو بنيه شيوخ ، فنادت هذاعزير قد جاءكم فكذبوها ، فقالت انظروا فانى بدعائه رجعت إلى هذه الحالة فنهض الناس فأقبلوا إليه، فقال ابنه كان لأبى شامة سوداء بين كتفيه مثل الهلال فكشف فاذاهو كذلك. وقد كان قبل بختنصر ببيت المقدس من قراء التوراة أربعون ألف رجل ولم يكن يومئذ بينهم نسخة من التوراة ولا أحد يعرف التوراة فقرأها عليهم عن ظهر قلبه من غيرأن يخل منها بحرف ، فقال رجل من أولاد المسبيين ممن ورد بيت المقدس بعد هلاك بختنصر حدثنى أبى عن جدى أنه دفن التوراة يوم سبينا فى خابية فى كرم فان أريتمونى كرم جدى أخرجتها لكم فذهبوا به إلى كرم جده ففتشوا فوجدوها فعارضوها بما أملى عليهم عزيرعن ظهر القلب فما اختلفا فى حرف واحد فعند ذلك قالوا هوابن الله، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا

(قوله وإذ قال إبراهيم) هذا دليل آخر لقوله ـ الله ولىّ الذين آمنوا ـ وقصة إبراهيم أبلغ من قصة العزير لعظم مقام إبراهيم وانماغاير الأسلوب ولم يقل أو كالذى قال رب أرنى الخ لأن إبراهيم قد تقدم له ذكر وأيضا الأمر المعجز لم يقع له فى نفسه كالعزير وإنما أراه الله ذلك فى غيره . وسبب سؤال إبراهيم أنه مرّ بساحل طبرية فوجد جيفة إنسان بالمعاينة

من أنشر ونشر لغتان . وفى قراءة بضمها والزاى : نحركها ونرفعها (ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا) فنظر إليها وقد تركبت وكسيت لحما ونفخ فيه الروح ونهق (فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ) ذلك بالمشاهدة (قَالَ أَعْلَمُ) علم مشاهدة (أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) وفى قراءة أعلم أمر من الله له (وَ) اذكر (إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى؟ قَالَ) تعالى له (أَوَلَمْ تُؤْمِنْ) بقدرتى على الإحياء ، سأله مع علمه بإيمانه بذلك ليجيبه بما سأله فيعلم السامعون غرضه (قَالَ بَلَى) آمنت (وَلَكِنْ) سألتك (لِيَطْمَئِنَّ) يسكن (قَلْبِي)

وقيل حمار ، وقيل حوت فلما رآها وجد السباع والطيور والسمك تأكل منها فاشتاقت نفسه إلى رؤية جمع الله لها ، فقال أعلم أن الله قادر على جمعها لكن أحب أن أرى ذلك ، وقيل سبب سؤاله أنه لما حاجج النمروذ حيث قال : ربى الذى يحيي ويميت فقال النمروذ : أنا أحيي وأميت ودعا برجلين فقتل أحدهما وعفا عن الآخر ، فقال له إبراهيم ليس هذا إحياء فان الاحياء إدخال الروح فى الجسم وتقويه بها ، فقال النمروذ أوربك يفعل ذلك ؟ فقال إبراهيم نعم، فقال له هل عاينته ؟ فانتقل لحجة أخرى وهى ـ إن الله يأتى بالشمس من المشرق ـ الآية ، فعند ذلك تشوّق للمعاينة لتقوى حجته على قومه إذا سألوه عن المعاينة ، وقال ـ رب أرنى ـ الآية (قوله أرنى) أصله أرئينى بوزن أكرمنى حذفت الياء لأن الأمر كالمضارع فصار أرئنى ثم نقلت حركة الهمزة إلى الراء وحذفت الهمزة ، والرؤية هنا بصرية تتعدى إلى مفعول واحد فلما دخلت همزة النقل تعدت إلى مفعول ثان وهو جملة الاستفهام (قوله سأله) أى سأل الله إبراهيم، وقوله بذلك : أى بقدرته على إحياء الموتى (قوله ليجيب) علة لسأل وفاعل الاجابة إبراهيم وهو المسئول ، وقوله بما سأله : أى الله ، وقوله فيعلم السامعون غرضه : أى لأن سؤاله أوّلا يوهم عدم إيمانه فترتب على سؤال الله له بقوله ـ أولم تؤمن ـ كشف إبراهيم عن مراده بقوله ـ بلى ولكن ليطمئن قلبى ـ (قوله آمنت) قدره إشارة إلى أن قوله ولكن ليطمئن قلبى مرتب عليه وهناك محذوف آخر تقديره وليس سؤالى لعدم إيمان منى ولكن الخ (قوله يسكن قلبى) أى من اضطرابه واشتياقه إلى المعاينة ولا يقدح ذلك فى إيمان إبراهيم فان الانسان مؤمن برسول الله و بيت الله الحرام ولكن قلبه مشتاق ومضطرب لمشاهدة رسول الله و بيته الحرام غاية الاشتياق ومع ذلك لايقدح فى إيمانه بما ذكر، كسؤال موسى رؤية الله مع كونه فى أعلى مراتب الايمان بالله .

(قوله بالمعاينة المضمومة إلى الاستدلال) . إن قلت إن إيمان الأنبياء حق يقين لاعلم يقين ولاعين يقين فكيف يطلب إبراهيم الانتقال من علم اليقين إلى عين اليقين مع أن مرتبته فوق ذلك . أجيب بأن هذا الكلام بالنسبة للذات والصفات لوجودها بحيث لو كشف عنا الحجاب لرأيناها وأما إيجاد الله للأشياء فهو أمر اعتبارى يطلع الله على ذلك من خصه برحمته فلايشاهده إلامن رآه بعينه.وأجيب أيضا بأنه من أهل حق اليقين فى الجميع لأن الله يمثل لأحبابه الأمور الاعتبارية التى ستحصل فتصير كالمشاهدة الحاضرة فلا فرق فىحق اليقين بين شهود الذات والصفات والأفعال وإنما طلب ذلك لأجل تمام الاستدلال والاحتجاج على قومه وهذاهو الأتم (قوله بكسر الصاد وضمها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله أملهن إليك) أى أوقطعهن فهما معنيان لصرهن والمفسر جمع بينهما (قوله من جبال أرضك) أى من جبال حولك وكانت أربعا وقيل سبعا (قوله فأخذ طاوسا الخ) الحكمة فى اختيار هذه الطيور الأربعة شبهها بالانسان فان فى الطاوس الخيلاء والعجب وفى النسر شهوة الأكل والشرب وفى الغراب الحرص وفى الديك شهوة النكاح وذلك كله فى الانسان (قوله ثم أقبلت إلى رءوسها) أى بدعائها ثانيا فالدعوة الأولى لالتئام أجزائها والثانية لاتيانها إليه لأخذ رءوسها،وإنما لم تكن من جنس واحد ليظهر التمييز،وكانت من الطيور لأن الطير صفته الطيران فى العلو وهمة إبراهيم إلى جهة العلو فمعجزته مشاكلة لهمته (قوله مثل ماينفقون) مثل مبتدأ مضاف للموصول وينفقون صلته والخبر قوله كمثل حبة وقدر المفسر قوله نفقات ليصح التشبيه لأن ذوات المنفقين

بالمعاينة المضمومة إلى الاستدلال (قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصِرْهُنَّ إِلَيْكَ) بكسر الصاد وضمها :أملهن إليك وقطعهن واخلط لحمهن وريشهن (ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ) من جبال أرضك (مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ) إليك (يَأْتِينَكَ سَعْيًا) سريعاً (وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ) لا يعجزه شىء (حَكِيمٌ) فى صنعه ، فأخذ طاوساً ونسراً وغراباً وديكاً وفعل بهن ماذكر وأمسك رءوسهن عنده ودعاهن فتطايرت الأجزاء إلى بعضها حتى تكاملت ثم أقبلت إلى رءوسها (مَثَلُ) صفة نفقات (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) أى طاعته (كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ) فكذلك نفقاتهم تضاعف لسبعمائة ضعف (وَاللَّهُ يُضَاعِفُ) أكثر من ذلك (لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ) فضله (عَلِيمٌ) بمن يستحق المضاعفة (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا) على المنفق عليه بقولهم مثلا:قد أحسنت إليه وجبرت حاله (وَلَا أَذًى) له بذكر ذلك إلى من لايحب وقوفه عليه ،

لايصح تشبيهها بالحبة . والحاصل أنه لايصح التشبيه إلا بتقدير إما فى الاول كما صنع المفسر أو فى الثانى أى مثل الذين ينفقون أموالهم كمثل باذر حبة (قوله طاعته) أى واجبة أو مندوبة فيشمل الجهاد وطلب العلم والحج والتوسعة على العيال وغير ذلك وكلما عظمت القربة كانت الحسنات فيها أكثر (قوله أنبتت سبع سنابل) أى فى سبع شعب والأصل والساق واحد وسنابل جمع سنبلة ويقال أيضا سبل وسبلة بجعل الأول سنبل والثانى سبل وغالبا يوجد ذلك فى الذرة والدخن والشعير (قوله والله يضاعف أكثر من ذلك) أى على حسب الاخلاص وطيب المال ويشهد لذلك قوله صلى الله عليه وسلم «الله الله فى أصحابى لاتتخذوهم غرضا من بعدى فو الذى نفسى بيده لوأنفق أحدكم مثل أحد ذهبا لما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه» واعلم أن أقل المضاعفة عشر ثم سبعون ثم سبعمائة ثم إلى غير نهاية وظاهر المفسر أن وعد الله الذى لايتخلف هو المضاعفة بالسبعمائة وأما مازاد فيختص برحمته من يشاء ، والحق أن وعد الله الذى لايتخلف هو المضاعفة بالعشر وما زاد فيخص به من يشاء فقوله والله يضاعف لمن يشاء صادق بما فوق العشرة (قوله والله واسع فضله) أى فلا يستغرب إعطاؤه الشىء الكثير فى نظير شىء قليل لاتخفى عليه خافية وهذا كالدليل لما قبله (قوله الذين ينفقون أموالهم) نزلت هذه الآية فى حق عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهما فى غزوة تبوك حيث جهز عثمان ألف بعير بأحلاسها وأقتابها ووضع بين يدى رسول الله ألف دينار فصار رسول الله يقلبها ويقول ماضر عثمان مافعل بعد اليوم،وأتى عبد الرحمن النبى عليه الصلاة والسلام بأربعة آلاف درهم وأخبره بأنه أبقى لأهله نظيرها فقال له بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أنفقت فصار بعد ذلك ماله كالتراب (قوله منا) هو تعداد النعم وأتى بثم إشارة إلى أن المن يقع بعد الانفاق بمهلة وهو حرام محبط للعمل إلامن الوالد على ولده والشيخ على تلميذه والسيد على عبده فليس بحرام (قوله ولا أذى) من عطف العام على الخاص لأن المن من جملة الأذى

ونحوه (لَهُمْ أَجْرُهُمْ) ثواب إنفاقهم (عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ) فى الآخرة (قَوْلٌ مَعْرُوفٌ) كلام حسن وردّ على السائل جميل (وَمَغْفِرَةٌ) له فى الحاجة (خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى) بالمن وتعيير له بالسؤال (وَاللهُ غَنِيٌّ) عن صدقة العباد (حَلِيمٌ) بتأخير العقوبة عن المانّ والمؤذى (يٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ) أى أجورها (بِالْمَنِّ وَالْأَذَى) إبطالاً (كَالَّذِى) أى كابطال نفقة الذى (يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ) أى مرائياً لهم (وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) وهو المنافق (فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ) حجر أملس (عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ) مطر شديد (فَتَرَكَهُ صَلْدًا) صلباً أملس لا شىء عليه (لاَ يَقْدِرُونَ) استئناف لبيان مثل المنافق المنفق رئاء الناس وجمع الضمير باعتبار معنى الذى (عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا) عملوا أى لا يجدون له ثواباً فى الآخرة كما لا يوجد على الصفوان شىء من التراب الذى كان عليه لإذهاب المطر له (وَاللهُ لاَ يَهْدِى الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ . وَمَثَلُ) نفقات (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ) طلب (مَرْضَاتِ اللهِ وَتَثْبِيتاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ) أى تحقيقاً للثواب عليه ، بخلاف المنافقين الذين لا يرجونه لإنكارهم له ومن ابتدائية (كَمَثَلِ جَنَّةٍ) بستان (بِرُبْوَةٍ) بضم الراء وفتحها : مكان مرتفع مستو (أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ) أعطت (أُكُلَهَا) بضم الكاف وسكونها : ثمرها (ضِعْفَيْنِ) مثلى ما يثمر غيرها (فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ) مطر خفيف يصيبها ويكفيها لارتفاعها ، المعنى تثمر وتزكو كثر المطر أم قلّ فكذلك نفقات من ذكر تزكو عند الله كثرت أم قلّت (وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) ،

(قوله ونحوه) أى كأن يعطيه ويسبه (قوله عند ربهم) أى مدخر عنده والعندية عندية مكانة وشرف لا مكان (قوله ولا خوف عليهم) أى فى الآخرة والخوف غم لما يستقبل وقوله ولا هم يحزنون أى فيها والحزن غم لما مضى فقوله فى الآخرة راجع لهما وأما فى الدنيا فلا مانع من حصول ذلك لما فى الحديث « أشدّكم بلاء الأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل » (قوله قول معروف الخ) قول مبتدأ ومعروف صفته ومغفرة معطوف عليه وخير خبره وسوّغ الابتداء بالنكرة الأولى وصفها وبالثانية عطفها على ماله مسوّغ (قوله كلام حسن) أى من المسئول كأن يقول له الله يرزقك مثلا (قوله خير من صدقة يتبعها أذى) اعلم أن أعلى المراتب الاحسان مع الكلام الحسن ثم الكلام الحسن من غير إعطاء وأدناها الاعطاء مع الأذى وهل له فى هذه الحالة ثواب لقضاء حاجة السائل ويعاقب من جهة الأذية أولا ثواب ولا عقاب أو يعاقب فقط ولا ثواب لوجود الأذية ويؤيده ما يأتى فى قوله ـ لا تبطلوا صدقاتكم بالمنّ ـ الآية وعلى ذلك فيشكل الاتيان باسم التفضيل. وأجيب بأن الخيرية بالنسبة للسائل لا للمسئول (قوله والله غنىّ) أى فلا يحوج عباده الفقراء إلى من الأغنياء وأذاهم ويرزقهم من جهة أخرى إذا استدّ باب يفتح الله عشرة وفى الحقيقة الصدقة نفع صرف لصاحبها إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وأما قسمة الله للعبد فلا تخطئه بل إن لم تكن من هذا فمن غيره (قوله أى أجورها) يحتمل أن المراد مضاعفتها أو ثوابها من أصله (قوله إبطالا) أشار بذلك إلى أن قوله كالذى صفة لمصدر محذوف (قوله أى كإبطال نفقة الذى) الكلام على حذف مضاف أى كإبطال أجر نفقة الذى الخ (قوله أى مرائيا لهم) أشار بذلك إلى أن رئاء مصدر بمعنى اسم الفاعل حال من فاعل ينفق والمراآة مفاعلة من الجانبين (قوله وهو المنافق) أى وهو قسمان : نفاق فيجازيكم عملى ونفاق دينى فالأول أن يقصد بصدقاته وصلاته وصومه غير وجه الله لكنه مسلم والثانى أن يظهر الاسلام ويخفى الكفر فمعنى قوله ولا يؤمن بالله أى أصلا بأن يكون كافرا أو إيمانا كاملا بأن يكون مسلما عاصيا (قوله فمثله) أى فى الانفاق (قوله حجر أملس) أى وهو كبير (قوله مطر شديد) وأوله رش ثم طش ثم طل ثم نضح ثم هطل ثم وبل (قوله وجمع الضمير باعتبار معنى الذى) أى وأفرده فيما قبله نظرا للفظه (قوله ابتغاء) مفعول لأجله (قوله أى تحقيقا للثواب) أى جازما ومصمما أن الله يثيبه (قوله مكان مرتفع) أى طيب حسن شجره نام ثمره وقوله مستو أى لا مسنم لعدم بقاء الماء عليه وقوله بضم الراء وفتحها أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله لارتفاعها) أى واستوائها (قوله كثرت أم قلت) أى لخيث حسن باطنه بالاخلاص فقليل عمله ككثيره فى رضا الله عنه قال العارف :

و بعد الفنا فى الله كن كيفما تشا فعلمك لا جهل وفعلك لا وزر

ز قوله فيجازيكم به) فى ذلك وعد للمخلصين برضا الله والفوز الأكبر ووعيد للمرائين بغضب الله وعدم الرضا عليهم (قوله أيود أحدكم) شروع فى ذكر مثال آخر للمرائى والمان والاستفهام إنكارى بمعنى النفى ومصبه قوله فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت وقوله أيحب تفسير ليود فالمودة هى المحبة لكن مع تمنى اللقاء (قوله جنة) قيل إن المراد بالجنة الأرض ذات الشجر، وقيل الشجر نفسه (قوله من نخيل) اسم جنس جمعى واحده نخلة ولا يكون إلا لشجر البلح، والأعناب جمع عنبة اسم للكرم المعلوم وخصهما لعظم منافعهما ومزيد فضلهما على سائر الأشجار وإلا فالمراد فى الآية جميع الثمار بدليل باقى الآية (قوله له فيها ثمر من كل الثمرات) أشار بذلك إلى أن من كل الثمرات جار ومجرور متعلق بمحذوف صفة لموصوف محذوف على حد: منا ظعن ومنا أقام أى منا فريق ظعن ومنا فريق أقام وكقوله تعالى - ومامنا إلا له مقام معلوم - أى مامنا أحد وقوله له متعلق بمحذوف خبر لثمر المقدر وقوله فيها متعلق بمحذوف حال من ضمير الخبر (قوله وأصابه الكبر) الجملة حالية وقد مقدرة كما ذكره المفسر لأن الجملة الماضوية إذا وقعت حالا فلابد من قد تصحبها إما لفظا أوتقديرا وقوله وله ذرية ضعفاء جملة حالية أيضا (قوله فأصابها إعصار) هذا هو مصب الاستفهام لأن هذا هو موضع المصيبة (قوله ريح شديدة) هى المسماة بالزوبعة لأنها تعصر الشجر كما يعصر الانسان الثوب وتقلعه من أصله (قوله فاحترقت) معطوف على أصابها (قوله أحوج ما كان إليها) حال من فاعل فقدها أى فقدها

فيجازيكم به (أَيَوَدُّ) أيحب (أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ) بستان (مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا) ثمر (مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَ) قد (أَصَابَهُ الْكِبَرُ) فضعف من الكبر عن الكسب (وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ) أولاد صغار لايقدرون عليه (فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ) ريح شديدة (فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ) ففقدها أحوج ما كان إليها و بقى هو وأولاده عجزة متحيرين لاحيلة لهم، وهذا تمثيل لنفقة المرائى والمان فى ذهابها وعدم نفعها أحوج مايكون إليها فى الآخرة والاستفهام بمعنى النفى، وعن ابن عباس هو لرجل عمل بالطاعات ثم بعث له الشيطان فعمل بالمعاصى حتى أحرق أعماله (كَذَٰلِكَ) كما بين ماذكر (يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ) فتعتبرون (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا) أى زكوا (مِنْ طَيِّبَاتِ) جياد (مَا كَسَبْتُمْ) من المال (وَمِنْ) طيبات (مَا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ) من الحبوب والثمار (وَلَا تَيَمَّمُوا) تقصدوا (الْخَبِيثَ) الردىء (مِنْهُ) أى من المذكور (تُنْفِقُونَ) ه فى الزكاة حال من ضمير تيمموا (وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ) أى الخبيث لو أعطيتموه فى حقوقكم (إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ)،

هو حال كونه محتاجا إليها (قوله عجزة) جمع عاجز ككملة وكامل (قوله وهذا تمثيل لنفقة المرائى والمان) أى لأنهما خصلتان من خصال المنافقين وهو كافر بهما إن استحل ذلك (قوله والاستفهام بمعنى النفى) أى فهو إنكارى يعنى لايحب مسلم ذلك (قوله وعن ابن عباس) أى فهو تفسير آخر لمعنى الآية (قوله ماذكر) أى من نفقة المخلص بقوله مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله الآية ونفقة المرائى والمان بقوله فمثله كمثل صفوان الآية (قوله يبين الله لكم الآيات) أى فلم يكلفكم إلا بعد البيان (قوله يا أيها الذين آمنوا أنفقوا) هذا نتيجة ماقبله فبين أولا الاخلاص فى الانفاق وبين هنا الاخلاص فى الشىء المنفق (قوله زكوا) أى أدوا الزكاة وماقاربها (قوله من المال) أى وهو النقد والمواشى وعروض التجارة (قوله ومن طيبات ماأخرجنا لكم من الأرض) ظاهر الآية أن جميع ماخرج من الأرض يجب فيه الزكاة ولكن تفصيل ذلك موكول للسنة فأوجب الشافعى الزكاة فيما كان مقتاتا للآدمى حالة الاختيار إذا بلغ ذلك خمسة أوسق ففيه إن سقى بآلة نصف العشر و بغيرها العشر، وأبقاها أبو حنيفة على ظاهرها فأوجب الزكاة فى جميع مايخرج من الأرض من مأكولات الآدمى كالفواكه والخضراوات وأوجب فى ذلك العشر قليلا أو كثيرا، وعند مالك تجب الزكاة فى عشرين نوعا: القمح والشعير والسلت والدخن والذرة والأرز والعلس والقطانى السبع وهى الفول والحمص والترمس والبسلة والجلبان واللوبيا والعدس وذوات الزيوت الأربع وهى الزيتون والقرطم وحب الفجل الأحمر والسمسم والتمر والزبيب فيخرج من ذلك نصف العشر إن سقى بآلة والعشر كاملا إن سقى بغيرها إن بلغ حب ذلك أوزيت ماله زيت خمسة أوسق (قوله أى من المذكور) أى الخبيث فقوله منه تنفقون متعلق بالخبيث (قوله ولستم بآخذيه) هذا احتجاج على من أدى الزكاة من الردىء وامتنع من إعطائها من الطيب، وقد نزلت فى الأنصار، عن البراء بن عازب قال نزلت فينا معشر الأنصار كنا أصحاب نخل فكان الرجل يأتى بالقنو والقنوين

فيعلقه فى المسجد وكان أهل الصفة ليس لهم طعام فكان أحدهم إذا جاع أتى القنو فضربه بعصاه فيسقط البسر أوالتمر فيأكل وكان فينا من لايرغب فى الخير فيأتى بالقنو فيه الشيص والحشف و بالقنو قد انكسر فيعلقه فأنزل الله ولا تيمموا الآية (قوله التساهل) أشار بذلك إلى أن قوله : إلا أن تغمضوا فيه كناية عن التساهل لأن من تساهل فى شئ فقد غض بصره عنه (قوله عن نفقاتكم) أى فأمركم بها لا لاحتياجه إليها بل لنفعكم بها لا لعجزه عن نفقة الفقراء (قوله الشيطان يعدكم) أى يخبركم بأسباب الفقر و يجعله بين أعينكم (قوله البخل) قال بعضهم : الفحشاء فى القرآن جميعه معناه الزنا إلا هذه فمعناها البخل ، والمعنى بغويكم و يخبركم بأمور يتسبب عنها البخل فيترتب على ذلك مطاوعتكم له كمطاوعة المأمور للآمر وسمى إخبار الشيطان بالفقر وعدا مع أنه وعيد لأنه شر مشاكلة لقوله : والله يعدكم مغفرة منه وفضلا (قوله خلفا منه) ورد « أن الله بعث ملكين أحدهما ينادى: اللهم أعط منفقا خلفا ، والآخر ينادى: اللهم أعط ممسكا تلفا» وفى الحديث أيضا «إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة به فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق ، وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله ومن وجد الأخرى فليتعوذ من الشيطان ثم قرأ : الشيطان يعدكم الفقر و يأمركم بالفحشاء » خرجه الترمذى (قوله بالمنفق) يقرأ بصيغة اسم الفاعل أى بنية الشخص المنفق و بصيغة اسم المفعول أى بالشىء المنفق (قوله العلم النافع الخ) هذا هو أصح الأقوال وأولاها بالصواب وفى تفسيرها أقوال كثيرة قيل النبوة وقيل المعرفة بأحكام القرآن

بالتساهل وغض البصر فكيف تؤدون منه حق الله (وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ) عن نفقاتكم (حَمِيدٌ) محمود على كل حال (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ) يخوفكم به إن تصدقتم فتمسكوا (وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ) البخل ومنع الزكاة (وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ) على الإنفاق (مَغْفِرَةً مِنْهُ) لذنوبكم (وَفَضْلًا) رزقا خلفاً منه (وَاللَّهُ وَاسِعٌ) فضله (عَلِيمٌ) بالمنفق (يُؤْتِي الْحِكْمَةَ) العلم النافع المؤدى إلى العمل (مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا) لمصيره إلى السعادة الأبدية (وَمَا يَذَّكَّرُ) فيه إدغام التاء فى الأصل فى الذال يتعظ (إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ) أصحاب العقول (وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ) أديتم من زكاة أو صدقة (أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ) فوفيتم به (فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ) فيجازيكم عليه (وَمَا لِلظَّالِمِينَ) بمنع الزكاة أو النذر أو بوضع الإنفاق فى غير محله من معاصى الله (مِنْ أَنْصَارٍ) ما نعين لهم من عذابه (إِنْ تُبْدُوا) تظهروا (الصَّدَقَاتِ) أى النوافل (فَنِعِمَّا هِيَ) أى نعم شيئا

وقيل الفهم فيه ، وقيل الاصابة فى القول والفعل وقيل الفقه فى الدين مطلقا ، وقيل خشية الله وقيل القرآن لما ورد « إذا أراد الله إنزال العذاب بقوم سمع تعليم صبيانهم الحكمة رفعه عنهم » ويشهد لما قاله المفسر حديث « لاحسد إلا فى اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الخير ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها و يعلمها الناس »

(قوله المؤدى إلى العمل) أى وأما شقشقة اللسان التى لم تورث القلب خشية فلا تسمى حكمة بل يعذب الانسان على ذلك و يبعث جاهلا ، قال الامام الشافعى :

إذا لم يزد علم الفتى قلبه هدى ... وسيرته عدلا وأخلاقه حسنا
فبشره أن الله أولاه نقمة ... ينكل بها من قبل من عبد الوثنا

نسأل الله السلامة (قوله فيه إدغام التاء فى الأصل الخ) أى فأن أصله يتذكر قلبت التاء دالا ثم أعجمت وأدغمت فى الذال (قوله أصحاب العقول) أى الكاملة السالمة من شوائب النقص (قوله فوفيتم به) أشار بذلك إلى أن فى الآية حذف العاطف والمعطوف لأن المجازاة لاتترتب إلا على الوفاء بالنذر لا على نفس النذر (قوله فإن الله يعلمه) دليل الجواب وقدر المفسر الجواب بقوله فيجازيكم عليه (قوله من أنصار) من صلة والأنصار الأعوان (قوله إن تبدوا الصدقات) لما تقدم فضل الصدقة كأن قائلا يقول هل هذا الفضل مخصوص بمن أسرها أو بمن أعلنها ؟ فأجاب بذلك وحذف من هنا شيئا أثبت نظيره فى الآخر تقديره إن تبدوا الصدقات وتعطوها الأغنياء فنعماهى (قوله أى النوافل) أى فالمراد بالصدقات صدقات التطوع لأنها هى التى يصح إعطاؤها للأغنياء (قوله فنعماهى) بكسر النون وفتحها قراءتان سبعيتان والعين مكسورة على كل حال والقياس فتح النون لأنه على وزن علم و إنما كسرت النون فى القراءة الأخرى إتباعا لكسرة العين ونعم فعل ماض وما تمييز وقيل فاعل وهى هو المخصوص بالمدح .

(قوله شيئا) تفسير لما وقوله إبداؤها بيان لكون المخصوص في حذف مضاف (قوله فالأفضل إظهارها) أى حيث كان مشهورا بالمال ولم يخش على نفسه تسلط الظلمة على ماله (قوله و إيتاؤها الفقراء متعين) التعيين بالنسبة للأغنياء و إلا فالأصناف التى تدفع لهم ثمانية مذكورة فى سورة براءة (قوله بالياء) أى مع الرفع لاغير وقوله والنون أى مع الجزم والرفع فالقراآت ثلاث فقول المفسر مجزوما ومرفوعا راجع لقوله والنون لاغير (قوله على محل فهو) أى مع خبره ومحله جزم لوقوعه جواب الشرط (قوله بعض سيئاتكم) أشار بذلك إلى أن من للتبعيض لأن الصدقات لاتكفر جميع السيئات بخلاف التوبة فتكفر جميعها (قوله لايخفى عليه شىء منه) أى من العمل سرّا أو جهرا فإسرار العمل لايدل على الاخلاص و إجهاره لايدل على الرياء (قوله ولما منع) أشار بذلك إلى سبب نزول الآية (قوله من التصدّق على المشركين) أى الكفار الفقراء يهودا أوغيرهم (قوله ليسلموا) أى ليضطروا فربما يترتب على ذلك إسلامهم (قوله ليس عليك هداهم) أى لم يكلفك يامحمد ربك بخلق الهدى فيهم بل كلفك بتبليغ شرعه و يسمى هدى أيضا قال تعالى ـ ولكل قوم هاد ـ بمعنى مبلغ ودالّ لهم على طريق الحق فتحصل أن الهدى يطلق بمعنى الدلالة وهو مكلف به الأنبياء والعلماء، و بمعنى إيصال الخير للقلب وهو لم يكلف به أحد قال تعالى ـ إنك لاتهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء ـ ومن هنا قول العارف: من نظر للخلق بعين الحقيقة عذرهم ومن نظر لهم بعين الشريعة مقتهم . فعذرهم بالنظر لخلق الله الضلال والهدى فى قلوبهم فالخالق للضلال والهدى والأفعال جميعها هو الله وحده فمن نظر لذلك لم يستقبح فعل أحد لأنه فعل لله فى الحقيقة قال العارف:

إذا ما رأيت الله فى الكل فاعلا
رأيت جميع الكائنات ملاحا
وان لم ترى إلا مظاهر صنعه
حجبت فصيرت الحسان قباحا

شيئا إبداؤها (وَإِنْ تُخْفُوهَا) تسروها (وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ) من إبدائها و إيتائها الأغنياء ، أما صدقة الفرض فالأفضل إظهارها ليقتدى به ولئلا يتهم و إيتاؤها الفقراء متعين (وَيُكَفِّرُ) بالياء و بالنون مجزوما بالعطف على محل فهو ، ومرفوعا على الاستئناف (عَنْكُمْ مِنْ) بعض (سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) عالم بباطنه كظاهره لايخفى عليه شىء منه. ولما منع صلى الله عليه وسلم من التصدق على المشركين ليسلموا نزل (لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ) أى الناس إلى الدخول فى الإسلام إنما عليك البلاغ (وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ) هدايته إلى الدخول فيه (وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ) مال (فَلِأَنْفُسِكُمْ) لأن ثوابه لها (وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ) أى ثوابه لاغيره من أغراض الدنيا، خبر بمعنى النهى (وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ) جزاؤه (وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ) تنقصون منه شيئا والجملتان تأكيد للأولى (لِلْفُقَرَاءِ) خبر مبتدإ محذوف أى الصدقات (الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) أى حبسوا أنفسهم على الجهاد ، نزلت فى أهل الصفة وهم أربعمائة من المهاجرين ،

ومقتهم بالنظر للتكليف الظاهرى فالعبد مجبور فى قالب مختار (قوله هدايته) قدره إشارة إلى مفعول يشاء (قوله لأن ثوابه لها) أى فلا يضيع الثواب سواء تصدّق على مؤمن أو مشرك (قوله لاغيره من أغراض الدنيا) أى فلا تجعلوا نفقاتكم عليهم إلا لوجه الله لالشىء آخر لأن من كان مقصده وجه الله فلا يخيب أبدا كانت النفقة على مسلم أو كافر بل ورد أن الله غفر لانسان بسبب سقيه كلبا يلهث عطشا (قوله خبر بمعنى النهى) راجع للجملة الثانية أى فهى خبرية لفظا إنشائية معنى ، والمعنى لاتجعلوا إنفاقكم إلا خالصا لوجه الله لا لغرض آخر لادنيوى ولا أخروى وهذا هو المقام الأعلى أو لاتقصدوا إلا وجه الله بمعنى ثوابه وهذا أدنى منه وارتكبه المفسر و إن كانت الآية محتملة لهما بالنظر لأخلاق العامة و يصح فى هذه الجملة أن تكون خبرية لفظا ومعنى وتكون قيدا فيما قبلها ، فالمعنى وما تنفقوا من خير فلأنفسكم إن قصدتم بها وجه الله (قوله من خير) أى قليلا أو كثيرا (قوله تنقصون منه شيئا) أى سواء كان قليلا أو كثيرا ولو خردلة (قوله للأولى) أى وهى قوله ـ وما تنفقوا من خير فلأنفسكم ـ (قوله أى الصدقات) أى المتقدم ذكرها تصرف وتعطى للفقراء الذين أحصروا الخ (قوله فى أهل الصفة) أى وهى محل فى مؤخر المسجد النبوى والعبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب ، فالمراد كلّ من كان متصفا بأوصافهم فالصدقات تعطى له (قوله وهم أربعمائة) ورئيسهم عبد الرحمن بن صخر المكنى بأبى هريرة (قوله من المهاجرين) أى الذين هاجروا مع رسول الله من مكة وماحولها وتركوا أموالهم وديارهم ولم يكن لهم بالمدينة مساكن

أرصدوا لتعلم القرآن والخروج مع السرايا (لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا) سفرا (فِي الْأَرْضِ) للتجارة والمعاش لشغلهم عنه بالجهاد (يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ) بحالهم (أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ) أى لتعففهم عن السؤال وتركه (تَعْرِفُهُمْ) يا مخاطبا (بِسِيمَاهُمْ) علامتهم من التواضع وأثر الجهد (لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ) شيئا فيلحفون (إِلْحَافًا) أى لاسؤال لهم أصلا فلا يقع منهم إلحاف وهو الإلحاح (وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ) فمجاز عليه (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ. الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا) أى يأخذونه وهو الزيادة فى المعاملة بالنقود والمطعومات فى القدر أو الأجل (لَا يَقُومُونَ) من قبورهم (إِلَّا) قياما (كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ) يصرعه (الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ) الجنون بهم متعلق بيقومون (ذَلِكَ) الذى نزل بهم (بِأَنَّهُمْ) بسبب أنهم (قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا) فى الجواز، وهذا من عكس التشبيه مبالغة فقال تعالى ردا عليهم (وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ) بلغه (مَوْعِظَةٌ) وعظ (مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى) عن أكله (فَلَهُ مَا سَلَفَ) قبل النهى أى لا يسترد منه (وَأَمْرُهُ) فى العفو عنه (إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ) إلى أكله مشبها له بالبيع فى الحل (فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ. يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا) ينقصه ويذهب بركته (وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ) يزيدها وينميها ويضاعف ثوابها (وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ) بتحليل الربا (أَثِيمٍ) فاجر بأكله، أى يعاقبه.

ولا عشائر وكانوا غير متزوجين وكانوا يستغرقون أوقاتهم فى الاشتغال بالقرآن والسنة والعبادة ليلا والجهاد نهارا وكانوا يقفون أول صف فى الصلاة والجهاد (قوله أرصدوا لتعلم القرآن) أى والصلاة خلف النبى وقيام الليل (قوله بالجهاد) أى فى طاعة الله إما بالغزو أو بتعلمهم القرآن وغير ذلك من أنواع الطاعات (قوله وأثر الجهد) أى من عظيم الخدمة مع الجوع (قوله شيئا) قدره إشارة إلى مفعول يسئلون وقوله فيلحفون قدره إشارة إلى أن إلحافا مفعول لمحذوف (قوله أى لاسؤال لهم أصلا) أى فالنفى منصب على القيد وهو الالحاف والمقيد وهو أصل السؤال فالإلحاف منفى قطعا لانتفاء أصل السؤال (قوله وما تنفقوا من خير) هذه الجملة تأكيد للجملة المتقدمة (قوله الذين ينفقون أموالهم) قيل نزلت فى أبى بكر حين تصدق بأربعين ألف دينار عشرة آلاف بالليل ومثلها بالنهار ومثلها سرا ومثلها علانية، وقيل فى على كانت معه أربعة دراهم لم يملك غيرها فتصدق بدرهم ليلا و بآخر نهارا وبآخر سرا وبآخر علانية ولكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فالمراد بيان أجر المنفق على هذا الوجه فلا خصوصية لأبى بكر بذلك ولا لعلى (قوله أى يأخذونه) أشار بذلك إلى أن المراد ليس خصوص الأكل بل التناول مطلقا (قوله فى القدر) مراده به ربا الفضل أى الزيادة وهو حرام فى متحد الجنس فقط وقوله والأجل مراده به ربا النسا وهو حرام وإن تعدد الجنس. قال الأجهورى:

ربا النسا فى النقد حرم ومثله
طعام وإن جنساهما قد تعددا
وخص ربا فضل بنقد ومثله
طعام ربا إن جنس كل توحدا

واعلم أن الربا محرم كتابا وسنة وإجماعا فمن استحله فقد كفر وقد ورد فى ذم آكل الربا من (إن الأحاديث ما لايحصى. فمنها «لعن الله آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهده كلهم فى اللعنة سواء» ومنها أنه رأى ليلة الاسراء رجلا يسبح فى نهر من دم يلقم الحجارة فقال ماهذا ياجبريل قال هذا مثل آكل الربا (قوله الذى يتخبطه الشيطان) أى وهذه علامة يعرفون بها يوم القيامة (قوله بسبب أنهم قالوا الخ) أى فقد ضلوا بالربا قولا وفعلا واعتقادا (قوله وهذا من عكس التشبيه) أى فقد جعلوا المشبه مشبها به فجعلوا الربا أصلا فى الحل والبيع مقيسا عليه (قوله فله ماسلف) أى سبق قبل النهى عنه (قوله فى العفو عنه) أى عن آكله، والمعنى فأمره فى الثواب لامتثال أمر الله موكول له يعنى أن من سمع النهى من رسول الله عنه وتاب فقد فاز بما أكله قبل النهى وثوابه موكول لله فهذه الآية محمولة على الصحابة الذين سبق منهم الربا قبل تحريمه (قوله هم فيها خالدون) أى لاستحلالهم ماحرم الله (قوله يمحق الله الربا) أى المال كله (قوله ويربى الصدقات) أى لما فى الحديث «إذا تصدق العبد بصدقة فان الله يربيها له كما يربى أحدكم فلوه حتى تكون فى ميزانه كأحد» (قوله أى يعاقبه) تفسير لعدم محبة الله له

(قوله إن الذين آمنوا) أى بما أنزل الله ومن جملة ذلك تحريم الربا وقوله وعملوا الصالحات أى بتركهم الربا واتباعهم ماأحل الله. (قوله وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة) نص عليهما و إن كانا داخلين فى قوله وعملوا الصالحات لعظم شأنهما (قوله ولاخوف عليهم) أى من مكروه يوم القيامة ولا هم يحزنون أى فى يوم القيامة على مافاتهم من الدنيا (قوله يأيها الذين آمنوا اتقوا) أى امتثلوا أوامر الله واجتنبوا نواهيه (قوله وذروا) أمر من وذر يذر وأصله اوذروا حذفت الواو حملا على حذفها فى المضارع (قوله لما طالب بعض الصحابة) قيل هو عثمان بن عفان والعباس كانا أسلما رجلا فى قدر من التمر فلما حل الأجل طالباه فقال لهما إن أعطيتكما الحق بتمامه لم يبق شىء للعيال وإنما أعطيكما الآن نصفه والنصف الآخر أخرانى به وأزيدكما مثله فتراضيا معه على ذلك قبل التحريم ثم حلّ الأجل فطالباه بذلك فنزلت الآية . إن قلت كيف يطلبانه بالربا مع علمهما بالنهى السابق قبل التحريم . أجيب بأنهما تأولا ذلك حيث ظنا أنه لاحرمة إلا على من جدّد عقدا بعد التحريم (قوله فأذنوا) بالقصر والمدّ قراءتان سبعيتان فعلى القصر معناها أيقنوا وعلى المد معناها أعلموا غيركم بذلك وكلام المفسر يحتملهما (قوله بحرب) أى حرب الكفار إن استحله أو البغاة إن لم يستحله (قوله لايدى لنا) هكذا بالتثنية وكان مقتضى الفصيح لا يدين إلا أن يقال حذفت النون تخفيفا أو يلاحظ إضافتـــه للضمير واللام مقحمة وفى نسخة لايد لنا بالافـــراد وهى ظاهرة ومعناها لاطاقة ولا قدرة لنا على محاربته وهـــذا كناية عن كونهم امتثلوا ما أمروا به لورود هـــذا الوعيد العظيم فيه ومن ذلك قول عمر وكان قد صعد المنبر : أيها الناس إنّ آية الربا آخر مانزل على نبيكم ولو عاش لبين لـكم وجوها كثيرة لا تعلمونها فاتقوا الربا والريبة (قوله لاتظلمون

(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَآتَوُا الزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ. يٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّٰهَ وَذَرُوا) اتركوا (مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبٰوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) صادقين فى إيمانكم فإن من شأن المؤمن امتثال أمر الله تعالى . نزلت لما طالب بعض الصحابة بعد النهى بربا كان له قبل (فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا) ما أمرتم به (فَأْذَنُوا) اعلموا (بِحَرْبٍ مِنَ اللّٰهِ وَرَسُولِهِ) لكم ، فيه تهديد شديد لهم. ولما نزلت قالوا لا يدى لنا بحربه (وَإِنْ تُبْتُمْ) رجعتم عنه (فَلَكُمْ رُءُوسُ) أصول (أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ) بزيادة (وَلَا تُظْلَمُونَ) بنقص (وَإِنْ كَانَ) وقع غريم (ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ) له أى عليكم تأخيره (إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ) بفتح السين وضمها أى وقت يسر (وَأَنْ تَصَدَّقُوا) بالتشديد على إدغام التاء فى الأصل فى الصاد وبالتخفيف على حذفها أى تتصدقوا على المعسر بالابراء (خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) أنه خير فافعلوه ، فى الحديث «من أنظر معسرا أو وضع عنه أظله الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله» .رواه مسلم (وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ) بالبناء للمفعول تردون وللفاعل تصيرون (فِيهِ إِلَى اللّٰهِ) هو يوم القيامة (ثُمَّ تُوَفَّىٰ) فيه (كُلُّ نَفْسٍ) ،

بزيادة) ومن ذلك مهاداة المدين لرب الدين فهو حرام وربا إن لم تكن عادته الهدية قبل شغل الذمة (قوله وقع غريم) أشار بذلك إلى أن كان تامة وذو فاعلها وهو الأقرب و يصح كونها ناقصة وذو اسمها وخبرها محذوف تقديره غريما لـكم (قوله ذو عسرة) أى حيث كان ثابتا عسره بالبينة أو بإقرار صاحب الدين ، وأما من لم يكن عسره ثابتا بأن كان ظاهر الملاء فانه يحبس حتى يؤدّى أو يثبت عسره أو يموت (قوله أى عليكم تأخيره) أى وجوبا وأشار بذلك إلى أن نظرة مبتدأ خبره محذوف (قوله فى الأصل فى الصاد) أى فأصله تتصدقوا قلبت التاء الثانية صادا ثم أدغمت فى الصاد (قوله على حذفها) أى التاء . قال ابن مالك :

وما بتاءين ابتدى قد يقتصر فيـــه على تا كتبين العبر (قوله بالابراء) أى وهو مندوب وهو أفضل من الواجب الذى هو الانظار لأنه إنظار وزيادة وله نظائر نظمها المفسر بقوله: الفرض أفضل ما أتى متعبد حتى ولو قد جاء منه بأكثر إلا التطهر قبل وقت وابتدا ء بالسلام كذاك إبرا المعسر (قوله واتقوا يوما) هذه الآية آخر القرآن نزولا كما قال ابن عباس وأمر جبريل رسول الله بوضعها على رأس مائتين وثمانين آية وتقدم لنا أن البقرة مائتان وست وثمانون آية فيكون الباقى بعد خمس آيات . أولها آية الدين . وثانيها و إن كنتم على سفر إلى قوله عليم . ثالثها لله ما فى السموات وما فى الأرض إلى قدير . رابعها آمن الرسول إلى المصير . خامسها لا يكلف الله نفسا إلا وسعها إلى آخرها، ونزلت قبل وفاة رسول الله بثلاث ساعات

وقيل بسبعة أيام وقيل بأحد وعشرين وقيل بأحد وثمانين (قوله جزاء ما كسبت) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم) هذه الآية من هنا إلى عليم أطول آي القرآن وقد اشتملت على بيان إرشاد العباد لمصالح دنياهم وذلك لأن الدنيا مزرعة الآخرة والدين المعاملة فحينئذ لا يتم إصلاح الآخرة إلا بإصلاح الدنيا فبين هنا ما به إصلاح الدنيا (قوله تعاملتم) فسر المداينة بالمعاملة التي هي مفاعلة من الجانبين أي سواء كنت آخذا أو مأخوذا منك (قوله بدين) حكمة التصريح به وإن علم من تداينتم ليعود الضمير في قوله فاكتبوه عليه صراحة وأيضا لدفع توهم أن المراد بالمداينة المجازاة كقوله كما يدين الفتى يدان أي كما يجازي يجازى وأيضا صرح به إشارة إلى عموم الدين قليلا أو كثيرا جليلا أو حقيرا فالمعنى لا تستخفوا به (قوله كسلم) أي مسلم فيه كما إذا دفع عشرة دراهم مثلا ليأتي له بقنطار سمن عند أجل معلوم بينهما وقوله وقرض المراد به السلف (قوله إلى أجل مسمى) أي وأما الحال فلا يحتاج لكتابة لأنه ليس من المهمات ولمزيد المشقة (قوله معلوم) أي فالجهل فيه مفسد للعقد إن كان مسلما، وأما السلف فيجوز فيه التأجيل والحلول فإن وقع على الحلول فلا بد عند مالك من مضي زمن يمكن انتفاعه به عادة وإن وقع على التأجيل فيلزم المقرض الصبر إلى الأجل عند مالك وعند الشافعي لا يلزمه الصبر إليه بل له أن يطلبه قبله (قوله استيثاقا) أشار بذلك إلى أن الأمر في الآية الارشاد لا للوجوب كالأمر بالصلاة والصوم بحيث يعاقب على تركه (قوله كتاب الدين) أشار بذلك إلى أن مفعول يكتب محذوف (قوله بالعدل) أي ولا يكون إلا فقيها عدلا ويشترط أن يكتب كلاما معروفا لا موهما (قوله ولا يأب) لا ناهية والفعل مجزوم بحذف الألف والفتحة دليل عليها وكاتب فاعل يأب وقوله من أن يكتب قدر من إشارة إلى أن الجار محذوف وهو مطرد مع أنّ وأن عند أمن اللبس فهو في محل نصب مفعول ليأب (قوله والكاف متعلقة بيأب) أي تعليلية وما مصدرية وعبارة غيره والكاف متعلقة بلا يأب وهي الأوضح لأن من لم يعرف الوضع ولا الأحكام لا يتعلق به النهي والمعنى لا يمتنع كاتب من الكتابة من أجل تعليم الله له تلك الكتابة (قوله تأكيد) أي زيادة في الايضاح (قوله الكاتب) مفعول أول ليملل ومفعوله الثاني قوله الدين وقوله يمل أشار بذلك إلى أن الاملاء والاملال لغتان يقال أمليته وأمللته بمعنى ألقيت عليه ذلك شيئا فشيئا ومن ذلك سميت الملة ملة لاملائها وإلقائها على رسول الله شيئا فشيئا والقراءة بالفك هنا ويصح في غير القرآن الادغام لقول ابن مالك: وفي * جزم وشبه الجزم تخيير قفي * (قوله لأنه المشهود عليه) أي فلا يكتب الكاتب إلا بحضرتهما لقطع النزاع بينهما (قوله وليتق الله ربه) أي فلا يكتب كلاما موهما للزيادة أو النقص فقوله ولا يبخس منه شيئا تفسير للتقوى وذلك كأن يكتب ألفا ولم يبين كونه فضة أو محبوبا أو ريالا أو غير ذلك أو عشرين محبوبا مثلا ولم يبين كونها معاملة أو ذهبا أو غير ذلك (قوله فإن كان الذي عليه الحق) أي لا الذي له الحق (قوله مبذرا) أي في أمور دنياه عند مالك أو في أمور دنياه ودينه عند الشافعي (قوله أو كبر) أي مفرط بحيث لا يدري شيئا أو كان من عليه الحق أنثى يخشى منها الفتنة فتوكل محرمها (قوله ومترجم) أي إن كان لا يعرف اللغة العربية مثلا (قوله بالعدل) متعلق بقوله فليملل (قوله أشهدوا على الدين) أشار بذلك إلى أن السين والتاء لتأكيد الطلب (قوله من رجالكم) متعلق بمحذوف صفة لشهيدين (قوله أي بالغي المسلمين الأحرار) أي العقلاء العدول فشهادة الصبيان لا تقبل في الأموال ولا فيما آل إليها

جزاء (مَا كَسَبَتْ) عملت من خير وشر (وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) بنقص حسنة أو زيادة سيئة (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ) تعاملتم (بِدَيْنٍ) كسلم وقرض (إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى) معلوم (فَاكْتُبُوهُ) استيثاقا ودفعا للنزاع (وَلْيَكْتُبْ) كتاب الدين (بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ) بالحق في كتابته لا يزيد في المال والأجل ولا ينقص (وَلَا يَأْبَ) يمتنع (كَاتِبٌ) من (أَنْ يَكْتُبَ) إذا دعي إليها (كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ) أي فضله بالكتابة فلا يبخل بها والكاف متعلقة بيأب (فَلْيَكْتُبْ) تأكيد (وَلْيُمْلِلِ) يمل على الكاتب (الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ) الدين لأنه المشهود عليه فيقر ليعلم ما عليه (وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ) في إملائه (وَلَا يَبْخَسْ) ينقص (مِنْهُ) أي الحق (شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا) مبذرا (أَوْ ضَعِيفًا) عن الإملاء لصغر أو كبر (أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ) لخرس أو جهل باللغة أو نحو ذلك (فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ) متولي أمره من والد ووصي وقيم ومترجم (بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا) أشهدوا على الدين (شَهِيدَيْنِ) شاهدين (مِنْ رِجَالِكُمْ) أي بالغي المسلمين الأحرار (فَإِنْ لَمْ يَكُونَا) أي الشهيدان (رَجُلَيْنِ

فرجل

وعند مالك تجوز شهادة الصبيان على بعضهم فى الجراح وكذا لا تقبل شهادة العبيد ولا الكفار ولا المجانين ولا غير العدول ولكن إذا لم يوجد العدول فليستكثر من الشهود (قوله فرجل وامرأتان) أى فى الأموال وما آل إليها فاذا لم يوجد الرجل كفى اليمين معهما كما يكفى اليمين معه وحده وهذا مذهب مالك والشافعى وأما أبوحنيفة فلا يكتفى باليمين مع الشاهد (قوله ممن ترضون) متعلق باستشهدوا فيؤخذ منه شرط العدالة فى الجميع وقد صرّح بالعدالة فى مواضع آخر (قوله وعدالته) العدل هو من لم يفعل كبيرة ولا صغيرة خسة كتطفيف حبة ولامايخلّ بالمروءة كالأكل فى الأسواق (قوله وتعدّد النساء الخ) أشار بذلك إلى أن قوله أن تضلّ متعلق بمحذوف جواب عن سؤال مقدّر تقديره لم أشترط تعدّد النساء مع أنهنّ شقائق الرجال . أجيب بأنه لتذكر إحداهما الأخرى وإنما احتيج للتذكار لأن شأنهنّ النسيان لنقص عقلهنّ وعدم ضبطهنّ (قوله فتذكر) معطوف على تضل عطف مسبب على سبب أو معلول على علة لأن التذكار علة للتعداد والاضلال علة للتذكار فهو علة للعلة (قوله ورفع تذكر) أى بالتشديد لاغير فالقراآت ثلاث وكلها سبعية فعلى هذه القراءة تضل فعل الشرط وهو مجزوم بسكون مقدر على آخره منع من ظهوره اشتغال المحل بحركة الادغام (قوله استئناف) أى خبر لمبتدا محذوف والجملة فى محل جزم جواب الشرط : أى فهى تذكر (قوله ولايأب الشهداء) أى لايجوز للشهود الامتناع من أداء الشهادة أو تحملها لأنه فرض كفاية إن وجد من يثبت به الحق غيرهم وإن لم يوجد غيرهم كان التحمل أو الأداء فرض عين ومن تأخر

(١٢٥)

فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ) يشهدون (مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ) لدينه وعدالته ، وتعدد النساء لأجل (أَنْ تَضِلَّ) تنسى (إِحْدَاهُمَا) الشهادة لنقص عقلهن وضبطهن (فَتُذَكِّرَ) بالتخفيف والتشديد (إِحْدَاهُمَا) الذاكرة (الْأُخْرَى) الناسية وجملة الإذكار محل العلة أى لتذكر إن ضلت ودخلت على الضلال لأنه سببه . وفى قراءة بكسر إن شرطية ورفع تذكر استئناف جوابه (وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا) زائدة (دُعُوا) إلى تحمل الشهادة وأدائها (وَلَا تَسْأَمُوا) تملوا من (أَنْ تَكْتُبُوهُ) أى ما شهدتم عليه من الحق لكثرة وقوع ذلك (صَغِيرًا) كان (أَوْ كَبِيرًا) قليلا أو كثيرا (إِلَى أَجَلِهِ) وقت حلوله حال من الهاء فى تكتبوه (ذَٰلِكُمْ) أى الكتب (أَقْسَطُ) أعدل (عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ) أى أعون على إقامتها لأنه يذكرها (وَأَدْنَىٰ) أقرب إلى (أَ) ن (لَا تَرْتَابُوا) تشكوا فى قدر الحق والأجل (إِلَّا أَنْ تَكُونَ) تقع (تِجَارَةٌ حَاضِرَةٌ) وفى قراءة بالنصب فتكون ناقصة واسمها ضمير التجارة (تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ) أى تقبضونها ،

عن ذلك كان عاصيا (قوله من أن تكتبوه) أشار بذلك إلى أن قوله أن تكتبوه فى تأويل مصدر مجرور بمن مقدرة معمول لتسأموا والمعنى لا تسأموا من كتابته وظاهره لزوم تقدير من وليس كذلك لأن سأم يتعدى بنفسه وبحرف الجر فعلى عدم التقدير أن وما دخلت عليه فى تأويل مصدر مفعول لتسأموا (قوله لكثرة وقوع ذلك) علة للنهى : أى لايسأم من الكتابة من تكثر منه الحقوق فبالأولى من لم تكثر منه وظاهر قوله : أى ما شهدتم عليه أن الضمير فى تكتبوه عائد على الشهود وهو معنى صحيح فبين أوّلا كتابة المتداينين وثانيا كتابة الشاهدين لشهادتهما لتكون تلك الكتابة مذكرة لهما ويصح أن يكون خطابا للمتداينين ويؤوّل قول المفسر ماشهدتم بأشهدتم (قوله صغيرا كان) قدر كان إشارة إلى أن صغيرا أو كبيرا خبران لكان المحذوفة . قال ابن مالك :

ويحذفونها ويبقون الخبر ... وبعد إن ولو كثيرا ذا اشتهر

وليس بمتعين بل يصح جعلهما حالين من الهاء فى تكتبوه (قوله أى الكتب) أى المفهوم من أن تكتبوه على حد اعدلوا هو هو أقرب للتقوى (قوله وأقوم للشهادة) هذا يؤيد ماذكره المفسر أولا من أن الضمير فى تكتبوه عائد على الشهود (قوله تشكوا فى قدر الحق والأجل) أى فيلزم على ذلك إما ضرر المدين أو من له الدين (قوله إلا أن تكون تجارة) إما بالرفع على أن تكون تامة أو بالنصب على أنها ناقصة واسمها ضمير تكون قراءتان سبعيتان وحاضرة وتديرونها صفتان لتجارة وهو وصف بالجملة بعد الوصف بالمفرد عكس قوله تعالى ـ وهذا كتاب أنزلناه مبارك ـ والاستثناء يحتمل أن يكون متصلا من عموم الأحوال ويحتمل أن يكون منقطعا وهو الأقرب لأن مابيع مناجزة ليس داخلا تحت قوله ـ إلى أجل مسمى ـ الآية (قوله أى تقبضونها) راجع لقوله ـ تديرونها ـ وقوله ولا أجل فيها راجع لقوله ـ حاضرة ـ فهو لف ونشر مشوش .

(قوله أمر ندب) أى إرشاد لمصالح الدنيا لقطع النزاع وهذا تقييد للاستثناء : أى إن الاشهاد المذكور يكون فى العقارات والأمور التى تبقى ، وأما الاستثناء فمحله الأمور التى لا تبقى (قوله صاحب الحقّ) قدره إشارة إلى أن يضارّ مبنى للفاعل وكاتب فاعل وأصله يضارر فلا ناهية و يضار مجزوم بسكون مقدر على آخره منع من ظهوره اشتغال المحل بحركة الادغام (قوله بتحريف) أى فى الكتابة بأن يزيد أو ينقص فيضر البائع أو المشترى ، وقوله أو امتناع من الشهادة : أى يتركها حتى يأخذ عليها جعلا مثلا وذلك إضرار من الكاتب والشهيد لصاحب الحق (قوله أولا يضرهما صاحب الحق) أى فيضار مبنى للمفعول وكاتب وشهيد نائب الفاعل فأصله يضارر (قوله ما لايليق فى الكتابة) أى بأن يأمره بكتابة مالم يطلع عليه أو يمتنع من إعطاء أجرته له ، وقوله والشهادة : أى بأن يستشهد على مالم يره أو يأخذه على مسافة القصر قهرا من غير دفع شىء له يمونون به (قوله ما نهيتم عنه) أى من مضاررة الكاتب والشاهد (قوله فانه فسوق) أى يترتب عليه الفسوق آخرا لأن من لم يدر العواقب فليس له فى الدنيا صاحب (قوله لاحق بكم) قدره إشارة إلى أن بكم متعلق بمحذوف (قوله أو مستأنفة) الأولى الاقتصار عليه لأن جعله حالا خلاف القاعدة النحوية فان القاعدة أن الجملة المضارعية المثبتة إذا وقعت حالا فان الضمير يلزمها وتخلو من الواو ولا يصح أيضا عطفها على جملة

واتقوا الله لأنه يلزم عليه عطف الخبر على الانشاء وفيه خلاف ، وقوله و يعلمكم

ولا أجل فيها (فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ) فى (أ) ن (أَلَّا تَكْتُبُوهَا) والمراد بها المتجر فيه (وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ) عليه فإنه أدفع للاختلاف ، وهذا وما قبله أمر ندب (وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ) صاحب الحق ومن عليه بتحريف أو امتناع من الشهادة أو الكتابة أو لا يضرهما صاحب الحق بتكليفهما ما لا يليق فى الكتابة والشهادة (وَإِنْ تَفْعَلُوا) ما نهيتم عنه (فَإِنَّهُ فُسُوقٌ) خروج عن الطاعة لاحق (بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ) فى أمره ونهيه (وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ) مصالح أموركم حال مقدرة أو مستأنف (وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ . وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ) أى مسافرين وتداينتم (وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرُهُنٌ) وفى قراءة فرهان جمع رهن (مَقْبُوضَةٌ) تستوثقون بها ، و بينت السنة جواز الرهن فى الحضر ووجود الكاتب فالتقييد بما ذكر لأن التوثيق فيه أشد ، وأفاد قوله مقبوضة اشتراط القبض فى الرهن والاكتفاء به من المرتهن ووكيله .

الله : أى العلم النافع لأن العلم نور لايهدى لغير المتقى قال الامام الشافعى :

شكوت إلى وكيع سوء حفظى
فأرشدنى إلى ترك المعاصى
وأعلمنى بأن العلم نور
ونور الله لايهدى لعاصى

وقال الامام مالك : من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يكن يعلم ، فالتقوى سبب لاعطاء العلم النافع (قوله والله بكل شىء عليم) أى فيجازى كلا من الفاسق والمتقى على ماصدر منه (قوله وإن كنتم على سفر) فيه استعارة تبعية (فان

حيث شبه الظرفية المطلقة بالاستعلاء المطلق فسرى التشبيه من الكليات للجزئيات فاستعيرت على الموضوعة للاستعلاء الخاص لمعنى فى الموضوعة للظرفية الخاصة عكس : ولأصلبنكم فى جذوع النخل ، والجامع بينهما التمكن فى كل فكما أن المسافر متمكن من السفر كذلك الراكب متمكن من الركوب ومستعل على المركوب ، وقد أشار للاستعارة المفسر بقوله : أى مسافرين (قوله ولم تجدوا كاتبا) يصح عطفه على فعل الشرط فهو فى محل جزم أو على خبر كان فهو فى محل نصب أو حالا فهو فى محل نصب أيضا ولم يقل ولا شهودا لأن الشأن وجودهم إذ ذاك بخلاف الكاتب (قوله فرهن) مبتدأ وقوله مقبوضة صفته وخبره محذوف قدره المفسر بقوله تستوثقون بها والجملة جواب الشرط فى محل جزم (قوله جمع رهن) أى كل من رهن ورهان جمع لرهن (قوله و بينت السنة الخ) جواب عن سؤال مقدر وهو أن مفهوم الآية أن الرهن فى الحضر لا يسوغ أخذه . أجاب بأن السنة بينت الجواز فى الحضر (قوله لأن التوثق فيه أشد) أى لأن الغالب فى السفر عدم وجود الكاتب ونسيان الدين والتعرض للموت (قوله اشتراط القبض فى الرهن) أى وهل يشترط من الراهن الاقباض بأن يسلمه الرهن بيده خلاف عند مالك والشافعى والمعتمد عدم اشتراطه ولا بد أن يكون القبض بعلم الراهن أو وكيله ورضاه فلو سرقه المرتهن مثلا ومات الراهن أو أفلس فلا يختص المرتهن به فهو أسوة الغرماء .

(قوله فان أمن بعضكم بعضا) أى رضى بعضكم وهو صاحب الدين بامانة بعض وهو المدين (قوله فلم يرتهنه) تفريع على قوله فان أمن الخ (قوله فليؤد الخ) جواب الشرط وقرن بالفاء لأن الجملة طلبية وقد أكد ذلك بأمور منها الأمر ومنها تسميته أمانة ومنها الأمر بتقوى الله فى الأداء ومنها التصريح بقوله الله ربه (قوله دينه) إنما سماه أمانة لأنه صار لايعلم إلا منه (قوله وليتق الله ربه) أى ليخش عقاب ربه فى الأداء ولايماطله به (قوله ولاتكتموا الشهادة) أى الاقرار بالدين وسمى شهادة لأنه لايعلم إلا من المدين فكأنه شاهد بالدين فحيث كتمه فقد كتم الشهادة بالدين (قوله فانه آثم) جواب الشرط وقلبه فاعل بآثم (قوله ولأنه إذا أثم تبعه غيره) أى فى الاثم لأنه سلطان الأعضاء إذا صلح صلح الجسد كله وإذا فسد فسد الجسد كله (قوله والله بما تعملون عليم) أى فيجازى الخلق على أعمالهم خيرا أو شرا (قوله لله ما فى السموات وما فى الأرض) أى ملكا وخلقا وعبيدا وهذا كالدليل لما قبله وعبر بما تغليبا لغير العاقل لكثرته (قوله تظهروا ما فى أنفسكم) أى فتفعلوا بمقتضاه (قوله والعزم عليه) عطف تفسير وهذا هو محل المؤاخذة وهو إشارة لجواب عن الآية حيث عمم فى المؤاخذة مع أنه لايؤاخذ إلا بالفعل أو العزم عليه ولكن ينافيه مايأتى من أن عموم الآية منسوخ بآية ـ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ـ إلا أن يقال إنه إشارة لجواب آخر فما يأتى على هذا بيان للمراد هنا. والحاصل أنه إن أبقيت الآية على عمومها كانت منسوخة بما بعدها وإن حملت على العزم فلانسخ ومايأتى توضيح لما أجمل هنا وقد تقدمت مراتب القصد نظما ونثرا (قوله يخبركم) أى يعلمكم به (قوله والفعلان بالجزم عطفا على جواب الشرط) أى لذى هو يحاسب وقوله والرفع أى على الاستئناف خبر لمحذوف قراءتان سبعيتان ويصح فى غير القرآن النصب على إضمار أن قال ابن مالك :

والفعل من بعد الجزا إن يقترن
بالفا أو الواو بتثليث قمن

وهذه الآية محمولة على من مات مسلما عاصيا لامن مات كافرا (قوله ومنه محاسبتكم) ورد أنه يحاسب الخلق فى نصف يوم من أيام الدنيا (قوله آمن الرسول) روى مسلم عن أبى مسعود الأنصارى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من قرأ هاتين الآيتين آخر سورة البقرة كفتاه» قيل عن قيام الليل كما روى عن ابن عمر قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول «أنزل الله على آيتين من كنوز الجنة ختم بهما سورة البقرة من قرأهما بعد العشاء مرتين أجزأتاه عن قيام الليل آمن الرسول إلى آخر السورة» وقيل كفتاه من شر الشيطان فلا يكون له عليه سلطان، وإنما ختم السورة بهاتين الآيتين لأنها بينت فرض الصلاة والزكاة والصوم والحج والطلاق والايلاء والحيض والجهاد وقصص الأنبياء فناسب أن يذكر تصديق النبى والمؤمنين بجميع ذلك (قوله والمؤمنون) أى فاشترك الرسول والمؤمنون فى أصل الايمان لكن افترقا من جهة أخرى وهو أن إيمان الرسول من قبيل حق اليقين وإيمان المؤمنين من قبيل علم اليقين أو عين اليقين فالافتراق من حيث المراتب لامن حيث أصله (قوله عطف عليه) أى فهو مرفوع بالفاعلية والوقف عليه ويدل على صحة هذا قراءة على بن أبى طالب وآمن المؤمنون فأظهر الفعل ويكون قوله كل آمن جملة من مبتدأ وخبر تدل على أن جميع من تقدم ذكره آمن بما ذكر (قوله عوض عن المضاف إليه) أى فيكون الضمير الذى ناب عنه التنوين فى كل راجعا إلى الرسول والمؤمنين : أى كلهم، وتوحيد الضمير فى آمن مع رجوعه إلى كل المؤمنين لكون المراد بيان كل فرد منهم من غير اعتبار الاجتماع (قوله كل آمن بالله) كل مبتدأ أخبر عنه بخبرين راعى فى أولهما لفظ كل فأفرد وفى ثانيهما معناها فجمع حيث قال وقالوا سمعنا الخ (قوله بالجمع والافراد) أى فى الكتب قراءتان سبعيتان .

(فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا) أى الدائن المدين على حقه فلم يرتهنه (فَلْيُؤَدِّ الَّذِى اؤْتُمِنَ) أى المدين (أَمَانَتَهُ) دينه (وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ) فى أدائه (وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ) إذا دعيتم لإقامتها (وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ) خص بالذكر لأنه محل الشهادة ولأنه إذا أثم تبعه غيره فيعاقب عليه معاقبة الآثمين (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ) لايخفى عليه شىء منه (لِلَّهِ مَا فِى السَّمٰوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا) تظهروا (مَا فِى أَنْفُسِكُمْ) من السوء والعزم عليه (أَوْ تُخْفُوهُ) تسروه (يُحَاسِبْكُمْ) يخبركم (بِهِ اللَّهُ) يوم القيامة (فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ) المغفرة له (وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ) تعذيبه والفعلان بالجزم عطفا على جواب الشرط والرفع أى فهو (وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ) ومنه محاسبتكم وجزاؤكم (آمَنَ) صدق (الرَّسُولُ) محمد (بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ) من القرآن (وَالْمُؤْمِنُونَ) عطف عليه (كُلٌّ) تنوينه عوض عن المضاف إليه (آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ) بالجمع والإفراد،

(قوله يقولون الخ) قدر الفعل ليفيد أن هذه الجملة منصوبة بقول محذوف وهذا القول المضمر فى محل نصب على الحال أى قائلين (قوله بين أحد من رسله) أى فى الايمان به وأضيف بين إلى أحد وهو مفرد وإن كانت قاعدتهم أنه إنما يضاف إلى متعدد نحو بين زيد وعمرو لأن أحدا يستوى فيه الواحد والمتعدد (قوله فنؤمن ببعض الخ) بالنصب فى حيز النفى فالنفى مسلط عليه وسيأتى وصفهم فى قوله تعالى ـ إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ـ الآية (قوله سماع قبول) فيه تعريض بالرد على من قال سمعنا وعصينا (قوله وأطعنا) أى انقدنا للطاعة ولو بالعزم عليها (قوله غفرانك) مفعول لمحذوف قدره المفسر بقوله نسألك، ومعنى الغفران ستر الذنوب كبيرها وصغيرها جليها وخفيها فالانسان يطلب المغفرة ولو فى حالة الطاعة بسبب ما يطرأ عليها من العجب وحب المحمدة وغير ذلك من الآفات التى تذهبها فالعارف لايعتمد على أعماله أبدا وعلامة ذلك كونه يجدد التوبة والاستغفار ولوكان متلبسا بأكبر الطاعات (قوله ربنا) منادى وحرف النداء محذوف أى يا ربنا (قوله وإليك المصير) قيل معطوف على محذوف تقديره لك المبدأ وإليك المصير (قوله ولما نزلت الآية قبلها) أى قوله ـ وإن تبدوا مافى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله (قوله من الوسوسة) أى التى تطرأ على القلب كالهاجس وهو مالاح وذهب بسرعة ، والخاطر وهو مالاح ومكث برهة من الزمن ، وحديث النفس وهو تزيينها الأمور وتحسينها وهذه لاتكتب خيرا كانت أو شرا ، والهم وهو ترجيح الفعل وهو يكتب إن كان خيرا لاشرا ، وأما العزم فيكتب خيره وشره (قوله فنزلت لا يكلف الله) أى فهذه الآية إما ناسخة للأولى أو مبينة لها وتقدمت الاشارة لذلك (قوله لها ما كسبت) عبر فى جانب الخير باللام وفى جانب الشر بعلى لأن اللام للمسرة وعلى للمضرة وعبر فى جانب الطاعة بكسبت وفى جانب المعصية باكتسبت لأن شأن المعصية التعانى والشهوة بخلاف الطاعة فشأنها عدم الشهوة لما فى الحديث «حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات» وأيضا لايؤاخذ فى المعصية بالهم بل بالعزم أو الفعل بخلاف الطاعة فيكتب له ثواب الهم عليها ، وأيضا يؤجر المرء رغما عن أنفه بخلاف المعصية، وأيضا الطاعة تتعدى لغير فاعلها بخلاف المعصية (قوله ولا يؤاخذ أحد بذنب أحد) هذا فى جانب المعصية وأما فى جانب الطاعة فقد تنفع غير فاعلها (قوله ولا بما لم يكسبه) المناسب يكتسبه (قوله مما وسوست به نفسه) أى من هاجس وخاطر وحديث نفس وهم (قوله إن نسينا أو أخطأنا) أى أو استكرهنا عليه وقد علم ذلك من قوله ـ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ـ ومن هنا إلى آخر السورة سبع دعوات مستجابة (قوله تركنا الصواب لا عن عمد) تفسير لكل من الخطأ والنسيان (قوله كما ورد فى الحديث) أى «رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه» (قوله فسؤاله اعتراف بنعمة الله) جواب عما يقال حيث رفعه الله فما وجه سؤالنا لرفعه فأجاب بما ذكر (قوله من قتل النفس فى التوبة) أى حين عبدوا العجل فتوبتهم قتل طائعهم العاصى منهم، وأما توبتنا فالندم (قوله وإخراج ربع المال فى الزكاة) أى وأما نحن فربع العشر فى النقدين والعشر أو نصفه فى الحبوب (قوله وقرض موضع النجاسة) أى من الثوب أو البدن (قوله من التكاليف) أى فلم يكلفنا بالحج من غير استطاعة مثلا ولا بالصلاة من قيام مع كونه مريضا لايقدر عليه ولا باستعمال الماء مع عدم القدرة عليه (قوله والبلاء) أى فكان ينزل بمن قبلنا الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والصيحة والخسف والمسخ وغير ذلك من أنواع البلايا العامة التى لاتبقى ولا تذر (قوله امح ذنوبنا) أى من الصحف (قوله واغفر لنا) أى استرها عن أعين المخلوقات

(وَرُسُلِهِ) يقولون (لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ) فنؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعل اليهود والنصارى (وَقَالُوا سَمِعْنَا) أى ما أمرنا به سماع قبول (وَأَطَعْنَا) نسألك (غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ) المرجع بالبعث. ولما نزلت الآية قبلها شكا المؤمنون من الوسوسة وشق عليهم المحاسبة بها فنزل (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) أى ماتسعه قدرتها (لَهَا مَا كَسَبَتْ) من الخير أى ثوابه (وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ) من الشر أى وزره ولا يؤاخذ أحد بذنب أحد ولا بما لم يكسبه مما وسوست به نفسه، وقولوا (رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا) بالعقاب (إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا) تركنا الصواب لا عن عمد كما آخذت به مَنْ قبلنا وقد رفع الله ذلك عن هذه الأمة كما ورد فى الحديث فسؤاله اعتراف بنعمة الله (رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا) أمرا يثقل علينا حمله (كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا) أى بنى إسرائيل من قتل النفس فى التوبة وإخراج ربع المال فى الزكاة وقرض موضع النجاسة (رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ) قوة (لَنَا بِهِ) من التكاليف والبلاء (وَاعْفُ عَنَّا) امح ذنوبنا (وَاغْفِرْ لَنَا) استر ذنوبنا، وارحمنا

(قوله وارحمنا) أى أنعم علينا وذلك فى حق من تاب جزما وأما من لم يتب ومات فأمره مفوض لخالقه (قوله سيدنا ومتولى أمورنا) هذا أحد معانى المولى و يطلق على الناصر ولا شك أن الله كذلك (قوله أن ينصر مواليه) أى عبيده فان المولى كما يطلق على العبد يطلق على السيد (قوله عقيب) لغة رديئة فى عقب وقوله كل كلمة أى وهى سبع وكلها مستجابة وكرر لفظ ربنا بين المتعاطفات زيادة فى التضرع (قوله قد فعلت) أى أجبت مطلوبكم لما فى الحديث «إن الله لأفرح بتوبة عبده ممن ضلت منه راحلته فوجدها بعد طلبها» وفى رواية «لما قرأ النبى قوله غفرانك ربنا قال الله قد غفرت وفى قوله لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا قال لا أؤاخذكم وفى قوله ولا تحمل علينا إصرا قال لا أحمل عليكم وفى قوله ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قال لا أحملكم وفى قوله واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين قال قد عفوت عنكم وغفرت لكم ورحمتكم ونصرتكم على القوم الكافرين» والحكمة فى زيادة قوله القوم ولم يقل الكافرين أنه لا يلزم من النصرة على أفراد الكفار النصرة على الهيئة المجتمعة وفى هذه الآية تعليم آداب الدعاء وفى الحديث «إذا دعوتم فعمموا» .

[سورة آل عمران] (قوله سورة آل عمران) مبتدأ ومدنية خبره ومائتان خبر ثان وقوله مدنية أى نزلت بعد الهجرة وإن بغير أرض المدينة وتسميتها بذلك الاسم من باب تسمية الشىء باسم جزئه . واختلف فى عمران الذى سميت به فقيل المراد به أبو موسى وهرون فآله موسى وهرون وقيل المراد به أبو مريم والمراد بآله مريم وابنها عيسى ويقرب ذلك ذكر قصتهما إثر ذكره ، وبين عمران أبى موسى وعمران أبى مريم ألف وثمانمائة عام (قوله أو إلا آية) أو لحكاية الخلاف وسببه الاختلاف فى عد البسملة من السورة فمن عدها قال مائتان ومن لم يعدها قال إلا آية وورد فى فضل هذه السورة أنها أمان من الحيات وكنز للفقير وأنه يكتب لمن قرأ منها إن فى خلق السموات والأرض إلى آخرها آخر الليل ثواب من قام الليل كله (قوله الله أعلم بمراده بذلك) مشى فى ذلك على مذهب السلف فى التشابه وهكذا عادته فى فواتح السور وقد تقدم الكلام فى ذلك بأبسط عبارة . واعلم أنه قرىء عند إسقاط الهمزة من الله وفتح ميم الم للنقل بمد الميم ست حركات أو حركتين وعند إسكان الميم حالة الوقف وإثبات الهمزة بمد الميم ست حركات فالقراآت ثلاثة (قوله الله لا إله إلا هو الحى القيوم) سبب نزولها قدوم وفد نصارى نجران وكانوا ستين راكبا فيهم أربعة عشر من أشرافهم ثلاثة منهم أكابرهم أميرهم وحبرهم ووزيرهم يحاجون رسول الله فى عيسى فتارة قالوا إن عيسى ابن الله لأنه لم يكن له أب وتارة قالوا إنه الله لأنه يحيى الموتى وتارة قالوا إنه ثالث ثلاثة لأنه يقول فعلنا وخلقنا فلو كان واحدا لذكره مفردا فشرع النبى يرد عليهم تلك الشبه فقال لهم أتسلمون أن الله حى لا يموت فقالوا نعم فقال أتسلمون أن عيسى يموت فقالوا نعم فقال لهم أتسلمون أن الله يصور فى الأرحام كيف يشاء فقالوا نعم إلى غير ذلك فنزلت تلك السورة منها نيف وثمانون آية على طبق ما رد عليهم به (قوله الحى) أى ذو الحياة الذاتية وقوله القيوم أى القائم بأمور خلقه من غير واسطة معين (قوله ملتبسا بالحق) أشار بذلك إلى أن الباء فى بالحق للملابسة فى محل نصب على الحال فيكون مصدقا حالا بعد حال (قوله مصدقا) حال من الكتاب (قوله لما بين يديه) فى الكلام استعارة بالكناية حيث شبه بسلطان تقدمه عسكره وجاء على أثرهم يؤيدهم ويقويهم وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشىء من لوازمه وهو قوله لما بين يديه فإثباته تخييل .

وَارْحَمْنَا) فى الرحمة زيادة على المغفرة (أَنْتَ مَوْلَانَا) سيدنا ومتولى أمورنا (فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) بإقامة الحجة والغلبة فى قتالهم فإن من شأن المولى أن ينصر مواليه على الأعداء وفى الحديث لما نزلت هذه الآية فقرأها صلى الله عليه وسلم قيل له عقيب كل كلمة قد فعلت .

(سورة آل عمران مدنية مائتان أو إلا آية)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) (الم) الله أعلم بمراده بذلك (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ نَزَّلَ عَلَيْكَ) يا محمد (الْكِتَابَ) القرآن ملتبسا (بِالْحَقِّ) بالصدق فى أخباره (مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ) قبله من الكتب ،

(قوله وأنزل التوراة) أى على موسى وقوله والانجيل أى على عيسى. واختلف الناس فى هذين اللفظين هل يدخلهما الاشتقاق والتصريف أم لا لكونهما أعجميين فذهب جماعة إلى الأول فقالوا التوراة مشتقة من قولهم ورى إذا قدح فظهر منه نار فلما كانت التوراة فيها ضياء ونور يخرج به من الضلال إلى الهدى كما يخرج بالنار من الظلام إلى النور سمى هذا الكتاب بالتوراة والانجيل مشتق من النجل وهو التوسعة ومنه العين النجلاء لسعتها فسمى الانجيل بذلك لأن فيه توسعة لم تكن فى التوراة إذ حلل فيه أشياء كانت محرمة فيها، والصحيح أنهما ليسا مشتقين لأنهما عبرانيان (قوله أى قبل تنزيله) أى الكتاب الذى هو القرآن (قوله حال) أى من التوراة والانجيل (قوله ممن تبعهما) أشار بذلك إلى أن المراد بالهدى الوصول لا مجرد الدلالة (قوله وعبر فيهما بأنزل الخ) جواب عن سؤال مقدر وقيل إن ذلك تفنن وقيل إن مادة نزل تفيد التكرار غالبا ومادة أنزل تفيد عدمه غالبا فلعل المفسر بنى هذا الجواب على ذلك وإلا فالهمزة والتضعيف أخوان (قوله بخلافه) أى فإنه نزل مفرقا بحسب الوقائع فى ثلاث وعشرين سنة (قوله ليعم ماعداها) أى فهو من عطف العام على الخاص فالمراد بالفرقان هنا الفارق بين الحق والباطل لاخصوص القرآن فالفرقان كما يطلق على القرآن يطلق على غيره من الكتب (قوله إن الذين كفروا) أى كنصارى نجران (قوله لهم عذاب شديد) أى فى الدنيا بالقتل والأسر وفى الآخرة بالنار (قوله وعده) أى بالخير وقوله ووعيده أى بالشر (قوله لايقدر على مثلها أحد) أى لأن غاية عذاب غيره الموت وفيه راحة للمعذب

(وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلُ) أى قبل تنزيله (هُدًى) حال بمعنى هاديين من الضلالة (لِلنَّاسِ) ممن تبعهما وعبر فيهما بأنزل وفى القرآن بنزل المقتضى للتكرير لأنهما أنزلا دفعة واحدة بخلافه (وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ) بمعنى الكتب الفارقة بين الحق والباطل وذكره بعد ذكر الثلاثة ليعم ما عداها (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللهِ) القرآن وغيره (لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللهُ عَزِيزٌ) غالب على أمره فلا يمنعه شىء من إنجاز وعده ووعيده (ذُو انْتِقَامٍ) عقوبة شديدة ممن عصاه لا يقدر على مثلها أحد (إِنَّ اللهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ) كائن (فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ) لعلمه بما يقع فى العالم من كلى وجزئى وخصهما بالذكر لأن الحس لا يتجاوزهما (هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ) من ذكورة وأنوثة وبياض وسواد وغير ذلك (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ) فى ملكه (الْحَكِيمُ) فى صنعه (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ) واضحات الدلالة (هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ) أصله المعتمد عليه فى الأحكام

ولايقدر على إعادة روحه حتى تتألم ثانيا، وأما عذاب الله فدائم لا آخر له قال تعالى - كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب - (قوله إن الله لايخفى عليه شىء) هذا رد لقولهم إن عيسى إله لأنه يعلم الأمور فرد عليهم بأن الله هو الذى لايخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء وليس كذلك عيسى (قوله كائن) أشار بذلك إلى أن قوله فى الأرض ولا فى السماء متعلق بمحذوف صفة لشىء (قوله وخصهما بالذكر) جواب عن سؤال مقدر (قوله لايتجاوزهما) أى لايتعداهما (قوله هو الذى يصوركم) هذه حجة أخرى للرد على تلك الفرقة كأنه يقول لا إله إلا من يصوركم فى الأرحام كيف يشاء، وأما عيسى فإنه وإن كان يحيى الموتى فبإذن الله ولا يقدر أن يصوركم فى الأرحام كيف يشاء بل هو مصور فى الرحم فالمصور لايصور غيره بل ولا نفسه (قوله العزيز) أى الغالب على أمره عديم المثال (قوله الحكيم) أى ذو الحكمة وهى وضع الشىء فى محله (قوله هو الذى أنزل عليك الكتاب) قيل سبب نزولها أن وفد نجران قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم ألست تقول إن عيسى روح الله وكلمته فقال نعم فقالوا حسبنا أى يكفينا ذلك فى كونه ابن الله فنزلت الآية والمعنى أن الله أنزل القرآن منه محكم ومنه متشابه وقوله روح الله وكلمته من المتشابه الذى لايعرفون معناه ولا يفهمون تأويله بل معنى ذلك أنه روح من الله أى نوره وكلمته بمعنى أنه قال له كن فكان فهو عبد من جملة العباد ميزه الله بالنبوة والرسالة (قوله أصله) إنما فسر الأم بذلك لصحة الاخبار بالمفرد عن الجمع لأن الأصل يصدق بالمتعدد. وأجيب أيضا بأنه عبر بالمفرد إشارة إلى أن المجموع بمنزلة آية واحدة على حد - وجعلنا ابن مريم وأمه آية - وما سلكه المفسر أظهر (قوله المعتمد عليه فى الأحكام) أى الذى يعول عليه فى أحكام الدين والدنيا هو المحكم وأما المتشابه فلم نكلف بمعرفة معناه بل نؤمن به ونفوض علمه لله.

(وأخر

(وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ) لا تفهم معانيها كأوائل السور وجعله كله محكما فى قوله أحكمت آياته بمعنى أنه ليس فيه عيب، ومتشابها فى قوله كتابا متشابها بمعنى أنه يشبه بعضه بعضا فى الحسن والصدق (فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ) ميل عن الحق (فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ) طلب (الْفِتْنَةِ) لجهالهم بوقوعهم فى الشبهات واللبس (وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ) تفسيره (وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ) تفسيره (إِلَّا اللَّهُ) وحده (وَالرَّاسِخُونَ) الثابتون المتمكنون (فِي الْعِلْمِ) مبتدأ خبره (يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ) أى بالمتشابه أنه من عند الله ولا نعلم معناه (كُلٌّ) من المحكم والمتشابه (مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ) بادغام التاء فى الأصل فى الذال أى يتعظ (إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ) أصحاب العقول و يقولون أيضا إذا رأوا من يتبعه (رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا) تملها عن الحق بابتغاء تأويله الذى لا يليق بنا كما أزغت قلوب أولئك (بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا) أرشدتنا إليه (وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ) من عندك (رَحْمَةً) تثبيتا (إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ) يا (رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ) تجمعهم (لِيَوْمٍ) أى فى يوم (لَا رَيْبَ) شك (فِيهِ) هو يوم القيامة فتجازيهم بأعمالهم كما وعدت بذلك (إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ) موعده بالبعث ، فيه التفات عن الخطاب ، ويحتمل أن يكون من كلامه تعالى والغرض من الدعاء بذلك بيان أن همهم أمر الآخرة ولذلك سألوا الثبات على الهداية لينالوا ثوابها

(قوله وآخر متشابهات) إن قلت هلا نزل كله محكما لأنه نزل لارشاد العباد ومداره على المحكم لا على المتشابه ؟ . أجيب بأنه نزل على أساليب العرب فان أسلوبهم التعبير بالمجاز والكناية والتلميح وغير ذلك من المستحسنات فلو نزل كله محكما لقالت العرب إن القرآن على لغتنا فهلا ذكر فيه مستحسنات لغاتنا (قوله لا يفهم معانيها) أى إلا بفكر وتأمل كما هو مذهب الخلف (قوله كأوائل السور) أى بعضها وأدخلت الكاف باقى الآيات المتشابهة (قوله وجعله كله محكما الخ) جواب عن سؤال مقدر كأن قائلا يقول هذه الآية بينت أن القرآن بعضه محكم و بعضه متشابه وآية أخرى بينت أن كله محكم وآية أخرى أفادت أن كله متشابه فبين هذه الآيات تناف . أجاب المفسر بما ذكره (قوله بمعنى أنه ليس فيه عيب) أى لا فى ألفاظه ولا فى معانيه (قوله فى الحسن والصدق) قال ابن عباس تفسير القرآن أربعة أقسام : قسم لا يسع أحدا جهله كقوله قل هو الله أحد ، وقسم يتوقف على معرفة لغات العرب كقوله : هى عصاى أتوكأ عليها وأهش بها على غنمى ، وقسم تعرفه العلماء الراسخون فى العلم ، وقسم لا يعلمه إلا الله ودخل تحت القسمين الأخيرين المتشابه ، وحكمة الاتيان بالمتشابه الزيادة فى الاعجاز عن الاتيان بمثله فان المحكم و إن فهموا معناه إلا أنهم عجزوا عن الاتيان بلفظ مثل ألفاظه والمتشابه عجزوا عن فهم معناه كما عجزوا عن الاتيان بمثله (قوله ميل عن الحق) أى إلى الباطل (قوله بوقوعهم فى الشبهات واللبس) أى كنصارى نجران ومن حذا حذوهم ممن أخذ بظاهر القرآن فان العلماء ذكروا أن من أصول الكفر الأخذ بظواهر الكتاب والسنة (قوله وابتغاء تأويله) معطوف على ابتغاء الأول والمعنى أنهم يتجرءون على تفسيره بتفسير باطل لا أصل له (قوله وما يعلم تأويله) أى تفسيره على الحقيقة (قوله إلا الله وحده) هذه طريقة السلف واختارها المفسر لكونها أسلم فالوقف على قوله إلا الله . وأما طريقة الخلف فهى أحكم فالوقف على أولى الألباب فالراسخون معطوف على لفظ الجلالة قال بعضهم و يؤيد طريقة الخلف قوله تعالى بعد ذلك : وما يذكر إلا أولوا الألباب (قوله والراسخون) كلام مستأنف فالواو للاستئناف والراسخون مبتدأ وفى العلم متعلق بالراسخون وخبره يقولون كما قاله المفسر ، قال مالك : الراسخ فى العلم من جمع أربع خصال : الخشية فيما بينه و بين الله ، والتواضع فيما بينه و بين الناس ، والزهد فيما بينه و بين الدنيا ، والمجاهدة فيما بينه و بين نفسه (قوله من عند ربنا) أى ففهمنا المحكم وأخفى علينا المتشابه (قوله فى الأصل فى الذال) أى فأصله يتذكر قلبت التاء ذالا ثم أدغمت فى الذال (قوله أصحاب العقول) أى السليمة المستنيرة (قوله من يتبعه) أى يتبع الباطل (قوله بعد إذ هديتنا) أى بعد وقت هدايتك وتبيينك الحق لنا (قوله تثبيتا) فسر الرحمة هنا بذلك لأنه المراد هنا . وأما فى غير هذا الموضع فقد تفسر بالمطر أو الغفران (قوله إنك أنت الوهاب) أى الذى تعطى النوال قبل السؤال (قوله ربنا إنك جامع الناس) منادى وحرف النداء محذوف قدره المفسر إشارة إلى أنه دعاء (قوله أى فى يوم) أشار بذلك إلى أن اللام بمعنى فى (قوله فيه التفات) أى على أنه من كلام الراسخين (قوله ويحتمل أن يكون من كلامه تعالى) أى فلا التفات فيه على مذهب الجمهور ، وأما على مذهب

السكاكي، ففيه التفات على كل حال لأنه أتى على خلاف السياق (قوله روى الشيخان) قصده بذلك الاستدلال على ذم المتبعين للمتشابه ومدح الراسخين (قوله فأولئك الذين سمى الله) أى بقوله فأما الذين فى قلوبهم زيغ الآية (قوله فاحذروهم) الخطاب لعائشة وإنما ذكر وجمع تعظيما لها أو إشارة إلى عدم خصوصيتها بذلك (قوله وروى الطبرانى) أى فى معجمه الكبير (قوله إلا ثلاث خلال) هذه نسخة وفى أخرى خصال (قوله وذكر منها الخ) هذه هى الحالة الثانية وترك اثنتين، ونص الحديث «أخرج الطبرانى عن أبى مالك الأشعرى أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا أخاف على أمتى إلا ثلاث خلال : أن يكثر لهم المال فيتحاسدوا فيقتتلوا، وأن يفتح لهم الكتاب فيأخذه المؤمن يبتغى تأويله ومايعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا ومايذكر إلا أولوا الألباب، وأن يزداد علمهم فيضعوه ولا يسألوا عنه » اهـ (قوله إن الذين كفروا) قيل المراد بهم جميع من كفروا من أول الزمان إلى آخره، وقيل المراد بهم نصارى نجران وقيل كفار مكة وعلى كل فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (قوله أموالهم ولا أولادهم) قدم الأموال لأن الشأن أن الشخص أول مايفتدى بالأموال ثم بالأولاد، والمعنى أن زينتهم وعزهم لا يدفع عنهم شيئا من عقاب الله أبدا (١٣٢) لا قليلا ولا كثيرا (قوله أى عذابه) أشار بذلك إلى أن فى الكلام حذف مضاف (قوله وأولئك هم وقود النار) هذه الجملة تأكيد للجملة الأولى (قوله بفتح الواو) أى باتفاق السبعة وقرأ الحسن بضم الواو مصدر بمعنى الايقاد (قوله مايوقد به) أى وهو الحطب مثلا (قوله دأبهم كدأب) أشار بذلك إلى أن قوله كدأب خبر لمحذوف قدره بقوله دأبهم. وهذا بيان لسبب كونهم وقود النار وفى ذلك تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم أى فلا تحزن يامحمد فان مانزل بالأمم الذين كفروا من قبلك ينزل بمن كفر بك (قوله كعاد وثمود) بيان للأمم وأدخلت الكاف باقى الأمم الذين كفروا بأنبيائهم كقوم نوح وقوم موسى وغيرهم (قوله أهلكهم بذنوبهم) أى انتقم منهم دنيا وأخرى (قوله والجملة مفسرة لما قبلها) أى جملة كذبوا وماقبلها هى قوله كدأب آل فرعون. واعلم أنه هنا قال كذبوا بآياتنا وفى آية أخرى كفروا بآيات الله وفى آية أخرى كذبوا بآيات ربهم، وحكمة ذلك التفنن فى التعبير على عادة فصحاء العرب، والباء فى قوله بذنوبهم يحتمل أن تكون للملابسة، والمعنى أخذهم الله والحال أنهم ملتبسون بذنوبهم يعنى من غير توبة ويحتمل أن تكون للسببية، والمعنى أخذهم الله بسبب ذنوبهم والأول أبلغ لأن فيه دفع توهم أن موتهم كفارة لما وقع منهم (قوله ونزل لما أمر النبى صلى الله عليه وسلم) حاصل ذلك أنه لما رجع من غزوة بدر إلى المدينة جمع يهودها وهم قريظة وبنو النضير ودعاهم للاسلام وتوعدهم إن لم يسلموا أو يؤدوا الجزية قاتلهم فقالوا له ماذكره المفسر (قوله أغمارا) جمع غمر بالضم وهو الرجل الذى لا يعرف الأمور وأما بالكسر فمعناه الحقد، وبالفتح مع سكون الميم يطلق على الشدة وأما بفتحتين فمعناه الدسم (قوله من اليهود) أى قريظة وبنى النضير ومن حذا حذوهم كأهل خيبر (قوله بالتاء والياء) أى فهما قراءتان سبعيتان فالتاء ظاهرة فى الخطاب لهم والياء معناها الاخبار بأنهم سيغلبون.

روى الشيخان عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت « تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية: هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات إلى آخرها وقال : فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم » وروى الطبرانى فى الكبير عن أبى موسى الأشعرى أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول «ماأخاف على أمتى إلا ثلاث خلال وذكر منها أن يفتح لهم الكتاب فيأخذه المؤمن يبتغى تأويله وليس يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب» الحديث (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ) تدفع (عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ) أى عذابه (شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ) بفتح الواو ماتوقد به، دأبهم (كَدَأْبِ) كعادة (آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) من الأمم كعاد وثمود (كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ) أهلكهم (بِذُنُوبِهِمْ) والجملة مفسرة لما قبلها (وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ). ونزل لما أمر النبى صلى الله عليه وسلم اليهود بالإسلام مرجعه من بدر فقالوا له لايغرنك أن قتلت نفراً من قريش أغماراً لايعرفون القتال (قُلْ) يا محمد (لِلَّذِينَ كَفَرُوا) من اليهود (سَتُغْلَبُونَ) بالتا والياء فى الدنيا بالقتل والأسر وضرب الجزية،

وقد وقع ذلك (وَتُحْشَرُونَ) بالوجهين فى الآخرة (إِلَىٰ جَهَنَّمَ) فتدخلونها (وَبِئْسَ الْمِهَادُ) الفراش هى (قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ) عبرة وذكر الفعل للفصل (فِي فِئَتَيْنِ) فرقتين (الْتَقَتَا) يوم بدر للقتال (فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) أى طاعته وهم النبى وأصحابه وكانوا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا معهم فرسان وست أدرع وثمانية سيوف وأكثرهم رجالة (وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ) أى الكفار (مِثْلَيْهِمْ) أى المسلمين أى أكثر منهم وكانوا نحو ألف (رَأْيَ الْعَيْنِ) أى رؤية ظاهرة معاينة وقد نصرهم الله مع قلتهم (وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ) يقوى (بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ) نصره (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ) المذكور (لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ) لذوى البصائر أفلا تعتبرون بذلك فتؤمنون (زُيِّنَ لِلنَّاسِ

(قوله وقد وقع ذلك) أى فقتل من فحول قريظة ستمائة حول الخندق وكان القاتل لهم على بن أبى طالب وقوله وضرب الجزية أى على أهل خيبر، وأما بنو النضير فأجلاهم إلى الشام (قوله بالوجهين) أى بالتاء والياء وهما سبعيتان أيضا (قوله وبئس المهاد) المقصود من ذلك بيان سوء مآلهم قال تعالى ــ لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش ــ وقال تعالى ــ يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ــ (قوله هى) هذا هو المخصوص بالذم وفاعل بئس قوله المهاد (قوله قد كان لكم آية) يحتمل أن يكون ذلك من جملة مقول النبى للكفار أى قل لهم ماذكر وقل لهم قد كان لكم آية فعلى ذلك الخطاب لليهود ويحتمل أن يكون ذلك خطابا لكفار مكة أو للمؤمنين ويكون مستأنفا (قوله للفصل) أى بالجار والمجرور الواقع خبرا لكان على حد أتى القاضى بنت الواقف وأجيب أيضا بأن الفاعل مجازى التأنيث أو مذكر معنى لأن الآية معناها البرهان (قوله فرقتين) إنما سميت الفرقة فئة لأنه يفاء بمعنى يرجع إليها فى الشدائد (قوله فئة تقاتل فى سبيل الله) برفع فئة باتفاق السبعة مبتدأ خبره تقاتل الخ والمعنى فئة مؤمنة وقوله وأخرى كافرة يعنى تقاتل فى سبيل الطاغوت ففيه شبه احتباك حيث حذف من كل نظير ما أثبته فى الآخر(١) (قوله وكانوا ثلثمائة) أى من المهاجرين سبعة وسبعون صاحب رايتهم على بن أبى طالب ومن الأنصار مائتان وستة وثلاثون صاحب رايتهم سعد بن عبادة والذى مات منهم فى تلك الغزوة اربعة عشر ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار (قوله معهم فرسان) ورد أنه كان معهم سبعون بعيرا (قوله رجالة) جمع راجل بمعنى ماش (قوله يرونهم) هكذا بالياء للسبعة ماعدا نافعا فقرأ بالتاء ورأى بصرية والواو فاعل عائد على المؤمنين والهاء مفعول عائد على الكفار ومثليهم حال والهاء إما عائدة على المؤمنين والمعنى يشاهد المؤمنون الكفار قدر أنفسهم مرتين أو الكفار والمعنى يرى المؤمنون الكفار قدر الكفار مرتين محنة للمؤمنين ويحتمل أن الواو عائدة على الكفار والهاء عائدة على المؤمنين والهاء فى مثليهم إما عائدة على الكفار والمعنى يرى الكفار المؤمنين قدرهم مرتين فترتب على ذلك هزيمتهم أو عائدة على المؤمنين والمعنى يرى الكفار المؤمنين قدر المؤمنين مرتين ففى هذه القراءة احتمالات أربع قد علمتها ومثلها على قراءة التاء لأنه يحتمل أن الخطاب للمؤمنين فالواو عائدة على المؤمنين والهاء عائدة على الكفار والضمير فى مثليهم إما عائد على الكفار وهو ظاهر أو على المؤمنين ويكون فيه التفات من الخطاب للغيبة وكان مقتضى الظاهر أن يقول مثليكم ويحتمل أن الخطاب للكفار فالواو عائدة على الكفار والهاء عائدة على المؤمنين والضمير فى مثليهم إما عائد على المؤمنين وهو ظاهر أو على الكفار وفيه التفات أيضا. بقى شىء آخر وهو أن مقتضى الآية أن المرئى كثير سواء كان الرائى الكفار أو المسلمين ومقتضى ما يأتى فى سورة الأنفال أن المرئى قليل فحصل بين الآيتين تناف. وأجيب عن ذلك بحمل ما يأتى على حالة البعد وما هنا على حالة التقاء الصفين، وحكمة ذلك أنهم إذا شاهدوا القلة على بعد حملهم ذلك على الاقتحام (قوله أى الكفار) يقرأ بالرفع تفسيرا للواو وبالنصب تفسيرا للهاء (قوله وقد نصرهم الله مع قلتهم) أى مع كونهم عددا قليلا جدا ولا عدد معهم (قوله لأولى الأبصار) صفة لعبرة (قوله أفلا تعتبرون) الخطاب لليهود أو لكفار مكة (قوله بذلك) أى بالنصر ورؤية الجيش مثليهم (قوله زين للناس) هذه الآية مسوقة لبيان حقارة الدنيا وتزهيد المسلمين فيها ففى الحديث «ظاهرها غرة وباطنها عبرة» وقال الشاعر:

هى الدنيا تقول بملء فيها … حذار حذار من بطشى وفتكى
فلا يغرركمو منى ابتسام … فقولى مضحك والفعل مبكى

والفعل مبنى للمفعول والمزين حقيقة هو الله ويصح أن يكون الشيطان باعتبار وسوسته ولذا نوع فيه المفسر.

---

(١) (قوله حذف من كل نظير الخ) عبارة الجمل فحذف من الأول ما يفهم من الثانى ومن الثانى ما يفهم من الأول وبه يعلم أن ما ذكر هنا تفسير للاحتباك لا الشبهه .

حُبُّ الشَّهَوَاتِ) ما تشتهيه النفس وتدعو إليه ، زينها الله ابتلاء أوالشيطان (مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ) الأموال الكثيرة (الْمُقَنْطَرَةِ) المجمعة (مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ) الحسان (وَالْأَنْعَامِ) أي الإبل والبقر والغنم (وَالْحَرْثِ) الزرع (ذَٰلِكَ) المذكور (مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) يتمتع به فيها ثم يفنى (وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ) المرجع وهو الجنة فينبغي الرغبة فيه دون غيره (قُلْ) يا محمد لقومك (أَؤُنَبِّئُكُمْ) أخبركم (بِخَيْرٍ مِنْ ذَٰلِكُمْ) المذكور من الشهوات ، استفهام تقرير (لِلَّذِينَ اتَّقَوْا) الشرك (عِنْدَ رَبِّهِمْ) خبر مبتدؤه (جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ) أي مقدرين الخلود (فِيهَا) إذا دخلوها (وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ) من الحيض وغيره مما يستقذر (وَرِضْوَانٌ) بكسر أوله وضمه لغتان ،

(قوله حب الشهوات) جمع شهوة وهي ميل النفس لمحبوبها ولما كان ذلك المعنى ليس مرادا فسرها بالذي تشتهيه النفس، ففيه إشارة إلى أنه أطلق المصدر وأريد اسم المفعول. إن قلت إنه يدخل في الناس الأنبياء مع أنهم معصومون من ذلك . أجيب بأنه عام مخصوص بما عدا الأنبياء وأما هم فهم معصومون من الميل إلى ما سوى الله لما في الحديث «حبب إليّ من دنياكم ثلاث» ولم يقل من دنيانا وفي الحديث أيضا «لست من الدنيا ولا الدنيا مني» (قوله زينها الله) أي أوجد فيها الزينة (قوله ابتلاء) أي اختبارا قال تعالى - إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا - (قوله أو الشيطان) أي بالوسوسة (قوله من النساء) متعلق بمحذوف حال من الشهوات وهو تفصيل لما أجمل فيها ، وقدم النساء لأنهن أعظم زينة الدنيا فانهن حبالة الشيطان ويحملن الانسان على قطع الرحم واكتساب المال من الحرام وارتكاب المحرمات ، وقال عليه الصلاة والسلام «ما تركت فتنة أضر على الرجال من النساء ، ما رأيت ناقصات عقل ودين أسلب للب الرجل الحكيم منكن» (قوله والبنين) قدمهم على الأموال لأنهم فرع النساء وأكبر فتنة من الأموال لأن الانسان يفدي بنيه بالمال ولم يقل والبنات لأن الشأن أن الفخر في الذكور دون الإناث (قوله والقناطير) جمع قنطار قيل المراد به المال الكثير وقيل ألف أوقية ومائتا أوقية وقيل اثنا عشر ألف أوقية وقيل غير ذلك ودرج المفسر على الأول (قوله المقنطرة) قيل وزنها مفعللة فتكون النون أصلية وقيل وزنها مفنعلة فالنون زائدة ويترتب على ذلك النون في قنطار هل هي أصلية فوزنه فعلال أو زائدة فوزنه فنعال وأقل القناطير المقنطرة تسعة لأن المراد تعددت جموع القناطير عنده ثلاثة ففوق (قوله والفضة) الواو بمعنى أو المانعة الخلو فتجوز الجمع وقدم الذهب والفضة على ما عداهما لأن نفع صاحبهما أعظم (قوله والخيل المسومة) قدمها على الأنعام لأن نفعها أعظم (قوله الزرع) أي مطلقا حنطة أو غيرها (قوله ثم يفنى) أي يزول هو وصاحبه قال تعالى إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض الآية (قوله فينبغي الرغبة فيه) أي في ذلك المآب الحسن أي في الآية اكتفاء أي وعنده سوء المآب فحسن المآب لمن لم يغتر بالدنيا وجعلها مزرعة للآخرة وسوء المآب لمن اغتر بها وآثرها على الآخرة (قوله قل أؤنبئكم) قرئ في السبع بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية مع زيادة مد بينهما وبدون زيادة فالقراءات أربع وليس في القرآن همزة مضمومة بعد مفتوحة إلا ههنا وما في ص أأنزل عليه الذكر وما في اقتربت الساعة أألقي الذكر عليه (قوله من الشهوات) أي المشتهيات (قوله استفهام تقرير) أي تثبيت (قوله للذين اتقوا الشرك) أي بالايمان وإنما اقتصر عليه لأن أصل دخول الجنة إنما يتوقف عليه فقط (قوله عند ربهم) في محل نصب على الحال من جنات (قوله جنات) أي سبع : جنة المأوى وجنة الخلد وجنة النعيم وجنة عدن وجنة الفردوس ودار السلام ودار الجلال وأبوابها ثمانية عشر وأعظمها جنة الفردوس (قوله أي مقدرين الخلود) أشار بذلك إلى أن قوله خالدين حال منتظرة أي منتظرين الخلود فيها إذا دخلوها لأنه ينادي المنادي حين استقرار أهل الدارين فيهما : يا أهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود بلا موت فيقع الفرح الدائم في قلوب أهل الجنة والحزن الدائم في قلوب أهل النار (قوله وأزواج مطهرة) أي من الحور وغيرهن من نساء الدنيا (قوله لغتان) أي وقرئ بهما في السبع في جميع لفظ رضوان الواقع في القرآن إلا الثاني في المائدة فانه بالكسر باتفاق السبعة وهو قوله من اتبع رضوانه سبل السلام والمكسور قياسي والمضموم سماعي ومعناهما واحد وقول المفسر كثيرة أخذ الكثرة من التنوين .

أى رضا كثير (مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ) عالم (بِالْعِبَادِ) فيجازى كلا منهم بعمله (الَّذِينَ) نعت أو بدل من الذين قبله (يَقُولُونَ) يا (رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا) صدقنا بك و برسولك (فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ . الصَّابِرِينَ) على الطاعة وعن المعصية نعت (وَالصَّادِقِينَ) فى الإيمان (وَالْقَانِتِينَ) المطيعين لله (وَالْمُنْفِقِينَ) المتصدقين (وَالْمُسْتَغْفِرِينَ) الله بأن يقولوا : اللهم اغفر لنا (بِالْأَسْحَارِ) أواخر الليل خصت بالذكر لأنها وقت الغفلة ولذة النوم (شَهِدَ اللَّهُ) بين لخلقه بالدلائل والآيات (أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ) أى لامعبود فى الوجود بحق (إِلَّا هُوَ ، وَ) شهد بذلك (الْمَلَائِكَةُ) بالاقرار (وَأُولُوا الْعِلْمِ) من الأنبياء والمؤمنين بالاعتقاد واللفظ (قَائِمًا) بتدبير مصنوعاته ونصبه على الحال والعامل فيها معنى الجملة ، أى تفرد (بِالْقِسْطِ) بالعدل (لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ) كرره تأكيدا (الْعَزِيزُ) فى ملكه ،

(قوله أى رضا كثير) أى عظيم لاسخط بعده أبدا (قوله فيجازى كلا منهم بعمله) أى فيدخل المتقين الجنة والعاصين النار (قوله نعت) أى للذين اتقوا (قوله على الطاعة) أى على فعلها وقوله عن المعصية : أى نهاهم الله عنها فأمسكوا عنها وانتهوا (قوله والصادقين) إن قيل كيف دخلت الواو على هذه الصفات مع أن الموصوف فيها واحد . أجيب بجوابين أحدهما أن الصفات إذا تكررت جاز أن يعطف بعضها على بعض بالواو و إن كان الموصوف بها واحدا ودخول الواو فى مثل هذا للتفخيم لأنه يؤذن بأن كل صفة مستقلة بمدح الموصوف بها . ثانيهما لانسلم أن الموصوف بها واحد بل هو متعدد والصفات موزعة عليهم فبعضهم صابر و بعضهم صادق ففيه إشارة إلى أن بعضها كاف فى المدح (قوله فى الإيمان) أى صدقوا بقلوبهم وانقادوا بظواهرهم (قوله المطيعين لله) أى بأى نوع من أنواع الطاعة (قوله بأن يقولوا اللهم اغفر لنا) أى أو غير ذلك من أنواع الطاعات فالمراد بالمستغفرين المتعرضون للمغفرة إما بسؤال المغفرة أو غيرها من الطاعات (قوله أواخر الليل) ويدخل بالنصف الأخير منه ، وقيل الأسحار مابعد الفجر إلى طلوع الشمس فينبغى اغتنام هذين الوقتين فان لم يمكن الأول فالثانى (قوله شهد الله) سبب نزولها أن حبرين من أحبار الشام قدما على رسول الله بالمدينة فقالا له نسألك عن شىء إن أخبرتنا به آمنا بك وصدقناك ، فقال سلا، فقالا له أخبرنا عن أعظم شهادة فى القرآن فنزلت فآمنا به ولكونها أعظم كان وقت نزولها حول البيت ثلثمائة وستون صنما فحين نزلت تساقطت تلك الأصنام ، وورد فى فضلها أنه يوم القيامة يجاء بمن كان يحفظها فيقول الله له إن لعبدى هذا عندى عهدا فأوفيه إياه أدخلوا عبدى الجنة فيدخلونه من غير سابقة عذاب ، ومن فضلها أنها تقلع عرق الشرك من القلب وتنفع من الوسواس ولذا اختارها العارفون فى ختم صلاتهم فيقرءونها عقب كل صلاة . ثم اعلم أن معنى الشهادة الاقرار باللسان والإذعان بالقلب وذلك مستحيل على الله تعالى فالمراد بين وأظهر لخلقه بالدلائل القطعية أنه الخ ففى الكلام استعارة تبعية حيث شبه البيان بالشهادة واستعار اسم المشبه به للمشبه واشتق من الشهادة شهد بمعنى بين والجامع الوثوق بكل لأن من أقر وأذعن حصل له وثوق كما أن من بين حصل للسامع وثوق بخبره و إلى ذلك أشار المفسر بقوله بين لخلقه الخ (قوله فى الوجود) أى الدنيوى والأخروى (قوله وشهد بذلك الملائكة) أشار بذلك إلى أن الملائكة معطوف على لفظ الجلالة فهو مرفوع وقدر الفعل دفعا لاستعمال اللفظ فى حقيقته ومجازه وفيه خلاف ولا يمشى التنزيل عليه فان الشهادة فى حق الملائكة معناها الاقرار وأما فى حق الله فمعناها التبيين (قوله وأولوا العلم) لم يقدر الفعل اكتفاء بما قدره فى جانب الملائكة (قوله بالاعتقاد) أى فى القلب ، وقوله واللفظ : أى باللسان و إنما اقتصر فى جانب الملائكة على الاقرار دون أولى العلم لأن توحيد الملائكة جبلى لهم مخلوقون عليه كالنفس فلايتوهم فيهم عدم الاعتقاد بخلاف الانس فاختيارى لهم لوجود المنافقين فيهم دون الملائكة (قوله ونصبه على الحال) أى إما من لفظ الجلالة أو من الضمير المنفصل بعد إلا والأحسن الثانى ليفيد أن الله شهد شهادتين : الأولى أنه لا إله إلا هو ، والثانية أنه قائم بالقسط فمتعلق الأولى تنزيه ذاته ومتعلق الثانية تنزيه صفاته (قوله معنى الجملة) أى جملة لا إله إلا هو ، وقوله : أى تفرد بيان لمعنى الجملة (قوله بالقسط) بيان لكرمه تعالى ، فالمعنى أنه تعالى ثابت الألوهية وأن جميع الخلق مملوكون له يتصرف فيهم كيف يشاء فلو أدخل الطائعين جميعا النار لاحرج عليه غير أنه لايفعل ذلك بل هو قائم بالقسط (قوله تأكيدا) أى وتوطئة لقوله ـ العزيز الحكيم ـ (قوله العزيز فى ملكه) أى عديم المثال أوقاهر لخلقه وهو رابع لقوله ـ أنه لا إله إلا هو ـ .

(قوله الحكيم فى صنعه) اى يضع الشئ فى محله وهوراجع لقوله قائما بالقسط والعزيز الحكيم إما خبران لمبتدأ محذوف و إما بدلان من الضمير المنفصل أو نعتان له على جواز نعت ضمير الغيبة (قوله إن الدين عند الله الاسلام) نزلت لما ادّعت اليهود أنه لادين أفضل من دين اليهودية وادّعت النصارى أنه لادين أفضل من دين النصرانية (قوله هو الاسلام) قدر الضمير إشارة إلى أن الجملة معرفة الطرفين فتفيد الحصر (قوله المبعوث به الرسل) أى جميعهم من آدم إلى محمد ، قال تعالى ـ شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى أوحينا إليك وماوصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ـ فأصل الدين واحد و إنما الاختلاف فى الفروع (قوله بدل اشتمال) أى فيكون من تمام آية شهد الله لأن وحدانية الله اشتمل عليها الاسلام، وهذا إن أريد بالاسلام الشرع المنقول، وأما إن أريد به التوحيد كان بدل كل من كل (قوله وما اختلف الذين أوتوا الكتاب) جواب عن سؤال نشأ من قوله ـ إن الدين عند الله الاسلام ـ كأنه قيل حيث كان الدين واحدا من آدم إلى الآن فما اختلاف أهل الكتاب (قوله إلا من بعد ماجاءهم العلم) استثناء من محذوف : أى ما كان اختلافهم فى حال من الأحوال إلا فى حال مجئ العلم لهم فالمعنى لاعذر ولاشبهة لهم فى ذلك الاختلاف لأن الله بين لهم الحق من الباطل و إنما كفرهم واختلافهم محض عناد ، قال تعالى ـ وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا ـ (قوله ومن يكفر) من اسم شرط

جازم و يكفر فعل الشرط ، وقوله ـ فان الله سريع الحساب ـ دليل الجواب والجواب محذوف : أى فيعذبه وهذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه قال له لا تحزن على كفر من كفر فان الله الله معذبه (قوله فان حاجوك) أى اليهود والنصارى حيث أنكروا عموم رسالتك أو أصلها وجملة حاجوك فعل الشرط وجوابه فقل وما عطف عليه (قوله ومن اتبعن) معطوف على ضمير أسلمت المتصل وقد وجد

(الْحَكِيمُ) فى صنعه (إِنَّ الدِّينَ) المرضى (عِنْدَ اللهِ) هو (الْإِسْلَامِ) أى الشرع المبعوث به الرسل المبنى على التوحيد . وفى قراءة بفتح أن بدل من أنه الخ بدل اشتمال (وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ) اليهود والنصارى فى الدين بأن وحّد بعض وكفر بعض (إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَاجَاءَهُمُ الْعِلْمُ) بالتوحيد (بَغْيًا) من الكافرين (بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللهِ فَإِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ) أى المجازاة له (فَإِنْ حَاجُّوكَ) خاصمك الكفار يا محمد فى الدين (فَقُلْ) لهم (أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلهِ) أنقدت له أنا (وَمَنِ اتَّبَعَنِ) وخص الوجه بالذكر لشرفه فغيره أولى (وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ) اليهود والنصارى (وَالْأُمِّيِّينَ) مشركى العرب (ءَأَسْلَمْتُمْ) أى أسلموا (فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا) من الضلال (وَإِنْ تَوَلَّوْا) عن الإسلام (فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ) أى التبليغ للرسالة (وَاللهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ) فيجازيهم بأعمالهم وهذا قبل الأمر بالقتال (إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ) وفى قراءة يقاتلون (النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ) بالعدل (مِنَ النَّاسِ) ،

الفاصل وهوقوله وجهى لله إذا علمت ذلك فتقدير المفسر أنا توضيح و بيان للضمير المتصل لاليفيد الفاصل ! وهم فانه قد حصل بقوله وجهى لله ، قال ابن مالك : وإن على ضمير رفع متصل عطفت فافصل بالضمير المنفصل أوفاصل ما وماهنا من قبيله ومفعول من اتبعن محذوف لدلالة ماقبله عليه : أى ومن اتبعن أسلم وجهه (قوله لشرفه) أى لوجود الحواس الخمس فيه (قوله وقل للذين أوتوا الكتاب) أى التوراة بالنسبة لليهود والانجيل بالنسبة للنصارى وفيه وضع الموصول موضع الضمير لمقابلته بالأميين (قوله مشركى العرب) أى ومن عداهم ممن لا كتاب لهم (قوله أى أسلموا) أى فهو استفهام تقريرى والمقصود الأمر على حد فهل أنتم منتهون (قوله فقد اهتدوا) أى انتفعوا وحصل لهم الرضا والقبول وتم لهم السعد والوصول ، و بهذا اندفع مايقال إن فعل الشرط متحد مع جوابه كأنه قال فان أسلموا فقد أسلموا (قوله و إن تولوا) أى داموا عليه وهو فعل الشرط وقوله ـ فإنما عليك البلاغ ـ دليل الجواب والجواب محذوف تقديره فلا تحزن عليهم وأمرهم إلى الله (قوله أى التبليغ للرسالة) أى وقد بلغت فلاتأس عليهم (قوله والله بصير بالعباد) أى عليم بهم ومطلع عليهم وناظر إليهم فلا يغيب عنه شئ من أفعالهم (قوله وهذا قبل الأمر بالقتال) أى هذه الآية نزلت قبل الأمر به فان رسول الله أمر بالامساك والاعراض عنهم فى نحو نيف وسبعين آية ثم أمر بقتالهم (قوله بآيات الله) أى القرآن وغيره (قوله وفى قراءة يقاتلون) صوابه تأخيرها بعد المعطوف إذ هى التى فيها القراءتان وأما هذه فيقتلون باتفاق السبعة (قوله بغير حق) إن قلت إن قتل الأنبياء لا يكون إلا بغير حق ؟ أجيب بأنه فى اعتقادهم أيضا فهو زيادة

وهم اليهود ، روى أنهم قتلوا ثلاثة وأربعين نبيا فنهاهم مائة وسبعون من عُبادهم فقتلوهم من يومهم (فَبَشِّرْهُمْ) أعلمهم (بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) مؤلم وذكر البشارة تهكم بهم ، ودخلت الفاء فى خبر إن لشبه اسمها الموصول بالشرط (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ) بطلت (أَعْمَالُهُمْ) ما عملوا من خير كصدقة وصلة رحم (فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) فلا اعتداد بها لعدم شرطها (وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ) مانعين من العذاب (أَلَمْ تَرَ) تنظر (إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا) حظا (مِنَ الْكِتَابِ) التوراة (يُدْعَوْنَ) حال (إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ) عن قبول حكمه . نزل فى اليهود زنى منهم اثنان فتحاكموا إلى النبى صلى الله عليه وسلم فحكم عليهما بالرجم فأبوا فجيء بالتوراة فوجد فيها فرجما فغضبوا (ذَٰلِكَ) التولى والإعراض (بِأَنَّهُمْ قَالُوا) أى بسبب قولهم (لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ) أربعين يوما مدة عبادة آبائهم العجل ثم تزول عنهم (وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ) متعلق بقوله (مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ) من قولهم ذلك (فَكَيْفَ) حالهم (إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ) أى فى يوم (لَا رَيْبَ) شك (فِيهِ) هو يوم القيامة (وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ) من أهل الكتاب وغيرهم جزاء (مَا كَسَبَتْ) عملت من خير وشر ،

فى التشنيع عليهم فالمعنى العجب يا محمد من بلادة هؤلاء حيث يقتلون الأنبياء وهم معتقدون أن قتلهم خلاف الحق ويقتلون من يأمرهم (قوله وهم اليهود) أى قوم موسى وإنما خوطب من كان فى زمنه صلى الله عليه وسلم بذلك لرضاهم بفعلهم مع كونهم كانوا عازمين على قتله صلى الله عليه وسلم (قوله ثلاثة وأربعين) وفى رواية أخرى سبعين (قوله من يومهم) أى فقتلوا الأنبياء أول النهار والعباد آخره (قوله أعلمهم) أشار بذلك إلى أن فى الكلام استعارة تبعية حيث شبه الاعلام بالعذاب بالبشارة واستعير اسم المشبه به للمشبه واشتق من البشارة بشرهم بمعنى أعلمهم بالعذاب والجامع الانتقال من حال لأخرى فى كل (قوله وذكر البشارة تهكم) أى لأن البشارة هى الخبر السار والنذارة الخبر الضار فكأنه يقول هو لا يتخلف كأن الوعد بالخير لا يتخلف (قوله لشبه اسمها الموصول) أى وهو فى الأصل كان مبتدأ والمبتدأ متى وقع اسم موصول ولو منسوخا قرن خبره بالفاء (قوله كصدقة وصلة رحم) إن قلت إن مثل هذا العمل لا يتوقف على الاسلام لعدم توقفه على النية فينتفع به الكافر فلا يتم قول المفسر فلا اعتداد بها لعدم شروطها فلعل ذلك محمول على جماعة مخصوصين باشروا قتل الأنبياء وعاندوهم وإلا فصدقة الكافر وصلة رحمه تنفعه فى الدنيا بتوسعتها عليه مثلا لا غير ولا ينتفع بها فى الآخرة إجماعا لأن محل الجزاء الجنة وهو عنها بمعزل لأنه ليس فى الآخرة إلا النار (قوله ألم تر) الخطاب للنبى أو لكل من يتأتى منه النظر (قوله إلى كتاب الله) أى التوراة (قوله فى اليهود) أى يهود خيبر (قوله زنى منهم اثنان) أى من أشرافهم ثم سألوا أحبارهم فأخبروهم بأن التوراة نصت على رجمهم ولكن أخذتهم الشفقة عليهم لكونهم من أشرافهم فتحاكموا إلى النبى صلى الله عليه وسلم لعله أن يوجد فى دينه فرج لهم ، فقال لهم النبى حكم دينى رجمكم والذى أعلمه أن فى التوراة كذلك ، فقال بعضهم جرت علينا يا محمد فقال هلموا إلىّ بأعلمكم بالتوراة فقالوا عبدالله بن صوريا وكان بفدك فأتى به فسأله النبى عن حكم الزانى والزانية فى التوراة فقال ائتونى بالتوراة فقرأ منها على النبى صلى الله عليه وسلم حتى وصل آية الرجم فوضع يده عليها وقرأ ما بعدها وكان عبدالله بن سلام حاضرا إذ ذاك وكان من أحبارهم قبل الاسلام فقال يارسول الله إن الرجل أخفى آية الرجم وقرأ ما بعدها فأمره النبى بأخذها منه فأخذها وقرأها فاذا فيها إن المحصن والمحصنة إذا زنيا وقامت عليهما البينة رجما وإن كانت امرأة حبلى تربص بها حتى تضع ما فى بطنها فأمر صلى الله عليه وسلم برجمهما فغضبت اليهود لذلك (قوله فوجد فيها) أى الرجم (قوله بأنهم قالوا) أى بسبب قولهم ذلك فهونوا على أنفسهم جميع الموبقات من قتل الأنبياء وعصيانهم وغير ذلك (قوله من قولهم ذلك) أى وهو لن تمسنا النار إلا أياما معدودات (قوله فكيف حالهم) ردّ لقولهم المذكور وإبطال لما غرهم باستعظام ما سيقع لهم من الأهوال ويجوز أن يكون كيف خبرا مقدما والمبتدأ محذوف قدره المفسر بقوله حالهم وقوله إذا جمعناهم ظرف غير متضمن معنى الشرط منصوب على الظرفية والعامل فيه متعلق الخبر (قوله لا ريب فيه) أى فى مجيئه ووقوع ما فيه

(قوله وهم) أى الناس فيه إشارة إلى أنه ذكر ضميرهم وجمعه باعتبار معنى كل نفس (قوله ونزل لما وعد الخ) وذلك أنه حين تحزبت عليه الأحزاب سنة خمس من الهجرة حتى تجمع عليه عشرة آلاف مقاتل وكانت المسلمون إذ ذاك نحو الألفين معه بالمدينة فأشاروا عليه بحفر الخندق فجعل على كل عشرة أربعين ذراعا فبينماهم فى ذلك إذ ظهرت لهم صخرة عظيمة لاتعمل فيها المعاويل فكرب ممن كانت فى قسمته فاستجاروا برسول الله فأخذ صلى الله عليه وسلم المعول من سلمان الفارسى وضرب الصخرة أول مرة فخرج منها نورملأ مابين لابتى المدينة فقال أضاء لى منها قصور الحيرة كأنها أنياب الكلاب والحيرة بكسر الحاء المهملة وسكون الياء مدينة بقرب الكوفة وتمثيله القصور بأنياب الكلاب لشبهها لها فى البياض وانضمام بعضها لبعض مع الاشارة إلى تحقيرها ثم ضرب الثانية وقال أضاء لى منها قصور الروم ثم ضرب الثالثة وقال أضاء لى منها قصور صنعاء اليمن وأخبرنى جبريل أن أمتى ظاهرة على كلها فأبشروا ، فقال المنافقون ألاتعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم أنه يبصر ما ذكر وأنها تفتح لكم وأنتم إنما تحفرون الخندق من شدة الخوف ولاتستطيعون البروز فنزلت الآية. وكسر الصخرة فى الثلاث ضربات من عزمه وقوته البشرية وإلا لو كان معجزة لأشار لها فقط. وروى فى فضل تلك الآية أحاديث لاتحصى منها ماروى «أن الله لما أمر فاتحة الكتاب وآية الكرسى وشهد الله وقل اللهم مالك الملك بالنزول إلى الأرض قالوا يار بنا لاتهبطنا دار الذنوب وإلى من يعصيك فقال تعالى وعزتى وجلالى مايقرؤكن عبد عقب كل صلاة إلا أسكنته حظيرة القدس على ما كان منه وإلا نظرت له بعينى المكنونة فى اليوم والليلة سبعين مرة وإلا قضيت له فى اليوم والليلة سبعين حاجة أدناها المغفرة وإلا أعذته من

(وَهُمْ) أى الناس (لَا يُظْلَمُونَ) بنقص حسنة أو زيادة سيئة. ونزل لما وعد صلى الله عليه وسلم أمته ملك فارس والروم فقال المنافقون هيهات (قُلِ اللَّهُمَّ) يا ألله (مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي) تعطى (الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ) من خلقك (وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ، وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ) بإيتائه (وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ) بنزعه منه (بِيَدِكَ) بقدرتك (الْخَيْرُ) أى والشر (إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. تُولِجُ) تدخل (اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ) تدخله (فِي اللَّيْلِ) فيزيد كل منهما بما نقص من الآخر (وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ) كالإنسان والطائر من النطفة والبيضة (وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ) كالنطفة والبيضة (مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) أى رزقا واسعا.

عدوه بنصرته عليه ولايمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت» (قوله ياألله) أشار بذلك إلى أن الميم معوضة عن ياء النداء فهو مبنى على الضم فى محل نصب والميم عوض عن ياء النداء وذلك من جملة ماخص به لفظ الجلالة ومن جملتها اجتماع ياوأل (قوله مالك الملك) يصح أن يكون بدلا أو عطف بيان أو نعتا لمحل اللهم أومنادى حذفت منه ياء النداء. والملك هو من العرش للفرش. وفى بعض الكتب: أنا الله ملك الملوك ومالك الملك قلوب الملوك ونواصيهم بيدى فان العباد أطاعونى جعلتهم عليهم رحمة وإن هم عصونى جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا إلى أعطفهم عليكم (قوله تؤتى الملك من تشاء) أما صفة لمالك الملك أو استئناف بيانى دليل لكونه مالك الملك وقوله من تشاء أى كمحمد وأصحابه (قوله بإيتائه) أى الملك (قوله بنزعه منه) أى بنزع الملك من فارس والروم وغيرهما (قوله بقدرتك) هذا تأويل الخلف وأما السلف فيؤمنون بذلك ويفوضون علم ذلك لله (قوله أى والشر) أشار بذلك إلى أن فيه اكتفاء وإنما اقتصر على الخير لأن الآية مسوقة فى الخير بدليل سبب نزولها وإن كان لفظها عاما أو يقال إنما اقتصر على الخير لأنه صنعه وأما الشر فبالنظر للمنعكس عليه. قال بعض العارفين:

إذا ماراأيت الله فى الكل فاعلا ... رأيت جميع الكائنات ملاحا
وإن لم ترى إلا مظاهر صنعه ... حجبت فصيرت الحسان قباحا

ففعل الله كله خير لأن أفعاله دائرة بين الفضل والعدل ولا ينسب له الشر أصلا وإنما ينسب الشر للمخالف وليس لمولانا حاكم يخالفه فيما أمره به بل هو الفعال لما يريد (قوله إنك على كل شىء قدير) دليل لما تقدم (قوله فيزيد كل منهما بما نقص من الآخر) أى بقدر مانقص ساعة بساعة ودرجة بدرجة (قوله كالانسان والطائر الخ) ويصح أن يراد الحى المسلم والميت الكافر (قوله من النطفة والبيضة) لف ونشر مرتب (قوله بغير حساب) أى ومن غير توقف على عمل

(لايتخذ

وإلا فلو توقف رزقه على عمل منا لما أعطانا شيئا أبدا بل لم يبق لنا نعمه التي هي موجودة فينا كالسمع والبصر والكلام واليدين والرجلين وغير ذلك ، فسبحان الحليم الذي لايعجل بالعقوبة على من عصاه (قوله لايتخذ المؤمنون) قيل نزلت في عبد الله بن أبي ابن سلول كان منافقا يخفي الكفر ويحب أهله ويواليهم باطنا وكان بصحبته على هذه الخصلة ثلثمائة وكانوا يحبون ظفر الأعداء برسول الله وأصحابه وإنما كانوا يظهرون الاسلام فقط ، فمعنى الآية أن من علامة الايمان عدم موالاة أهل الكفر قال تعالى ـ لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله ـ الآية وقال تعالى ـ يأيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة ـ الآية (قوله أولياء) أي أصدقاء وقوله يوالونهم أي يحبونهم ويميلون إليهم (قوله من دون المؤمنين) في محل الحال من الفاعل أي حال كون المؤمنين متجاوزين بموالاتهم للمؤمنين أي تاركين قصر الولاية عليهم وذلك الترك يصدق بصورتين كونها مشتركة بين الكفار والمؤمنين أو مختصة بالكفار فالصورتان داخلتان في منطوق النهي ، وإنما الواجب على المؤمنين قصر الموالاة والمحبة على بعضهم (قوله فليس من الله) الكلام على حذف مضاف قدره المفسر بقوله دين وفيه حذف مضاف أيضا أي من أهل دين الله فالمعنى أنه كافر وإذا اطلعنا عليه فلا نبقيه بل نقتله ويسمى زنديقا ومنافقا ، واسم ليس ضمير يعود على من الشرطية (قوله إلا أن تتقوا) هذا استثناء مفرغ من عموم الأحوال أي لايتخذ المؤمن الكافر وليا لشيء من الأشياء ولالغرض من الأغراض إلا للتقية ظاهرا بحيث يكون مواليه في الظاهر ومعاديه في الباطن . ومحصله أن الله نهى المؤمنين عن موالاة الكفار ومداهنتهم إلا أن يكون الكفار غالبين ظاهرين أو يكون المؤمن في قوم كفار فيداهنهم بلسانه مطمئنا قلبه بالايمان فالتقية لاتكون إلا مع الخوف على النفس أو العرض (قوله تقاة) وزنه فعلة ويجمع على تقي كرطبة ورطب وأصله وقية لأنه من الوقاية فأبدلت الواو تاء والياء ألفا لتحركها وانفتاح ماقبلها وقوله من تقيته بفتح القاف بوزن رميته وهو بمعنى اتقيته (قوله دون القلب) أي فالموالاة به حرام إجماعا (قوله وهذا) أي قوله إلا أن تتقوا (قوله ليس قويا فيها) أي الاسلام ليس قويا في تلك البلدة كأن يجعل أمراء تلك البلدة الحكام من أهل الكفر فالواجب مداراتهم ظاهرا حتى يقضي الله أمرا كان مفعولا كما وقع لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان في داره يوما إذ أقبل عليه رجل فطرق الباب فقال من؟ فقال فلان فقال سرا : بئس أخو العشيرة ثم لما خرج إليه أطلق له وجهه وصار يلاطفه بالقول فلما انصرف قالت له عائشة رأيت منك عجبا سمعتك تقول قولا ثم فعلت خلافه فقال ياعائشة إنا لنبش في وجوه قوم وقلوبنا تلعنهم (قوله ويحذركم) الكاف مفعول أول ونفسه مفعول ثان وهو على حذف مضاف أشار له المفسر بقوله أن يغضب عليكم والأصل غضب نفسه أي فإن واليتموهم غضب الله بجلاله عليكم (قوله فيجازيكم) أي إما بالثواب إن لم توالوهم أو بالعقاب إن واليتموهم (قوله يعلمه الله) أي فيرتب الجزاء على ذلك (قوله يوم تجد) ظرف لمحذوف أي اذكر (قوله محضرا) أي حاضرا ظاهرا تفرح به وذلك كالصدقات والصيام والصلاة مثلا (قوله أمدا بعيدا) أي مسافة طويلة فيتمنى أن لم يكن رآه وقد ورد أن العبد إذا خرج من قبره وجد عمله الصالح في صورة حسنة فيقول له طالما كنت أقلتك في الدنيا فاركب على ظهري الآن فيركبه إلى الحشر وذلك قوله تعالى ـ ونحشر المتقين إلى الرحمن وفدا ـ وإذا كان غير صالح وجد عمله السيء في صورة قبيحة فيقول له طالما كنت تمتع بي في الدنيا فأنا أركبك الآن وذلك قوله تعالى ـ وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ـ ولو شرطية وفي الكلام حذفان أحدهما حذف مفعول تود والثاني حذف جواب لو والتقدير تود تباعد مابينها وبينه لو أن بينها

(لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ) يوالونهم (مِنْ دُونِ) أي غير (الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ) أي يوالهم (فَلَيْسَ مِنَ) دين (اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً) مصدر تقيته أي تخافوا مخافة فلكم موالاتهم باللسان دون القلب وهذا قبل عزة الاسلام ويجري فيمن في بلد ليس قويا فيها (وَيُحَذِّرُكُمُ) يخوفكم (اللَّهُ نَفْسَهُ) أن يغضب عليكم إن واليتموهم (وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ) المرجع فيجازيكم (قُلْ) لهم (إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ) قلوبكم من موالاتهم (أَوْ تُبْدُوهُ) تظهروه (يَعْلَمْهُ اللَّهُ ، وَ) هو (يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) ومنه تعذيب من والاهم ، اذكر (يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ)ه (مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا ، وَمَا عَمِلَتْ)ه (مِنْ سُوءٍ) مبتدأ خبره (تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا) غاية في نهاية البعد فلا يصل إليها (وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ) كرر للتأكيد ،

و يفنه أمداً بعيداً لسرت بذلك (قوله والله رءوف بالعباد) أى شديد الرحمة بهم حيث قطع عذرهم بتبيين ذلك فى زمن يسع التوبة والرجوع إليه فيه ، ومن جملة رأفته كثرة التكرار والتأكيد فى الكلام لعله يصل إلى قلوب السامعين فيعملوا بمقتضاه (قوله ونزل لما قالوا الخ) وقيل سبب نزولها قول اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه . وقيل قول نصارى نجران ماعبدنا عيسى وأمه إلا محبة لله . وقيل سبب نزولها أن النبي دخل الكعبة فوجد الكفار يعلقون على الأصنام بيض النعام ويزخرفونها فقال لهم ماهذه ملة إبراهيم التى تدعونها فقالوا مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى (قوله قل لهم يامحمد) أى رداً لمقالهم (قوله فاتبعونى) أى فى جميع ماجئت به ، والمعنى أن اتباع النبي فيما جاء به دليل على محبة الانسان لربه وهى ميل القلب نحوه وإيثار طاعته على هوى نفسه فيلزم من المحبة الطاعة ، قال بعض العارفين :

لو قال تيها قف على جمر الغضا لوقفت ممتثلا ولم أتوقف

وقال بعضهم :

تعصى الاله وأنت تظهر حبه هذا لعمرى فى القياس بديع
لوكان حبك صادقا لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع

فمن ادعى المحبة من غير طاعة فدعواه باطلة لاتقبل (قوله بمعنى أنه يثيبكم) أشار بذلك إلى أن معنى المحبة الأصلى محال فى حقه تعالى وأن المراد بمحبة الله للعبد قبوله والاثابة على أعماله (قوله ويغفر لكم ذنوبكم) أى يمحها من الصحف فالمحبوب لايبقى عليه ذنب والمبغوض لا تبقى له طاعة ، قال بعض العارفين : واجعل سيآتنا سيآت من أحببت ولا تجعل

(وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ) . ونزل لما قالوا مانعبد الأصنام إلا حبًّا لله ليقربونا إليه (قُلْ) لهم يا محمد (إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ) بمعنى أنه يثيبكم (وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ) لمن اتبعنى ماسلف منه قبل ذلك (رَحِيمٌ) به (قُلْ) لهم (أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ) فيما يأمركم به من التوحيد (فَإِنْ تَوَلَّوْا) أعرضوا عن الطاعة (فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ) فيه إقامة الظاهر مقام المضمر أى لايحبهم بمعنى أنه يعاقبهم (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى) اختار (آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ) بمعنى أنفسهما (عَلَى الْعَالَمِينَ) بجعل الأنبياء من نسلهم (ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ) ولد (بَعْضٍ) منهم (وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) اذكر (إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ) حنة لما أسنت ،

حسناتنا حسنات من أبغضت فالاحسان لاينفع مع البغض منك والاساءة لا تضر مع الحب منك . (قوله رحيم به) أى فى الدنيا والآخرة (قوله من التوحيد) أى وغيره من شرائع الدين (قوله أعرضوا عن الطاعة) أى فلم يتبعوك فيما أمرت به (قوله فيه إقامة الظاهر) أى تبكيتا لهم (قوله إن الله اصطفى آدم) قال ابن عباس قالت اليهود نحن من أبناء ابراهيم واسحق و يعقوب ونحن على دينهم فأنزل الله تعالى هذه الآية والمعنى أن الله اصطفى هؤلاء بالاسلام والنبوة والرسالة وأنتم يامعشر اليهود على غير دينهم وعاش آدم فى الأرض تسعمائة وستين سنة ، وأما مدة إقامته فى الجنة فلا تحسب (قوله ونوحا) هذا لقبه واسمه الأصلى عبد الغفار وقيل السكن ولقب بنوح لكثرة نوحه وهو من نسل إدريس لأنه ابن لمك بن متوشلخ ابن ادريس عليهم الصلاة والسلام وعمر ألف سنة وخمسين والمعنى اختاره بالنبوة والرسالة وجعله من أولى العزم (قوله وآل ابراهيم) أى اصطفاه بالنبوة والرسالة والخلة، وعمر ابراهيم مائة وسبعين سنة (قوله وآل عمران) قيل المراد عمران أبو مريم وهو الأقرب وقيل أبو موسى وهرون و بين العمرانين ألف وثمانمائة سنة (قوله بمعنى أنفسهما) وقيل إنهما حقيقة فآل ابراهيم أولاده وآل عمران أبو مريم مريم وابنها وأبو موسى موسى وهرون (قوله على العالمين) المراد عالمو زمانهم (قوله ذرية) بدل من آدم وما عطف عليه وهى إما مأخوذة من الذر أومن الذرء بمعنى الخلق (قوله بعضها من ولد بعض) أى متناسلين من بعض فالمراد البعضية فى النسب وقيل المراد بعضها من بعض فى الصلاح والنبوة والرسالة فكما أن الأصول أنبياء ورسل كذلك الذرية بل فى بعضها مايفوق الأصول جميعها كسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (قوله إذ قالت) ظرف فى محل نصب على المفعولية لمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر والتقدير اذكر يامحمد وقت قول امرأة عمران والمقصود ذكر القصة الواقعة فى ذلك الوقت لاذكر الوقت نفسه (قوله حنة) أى بنت فاقود وكان لها أخت تسمى اشاع بنت فاقود أيضا متزوجة بزكريا عليه السلام وكان عمران من السادات الصالحين، وكان له التكلم على سدنة بيت المقدس ، واسم أبيه ماثان .

(قوله واشتاقت للولد) سبب ذلك أنها كانت يوما جالسة فى ظل الشجرة فرأت طائرا يطعم فرخه ويسقيه فعطفت واشتاقت للولد من أجل رؤية ذلك الطائر فدعت الله أن يرزقها ولدا ونذرت أن تهبه لبيت المقدس يخدمه وكان ما من رجل من أشراف بيت المقدس إلا وله ولد منذور لخدمته فاستجاب الله دعاءها فحملت فلما أحست بالحمل جددت النذر ثانيا بقولها رب إنى نذرت لك ما فى بطنى محررا فلامها زوجها على ذلك حيث أطلقت فى نذرها ولم تقيده بالذكر فبقيت فى حيرة وكرب إلى أن وضعت فلما وضعتها ورأتها أنثى اعتذرت إلى الله إلى آخر ما يأتى (قوله عتيقا خالصا من شواغل الدنيا) أى وكانوا يفعلون ذلك بالصبيان إلى أن يبلغوا الحلم فإذا بلغوا عرضوا ذلك الأمر عليهم فإن اختاروا الخدمة مكثوا وكافوا بها ولا يخرجون لشىء من شواغل الدنيا وإن اختاروا عدم الخدمة أجيبوا لذلك (قوله وهلك عمران وهى حامل) أى وحين نذرت ذلك النذر لامها فكربت ثم لما وضعتها الخ فهو مرتب على محذوف (قوله جارية) حال من الهاء فى ولدتها (قوله قالت معتذرة) حال من فاعل قالت لا إعلاما له تعالى فإنه لا يليق ذلك فإنه عالم بها من قبل أن تعلم بها هى (قوله أنثى) حال من الضمير فى وضعتها مؤكدة له ويحتمل أن تكون مؤسسة بالنظر لعوده على النسمة الشاملة للذكر والأنثى (قوله جملة اعتراض) أى بين كلامى حنة تفخيما وتعظيما لشأن ذلك المولود (قوله وفى قراءة) أى سبعية (قوله بضم التاء) أى ويكون ذلك من كلامها اعتذارا (قوله

واشتاقت للولد فدعت الله ، وأحست بالحمل: يا (رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ) أن أجعل (لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا) عتيقاً خالصاً من شواغل الدنيا لخدمة بيتك المقدس (فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ) للدعاء (الْعَلِيمُ) بالنيات ، وهلك عمران وهى حامل (فَلَمَّا وَضَعَتْهَا) ولدتها جارية ، وكانت ترجو أن يكون غلاما إذا لم يكن يحرر إلا الغلمان (قَالَتْ) معتذرة: يا (رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ) أى عالم (بِمَا وَضَعَتْ) جملة اعتراض من كلامه تعالى ، وفى قراءة بضم التاء (وَلَيْسَ الذَّكَرُ) الذى طلبت (كَالْأُنْثَىٰ) التى وهبت لأنه يقصد للخدمة وهى لا تصلح لها لضعفها وعورتها وما يعتريها من الحيض ونحوه (وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا) أولادها (مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) المطرود فى الحديث «ما من مولود يولد إلا مسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخا إلا مريم وابنها» رواه الشيخان (فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا) أى قبل مريم من أمها (بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا) أنشأها بخلق حسن ، فكانت تنبت فى اليوم كما ينبت المولود فى العام ، وأتت بها أمها الأحبار :

وليس الذكر كالأنثى) يحتمل أن يكون ذلك من كلام الله والمعنى ليس الذكر الذى طلبتيه كالأنثى التى أعطيتها لك فإن ما وهبته لك أعظم مما طلبتيه أنت لنفسك فالقصد تفخيم شأنها ويحتمل أن يكون من كلام حنة ويكون فى الكلام قلب والمعنى ليست الأنثى الذى وهبت لى كالذكر الذى طلبته فالذكر أعظم من حيث قوته على الخدمة وخلوه من القذارة كالحيض والنفاس فيكون اعتذارا واقعا منها (قوله ونحوه) أى كالنفاس (قوله وإنى سميتها) معطوف على إنى وضعتها أنثى ويكون ما بينهما اعتراضا على أنه من كلام الله وأما على أنه من كلامها فيكون من جملة مقولها (قوله مريم) معناه بلغتهم العابدة خادمة الرب (قوله وإنى أعيذها) أى أحصنها وأجيرها (قوله أولادها) أى ولم تلد إلا عيسى (قوله الرجيم) فعيل بمعنى مفعول أى مطرود كما قال المفسر أو مرجوم بالشهب من السماء (قوله إلا مسه الشيطان) أى نخسه فى جنبه وظاهره حتى الأنبياء وهو كذلك . إن قلت إن الأنبياء معصومون من الشيطان فلا سبيل له عليهم . أجيب بأنهم معصومون من وسوسته وإغوائه لا من نخسه فى أجسامهم فإن ذلك لا يقدح فى عصمتهم منه . إن قلت إن موضوع الآية أن دعوة أم مريم كانت بعد وضعها وتسميتها فلم تنفع مريم من نخس الشيطان وإنما نفعت ولدها فقط فلم تحصل مطابقة بين الآية والحديث إلا أن يقال إن حفظهما من نخس الشيطان كان واقعا وإن لم تدع حنة فدعوتها طابقت ما أراده الله بهما ومع ذلك فالمناسب أن لا يأتى بالحديث تفسيرا للآية وقد ورد أن الشيطان نخسهما أيضا إلا أنه صادف الغشاء (قوله فتقبلها) أى رضى بها خادمة لبيت المقدس وخلصها من دنس الأطفال والنساء (قوله بقبول) يحتمل أن الباء زائدة : أى قبولا ويكون منصوبا على المصدر المحذوف الزوائد وإلا لقيل تقبلا أو تقبيلا ويحتمل أنها أصلية والمراد بالقبول اسم لما يقبل به الشىء كالوجور والسعوط (قوله كما ينبت المولود فى العام) أى فى العقل والمعرفة وإلا فالكلام من قبيل المبالغة .

قوله سدنة بيت المقدس) أى خدمته (قوله هذه النذيرة) أى المنذورة (قوله لأنها بنت إمامهم) أى رئيسهم وأميرهم (قوله لأن خالتها عندى) ورد أنهم قالوا لو كانت القرابة مقتضية لأخذها لكانت أمها أولى (قوله إلى نهر الأردن) أى وهو نهر يجرى إلى الآن (قوله وألقوا أقلامهم) قيل سهامهم وقيل التى كانوا يكتبون بها التوراة وقيل أقلام من حديد (قوله وصعد) أى على وجه الماء: أى ومن غرق قلمه أو ذهب مع الماء فلا حقّ له فيها (قوله بأكلها) بضم الهمزة فيه وفيما بعده بمعنى الشيء المأكول والمشروب والذى يدهن به (قوله ممدودا ومقصورا) راجع لقراءة التشديد لاغير وأما التخفيف فليس فيه إلا المدّ مع رفعه على الفاعلية (قوله والفاعل الله) أى بالنسبة للتشديد (قوله كلما دخل عليها زكريا) أى فى أىّ وقت دخل عليها فيه وجد الخ وزكريا بالمد والقصر قراءتان سبعيتان (قوله المحراب) هو اسم لكل محل من محال العبادة فسميت الغرفة بذلك لأنها فى المسجد وهو محل العبادة (قوله وجد عندها) حال من زكريا التقدير قائلا كلما دخل عليها زكريا المحراب حال كونه واجدا عندها رزقا يامريم الخ ورزقا مفعول لقوله وجد ووجد بمعنى أصاب (قوله وهى صغيرة) أى فهى من جملة من تكلم فى المهد (قوله بلا تبعة) أى حق عليه فليس إعطاؤه الرزق لحق العباد عليه بل هو من محض فضله وجوده (قوله هنالك) أصلها ظرف مكان لكن استعملت هنا ظرف زمان ويحتمل أن تكون ظرف مكان معنوى، والمعنى عند ذلك لواقعة دعا زكريا الخ وهو كلام مستأنف وقصة مستقلة سيقت فى أثناء قصة مريم لما بينهما من قوة الارتباط لأن فضل بعض الأقارب يدل على فضل الآخر وهو حكمة قوله تعالى ـ ذرّية بعضها من بعض ـ (قوله لما رأى ذلك زكريا) أى ماتقدم من قصة حنة حيث دعت الله أن يرزقها بولد مع يأسها وكبرسنها فأجابها الله مع كونها لم تكن نبية وأعطاها مريم وجعلها فضل من الذكور وصار يأتيها رزقها من الجنة وأكرمها إكراما عظيما فكان ذلك الأمر العجيب باعثا له على طلب الولد (قوله وعلم) أى تنبه واستحضر عند مشاهدة تلك الخوارق للعادة على حدّ ولكن ليطمئن قلبي فشهود الكرامات يزيد فى اليقين والكامل يقبل الكمال (قوله على الكبر) أى منه ومن زوجته، قيل كان وقت الدعاء عمره ثمانون سنة وعمرها ثمان وخمسون وبين الدعاء والاجابة أربعون سنة (قوله وكان أهل بيته) أى أقاربه (قوله لما دخل المحراب) أى المسجد (قوله ذرية) الذرية تطلق على المفرد والجمع ولذا قال المفسر ولدا صالحا (قوله إنك سميع) ليس المراد به الاسم بل المراد به المجيب أى سميع سماع إجابة كما قال المفسر (قوله فنادته الملائكة) أى بعد مضى أربعين سنة من دعوته (قوله أى جبريل) أى فهو من تسمية الخاص باسم العام تعظيما له (قوله وهو قائم) جملة حالية من الهاء فى نادته وجملة يصلى إما خبر ثان أو حال ثانية أو صفة لقائم وقوله فى المحراب متعلق بيصلى أو بقائم (قوله أى بأن) أى فهو بدل من نادته (قوله بتقدير القول) أى استئناف تقديره قائلين إن الله يبشرك الخ (قوله مثقلا ومخففا) أى فهما قراءتان سبعيتان مع فتح همزة إن وكسرها فهما أربع فالمثقل ضم الباء وفتح الباء وكسر الشين المشددة والمخفف بفتح الياء وسكون الباء وضم الشين المخففة

سدنة بيت المقدس فقالت: دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لأنها بنت إمامهم، فقال زكريا أنا أحق بها لأن خالتها عندى، فقالوا: لا حتى نقترع فانطلقوا وهم تسعة وعشرون إلى نهر الأردن وألقوا أقلامهم على أن من ثبت قلمه فى الماء وصعد فهو أولى بها فثبت قلم زكريا فأخذها وبنى لها غرفة فى المسجد بسلّم لا يصعد إليها غيره، وكان يأتيها بأكلها وشرابها ودهنها فيجد عندها فاكهة الصيف فى الشتاء وفاكهة الشتاء فى الصيف كما قال تعالى (وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاءُ) ضمها إليه وفى قراءة بالتشديد ونصب زكريا ممدوداً ومقصوراً والفاعل الله (كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّاءُ الْمِحْرَابَ) الغرفة وهى أشرف المجالس (وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى) من أين (لَكِ هَٰذَا؟ قَالَتْ) وهى صغيرة (هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ) يأتينى به من الجنة (إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) رزقا واسعا بلا تبعة (هُنَالِكَ) أى لما رأى زكريا ذلك وعلم أن القادر على الإتيان بالشيء فى غير حينه قادر على الإتيان بالولد على الكبر وكان أهل بيته انقرضوا (دَعَا زَكَرِيَّاءُ رَبَّهُ) لما دخل المحراب للصلاة جوف الليل (قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ) من عندك (ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً) ولداً صالحاً (إِنَّكَ سَمِيعُ) مجيب (الدُّعَاءِ. فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ) أى جبريل (وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ) أى المسجد (أَنَّ) أى بأن وفى قراءة بالكسر بتقدير القول (اللَّهَ يُبَشِّرُكَ) مثقلا ومخففا،

(بيحيى

(قوله يحيى) قيل إنه منقول من الفعل فيكون ممنوعا من الصرف للعلمية ووزن الفعل ويكون عربيا وسمى بذلك لأنه يحيى القلوب للميتة، وقيل أعجمى فيكون ممنوعا من الصرف للعلمية والعجمة ويجمع فى حالة الرفع على يحيون وفى حالة النصب على يحيين وتثنيته فى حالة الرفع يحيان وفى النصب والجر يحيين (قوله مصدقا) هو ومابعده أحوال من يحيى (قوله أنه روح الله) أى سر نشأ من الله (قوله لأنه خلقه بكلمة كن) وقيل لأن الكلمة التى قالها لها الله وهى كذلك الله يخلق مايشاء، وقيل لأنه الكلمة التى قالها الله لجبريل حيث أمره بالنفخ فى جيبها (قوله متبوعا) أى إماما يقتدى به، قيل إنه أعطى النبوة من حين الولادة (قوله ممنوعا من النساء) أى اختيارا لشغله بربه وهذا هو المراد بالحصور هنا وإلا فمعناه الممنوع من النساء مطلقا سواء كان اضطرارا أواختيارا (قوله ونبيا من الصالحين) أى من كبار المرسلين القائمين بحقوقك وحقوق عبادك (قوله روى أنه لم يعمل خطيئة الخ) هذا لايخصه بل كذلك غيره من الأنبياء (قوله أنى يكون) تستعمل أنى شرطية كقول الشاعر:

فأصبحت أنى تأتها تستجر بها تجد حطبا جزلا ونارا تأججا

وتستعمل اسم استفهام كما هنا ولذا فسرها بكيف ويكون ناقصة وغلام اسمها وخبرها أنى والتقدير رب يكون لى غلام على أى حالة فالاستفهام عن أحوال الغلام لاعن ذاته (قوله وقد بلغنى الكبر) هنا أسند البلوغ للكبر وفيما يأتى فى سورة مريم أسنده لنفسه وكلاهما صحيح لأن البلوغ من الطرفين والجملة حالية وكذا مابعدها (قوله أى بلغت نهاية السن) أى بالنسبة لأهل زمانى فلاينافى أن المتقدمين كان الواحد منهم يعمر لألف (قوله كذلك) خبر لمحذوف قدره بقوله الأمر وقوله من خلق غلام بيان لمرجع اسم الإشارة والكاف فى كذلك يحتمل أن تكون صلة، والمعنى قال الله الأمر ذلك واسم الاشارة راجع إلى خلق الولد

(بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ) كائنة (مِنَ اللهِ) أى بعيسى أنه روح الله، وسمى كلمة لأنه خلق بكلمة كن (وَسَيِّدًا) متبوعا (وَحَصُورًا) ممنوعا من النساء (وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ) روى أنه لم يعمل خطيئة ولم يهم بها (قَالَ رَبِّ أَنَّى) كيف (يَكُونُ لِي غُلَامٌ) ولد (وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ) أى بلغت نهاية السن مائة وعشرين سنة (وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ) بلغت ثمانيا وتسعين سنة (قَالَ) الأمر (كَذَلِكَ) من خلق الله غلاما منكما (اللهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ) لا يعجزه عنه شىء ولإظهار هذه القدرة العظيمة ألهمه السؤال ليجاب بها. ولما تاقت نفسه إلى سرعة المبشر به (قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً) أى علامة على حمل امرأتى (قَالَ آيَتُكَ) عليه (أ) ن (لَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ) أى تمتنع من كلامهم بخلاف ذكر الله تعالى (ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ) أى بلياليها (إِلَّا رَمْزًا) إشارة (وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ) صل (بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ) أواخر النهار وأوائله (وَ) اذكر (إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ)

و يحتمل أن تكون أصلية، والمعنى قال الله الأمر كذلك أى كما قلت لاتغيير فيه ولاتبديل فاسم الاشارة راجع إلى القول (قوله ألهمه السؤال) أى بقوله أنى يكون لى غلام (قوله ليجاب بها) علة للالهام وقوله لاظهار علة لقوله ليجاب فهو علة مقدمة على معلولها. إن قلت ما الحكمة فى قوله فى قصة زكريا الله يفعل مايشاء وفى قصة مريم الله يخلق مايشاء؟ قلت الحكمة أن خرق العادة فى عيسى أعظم من يحيى فان عيسى لم يكن له أب مع كون أمه عذراء. وأما يحيى فأبواه موجودان وإن كان هناك مانع من الحمل فعبر فى جانب عيسى بالخلق الذى هو إنشاء واختراع دون الفعل (قوله ولما تاقت نفسه) أى اشتاقت (قوله قال رب اجعل لى آية) أى لأزداد بها شكرا على ما أعطيتنى وسرورا به (قوله علامة على حمل امرأتى) أى فان الحمل فى مبدئه خفى فطلب علامة على ظهور علوقها به (قوله أن لاتكلم الناس) أى يأتيك مانع من الله يمنعك من الكلام بغير ذكر الله (قوله أى بلياليها) أخذ ذلك مما يأتى فى سورة مريم جمعا بين الموضعين والقصتين ومن ذلك اختار بعض أكابر الصوفية أن الخلوة مع الرياضة لبلوغ المراد ثلاثة أيام بلياليها يجعل ذكر الله فيها شعاره ودثاره ولايتكلم فيها (قوله إلا رمزا) استثناء منقطع على التحقيق لأن الرمز لايقال له كلام اصطلاحا وإن كان كلاما لغة لكن ليس مرادا هنا (قوله إشارة) أى وكانت بسبابته اليمنى (قوله أواخر النهار) راجع للعشى وقوله وأوائله راجع للابكار فهو لف ونشر مرتب وخص هذين الوقتين لفرضية الصلاة عليه فيهما (قوله وإذ قالت الملائكة) عطف على قوله إذ قالت امرأة عمران والمناسبة بينهما ظاهرة فان تلك قصة الأم وهذه قصة البنت. وأما قصة زكريا فذكرت بينهما لأن رؤية العجائب فى الأولى هى الحاملة لزكريا على طلب الولد.

(قوله أى جبريل) أشار بذلك إلى أنه من باب تسمية الخاص باسم العام تعظيما له (قوله يامريم) الحكمة فى أن الله لم يذكر فى القرآن امرأة باسمها إلا هي الإشارة بطرف خفي إلى ردّ ماقاله الكفار من أنها زوجته فان العظيم على همة يأنف من ذكر اسم زوجته بين الناس فكأنّ الله يقول لوكانت زوجة لى لما صرّحت باسمها (قوله من مسيس الرجال) أى ومن الحيض والنفاس وكل قذر (قوله أى أهل زمانك) أشار بذلك إلى أن العالمين عام مخصوص بما عدا خديجة وفاطمة وعائشة وهذه طريقة مرجوحة ، والحق أن مريم أفضل النساء على الاطلاق ثم فاطمة ثم خديجة ثم عائشة ، قال بعضهم فى ذلك :

فضلى النسا بنت عمران ففاطمة خديجة ثم من قد برأ الله و بالجملة فأفضل النساء خمسة:مريم وخديجة وفاطمة وعائشة وآسية بنت مزاحم زوجة فرعون ، وهى زوجة النبىّ صلى الله عليه وسلم فى الجنة وكذلك مريم (قوله يامريم اقنتى) تكرار الخطاب باسمها يفيد ماقلناه أوّلا من أنه إشارة لردّ ماقيل إنها زوجته (قوله واسجدى واركعى) قدم السجود لشرفه والواو لاتقتضى ترتيبا إن كانت صلاتهم كصلاتنا من تقديم الركوع على السجود و إن كانت بالعكس فالأمر ظاهر (قوله مع الراكعين) لم يقل مع الراكعات إما لدخول جمع المؤنث فى المذكر بالتغليب أوالمعنى صلى كصلاة الرجال من حيث الخشية وعلوّ الهمة لا كصلاة النساء من حيث التفريط وعدم الخشية (قوله نوحيه) أى المذكور فالضمير عائد على اسم الاشارة لافراده (قوله إذ يلقون أقلامهم) أى وقت إلقائهم أقلامهم (قوله وما كنت لديهم إذ يختصمون) هذا بمعنى ماقبله والمعنى يختصمون قبل إلقاء الأقلام (قوله فتعرف ذلك الخ) مسبب (١٤٤) عن النفى أى ماكنت حاضرا حتى تعرف ذلك وتخبر به و إنما عرفته من جهة الوحى لامن جهة غيره لان بلده ليست بلد علم ولم يجالس بين يدى معلم ولم يقرأ كتابا ولم يكن هو ولا أحد من أجداده حاضرا وقت حصول تلك الوقائع فتعين أن يكون ذلك بوحى من الله ، قال العارف :

أى جبريل (يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ) اختارك (وَطَهَّرَكِ) من مسيس الرجال (وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ) أى أهل زمانك (يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ) أطيعيه (وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ) أى صلى مع المصلين (ذَٰلِكَ) المذكور من أمر زكريا ومريم (مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ) أخبار ما غاب عنك (نُوحِيهِ إِلَيْكَ) يا محمد (وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ) فى الماء يقترعون ليظهر لهم (أَيُّهُمْ يَكْفُلُ) يربى (مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ) فى كفالتها فتعرف ذلك فتخبر به و إنما عرفته من جهة الوحى . اذكر (إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ) أى جبريل (يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ) أى ولد (اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ) خاطبها بنسبته إليها تنبيها على أنها تلده بلا أب إذ عادة الرجال نسبتهم إلى آبائهم ، (وَجِيهًا)

كفاك بالعلم فى الأمىّ معجزة فى الجاهلية والتأديب فى اليتم

(قوله إذ قالت الملائكة) قدّر المفسر اذكر إشارة إلى أن إذ ظرف معمول لمحذوف وهذا شروع فى ذكر قصة عيسى ومافيها من العجائب (قوله أى جبريل) أى فهو من باب تسمية الخاص باسم العام (قوله يبشرك) البشارة هى الخبر السارّ وضدها النذارة وهى الخبر الضارّ (قوله بكلمة منه) أى الله (قوله أى ولد) أى مولود وعبر عنه بالكلمة لأنه بقول كن من غير واسطة مادة . واتفق أن نصرانيا قدم على الرشيد فوجد عنده الحسن بن على الواقدى فقال النصرانى للخليفة والعالم إن فى كلام الله آية تدل على أن عيسى جزء من الله فقال له وماتلك الآية ؟ فقال النصرانى إن الله يبشرك بكلمة منه فمن للتبعيض فمقتضى ذلك أنه جزء منه فقال الشيخ إذا كانت من للتبعيض هنا فكذلك هى فى قوله تعالى ـ وسخر لكم مافى السموات ومافى الأرض جميعا منه ـ إذ لافرق بينهما فبهت النصرانى وأسلم وأغدق الخليفة على الشيخ إغداقا عظيما وكان يوما مشهودا، و إنما من للابتداء على حدّ إن الله خلق نور نبيك من نوره والمعنى خلقه بلاواسطة مادة . واعلم أن تلك البشارة تضمنت خمسة عشر وصفا (قوله اسمه المسيح عيسى ابن مريم) ظاهره أن هذه الأشياء كلها جعلت اسما واحدا . له مع أن المسيح لقبه وابن مريم كنيته وإنما الاسم عيسى فقط . ويجاب بأنه لما كان لايتميز إلا بهذه الأشياء كلها جعلت اسما واحدا . والمسيح فعيل إما بمعنى فاعل لأنه ماسمح على ذى عاهة إلا برئ أولأنه كان يمسح الأرض فى الزمن القليل بهداية الخلق أومفعول لأنه ممسوح بالبركة أوممسوح القدم بمعنى أنها لاأخمص لها . وأما الدجال فيلقب بالمسيح إما لأنه يمسح الأرض فى القليل لاضلال الناس أولأنه ممسوح العين فهو من تسمية الأضداد ومن الأسماء المشتركة . وعيسى من العيس وهو البياض المشرب بحمرة لأن لونه كان كذلك (قوله إذ عادة الرجال) أى والنساء .

(قوله وجيها) حال من المسيح (قوله ذا جاه) أى عز وسودد (قوله بالنبوة) أى والمعجزات الباهرة والحكمة التى لا تضاهى (قوله والدرجات العلا) أى من حيث إنه من أولى العزم (قوله عند الله) عندية مكانة لا مكان أى قرب ومنزلة (قوله فى المهد) أى زمنه والمهد فراش الصبى زمن طفوليته وورد أنه كان تكلم حين ولادته كما قص الله فى سورة مريم (قوله قبل وقت الكلام) أى وانقطع إلى وقته المعتاد وكان يحدث أمه وهو فى بطنها فاذا اشتغلت أمه بكلام إنسان اشتغل هو بالتسبيح (قوله وكهلا) أى بين الثلاثين والأربعين والمقصود بشارة أمه بطول عمره لا كون كلامه حينئذ خرق عادة (قوله ومن الصالحين) أى الكاملين فى الصلاح وهم سادات الرسل فأل فى الصالحين للكمال (قوله بتزوج ولا غيره) أى كالزنا وقد صرح به فى سورة مريم بقوله ولم أك بغيا وهذا استفهام عن الحالة التى يأتى عليها ذلك الولد وإنما استفهمت عن ذلك لأنها جازمة أنها منذورة لخدمة بيت المقدس وأنها مقبولة، وكانت عاداتهم أن المنذور لا يتزوج فهذا هو حكمة استعظامها ذلك (قوله كذلك) خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله الأمر والكاف يحتمل زيادتها والأصل الأمر ذلك ويحتمل أصالتها وقد تقدم ذلك (قوله إذا قضى أمرا) القضاء هو تعلق إرادة الله بالأشياء أزلا (قوله أراد خلقه) أى تعلقت إرادته بخلقه تعلقا تنجيزيا قديما (قوله أى فهو يكون) أشار بذلك إلى أن جملة يكون خبر لمحذوف (قوله بالنون والياء) أى قراءتان سبعيتان فعلى الياء الأمر ظاهر وعلى النون فهو التفات من الغيبة للخطاب (قوله الخط) ورد أنه كان حسن الخط جدا وكان يعلمه للصغار فى المكتب (قوله والحكمة) أى النبوة (قوله والتوراة) إن قلت إنها كتاب موسى أجيب بأنه كان يحفظها ويتعبد بها إلا ما نسخ منها فى الإنجيل (قوله ورسولا) معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله نجعله لأنه المناسب له (قوله فى الصبا) أى وهو ابن ثلاث سنين وقوله أو بعد البلوغ أى وهو ابن ثلاثين سنة وكلا القولين ضعيف والمعتمد أنه نبىء على رأس الأربعين وعاش نبيا ورسولا ثمانين سنة فلم يرفع إلا وهو ابن مائة وعشرين سنة (قوله فنفخ جبريل فى جيب درعها) أى وكان عمرها إذ ذاك قيل عشر سنين وقيل ثلاثة عشر وقيل ست عشرة سنة (قوله ماذكر فى سورة مريم) أى فى قوله تعالى ـ واذكر فى الكتاب مريم ـ الآيات . واختلف فى مدة حملها فقيل تسعة أشهر وقيل ثلاث ساعات وقيل ساعة واحدة وهو المشهور (قوله أنى قد جئتكم) مرتب على محذوف قدره المفسر بقوله فلما بعثه الله الخ وهو إشارة لقصة رسالته بعد أن ذكر قصة بشارته وحمله وولادته (قوله أصور) دفع بذلك ما يقال إن الخلق هو الايجاد بعد العدم وهو مخصوص بالله تعالى . فأجاب بأن معنى الخلق هو التصوير (قوله مفعول) أى لأخلق (قوله الضمير للكاف) ويصح أن يعود على الطين وحكمة المغايرة بين ماهنا وبين ما يأتى فى آخر المائدة أن المتكلم هنا عيسى وهناك الله (قوله وفى قراءة طائرا) أى بالإفراد وأما الأولى فهو اسم جمع وهما سبعيتان (قوله الخفاش) أى الوطواط وقوله لأنه أكمل الطير خلقا أى لأن له أسنانا وثديا ويحيض كالنساء ويطير من غير ريش ولا يبصر إلا فى ساعة بعد المغرب وبعد الصبح وما بقى من الزمن هو فيه أعمى (قوله سقط ميتا) أى ليتميز فعل المخلوق من فعل الخالق

(وَجِيهاً) ذا جاه (فِي الدُّنْيَا) بالنبوة (وَالآخِرَةِ) بالشفاعة والدرجات العلا (وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ) عند الله (وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ) أى طفلا قبل وقت الكلام (وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ . قَالَتْ رَبِّ أَنَّى) كيف (يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ) بتزوج ولا غيره (قَالَ) الأمر (كَذَلِكِ) من خلق ولد منك بلا أب (اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْراً) أراد خلقه (فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) أى فهو يكون (وَنُعَلِّمُهُ) بالنون والياء (الْكِتَابَ) الخط (وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ . وَ) نجعله (رَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ) فى الصبا أو بعد البلوغ ، فنفخ جبريل فى جيب درعها فحملت وكان من أمرها ما ذكر فى سورة مريم ، فلما بعثه الله إلى بنى إسرائيل قال لهم : إنى رسول الله إليكم (أَنِّي) أى بأنى (قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ) علامة على صدق (مِنْ رَبِّكُمْ) هى (أَنِّي) وفى قراءة بالكسر استئنافا (أَخْلُقُ) أصور (لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ) مثل صورته فالكاف اسم مفعول (فَأَنْفُخُ فِيهِ) الضمير للكاف (فَيَكُونُ طَيْراً) وفى قراءة طائرا (بِإِذْنِ اللَّهِ) بإرادته فخلق لهم الخفاش لأنه أكمل الطير خلقا ، فكان يطير وهم ينظرونه فإذا غاب عن أعينهم سقط ميتا (وَأُبْرِئُ) أشفى (الأَكْمَهَ) ،

(قوله الذى ولد أعمى) أى ممسوح العين أملا و إبراؤه للطارئ أولوى (قوله والأبرص) هو من به داء البرص وهو داء عظيم يشبه البهق إذا نخس نزل منه ماء (قوله لأنهما داآ إعياء) أى أعييا الأطباء الذين كانوا فى زمنه فانّ معجزة كل نبى على شكل أهل زمانه كموسى فانه بعث فى زمن كثرت فيه السحرة فأعياهم بالعصا واليد البيضاء ، وسيدنا محمد فانه بعث فى زمن العرب البلغاء فأعياهم بالقرآن (قوله بشرط الإيمان) أى بالقلب واللسان فان آمن بلسانه فقط لم يشف (قوله لنفى توهم الألوهية فيه) أى فى عيسى بهذا الوصف الذى لم يشارك الله فيه أحد صورة فقوله باذن الله ردّ عليهم فالمعنى لوكان دليلا على ألوهيته لكان باذنه (قوله عازر) بفتح الزاى وقوله صديقا له أى عيسى وكان قد تمرّض فأرسلت أخته لعيسى فأخبرته بمرضه وكان على مسافة ثلاثة أيام فجاء فوجده قد مات ودفن فذهب مع أخته إلى قبره فدعا بالاسم الأعظم فأحيي وعاش إلى أن ولد له (قوله وابن العجوز) أى وأحياه قبل دفنه حين مرّ به على عيسى وهو على أعناق الرجال فدعا الله فجلس ولبس ثيابه وأتى أهله وقوله وابنة العاشر أى الذى كان يأخذ العشر من الناس وقوله وسام بن نوح أى وكان قد مات من نحو أربعة آلاف سنة فدعا الله فأحياه فقام وقد شاب نصف رأسه ثم قال له مت باذن الله فقال نعم لكن لا أذوق حرارة الموت ثانيا فقال له كذلك (قوله وأنبئكم بما تأكلون) ورد أنه كان يخبر الصبيان الذين يعلمهم الخط بما فى بيوت آبائهم من المدخرات فتذهب الأولاد و يخبرون آباءهم بذلك ثم إنهم تجمعوا وحبسوا أولادهم عنه فجاء إليهم وسأل عنهم فأنكروهم فقال لهم من الذين خلف الأبواب ؟

الذى ولد أعمى (وَالْأَبْرَصَ) وخصا بالذكر لأنهما داآ إعياء ، وكان بعثه فى زمن الطب فأبرأ فى يوم خمسين ألفا بالدعاء بشرط الإيمان (وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللهِ) كرره لنفى توهم الألوهية فيه فأحيا عازر صديقا له وابن العجوز وابنة العاشر فعاشوا وولد لهم وسام بن نوح ومات فى الحال (وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ) تخبئون (فِي بُيُوتِكُمْ) مما لم أعاينه فكان يخبر الشخص بما أكل وبما لم يأكل بعد (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ) المذكور (لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَ) جئتكم (مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ) قبلى (مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ) فيها ، فأحلّ لهم من السمك والطير مالا صيصية له، وقيل أحل الجميع فبعض بمعنى كل (وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ) كرره تأكيداً وليبنى عليه (فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ) فيما آمركم به من توحيد الله وطاعته (إِنَّ اللهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ، هَٰذَا) الذى آمركم به (صِرَاطٌ) طريق (مُسْتَقِيمٌ) فكذبوه ولم يؤمنوا به .

فقالوا هم خنازير فقال كذلك إن شاء الله ففتحوا عليهم فوجدوهم كذلك فكربوا وتجمعوا على قتله فحملته أمّه على حمار لها وجاءت به مصر. فان قلت قد يخبر المنجم والكاهن عن مثل ذلك فما الفرق . أجيب بأن المنجم والكاهن لابدّ لكل واحد من مقدمات يرجع إليها و يعتمد عليها فى أخباره فالمنجم يستعين بواسطة الكواكب والكاهن يستعين بخبر من الجنّ وقد يخطئان كثيرا ، وأما الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فليس إلا بالوحى السماوى وهو من عند الله لا بواسطة حساب ولا غيره فتأمل (قوله إنّ فى ذلك لآية لكم) هذه الجملة يحتمل أن تكون من كلام عيسى أو من كلام الله وقوله ـ إن كنتم مؤمنين ـ جوابه محذوف أى انتفعتم بهذه الآية (قوله ومصدقا) حال معطوفة على حال مقدرة وهى متعلق قوله بآية التقدير جئتكم حال كونى ملتبسا بآية وحال كونى مصدقا ويشعر بذلك تقدير المفسر قوله جئتكم وليس معطوفا على وجيها لأن وجيها من جملة المبشر به وهو من كلام الله وأما قوله مصدقا فهو من كلام عيسى (قوله قبلى من التوراة) أى وهى كتاب موسى وكان بينه و بين عيسى ألف سنة وتسعمائة وخمسة وسبعون سنة وأول أنبياء بنى إسرائيل يوسف بن يعقوب وآخرهم عيسى (قوله ولأحل لكم) معمول لمحذوف تقديره وجئتكم لأجل التحليل ولا يصح عطفه على مصدقا لأن ذاك حال وذا تعليل (قوله بعض الذى حرّم عليكم) أى بسبب ظلمكم كذى الظفر وشحوم البقر والغنم (قوله مالا صيصية له) أى شوكة يؤذى بها وأما ماله صيصية فهو باق على حله لم يحرم (قوله فبعض بمعنى كل) استشكل بأنه يلزم عليه تحليل كالزنا والقتل . وأجيب بأن المراد جميع ماطرأ تحريمه من أجل التشديد لاما كان محرما بالأصالة (قوله وليبنى عليه فاتقوا الله) أى فحيث أمرتكم بما ذكر مع ظهور الآيات فاتقوا الله الخ (قوله وطاعته) معطوف على توحيد الله من عطف العام على الخاص (قوله إنّ الله ربى وربكم) هذا ردّ لدعواهم بنوّته لله و إلا لقال إن الله أبى (قوله طريق مستقيم) أى دين قيم من تمسك به فقد نجا ومن حاد عنه وقع فى الردى .

(قوله فلما أحس عيسى منهم الكفر) أحس يتعدّى بنفسه و بحرف الجر،والاحساس الادراك بأحد الحواسّ الخمس السمع والبصر والذوق واللمس والشم والمعنى أدركه منهم عنادا بعد ظهور تلك الآيات البينات (قوله قال من أنصارى) أى من ينصرنى وقوله إلى الله جار ومجرور متعلق بمحذوف حال من الياء فى أنصارى قدره المفسر بقوله ذاهبا (قوله أعوان دينه) أى أهل دينه فنصرة الدين كناية عن نصرة أهله (قوله وكانوا اثنى عشر) أى وكان لهم كبيران اسمهما شمعون ويعقوب (قوله وهو البياض الخالص) أى لبياض قلوبهم وثيابهم فأعطاهم الله بياض بواطنهم وظواهرهم (قوله وقيل كانوا قصارين) وقيل لأنهم حوّروا النبى بمعنى نصروه وقيل كانوا صيادين للسمك وقيل كانوا صباغين وقيل كانوا ملوكا،ورد أن عيسى مرّ على هؤلاء وهم يصطادون السمك فقال لهم اذهبوا بنا لنصطاد الخلق فقالوا كيف ذلك ؟ فقال ندلهم على عبادة الله فقالوا له ومن أنت ؟ فقال روح الله فقالوا له وما آيتك على ذلك ؟ وكانوا طول نهارهم يطرحون الشبك لايخرج لهم شىء من السمك فأمر أن يطرح الشبكة واحد منهم ففعل فخرج لهم سمك ملأ مركبين فآمنوا به وساروا بسيره ، وقيل إن شمعون كان ملكا فرأى عيسى ذات يوم يأكل من إناء هو والناس ولايفرغ ذلك الطعام فآمن به ونزل عن ملكه وتبعه أقاربه ، وقيل كان فى صغره عند صباغ فأمره بصبغ ثياب متعدّدة ألوانا متغايرة وذهب لحاجة فوضع تلك الثياب فى دنّ واحد وقال أيتها الثياب كونى كما أريد فجاء الصباغ وسأله عن الثياب فقال هاهى فى هذا الدنّ فحزن حزنا عظيما فأخرجها من الدنّ فوجدها كما أمره الصباغ فآمن به هو وأقاربه،وقيل إن الاثنى عشر كانوا لاصنعة لهم حين آمنوا بعيسى وكانوا سياحين معه وكانوا كلما جاعوا شكوا لعيسى فينزل لهم كل واحد رغيفان وكلما ظمئوا شكوا له فتنبع لهم عين فى أى محل كانوا فيه فقال لهم يوما هناك من هو أفضل منكم فقالوا من؟فقال الذين يأكلون من كسب أيديهم فاستعملوا قصارة الثياب وقد يجمع بين الروايات المختلفة بأن بعض الاثنى عشر كان من الملوك و بعضهم من الصيادين و بعضهم من القصارين و بعضهم من الصباغين (قوله فاكتبنا مع الشاهدين) أى الموحدين مطلقا أو الذين فضلتهم بالشهادة وهم محمد وأمته لأنهم يشهدون للرسل بالتبليغ وعلى الأمم بالتكذيب (قوله ومكروا) المكر هو الخديعة و إظهار خلاف مايبطن (قوله غيلة) هى بكسر الغين المعجمة وسكون الياء التحتية أى يخدع الرجل فيذهب به إلى موضع لايراه به أحد و يقتله (قوله ومكر الله) أى جازاهم على مكرهم حيث أضمروا على أخذ عيسى من حيث لايحتسب جازاهم على ذلك وأخذهم من حيث لم يحتسبوا (قوله بأن ألقى شبه عيسى الخ) . حاصل ذلك أنهم لما تجمعوا على قتله جاءه جبريل فوجده فى مكان فى سقفه فرجة فرفعه من تلك الفرجة إلى السماء وأمر ملك اليهود رجلا اسمه ططيانوس أن يدخل على عيسى فيقتله فلما دخل فلم يجده خرج وقد ألقى الله شبه عيسى عليه فلما رأوه ظنوه عيسى فقتلوه وفتشوا على عيسى فلم يجدوه ثم قالوا إذا كان هذا عيسى فأين صاحبنا و إذا كان صاحبنا فأين عيسى فوقع بينهم قتال عظيم (قوله والله خير الماكرين) أى أقواهم مكرا بحيث يقدر على إيصال الضرر لهم من حيث لم يحتسبوا كما أضمروا ذلك لعيسى ولايقال لله ماكر أو مكار إلا مشاكلة و يؤول بماعلمت لأن أصل المكر يستعمل فى المحتال لأخذ صاحبه لعجزه عنه وهو مستحيل على الله (قوله اذكر إذ قال الله) أشار بذلك إلى أن إذ ظرف معمول لمحذوف والمعنى أن اليهود لما تجمعوا على قتله وتحيلوا على أخذه جعل الله كيدهم فى نحورهم وقال الله ياعيسى الخ فهو من تفصيل قوله ومكر الله (قوله إنى متوفيك) اختلف فى التوفى فقيل معناه مبلغك الأمل بأن تبلغ عمرك بتمامه ولاتموت بقتل أحد بل من الله وقيل معناه بالنوم أى فرفع إلى السماء وهو نائم فلم يحصل له انزعاج

(فَلَمَّا أَحَسَّ) علم (عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ) وأرادوا قتله (قَالَ مَنْ أَنْصَارِى) أعوانى ذاهباً (إِلَى اللهِ) لأنصر دينه (قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ) أعوان دينه ، وهم أصفياء عيسى وأول من آمن به وكانوا اثنى عشر رجلا ، من الحور وهو البياض الخالص،وقيل كانوا قصارين يحورون الثياب أى يبيضونها (آمَنَّا) صدقنا (بِاللهِ وَاشْهَدْ) ياعيسى . (بِأَنَّا مُسْلِمُونَ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ) من الإنجيل (وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ) عيسى (فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ) لك بالواحدانية ولرسولك بالصدق ، قال تعالى (وَمَكَرُوا) أى كفار بنى إسرائيل بعيسى إذ وكلوا به من يقتله غيلة (وَمَكَرَ اللهُ) بهم بأن ألقى شبه عيسى على من قصد قتله فقتلوه ورفع عيسى إلى السماء (وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) أعلمهم به. اذكر (إِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى إِنِّى مُتَوَفِّيكَ)

وقيل معناه مميتك وقابض روحك. لايقال إنه يقتضى أنه يموت قبل الرفع إلى السماء لأنه يقال إن الواو لاتقتضى ترتيبا ولاتعقيبا فالكلام على التقديم والتأخير والمعنى إنى رافعك إلىّ ومتوفيك بعد ذلك والمقصود بشارته بنجاته من اليهود ورفعه إلى السماء. واعلم أن الأنبياء الذين أمروا بالقتال معصومون من القتل فلا خصوصية لعيسى ، وأما من لم يؤمر به فلامانع من كون الكفار يقتلونه لأنه مأمور بالصبر وذلك كما وقع لزكريا حين نشروه بالشجرة (قوله قابضك ورافعك) أشار بذلك إلى أن عطف ورافعك على متوفيك للتفسير وهو تقرير آخر غير ماتقدّم (قوله ورافعك إلىّ) أى إلى كرامتى وأهل قربى وقوله من الدنيا أراد بها الأرض (قوله وجاعل الذين اتبعوك) أى أحبوك وانتسبوا لك فان صدّقوا بمحمد أيضا وأحبوه أو ماتوا قبل بعثته فقد تم لهم العز دنيا وأخرى وإن لم يصدّقوا بمحمد ولم يحبوه فقدحازوا عز الدنيا ومالهم فى الآخرة من خلاق فالنصارى لهم عز فى الدنيا وسلطنة على اليهود إلى يوم القيامة (قوله وهم اليهود) أى فهو عز على خصوص اليهود لامطلقا ما داموا كفارا وذلك أنه لما رفع الله عيسى افترق أصحابه ثلاث فرق فقالت فرقة كان الله فينا ثم صعد إلى السماء وهم اليعقوبية وقالت أخرى : كان فينا ابن الله ثم رفعه إليه وهم النسطورية ، وقالت أخرى : كان فينا عبد الله ورسوله ثم رفعه الله إليه وهذه الفرقة هم المسلمون فتظاهرت عليهم الفرقتان الكافرتان فقتلوهم فلم يزل الإسلام منطمسا إلى أن بعث محمد (قوله يعلونهم بالحجة) أى يغلبونهم بالأدلة (قوله إلى يوم القيامة) أى طائفة بعد طائفة (قوله ثم إلىّ مرجعكم) خطاب لجميع المخلوقات (قوله فأما الذين كفروا) تفصيل لما يؤول أمر الناس إليه فى الآخرة (قوله بالقتل والسبى) أى مع الذل والهوان (قوله مانعين منه) أى من العذاب (قوله بالياء والنون) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله فتعلقت به أمه) اعلم أنه بعد رفعه بسبعة أيام قال الله له اهبط إلى مريم فانه لم يبك عليك أحد بكاءها ولم يحزن عليك أحد حزنها ويحكم ثم لتجمعنّ الحواريين فبثهم فى الأرض دعاة إلى الله فأهبطه الله عز وجل فاجتمعت له الحواريون فبثهم فى الأرض فلما أصبح الحواريون تكلم كل واحد منهم بلغة من أرسله عيسى إليه إذا علمت ذلك فقوله تعلقت به أمه محمول على هذا الصعود الثانى وإلا فالأوّل لم تعلم به هى ولا أصحابه (قوله و بكت) أى على فراقه (قوله وكان ذلك ليلة القدر) . إن قلت إن ليلة القدر من خصائص هذه الأمة . أجيب بأن الذى من خصائص هذه الأمة فضلها من كونها خيرا من ألف شهر وكونها تنزل فيها الملائكة من الغروب إلى طلوع الفجر وكون الدعاء فيها مجابا بعين المطلوب فلاينافى ثبوتها فى الأمم السابقة لكن لابهذا الفضل (قوله وله ثلاث وثلاثون سنة) أى وعليه فقيل جاءته النبوّة من حين الولادة ، وقيل على رأس الثلاثين و بعد هذا فما قاله المفسر ضعيف رجع عنه كما قاله سيدى محمد الزرقانى فى شرح المواهب ، والحق الذى اعتمده الأشياخ أنه مارفع إلا بعد مضى مائة وعشرين سنة وجاءته النبوّة على رأس الأربعين كغيره ، وعمر أمه حين رفع على الأول ست وأربعون سنة وعاشت بعده ست سنين فيكون عمرها اثنتين وخمسين وعلى الثانى مائة وتسعة وثلاثين . واعلم أنه لما رفع كساه الله خلعة النور وسلبه شهوة الطعام والشراب والنوم وجعل له ريشا يطير به كالملائكة فهو فى حكمهم (قوله أنه ينزل) أى على منارة بنى أمية حين يضايق الدجال المهدى والخلق جميعا فيهرعون إلى دمشق الشام وهو محتاط بهم فينزل عند إقامة الصلاة فيريد المهدى التأخر فيأمره عيسى بالتقدّم فبعد الصلاة يتوجهون إلى الدجال وهو بلد فاذا رأى عيسى ذاب كالملح فيهزمه الله ثم يظهر العدل والصلاح فى الأرض .

قابضك (وَرَافِعُكَ إِلَيَّ) من الدنيا من غير موت (وَمُطَهِّرُكَ) مبعدك (مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ) صدقوا بنبوّتك من المسلمين والنصارى (فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا) بك وهم اليهود يعلونهم بالحجة والسيف (إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) من أمر الدين (فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا) بالقتل والسبي والجزية (وَالْآخِرَةِ) بالنار (وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ) مانعين منه (وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ) بالياء والنون (أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ) أى يعاقبهم . روى أن الله أرسل إليه سحابة فرفعته فتعلقت به أمه وبكت فقال لها إن القيامة تجمعنا وكان ذلك ليلة القدر ببيت المقدس وله ثلاث وثلاثون سنة وعاشت أمه بعده ست سنين وروى الشيخان حديث إنه ينزل قرب الساعة ،

ويحكم بشريعة نبينا ويقتل الدجال والخنزير ويكسر الصليب ويضع الجزية ، وفى حديث مسلم إنه يمكث سبع سنين ، وفى حديث عند أبى داود الطيالسى أربعين سنة ويتوفى ويصلى عليه فيحتمل أن المراد مجموع لبثه فى الأرض قبل الرفع وبعده (ذَٰلِكَ) المذكور من أمر عيسى (نَتْلُوهُ) نقصه (عَلَيْكَ) يامحمد (مِنَ الْآيَاتِ) حال من الهاء فى نتلوه وعامله مافى ذلك من معنى الاشارة (وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ) المحكم أى القرآن (إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ) شأنه الغريب (عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ) كشأنه فى خلقه من غير أب وهو من تشبيه الغريب بالأغرب ليكون أقطع للخصم وأوقع فى النفس (خَلَقَهُ) أى آدم ، أى قالبه (مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ) بشرا (فَيَكُونُ) أى فكان وكذلك عيسى قال له كن من غير أب ، فكان (الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ) خبر لمبتدإ محذوف أى أمر عيسى (فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ) الشاكين فيه (فَمَنْ حَاجَّكَ) جادلك من النصارى (فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ) بأمره (فَقُلْ) لهم (تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ) فنجمعهم ،

(قوله ويحكم بشريعة نبينا) إن قلت إن وضع الجزية ليس من شرع نبينا . أجيب بأنه منه غير أن أحدها مغيا بنزول عيسى كما أخبر بذلك نبينا فوضعها أيضا من شرعنا (قوله سبع سنين) أى فوق الثلاث والثلاثين وهو ضعيف (قوله أربعين سنة) قيل من ولادته فيكون مكثه بعد النزول سبع سنين كالرواية الأولى ، وقيل مبدأ الأربعين من نزوله وعلى كونها من نزوله فعلى كونه رفع وهوابن ثلاث وثلاثين يكون عمره ثلاثاوسبعين سنة ، وعلى أنه رفع وهوابن مائة وعشرين فيكون عمره مائة وستين (قوله ويصلى عليه) أى يصلى عليه المسلمون ويدفن فى السهوة الشريفة فاذا جاء يوم القيامة قام أبو بكر وعمر بين رسولين سيدنا محمد وعيسى عليهما الصلاة والسلام (قوله ذلك) اسم الإشارة عائد على ماتقدم من عجائب عيسى وأفرد باعتبار ماذكر كما أشار لذلك المفسر (قوله وعامله ما فى ذلك الخ) لأنه مضمن معنى أشير . واعترض ذلك بأن العامل فى الحال هو العامل فى صاحبها وصاحبها هو الهاء فى نتلوه فالعامل فيه هو نتلوه ، قال بعضهم معتذرا عن المفسر بأنه خلط إعرابا بآخر . وحاصل ذلك أن قوله ذلك مبتدأ وقوله نتلوه خبره ، وقوله من الآيات حال من الهاء وعامله هو نتلو أو من الآيات خبره ونتلوه حال وعاملها ما فى ذلك من معنى الاشارة وهذا هو الذى يشيرله المفسر على قول بعضهم (قوله والذكر الحكيم) عطف على الآيات للتفسير (قوله إن مثل عيسى) سبب نزولها أن وفد نجران قدموا على النبى صلى الله عليه وسلم ،فقالوا له

تراك تسب صاحبنا، فقال من هو ؟ قالواعيسى تزعم أنه عبدالله ، فقال رسول الله أجل إنه عبدالله ورسوله فقالوا هل له مثل من الخلق خلق من غير أب فنزلت الآية (قوله الغريب) أى وهو عيسى ، وقوله بالأغرب : أى وهو آدم وأغربيته من وجوه منها أنه لم يسبق له مثال أصلا ومنها وجود الأم لعيسى دون آدم . إن قلت وجه الشبه بينهما ليس بتام . أجيب بأنه يكفى وجه واحد وهو عدم الأبوة الكل

(قوله خلقه من تراب) جملة مفسرة لما قبلها لامحل لها من الاعراب (قوله اى قالبه) بفتح اللام وهوالجسم ، وأما الروح فمن نور نبينا صلى الله عليه وسلم ، وإنما حمل الخلق على القالب لاعلى صورة الجسم الشاملة للروح نظرا لقوله ـ ثم قال له كن ـ الخ وإلا لكان ضائعا (قوله وكذلك عيسى الخ) أشار بذلك إلى وجه الشبه بينهما ، واتفق أن عالما أسر فى بلاد الروم فوجدهم يعبدون عيسى ، فقال لهم لم تعبدون عيسى؟ فقالوا لأنه لاأب له فقال لهم آدم أولى لأنه معدوم الأبوين فقالوا له آدم وإن كان بلاأب إلاأنه لايحيى الموتى ، فقال لهم إذا كان كذلك فحزقيل أولى لأنه أحيا ثمانية آلاف وقيل أكثر بدعوته وعيسى أحيا أربعة أنفار ، فقالوا إن عيسى يبرئ الأكمه والأبرص ، فقال جرجيس أحرق وطبخ ولم يضره الحرق ولا الطبخ (قوله أى أمر عيسى) أى الذى قصه الله فى كتابه (قوله فلا تكن من الممترين) خطاب له والمراد أمته على حد ـ لئن أشركت ليحبطن عملك ـ لأنه معصوم من الامتراء والشرك وكل كبيرة وصغيرة (قوله من النصارى) أى نصارى نجران أوغيرهم (قوله بأمره) أى أنه عبد الله ولم يكن ابنه (قوله تعالوا) أصله تعاليوا تحركت الياء وانفتح ماقبلها قلبت ألفا فالتقى ساكنان الألف والواو وحذفت الألف لالتقائهما وهو فعل أمر على الصحيح مبنى على حذف النون والواو فاعل وهو مفتوح اللام دائما لمذكر أومؤنث (قوله أبناءنا وأبناءكم) أى الذكور ، وقوله ونساءنا ونساءكم : أى الاناث منهم والحكمة فى حضور الأولاد زيادة التغليظ فى اليمين

(ثُمَّ نَبْتَهِلْ) نتضرع في الدعاء (فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ) بأن نقول: اللهم العن الكاذب في شأن عيسى، وقد دعا صلى الله عليه وسلم وفد نجران لذلك لما حاجوه فيه فقالوا حتى ننظر في أمرنا ثم نأتيك فقال ذوو رأيهم لقد عرفتم نبوته وأنه ما باهل قوم نبيًّا إلا هلكوا فوادعوا الرجل وانصرفوا فأتوه وقد خرج ومعه الحسن والحسين وفاطمة وعليّ وقال لهم إذا دعوت فأمّنوا فأبوا أن يلاعنوا وصالحوه على الجزية رواه أبو نعيم، وعن ابن عباس قال: لو خرج الذين يباهلون لرجعوا لا يجدون مالاً ولا أهلاً وروي لو خرجوا لاحترقوا (إِنَّ هَٰذَا) المذكور (لَهُوَ الْقَصَصُ) الخبر (الْحَقُّ) الذي لا شك فيه (وَمَا مِنْ) زائدة (إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ) في ملكه (الْحَكِيمُ) في صنعه (فَإِنْ تَوَلَّوْا) أعرضوا عن الإيمان (فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ) فيجازيهم وفيه وضع الظاهر موضع المضمر (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ) اليهود والنصارى (تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ) مصدر بمعنى مستو أمرها (بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ) هي (أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ) كما اتخذتم الأحبار والرهبان (فَإِنْ تَوَلَّوْا) أعرضوا عن التوحيد (فَقُولُوا) أنتم لهم، (اشهدوا

وتأكيد لمزيد صدقه وكذبهم ولما كانت المباهلة أمرا عظيما لم تشرع بعد النبي إلا في اللعان بين الزوجين (قوله ثم نبتهل) الابتهال من البهلة بفتح الباء وضمها هي اللعنة في الأصل ثم استعمل في كل دعاء مجتهد فيه وإن لم يكن التعانا (قوله لذلك) أي للتضرع والدعاء (قوله فقال ذوو رأيهم) أي فرجعوا إليهم وشاوروهم فقال الخ (قوله لقد عرفتم نبوّته) أي نبوّة محمد، وقوله ما باهل: أي نازع (قوله فوادعوا الرجل) أي صالحوه على مال يأخذه منكم (قوله وقد خرج) الجملة حالية (قوله وصالحوه على الجزية) ورد أنها ألفا حلة نصفها في صفر ونصفها في رجب وثلاثون درعا وثلاثون بعيرا وثلاثون فرسا وثلاثون من كل صنف من أصناف السلاح وقد ثبتت هذه الرواية في بعض نسخ الجلال القديمة (قوله وعن ابن عباس الخ) أي وورد أنه صلى الله عليه وسلم قال « والذي نفسي بيده إن الهلاك قد تولى على أهل نجران ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولأضرم عليهم الوادي نارا ولم يبق نصراني على وجه الأرض إلى يوم القيامة » (قوله إن هذا لهو القصص الحقّ) هذا نتيجة ما قبله واسم الاشارة عائد على ما ذكر من أمر عيسى وأنه ليس ابن الله وأكد الجملة بإن واللام وكونها معرفة الطرفين لشدة إنكارهم (قوله زائدة) أي وإله مبتدأ ولله خبره وهو قصر إفراد (قوله

وفيه وضع الظاهر الخ) أي زيادة في التبكيت عليهم (قوله قل يا أهل الكتاب) سبب نزولها أن نصارى نجران اختصموا مع اليهود في شأن إبراهيم وزعمت النصارى أنه كان نصرانيا وهم على دينه وزعمت اليهود أنه كان يهوديا وهم على دينه فقدموا متحاكمين إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين كاذب فقالت النصارى ما تريد إلا أن نتخذك معبودا كما اتخذت اليهود العزير ربا وقالت اليهود ما تريد إلا أن نتخذك معبودا كما اتخذت النصارى عيسى ربا فنزلت (قوله إلى كلمة) متعلق بتعالوا وذكر التعلق هنا لأن المقصود الاجتماع على هذه الكلمة بخلاف التي قبلها فإن المقصود منها مجرد الاقبال أو حذفه من الأوّل وتقديره إلى المباهلة لدلالة الثاني عليه (قوله أن لا نعبد إلا الله) هذه الجملة في محل رفع خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله هي وإنما أطلق عليها كلمة مع أنها جمل لارتباط بعضها ببعض.
قال ابن مالك * وكلمة بها كلام قد يؤمّ * نظير قوله تعالى ـ كلا إنها كلمة هو قائلها ـ (قوله كما اتخذتم الأحبار) أي وهم علماء اليهود والرهبان عباد النصارى واتخاذهم أربابا من حيث إنهم ينسبون التحليل والتحريم والاقالة من الذنوب لهم ولا يتبعون ما أنزل الله بل المدار عندهم على ما حللته الأحبار والرهبان أو حرّموه. وهذه الآية وإن كانت خطابا لليهود والنصارى إلا أنها تجرّ بذيلها على من يشرك بالله غيره من المسلمين كضعفاء الإيمان الذين يعتقدون في الأولياء أنهم يضرون وينفعون بذواتهم ويحللون ما حرم الله ويحرّمون ما أحلّ الله ومع ذلك يحدثون بدعا عظيمة ما أنزل الله بها من سلطان ويجعلون تلك البدع طرقا لهؤلاء الأولياء ويزعمون أنها منجية وإن كانت مخالفة للشرع ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون (قوله أعرضوا عن التوحيد) أي ولم يمتثلوا أمرك واتبعوا أحبارهم ورهبانهم فيما يأمرونهم به.

(قوله اشهدوا بأنا مسلمون) أى منقادون لله و بريئون منكم ومن عقائدكم (قوله ونزل لما قال اليهود الخ) أى وتحاكموا عند النبى صلى الله عليه وسلم ليفصل بينهما (قوله وقالت النصارى كذلك) أى هو نصرانى ونحن على دينه (قوله يا أهل الكتاب) أى اليهود والنصارى (قوله لم تحاجون) أى يحاجج بعضكم بعضا والاستفهام توبيخى إنكارى (قوله فى إبراهيم) أى فى دينه فهو على حذف مضاف و إليه يشير المفسر بقوله بزعمكم أنه على دينكم (قوله بزمن طويل) أى فكان بين التوراة و إبراهيم ألف سنة و بينه و بين الانجيل ألفا سنة وتسعمائة وخمسة وسبعون سنة (قوله و بعد نزولهما الخ) بهذا التقدير تمت الحجة عليهم فالمعنى أن المانع من كونهم على دين إبراهيم تغييرهم وتبديلهم و إلا فلو تمسكوا بالتوراة والانجيل حقيقة لما اختلفوا ولكانوا على دين إبراهيم (قوله حدثت اليهودية والنصرانية) أى اللتان ابتدعوهما حيث غيروا التوراة وسموها اليهودية وغيروا الانجيل وسموه النصرانية (قوله أفلا تعقلون) أى أغفلتم عما زعمتم فلا تعقلون ما تقولونه (قوله ها أنتم) يقرأ إما بألف و بعدها همزة إما محققة أو مسهلة أو بدون ألف والهمزة إما محققة أو مسهلة أو بألف فقط بدون همزة أصلا فالقراءات خمس وكلها سبعية (قوله من أمر موسى وعيسى) أى الذى نطقت به التوراة والانجيل من أنهما عبدان ورسولان لله يأمران بعبادة الله وحده ولا يشركان به غيره (قوله من شأن إبراهيم) أى لكونه لم يذكر فى كتبكم ما كان إبراهيم عليه فكيف تدعون أنكم على دينه مع جهلكم به (قوله إلى الدين القيم) أى المستقيم الذى لا اعوجاج فيه (قوله موحدا) أى منقادا ممتثلا أوامر ربه مجتنبا نواهيه (قوله وما كان من المشركين) أى معه غيره (قوله للذين اتبعوه) زيدت اللام للتقوية وهى لام الابتدام زحلقت للخبر كما قال فى الخلاصة : و بعد ذات الكسر تصحب الخبر لام ابتداء نحو إنى لوزر

(أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) موحّدون . ونزل لما قال اليهود : إبراهيم يهودى ونحن على دينه وقال النصارى كذلك (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ) تخاصمون (فِي إِبْرَاهِيمَ) بزعمكم أنه على دينكم (وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ) بزمن طويل و بعد نزولهما حدثت اليهودية والنصرانية (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) بطلان قولكم (هَا) للتنبيه (أَنْتُمْ) مبتدأ ، يا (هٰؤُلَاءِ) والخبر (حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ) من أمر موسى وعيسى وزعمكم أنكم على دينهما (فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ) من شأن إبراهيم (وَاللَّهُ يَعْلَمُ) شأنه (وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) هُ قال تعالى تبرئة لإبراهيم (مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا) مائلا عن الأديان كلها إلى الدين القيم (مُسْلِمًا) موحداً (وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ . إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ) أحقهم (بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ) فى زمانه (وَهٰذَا النَّبِيُّ) محمد لموافقته له فى أكثر شرعه (وَالَّذِينَ آمَنُوا) من أمته فهم الذين ينبغى أن يقولوا نحن على دينه لا أنتم (وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ) ناصرهم وحافظهم . ونزل لما دعا اليهود معاذاً وحذيفة وعماراً إلى دينهم (وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ) لأن إثم إضلالهم عليهم . والمؤمنون لا يطيعونهم فيه (وَمَا يَشْعُرُونَ) بذلك (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ) ،

(قوله فى زمانه) أى وهم أولاده كاسماعيل واسحق و يعقوب وأولادهم إلى يوم القيامة قال تعالى ووصى بها إبراهيم بنيه و يعقوب الآية (قوله لموافقته له فى أكثر شرعه) أى فعقائد محمد التى هو عليها لا تخالف ماقصه الله فى كتابه عن إبراهيم إذا علمت ذلك فالمناسب للمفسر أن يقول لموافقته له فى الأصول أو يقال إن الموافقة فى الفروع من حيث السهولة فان شريعة محمد سهلة سهلة كشريعة إبراهيم لا كشريعة موسى فانها صعبة التكاليف بسبب عناد بنى إسرائيل وهذا هو محمل المفسر (قوله من أمته) أى أمة محمد صلى الله عليه وسلم (قوله ناصرهم) أى على أعدائهم وقوله وحافظهم أى واقيهم من أعدائهم (قوله ودت) أى أحبت ولو مصدرية والمعنى أحبت جماعة من اليهود والنصارى إضلالكم أى رجوعكم عن الاسلام إلى الكفر وكانوا يودون إليهم بالهدايا (قوله لأن إثم اضلالهم عليهم) أى لأن الدال على الشر كفاعله ، و يؤخذ من ذلك أن المقوى لشوكة الكفر بالشبه الباطلة والحجج العاطلة عليه إثم كفره و إثم كفر من تبعه إلى يوم القيامة (قوله بذلك) أى بكون إثم الضلال لاحقا بهم لقساوة قلوبهم فلم يعرفوا أنهم لا يضرون إلا أنفسهم .

(قوله القرآن المشتمل على نعت محمد) أى وقيل هى التوراة والانجيل فانهما مشتملان على نعته أيضا قال تعالى ـ الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل الآية (قوله تعلمون أنه حق) أى من التوراة والانجيل (قوله الحق) أى وهو نعت محمد وأصحابه المذكور فى التوراة والانجيل وقوله بالباطل أى وهو التغيير لتلك النعوت (قوله بالتحريف والتزوير) أى الكذب فى تلك الصفات (قوله أنه حق) أى أنه نبى حقا وما جاء به من عند ربه حق (قوله وقالت طائفة) شروع فى بيان تلبيسات اليهود، ورد أنه اجتمع اثنا عشر من أحبار خيبر وأجمع رأيهم على أنهم يظهرون الاسلام فى أول النهار وفى آخره يرجعون لدينهم و يأمرون الناس بذلك وقصدهم بذلك دخول الشك على من آمن به صلى الله عليه وسلم فلما أجمعوا وصمموا على ذلك جعل الله كيدهم فى نحورهم ولم يفعلوا شيئا من ذلك ولو فعلوه لعاد شؤمه عليهم وقتلوا إن لم يتوبوا لأن المرتد لايبقى على ردته فمن نكث فانما ينكث على نفسه (قوله آمنوا) أى صدقوا ظاهرا باللسان (قوله أى القرآن) هذا هو المشهور فى تفسير الآية وقيل الذى أنزل على الذين آمنوا هو القبلة حين أمر النبى بالتحول للكعبة ثانيا بعد استقباله بيت المقدس فحينئذ حصل لليهود غيظ وحزن عظيم فأجمع رأيهم على موافقة المؤمنين أول النهار ومخالفتهم آخره لعله يحصل الشك لأصحابه فيرجعوا عن دينهم (قوله أوله) أشار بذلك

إلى أن وجه النهار ظرف زمان لقوله آمنوا (قوله لعلهم يرجعون) علة لقوله آمنوا بالذى أنزل الخ (قوله إذ يقولون) علة للعلة (قوله ولا تؤمنوا) هذا من جملة تلبيساتهم وحاصل إعراب هذه الآية أن يقال لا ناهية وتؤمنوا مجزوم بها وعلامة جزمه حذف النون والواو فاعل وقوله أن يؤتى أن حرف مصدرى ونصب و يؤتى منصوب بها وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر وهو فى تأويل مصدر معمول لقوله ولا تؤمنوا وأحد نائب فاعل يؤتى وهو مفعول أول ومثل مفعول ثان وقوله إلا أداة وفى استثناء ولمن اللام زائدة ومن منصوب على الاستثناء والمستثنى منه قوله أحد وما اسم موصول وأوتيتم صلتها والعائد محذوف والمعنى لا تصدقوا إتيان أحد من الفضائل والكمالات مثل الذى أوتيتموه إلا من تبع دينكم وأما من لم يتبعه كمحمد فلا تصدقوه وهذا الوجه و إن كان صحيحا من جهة المعنى إلا أنه مشكل من جهة الصناعة لأن فيه تقديم المستثنى على المستثنى منه ومعمول الصلة عليها (قوله والجملة اعتراض) أى بين العامل والمعمول (قوله وأن مفعول تؤمنوا) أى مع صلتها (قوله والمعنى لاتقروا الخ) إيضاحه أنهم قالوا انظروا فيمن ادعى شيئا من النبوة والفضائل والكمالات فان كان متبعا لدينكم فصدقوه و إلا فكذبوه والمناسب للمفسر أن يقول والمعنى لا تصدقوا الخ. وحاصل هذا المعنى الذى أشار له المفسر أنه ضمن تؤمنوا معنى تقروا لتكون اللام أصلية والمستثنى منه محذوف تقديره لأحد والمعنى لاتقروا ولا تعترفوا لأحد بأنه يؤتى أحد مثل الذى أوتيتموه من الفضائل والكمالات إلا لشخص تبع دينكم وهذا كله كناية عن نفى النبوة عن محمد صلى الله عليه وسلم وهذا المعنى صحيح من جهة العربية والمعنى، المفسر من شدة اختصاره خلط هذا التقرير بالتقرير المتقدم وقد علمتهما (قوله أو يحاجوكم) معطوف على يؤتى والضمير عائد على أحد المتقدم وإنما جمعه لأن أحدا فى معنى الجمع والمعنى على الأول لاتصدقوا أن أحدا يحاجكم و يغلبكم عند ربكم يوم القيامة إلا لمن تبع دينكم وأما من لم يتبعه فلا حجة له عليكم وعلى الثانى لاتقروا بأن أحدا يغلبكم و يحاججكم عند ربكم إلا لمن تبع دينكم وأما غيره فلا تقروا ولا تعترفوا له بذلك

القرآن المشتمل على نعت محمد (وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ) تعلمون أنه حق (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ) تخلطون (الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ) بالتحريف والتزوير (وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ) أى نعت النبى (وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) أنه حق (وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ) اليهود لبعضهم (آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا) أى القرآن (وَجْهَ النَّهَارِ) أوله (وَاكْفُرُوا) به (آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ) أى المؤمنين (يَرْجِعُونَ) عن دينهم إذ يقولون ما رجع هؤلاء عنه بعد دخولهم فيه وهم أولو علم إلا لعلمهم بطلانه، وقالوا أيضا (وَلَا تُؤْمِنُوا) تصدقوا (إِلَّا لِمَنْ) اللام زائدة (تَبِعَ) وافق (دِينَكُمْ) قال تعالى (قُلْ) لهم يا محمد (إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ) الذى هو الإسلام وما عداه ضلال والجملة اعتراض (أَنْ) أى بأن (يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ) من الكتاب والحكمة والفضائل وأن مفعول تؤمنوا والمستثنى منه أحد قدم عليه المستثنى، والمعنى لا تقروا بأن أحدا يؤتى ذلك إلا لمن تبع دينكم (أَوْ) بأن (يُحَاجُّوكُمْ) أى المؤمنون يغلبوكم (عِنْدَ رَبِّكُمْ) يوم القيامة لأنكم أصح دينا،

وفى قراءة أأن بهمزة التوبيخ أى أإيتاء أحد مثله تقرون به قال تعالى (قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ) فمن أين لكم أنه لايؤتى أحد مثل ما أوتيتم (وَاللَّهُ وَاسِعٌ) كثير الفضل (عَلِيمٌ) بمن هو أهله (يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ. وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ) أى بمال كثير (يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ) لأمانته كعبد الله بن سلام أودعه رجل ألفا ومائتى أوقية ذهباً فأداها إليه (وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ) لخيانته (إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا) لاتفارقه فمتى فارقته أنكره ككعب بن الأشرف استودعه قرشى ديناراً فجحده (ذَلِكَ) أى ترك الأداء (بِأَنَّهُمْ قَالُوا) أى بسبب قولهم (لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ) أى العرب (سَبِيلٌ) أى إثم لاستحلالهم ظلم من خالف دينهم ونسبوه إليه تعالى، قال تعالى (وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ) فى نسبة ذلك إليه (وَهُمْ يَعْلَمُونَ) أنهم كاذبون (بَلَى) عليهم فيهم سبيل (مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ) الذى عاهد الله عليه أو بعهد الله إليه،

(قوله وفى قراءة أأن) وهى سبعية لابن كثير لكن بتسهيل الثانية (قوله بهمزة التوبيخ) الاستفهام التوبيخى والكلام قدتم قبل الاستفهام والمستثنى منه محذوف على كلا التقديرين المتقدمين والمعنى لاتصدقوا أحدا فى دعواه النبوة والفضائل إلا من تبع دينكم أو لاتقروا لأحد من الناس أنه على هدى وخير إلا لمن تبع دينكم وقوله – قل إن الهدى هدى الله – رد لمقالتهم وجملة الاستفهام استئنافية فالمعنى أيؤتى أحد مثل الذى أوتيتموه أو يكون له محاججة عند ربكم وجوابه لا يكون ذلك وهو استبعاد منهم لفضل الله (قوله أى أإيتاء أحد الخ) أشار بذلك إلى أن قوله أن يؤتى فى تأويل مصدر مبتدأ خبره محذوف تقديره تقرون به (قوله قل إن الفضل بيد الله) رد عليهم حيث استبعدوا أن الله لا يؤتى أحدا مثل ما آتاهم من الفضل والنبوة وفى الحقيقة هو رد لدعواهم من أولها إلى آخرها (قوله والله ذو الفضل العظيم) أى فيعطيه لمن يشاء (قوله ومن أهل الكتاب) شروع فى بيان قبائحهم فى أمور الدنيا بعد أن ذكر قبائحهم فى أمور الدين والجار والمجرور خبر مقدم ومن اسم موصول أو نكرة موصوفة مبتدأ مؤخر وقوله إن تأمنه يؤده جملة شرطية إما صلة أو صفة وراعى فى إفراد الضمير فى تأمنه لفظ من ولو راعى معناها لقال تأمنهم (قوله أى بمال كثير) أشار بذلك إلى بيان شأن هذا المؤتمن وإن كان سبب النزول فى قنطار حقيقة فالمقصود بيان شرفه من جهة الأمانة فلا مفهوم للقنطار بل لو ائتمن على قناطير متعددة لم يخنه فيها (قوله يؤده) يقرأ بالسكون وبالكسر مع الاشباع وتركه فهى ثلاث سبعيات (قوله أودعه رجل) أى قرشى (قوله بدينار) أصله دنّار بنونين قلبت الأولى ياء دفعا للثقل والباء فى قوله بدينار وبقنطار بمعنى فى وهو على حذف مضاف أى فى حفظ قنطار وفى حفظ دينار ويصح أن تكون بمعنى على لتعدى الأمانة بها فى القرآن كثيرا نحو لاتأمنا على يوسف، هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل. والدينار أربعة وعشرون قيراطا والقيراط وزنه ثلاث شعيرات فوزن الدينار بالشعير اثنان وسبعون شعيرة (قوله إلا مادمت عليه قائما) مامصدرية ظرفية ودام فعل ماض والتاء اسمها وقائما خبرها والتقدير إلا مدة دوامك قائما عليه والمعنى لايؤده إليك فى حال من الأحوال إلا فى حال ملازمتك له وإشهادك عليه (قوله فجحده) أى أنكره (قوله أى بسبب قولهم) أشار بذلك إلى أن الباء سببية وأن ومادخلت عليه فى تأويل مصدر مجرور بالباء (قوله أى العرب) أى وغيرهم ممن ليس من أهل كتابهم (قوله لاستحلالهم ظلم من خالف دينهم الخ) روى أنهم قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه وجميع مافى الأرض ملك لأبينا وأولاد السيد يتصرفون فى ملك أبيهم وقيل إنهم قالوا المال لنا وظلمنا فيه العرب وقيل إنهم قالوا إن الله أباح لنا مال من خالف ديننا وادعوا أن ذلك فى التوارة. ورد أن النبى لما قالوا ذلك قال كذبوا مامن شئ إلا وهو تحت قدمى يعنى منسوخ ماعدا الأمانة فانها مؤداة للبر والفاجر (قوله وهم يعلمون) هذا بالنسبة لعلمائهم وماعداهم مقلدون لهم فى ذلك (قوله بلى) إضراب إبطالى وهو مغن عن جملة قدرها المفسر بقوله عليهم فيهم سبيل (قوله من أوفى بعهده) جملة مستأنفة مؤكدة للابطال الأول (قوله الذى عاهد الله عليه) أى فهو من إضافة المصدر لفاعله وقوله أو بعهد الله إليه أى فهو من اضافة المصدر لمفعوله فكل من العبد والمولى معاهد ومعاهد فعهد الله للعبد إثابته وعهد العبد لمولاه عدم مخالفته له

(قوله من أداء الأمانة الخ) ورد فى الحديث «أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كان فيه واحدة منهن كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا ائتمن خان و إذا حدث كذب و إذا وعد أخلف و إذا عاهد غدر و إذا خاصم فجر» (قوله فيه وضع الظاهر موضع المضمر) أى وكان مقتضى الظاهر أن يقول فان الله يحبه وفيه أيضا مراعاة معنى من (قوله لما بدلوا الخ) شروع فى سبب نزول الآية وقد ذكره على ثلاثة أوجه (قوله نعت النبى) من الجماعة الذين بدلوا نعته حيى بن أخطب وكعب بن الأشرف (قوله فى دعوى) أى كانت بين رجلين فى بئر أحدهما الأشعث بن قيس فاختصما إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال شاهداك أو يمينه فقال الأشعث بن قيس إذا يحلف كاذبا ولا يبالى وقوله أو بيع سلعة أى فيمن أراد بيعها وحلف لقد أعطى فيها كذا كاذبا (قوله بعهد الله) الباء داخلة على المتروك أى يتركون الوفاء به فى نظير الثمن القليل (قوله أولئك لا خلاق لهم) أى فهم مخلدون فى النار إن استحلوا ذلك (قوله ولا يكلمهم الله) إن قلت إن قوله تعالى فى سورة المؤمنون قال ـ اخسئوا فيها ولا تكلمون ـ الآية يقتضى أن الله يقع منه كلام لهم فكيف الجمع بين الآيتين . أجيب بأن قوله تعالى ـ ولا يكلمهم الله أى كلام رضا فلا ينافى أنه يكلمهم كلام غضب أو لا يكلمهم أصلا وآيات الكلام على لسان الملائكة و يشهد لذلك قوله تعالى ـ ونادوا يامالك ليقض علينا ربك ـ (قوله

ولا ينظر إليهم) أى نظر رحمة و إلا فهو ناظر لكل شئ (قوله يطهرهم) أى من الذنوب ولا يثنى عليهم وهذا استخفاف بهم (قوله و إن منهم لفريقا) هذا من جملة قبائحهم وتلبيساتهم وأكدت الجملة بإن واللام اشارة إلى أن ذلك محقق منهم (قوله ككعب بن الأشرف) أدخلت الكاف مالك بن الصيف وحيى بن أخطب وأبى بن ياسر وشعبة ابن عمرو الشاعر (قوله يلوون ألسنتهم) فى محل نصب صفة لفريقا وقوله منهم متعلق بمحذوف خبر إن وراعى فى الجمع معنى فريقا لأنه اسم جمع كرهط وقوم قال بعضهم يجوز ثم مراعاة اللفظ، وألسنتهم جمع لسان وهذا على أنه مذكر وأما على أنه مؤنث فهو جمع لألسن كذراع وأذرع والمراد من الألسنة الكلام ففيه إطلاق الشئ على آلته والباء فى بالكتاب بمعنى فى أى يلفتون ألسنتهم فى حال قراءة الكتاب (قوله أى يعطفونها) أى يلفتونها (قوله عن المنزل) متعلق بيعطفونها وكذا قوله إلى ماحرفوه وقوله من نعت النبى بيان لما (قوله ونحوه) أى كآية الرجم وغيرها مما يشهد للنبى بالتصديق (قوله لتحسبوه) أى أيها المؤمنون فالمقصود من ذلك إدخال اللبس على المؤمنين (قوله من الكتاب) فى محل نصب مفعول ثان لتحسبوه والهاء مفعول أول (قوله وماهو من الكتاب) أى لا فى الواقع ولا فى اعتقادهم وأظهر فى محل الاضمار فى الموضعين زيادة فى التبكيت عليهم (قوله وهم يعلمون) الواو للحال وقوله أنهم كاذبون اشارة إلى مفعول يعلمون (قوله ونزل لما قال نصارى نجران) أى حين قدموا على النبى صلى الله عليه وسلم فالمراد بالبشر على هذا هو عيسى و بالكتاب الانجيل وقوله أو لما طلب بعض المسلمين الخ أو لتنويع الخلاف فالمراد بالبشر على ذلك هو محمد صلى الله عليه وسلم و بالكتاب القرآن وآخر الآية يؤيد هذا السبب (قوله ما كان الخ) هذه الصيغة يؤتى بها للنفى العام الذى لا يجوز عقلا ثبوته وهو المراد هنا

من أداء الأمانة وغيره (وَاتَّقَى) الله بترك المعاصى وعمل الطاعات (فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ) فيه وضع الظاهر موضع المضمر أى يحبهم بمعنى يثيبهم . ونزل فى اليهود لما بدلوا نعت النبى وعهد الله إليهم فى التوراة أو فيمن حلف كاذبا فى دعوى أو فى بيع سلعة (إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ) يستبدلون (بِعَهْدِ اللَّهِ) إليهم فى الإيمان بالنبى وأداء الأمانة (وَأَيْمَانِهِمْ) حلفهم به تعالى كاذبين (ثَمَنًا قَلِيلًا) من الدنيا (أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ) نصيب (لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ) غضبا عليهم (وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ) يرحمهم (يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ) يطهرهم (وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم (وَإِنَّ مِنْهُمْ) أى أهل الكتاب (لَفَرِيقًا) طائفة ككعب بن الأشرف (يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ) أى يعطفونها بقراءته عن المنزل إلى ما حرفوه من نعت النبى ونحوه (لِتَحْسَبُوهُ) أى المحرف (مِنَ الْكِتَابِ) الذى أنزله الله (وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) أنهم كاذبون . ونزل لما قال نصارى نجران : إن عيسى أمرهم أن يتخذوه ربا ، أو لما طلب بعض المسلمين السجود له صلى الله عليه وسلم : (مَا كَانَ) ينبغى (لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ) أى الفهم للشريعة (وَالنُّبُوَّةَ ،

وكذلك قوله تعالى ـ ما كان لكم أن تنبتوا شجرها ـ أى لا يمكن ولا يتصور عقلا صدور دعوى الألوهية من نبيّ قط ويؤتى بها للنفي الخاص كقول أبى بكر ما كان لابن أبى قحافة أن يتقدم فى الصلاة بين يدى رسول الله أى ماينبغى له ذلك فقول المفسر ينبغى أى يمكن وقد فسره المحلى فى سورة يس فى قوله تعالى ـ لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ـ بذلك (قوله ثم يقول) معطوف على يؤتى وهذا العطف لازم يتوقف صحة المعنى عليه لأن مصب النفي المعطوف والمعطوف عليه (قوله للناس) أى أمة محمد على الثانى ونصارى نجران على الأول (قوله من دون الله) أى من غير أن يقصرهم على الله بأن يشرك نفسه مع الله فى العبادة أو يفرد نفسه بالعبادة وهذه الجملة حال من الواو فى كونوا: أى حال كونكم متجاوزين الله إشراكا أو إفرادا (قوله ولكن) استدراك على ماتقدم (قوله بزيادة ألف ونون) أى كرقبانى وشعرانى ولحيانى وقوله تفخيما أى للمبالغة (قوله بما كنتم) الباء سببية (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما قراءتان سبعيتان فالعلم سبب للعمل فقبيح على العالم تركه العمل وأقبح منه أن يرشد الناس ويهديهم مع كونه غير مهتد فى نفسه، قال بعضهم:

وعالم بعلمه لن يعملن ... معذب من قبل عباد الوثن

فمثل العالم الذى يعلم الناس وهو غير عامل كشمعة موقودة تضىء للناس وتحرق نفسها، وفى هذا المعنى قال بعضهم:

أتنهى الأناس ولا تنتهى ... متى تلحق القوم يا لكع

ويا حجر السن ماتستحى ... تسن الحديد ولا تقطع

(قوله أى الله) أشار بذلك إلى أن فاعل يأمر ضمير مستتر عائد على الله (قوله عطفا على يقول) أى لأنه فى حيز النفي وتكون لا زائدة لتأكيد النفي والمعنى لايمكن لبشر أن يأمر بعبادة الناس له ولا بعبادة الملائكة والنبيين وقوله أى البشر

ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَاداً لِّي مِن دُونِ اللهِ وَلَٰكِنْ) يقول (كُونُوا رَبَّانِيِّينَ) علماء عاملين منسوبين إلى الرب بزيادة ألف ونون تفخيما (بِمَا كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) بالتخفيف والتشديد (الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ) أى بسبب ذلك فإن فائدته أن تعملوا (وَلَا يَأْمُرُكُمْ) بالرفع استئنافاً، أى الله. والنصب عطفاً على يقول أى البشر (أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَاباً) كما اتخذت الصابئة الملائكة واليهود عزيراً والنصارى عيسى (أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ) لاينبغى له هذا (وَ) اذكر (إِذْ) حين (أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ)

أى ففاعله ضمير يعود على البشر ولا يصح كون الفاعل ضميرا يعود على الله (قوله أربابا) أى بل نحبهم ونعتقد أنهم عبيد مكرمون لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون لايضرون ولا ينفعون فنتوسل بهم إلى الله لذلك لا لكونهم أربابا (قوله كما اتخذت الصابئة الخ) هم فرقة من اليهود صبأوا بمعنى مالوا عن دين موسى إلى عبادة الملائكة وقالوا إنهم بنات الله (قوله واليهود عزيرا) أى حيث رأوه يحفظ التوراة (قوله والنصارى عيسى) أى حيث رأوه جاء من غير أب ويحيى الموتى (قوله لاينبغى له هذا) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى تعجبى نظير قوله تعالى ـ كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ـ (قوله وإذ أخذ الله ميثاق النبيين) إذ ظرف لمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر والمراد ذكر العهد نفسه لاذكر وقته. والميثاق هو عهد مؤكد باليمين. واختلف فيه هل كان ذلك فى عالم الذر وعليه يكون قوله آتيتكم من كتاب وحكمة فى عالم الأشباح فالمعاهدة لما يأتى أو كان ذلك فى عالم الأشباح وكانت تلك المعاهدة تنزل فى كتبهم وعليه تكون المعاهدة فى الحالة الراهنة. واختلف فى الرسول المعاهد عليه فى جميع الأنبياء فذهب جماعة من الصحابة والتابعين منهم سعيد بن جبير وطاوس إلى أن كل نبى يعاهد على من يأتى بعده من الأنبياء فأخذ العهد على آدم إن جاءه رسول مصدق لما معه ليؤمنن به ولينصرنه وكذلك شيث أخذ عليه العهد وهكذا إلى إبراهيم إلى موسى إلى بقية أنبياء بنى إسرائيل إلى عيسى فهو صلى الله عليه وسلم معاهد عليه مع كل نبى فى عموم الأنبياء ومع عيسى عوهد عليه بالخصوص وهى حكمة قوله تعالى ـ ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد ـ وذهب جماعة أخرى من الصحابة منهم ابن عباس وعلى بن أبى طالب والسدى وقتادة إلى أن المراد بالرسول المعاهد عليه هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فأخذ الله العهد على كل نبى بانفراده لئن جاءه محمد وهو حى مصدق لما معه ليؤمنن به ولينصرنه وعليه فلو ظهر محمد فى زمن أى نبى من الأنبياء لبطل شرع ذلك النبى وكان هو وأمته من أتباعه واقتصر على هذا القول المفسر. قال السبكى يؤخذ من الآية على هذا التفسير أنه نبى الأنبياء وأن الأنبياء نوابه والحكمة فى تلك المعاهدة ارتباط أولهم بآخرهم وبيان عصمتهم من داء الحسد وظهور الحسد من الأمم التى تكفر بالرسول المبعوث.

(قوله وتوكيد معنى القسم) أى مؤكدة لليمين المأخوذ من الميثاق فانه تقدم أن معنى الميثاق عهد مؤكد بيمين (قوله متعلقة بأخذ) أى على أنها للتعليل مع حذف المضاف أى لرعاية وحفظ ما آتيتكم (قوله وما موصولة) على الوجهين وهى على الأول مبتدأ وآتيتكم صلتها وقوله من كتاب بيان لما وحكمة معطوف على كتاب وقوله ثم جاءكم معطوف على آتيتكم ومصدق صفة لرسول وقوله لتؤمنن به جواب القسم وخبر المبتدأ محذوف تقديره تؤمنون به وتنصرونه والضميران فى لتؤمنن به ولتنصرنه راجعان للرسول. واستشكل عود الضمير على الرسول مع أن المبتدأ فى الحقيقة الكتاب والحكمة وانظر ما الجواب (قوله أأقررتم) بتخفيف الهمزتين بألف بينهما وتركها وتسهيل الثانية بألف وبدونها ، بابدال الثانية ألفا فالقراءات خمس (قوله عهدى) سمى العهد بالإصر لأن فيه مشقة (قوله قالوا أقررنا) جواب عن سؤال تقديره ماذا قالوا حينئذ وثمرة المعاهدة على محمد مع علم الله أنه لا يأتى فى زمن نبي من الأنبياء الثواب على العزم بالاتباع والعقاب على العزم بعدم الايمان لجميع الأنبياء يثابون على الايمان بمحمد ومن عزم على عدم الايمان به لو ظهر عوقب (قوله فمن تولى بعد ذلك) إن قلت إن الأنبياء معصومون من ذلك . أجيب بأن الشرطية لا تقتضى الوقوع أو خطاب لهم والمراد أممهم (قوله أفغير دين الله يبغون) هذا رد على اليهود والنصارى حيث ادعى كل دين إبراهيم واختصموا إلى النبي فقال النبي كلا الفريقين برىء من دين إبراهيم، والهمزة داخلة على محذوف تقديره أعموا فغير دين الله يبغون (قوله وله أسلم) جملة حالية (قوله طوعا) راجع لجميع أهل السماء وبعض أهل الأرض وقوله وكرها راجع لبعض أهل الأرض فطوعا وكرها مصدران فى موضع الحال والتقدير طائعين وكارهين (قوله ومعاينة ما يلجيء إليه) أى إلى الاسلام كنتق الجبل وإدراك فرعون وقومه الغرق قال تعالى ـ فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده ـ الآية (قوله والهمزة للانكار) أى التوبيخي وقدم المفعول لأن المقصود إنكاره بالتصديق

عهدهم (لَمَا) بفتح اللام للابتداء وتوكيد معنى القسم الذى فى أخذ الميثاق ، وكسرها متعلقة بأخذ وما موصولة على الوجهين أى للذى (آتَيْتُكُمْ) إياه ، وفى قراءة آتيناكم (مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ) من الكتاب والحكمة ، وهو محمد صلى الله عليه وسلم (لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ) جواب القسم إن أدركتموه وأممهم تبع لهم فى ذلك (قَالَ) تعالى لهم (ءَأَقْرَرْتُمْ) بذلك (وَأَخَذْتُمْ) قبلتم (عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي) عهدى (قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا) على أنفسكم وأتباعكم بذلك (وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ) عليكم وعليهم (فَمَنْ تَوَلَّى) أعرض (بَعْدَ ذَلِكَ) الميثاق (فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ . أَفَغَيْرَ دِينِ اللهِ يَبْغُونَ) بالياء أى المتولون والتاء (وَلَهُ أَسْلَمَ) انقاد (مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا) بلا إباء (وَكَرْهًا) بالسيف ومعاينة ما يلجيء إليه (وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) بالتاء والياء والهمزة للانكار (قُلْ) لهم يا محمد (آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ) أولاده (وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ)

(قوله قل آمنا) لما تقدم أن الله أمر الأنبياء بالايمان بمحمد على أرجح التفسيرين ذكر هنا أمره بالايمان وأفرد فى قوله قل وجمع فى قوله آمنا لأن النبي هو المخاطب بالوحى والتبليغ فقط وأما الايمان فمخاطب به هو وأتباعه (قوله بالله) أى صدقنا بأن الله متصف بكل كمال ومستحيل عليه كل نقص (قوله وما أنزل علينا) أى وهو القرآن وعبر هنا بعلى وفى سورة البقرة بالى لأن مادة النزول تتعدى بهما غير أنه بالنظر للمبدإ يعدى بعلى كما هنا لأن المخاطب بذلك هو الموحى إليه وهو محمد والأنبياء بعده وبالنظر للمنتهى كما فى البقرة يعدى بالى لأن المأمور بذلك الأمم (قوله وما أنزل على إبراهيم) إنما صرح بأسماء هؤلاء لأن أهل الكتاب يعترفون بكتبهم ونبوتهم (قوله واسماعيل الخ) أى وما أنزل على هؤلاء من الوحى وكانوا يتعبدون بشرع إبراهيم بوحى من الله، وإسماعيل أبو العرب وإسحاق أبو الأعاجم ويعقوب بن إسحق والأسباط أولاد يعقوب وكانوا اثنى عشر رجلا يوسف وإخوته، ويؤخذ من الآية أنهم أنبياء يجب الايمان بهم وهو المعتمد وما يأتى فى سورة يوسف من الوقائع العظيمة الموهمة عدم عصمتهم فمؤول بأنهم مأمورون بذلك باطنا من حضرة الله كأفعال الخضر عليه السلام قال تعالى فى حقه ـ وما فعلته عن أمرى ـ ويقال فيهم ما قيل فيه بالأولى فان المعتمد أن الخضر ليس بنبي والأسباط أنبياء على المعتمد وموافقة ظاهر الشرع إنما تلزم الرسول المشرع فتأمل (قوله أولاده) أى أولاد يعقوب فهم أسباط لابراهيم بمعنى أولاد بنيه لا بالمعنى المصطلح عليه وهو أولاد البنت (قوله وما أوتى موسى وعيسى) أى التوراة والانجيل ومعجزاتهما (قوله والنبيون) عطف عام على خاص

أي تجب الإيمان بالنبيين عموما إجمالا في الاجمالي وتفصيلا في التفصيلي فيجب الإيمان تفصيلا بخمسة وعشرين نبيا ثمانية عشر في سورة الأنعام ومحمد وآدم وهود وصالح وشعيب وإدريس وذو الكفل من أنكر أي واحد منهم بعد علمه فقد كفر ويجب الإيمان الاجمالي بما عدا هؤلاء ولا يعلم عدتهم إلا الله (قوله بالتصديق والتكذيب) أي بالتصديق لبعض والتكذيب للبعض الآخر كما فعلت اليهود والنصارى (قوله مخلصون في العبادة) أشار بذلك إلى أن المراد بالاسلام هنا حقيقته وهو الانقياد الظاهري (قوله فيمن ارتد) أي وهم اثنا عشر أسلموا بالمدينة ولحقوا بأهل الكفر في مكة منهم الحرث بن سويد الأنصاري ولكنه أسلم بعد ذلك (قوله ومن يبتغ غير الاسلام) اعلم أن جمهور السبعة على الفك لوجود الفاصل الحكمي وهو الياء التي حذفها الجازم لأن المحذوف علة كالثابت وقرأ أبو عمرو في أحد وجهيه بالادغام نظرا للصورة الظاهرية ونظيره في القرآن كل مثلين بينهما فاصل حكمي ففيه الوجهان نحو: يخل لكم وجه أبيكم، وإن يك كاذبا، ومن اسم شرط ويبتغ فعله وغير مفعول ودينا تمييز لغير أو بدل منه أو مفعول وغير حال لأنه نعت نكرة قدم عليها (قوله فلن يقبل منه) أي ولا يقر عليه (قوله كيف) استفهام إنكاري بمعنى النفي كما يشير له المفسر بقوله أي لا يهدي وقيل إنه استبعادي أي فهداهم مستبعد قال العارف البوصيري :

بالتصديق والتكذيب (وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) مخلصون في العبادة. ونزل فيمن ارتد ولحق بالكفار (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) لمصيره إلى النار المؤبدة عليه (كَيْفَ) أي لا (يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا) أي وشهادتهم (أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ، وَ) قد (جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ) الحجج الظاهرات على صدق النبي (وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) أي الكافرين (أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ. خَالِدِينَ فِيهَا) أي اللعنة أو النار المدلول بها عليها (لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ) يمهلون (إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا) عملهم (فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ) لهم (رَحِيمٌ) بهم. ونزل في اليهود (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا) بعيسى (بَعْدَ إِيمَانِهِمْ) بموسى (ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا) بمحمد (لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ) إذا غرغروا وماتوا كفارا (وَأُولَٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ) مقدار ما يملؤها (ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ) أدخل الفاء في خبر إن لشبه الذين بالشرط وإيذانا بتسبب عدم القبول عن الموت على الكفر (أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم (وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ) مانعين منه (لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ) أي ثوابه وهو الجنة (حَتَّىٰ تُنْفِقُوا) تصدقوا (مِمَّا تُحِبُّونَ)،

و إذا البينات لم تغن شيئا
فالتماس الهدى بهن عناء

(قوله أي وشهادتهم) أشار بذلك إلى أن الفعل مؤول باسم لصحة عطفه على الاسم الذي هو الإيمان (قوله والناس أجمعين) أي حتى أهل النار في النار قال تعالى – كلما دخلت أمة لعنت أختها – (قوله أي اللعنة) أي ومن لوازمها الخلود في النار وقوله المدلول بها أي باللعنة وقوله عليها أي على النار (قوله إلا الذين تابوا) أي كالحرث بن سويد فإنه لما ارتد وذهب لمكة مع الكفار وأراد الله له بالهدى بعث لأخ له بالمدينة وكان مسلما يقول له: أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أني إذا تبت هل أقبل؟ فأخبر رسول الله بذلك فنزلت هذه الآية فبعثها له بمكة فأتى طائعا وأسلم وحسن إسلامه. وهذا شروع في تقسيم الكفار إلى ثلاثة أقسام: قسم منهم كفر ولم يعد، وقسم كفر ثم عاد للاسلام ظاهرا فقط، وقسم كفر ثم أسلم ظاهرا وباطنا (قوله من بعد ذلك) أي الكفر (قوله رحيم بهم) أي حيث قبل توبتهم (قوله بعيسى) أي والانجيل وقوله بموسى أي والتوراة وقوله بمحمد أي والقرآن (قوله إذا غرغروا) أشار بذلك إلى أن الآية مقيدة بذلك وهذا في الكافر وأما العاصي فتقبل منه عند الغرغرة (قوله أو ماتوا كفارا) أي بأن تابوا عند معاينة العذاب (قوله ملء الأرض) أي مشرقها ومغربها (قوله ذهبا) تمييز وخصه بالذكر لأنه أحسن الأموال وأغلاها (قوله ولو افتدى به) أي هذا إذا تصدق به بل ولو افتداه أهله به فالصدقة لا تنفعه منه أو من غيره لأجله (قوله لن تنالوا البر) لما ذكر أن صدقة الكافر لا تنفعه ذكر هنا أن صدقة المسلم وجميع طاعاته تنفعه (قوله أي ثوابه) أي البر أشار بذلك إلى أن في الكلام حذف مضاف (قوله تصدقوا) بحذف إحدى التاءين على التخفيف أو بدون حذف على التشديد بقلب إحدى التاءين صادا وإدغامها في الصاد .

(قوله من أموالكم) أى وغيرها من الأنفس والجاه (قوله فإن الله به عليم) هذه الجملة فى محل الجواب أى فحيث كان عليما بذلك لايضيع من جزائه شئ وقد أشار لذلك المفسر بقوله فيجازى عليه (قوله ونزل لما قال اليهود الخ) أى سبب نزولها قول اليهود ماذكر (قوله وكان لايأكل لحوم الابل) أى زعموا أن ماذكر حرام على إبراهيم فلو كنت على ملته لما كان ذلك حلا لك فرد الله عليهم زعمهم (قوله كل الطعام) أى الذى هو حلال فى شرعنا فما هو حلال فى شرعنا كان حلالا فى شرعه (قوله حلالا) أشار بذلك إلى أنه يقال حل وحلال وكذلك حرم وحرام (قوله إلا ماحرم إسرائيل) معناه بالعربية عبدالله وهو اسمه ويعقوب لقبه (قوله عرق النسا) أى وهو عرق ينفر فى باطن الفخذ يعجز صاحبه وورد فى دوائه عن أنس «عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه يؤتى بكبش عربى ويذبح ويؤخذ أليته وتقطع ثم تسلى بالنار ثم يؤخذ ذلك ويقسم ثلاثة أجزاء ويشرب كل جزء على الريق قال أنس فمازلت أصف ذلك لمن نزل به فشفى به أكثر من مائة» (قوله فنذر إن شفى لايأكلها) أى وكان لحمها أحب المأكول إليه ولبنها أحب المشروب إليه ومثل هذا النذر لايلزم فى شرعنا لأن النذر إنما يلزم به ماندب وترك ماذكر ليس مندوبا (قوله فحرم عليه) قيل حرمت أيضا على أولاده تبعا له وقيل هو حرمها على نفسه

من أموالكم (وَمَا تُنفِقُوا مِنْ شَىْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ) فيجازى عليه . ونزل لما قال اليهود إنك تزعم أنك على ملة إبراهيم وكان لايأكل لحوم الإبل وألبانها (كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا) حلالا (لِبَنِى إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ) يعقوب (عَلَى نَفْسِهِ) وهو الإبل لما حصل له عرق النسا بالفتح والقصر فنذر إن شفى لا يأكلها فحرم عليه (مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ) وذلك بعد إبراهيم ولم تكن على عهده حراما كما زعموا (قُلْ) لهم (فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا) ليتبين صدق قولكم (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) فيه فبهتوا ولم يأتوا بها، قال تعالى (فَمَنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ) أى ظهور الحجة بأن التحريم إنما كان من جهة يعقوب لاعلى عهد إبراهيم (فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) المتجاوزون الحق إلى الباطل (قُلْ صَدَقَ اللَّهُ) فى هذا كجميع ما أخبر به (فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ) التى أنا عليها (حَنِيفًا) مائلا عن كل دين إلى الإسلام (وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) . ونزل لما قالوا: قبلتنا قبل قبلتكم (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ) متعبدا (لِلنَّاسِ) فى الأرض (لَلَّذِى بِبَكَّةَ) بالباء لغة فى مكة سميت بذلك لأنها تبك أعناق الجبابرة أى تدقها، بناه الملائكة قبل خلق آدم ووضع بعده الأقصى وبينهما أربعون سنة كما فى حديث الصحيحين، وفى الحديث أنه أول ماظهر على وجه الماء عند خلق السموات والأرض زبدة بيضاء فدحيت الأرض من تحته (مُبَارَكًا) حال من الذى أى ذا بركة (وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ)

وعلى ذريته (قوله من قبل) ظرف متعلق بحلا مع ملاحظة الاستثناء ويحتمل أنه متعلق بقوله إلا ماحرم (قوله وذلك بعد إبراهيم) أى بألف سنة (قوله صدق قولكم) أى إخباركم عنه بأن ماذكر حرام عليه (قوله فبهتوا) من باب علم أو نصر أو كرم أو زهى، والمعنى دهشوا وتحيروا وانقطعت حجتهم (قوله فمن افترى على الله الكذب) أى اختلقه من عند نفسه (قوله بأن التحريم) أى لخصوص لحوم الابل وألبانها (قوله قل صدق الله) أى ثبت وتقرر صدقه وظهر كذبكم لأنه (قوله كجميع ماأخبر به) أى كصدقه فى جميع أخباره التى جاءت بها الرسل (قوله التى أنا عليها) أى وجميع المؤمنين (قوله وما كان من المشركين) تعريض لهم بأنهم هم المشركون وبيان أن النبى على ملة إبراهيم من حيث السهولة وأصول الدين (قوله ونزل لما قالوا الخ) أى حين حولت القبلة قالوا لم تحولت عن قبلتنا مع كونها أقدم وأفضل (قوله لغة فى مكة) أى فأبدلت الميم باء (قوله لأنها تبك أعناق الجبابرة) أى وسميت مكة لأنها من المك وهو الازالة فإنها تزيل الذنوب ونحوها (قوله بناه الملائكة) ورد «أن الله لما خلق البيت المعمور وكانت ملائكة السماء تطوف به اشتاقت ملائكة الأرض لبيت مثله فأمرهم ببناء بيت محاذ للبيت الذى فى السماء وكان من درة بيضاء وطافت به قبل آدم ألفى سنة» (قوله ووضع بعده) أى بعد بنائه ظاهره أنه وضع بعد بناء الملائكة بأربعين سنة فيكون من وضع الملائكة ويكون متقدما على آدم وليس كذلك بل الحق أن بيت المقدس وضعه آدم بعد بنائه هو البيت الحرام بأربعين سنة (قوله زبدة) بالتحريك رغوة بيضاء (قوله ذا بركة) أى من حيث الحج به وتكفير السيئات لمن دخله بذل وانكسار .

لأنه قبلتهم (فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ) منها (مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ) أى الحجر الذى قام عليه عند بناء البيت فأثر قدماه فيه و بقى إلى الآن مع تطاول الزمان وتداول الأيدى عليـــه ومنها تضعيف الحسنات فيه وأن الطير لا يعلوه (وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا) لا يتعرض إليه بقتل أو ظلم أو غير ذلك (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ) واجب ، بكسر الحاء وفتحها لغتان فى مصدر حج بمعنى قصد ، ويبدل من الناس(مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا) طريقاً فسره صلى الله عليه وسلم بالزاد والراحلة رواه الحاكم وغيره (وَمَنْ كَفَرَ) بالله أو بمـا فرضه من الحج (فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ) الإنس والجن والملائكة وعن عبادتهم (قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ) القرآن (وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ) فيجازيكم عليه (قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ) تصرفون (عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) أى دينه (مَنْ آمَنَ) بتكذيبكم النبى وكتم نعته (تَبْغُونَهَا) أى تطلبون السبيل (عِوَجًا) مصدر بمعنى معوجة ، أى مائلة عن الحق (وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ) عالمون بأن الدين المرضى القيم هو دين الإسلام كما فى كتابكم(وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) من الـكفر والتكذيب و إنمـا يؤخركم إلى وقتكم ليجازيكم . ونزل لمـا مر بعض اليهود على الأوس والخزرج فغاظه تألفهم ،

(قوله لأنه قبلتهم) أى يتوجهون إليه عند الصلاة وعموم الآية يشهد بأنه قبلة حتى للجمادات ، ولذلك ترى الأشجار عند انحنائها تـكون لجهته (قوله و بقى إلى الآن) أشار بذلك إلى أن فى الحجر آيتين غوص قدمى إبراهيم فيه وصعوده به ونزوله به وكونه باقيا إلى الآن (قوله تضعيف الحسنات فيه) أى فالصلاة فيه بمـائة ألف صلاة (قوله وأن الطير لايعلوه) أى لايمر على ظهره إلا إذا كان بالطير مرض فيمر ليشتفى بهوائه (قوله بقتل) أى ولوقصاصا هذاما كان فى الجاهلية فـكان الرجل يقتل و يدخله فلايتعرض له مادام فيه ، وأما بعد الإسلام فعند مالك والشافعى إن قتل اقتص منه فيه ، وعند أبى حنيفة لايقتص منه فيه مادام فيه و إنمـا يضيق عليه حتى يخرج وهذا هو الأمن فى الدنيا ، وأما فى الآخرة فبتـكفير السيآت ومضاعفة الحسنات (قوله ولله على الناس) خبر مقدّم وحج البيت مبتدأ مؤخر . والحج لغة القصد واصطلاحا عبادة يلزمها طواف بالبيت سبعا وسعى بين الصفا والمروة كذلك ووقوف بعرفة ليلة عاشر ذى الحجة على وجه مخصوص وهو فرض عين فى العمر مرة وواجب كفاية كلّ عام إن قصد إقامة للموسم ومندوب إن لم يقصد ذلك (قوله لغتان) أى وهما قراءتان سبعيتان (قوله و يبدل من الناس) أى بدل بعض من كلّ والعائد محذوف تقديره منهم (قوله من استطاع إليه سبيلا) أى على سبيل العادة فلا يجب بطيران ولا خطوة لـكن لوفعل سقط الفرض ، وأما المشى فيجب به عند مالك إن قدر عليه (قوله ومن كفر بالله) أى أنـكر وحدانيته أوجحد شيئا من أحكامه ، وقوله أو بمـا فرضه تفسير ثان (قوله فان الله غنىّ عن العالمين) أى فلا تنفعه طاعتهم ولا تضره معاصيهم قال تعالى ــ فـكفروا وتولوا واستغنى الله والله غنى حميد (قوله قل ياأهل الكتاب) أى اليهود والنصارى وخصهم بالذكر لأن كفرهم محض عناد (قوله القرآن) أى وما ألحق به من المعجزات الباهرة (قوله على ماتعملون) أى من الـكفر (قوله تصرفون) أى تمنعون (قوله أى دينه) أى المعتدل (قوله من آمن) يحتمل أن المعنى من آمن بالفعل تسعون فى رده عن الايمـان إلى الـكفر ، ويحتمل أن المراد من أراد الايمـان تصدوه عن كونه يؤمن بالله (قوله تبغونها) الجملة حالية من الواو فى تصدّون (قوله عوجا) هو بكسر العين فى المعانى و بفتحها فى الأجسام ، يقال اعوجت الطريق واعوجت الحائط بمعنى قام بالأوّل العوج بالـكسر و بالثانى العوج بالفتـح ، والمعنى تتركون السبيل المعتدلة وتطلبون السبيل المعوجة . قال تعالى ــ قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصـيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين ــ (قوله مصدر) أى حال من ضمير تبغونها (قوله وأنتم شهداء) الجملة حالية من الواو فى تبغونها (قوله كما فى كتابكم) المراد به الجنس الصادق بالتوراة والانجيل (قوله وما الله بغافل عما تعملون) دفع بذلك توهم أن الله حيث أمهلهم فهو غافل عنهم ، وقال تعالى أيضا ــ ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون ــ الآيات (قوله من الـكفر الخ) بيان لمـا (قوله ونزل لمـا مرّ بعض اليهود) أى واسمه شاس (قوله فغاظه تألفهم) أى توددهم ومحبة بعضهم لبعض بعد أن كان ما كان بينهم من الشحناء والبغضاء .

(قوله فذكرهم) ورد أنه كان معه شاب يهودى، فقال له اذهب إلى بنى قيلة هؤلاء وقل لهم أتذكرون يوم بعاث واذكر لهم ماتناشدوه بينهم من الأشعار التى فيها الهجو لبعضهم بعضا، وكان يوم بعاث عظيما فى اقتتال الأوس والخزرج وكانت الغلبة فيه للخزرج، فذهب ففعل كما أمره فقالوا السلاح السلاح فنزل جبريل على النبى صلى الله عليه وسلم بالآيات إلى قوله - لعلكم تهتدون - فخرج النبى مع بعض أصحابه فوجدهم فى الصحراء مصطفين للقتال فقال. يامعشر المسلمين أتدعون بدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن أكرمكم الله بالاسلام وقطع عنكم إصر الجاهلية وألف بين قلوبكم وقرأ عليهم الآيات فعلموا أنها نزغة من عدوهم فألقوا السلاح وصار يعانق بعضهم بعضا. قال جابر بن عبدالله: مارأيت يوما أشأم منه ولاأسر منه كان أوله شؤما وآخره سرورا (قوله فريقا) هو شاس وأتباعه (قوله يردوكم) أى يصيروكم فالكاف مفعول أول وكافرين مفعول ثان فردّ تنصب مفعولين كقول الشاعر:

فردّ وجوههن البيض سودا ... وردّ شعورهن السود بيضا

(قوله وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله) هاتان الجملتان حالان، والمعنى كيف يحصل منكم الكفر والحال أنكم تتلى عليكم آيات الله: أى القرآن وفيكم رسوله محمد فهذا الأمر مستبعد أيكون بعد تمام الهدى الكفر والضلال (قوله إلى صراط مستقيم) أى دين قيم لااعوجاج

فيه وهو دين الاسلام (قوله حق تقاته) صفة لمصدر محذوف: أى تقوى

فذكرهم بما كان بينهم فى الجاهلية من الفتن فتشاجروا وكادوا يقتتلون (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ. وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ) استفهام تعجيب وتوبيخ (وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ) يتمسك (بِاللهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ) بأن يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى فقالوا يارسول الله ومن يقوى على هذا فنسخ بقوله تعالى «فاتقوا الله ما استطعتم» (وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) موحدون (وَاعْتَصِمُوا) تمسكوا (بِحَبْلِ اللهِ) أى دينه (جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا) بعد الإسلام (وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ) إنعامه (عَلَيْكُمْ) يا معشر الأوس والخزرج (إِذْ كُنْتُمْ) قبل الإسلام (أَعْدَاءً فَأَلَّفَ) جمع (بَيْنَ قُلُوبِكُمْ) بالإسلام (فَأَصْبَحْتُمْ) فصرتم (بِنِعْمَتِهِ إخوانا)

حق تقاته (قوله بأن يطاع الخ) تصوير للتقوى حق التقوى وهذه أخلاق الأنبياء والمرسلين لعصمتهم وتكون لخواص عباد الله الذين على قدم الأنبياء، ولذلك قال بعض العارفين

ولو خطرت لى فى سواك إرادة ... على خاطرى يوما حكمت بردتى

ولكن ليس معنى ذلك أنه يكون كافرا يستحق الخلود فى النار بل هذا لسان محب عاشق ورِدّته نقصه عن مرتبة حبه إلى مرتبة أدنى منها فى الحب، وأما القرآن فنزل على أخلاق العوام لتعليمهم مايحتاجون إليه من أمر الدين فنسخ الآية من حيث التكاليف بهذا المعنى على سبيل الوجوب، وأما الرقى لتلك المراتب فمما يتنافس فيه المتنافسون على سبيل التطوع والتقرب فتدبر (قوله فنسخ بقوله الخ) أى فيقال فى قوله بأن يطاع بحسب الطاقة، وقوله فلايعصى يعنى أصلا وكذا قوله ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى ويناسب الناسخة قوله تعالى - إن الله يحبّ التوابين - وقيل إن الآية ليست منسوخة بل آية فاتقوا الله ما استطعتم مبينة للمراد منها (قوله ولا تموتنّ) أى يابنى قيلة الأوس والخزرج (قوله إلا وأنتم مسلمون) أى فلا يكن منكم موت على حالة دون حالة الإسلام، والمعنى دوموا على الاسلام إلى الممات ولاتغيروا ولاتبدلوا لئلايصادفكم الموت فى حالة التغيير. قال المفسر فى بعض كتبه وماشاع من تفسير قوله تعالى - إلاوأنتم مسلمون - متزوّجون فهو باطل لاأصل له ولا يجوز تفسير القرآن بمجرد الرأى، وخص حالة الموت بذلك لأن ثمرة الأعمال تظهر فى تلك الحالة والمدار عليها (قوله واعتصموا بحبل الله) أى حين الدخول فى الاسلام وقوله ولاتفرقوا: أى فدوموا على الاجتماع ولا يكن منكم تفرقة (قوله أى دينه) أى أو القرآن وفى الكلام استعارة حيث شبه الدين أو القرآن بالحبل واستعير اسم المشبه به وهو الحبل للمشبه وهو الدين أو القرآن على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية والجامع بينهما التوصل للمقصود فى كل وإضافته للفظ الجلالة قرينة مانعة والاعتصام ترشيح وفيه استعارة تصريحية تبعية حيث شبه الوثوق بالاعتصام واستعار الاعتصام للوثوق واشتق من الاعتصام اعتصموا بمعنى ثقوا.

(قوله إخوانا) خبر ثان لأصبحتم وقوله والولاية أى النصرة أى ينصر بعضكم بعضا (قوله يبين الله لكم آياته) اى يزيدكم بيانا مادام رسول الله فيكم (قوله لعلكم تهتدون) أى تدومون على الهداية وتزيدون فيها (قوله ولتكن منكم أمة) يحتمل أنها ناقصة وأمة اسمها ويدعون خبرها ومنكم إماظرف لغو متعلق بتكن أوحال من أمة أومن الواو فى يدعون أوتامة وأمة فاعلها وجملة يدعون صفة لأمة ومنكم حال أو متعلق بتكن (قوله يدعون إلى الخير) مفعوله هو ومابعده من يأمرون و ينهون محذوف تقديره الناس (قوله الاسلام) إنما قصره عليه لأنه رأس الأمور ولأجل قوله بعد و يأمرون بالمعروف (قوله بالمعروف) المراد به ماطلبه الشارع إما على سبيل الوجوب كالصلوات الخمس و برّ الوالدين وصلة الرحم ، أوالندب كالنوافل وصدقات التطوّع ، وقوله عن المنكر المراد به مانهى عنه الشارع إما على سبيل الحرمة كالزنا والقتل والسرقة أوعلى سبيل الكراهة (قوله ومن للتبعيض) أى بناء على أن المخاطب بفرض الكفاية بعض غير معين أومعين فى علم الله (قوله كالجاهل) أى فلا يأمر ولاينهى لأنه ربما أمر بمنكر أونهى عن معروف لعدم علمه بذلك (قوله وقيل زائدة) أى بناء على أن المخاطب بفرض الكفاية الجميع و يسقط بفعل بعضهم (قوله أى لتكونوا أمة) أى دعاة للخير آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر (قوله وهم اليهود والنصارى) أى فافترقت اليهود إحدى وسبعين فرقة واحدة ناجية والباقون فى النار والنصارى اثنين وسبعين فرقة واحدة ناجية والباقون فى النار وأخبر النبى صلى الله عليه وسلم أنّ هذه الأمة ستفترق ثلاثا وسبعين فرقة واحدة ناجية والباقون فى النار وهذا

إِخْوَانًا) فى الدين والولاية (وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا) طرف (حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ) ليس بينكم و بين الوقوع فيها إلا أن تموتوا كفاراً (فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا) بالإيمان (كَذٰلِكَ) كما بين لكم ماذكر (يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ . وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ) الإسلام (وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولٰئِكَ) الداعون الآمرون الناهون (هُمُ الْمُفْلِحُونَ) الفائزون ، ومن للتبعيض لأن ماذكر فرض كفاية لايلزم كل الأمة ولا يليق بكل أحد كالجاهل ، وقيل زائدة أى لتكونوا أمة (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا) عن دينهم (وَاخْتَلَفُوا) فيه (مِنْ بَعْدِ مَاجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ) وهم اليهود والنصارى (وَأُولٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ . يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ) أى يوم القيامة (فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ) وهم الكافرون ،

التفرّق من بعد الصحابة فالناجى من كان على قدم النبى وأصحابه ويختلف فى كل زمن بالقلة والكثرة فى الصدر الأول كانوا ظاهرين أقوياء وكلما تقادم الزمان ازدادوا فى الاختفاء لكن لا تنقطع الفرقة الناجية مادام القرآن موجودا قال الله تعالى ــ الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعرّ منه جلود الذين يخشون ربهم ــ الآية فلولا أنّ أهل القرآن الذين يتدبرونه موجودون لما بقى القرآن . إن قلت إن دعاءهم مستجاب فهلا دعوا باصلاح العالم مثلا . أجيب بأنهم لايلهمون الدعاء بغير مافى علم الله فاذا علم الله أن العالم لايصلح مثلا فلا يلهمون ولايوفقون للدعاء باصلاحه بل هم أشدّ الناس صبرا وتحملا للمكاره ورضا بالقضاء والقدر وفى ذلك قلت :

علامة أهل الله فينا ثلاثة أمان وتسليم وصبر مجمل
أرح قلبك العانى وسلم له القضا تفز بالرضا فالأصل لايتحوّل

والتفرّق المذموم إنما هو فى العقائد لا فى الفروع فانه رحمة لعباد الله (قوله وأولئك) مبتدأ وعذاب مبتدأ ثان ولهم متعلق بمحذوف خبر الثانى والثانى وخبره خبر الأول وقوله يوم تبيض وجوه ظرف متعلق بما تعلق به الجار والمجرور تقديره وأولئك الذين تفرّقوا فى العقائد عذاب عظيم مستقرّ لهم يوم تبيض وجوه الخ يعنى أنه يكون ويحصل ذلك العذاب حينئذ و يحتمل أن قوله يوم مفعول لمحذوف تقديره اذكر يوم تبيض وجوه ، و بياض الوجه إما حقيقة فقد ورد أن وجه المؤمن يكون أضوأ من الشمس فى رابعة النهار، وإما كناية عن الفرح والسرور ، ومثله يقال فى اسوداد الوجه وذلك حين تطاير الصحف فالمؤمن يأخذ كتابه بيمينه و يقول هاؤم اقرءوا كتابيه الآية ، والكافر يأخذ كتابه بشماله و يقول ياليتنى لم أوت كتابيه الآية (قوله فأما الذين اسودّت وجوههم) تفصيل لما أجمل أوّلا والفاء واقعة فى جواب شرط مقدر تقديره إن أردت تفصيل ماتقدم فأقول لك أما الذين اسودّت وجوههم وقدم فى التفصيل هذا القسم مبادرة بالتحذير وليكون فى الكلام حسن ابتداء وحسن اختتام فابتدأ الآية بالبشرى وختمها كذلك .

(قوله فيلقون فى النار) أى و إلقاؤهم مختلف فمنهم من يؤخذ بالكلاليب ومنهم من يؤخذ بالنواصى والأقدام وعلى كل حال فهم يسحبون فى النار على وجوههم وهذه الجملة خبر المبتدإ قدرها المفسر وذلك لأن الجزاء فى المقابل هو الكون فى الجنة فالمناسب هنا أن يكون هو الكون فى النار وتقدير القول هنا لأجل أن يكون حذف الفاء فى جواب أما مقيسا (قوله و يقال لهم) يحتمل أن ذلك من كلام الله لهم ويحتمل أن ذلك على لسان الملائكة (قوله يوم أخذ الميثاق) دفع بذلك مايقال إن الآية ظاهرة فيمن ارتد بعد إيمانه لافيمن كان كافرا واستمر على كفره . وأجيب أيضا بأن هذا يحمل على اليهود والنصارى فانهم كانوا مؤمنين برسول الله قبل البعثة ثم كفروا به بعدها . وأجيب أيضا بأن قوله بعد إيمانكم أى بعد ظهور الأدلة التى توجب الايمان (قوله فذوقوا العذاب) فيه استعارة بالكناية حيث شبه العذاب بشىء مر يذاق وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشىء من لوازمه وهو الإذاقة فاثباتها تخييل (قوله بما كنتم تكفرون) الباء سببية فالكفر سبب فى إذاقة العذاب بخلاف الطاعات فلم يجعلها الله سببا لدخول الجنة بل دخول الجنة بمحض فضل الله، و إنما كان جزاء الكفار الخلود فى النار لأن الكفر إنكار لكمالات الله وهى لاتتناهى فكان جزاؤه عذابا لايتناهى وذلك يتحقق بالخلود بخلاف معصية المؤمن (قوله أى جنته) أى ففيه إطلاق الحال و إرادة المحل فالجنة محل هبوط الرحمة والرحمة ناشئة عن ذات الله فقولهم اللهم اجمعنا فى مستقر رحمتك فالمراد بالمستقر محل هبوط الرحمة وهى الجنة لاذات الله (قوله بالحق) أى الصدق (قوله وما الله يريد ظلما للعالمين) أى فحيث انتفت إرادة الظلم فالظلم منفى بالأولى لأن تعلق الارادة فى التعقل سابق على الفعل (قوله ولله مافى السموات ومافى الأرض) أى فيتصرف فى ملكه كيف شاء (قوله و إلى الله ترجع الأمور) أى فلا مفر منه ولا محيص عنه (قوله كنتم خير أمة) هذا مدح عظيم وتفضيل من الله لهذه الأمة المحمدية وفيه إعلام بتثبيتهم على تلك الأوصاف العظيمة . واعلم أن المخاطب مشافهة الصحابة ونبت لهم هذه الصفات المرضية فمدحهم الله على ذلك ومن تمسك بأوصافهم وأخلاقهم (خيرا كان ممدوحا مثلهم وهذا المدح يدل على أن أوصافهم مرضية لله فشرفهم الله بشرف نبيهم ، قال صاحب البردة :

فيلقون فى النار ، ويقال لهم توبيخاً (أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ) يوم أخذ الميثاق (فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ . وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ) وهم المؤمنون (فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ) أى جنته (هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ . تِلْكَ) أى هذه الآيات (آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ) يا محمد (بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ) بأن يأخذهم بغير جرم (وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) ملكا وخلقا وعبيداً (وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ) تصير (الْأُمُورُ . كُنْتُمْ) يا أمة محمد فى علم الله تعالى (خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ) أظهرت (لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ) الإيمان ،

لما دعا الله داعينا لطاعته ... بأشرف الرسل كنا أكرم الأمم

وقال فى الهمزية : ولك الأمة التى غبطتها ... بك لما أتيتها الأنبياء

ومدحهم الله سابقا بقوله ـ وكذلك جعلناكم أمة وسطا ـ الآية وبالجملة فهو صلى الله عليه وسلم أفضل الخلق على الاطلاق وأمته أفضل الأمم على الاطلاق وكان فعل ناقص يفيد الاتصاف فى الماضى لكن المراد هنا الدوام على حد وكان الله غفورا رحيما والتاء اسمها وخير خبرها وقوله أخرجت للناس صفة لأمة (قوله فى علم الله) أى وقيل فى اللوح المحفوظ وقيل فى كتب الأمم السابقة (قوله للناس) إنما عبر باللام دون من إشارة إلى أن هذه الأمة نفع ورحمة لنفسها وللخلق عموما فى الدنيا بالدعاء لجميع الأمم وفى الآخرة بالشهادة للأنبياء (قوله تأمرون بالمعروف) إما خبر بعد خبر لكان والمقصود منه تفصيل ما أجمل أولا أو صفة لمعنى الخيرية أو استئناف بيانى واقع فى جواب سؤال مقدر تقديره ما وجه الخيرية وراعى فى الخطاب لفظ كنتم ولو راعى الخبر لقال يأمرون لأن الاسم الظاهر من قبيل الغيبة واختيرت صيغة الخطاب تشريفا لهم و إشارة إلى رفع الحجب عنهم حيث خاطبهم ولم يخبر عنهم وأنهم مقربون من حضرة الله . إن قلت إن الايمان هو الأصل فلم لم يقدم . أجيب بأنه عبر بخصوص بهم و إنما الفضل الثابت لهم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فهذه الأمة لما شبه بالأنبياء من حيث إنها مهتدية فى نفسها هادية لغيرها (قوله ولو آمن أهل الكتاب) أى اليهود والنصارى .

(قوله خيرا لهم) أى من الايمان بموسى وعيسى فى زمانهما أى أن من آمن بمحمد أعلى وأفضل ممن أدرك موسى أو عيسى وآمن به لدخوله فى هذا المدح العظيم أو المعنى خيرا لهم مما هم عليه فى زعمهم وإن كان فى الواقع ما هم عليه ليس بخير أو ذلك تهكم بهم أو أن أفعل التفضيل ليس على بابه أى لكان هو الخير لهم. (قوله منهم المؤمنون) استئناف بيانى واقع فى جواب سؤال مقدر نشأ من قوله ولو آمن أهل الكتاب كأن قائلا قال وهل آمن منهم أحد أولا فأجاب بذلك (قوله كعبد الله بن سلام) أى من اليهود وأدخلت الكاف النجاشى وغيره من النصارى (قوله الكافرون) أى وسماهم فاسقين لأنهم فسقوا فى دينهم فليسوا عدولا فيه (قوله إلا أذى) قيل استثناء منقطع وهو المتبادر من المفسر والمعنى لا يصل لكم منهم ضرر بشىء أصلا لكن يقع منهم أذى باللسان قال تعالى ـ ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا ـ ففى الحقيقة لا ضرر فى ذلك وقيل الاستثناء متصل والمعنى لن يصل لكم منهم ضرر فى حال من الأحوال إلا فى حال الضرر اللسانى (قوله من سبّ) أى للنبى وأصحابه وقوله ووعيد أى للمؤمنين بقولهم إنا نغلبهم وستكون العزة لنا والذلة لهم (قوله ثم لا ينصرون) ليس معطوفا على جواب الشرط وإلا لأوهم أنهم قد ينصرون من غير قتال بل هو مستأنف ليفيد سلب النصرة عنهم فى جميع الأحوال (قوله أينما ثقفوا) أين اسم شرط وثقفوا فعل الشرط وجوابه محذوف لدلالة ضربت عليهم الذلة عليه التقدير أينما ثقفوا تضرب عليهم الذلة (قوله فلا عزّ لهم) أى ولذا لم يوجد منهم سلطان أصلا فالذل قد علاهم للمؤمنين والنصارى لقوله

تعالى ـ وجاعل الذين اتبعوك

(خَيْراً لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ) كعبد الله بن سلام رضى الله عنه وأصحابه (وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ) الكافرون (لَنْ يَضُرُّوكُمْ) أى اليهود يا معشر المسلمين بشىء (إِلاَّ أَذًى) باللسان من سبّ ووعيد (وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ) منهزمين (ثُمَّ لاَ يُنْصَرُونَ) عليكم بل لكم النصر عليهم (ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَمَا ثُقِفُوا) حيثما وجدوا فلا عزّ لهم ولا اعتصام (إِلاَّ) كائنين (بِحَبْلٍ مِنَ اللهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ) المؤمنين وهو عهدهم إليهم بالأمان على أداء الجزية أى لا عصمة لهم غير ذلك (وَبَاءُوا) رجعوا (بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ) أى بسبب أنهم (كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذٰلِكَ) تأكيد (بِمَا عَصَوْا) أمر الله (وَكَانُوا يَعْتَدُونَ) يتجاوزون الحلال إلى الحرام (لَيْسُوا) أى أهل الكتاب (سَوَاءً) مستوين (مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ) مستقيمة ثابتة على الحق كعبد الله بن سلام رضى الله عنه وأصحابه (يَتْلُونَ آيَاتِ اللهِ آنَاءَ اللَّيْلِ) ،

فوق الذين كفروا ـ (قوله ولا اعتصام) معطوف على قوله فلا عز لهم وقدر ذلك ليرتب قوله إلا بحبل من الله عليه إشارة إلى أنه مستثنى من محذوف (قوله بحبل من الله) أى وهو الايمان (قوله أى لا عصمة لهم غير ذلك) أى لكن إن كان اعتصامهم بحبل من الله ارتفع عنهم الذل وعصموا نفوسهم وأموالهم وإن كان من الناس فقد عصموا نفوسهم وأموالهم وعاشوا فى الذلّ (قوله ذلك) أى المذكور من ضرب الذلة والمسكنة والغضب من الله (قوله ويقتلون الأنبياء) أى فقتلوا أول النهار سبعين نبيا وآخره أربعمائة عابد. إن قلت إن القاتل للأنبياء أجدادهم فلم أوخذوا بفعل أصولهم. أجيب بأن رضا الفروع بقتل أصولهم الأنبياء صيره كأنه واقع منهم فالقتل وقع من أصولهم بالفعل ومنهم بالعزم والتصميم فهم الآن لو تمكنوا من النبي والمسلمين ما أبقوا واحدا (قوله بغير حق) أى حق فى اعتقادهم فاعتقادهم عدم الحقية مطابق للواقع غير أنه عناد منهم (قوله تأكيد) أى فالعصيان والاعتداء هو عين الكفر وقتل الأنبياء ويحتمل أنه ليس تأكيدا بل هو علة للعلة أى فعلة ضرب الذلة والمسكنة والغضب من الله كفرهم وقتلهم الأنبياء وعلة الكفر والقتل عصيانهم أمر الله وتجاوزهم الحد (قوله ليسوا سواء) هذه الجملة راجعة لجميع أهل الكتاب أى هم غير مستوين فى العقيدة بل منهم من هو على حق ومنهم من هو على باطل (قوله مستوين) دفع بذلك ما يقال إن سواء خبر عن الواو فى ليسوا فكان حقه أن يجمع مطابقة له فأجاب بأن سواء مصدر من التسوية بمعنى مستوين (قوله من أهل الكتاب أمة) هذا كالتفصيل لقوله ليسوا سواء (قوله كعبد الله بن سلام وأصحابه) أى من اليهود وكالنجاشى وأربعين من نصارى نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثلاثة من الروم وكجماعة من الأنصار كأسعد بن زرارة والبراء بن معرور ومحمد بن مسلمة وصرمة بن أنس كانوا يتعبدون بما يعرفون من الشرائع القديمة فلما بعث النبي صدقوه ونصروه (قوله آناء الليل) إما جمع أنى كعصا أو إنى كمعى أو أنى كظبي أو إنى كحمل أو أنو كجرو

(قوله أى فى ساعاته) أى الأوقات وهى دقائقه ولحظاته . قال تعالى . تتجافى جنوبهم عن المضاجع - (قوله يصلون)سمى الصلاة سجودا لأنه أشرف أجزائها وقوله حال آى من قوله يتلون أى يقرءون القرآن فى حال صلاتهم (قوله يؤمنون بالله) أى يصدقون بأن الله متصف بكل كمال مستحيل عليه كل نقص وقوله واليوم الآخر أى ومافيه من النعيم والعقاب فيصدقون بأنه حق (قوله ويأمرون) مفعوله هو وينهون محذوف تقديره الناس (قوله ويسارعون) أى يبادرون بامتثال أمر الله . إن قلت إن العجلة مذمومة ففى الحديث «العجلة من الشيطان » إلافى أمور .وأجيب بأن معنى المسارعة أنه إذاتعارض حق لله وحظ لنفسه بادر لحق الله وترك حظه ، وأما العجلة فهى المبادرة لشىء مطلقا كأن يبادر للصلاة قبل وقتها أو فى الصلاة بأن لايتقن ركوعها ولاسجودها فإن ذلك مذموم إلا فى أمور فهى مسارعة لاعجلة كالتوبة وتقديم الطعام للضيف وتجهيز الميت وزواج البكر والصلاة فى أول وقتها (قوله ومنهم من ليسوا كذلك) قدر ذلك إشارة

إلى أن فى الآية حذف المقابل (قوله وبالياء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله من خير) أى قليل أو كثير قال تعالى - فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره - (قوله بالوجهين) أى التاء والياء (قوله بل تجازون عليه) أى فى الآخرة (قوله إن الذين كفروا) قيل نزلت فى قريظة وبنى النضير وقيل فى مشركى العرب وقيل فيما هو أعم وهو الأقرب (قوله شيئا) أى قليلا كان أو كثيرا (قوله يدفع عن نفسه) أى فى الدنيا (قوله مثل ماينفقون) يحتمل أن ما اسم موصول وينفقون صلتها والعائد محذوف ويحتمل أنها مصدرية تسبك مع ما بعدها بمصدر تقدير الأول مثل المال الذى ينفقونه وتقدير الثانى مثل إنفاقهم

أى فى ساعاته (وَهُمْ يَسْجُدُونَ) يصلون حال (يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ) الموصوفون بما ذكر (مِنَ الصَّالِحِينَ) ومنهم من ليسوا كذلك وليسوا من الصالحين (وَمَا تَفْعَلُوا) بالتاء أيتها الأمة وبالياء أى الأمة القائمة (مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ تُكْفَرُوهُ) بالوجهين ، أى تعدموا ثوابه بل تجازون عليه (وَاللهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ . إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ) تدفع (عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللهِ) أى من عذابه (شَيْئًا) وخصهما بالذكر لأن الانسان يدفع عن نفسه تارة بفداء المال وتارة بالاستعانة بالأولاد (وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ . مَثَلُ) صفة (مَا يُنْفِقُونَ) أى الكفار (فِي هَٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) فى عداوة النبى أو صدقة ونحوها (كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ) حر أو برد شديد (أَصَابَتْ حَرْثَ) زرع (قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ) بالكفر والمعصية (فَأَهْلَكَتْهُ) فلم ينتفعوا به فكذلك نفقاتهم ذاهبة لا ينتفعون بها (وَمَا ظَلَمَهُمُ اللهُ) بضياع نفقاتهم (وَلَٰكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) بالكفر الموجب لضياعها (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً) أصفياء تطلعونهم على سركم (مِنْ دُونِكُمْ) أى غيركم من اليهود والنصارى والمنافقين (لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا) نصب بنزع الخافض ، أى لا يقصرون لكم فى الفساد (وَدُّوا) تمنوا (مَا عَنِتُّمْ) أى عنتكم وهو شدة الضرر (قَدْ بَدَتِ) ظهرت (الْبَغْضَاءُ) العداوة لكم (مِنْ أَفْوَاهِهِمْ) بالوقيعة فيكم و إطلاع المشركين على سركم (وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ) من العداوة (أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ) على عداوتهم (إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ) ذلك ، فلا

(قوله فى عداوة النبى) أى فى مثل حربه وقوله أو صدقة أى على فقرائهم أو فقراء المسلمين (قوله ونحوها) أى كصلة الرحم ومواساة الفقراء (قوله كمثل ريح) أى كمثل مهلك ريح فالكلام على حذف مضاف (قوله حر) أى ويسمى بالسموم وقوله أو برد شديد أى ويسمى بالزمهرير (قوله أصابت) أى تلك الريح (قوله أى زرع) سماه حرثا لأنه يحرث (قوله قوم ظلموا أنفسهم) هذا وصف المشبه به (قوله ولكن أنفسهم يظلمون) هذا فى جانب المشبه فلا تكرار (قوله ياأيها الذين آمنوا) نزلت فى قوم من المؤمنين كان لهم أقارب من المنافقين والكفار وكانوا يواصلونهم (قوله أصفياء) أشار بذلك إلى أن فى الكلام استعارة حيث شبه الأصفياء ببطانة الثوب الملتصقة به واستعير اسم المشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية والجامع شدة الالتصاق على حد: الناس دثار والأنصار شعار (قوله أى لايقصرون فى الفساد) أى فليس عندهم تقصير فى ذلك بل هو شأنهم (قوله ماعنتم) مامصدرية تسبك بمصدر أى ودوا عنتكم بمعنى تعبكم ومشقتكم (قوله بالوقيعة فيكم) أى فى أعراضكم بالغيبة وغيرها

فلا توالوهم (هَا) للتنبيه (أَنْتُمْ) يا (أُولَاءِ) المؤمنين (تُحِبُّونَهُمْ) لقرابتهم منكم وصداقتهم (وَلَا يُحِبُّونَكُمْ) لمخالفتهم لكم فى الدين (وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ) أى بالكتب كلها ولا يؤمنون بكتابكم (وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ) أطراف الأصابع (مِنَ الْغَيْظِ) شدة الغضب لما يرون من ائتلافكم، ويعبر عن شدة الغضب بعض الأنامل مجازا وإن لم يكن ثم عض (قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ) أى ابقوا عليه إلى الموت فلن تروا مايسركم (إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) بما فى القلوب ومنه مايضمره هؤلاء (إِنْ تَمْسَسْكُمْ) تصبكم (حَسَنَةٌ) نعمة كنصر وغنيمة (تَسُؤْهُمْ) تحزنهم (وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ) كهزيمة وجدب (يَفْرَحُوا بِهَا) وجملة الشرط متصلة بالشرط قبل وما بينهما اعتراض، والمعنى أنهم متناهون فى عداوتكم فلم توالونهم فاجتنبوهم (وَإِنْ تَصْبِرُوا) على أذاهم (وَتَتَّقُوا) الله فى موالاتهم وغيرها (لَا يَضُرُّكُمْ) بكسر الضاد وسكون الراء وضمها وتشديدها (كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ) بالياء والتاء (مُحِيطٌ) عالم فيجازيهم به (وَ) اذكر يامحمد (إِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ) من المدينة (تُبَوِّئُ) تنزل (الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ) مراكز يقفون فيها (لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ) لأقوالكم (عَلِيمٌ) بأحوالكم، وهو يوم أحد خرج النبى صلى الله عليه وسلم بألف أو إلا خمسين رجلا والمشركون ثلاثة آلاف ونزل بالشعب يوم السبت سابع شوال سنة ثلاث من الهجرة وجعل ظهره

(قوله فلا توالوهم) أشار بذلك إلى أن جواب الشرط محذوف (قوله بالكتاب) أى جنسه، وقوله ـ ولا يؤمنون بكتابكم ـ أى القرآن (قوله وإذا خلوا) أى خلا بعضهم ببعض (قوله عليكم) أى من أجلكم (قوله قل موتوا بغيظكم) أى مصاحبين له وهو دعاء عليهم بذلك (قوله وجدب) هو ضد الخصب (قوله وجملة الشرط) أى وهى إن تمسسكم الخ، وقوله بالشرط وهو قوله ـ وإذا لقوكم ـ وقوله ـ وما بينهما ـ أى وهو قوله ـ قل موتوا ـ الآية (قوله بكسر الضاد) أى فهما قراءتان سبعيتان: الأولى من ضار يضير، والثانية من ضر يضر والفعل من كليهما مجزوم جوابا للشرط وجزمه على الأولى ظاهر وعلى الثانية بسكون مقدر على آخره منع من ظهوره اشتغال المحل بحركة الاتباع (قوله كيدهم) الكيد احتيال الشخص ليوقع غيره فى مكروه (قوله بالياء) أى وقد اتفق عليها العشرة، وقوله والتاء: أى وهى شاذة فكان على المفسر أن ينبه على شذوذها كأن يقول وقرئ بالتاء كما هو عادته (قوله وإذ غدوت) جمهور المفسرين على أن هذه الآية متعلقة بغزوة أحد، وقيل بغزوة بدر وقيل بغزوة الأحزاب والصحيح الأول ولذا مشى المفسر عليه (قوله من أهلك) أى من بيت أهلك وهى زوجته عائشة وكان قدوم جيش الكفار يوم الأربعاء رابع شوال وأميرهم إذذاك أبوسفيان فجمع صلى الله عليه وسلم الأنصار والمهاجرين وشاورهم فى الخروج لهم أو المكث فى المدينة ينتظرونهم فأشار عبدالله ابن أبى ابن سلول رئيس المنافقين هو وجماعة من الأنصار بعدم الخروج فإن أبوا قاتلهم الرجال والنساء وأشار جماعة بالخروج فدخل صلى الله عليه وسلم منزله ولبس لامته وخرج فقال هلموا إلى الخروج، فقالوا يارسول الله مثلنا رأى مثلك، فقال مامن نبى يلبس لامته ويرجع حتى يحكم الله له بين عدوه، وكان قد رأى فى المنام بقرا ودرعا حصينا وضع يده فيه وثلما فى ذبابة سيفه، فقالوا ما أولته؟ فقال أما البقر فخير، وأما الدرع الحصين فهى المدينة، وأما الثلم فى السيف فهزيمة، فخرج صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه بعد صلاة الجمعة، فلما أصبحوا جعل الجيش خمسة أقسام جناحان ومقدم وساقة ووسط وأنزل كلا فى منزلته وأمرهم أن يثبتوا مكانهم ولايتحولوا وأخبرهم أنه بمجرد ملاقاة الصفوف تحصل الهزيمة للكفار، فلما التقى الصفان ولى عبدالله بن أبى ابن سلول هو وجماعته الثلثمائة، وقالوا لونعلم قتالا لاتبعناكم ولم يبق إلا ستمائة وخمسون فهزم الصحابة الكفار أولا واشتغلوا بالغنيمة فنزع الله من قلوب الكفار الرعب فكروا عليهم مرة واحدة ففر المسلمون ما عدا النبى و بعض الصحابة فبعد ذلك اجتمع المسلمون للقتال فقتل من كل سبعون وكانت العزة لله ورسوله (قوله وهو يوم أحد) أى وهو قول جمهور المفسرين وهو المعتمد (قوله أو إلا خمسين) أى فهما قولان (قوله سابع شوال) وقيل كان فى نصفه فيكون قدوم الكفار يوم اثنى عشر منه.

وعسكره إلى أحد وسوّى صفوفهم وأجلس جيشاً من الرماة وأمّر عليهم عبد الله بن جبير بسفح الجبل وقال انضحوا عنا بالنبل لايأتونا من ورائنا ولا تبرحوا : غلبنا أو نصرنا (إذْ) بدل من إذ قبله (هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ) بنو سلمة و بنو حارثة جناحا العسكر (أَنْ تَفْشَلَا) تجبنا عن القتال وترجعا لما رجع عبد الله بن أبيّ المنافق وأصحابه وقال علام نقتل أنفسنا وأولادنا؟ وقال لأبي جابر السلمى القائل له: أنشدكم الله فى نبيكم وأنفسكم لو نعلم قتالا لاتبعناكم فثبتهما الله ولم ينصرفا (وَاللهُ وَلِيُّهُمَا) ناصرهما (وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) ليثقوا به دون غيره . ونزل لما هزموا تذكيراً لهم بنعمة الله (وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ) موضع بين مكة والمدينة (وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ) بقلة العدد والسلاح (فَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) نعمه (إذْ) ظرف لنصركم (تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ) توعدهم تطميناً (أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ) يعينكم (رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ) بالتخفيف والتشديد (بَلَى) يكفيكم ذلك وفى الأنفال بألف لأنه أمدهم أولاً بها ثم صارت ثلاثة ثم صارت خمسة كما قال تعالى (إِنْ تَصْبِرُوا) على لقاء العدو (وَتَتَّقُوا) الله فى المخالفة (وَيَأْتُوكُمْ) أى المشركون ، (من

(قوله وعسكره) بالجر معطوف على الضمير المجرور فى ظهره : أى وجعل ظهرعسكره (قوله وأجلس جيشا من الرماة) أى وهم المسمون بالساقة (قوله وقال انضحوا) أى فرقوا من النضح وهو الرش ، والمعنى فرقوا الأعداء عنا بالنبل (قوله ولا تبرحوا) هذا فى الحقيقة خطاب وأمر للجميع (قوله همت طائفتان) أى أرادت ولما كان الهمّ بالمعصية لا يكتب مدحهم الله بقوله: والله وليها ، وأما بالطاعة فيكتب ، وأما العزم فيكتب خيرا أوشرا وما دون ذلك من مراتب القصد لا يكتب أصلا لاخيرا ولا شرا .

قال بعضهم :

مراتب القصد خمس هاجس ذكروا ... فخاطر فحديث النفس فاستمعا
يليه همّ فعزم كلها رفعت ... سوى الأخير ففيه الأخذ قد وقعا

(قوله بنو سلمة) أى وهم من الخزرج ، وقوله و بنو حارثة : أى وهم من الأوس (قوله وأصحابه) أى وكانوا ثلثمائة (قوله علام نقتل أنفسنا وأولادنا) أى لأى شئ نقتل (قوله وقال) أى عبدالله بن أبى ومقول القول قوله لونعلم قتالا الخ (قوله القائل له) صفة لأبى جابر (قوله أنشدكم الله) أى أحلفكم بالله ، وقوله فى نبيكم وأنفسكم : أى فى حفظهما (قوله فثبتهما الله) أى الطائفتين بعد أن حصلت لهما التفرقة أوّلا ، وشج وجه رسول الله وكسرت رباعيته وضرب نيفا وسبعين ضربة مابين سهم وسيف وطلحة بن عبد الله أحد العشرة يلقاها عن رسول الله وحينئذ نادى إبليس والمنافقون فى الناس أن محمدا قد مات وكان صلى الله عليه وسلم فى محل منخفض فأراد الصعود ليراه المسلمون فلم ينهض فحمله طلحة على ظهره وقد كان على المصطفى درعان فلما رآه المسلمون فرحوا وصاروا يأتون إليه من كل فج كالناقة الغائب عنها ولدها إذا رأته فحصل الثبات والنصر وباتت الهزيمة على الكفار (قوله ناصرهما) أى ولم يؤاخذهما بذلك الهمّ (قوله ولقد نصركم) هذا الكلام تسلية للنبي وأصحابه فيما وقع لهم فى غزوة أحد ، يعنى أنه سبق لكم النصر فلا تحزنوا بحصول تلك الشدة وحكمتها تمييز المنافق من المؤمن لاالهزيمة كما قال تعالى ـ وما أصابكم يوم التقى الجمعان الآية ـ (قوله موضع بين مكة والمدينة) أى سميت الوقعة باسم الموضع ، وقيل إن بدرا اسم بئر حفرها رجل يقال له بدر فسمى المكان باسم ذلك الرجل (قوله بقلة العدد والسلاح) أى فلم يكن معهم إلاثلاثة أفراس وثلاثة سيوف وكان عدتهم ثلثمائة وثلاثة عشر وعدة الكفار نحو ألف (قوله لعلكم تشكرون نعمه) أى حيث نصركم مع كونكم أذلة فظفروا بهم وأخذوا شجعانهم مابين قتيل وأسير (قوله إذ تقول للمؤمنين) سبب هذا القول أنه لما تلاقى الصفان جاء للصحابة خبر بأن كرز بن جابر يمدّ الكفار و يعينهم فحزنت الصحابة حزنا شديدا فأنزل الله تلك الآية (قوله ألن يكفيكم) الاستفهام إنكارى نظير: ألست بربكم (قوله يعينكم) أى يزيدكم (قوله بثلاثة آلاف من الملائكة) إن قلت ما الحاجة إلى ذلك العدد الكثير فان جبريل وحده أو أى ملك كاف فى قتال الكفار . أجيب بأن ذلك ينسب النصر لرسول الله والمؤمنين لقوله تعالى ـ قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ـ فلو أهلكوا بشئ مما هلك به الأمم السابقة لم يكن فى ذلك مزيد فخر للمؤمنين ولاشفاء لغيظهم لكونه خارجا عن اختيارهم (قوله بلى) حرف جواب : أى وهو إيجاب للنفى فى قوله تعالى ـ ألن يكفيكم ـ وأما جواب الشرط فهو قوله يمددكم (قوله لأنه أمدّهم أوّلا بها) هـذا إشارة لوجه الجمع بين

ماهنا و بين ما يأتى (قوله من فورهم) يطلق الفور على قوة الغليان يقال فار القدر: غلا و يطلق على الوقت الحاضر وهو المراد هنا (قوله بكسر الواو) أى اسم فاعل، والمعنى معلمين أنفسهم آداب الحرب، وقوله وفتحها: أى اسم مفعول بمعنى أن الله علمهم آدابه (قوله وأنجز الله وعدهم) أى فكما حصل للمؤمنين ضعف زادهم الله من الملائكة (قوله على خيل بلق) أى وجوهها وأيديها وأرجلها بيض، وقوله وعليهم عمائم صفر أو بيض: أى فيهما روايتان، وجمع بأن جبريل كانت عمامته صفراء و باقيهم بيض (قوله أرسلوها) أى طرفها، وورد عن علىّ أنه قال: كنت فى قليب بدر فاشتدت ريح عظيمة فرأيت جبريل نزل بألفين من الملائكة فسار أمام المصطفى، ثم اشتدت ريح فرأيت إسرافيل نزل بألفين من الملائكة فسار على يمينه، ثم اشتدت ريح فرأيت ميكائيل نزل بألف فسار على يساره. واعلم أن قتال الملائكة من خصائص هذه الأمة وليس مخصوصا بواقعة بدر بل ورد أن جبريل وميكائيل قاتلا مع النبى فى أحد حين فرت أصحابه (قوله أى الامداد) أى المفهوم من قوله يمددكم (قوله إلا بشرى) البشارة هى الخبر السارّ ولا تطلق على الضدّ إلا مقيدة كقوله تعالى ــ فبشرهم بعذاب أليم ــ (قوله ولتطمئن) معطوف على بشرى الواقع مفعولا لأجله وجرّ باللام لعدم استيفائه شروط المفعول من أجله فان فاعل الجعل الله وفاعل الطمأنينة القلوب فلم يتحدا فى الفاعل وشرطه الاتحاد (قوله فلا تجزع من كثرة العدوّ) ورد أن

الملائكة كانت تقاتل وتقول للمؤمنين اثبتوا فان عدوكم قليل والله معكم (قوله وليس بكثرة الجند) أى فلا تتوهموا أن النصر بكثرة العدد (قوله متعلق بنصركم) أى المتقدم فى قوله ــ ولقد نصركم الله ببدر ــ (قوله أى ليهلك) إنما فسره بذلك لأن القطع يأتى لمعان منها التفريق كقوله تعالى ــ وقطعناهم فى الأرض أمما ــ وليس مرادا هنا، ومنها الهلاك وهو المراد (قوله بالقتل) أى وكانوا سبعين، وقوله والاسر: أى وكانوا كذلك (قوله أو يكبتهم) الكبت بمعنى الكبد فتاؤه مبدلة من الدال وهو الغيظ الذى يحرق الكبد (قوله لم ينالوا ما راموا) أن ما قصدوه (قوله لما كسرت رباعيته) أى السنة التى بين الثنايا والناب، وقوله وشج وجهه: أى غاصت فيه حلقة المغفر (قوله يوم أحد) أى وقيل نزلت فى أهل بئر معونة وهم سبعون رجلا من القراء بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بئر معونة وهى بين مكة وعسفان ليعلموا الناس القرآن والعلم وأمّر عليهم المنذر بن عمرو، وكان ذلك فى صفر سنة أربع من الهجرة، فخانهم عامر بن الطفيل وقتلهم عن آخرهم فاشتد غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلاه الله بذلك (قوله وقال كيف يفلح قوم الخ) أى وقد عزم على أن يدعو عليهم كذا قيل والأقرب أن مقالة النبى حزنا على عدم إيمانهم فان قصد النبى هداهم وحيث وقع منهم ذلك الفعل فهو دليل على عدم إيمانهم فيفوت مقصد النبى فسلاه الله بالآية كما سلاه بقوله ــ فلعلك باخع نفسك على آثارهم ــ و بقوله ــ إنك لا تهدى من أحببت ــ (قوله ليس لك من الأمر شىء) أى لا تملك لهم نفعا فتصلحهم ولا ضرا فتهلكهم فنفى ذلك من حيث الايجاد والإعدام، وأما من حيث الدلالة والشفاعة فهو الدليل الشفيع المشفع جعل الله مفاتيح خزائنه بيده، فمن زعم أن النبى كآحاد الناس لا يملك شيئا أصلا ولا ينفع به لا ظاهرا ولا باطنا فهو كافر خاسر الدنيا والآخرة واستدلاله بهذه الآية ضلال مبين (قوله فإنهم ظالمون) علة لقوله أو يعذبهم (قوله ولله ما فى السموات وما فى الأرض) هذا كالدليل لما قبله.

(مِنْ فَوْرِهِمْ) وقتهم (هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ) بكسر الواو وفتحها أى معلمين، وقد صبروا وأنجز الله وعدهم بأن قاتلت معهم الملائكة على خيل بلق عليهم عمائم صفر أو بيض أرسلوها بين أكتافهم (وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ) أى الامداد (إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ) بالنصر (وَلِتَطْمَئِنَّ) تسكن (قُلُوبُكُمْ بِهِ) فلا تجزع من كثرة العدو وقلتكم (وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ) يؤتيه من يشاء وليس بكثرة الجند (لِيَقْطَعَ) متعلق بنصركم، أى ليهلك (طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا) بالقتل والأسر (أَوْ يَكْبِتَهُمْ) يذلهم بالهزيمة (فَيَنْقَلِبُوا) يرجعوا (خَائِبِينَ) لم ينالوا ما راموه. ونزل لما كسرت رباعيته صلى الله عليه وسلم وشج وجهه يوم أحد وقال: كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم (لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ) بل الأمر لله فاصبر (أَوْ) بمعنى إلى أن (يَتُوبَ عَلَيْهِمْ) بالإسلام (أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ) بالكفر (وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) ملكا وخلقا وعبيدا (يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ) المغفرة له (وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ) تعذيبه (وَاللَّهُ غَفُورٌ) لأوليائه (رَحِيمٌ) بأهل طاعته،

(قوله يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا) سبب نزول هذه الآية أن الرجل كان فى الجاهلية إذا كان له دين على آخر وحلّ الأجل ولم يقدر الغريم على وفائه قال له صاحب الدين زدنى فى الدين وأزيدك فى الأجل فكانوا يفعلون ذلك مرارا فربما زاد الدين زيادة عظيمة (قوله وتؤخروا الطلب) أى فى نظير تلك الزيادة والواجب إنظار المعسر من غير شئ والتشديد على الموسر المماطل (قوله بتركه) أى الربا وكذا كل مانهى الله عنه (قوله أن تعذبوا بها) أشار بذلك إلى أن فى الكلام حذف مضاف أى اتقوا تعذيب النار أى اجعلوا بينكم و بينه وقاية (قوله وسارعوا) أى بادروا (قوله بواو ودونها) أى فهما قراءتان سبعيتان فعلى الواو تكون الجملة معطوفة على جملة واتقوا النار وعلى عدمها تكون الجملة استئنافية كأن قائلا قال وما كيفية تقوى النار و بأىّ شئ يكون تقواها فأجاب بقوله سارعوا الخ. إن قلت إنّ ماخالف الرسم العثمانى شاذ فمقتضاه أنّ أحد القراءتين مخالف للرسم. أجيب بأن المصاحف العثمانية تعدّدت فبعضها بالواو و بعضها بدونها ولا يرد هذا الاشكال إلا لو كان واحدا (قوله إلى مغفرة) أى إلى أسبابها وهو الانهماك فى الطاعات والبعد عن المعاصى (قوله وجنة) عطفها على المغفرة من عطف المسبب على السبب ومرادنا بالسبب الظاهرى و إلا فالسبب الحقيقى هو فضل الله (قوله كعرضهما) أشار بذلك إلى أن فى الكلام حذف مضاف وأداة التشبيه وقد صرّح بهما فى سورة الحديد قال تعالى ـ سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض ـ واختلف هل هذا التشبيه حقيقى والمعنى لو بسطت السموات كل واحدة بجانب الأخرى وكذلك الأرض لكان ماذكر مماثلا لعرض الجنة، وأما طولها فلا يعلمه إلا الله، وإنما لم يقل طولها لأنه يلزم من سعة الطول سعة العرض بخلاف العكس وهذا تفسير ابن عباس، أو مجازى وهو كناية عن عظم سعتها و إلا فالسموات والأرض لو اتصلت بعضها ببعض كان ماذكر أقل مما يعطاه أبو بكر الصدّيق فضلا عن غيره لما ورد أن جبريل يسير بأجنحته الستمائة فى ملكه شهرا إذا علمت ذلك فالمناسب للمفسر أن يقول أو العرض السعة ليفيد أنه تفسير آخر (قوله أعدّت للمتقين) أى هيئت وأحضرت وقدم هذا الوصف لأنه مستلزم لجميع الأوصاف والمتقين جمع متق وهو المنهمك فى الطاعات المجتنب المعاصى (قوله اليسر والعسر) أى الرخاء والشدة وذلك لثقته بربه واعتماده عليه فينفق فى كل زمن على حسب حاله فيه قليلا أو كثيرا ولا يستخف بالصدقة ففى الحديث « اتقوا النار ولو بشقّ تمرة » وفى رواية « ولو بظلف محرق » (قوله والكاظمين الغيظ) أى وهو نار تحلّ فى القلب تظهر آثارها على الجوارح (قوله الكافين عن إمضائه مع القدرة) أى الكاظمين الغضب مع القدرة على العمل بمقتضاه بظواهرهم و بواطنهم وكظم الغيظ من أعظم العبادة، ورد « من كظم غيظا وهو يقدر على إنفاذه ملأه الله أمنا و إيمانا ». إن قلت ورد عن الشافعى أنه قال من استغضب ولم يغضب فهو حمار، فمقتضاه أنه مذموم ومقتضى الآية أنه من المتقين. أجيب بأن كلام الشافعى يحمل على إذا مارأى حرمات الله تفعل ولم ينه عنها ولم يغضب لأجلها. وقد اتفق للامام الحسن زمن خلافته وكان حليما جدا أن رجلا قدم عليه ليمتحنه فصار يسبه و يتكلم فيه وهو يتبسم فقال له الرجل إن شتمتنى واحدة شتمتك مائة فقال له الحسن إن شتمتنى مائة ماشتمتك واحدة فوقع على قدمه وقبلها وقال أشهد أنك على خلق رسول الله (قوله والعافين عن الناس) عطف على الكاظمين من عطف العام على الخاص لأن العفو أعمّ من أن يكون معه كظم غيظ أولا كما إذا سبه وهو غائب فبلغه ذلك فعفا عنه من غير أن يستفزه الغضب. واتفق للامام زين العابدين أن جاريته كانت تصبّ عليه ماء الوضوء فسقط الابريق على رأسه فشجّ وجهه فرفع بصره لها فقالت له والكاظمين الغيظ فقال كظمت غيظى فقالت والعافين عن الناس فقال عفوت عنك فقالت والله يحب المحسنين

(يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَوٰا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً) بألف ودونها بأن تزيدوا فى المال عند حلول الأجل وتؤخروا الطلب (وَاتَّقُوا اللهَ) بتركه (لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) تفوزون (وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ) أن تعذبوا بها (وَأَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ . وَسَارِعُوا) بواو ودونها (إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَٰوَاتُ وَالْأَرْضُ) أى كعرضهما لو وصلت إحداهما بالأخرى والعرض السعة (أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ) الله بعمل الطاعات وترك المعاصى (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ) فى طاعة الله (فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ) اليسر والعسر (وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ) الكافين عن إمضائه مع القدرة (وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ) ممن ظلمهم، أى التاركين عقوبتهم (وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) بهذه الأفعال، أى يثيبهم.

(وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً) ذنباً قبيحا كالزنا (أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ) بما دونه كالقبلة (ذَكَرُوا اللَّهَ) أى وعيده (فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ) أى لا (يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا) يديموا (عَلَى مَا فَعَلُوا) بل أقلعوا عنه (وَهُمْ يَعْلَمُونَ) أن الذى أتوه معصية (أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا) حال مقدرة أى مقدرين الخلود فيها إذا دخلوها (وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ) بالطاعة هذا الأجر . ونزل فى هزيمة أحد (قَدْ خَلَتْ) مضت (مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ) طرائق فى الكفار بإمهالهم ثم أخذهم (فَسِيرُوا) أيها المؤمنون (فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ) الرسل ، أى آخر أمرهم من الهلاك فلا تحزنوا لغلبتهم فإنما أمهلهم لوقتهم (هَٰذَا) القرآن (بَيَانٌ لِلنَّاسِ) كلهم (وَهُدًى) من الضلالة (وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ) منهم (وَلَا تَهِنُوا) تضعفوا عن قتال الكفار (وَلَا تَحْزَنُوا) على ما أصابكم بأحد ،

فقال أنت حرة لوجه الله (قوله والذين إذا فعلوا) شروع فى ذكر التوابين بعد أن ذكر المطهرين و بقى قسم ثالث وهم الذين أصروا على المعاصى وماتوا من غير توبة فأمرهم مفوض لله إما أن يدخلهم الجنة من غير سابقة عذاب أو يعذبهم بقدر الجرم ثم يدخلهم الجنة خلافا للمعتزلة حيث منعوا غفران الذنوب لهم (قوله والذين) مبتدأ أول وأولئك مبتدأ ثان وجزاؤهم مبتدأ ثالث ، وقوله مغفرة خبر الثالث وهو وخبره خبر الثانى وهو وخبره خبر الأول ، وقوله كالزنا أى وغيره من الكبائر (قوله ذنبا قبيحا) أى كبيرا وقوله بما دونه أى كالصغائر وهذه الآية نزلت فى حق رجل تمار مرت عليه امرأة وأرادت أن تشترى منه تمرا فأعجبته فقال لها إن التمر الجيد داخل الحانوت فدخل معها الحانوت وفعل معها ماعدا الايلاج وأعطاها التمر فتذكر هيبة الله وعقابه فجاء لرسول الله يبكى فنزلت الآية (قوله أى وعيده) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله فاستغفروا لذنوبهم) أى أقلعوا عنها وتابوا (قوله ومن يغفر الذنوب إلا الله) جملة معترضة بين الحال وصاحبها قصد بها التعليل (قوله ولم يصروا) جملة حالية من الواو فى استغفروا (قوله وهم يعلمون) جملة حالية أيضا وقوله أن الذى أتوه معصية إشارة لمفعول يعلمون والمعنى وليسوا ممن يصرون على الذنوب وهم عالمون بقبحها والنهى عنها والوعيد عليها لأنه قد يقدم على الذنب من لايعلم أنه ذنب ولايؤاخذ بذلك كالمجتهدين من الصحابة فى قتال بعضهم ولذلك كان الواحد منهم إذا ظهر له الخطأ أقلع فى الحال (قوله تجرى من تحتها الأنهار) المعنى أن القصور والأشجار مشرفة على الأنهار (قوله ونعم أجر العاملين) نعم فعل ماض وأجر فاعل والمخصوص بالمدح محذوف قدره المفسر بقوله هذا الأجر الذى هو المغفرة أو الجنة (قوله ونزل فى هزيمة أحد) أى تسلية للنبى وأصحابه على ما أصابهم من الحزن الذى وقع لهم فى تلك الغزوة فكأن الله يقول لهم لا تحزنوا فان هذه سنن من قبلكم العبرة بالخواتم وقد تم النصر لكم على أعدائكم (قوله قد خلت) من الخلو بمعنى المضى (قوله فى الكفار) أى كعاد مع هود وكثمود مع صالح وكقوم نوح معه وكقوم لوط معه وكالنمروذ مع إبراهيم وكفرعون مع موسى فان الله أمهل هؤلاء ثم أخذهم أخذ عزيز مقتدر فكذلك هؤلاء قال تعالى ـ وأملى لهم إن كيدى متين ـ وقال عليه الصلاة والسلام « إن الله ليملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته » (قوله بإمهالهم) أى على سبيل الاستدراج والمعنى فلا تحزنوا مما وقع لكم فان الله يمهل ولا يهمل (قوله فسيروا) إنما قرن الفعل بالفاء لما فى الجملة الأولى من معنى الشرط كأن الله يقول إن كنتم فى شك مما ذكرته لكم فسيروا فى الأرض لتروا آثارهم (قوله أى آخر أمرهم) أى وهو الهلاك الأخروى بإخبار الله ورسله والدنيوى بالمشاهدة (قوله فإنما أمهلهم لوقتهم) أى المقدر لهم ولايعجل بالعقوبة إلا من يخاف الفوات (قوله بيان) إما باق على مصدريته مبالغة أو بمعنى مبين أو ذو بيان على حد زيد عدل ولذلك يسمى القرآن أيضا فرقانا لأنه يفرق بين الحق والباطل (قوله كلهم) أى مسلمين أو كفارا وإنما كان بيانا للجميع لاقامة الحجة على الكافر يوم القيامة وتعذيبه (قوله وهدى من الضلالة) أى هاد من الكفر أو المعصية (قوله للمتقين) راجع لقوله وهدى وموعظة وخصهم لأنهم هم المنتفعون بذلك قال تعالى ـ إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب ـ (قوله ولا تهنوا) هذا من جملة التسلية للنبى وأصحابه وأصله توهنوا حذفت الواو لوقوعها بين عدوتيها . وسبب ذلك أنه لما حصلت التفرقة لأصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يوم أحد وقتل منهم سبعون وجرح منهم ناس كثير وقتل من الكفار نيف وعشرون وجرح منهم ناس كثيرون ،

قال أبو سفيان رئيس الكفار مناديا للنبيّ وأصحابه أفى القوم محمد ثلاث مرات ؟ فنهى النبيّ القوم أن يجيبوه فقال أفى القوم ابن أبي قحافة ثلاث مرات ثم قال أفى القوم عمر بن الخطاب ثلاث مرات ثم رجع إلى أصحابه فقال أما هؤلاء فقد قتلوا فما ملك عمر نفسه فقال كذبت والله ياعدوّ الله إن الذين عددت أحياء كلهم وقد بقى لك مايسوءك ثم أخذ أبوسفيان يرتجز بقوله : اعل هبل اعل هبل ، فقال عليه الصلاة والسلام ألاتجيبوه قولوا : الله أعلى وأجلّ ، قال أبوسفيان : إن لنا عزى ولاعزى لكم . فقال عليه الصلاة والسلام : قولوا الله مولانا ولامولى لكم . وفى رواية قال أبوسفيان يوم بيوم و إن الأيام دول والحرب سجال فقال عمر لاسواء قتلانا فى الجنة وقتلاكم فى النار ، ثم أمر النبى أصحابه جميعا بالاقبال على قتال الكفار ثانيا فصار الجريح منهم يزحف على الركب ووقع الحرب بينهم و باتت الهزيمة على الكفار فنزلت الآية تسلية للنبيّ وأصحابه (قوله وأنتم الأعلون) أصله الأعلوون استثقلت الضمة على الواو فحذفت ثم تحركت الواو وانفتح ماقبلها قلبت ألفا فالتقى ساكنان حذفت الألف لالتقائهما و بقيت الفتحة لتدل عليها (قوله مجموع ماقبله) أى وهوقوله : ولاتهنوا ولاتحزنوا (قوله بفتح القاف وضمها) أى فهما قراءتان سبعيتان وجواب الشرط محذوف تقديره فلاتحزنوا وقوله فقد مسّ القوم الخ مفرع عليه (قوله ببدر) أى فكانت الغلبة فيه للمؤمنين من أوله إلى آخره وقال بعضهم بل فى أحد أيضا لأن الغلبة آخرا كانت للمؤمنين . وأما غزوة بدر فكانت للمؤمنين خاصة (قوله نداولها) المداولة نقل الشيء من واحد لآخر ، والمعنى إنما جعلنا الأيام دولا بين الناس يوما للكفار و يوما للمسلمين لتتعظوا وليعلم الله الخ (قوله علم ظهور) جواب عن سؤال مقدّر حاصله إن علم الله قديم لا يتجدّد فكيف ذلك . فأجاب بأن المراد ليظهر متعلق علمه بتمييز المؤمن من غيره ، والمعنى أن نصرة الكافر تارة ليست لمحبة الله بل ليتميز المؤمن من المنافق وليتخذ منكم شهداء و إلا فالله لايحب الكافرين (قوله أى يعاقبهم) تفسير لعدم محبة الله للظالمين

(وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ) بالغلبة عليهم (إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) حقاً وجوابه دل عليه مجموع ماقبله (إِنْ يَمْسَسْكُمْ) يصبكم بأحد (قَرْحٌ) بفتح القاف وضمها: جهد من جرح ونحوه (فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ) الكفار (قَرْحٌ مِثْلُهُ) ببدر (وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا) نصرفها (بَيْنَ النَّاسِ) يومًا لفرقة ويوما لأخرى ليتعظو (وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ) علم ظهور (الَّذِينَ آمَنُوا) أخلصوا فى إيمانهم من غيرهم (وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ) يكرمهم بالشهادة (وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ) الكافرين، أى يعاقبهم، ومابنعم به عليهم استدراج (وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا) يطهرهم من الذنوب بما يصيبهم (وَيَمْحَقَ) يهلك (الْكَافِرِينَ . أَمْ) بل أ (حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا) لم (يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ) علم ظهور (وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ) فى الشدائد (وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ) فيه حذف إحدى التاءين فى الأصل (الْمَوْتَ ،

(قوله ومابنعم به عليهم استدراج) جواب عن سؤال مقدّر تقديره إنا نرى الله ينصرهم تارة و ينعم عليهم بالدنيا من وزينتها . فأجاب بأنها نقم فى صورة نعم (قوله وليمحص الله الخ) هذه حكمة ثالثة ، والمعنى إنما جعلنا الغلبة أولا للكفار ليتميز المؤمن من الكافر ويتخذ منهم شهداء ويخلص المؤمنين من الذنوب ويأخذ الكفار شيئا فشيئا (قوله بما يصيبهم) أى بسبب مايصيبهم من الجهد والمشقة (قوله ويمحق الكافرين) أى يأخذهم ويهلكهم شيئا فشيئا لأن المحق الاهلاك شيئا فشيئا (قوله أم حسبتم) أم منقطعة فلذا فسرها ببل التى للاضراب الانتقالى والهمزة التى قدّرها المفسر للاستفهام الانكارى ، والمعنى لاتظنوا ياأيها المؤمنون أنكم تدخلون الجنة مع السابقين بمجرد الايمان من غير جهاد وصبر بل مع الجهاد والصبر وهو خطاب لأهل أحد حيث أمروا بالقتال مع كونهم جرحى وتشديد عليهم فى ذلك ، والمقصود من ذلك تعليم من يأتى بعدهم و إلا فهم قد جاهدوا فى الله حقّ جهاده وصبروا صبرا جميلا (قوله ولما يعلم الله) لما حرف نفى وجزم وقلب تفيد توقع الفعل فلذا عبر بها دون لم وقد حصل ذلك و يعلم مجزوم بلما وعلامة جزمه السكون وحرّك بالكسر تخلصا من التقاء الساكنين والله فاعل يعلم وذلك كناية عن عدم حصول الجهاد والصبر لأن ما لم يعلمه الله لم يكن حاصلا (قوله ويعلم الصابرين) هكذا بالنصب باتفاق القراء بأن مضمرة بعد واو المعية على حد لاتأكل السمك وتشرب اللبن (قوله فى الشدائد) أى البلايا كالأمراض والفقر والمحن فيكون عن الله راضيا فى السرّاء والضرّاء وقوله : الذين جاهدوا يدخل فيه جهاد النفس بمخالفة شهواتها لأن العبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب قال تعالى ـ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فانّ الجنة هى المأوى ـ (قوله فيه حذف إحدى التاءين) أى تخفيفا قال ابن مالك :

وماىتاءين ابتدى قد يقتصر ... فيه على تا كتبين العبر

(قوله من قبل أن تلقوه) يحتمل أن الضمير عائد على الموت بمعنى سببه وهو الحرب أو على العدوّ نفسه وهو و إن كان غير متقدّم الذكر لكنه معلوم من السياق (قوله مانال شهداؤه) أى من الأجر العظيم ففى الحديث « طلع الله على أهل بدر فقال اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم » (قوله أى سببه) و يحتمل أن الضمير عائد على العدوّ (قوله أى بصراء) أشار بذلك إلى أن نظر بصرية تنصب مفعولا واحدا قدّره بقوله الحال و يحتمل أنها علمية ومفعولاها محذوفان تقديرهما تعلمون إخوانكم مابين مقتول ومجروح (قوله ونزل فى هزيمتهم) أى فى أحد حين تفرّقوا (قوله لما أشيع) أى أشاع المنافقون (قوله أن النبيّ قتل) أى وكذا أبو بكر وعمر (قوله وما محمد إلا رسول) أى لاربّ معبود فالقصر قصر قلب ، والمقصود من ذلك الرد على المنافقين حيث قالوا لضعفاء المسلمين : إن كان محمد قتل فارجعوا إلى دينكم ودين آبائكم فأفاد أن محمدا عبد مرسل يجوز عليه الموت لاربّ معبود حتى تتركوا عبادة الله من أجل موته لأن المقصود من وجوده تبليغ رسالة ربه ولذلك نزل قرب وفاته ـ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا ـ ولكن يجب علينا تعظيمه واحترامه حيا وميتا واعتقاد أن معجزاته باقية واتباعه وطاعته قال تعالى ـ من يطع الرسول فقد أطاع الله ـ ولم يقل وهو حى وقال تعالى ـ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ـ ولم يقل لأصحابك وقال عليه الصلاة والسلام « حياتى خير لكم ومماتى خير لكم » فمن اعتقد أن النبيّ لا نفع به بعد الموت بل هو كآحاد الناس فهو الضالّ المضل (قوله أو قتل) أى فرضا (قوله رجعتم إلى الكفر) أشار بذلك إلى أن قوله انقلبتم على أعقابكم كناية عن الرجوع للكفر لا حقيقة الانقلاب على الأعقاب الذى هو السقوط إلى خلف وهذه الآية قالها أبو بكر الصدّيق يوم وفاته صلى الله عليه وسلم حين طاشت عقول الصحابة وارتد من ارتد حتى قال عمر : كل من قال إن محمدا قد مات رميت عنقه بسيفى فبلغ أبا بكر الخبر فدخل على النبىّ صلى الله عليه وسلم وكشف اللثام عن وجهه وقبله بين عينيه وقال طبت ياحبيبى حيا وميتا كنت أودّ لو افديك بنفسى ومالى ولكن قال الله إنك ميت وإنهم ميتون وخرج وجمع الصحابة وصعد المنبر وخطب خطبة عظيمة قال فيها: أيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حىّ لايموت وقد قال تعالى : وما محمد إلا رسول الآية فثبت الناس حتى قال عمر والله كأن هذه الآية لم أسمعها إلا من أبى بكر (قوله والجملة الأخيرة) أى التى هى قوله انقلبتم على أعقابكم (قوله وما كان لنفس أن تموت إلا باذن الله) هذا رد لمن يفر من القتال خوفا على نفسه من الموت (قوله لايتقدم ولايتأخر) أى لقوله تعالى : فاذا جاء أجلهم لايستأخرون ساعة ولايستقدمون (قوله ومن يرد ثواب الدنيا) أى يصرف نيته للدنيا وزخارفها تاركا الآخرة ومافيها (قوله ماقسم له) هذا هو مفعول نؤته الثانى والأول هو الهاء (قوله أى من ثوابها) أى وماقسم له من الدنيا يأتيه على كل حال فلافرق بين من يطلبها ومن لايطلبها فلاتجعل الدنيا أكبر همك ولا مبلغ علمك بل اجعل مطمح نظرك عبادة ربك قال تعالى : وماخلقت الجن والانس إلا ليعبدون وماقدّر لك فلابد من وصوله إليك طلبته أولا (قوله وكأين من نبيّ قتل) هذا من جملة التسلية لأهل أحد على ماأصابهم وفيه توبيخ لمن انهزم منهم وتحريض على القتال وأصل كأين أى الاستفهامية دخلت عليها كاف التشبيه فأكسبتها معنى كم الخبرية فلذا فسرها بها وكأين مبتدأ ومن نبى مميزها وجملة قتل خبرها ونائب فاعل قتل ضمير يعود على كأين المفسر بقوله من نبى وعلى القراءة الثانية يكون الضمير فاعل قاتل وقوله معه ربيون مبتدأ وخبر والجملة حالية . واستشكلت القراءة الأولى بأنه لم يرد أن نبيا قتل فى حال الجهاد بل ورد أن النبى بالجهاد عصم من القتل ومقتضى الآية وقوع ذلك . وأجيب بأن المعنى قتله قومه ظلما فى غير حرب ولكن الأحسن أن نائب الفاعل قوله ربيون ومعه ظرف متعلق بقتل فالقتل واقع

مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ) حيث قلتم: ليت لنا يوما كيوم بدر لننال ما نال شهداؤه (فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ) أى سببه وهو الحرب (وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ) أى بصراء تتأملون الحال كيف هى فلم انهزمتم . ونزل فى هزيمتهم لما أشيع أن النبى قتل وقال لهم المنافقون إن كان قتل فارجعوا إلى دينكم (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ) كغيره (انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ) رجعتم إلى الكفر والجملة الأخيرة محل الاستفهام الانكارى أى ما كان معبوداً فترجعوا (وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً) و إنما يضر نفسه (وَسَيَجْزِى اللهُ الشَّاكِرِينَ) نعمه بالثبات (وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ) بقضائه (كِتَاباً) مصدر، أى كتب الله ذلك (مُؤَجَّلاً) مؤقتا لايتقدم ولا يتأخر فلم انهزمتم والهزيمة لاتدفع الموت والثبات لايقطع الحياة (وَمَنْ يُرِدْ) بعمله (ثَوَابَ الدُّنْيَا) أى جزاءه منها (نُؤْتِهِ مِنْهَا) ما قسم له ولاحظّ له فى الآخرة (وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا) أى من ثوابها (وَسَنَجْزِى الشَّاكِرِينَ . وَكَأَيِّنْ) كم (مِنْ نَبِيٍّ قُتِلَ) وفى قراءة قاتل

الربيين لا للأنبياء وهو رد لقول الكفار لو كان نبيا ماقتلت أصحابه وهو بينهم وهذا الاعراب يجرى فى القراءة الثانية أيضا والضمير فى أصابهم يعود على الأمم ويتفرع على هذين الاعرابين صحة الوقف على قتل أوقاتل على الاعراب الأول دون الثانى (قوله والفاعل) أى حقيقة على القراءة الثانية أو حكما على القراءة الأولى (قوله ربيون) هذا بكسر الراء جمع ربى نسبة للرب على غير قياس ومعناه العالم الربانى أو منسوب للربة بالكسر بمعنى الجماعة وعليه مشى المفسر وقياس الأول فتح الراء وقد قرأ بها ابن عباس وقرئ بضم الراء بمعنى الجماعة الكثيرة أيضا والقراءتان شاذتان والمعنى لاتحزنوا على ماوقع لكم فكم من نبى قتل والحال أن معه أصحابه فلم يضعفوا الخ ورد أنه لما نزلت الآية أخذ النبى وأصحابه فى التوجه خلف الأعداء فساروا ثمانية أميال صحيحهم وجريحهم وباتت الهزيمة على الكفار (قوله فما وهنوا) هكذا بفتح الهاء وقرئ بسكون الهاء وكسرها (قوله وما استكانوا) قيل أصله استكنوا زيد فى الفتحة فصارت ألفا وقيل أصله استكونوا نقلت فتحة الواو إلى الساكن قبلها فتحركت الواو وانفتح ماقبلها قلبت ألفا (قوله وما كان قولهم) أى الربيين وهذا بيان لمحاسن أقوالهم بعد بيان محاسن أفعالهم (قوله عند قتل نبيهم) ظاهره حق فى جهاد الكفار وتقدم مافيه (قوله فآتاهم الله)

والفاعل ضميره (مَعَهُ) خبر مبتدؤه (رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ) جموع كثيرة (فَمَا وَهَنُوا) جبنوا (لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) من الجراح وقتل أنبيائهم وأصحابهم (وَمَا ضَعُفُوا) عن الجهاد (وَمَا اسْتَكَانُوا) خضعوا لعدوهم كما فعلتم حين قيل قتل النبى (وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ) على البلاء أى يثيبهم (وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ) عند قتل نبيهم مع ثباتهم وصبرهم (إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا) تجاوزنا الحد (فِي أَمْرِنَا) إيذانا بأن ما أصابهم لسوء فعلهم وهضما لأنفسهم (وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا) بالقوة على الجهاد (وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ. فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا) النصر والغنيمة (وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ) أى الجنة وحسنه التفضل فوق الاستحقاق (وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا) فيما يأمرونكم به (يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ) إلى الكفر (فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ. بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ) ناصركم (وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ) فأطيعوه دونهم (سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ) بسكون العين وضمها: الخوف وقد عزموا بعد ارتحالهم من أحد على العود واستئصال المسلمين فرعبوا ولم يرجعوا (بِمَا أَشْرَكُوا) بسبب إشراكهم (بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا) حجة على عبادته وهو الأصنام (وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى) مأوى (الظَّالِمِينَ) الكافرين هى (وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ) إياكم بالنصر (إِذْ تَحُسُّونَهُمْ) تقتلونهم (بِإِذْنِهِ) بإرادته (حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ)، جبنتم

أى بسبب دعائهم وحسن أفعالهم (قوله والغنيمة) إن قلت إنها لم تحل إلا لهذه الأمة المحمدية. أجيب بأن المراد بالغنيمة ملك أموال الكفار ورقابهم ولايلزم من الملك حل أكلها (قوله وحسنه التفضل فوق الاستحقاق) يعنى أن ثواب الآخرة هو الجنة وهو حسن وأحسن منه الزيادة لهم فوق مايستحقون (قوله يأيها الذين آمنوا) نزلت فى أهل أحد حين تفرقوا وصار عبد الله ابن سلول يقول لضعفائهم امضوا بنا إلى أبى سفيان لنأخذ لكم منه عهدا ألم أقل لكم إنه ليس بنبى (قوله الذين كفروا) أى كعبد الله ابن سلول وغيره من المنافقين (قوله فتنقلبوا خاسرين) أى للدنيا بالأسر والخزى والآخرة بالعذاب الدائم (قوله والله خير الناصرين) أفعل التفضيل ليس على بابه (قوله سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب) هذا وعد حسن من الله بنصر المسلمين وخذلان الكفار (قوله بسبب إشراكهم) أشار بذلك إلى أن الباء سببية وما مصدرية (قوله حجة) سماها سلطانا لقوتها ونفوذها (قوله وهو) أى مالم ينزل به سلطانا (قوله ومأواهم النار) هذا بيان لحالهم فى الآخرة بعد أن بين حالهم فى الدنيا وكل ذلك مسبب عن الاشراك بالله فهم فى الدنيا مرعوبون وفى الآخرة معذبون (قوله ولقد صدقكم الله وعده) سبب نزولها أن أصحاب رسول صلى الله عليه وسلم لما رجعوا إلى المدينة تذاكروا ما وقع فى تلك الغزوة حيث قالوا إن الله وعدنا بالنصر على لسان نبيه فلأى شئ غلبنا فنزلت الآية ردا عليهم (قوله وعده) مفعول ثان لصدق لأنه يتعدى لمفعولين الأول بنفسه والثانى إما كذلك كما هنا أو بحرف الجر وهو فى (قوله إذ تحسونهم) ظرف لقوله صدقكم وحس يطلق بمعنى علم ووجد وطلب وقتل وهو المراد هنا (قوله حتى إذا فشلتم) حتى ابتدائية بمعنى أن مابعدها مستأنف ويصح أن تكون غائية بمعنى إلى والمعنى

ولقد استمر معكم النصر إلى أن فشلتم وتنازعتم وعصيتم فتخلف وعده ومنعكم النصر و إذا على الأول ظرف لما يستقبل من الزمان وعصيتم معطوف على فشلتم وجواب إذا محذوف قدره المفسر بقوله منعكم نصره وقوله ثم صرفكم معطوف على ذلك المحذوف وقوله منكم من يريد الدنيا الخ معترض بين المعطوف والمعطوف عليه (قوله جبنتم عن القتال) أى بسبب الالتفات للغنيمة (قوله فتركتم المركز) أى الموضع الذى أقامكم فيه رسول الله فانه تقدم أنه قسم الجيش خمسة أقسام: ساقة ومقدم وجناحان وقلب وأمرهم بالثبات سواء حصل النصر أو الهزيمة فظهرت لهم أمارات النصر أولا فبعضهم ترك مركزه وذهب للغنيمة والبعض ثبت (قوله من بعد ما أراكم) تنازعه كل من فشلتم وتنازعتم وعصيتم فأعمل الأخير وأضمر فى الأولين وحذف (قوله ما تحبون) مفعول ثان لأرى والكاف مفعول أول (قوله من النصر) أى أولا فلما وقع الاختلاف تغير الحال (قوله دل عليه ماقبله) أى وهو قوله ولقد صدقكم الله وعده (قوله كعبد الله بن جبير) أى وكان أميرا على الرماة (قوله ولقد عفا عنكم) أى عن المؤمن منكم بعد توبته (قوله اذكروا) قدره اشارة إلى أن إذ ظرف لمحذوف ويصح أنه ظرف لقوله عصيتم التقدير عصيتم وقت بعدكم الخ (قوله إذ تصعدون) فعله رباعى بمعنى تبعدون وقرئ تصعدون من الثلاثى بمعنى تذهبون متفرقين فى البرية (قوله ولا تلوون) الجمهور على أنها بواوين وقرئ شذوذا بابدال الواو الأولى (١٧٣) همزة وأصلها تلويون بواوين

جبنتم عن القتال (وَتَنَازَعْتُمْ) اختلفتم (فِي الْأَمْرِ) أى أمر النبي بالمقام فى سفح الجبل للرمى فقال بعضكم نذهب فقد نصر أصحابنا و بعضكم لانخالف أمر النبي صلى الله عليه وسلم (وَعَصَيْتُمْ) أمره فتركتم المركز لطلب الغنيمة (مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ) الله (مَا تُحِبُّونَ) من النصر وجواب إذا دل عليه ماقبله أى منعكم نصره (مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا) فترك المركز للغنيمة (وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ) فثبت به حتى قتل كعبد الله بن جبير وأصحابه (ثُمَّ صَرَفَكُمْ) عطف على جواب إذا المقدر: ردكم بالهزيمة (عَنْهُمْ) أى الكفار (لِيَبْتَلِيَكُمْ) ليمتحنكم فيظهر المخلص من غيره (وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ) ما ارتكبتموه (وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ) بالعفو . اذكروا (إِذْ تُصْعِدُونَ) تبعدون فى الأرض هاربين (وَلَا تَلْوُونَ) تعرجون (عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ) أى من ورائكم يقول إلىّ عباد الله إلىّ عباد الله (فَأَثَابَكُمْ) فجازاكم (غَمًّا) بالهزيمة (بِغَمٍّ) بسبب غمكم للرسول بالمخالفة وقيل الباء بمعنى على ، أى مضاعفا على غم فوت الغنيمة (لِكَيْلَا) متعلق بعفا أو بأثابكم فلا زائدة (تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ) من الغنيمة (وَلَا مَا أَصَابَكُمْ) من القتل والهزيمة (وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ . ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً) أمنا (نُعَاسًا) بدل ،

بينهما ياء هى لام الكلمة فأعل بحذفها وقرأ الحسن شاذا بواو واحدة (قوله تعرجون) أى لاتقيمون مع أحد بل كل واحد ذاهب على حدة (قوله يدعوكم) أى يناديكم ولم يبق معه إلا اثنا عشر رجلا وقيل ثمانية عشر رجلا وقيل لم يبق معه إلا طلحة عن يساره وجبريل عن يمينه وجمع بين الأقوال بأن ذلك بحسب اختلاف الأوقات حين احتاطت به الكفار

(قوله أى من ورائكم) أشار بذلك إلى أن أخرى بمعنى آخر وفى بمعنى من ويصح أن يبقى الكلام على ماهو عليه ويكون المعنى والرسول يدعوكم فى ساقتكم وجماعتكم الأخرى (قوله يقول إلىّ عباد الله) تمامه: أنا رسول الله من يكر فله الجنة (قوله فجازاكم) أشار بذلك إلى أن المراد بالثواب مطلق المجازاة و إلا فالثواب هو ما يكون فى نظير الأعمال الصالحة وإنما سماه ثوابا لأن عاقبته محمودة (قوله أى مضاعفا) أى زائدا (قوله متعلق بعفا) أى وتكون لا أصلية والمعنى عفا عنكم ليذهب عنكم الحزن (قوله أو بأثابكم) أى فيكون المعنى أثابكم غما بغم لأجل حزنكم على فوات الغنيمة وعلى قتل أصحابكم فقوله فلا زائدة أى على هذا الثانى فقط (قوله والله خبير بما تعملون) أى فيعلم المخلص من غيره فان منهم من لزم رسول الله ولم ينتقل من موضعه أبدا وهو طلحة بن عبد الله ومنهم من ثبت لولا غلبة الكفار كبقية الاثنى عشر أو الثمانية عشر ومنهم من فر خوفا من القتل ومنهم من فر ابتداء لاظهار هزيمة المؤمنين وهؤلاء منافقون وقد ظهروا فى تلك الغزوة وافتضحوا ، وأما المؤمنون فقدتم لهم النصر وعفا الله عن مسيئهم (قوله ثم أنزل عليكم) ثم للترتيب بدليل تصريحه بالبعدية بعد ذلك بقوله من بعد الغم (قوله أمنا) أشار بذلك إلى أن الأمنة والأمن بمعنى واحد وهو الطمأنينة زال سبب الخوف أولا وقيل إن الأمن هو الطمأنينة مع زوال سبب الخوف والأمنة الطمأنينة مع وجود أسبابه (قوله بدل) أى بدل كل من كل وهو ظاهر لأن الأمنة هى النعاس بعينها وقيل بدل اشتمال لأن الأمنة لما اشتمال بالنعاس وهو له اشتمال بها لأنه لايحصل النعاس إلا للآمن

(قوله بالياء والتاء) أى فهما قراءتان سبعيتان فعلى الياء الضمير عائد على النعاس وعلى التاء الضمير عائد على الأمنة (قوله يميدون) أى يميلون وقوله تحت الحجف بفتحتين وتقديم الحاء جمع حجفة كقصبة وقصب اسم للترس والدرقة كما فى المصباح (قوله وتسقط السيوف منهم) أى المرة بعد المرة وكلما سقطت أخذوها (قوله وطائفة) أى من غيركم وهم المنافقون (قوله قد أهمتهم أنفسهم) أهم فعل ماض والتاء علامة التأنيث وأنفسهم فاعل والمعنى أنهم يحرصون على نجاة أنفسهم من الموت لاتشييدا للدين (قوله ظنا غير الظن الحق) أشار بذلك إلى أن قوله غير الحق صفة لموصوف محذوف مفعول ليظنون وقوله الحق صفة لمصدر محذوف مضاف لغير وقوله ظن الجاهلية صفة ثانية وهو منصوب بنزع الخافض والمعنى أن هذه الطائفة حملتهم أنفسهم على الهزيمة لنجاتها ومن أوصافهم أنهم يظنون فى ربهم ظنا باطلا مثل ظن الجاهلية بمعنى أهل الجهل والكفر حيث ظنوا أن النبى قتل وأن دينه قد بطل قال تعالى ـ وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين ـ وقال تعالى ـ ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون ـ فحسن الظن بالله من علامات الايمان قال تعالى فى الحديث القدسى «أنا عند ظن عبدى بى فليظن بى ماشاء» وبالجملة فمن أراد أن يعلم عاقبة أمره فلينظر إلى ظنه بربه (قوله يقولون) أى اعتراضا على رسول الله

(يَغْشَى) بالياء والتاء (طَائِفَةً مِنْكُمْ) وهم المؤمنون فكانوا يميدون تحت الحجف وتسقط السيوف منهم (وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ) أى حملتهم على الهم فلا رغبة لهم إلا نجاتها دون النبى وأصحابه فلم يناموا وهم المنافقون (يَظُنُّونَ بِاللَّهِ) ظنا (غَيْرَ) الظن (الْحَقِّ ظَنَّ) أى كظن (الْجَاهِلِيَّةِ) حيث اعتقدوا أن النبى قتل أولا ينصر (يَقُولُونَ هَلْ) ما (لَنَا مِنَ الْأَمْرِ) أى النصر الذى وعدناه (مِنْ) زائدة (شَيْءٍ، قُلْ) لهم (إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ) بالنصب توكيد أو بالرفع مبتدأ خبره (لِلَّهِ) أى القضاء له يفعل ما يشاء (يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ) يظهرون (لَكَ يَقُولُونَ) بيان لما قبله (لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا) أى لو كان الاختيار إلينا لم نخرج فلم نقتل لكن أخرجنا كرها (قُلْ) لهم (لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ) وفيكم من كتب الله عليه القتل (لَبَرَزَ) خرج (الَّذِينَ كُتِبَ) قضى (عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ) منكم (إِلَى مَضَاجِعِهِمْ) مصارعهم فيقتلوا ولم ينجهم قعودهم لأن قضاءه تعالى كائن لا محالة (وَ) فعل مافعل بأحد (لِيَبْتَلِيَ) يختبر (اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ) قلوبكم من الاخلاص والنفاق (وَلِيُمَحِّصَ) يميز (مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) بما فى القلوب لايخفى عليه شىء وإنما يبتلى ،

وتكذيبا له (قوله هل لنا) استفهام انكارى بمعنى النفى أى ماثبت لنا من النصر شىء فلنا خبر مقدم وشىء مبتدأ مؤخر ومن زائدة فيه ومن الأمر حال من شىء (قوله بالنصب توكيد) أى للأمر وخبر إن قوله لله (قوله أو بالرفع مبتدأ الخ) أى والجملة خبر إن والقراءتان سبعيتان (قوله أى القضاء له) تفسير للأمر والمعنى أن النصر بيد الله والله هو الفاعل المختار وليس النصر بكثرة العدد والعدد (قوله بيان لما قبله) أى استئناف بيانى واقع فى جواب سؤال مقدر كأنه قيل ما الذى يظهرون يخفونه (قوله لو كان لنا من الأمر) أى الاختيار والرأى (قوله لكن أخرجنا كرها) أى فحصل القتل فينا (قوله قل لهم) أى ردا لمقالتهم واعتقادهم دفع قضاء الله المبرم (قوله لو كنتم فى بيوتكم) أى لو لم تخرجوا إلى أحد ومكثتم فى بيوتكم وقوله لبرز جواب لو والمعنى لخرج من قضى عليه بالموت إلى المحل الذى مات به لسبب من الأسباب ونفذ حكم الله فيه . مما اتفق أن سليمان بن داود عليهما السلام كان جالسا وإذا بملك الموت أقبل عليه ونظر إلى رجل فى مجلسه فارتعدت فرائص الرجل فلما ذهب ملك الموت قال الرجل يانبى الله إنى خفت من نظرة هذا الرجل فقال هو ملك الموت قال الرجل مر الرياح لتذهب بى إلى أقصى البلاد ففعل فبعد لحظة وإذا بملك الموت قد أقبل على سليمان فقال له إن الله أمرنى أن أقبض روح ذلك الرجل بتلك الأرض فلما وجدته فى مجلسك تحيرت فكان منه ما كان فهو قد خرج هاربا وفى الواقع خرج لمصرعه (قوله وفعل مافعل) أشار بذلك إلى أن قوله ليبتلى علة لمحذوف والواو عاطفة لذلك المحذوف على أنزل (قوله وليمحص) عطف على ليبتلى من عطف المسبب على السبب

(قوله ليظهر للناس) أى المؤمن الخالص من غيره (قوله إلا اثنى عشر) منهم أبو بكر وعلى وطلحة وسعد بن أبى وقاص وعبدالرحمن ابن عوف وتقدم فى رواية أن من بقى ثمانية عشر وقيل لم يبق إلا طلحة وتقدم الجمع بين هذه الروايات (قوله وهو مخالفة أمر النبى) أى حيث قسمهم خمسة أقسام وأقام كلا فى مركزه وقال لهم لا تبرحوا عن مكانكم غلبنا أو نصرنا فبعضهم تفرق للغنيمة والبعض فرقه الأعداء (قوله ولقد عفا الله عنهم) أى عن الجماعة الذين تفرقوا للغنيمة وعصوا أمر النبى (قوله إن الله غفور حليم) هذه الجملة تأكيد وعلة لما قبلها أى إنما عفا عنهم لأنه كثير المغفرة للذنوب واسع الحلم فلا يعجل بالعقوبة على العاصى لأن الكل فى قبضته ولا يعجل بالعقوبة إلا من يخاف الفوات (قوله لا تكونوا كالذين كفروا) يعنى لا تشبهوهم فى قولهم فى شأن من مات أو قتل: لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا فهم يعتقدون أن الفرار نافع من قضاء الله (قوله لاخوانهم) أى فى النسب أو الكفر والضلال والمعنى لا تكونوا مثلهم فى كفرهم ولا فى قولهم لاخوانهم الخ (قوله إذا ضربوا) إذا هنا لمجرد الزمان وأتى باذا إشارة إلى أن هذا الأمر محقق منهم (قوله سافروا) أى مطلقا لغزو أولا (قوله فماتوا) أخذه من قوله الآتى ما ماتوا (قوله غزّى) خبر كان منصوب بفتحة مقدرة على الألف المنقلبة عن الواو (قوله جمع غاز) أى على غير قياس وقياس المعتل غزاة كقضاة (قوله فقتلوا) أخذه من قوله وما قتلوا (قوله ما ماتوا) راجع لقوله إذا ضربوا

فى الأرض وقوله وماقتلوا راجع لقوله

ليظهر للناس (إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ) عن القتال (يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ) جمع المسلمين وجمع الكفار بأحد وهم المسلمون إلا اثنى عشر رجلا (إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ) أزلهم (الشَّيْطَانُ) بوسوسته (بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا) من الذنوب وهو مخالفة أمر النبى (وَلَقَدْ عَفَا اللهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ) للمؤمنين (حَلِيمٌ) لا يعجل على العصاة (يٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا) أى المنافقين (وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ) أى فى شأنهم (إِذَا ضَرَبُوا) سافروا (فِى الْأَرْضِ) فماتوا (أَوْ كَانُوا غُزًّى) جمع غاز فقتلوا (لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا) أى لا تقولوا كقولهم (لِيَجْعَلَ اللهُ ذٰلِكَ) القول فى عاقبة أمرهم (حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ وَاللهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ) فلا يمنع عن الموت قعود (وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ) بالتاء والياء (بَصِيرٌ) فيجازيكم به (وَلَئِنْ) لام قسم (قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ اللهِ) أى الجهاد (أَوْ مُتُّمْ) بضم الميم وكسرها من مات يموت و يمات أى أتاكم الموت فيه (لَمَغْفِرَةٌ) كائنة (مِنَ اللهِ) لذنوبكم (وَرَحْمَةٌ) منه لكم على ذلك واللام ومدخولها جواب القسم وهو فى موضع الفعل مبتدأ خبره (خَيْرٌ مِمَّا تَجْمَعُونَ) من الدنيا

أو كانوا غزى (قوله أى لا تقولوا كقولهم) أى فانه شائبة من الكفر والضلال واعتقاده كفر (قوله ليجعل) اللام للعاقبة والصيرورة كهى فى قوله تعالى - فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا والمعنى أن الكفار قصدوا بهذا الكلام اللوم على من خرج ومنع من يريد الخروج فكان عاقبة ذلك كونه يجعل حسرة فى قلوبهم (قوله فلا يمنع عن الموت قعود) أى عن الغزو والسفر ولا يجلب الغزو والسفر موتا بل لكل أجل كتاب فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون (قوله بالتاء والياء) أى فهما قراءتان سبعيتان فعلى الياء يكون وعيدا للكفار وعلى التاء يكون تحذيرا للمؤمنين (قوله فيجازيكم به) أى إن خيرا فخير و إن شرا فشر (قوله لام قسم) أى موطئة له تقديره والله لئن قتلتم (قوله بضم الميم وكسرها) قراءتان سبعيتان وقوله من مات يموت راجع للضم ووزنه قال يقول وأصله يموت بسكون الميم وضم الواو نقلت حركة الواو إلى الساكن قبلها (قوله و يمات) راجع لقوله وكسرها فيكون من باب خاف يخاف وأصله يموت بسكون الميم وفتح الواو نقلت فتحة الواو إلى الساكن قبلها ثم تحركت الواو وانفتح ماقبلها قلبت ألفا (قوله أى أتاكم الموت فيه) أى فى السفر (قوله لمغفرة) أى تأتيه وقوله ورحمة أى إحسان فالموت خير من الحياة إن كان فى سفر غير معصية أو جهاد فانه شهادة على كل حال (قوله جواب القسم) أى وجواب الشرط محذوف دل عليه جواب القسم لقول ابن مالك : * واحذف لدى اجتماع شرط وقسم * جواب ما أخرت (قوله وهو فى موضع الفعل) أى فتقديره لغفرت لكم ورحمتكم وظاهره أن جواب القسم لابد وأن يكون جملة فعلية وليس كذلك بل يكون جملة اسمية وقدم القتل هنا على الموت لأنه أهم وأشرف وقدم الموت أولا لمراعاة الترتيب وآخرا لأنه أعم من القتل (قوله مما تجمعون) يحتمل أن ما مصدرية والمعنى خير من جمعكم للدنيا أو موصولة والعائد محذوف تقديره خير من الذى تجمعونه من الدنيا.

(قوله بالتاء والياء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله بالوجهين) أى السابقين من ضم الميم وكسرها (قوله لإلى الله تحشرون) قال بعضهم إن الآية تشير إلى مقامات العبودية الثلاثة: الأول من يعبد الله خوفا من ناره وإليه الاشارة بقوله لمغفرة. الثانى من يعبد الله شوقا إلى جنته وإليه الاشارة بقوله ورحمة. الثالث من يعبد الله لذاته لاطمعا ولا خوفا وإليه الاشارة بقوله لإلى الله تحشرون وفى الحقيقة الثالث قد حاز جميعها لكن من غير قصد منه لأن مشاهدة الله لاتكون إلا فى الجنة ولابد، ومن ذلك قول بعض العارفين :

ليس قصدى من الجنان نعيما ... غير أنى أريدها لأراك

(قوله ما زائدة) أى للتوكيد والمعنى فبسبب رحمة من الله كنت لينا سهل الخلق . قال أنس بن مالك : خدمت رسول الله عشر سنين فما لامنى على شىء فعلته أو تركته (قوله رحمة من الله) التنوين للتعظيم (قوله ولو كنت فظا) أى صعب القول والفعل ومن سهولته قبول توبة وحشى قاتل عمه حمزة (قوله سيء الخلق) المناسب أن يفسره بصعوبة القول والفعل (قوله غليظ القلب) أى قاسيه (قوله لانفضوا من حولك) أى ذهبوا إلى الكفار ولم يبق منهم أحد وأما من قبله من الأنبياء فقد عاملوا قومهم بالجلال كنوح حين قال رب لاتذر على الأرض من الكافرين ديارا وكهود وصالح فنبينا رحمة للعالمين ولولا رحمته بنا ما بقى منا أحد فكان شفيعا عند ربه لنا فى كل بلاء عام طلبته الأنبياء لأممهم (قوله فاعف عنهم) شروع فى ذكر ترقيقه لهم فذكر أولا العفو عنهم ثم الاستغفار لهم ليطهرهم ربهم من الذنوب فاذا طهروا وصاروا أصفياء خلفاء شاورهم فى الأمر (قوله تطييبا لقلوبهم) أى تونيسا وجبرا لها لئلا ينفر ضعفاء المؤمنين لو لم تحصل المشاورة منه فلا

بالتاء والياء (وَلَئِنْ) لام قسم (مُتُّمْ) بالوجهين (أَوْ قُتِلْتُمْ) فى الجهاد أو غيره (لَإِلَى اللهِ) لا إلى غيره (تُحْشَرُونَ) فى الآخرة فيجازيكم (فَبِمَا) ما زائدة (رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ) يامحمد (لَهُمْ) أى سهلت أخلاقك إذ خالفوك (وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا) سيىء الخلق (غَلِيظَ الْقَلْبِ) جافيا فأغلظت لهم (لَانْفَضُّوا) تفرقوا (مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ) تجاوز (عَنْهُمْ) ما أتوه (وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ) ذنوبهم حتى أغفر لهم (وَشَاوِرْهُمْ) استخرج آراءهم (فِى الْأَمْرِ) أى شأنك من الحرب وغيره تطييبا لقلوبهم وليستن بك، وكان صلى الله عليه وسلم كثير المشاورة لهم (فَإِذَا عَزَمْتَ) على إمضاء ماتريد بعد المشاورة (فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ) ثق به لا بالمشاورة (إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) عليه (إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللهُ) يعنكم على عدوكم كيوم بدر (فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ) يترك نصركم كيوم أحد (فَمَنْ ذَا الَّذِى يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ) أى بعد خذلانه أى فلا ناصر لكم (وَعَلَى اللهِ) لاغيره (فَلْيَتَوَكَّلِ) ليثق (الْمُؤْمِنُونَ). ونزل لما فقدت قطيفة حمراء يوم بدر فقال بعض الناس لعل النبى أخذها (وَمَا كَانَ) ماينبغى (لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ) يخون فى الغنيمة

(قوله وليستن بك) أى ليصير سنة لمن يأتى بعدك وليظهر صاحب الرأى السديد من غيره ولذا قدموا بعد النبى أبا بكر لأنه كان يشاوره كثيرا ثم عمر لأن القرآن كان ينزل على طبق مايقول. واختلف هل كانت المشاورة فى أمر الدين والدنيا أو الدنيا فقط فقيل بالأول ولكن لايتبع إلا الوحى وإنما المشاورة تطييبا لخاطرهم وقيل بالثانى وهو الظاهر (قوله ثق به) أى فلا يردك عنه أحد (قوله إن الله يحب المتوكلين) أى يثيب المفوضين الأمور إليه (قوله إن ينصركم الله) هذا خطاب تشريف للمؤمنين المجاهدين (قوله يعنكم) أشار بذلك إلى أن النصر بمعنى الاعانة ويطلق بمعنى المنع قال تعالى: فمن ينصرنى من الله إن عصيته، وبمعنى الانتقام قال تعالى: فدعا ربه أنى مغلوب فانتصر (قوله فلا غالب لكم) أى ولو اجتمعت عليكم أهل الأرض جميعا (قوله أى بعد خذلانه) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف والضمير عائد على الله (قوله أى فلا ناصر لكم) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفى ولم يقل فلا ناصر لكم إشارة لعدم تقنيطهم من النصر تلطفا بهم أى فارجعوا إليه ينصركم قال تعالى: وكان حقا علينا نصر المؤمنين (قوله فليتوكل المؤمنون) أى المصدقون بأن النصر والخذلان من عند الله والمعنى فاذا علمتم أيها المؤمنون أن من نصره الله فلايغلبه أحد ومن خذله لا ناصر له سواه فثقوا به واعتمدوا عليه (قوله لما فقدت قطيفة) أى من الغنيمة (قوله فقال بعض الناس) أى من المنافقين (قوله ينبغى) أى يمكن والمعنى لايتأتى ذلك لأن الأنبياء معصومون

من الذنوب كبيرها وصغيرها ، وأما قوله تعالى - قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل - حكاية عن سيدنا يوسف فقال بعض المفسرين إن يوسف وهو صغير وجد صنما عند جده فأخذه خفية وكسره ووضعه فى محل القذر (قوله فلا تظنوا به ذلك) أى لأنها خيانة وهى محرمة والنبى معصوم من ذلك فمن جوز المعصية على النبى فقد كفر لمنافاته للعصمة الواجبة (قوله ومن يغلل) كلام مستأنف قصد به التحذير لغير المعصومين (قوله حاملا له على عنقه) أى والناس ناظرون له فضيحة له ، روى الشيخان عن أبى هريرة قال « قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره حتى قال لا ألفين أحدكم يجىء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء فيقول يارسول الله أغثنى فأقول لا أملك لك من الله شيئا قد أبلغتك لا ألفين أحدكم يجىء يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة فيقول يارسول الله أغثنى فأقول لا أملك لك من الله شيئا قد أبلغتك لا ألفين أحدكم يجىء يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء فيقول يارسول الله أغثنى فأقول لا أملك لك من الله شيئا قد أبلغتك لا ألفين أحدكم يجىء يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح فيقول يارسول الله أغثنى فأقول لا أملك لك من الله شيئا قد أبلغتك لا ألفين أحدكم يجىء يوم القيامة على رقبته رقاع تخفق فيقول يارسول الله أغثنى فأقول لا أملك لك من الله شيئا قد أبلغتك لا ألفين أحدكم يجىء يوم القيامة على رقبته صامت فيقول يارسول الله أغثنى فأقول لا أملك لك من الله شيئا » والرغاء صوت البعير والثغاء صوت الشاة والرقاع الثياب والصامت الذهب والفضة والحمحمة صوت الفرس وقوله لا ألفين نفى معناه النهى

فلا تظنوا به ذلك وفى قراءة بالبناء للمفعول أى ينسب إلى الغلول (وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) حاملا له على عنقه (ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ) الغال وغيره جزاء (مَا كَسَبَتْ) عملت (وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) شيئا (أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ) فأطاع ولم يغل (كَمَنْ بَاءَ) رجع (بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ) لمعصيته وغلوله (وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) المرجع هى ، لا (هُمْ دَرَجَاتٌ) أى أصحاب درجات (عِنْدَ اللَّهِ) أى مختلفو المنازل ، فلمن اتبع رضوانه الثواب ، ولمن باء بسخطه العقاب (وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ) فيجازيهم به (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ) أى عربيا مثلهم ليفهموا عنه ويشرفوا به لا ملكا ولا عجميا (يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ) القرآن (وَيُزَكِّيهِمْ) يطهرهم من الذنوب (وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ) القرآن (وَالْحِكْمَةَ) السنة (وَإِنْ) مخففة أى إنهم (كَانُوا مِنْ قَبْلُ) أى قبل بعثه (لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) بين

أى لا يغل أحدكم حتى ألقاه هكذا (قوله أفمن) الهمزة مقدمة من تأخير لأن الاستفهام له الصدارة (قوله ولم يغل) أى لم يسرق ولم يخن (قوله بسخط) مصدر قياسى لسخط بكسر الخاء وله مصدر سماعى وهو سخط بضم السين وسكون الخاء (قوله هى) هذا هو المخصوص بالذم وقوله لا جواب الاستفهام (قوله هم درجات) أى رتب فمنهم المقبول فله الدرجات العلا ومنهم المردود فله الدركات السفلى وفيه تغليب الدرجات على الدركات لشرفها (قوله لقد من الله) هذا ترق فى تعظيمه صلى الله عليه وسلم فنزهه أولا عن الغلول ثم بين أن وجوده بينهم نعمة عظيمة أنعم بها عليهم وفى الحقيقة هو نعمة حتى على الكفار وإنما خص المؤمنين لأنهم هم المنتفعون بها وتدوم عليهم وأما الكفار وإن أمنوا به من الخسف والمسخ وكل بلاء عام ورزقوا به إلا أن عاقبتهم الخلود فى دار البوار ويتبرأ منهم ولا يشفع لهم فى النجاة من العذاب :

بشرى لنا معشر الاسلام إن لنا ... من العناية ركنا غير منهدم

(قوله لا ملكا) أى لعدم إطاقة البشر له قال تعالى - ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون - (قوله ولا عجميا) أى لعدم فهمهم عنه ما أرسل به ومن نعم الله أيضا كون القرآن عربيا قال تعالى - ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمى وعربى - الآية (قوله ويعلمهم الكتاب) أى بنفسه أو بواسطة كالعلماء (قوله السنة) العلم النافع (قوله مخففة) أى من الثقيلة لا عمل لها لقول ابن مالك : وخففت إن فقل العمل ... وتلزم اللام إذا ما تهمل

(قوله لفى ضلال مبين) أى كفر واضح ظاهر . قال العارف البرعى :

أتى والجاهلية فى ضلال ... وكفر نعبد الحجر الأصنا ... وتأكل ميتة ودما وتسطو
على موءودة لأطفال دفنا ... فجاء بملة الاسلام يتلو ... مثانى فى صلاة الخمس مثنى

(أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ) بأحد بقتل سبعين منكم (قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا) ببدر بقتل سبعين وأسر سبعين منهم (قُلْتُمْ) متعجبين (أَنَّى) من أين لنا (هَٰذَا) الخذلان ونحن مسلمون ورسول الله فينا والجملة الأخيرة محل الاستفهام الانكارى (قُلْ) لهم (هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ) لأنكم تركتم المركز فخذلتم (إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) ومنه النصر ومنعه وقد جازاكم بخلافكم (وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ) بأحد (فَبِإِذْنِ اللَّهِ) بإرادته (وَلِيَعْلَمَ) الله علم ظهور (الْمُؤْمِنِينَ) حقا (وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَ) الذين (قِيلَ لَهُمْ) لما انصرفوا عن القتال وهم عبد الله بن أبىّ وأصحابه (تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) أعداءه (أَوِ ادْفَعُوا) عنا القوم بتكثير سوادكم إن لم تقاتلوا (قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ) نحسن (قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ) قال تعالى تكذيباً لهم (هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ) بما أظهروا من خذلانهم للمؤمنين وكانوا قبل أقرب إلى الإيمان من حيث الظاهر (يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ) ولو علموا قتالا لم يتبعوكم (وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ) من النفاق (الَّذِينَ) بدل من الذين قبله أو نعت (قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ) فى الدين (وَ) قد (قَعَدُوا) عن الجهاد (لَوْ أَطَاعُونَا) أى شهداء أحد أو إخواننا فى القعود (مَا قُتِلُوا، قُلْ) لهم (فَادْرَءُوا) ادفعوا (عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) فى أن القعود ينجى منه . ونزل فى الشهداء (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا) بالتخفيف والتشديد (فِي سَبِيلِ اللَّهِ) أى لأجل دينه (أَمْوَاتًا، بَلْ) هم (أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ) أرواحهم فى حواصل طيور خضر تسرح فى الجنة حيث شاءت ،

(قوله أولما أصابتكم) الهمزة داخلة على قوله قلتم أنى هذا التقدير أقلتم أنى هذا حين أصابتكم الخ (قوله وأسر سبعين) لأن الفخر بالمأسور أعظم من المقتول لدلالته على عظم الشجاعة فلذلك قال قد أصبتم مثليها والمقصود من ذلك التسلية للمؤمنين (قوله والجملة الأخيرة)أى وهى قوله قلتم (قوله محل الاستفهام الانكارى) أى فهو بمعنى النفى والمعنى لاتقولوا ذلك حين أصابتكم مصيبة لأنه من عند أنفسكم فسببه ظاهر فلا يتعجب منه (قوله بخلافكم) أى مخالفتكم والمعنى جازاكم عليها (قوله وما أصابكم يوم التقى الجمعان) شروع فى بيان الحكم التى ترتبت على هزيمة المؤمنين بأحد (قوله علم ظهور) أى بالنسبة للخلق (قوله وأصحابه) أى وكانوا ثلاثمائة (قوله تعالوا قاتلوا) أى إما فى المقدم بالسيف أو فى المؤخر بالسهام (قوله بتكثير سوادكم) أى عددكم وأشخاصكم (قوله بما أظهروا) أى بسببه أى فاظهارهم الخذلان للمؤمنين سبب فى كونهم أقرب للكفر من الايمان (بدل من الذين قبله) أى وهو قوله الذين نافقوا (قوله وقعدوا) الجملة حالية فلذا قدر المفسر قد (قوله قل فادرءوا عن أنفسكم الموت) ورد أنه نزل بهم الموت وهم فى دورهم فمات منهم سبعون من غير قتال فى يوم واحد (قوله ونزل فى الشهداء) قيل شهداء بدر وقيل أحد وقيل شهداء بئر معونة وهم سبعون أرسلهم النبى صلى الله عليه وسلم لأهل نجد يعلمونهم القرآن فقتلوهم عن آخرهم ولم ينج منهم إلا واحد فرّ هاربا وأخبر النبى صلى الله عليه وسلم بذلك والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فهذا الوعد الحسن لكل من قتل فى سبيل الله لإعلاء كلمة الله وسبب ذلك أن الشهداء الذين قتلوا لما رأوا ما رأوا من الحياة والرزق والنعيم الدائم قالوا يا ربنا ومن يوصل خبرنا لاخواننا الأحياء فقال لهم الله أنا أبلغ خبركم لإخوانكم فقال تعالى ـ ولا تحسبنّ ـ الآية (قوله ولا تحسبنّ) الخطاب قيل للنبى وقيل لكل من يصلح للخطاب والذين مفعول أوّل وأمواتا مفعول ثان و بل للاضراب الانتقالى وأحياء خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله هم (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله فى سبيل الله) أى طاعته والمعنى لم يكن لهم قصد إلا إعلاء دينه (قوله بل أحياء) بل للعطف وما بعدها خبر لمحذوف والجملة معطوفة على ماقبلها وهذه الحياة ليست كحياة الدنيا بل هى أعلى وأجلّ منها لأنهم يسرحون حيث شاءت أرواحهم (قوله عند ربهم) خبر ثان والمعنى أنهم فى كرامة ربهم وضيافته ، وقوله يرزقون خبر ثالث .

(قوله كما ورد فى الحديث) أى وهو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الله جعل أرواح الشهداء فى أجواف طيور خضر ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها وتأوى إلى قناديل معلقة فى ظل العرش » انتهى، وأما أجسادهم فمحلها القبور غير أن الأرواح لما تعلق بها فلذلك لايحصل لأجسادهم بلاء فأرواحهم لها جولان عظيم من البرزخ إلى أعلى السموات إلى داخل الجنان والطيور الخضر لها كالهوادج مع كونها متصلة بجسم صاحبها وما وصل للروح من النعيم يحصل للجسم أيضا وذلك نظير النائم فان النائم يرى أن روحه فى المشرق أوفى المغرب مع كونها متصلة بجسمه وكالأولياء الذين أعطاهم الله التصريف فان الواحد منهم يكون جالسا فى مكان وروحه تسرح فى أمكنة متعددة وربك على كل شئ قدير ، ولذلك قال الله تعالى فى آية البقرة ـ ولكن لاتشعرون ـ ومثل الشهداء الأنبياء بل حياة الأنبياء أجل وأعلى ، وأما المؤمنون غير الشهداء والأنبياء فأرواحهم تسرح من القبر إلى باب الجنة وتنظر ما أعد لها من النعيم المقيم لكن لاتدخلها إلى يوم القيامة وذلك يسمى عالم البرزخ واتساعه بالنسبة للدنيا كاتساع الدنيا بالنسبة لبطن الأم (قوله بما آتاهم) متعلق بقوله فرحين ، والذى آتاهم الله من فضله هو حياتهم ورزقهم (قوله وهم يستبشرون) أشار بذلك إلى أن يستبشرون خبر لمحذوف والجملة إما حالية من الضمير فى فرحين أو مستأنفة (قوله بالذين لم يلحقوا بهم) أى فى الموت والمعنى أنهم يفرحون بما أعطاهم الله و يفرحون بما أعد لاخوانهم الذين لم يموتوا الآن سواء كانوا موجودين أوسيوجدون إلى يوم القيامة لدخولهم الجنة واطلاعهم على منازل المؤمنين فيها (قوله من خلفهم) حال من الواو فى يلحقوا

كما ورد فى الحديث (يُرْزَقُونَ) يأكلون من ثمار الجنة (فَرِحِينَ) حال من ضمير يرزقون (بِمَا آتَيهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ ،وَ) هم (يَسْتَبْشِرُونَ) يفرحون (بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ) من إخوانهم المؤمنين و يبدل من الذين (أَنْ) أى بأن (لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ) أى الذين لم يلحقوا بهم (وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) فى الآخرة المعنى يفرحون بأمنهم وفرحهم (يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ) ثواب (مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ) زيادة عليه (وَأَنَّ) بالفتح عطفاً على نعمة والكسر استئنافاً (اللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ) بل يأجرهم (الَّذِينَ) مبتدأ (اسْتَجَابُوا لِلهِ وَالرَّسُولِ) دعاءه بالخروج للقتال لما أراد أبو سفيان وأصحابه العود وتواعدوا مع النبى صلى الله عليه وسلم سوق بدر العام المقبل من يوم أحد (مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ) بأحد وخبر المبتدإ (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ) بطاعته (وَاتَّقَوْا) مخالفته (أَجْرٌ عَظِيمٌ) هو الجنة (الَّذِينَ) بدل من الذين قبله أو نعت (قَالَ لَهُمُ النَّاسُ)

أى حال كون الذين لم يلحقوا بهم متخلفين عنهم (قوله المعنى يفرحون) أى المتقدمون وقوله بأمنهم أى المتأخرين (قوله بنعمة من الله) أى لهم ولاخوانهم (قوله بالفتح عطفا على نعمة) أى و يكون المعنى يستبشرون بنعمة من الله وفضل و بأن الله لايضيع الخ ، وقوله والكسر استئنافا أى فى معنى العلة لما قبله والقراءتان سبعيتان (قوله الذين استجابوا) نزلت فى أهل أحد حين دعاهم للقتال ثانيا بعد حصول التفرقة لهم فخرجوا وساروا خلف العدو ثمانية أميال ، فوقع بينهم ماوقع فى مكان يقال له حمراء الأسد فحصل التوافق بين أبى سفيان والنبى أن يرفعوا القتال إلى العام القابل والموعد بدر الصغرى فسار أبوسفيان وأصحابه ومكث النبى بحمراء الأسد من يوم الأحد إلى يوم الجمعة إذا علمت ذلك فقول المفسر بالخروج للقتال لما أراد أبوسفيان الخ ليس بسديد فان الآية نزلت مدحا لمن أجاب الرسول للقتال ثانيا فى غزوة أحد يوم الأحد بعد الواقعة التى كانت يوم السبت وتسمى غزوة يوم الأحد غزوة حمراء الأسد وهى التى مدحهم الله بها وأنجز خلاهم بها (قوله بأحد) المناسب أن يقول بعد ذلك يوم السبت واستجابوا له يوم الأحد (قوله منهم) من بيانية على حد فاجتنبوا الرجس من الأوثان (قوله الذين قال لهم الناس) شروع فى ذكر غزوة بدر الثالثة وتسمى بدرا الصغرى وكانت فى السنة الرابعة فى شعبان وهو يوم موسم عظيم لقبائل العرب كل عام فخرج أبوسفيان حتى نزل مر الظهران فألقى الله الرعب فى قلبه فلقى نعيم بن مسعود الأشجعى فقال أبوسفيان يانعيم إنى قد واعدت محمدا أن نلتقى بموعد بدر وهذا عام جدب فأحب أن يكون الخلف منه لا منى فاذهب إلى المدينة فثبطهم عن الخروج ولك عندى عشرة من الإبل فانطلق نعيم إلى المدينة فوجد النبى وأصحابه يتجهزون فقال لهم ماتريدون ؟ فقالوا لميعاد أبى سفيان فقال لهم لاتقدروا عليهم فانهم قد جمعوا لكم فاخشوهم فقال النبى لأخرجن إليهم ولو وحدى فخرج النبى فى ألف وخمسمائة مقاتل حتى بلغوا بدرا وكانت موضع سوق للعرب يجتمعون فيها كل عام ثمانية أيام فصادفوا الموسم و باعوا ما كان معهم من التجارات فربحوا فى الدرهم درهمين ولم يأتهم أحد من المشركين فرجعوا بربح وأجر عظيمين وأسلم كثير من أهل القبائل حينئذ ،

(قوله أي نعيم بن مسعود) أي فأطلق الكل وأراد البعض وقد أسلم بعد ذلك عام الخندق (قوله ذلك القول) أشار بذلك إلى فاعل زاد على حد: اعدلوا هو أقرب للتقوى (قوله هو) أي الله وهو إشارة للمخصوص بالمدح، وهذه الدعوة من أفضل الدعوات وقد استعملها العارفون للمهمات وجعلوا عدتها أربعمائة وخمسين فمن فعلها كفاه الله ما أهمه (قوله فلم يأتوا) أي أبوسفيان وأصحابه وقد أسلم هو يوم الفتح بعد أن أسر (قوله وربحوا) أي في الدرهم درهمين (قوله بسلامة وربح) راجع للنعمة والفضل (قوله أي القائل لكم) أي وهو نعيم بن مسعود الأشجعي (قوله يخوفكم أولياءه) أشار بذلك إلى أن يخوف ينصب مفعولين الكاف المقدرة مفعول أول وأولياءه مفعول ثان، والمعنى يخوفكم شر أوليائه وهم الكفار (قوله ولا يحزنك) نزلت تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين (قوله بضم الياء الخ) قراءتان سبعيتان ولغتان مشهورتان الأولى من أحزن والثانية من حزن (قوله يقعون فيه) أشار بذلك إلى أن يسارعون مضمن معنى يقعون فعداه بفي إشارة إلى أنهم تلبسوا بالكفر وليسوا بخارجين عنه (قوله بنصرته) أي الكفر بمقاتلة النبي وأصحابه (قوله إنهم لن يضروا الله شيئا) علة للنهي وهو على حذف مضاف تقديره لن يضروا أولياء الله شيئا وإنما أسند الضرر لنفسه تشريفا لهم كأن محاربة المسلمين محاربة له. إن قلت إن قتلهم للمؤمنين مشاهد وهو ضرر فكيف ينفى. أجيب بأنه ليس بضرر بل هو شهادة فالمؤمنون فائزون على كل حال قتلوا أو قتلوا والكافرون خاسرون على كل حال قتلوا أو قتلوا (قوله ولهم عذاب عظيم) أي جزاء لمسارعتهم في الكفر ونصرتهم له

أي نعيم بن مسعود الأشجعي (إِنَّ النَّاسَ) أبا سفيان وأصحابه (قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ) الجموع ليستأصلوكم (فَاخْشَوْهُمْ) ولا تأتوهم (فَزَادَهُمْ) ذلك القول (إِيمَانًا) تصديقاً بالله ويقيناً (وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ) كافينا أمرهم (وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) المفوض إليه الأمر هو. وخرجوا مع النبي صلى الله عليه وسلم فوافوا سوق بدر وألقى الله الرعب في قلب أبي سفيان وأصحابه فلم يأتوا وكان معهم تجارات فباعوا وربحوا، قال تعالى (فَانْقَلَبُوا) رجعوا من بدر (بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ) بسلامة وربح (لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ) من قتل أو جرح (وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ) بطاعته ورسوله في الخروج (وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ) على أهل طاعته (إِنَّمَا ذَلِكُمُ) أي القائل لكم إن الناس الخ (الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ)كم (أَوْلِيَاءَهُ) الكفار (فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ) في ترك أمري (إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) حقاً (وَلَا يَحْزُنْكَ) بضم الياء وكسر الزاي وبفتحها وضم الزاي من حزنه لغة في أحزنه (الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ) يقعون فيه سريعاً بنصرته وهم أهل مكة أو المنافقون أي لا تهتم لكفرهم (إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا) بفعلهم وإنما يضرون أنفسهم (يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا) نصيباً (فِي الْآخِرَةِ) أي الجنة فلذلك خذلهم (وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) في النار (إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ) أي أخذوه بدله (لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ) بكفرهم (شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم (وَلَا يَحْسَبَنَّ) بالياء والتاء (الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي) أي إملاءنا (لَهُمْ) بتطويل الأعمار وتأخيرهم (خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ) وأن ومعمولاها سدت مسد المفعولين في قراءة التحتانية ومسد الثاني في الأخرى

(إنما

(قوله إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان) هذه الجملة مؤكدة لما قبلها (قوله أي أخذوه بدله) يعني تركوا الإيمان واختاروا الكفر (قوله ولهم عذاب أليم) إنما وصف العذاب هنا بكونه أليما لأن من اشترى سلعة وخسر فيها تألم منها ووصفه فيما تقدم بالعظيم لأن المسارعة للشيء تقتضي عظمه (قوله بالياء والتاء) أي فهما قراءتان سبعيتان فعلى التاء الخطاب للنبي وقوله الذين كفروا مفعول أول لتحسبن وقوله أنما نملي لهم في محل المفعول الثاني وهو تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم. والمعنى لا تظن أن إمهال الكافر بطول عمره وأكله من رزق الله ومقاتلته في أولياء الله خير له وإنما إمهاله ليزداد إثما وجرما قال تعالى - ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون - الآية، وعلى الياء فقوله الذين كفروا فاعل تحسبن وقوله أنما نملي لهم خير سد مسد مفعوليها كما قال المفسر. والمعنى لا يظن الكفار أن إملاءنا أو إمهالنا لهم خير لهم بل هو شر لهم لأننا إنما نملي لهم ليزدادوا إثما (قوله أي إملاءنا) أشار بذلك إلى أن ما مصدرية تسبك مع ما بعدها بمصدر اسم أن (قوله ومسد الثاني في الأخرى) أي ومنعوا لها الأول

هم الذين كفروا (قوله إنما نملي لهم) تعليل لما قبله (ولهم عذاب مهين) وصفه بالإهانة لأن من شأن من طال عمره فى الكفر أن تنفذ كلمته و يزداد عزا فعومل بضد مالقى فى الدنيا (قوله ما كان الله ليذر المؤمنين) هذا وعد من الله لنبيه بأنه سيميز له المؤمن من المنافق (قوله أيها الناس) أى المؤمنون والكفار (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله وفعل ذلك يوم أحد) أى حيث امتحنهم بالقدوم على العدو و بذل الأموال وكذلك فى غزوة الأحزاب وكذلك فى ميعاد أبى سفيان فى العام القبل من أحد ففضحهم الله وميزهم فى مواضع عديدة (قوله على الغيب) أى ماغاب عنهم (قوله ولكن الله) استدراك على ماتقدم فى قوله : وما كان الله ليطلعكم على الغيب كأنه قال إلا الرسل فانه يطلعهم على الغيب (قوله بالياء والتاء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله أى بزكاته) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف أى بزكاة ما آتاهم الله من فضله (قوله مقدرا قبل الموصول) أى فتقديره ولا تحسبن بخل الذين يبخلون الخ خيرا لهم إذا علمت ذلك فقول المفسر بخلهم فيه تسمح لأن المقدر قبل الموصول

(إِنَّمَا نُمْلِي) نمهل (لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا) بكثرة المعاصى (وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ) ذو إهانة فى الآخرة (مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ) ليترك (الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ) أيها الناس (عَلَيْهِ) من اختلاط المخلص بغيره (حَتَّى يَمِيزَ) بالتخفيف والتشديد : يفصل (الْخَبِيثَ) المنافق (مِنَ الطَّيِّبِ) المؤمن بالتكاليف الشاقة المبينة لذلك وفعل ذلك يوم أحد (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ) فتعرفوا المنافق من غيره قبل التميز (وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي) يختار (مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ) فيطلعه على غيبه كما أطلع النبي صلى الله عليه وسلم على حال المنافقين (فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا) النفاق (فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ . وَلَا يَحْسَبَنَّ) بالياء والتاء (الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) أى بزكاته (هُوَ) أى بخلهم (خَيْرًا لَهُمْ) مفعول ثان والضمير للفصل والأول بخلهم مقدراً قبل الموصول على الفوقانية وقبل الضمير على التحتانية (بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ) أى بزكاته من المال (يَوْمَ الْقِيَامَةِ) بأن يجعل حية فى عنقه تنهشه كما ورد فى الحديث (وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) يرثهما بعد فناء أهلهما (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ) بالتاء والياء (خَبِيرٌ) فيجازيكم به (لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ) وهم اليهود قالوه لما نزل «من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً» وقالوا لو كان غنياً ما استقرضنا (سَنَكْتُبُ) نأمر بكتب (مَا قَالُوا) فى صحائف أعمالهم ليجازوا عليه ، وفى قراءة بالياء مبنياً للمفعول (وَ) نكتب (قَتْلَهُمُ) ،

يكون مضافا له لا للضمير وإنما المضاف للضمير هو ماقدر قبل الضمير (قوله وقبل الضمير) أى فتقديره ولا يحسبن الذين يبخلون الخ بخلهم خيرا لهم (قوله كما ورد فى الحديث) أى وهو قوله عليه الصلاة والسلام « يمثل مال مانع الزكاة بشجاع أقرع له زبيبتان يأخذ بلهزمتيه و يقول أنا كنزك أنا مالك ثم تلا ولا تحسبن الذين يبخلون الآية » وقال تعالى - يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم الآية - وهذا إذا كان المال من حلال فما بالك إذا كان من حرام و بخل به (قوله ولله ميراث السموات والأرض) هذا كالدليل لما قبله كأنه قال لامعنى للبخل بالمال فانه لله يعطيه لمن يشاء ليصرفه فيما أمر به مدة حياته فاذا مات رجع المال لصاحبه . قال الشاعر : وما المال والأهلون إلا ودائع ولابد يوما أن ترد الودائع

(قوله لقد سمع الله) اللام موطئة لقسم محذوف أى والله لقد سمع الخ . وسبب ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أمرهم بالدخول فى الاسلام و إقام الصلاة و إيتاء الزكاة وأن يقرضوا الله قرضا حسنا قال كبراء اليهود كحيى بن أخطب وكعب بن الأشرف وفنحاص ابن عاذوراء لأبى بكر الصديق حين أمرهم بما ذكر على لسان رسوله: إن الله فقير ونحن أغنياء ولوكان غنيا ما استقرضنا ، ومعنى سمعه له علمه و إحصاؤه والمجازاة عليه (قوله من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا) هذا من تلطف الله بعباده وتنزله لهم و إلا فالملك لله وحده ، و إنما سماه قرضا لأن جزاءه عليه كمجازاة المقترض أوأعظم فمن إحسانه علينا خلق ونسب إلينا وليس معناه أقرضوا الله لينتفع به بل معناه أعطوا الفقراء لأجلى ومجازاتكم علىّ (قوله وفى قراءة بالياء) أى فهما قراءتان سبعيتان ، فعلى هذه القراءة يكون الموصول وصلته نائب الفاعل وعلى الأولى يكون مفعولا والفاعل ضمير يعود على الله .

بالنصب والرفع (الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ) بالنون والياء ، أي الله هم في الآخرة على لسان الملائكة (ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ) النار، ويقال لهم إذا ألقوا فيها (ذَٰلِكَ) العذاب (بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ) عبر بها عن الإنسان لأن أكثر الأفعال تزاول بها (وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ) أي بذي ظلم (لِلْعَبِيدِ) فيعذبهم بغير ذنب (الَّذِينَ) نعت للذين قبله (قَالُوا) لمحمد (إِنَّ اللَّهَ) قد (عَهِدَ إِلَيْنَا) في التوراة (أ) ن (لَا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ) نصدقه (حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ) فلا نؤمن لك حتى تأتينا به وهو ما يتقرب به إلى الله من نعم وغيرها فإن قبل جاءت نار بيضاء من السماء فأحرقته وإلا بقي مكانه وعهد إلى بني إسرائيل ذلك إلا في المسيح ومحمد قال تعالى (قُلْ) لهم توبيخا (قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ) بالمعجزات (وَبِالَّذِي قُلْتُمْ) كزكريا ويحيى فقتلتموهم والخطاب لمن في زمن نبينا صلى الله عليه وسلم وإن كان الفعل لأجدادهم لرضاهم به (فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) في أنكم تؤمنون عند الإتيان به (فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ) المعجزات (وَالزُّبُرِ) كصحف إبراهيم (وَالْكِتَابِ) وفي قراءة بإثبات الباء فيهما (الْمُنِيرِ) الواضح كالتوراة والإنجيل فاصبر كما صبروا (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ) جزاء أعمالكم (يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ) بعد (عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ) نال غاية مطلوبه (وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا) أي العيش فيها (إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ) ،

(قوله بالنصب والرفع) لف ونشر مرتب وهو معطوف على محل الموصول وصلته ومحله إما نصب على قراءة النون أورفع على قراءة الياء (قوله بغير حق) أي حتى في اعتقادهم . إن قلت إن ذلك كان في أجدادهم فلم أوخذوا به . أجيب بأن رضاهم به صيره كأنه واقع منهم لأن الرضا بالكفر كفر (قوله أي الله) هذا تفسير لقراءة الياء ويحتمل أنه راجع لقراءة النون ويكون حل معنى وإلا فمقتضى حلها أن يقول أي نحن (قوله عبر بها عن الانسان الخ) أي فهو من باب تسمية الكل باسم جزئه وقوله لأن أكثر الأفعال تزاول بها علة لارتكاب المجاز (قوله وأن الله) معطوف على الموصول عطف علة على معلول التقدير ذلك العذاب بما قدمت أيديكم لأن الله ليس بظلام للعبيد (قوله أي بذي ظلم) دفع بذلك مايقال إن النفي كثرة الظلم فيفيد أن أصل الظلم ثابت فأجاب بأن هذه الصيغة للنسب لا للمبالغة كتمار . قال ابن مالك : ومع فاعل وفعال فعل في نسب أغنى عن اليا فقبل (قوله نعت للذين قبله) أي وهو قوله : الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء فقد وصفهم بأوصاف زادتهم قبحا وشناعة (قوله في التوراة) أي على لسان موسى ، قيل إن تلك المقالة لم تقع أصلا فهي كذب محض ، وقيل إنها موجودة في التوراة إلا في حق المسيح ومحمد ، وأما هما فمعجزاتهما غير ذلك فهم قد كذبوا على التوراة على كل حال (قوله من نعم) أي إبل وبقر وغنم وقوله وغيرها أي كخيل وبغال وحمير وأمتعة (قوله بيضاء) أي لادخان لها ولها دوي (قوله إلا في المسيح ومحمد) هذه طريقة والطريقة الأخرى أن هذا العهد باطل وكذب من أصله (قوله كزكريا ويحيى) أي فجاءوا بقربان وأكلته النار (قوله لرضاهم به) أي والرضا بالكفر كفر (قوله فلم قتلتموهم) أي فلأي شيء قتلتموهم (قوله فإن كذبوك) أي داموا على تكذيبك وجواب الشرط محذوف الباطل
قدره المفسر بقوله فاصبر كما صبروا والمناسب ذكره بلصقه وأما فقد كذب رسل فدليل الجواب ولا يصح أن يكون جوابا لأنه ماض بالنسبة للشرط وهذا تسلية له صلى الله عليه وسلم (قوله المعجزات) أي الظاهرة الباهرة (قوله والزبر) جمع زبور وهو كل كتاب اشتمل على المواعظ من الزبر وهو الموعظة والزجر (قوله والكتاب) عطف خاص على عام واعتناء بخصهما لشرفهما (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضا (قوله كل نفس ذائقة الموت) هذا أيضا من جملة التسلية له صلى الله عليه وسلم والمعنى كل روح ذائقة الموت لجسمها وإلا فالروح لاتموت وعموم الآية يشمل حتى الشهداء والأنبياء والملائكة وأما قوله تعالى : ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء فمعناه ترد بعد خروجها لهم وكذلك الأنبياء والملائكة ، وأما ماعداهم فلا ترد لهم إلا عند النفخة الثانية (قوله جزاء أعمالكم) أي خيرها وشرها (قوله يوم القيامة) أي وما ألحق به لما ورد « القبر روضة من رياض الجنة أوحفرة من حفر النار » (قوله وأدخل الجنة) أي مع السابقين أو بعد الخروج من النار (وما الحياة الدنيا) أي القريبة وهي التي نحن ملتبسون بها .

(قوله الباطل) أي الزائل الذي لايبقى ويصح أن يراد بالغرور مصدر بمعنى اسم المفعول : أي المخدوع بالشيء الحسن ظاهره القبيح باطنه بمعنى أنه لا يدرى العواقب . قال الامام الشافعي :

إن لله عبادا فطنا ... طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما علموا ... أنها ليست لحيّ وطنا
جعلوها لجة واتخذوا ... صالح الأعمال فيها سفنا

(قوله لتبلونّ) إخبار من الله للمؤمنين بأنه سيقع لهم بلايا من الله بلاواسطة ومن الكفار أذى كثير في أموالهم وأعراضهم وأنفسهم وأمر منه لهم بالصبر حين وقوع ذلك لأن الجنة حفت بالمكاره واللام موطئة لقسم محذوف وتبلون فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه النون المحذوفة لتوالي النونات والواو نائب فاعل والنون للتوكيد وأصله تبلوون أكد فصار تبلوونن ثم أتى باللام لتدل على القسم المحذوف تحركت الواو الأولى التي هي لام الكلمة وانفتح ماقبلها قلبت ألفا فالتقى ساكنان حذفت الألف لالتقاء الساكنين ثم حذفت نون الرفع لتوالي الأمثال ثم حركت الواو بحركة مجانسة لها (قوله لالتقاء الساكنين) علة لمحذوف تقديره وحذفت الألف المنقلبة عن الواو الأولى لالتقاء الساكنين (قوله لتختبرن) حل لمعنى لتبلونّ ، والمعنى يعاملكم معاملة المختبر وإلا فهو أعلم بكم من أنفسكم (قوله بالفرائض فيها) أي كالزكاة والكفارات والنذور ، وقوله والجوائح : أي الأمور السماوية التي تهلك الزرع كالجراد والفأر والظلمة (قوله بالعبادات) أي التكاليف بها ، وقوله والبلاء : أي الذي يصيب الانسان في نفسه كالعمى والجراحات وغير ذلك (قوله من قبلكم) جار ومجرور حال من قوله الذين أوتوا الكتاب وأصل لتسمعن تسمعون أكد بالنون ولام القسم حذفت نون الرفع لتوالي الأمثال فالتقى ساكنان حذفت الواو لالتقائهما ولوجود الضمة التي تدل عليها (قوله والتشبيب بنسائكم) أي بذكر محاسنهن وأوصافهن بالقصائد وتناشدها بينهم ، وكان يفعل ذلك كعب بن الأشرف لعنه الله (قوله على ذلك) أي المذكور من الابتلاء في الأموال والأنفس وسماع الأذى من أهل الكتاب (قوله لوجوبها) أي فالصبر على ماذكر والتقوى لله من الأمور الواجبة فان من علامة الإيمان الصبر والتقوى وقبيح على الانسان يدعي محبة الله ثم لم يصبر على أحكامه . قال العارف :

تدعي مذهب الهوى ثم تشكو ... أين دعواك في الهوى يامعنى
لو وجدناك صابرا لبلانا ... لعطيناك كل ما تتمنى

الباطل يتمتع به قليلاً ثم يفنى (لَتُبْلَوُنَّ) حذف منه نون الرفع لتوالي النونات والواو ضمير الجمع لالتقاء الساكنين: لتختبرن (فِي أَمْوَالِكُمْ) بالفرائض فيها والجوائح (وَأَنْفُسِكُمْ) بالعبادات والبلاء (وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ) اليهود والنصارى (وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا) من العرب (أَذًى كَثِيراً) من السب والطعن والتشبيب بنسائكم (وَإِنْ تَصْبِرُوا) على ذلك (وَتَتَّقُوا) الله (فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) أي من معزوماتها التي يعزم عليها لوجوبها (وَ) اذكر (إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ) أي العهد عليهم في التوراة (لَيُبَيِّنُنَّهُ) أي الكتاب (لِلنَّاسِ وَلَا يَكْتُمُونَهُ) أي الكتاب بالياء والتاء في الفعلين (فَنَبَذُوهُ) طرحوا الميثاق (وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ) فلم يعملوا به (وَاشْتَرَوْا بِهِ) أخذوا بدله (ثَمَناً قَلِيلاً) من الدنيا من سفلتهم برياستهم في العلم فكتموه خوف فوته عليهم (فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ) شراؤهم هذا (لَا تَحْسَبَنَّ) بالتاء والياء (الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا) فعلوا من إضلال الناس (وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا) من التمسك بالحق وهم على ضلال (فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ) ،

(قوله بالياء والتاء في الفعلين) أي وهما ليبيننه ولا يكتمونه وهما قراءتان سبعيتان فعلى الياء إخبار عنهم وعلى التاء حكاية للحال الماضية (قوله فنبذوه وراء ظهورهم) كناية عن عدم التمسك به لأن من لم يتمسك بشيء ولم يعتنه طرحه خلف ظهره (قوله شراؤهم) أشار به إلى أن ما مؤولة بمصدر فاعل بئس ، وقوله هذا هو المخصوص بالذم وهذه الآية و إن وردت في الكفار تجر بذيلها على عصاة المؤمنين الذين يكتمون الحق وينصرون الباطل (قوله بالتاء والياء) فعلى التاء الخطاب للنبي أو لمن يصلح له الخطاب والذين مفعول أول والمفعول الثاني محذوف دل عليه قوله بمفازة من العذاب تقديره ناجين من عذاب الله وعلى الياء فقوله الذين فاعل ومفعولاها محذوفان تقديرهما أنفسهم ناجين من عذاب الله وسيأتي يشير لذلك المفسر

(قوله بالوجهين) أى الياء والتاء لكن على قراءة التاء الباء مفتوحة وهذه الآية تجر بذيلها على من يكون خبيث الباطن وعجب زينة الظاهر كأن يظهر العلم والصلاح والتقوى مع كونه فى الباطن ضالا مضلا (قوله ولله ملك السموات والأرض) أى التصرف فيما فى السموات وما فى الأرض لأن ذات السموات والأرض لا نزاع فى أنهما مملوكان لله (قوله ومنه) أى من الشىء المقدور عليه (قوله إن فى خلق السموات والأرض) سبب نزولها أن كفار مكة قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم ائتنا بآية تدل على أن الله واحد ، فقال تعالى ردا عليهم - إن فى خلق السموات والأرض - الآيات و إن حرف توكيد ونصب وفى خلق جار ومجرور خبرها مقدّم وخلق مضاف والسموات مضاف إليه ، وقوله لآيات اسمها مؤخر (قوله وما فيهما من العجائب) أشار بذلك إلى أن خلق باق على مصدريته بمعنى الايجاد ويحتمل أن يكون بمعنى اسم المفعول : أى مخلوقات السموات والأرض ، وقوله من العجائب : أى كالنجوم والشمس والقمر والسحاب بالنسبة للسموات، والبحار والجبال والنباتات والحيوانات بالنسبة للأرض . قال تعالى - أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج ، والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج - وبالجملة : فى كل شىء له آية تدل على أنه الواحد

بالوجهين تأكيد (بِمَفَازَةٍ) بمكان ينجون فيه (مِنَ الْعَذَابِ) فى الآخرة بل هم فى مكان يعذبون فيه وهو جهنم (وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم فيها ومفعولا تحسب الأولى دل عليهما مفعولا الثانية على قراءة التحتانية ، وعلى الفوقانية حذف الثانى فقط (وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ) خزائن المطر والرزق والنبات وغيرها (وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) ومنه تعذيب الكافرين وإنجاء المؤمنين (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ) وما فيهما من العجائب (وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ) بالمجىء والذهاب والزيادة والنقصان (لَآيَاتٍ) دلالات على قدرته تعالى (لِأُولِي الْأَلْبَابِ) لذوى العقول (الَّذِينَ) نعت لما قبله أو بدل (يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ) مضطجعين أى فى كل حال ، وعن ابن عباس يصلون كذلك حسب الطاقة (وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ) ليستدلوا به على قدرة صانعهما يقولون (رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا) الخلق الذى نراه (بَاطِلًا) حال: عبثا بل دليلا على كمال قدرتك (سُبْحَانَكَ) تنزيها لك عن العبث (فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ) ،

(قوله بالمجىء والذهاب) أى بمجىء الليل عقب النهار والنهار عقب الليل فليس أحد يقدر على إتيان الليل فى النهار ولا العكس (قوله والزيادة والنقصان) أى زيادة أحدهما بقدر ما نقص من الآخر (قوله دلالات) أى براهين قطعية دالة على كونه متصفا بالكمالات منزها عن النقائص (قوله ذوى العقول) أى أصحاب العقول الكاملة (قوله نعت لما قبله) أى وهو أولى فهو فى محل جر (قوله مضطجعين) أشار بذلك إلى أن قوله : وعلى جنوبهم متعلق بمحذوف حال فهو حال مؤوّلة بعد حال صريحة (قوله أى فى كل حال) تفسير لقوله - قياما وقعودا وعلى جنوبهم - (قوله يصلون كذلك) أى قياما إن قدروا فان لم يقدروا فقعودا فان لم يقدروا فعلى جنوبهم (قوله ليستدلوا به على قدرة صانعهما) أى واتصافه بالكمالات فالتفكر مورث للعلم والمعرفة . قال العارف أبو الحسن الشاذلى : ذرة من عمل القلوب خير من مثاقيل الجبال من عمل الأبدان (قوله يقولون) قدره إشارة إلى أنه حال من الواو فى يتفكرون ، والمعنى يتفكرون قائلين ربنا الخ وهو إشارة لثمرة الفكر فثمرة الفكر الاستدلال والمعرفة بالله (قوله حال) أى من قوله هذا ، وهذه الحال لا يستغنى عنها فهى واجبة الذكر كقوله تعالى - وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين - (قوله سبحانك) مصدر منصوب بفعل محذوف وجوبا تقديره أسبح سبحانك ، وهذه الجملة معترضة بين قوله - ربنا ما خلقت هذا باطلا - وبين قوله - فقنا عذاب النار - (قوله فقنا عذاب النار) هذا متسبب عن قوله - ربنا ما خلقت هذا باطلا - أى حيث وحدناك ونزهناك عن النقائص فقنا عذاب النار لأن النار جزاء من عصى ولم يوحد (قوله إنك من تدخل النار الخ) هذا علة لما قبله ، والمعنى إنما طلبنا الوقاية من عذاب النار لأن من أدخلته النار فقد أخزيته .

(قوله لا الخلود فيها) جواب عن سؤال مقدر تقديره إن قوله تعالى ـ يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه ـ يقتضى أن جميع المؤمنين غير مخزيين مع أن بعض العصاة منهم يدخل النار تطهيرا لما اقترفه وهذه الآية تدل على أن من دخل النار مخزى و إن مؤمنا . فأجاب المفسر بحمل الآية على الكفار (قوله زائدة) أى للتوكيد فى المبتدإ المؤخر وقوله للظالمين خبر مقدم (قوله مناديا) أى داعيا وهو على حذف مضاف أى نداء مناد (قوله ينادى) صفة لمناديا على الصحيح خلافا لمن جعله مفعولا ثانيا لسمع لأنها لا تنصب إلا مفعولا واحدا على الصحيح (قوله وهو محمد) أى فاسناد النداء إليه حقيقى وقوله أو القرآن أى فاسناد النداء إليه مجازى والمعنى منادى به (قوله أن آمنوا) أن تفسيرية، وقوله بربكم أى صدقوا بأنه يجب له كل كمال و يستحيل عليه كل نقص (قوله فاغفر لنا ذنوبنا) أى استرها عن أعين الخلق وقوله وكفر عنا سيئاتنا أى غطها عنا فلا تؤاخذنا بها وامحها من الصحف وهو ترق عظيم فى طلب المغفرة فهو من عطف الخاص على العام (قوله بالعقاب عليها) أى ولا بالعتاب عليها (قوله وتوفنا مع الأبرار) أى احشرنا معهم واجعلنا فى زمرتهم ، والمراد بالأبرار المطهرون الذين لم يفعلوا ذنوبا (قوله وآتنا) معطوف على محذوف تقديره حقق لنا ماذكر وآتنا (قوله من الرحمة والفضل) بيان لما (قوله وسؤالهم ذلك الخ) أشار بذلك إلى سؤال وارد حاصله أن يقال إن وعد الله لا يتخلف قال تعالى ـ وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما ـ فلا فائدة فى ذلك السؤال أجاب المفسر بقوله سؤال أن يجعلهم الخ . وحاصل ذلك الجواب أن العاقبة

للخلود فيها (فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ) أهنته (وَمَا لِلظَّالِمِينَ) الكافرين فيه وضع الظاهر موضع المضمر إشعاراً بتخصيص الخزى بهم (مِنْ) زائدة (أَنْصَارٍ) يمنعونهم من عذاب الله تعالى (رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى) يدعو الناس (لِلْإِيمَانِ) أى إليه وهو محمد أو القرآن (أَنْ) أى بأن (آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا) به (رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ) غط (عَنَّا سَيِّئَاتِنَا) فلا تظهرها بالعقاب عليها (وَتَوَفَّنَا) اقبض أرواحنا (مَعَ) فى جملة (الْأَبْرَارِ) الأنبياء والصالحين (رَبَّنَا وَآتِنَا) أعطنا (مَا وَعَدْتَنَا) به (عَلَى) ألسنة (رُسُلِكَ) من الرحمة والفضل ، وسؤالهم ذلك وإن كان وعده تعالى لا يخلف سؤال أن يجعلهم من مستحقيه لأنهم لم يتيقنوا استحقاقهم له وتكرير ربنا مبالغة فى التضرع (وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ) الوعد بالبعث والجزاء (فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ) دعاءهم (أَنِّى) أى بأنى (لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى ،

مجهولة ووعد الله لا يخلف لمن حمدت عاقبته ومن أين لنا حسن العاقبة ففائدة السؤال أن الله يحسن عاقبتهم فاذا حسنت تحقق وعده تعالى: إن قلت لا يخلو الأمر إما أن تكون العاقبة فى نفس الأمر محمودة فوعد الله له محقق ولا بد و إما أن تكون غير محمودة فليس له عند الله وعد أصلا فلا فائدة فى الدعاء. وأجيب بأن توفيقه للدعاء دليل على أن الله لا يخلف وعده الذى وعده إياه . قال بعضهم ما رفقك للدعاء إلا ليعطيك فحيث وفق العبد للدعاء كان دليلا على قبوله و إنابته وحسن عاقبته ولذا لم يوفق إبليس للتوبة ولا للدعاء (قوله وتكرير ربنا الخ) جواب عن سؤال مقدر حاصله أنه لم كرر لفظ ربنا خمس مرات فأجاب بأنه مبالغة فى التضرع: أى الخضوع والتذلل ولما ورد أنه الاسم الأعظم، وعن جعفر الصادق من حزبه أمر فقال خمس مرات ربنا أنجاه الله مما يخاف وأعطاه ما أراد ، قيل وكيف ذلك قال اقرءوا قوله تعالى ـ إن فى خلق السموات والأرض ـ الآيات، وهى من أوراد الصالحين تقرأ إلى آخر السورة عند الاستيقاظ من النوم ليلا فمن لازم عليها تحقق بما فيها وحصل له ثواب من قام الليل (قوله يوم القيامة) ظرف لقوله ولا تخزنا أى لا تفضحنا فى ذلك اليوم (قوله إنك لا تخلف الميعاد) علة لقوله آتنا ماوعدتنا الخ (قوله فاستجاب لهم) أى لأولى الألباب الموصوفين بما تقدم واستجاب بمعنى أجاب فالسين والتاء زائدتان للتأكيد وهو يتعدى بنفسه واللام (قوله ربهم) إنما عبر به دون غيره من الأسماء لمناسبة دعائهم به (قوله أى بأنى) أشار بذلك إلى أن أن بفتح الهمزة باتفاق السبعة وفيه حذف الجار وهو مطرد إذا أمن اللبس، قال ابن مالك :

. . . وفى أن وأن يطرد ... مع أمن لبس كعجبت أن يدوا

وهذه الباء للسببية وقرئ شذوذا باثباتها وقرئ شذوذا أيضا بكسر الهمزة على تقدير القول (قوله لا أضيع) هكذا بسكون الياء من أضاع وقرئ بتشديد الياء من ضيع (قوله منكم) جار ومجرور صفة لعامل وقوله من ذكر أو أنثى من بيانية وقيل زائدة

وذكر أو أنثى بدل من عامل وقيل إن الجار والمجرور بدل من الجار والمجرور قبله بدل كل من كل (قوله بعضكم من بعض) هذه الجملة قصد بها التعليل والتعميم ، والمعنى لاأضيع عمل عامل منكم جميعا ذكر أو أنثى لأن ربكم واحد وأصلكم واحد ودينكم واحد وبعضكم متناسل من بعض (قوله مؤكدة لما قبلها) أى قصدبها التعميم (قوله نزلت) أى هذه الآية من هنا إلى قوله والله عنده حسن الثواب (قوله من مكة إلى المدينة) أى أو إلى الحبشة كما كان فى صدر الاسلام فكان من أسلم ولم يأمن على نفسه يأمره النبي صلى الله عليه وسلم بالهجرة إلى الحبشة إلى أن جاءه الاذن بالهجرة إلى المدينة (قوله وأخرجوا من ديارهم) يشير بذلك إلى أن الاخراج قهرى لأنه وإن كان فى الظاهرطائعا إلا أنه فى الباطن مكره (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما قراءتان سبعيتان وقوله وفى قراءة بتقديمه أى المبنى للمفعول لكن بالتخفيف فالقراءات ثلاث وتكون الواو على هذه القراءة بمعنى مع أى قتلوا مع كونهم قاتلوا فلم يفروا بل قتلوا فى حال مقاتلتهم الأعداء (قوله لأكفرن) اللام موطئة لقسم محذوف أى وحق وجلالى لأكفرن والقسم وجوابه فى محل رفع خبر قوله فالذين هاجروا الخ وهذا الوعد الحسن لمن اتصف بجميع تلك الصفات أو ببعضها (قوله أسترها بالمغفرة) أى عن الخلق

وأبدلها حسنات (قوله ثوابا) هو فى الأصل مقدار من الجزاء أعده الله لعباده المؤمنين فى الآخرة فى نظير أعمالهم الحسنة لكن المراد به هنا الاثابة فهو مصدر مؤكد كما قال المفسر ويصح أن يكون حالا من جنات : أى لأدخلنهم جنات حال كونها ثوابا بمعنى مثابابها أى فى نظير أعمالهم الحسنة (قوله من معنى لأكفرن) أى وما بعده وهو لأدخلنهم فهما فى معنى لأثيبنهم (قوله من عند الله) جار ومجرور متعلق بمحذوف صفة لثوابا (قوله فيه التفات عن التكلم) أى وكان مقتضى

بَعْضُكُمْ) كائن (مِنْ بَعْضٍ) أى الذكور من الإناث وبالعكس والجملة مؤكدة لما قبلها أى هم سواء فى المجازاة بالأعمال وترك تضييعها . نزلت لما قالت أم سلمة يا رسول الله إنى لا أسمع ذكر النساء فى الهجرة بشىء (فَالَّذِينَ هَاجَرُوا) من مكة إلى المدينة (وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي) دينى (وَقَاتَلُوا) الكفار (وَقُتِلُوا) بالتخفيف والتشديد وفى قراءة بتقديمه (لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ) أسترها بالمغفرة (وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا) مصدر من معنى لأكفرن مؤكد له (مِنْ عِنْدِ اللَّهِ) فيه التفات عن التكلم (وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ) الجزاء . ونزل لما قال المسلمون : أعداء الله فيما نرى من الخير ونحن فى الجهد (لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا) تصرفهم (فِي الْبِلَادِ) بالتجارة والكسب هو (مَتَاعٌ قَلِيلٌ) يتمتعون به يسيراً فى الدنيا ويفنى (ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ) الفرش هى (لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ) أى مقدرين الخلود (فِيهَا نُزُلًا) هو ما يعد للضيف ونصبه على الحال من جنات والعامل فيها معنى الظرف ،

الظاهر أن يقول ثوابا من عندى وإنما أظهر فى محل الاضمار تشريفا لهم (قوله والله عنده (من حسن الثواب) لفظ الجلالة مبتدأ وقوله حسن الثواب مبتدأ ثان وقوله عنده خبر الثانى والثانى وخبره خبر الأول ويحتمل أن يكون حسن الثواب فاعلا بالظرف قبله والجملة خبر المبتدإ وإضافة حسن للثواب من إضافة الصفة للموصوف أى الثواب الحسن كالجنة ومافيها وأتى بهذه الآية تعليلا لما قبلها (قوله لايغرنك) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمقصود غيره لأن هذه المقالة واقعة من ضعفاء المسلمين ولا ناهية ويغرنك فعل مضارع مبنى على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة والكاف مفعوله والمعنى لاتغتر بتقلبهم الخ (قوله متاع قليل) خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله هو (قوله يتمتعون) أى ينتفعون ويتنعمون به (قوله هى) أشار به إلى أنه المخصوص بالذم (قوله لكن الذين اتقوا) إنما أتى بالاستدراك دفعا لما يتوهم من أن الدنيا مذمومة ومتاع قليل مطلقا للمؤمن والكافر فأفاد أن المؤمن وإن أخذ فى التجارة والتكسب لايضره ذلك بل له فى الآخرة الدرجات العلا فذم الدنيا ومعيشتها للكافر خاصة ، قال العارف :

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا   لا بارك الله فى دنيا بلا دين

(قوله تجرى من تحتها الأنهار) صفة لجنات (قوله أى مقدرين الخلود) أشار بذلك إلى أن قوله خالدين حال مقدرة لأن وقت دخولهم الجنة ليسوا بخالدين فيها (قوله ونصبه على الحال) أى لهم جنات حال كونها مهيأة ومعدة للمؤمنين كما يقرى الانسان ضيفه

(مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ) من الثواب (خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ) من متاع الدنيا (وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ) كعبد الله بن سلام وأصحابه والنجاشى (وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ) أى القرآن (وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ) أى التوراة والإنجيل (خَاشِعِينَ) حال من ضمير يؤمن مراعى فيه معنى من، أى متواضعين (لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ) التى عندهم فى التوراة والإنجيل من نعت النبى (ثَمَنًا قَلِيلًا) من الدنيا بأن يكتموها خوفا على الرياسة كفعل غيرهم من اليهود (أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ) ثواب أعمالهم (عِنْدَ رَبِّهِمْ) يؤتونه مرتين كما فى القصص (إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ) يحاسب الخلق فى قدر نصف نهار من أيام الدنيا (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا) على الطاعات والمصائب وعن المعاصى (وَصَابِرُوا) الكفار فلا يكونوا أشد صبرا منكم (وَرَابِطُوا) أقيموا على الجهاد (وَاتَّقُوا اللَّهَ) فى جميع أحوالكم (لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) تفوزون بالجنة وتنجون من النار .

(سورة النساء)

(مدنية مائة وخمس أوست أو سبع وسبعون آية)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ. يَا أَيُّهَا النَّاسُ) أى أهل مكة ،

بأعظم ماعنده (قوله من عند الله) هذه الجملة صفة لنزلا وإنما سمى نزلا لأنه ارتفع عنهم تكاليف السعى والكسب فهو شئ سهل مهيأ لهم من غير تعب ولذلك حين دخولها يقولون: الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن (قوله للأبرار) أى المتقين (قوله وإن من أهل الكتاب) سبب نزولها أنه يوم موت النجاشى ملك الحبشة واسمه أصحمة ومعناه عطية الله أسلم من غير أن يرى النبى صلى الله عليه وسلم ودخلت رعيته فى الاسلام تبعا له جاء جبريل وأخبره بأنهم متوجهون بجنازته ليصلوا عليه فخرج النبى وأصحابه إلى الصحراء فكشف للنبى عنه فصلى عليه هو وأصحابه فلما فرغوا قال المنافقون انظروا إلى هذا الرجل يصلى على علج حبشى نصرانى لم يره قط وليس على دينه فنزلت الآية (قوله كعبد الله بن سلام) أى وأربعين من نصارى نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم، وراعى فى الصلة لفظ من وفى قوله خاشعين وما بعده معناها (قوله بأن يكتموها) تصوير للشراء المنفى (قوله يؤتونه مرتين) أى لايمانهم بكتابهم والقرآن (قوله كما فى القصص) أى فى سورة القصص قال تعالى ـ أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ـ (قوله إن الله سريع الحساب) أى المجازاة على الخير والشر (قوله يأيها الذين آمنوا اصبروا) لما بين فى هذه السورة فضل الجهاد والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وغير ذلك من الأحكام العظيمة ختمت بما يفيد المحافظة على ذلك (قوله على الطاعات الخ) أشار بذلك إلى مراتب الصبر الثلاثة وأعظمها الصبر عن المعصية (قوله فلا يكونوا أشد صبرا منكم) أى فلا تفروا من الأعداء واصبروا على الجهاد وخصه وإن دخل فى عموم الصبر لأنه أعظم أنواعه وجامع لها فانه صبر على الطاعة وهو الجهاد وعن المعصية وهو الفرار من العدو وعلى المصيبة وهى القتل والجرح (قوله ورابطوا) أصل المرابطة أن يربط كل من الخصمين خيولهم بحيث يكونون مستعدين للقتال ثم توسع فيه وجعل كل مقيم فى الثغر لحراسه العدو مرابطا وإن لم يكن عدو ولا مركوب مربوط (قوله فى جميع أحوالكم) أى حالاتكم من رخاء وشدة وعسر ويسر وصحة ومرض (قوله لعلكم تفلحون) الترجى فى القرآن بمنزلة التحقيق. والفلاح هو الفوز والظفر، ورد أن من قرأ سورة آل عمران أعطاه الله بكل آية منها أمانا على جسر جهنم .

[سورة النساء] مدنية أى كلها وإن خوطب بعضها أهل مكة لأن القاعدة أنه متى قيل فى القرآن يأيها الناس كان خطابا لأهل مكة ومتى قيل يأيها الذين آمنوا كان خطابا لأهل المدينة (قوله وخمس أو ست) أو لتنويع الخلاف فهى مائة وسبعون جزما والخلاف فيما زاد (قوله يأيها الناس) الخطاب للمكلفين عموما ذكورا وإناثا إنسا أوجنا لأن لهم مالنا وعليهم ماعلينا وليس مخصوصا بمن كان موجودا وقت النزول لأن العبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب قال تعالى ـ وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ـ .

(قوله اتقوا ربكم) أى امتثلوا أوامره واجتنبوا نواهيه وذلك يحصل بالاسلام فإن المسلم العاصى قد اتقى الشرك وهو أعظم المنهيات بالايمان وهو أعظم المأمورات لكن يقال لها تقوى عامة، وتقوى الخواص هى اجتناب المنهيات جميعها وامتثال المأمورات على حسب الطاقة، وتقوى خواص الخواص هى الانهماك فى طاعة الله وعدم الشغل بغيره ولو مباحا والآية صادقة بهذه المراتب كلها (قوله الذى خلقكم) تأكيد للأمر المتقدم فالمعنى اتقوا الله لأنه مالككم ومربيكم ومن أوصافه أنه خلقكم وأنشأكم من نفس واحدة فمن كان بهذه الصفات فهو أحق بأن يتقى لأنه لا استغناء عنه بل كل من خلقه مفتقر إليه فى كل لمحة وطرفة ولحظة، وفى ذلك إشارة إلى أن التقوى تكون فى حق بعضنا بعضا لأن أصلنا واحد فالواجب علينا اتقاء ربنا لأنه الخالق لنا واتقاء بعضنا بعضا لأننا كلنا من أصل واحد (قوله وخلق منها) أى من تلك النفس الواحدة (قوله زوجها) يقال فى الأنثى زوج وزوجة والأفصح الأول (قوله حواء) بالمد سميت بذلك لأنها خلقت من حى (قوله من ضلع من أضلاعه) أى بعد أن أخذه النوم ولم يشعر بذلك ولم يتألم فلما استيقظ من النوم وجدها فمال إليها فأراد أن يمد يده إليها فقالت له الملائكة مه يا آدم حتى تؤدى مهرها قال فما مهرها قالوا حتى تصلى على النبى صلى الله عليه وسلم وفى رواية ثلاث صلوات وفى رواية سبعة عشر وفى ذلك اشارة إلى أنه عليه الصلاة والسلام الواسطة لكل موجود حتى أبيه آدم. إن قلت حيث كانت حواء مخلوقة من ضلع آدم فهى أخت لأولاده فمقتضاه أنه يحل لمن يخلق منها التزوج بها فى شرعه. أجيب بأن تفرع حواء من آدم ليس كتفرع الولد من الوالد بل نباتها من الضلع كما تنبت النخلة من النواة فلا يحكم عليها بأنها بنت آدم و يقال لها أخت أولاده بل هى أمهم لا غير. واختلف هل كان خلق حواء خارج الجنة و به قال جماعة، وقال ابن عباس وجماعة إنه كان داخل الجنة ولا مانع من كونه أخذه النوم فيها لأن الممنوع النوم بعد دخولها يوم القيامة (قوله ونساء كثيرة) أشار بذلك الى أن فى الآية اكتفاء، ورد أن حواء حملت من آدم عشرين بطنا أو أربعين بطنا فى كل بطن ذكر وأنثى وكان يزوج ذكر هذه البطن لأنثى البطن الأخرى فنزل اختلاف البطون منزلة اختلاف الآباء والأمهات وما مات حتى اجتمع من ذريته مباشرة و بواسطة فوق المائة ألف يشتغلون بأنواع الصنائع والتجارة وكانوا (قوله واتقوا الله) معطوف على قوله اتقوا ربكم (قوله الذى تساءلون به) أى يقسم بعضكم على بعض به لأنه عظيم جليل فحيث كان كذلك فهو أحق بأن يتقى (قوله فيه إدغام التاء الخ) أى فأصله تتساءلون به قلبت التاء سينا ثم أدغمت فى السين و إنما قلبت التاء سينا لقرب مخرجيهما (قوله بحذفها) أى التاء الثانية وحذفت تخفيفا. قال ابن مالك:

وما بتاءين ابتدى قد يقتصر فيه على تا كتبين العبر

(قوله حيث يقول بعضكم الخ) أى فيدخل الحى ولا يتعرض له وكان ذلك فى الجاهلية والمعنى اتقوا الله لأنه ربكم وخالقكم من نفس واحدة ولأنه عظيم يقسم به وتقضى الحوائج باسمه (قوله والأرحام) هكذا بالنصب معطوف على لفظ الجلالة والعامل فيه اتقوا ولذا قدره المفسر وقوله أن تقطعوها إشارة إلى أن الكلام على حذف مضاف تقديره واتقوا قطع الأرحام لما فى الحديث «الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلنى وصله الله ومن قطعنى قطعه الله» ومواصلة الأرحام تختلف باختلاف الناس فمنهم الغنى والفقير فالواجب على الغنى المواصلة بالهدايا والتحف والكلام اللين وعلى الفقير باللين والسعى لهم ومعاشرتهم بالمعروف ولا فرق بين الأحياء والأموات (قوله وفى قراءة بالجر) أى مع تخفيف تساءلون وهى لحمزة وأما قراءة النصب فبالتشديد والتخفيف فالقراآت ثلاثة وكلها سبعية (قوله عطفا على الضمير فى به) أى من غير عود الخافض وهى و إن كانت لغة فصيحة إلا أنها خلاف الكثير، وقد أشار لذلك ابن مالك بقوله:

وعود خافض لدى عطف على ضمير خفض لازما قد جعلا

(اتَّقُوا رَبَّكُمُ) أى عقابه بأن تطيعوه (الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ) آدم (وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا) حواء بالمد من ضلع من أضلاعه اليسرى (وَبَثَّ) فرق ونشر (مِنْهُمَا) من آدم وحواء (رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً) كثيرة (وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ) فيه إدغام التاء فى الأصل فى السين وفى قراءة بالتخفيف بحذفها أى تتساءلون (بِهِ) فيما بينكم حيث يقول بعضكم لبعض: أسألك بالله وأنشدك بالله (وَ) اتقوا (الْأَرْحَامَ) أن تقطعوها، وفى قراءة بالجر عطفا على الضمير فى به،

وليس عندى لازما إذ قد أتى   فى النظم والنثر الصحيح مثبتا

فأشار بالنثر الصحيح إلى الآية ، و بالنظم إلى قول الشاعر :

فاليوم قد بت تهجونا وتشتمنا   فاذهب فما بك والأيام من عجب

بجر الأيام (قوله وكانوا يتناشدون بالرحم) هذا مرتب على القراءة الثانية أى فالمعنى اتقوا الله لأنكم تتناشدون به واتقوا الأرحام لأنكم تتناشدون بها ومن التناشد بها قول هرون لأخيه موسى صلوات الله وسلامه عليهما: يا ابن أم لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى (قوله إن الله كان عليكم رقيبا) هذا تعليل لقوله ـ اتقوا ربكم ـ والرقيب لغة من ينظر فى الأمور و يتأمل فيها واصطلاحا الحفيظ الذى لا يغيب عن حفظه شئ وهذا المعنى هو المراد فى حق الله تعالى (قوله حافظا لأعمالكم) أى جميعها خيرها وشرها سرها وجهرها، قال تعالى ـ سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار ، يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ـ (قوله أى لم يزل متصفا بذلك) جواب عن سؤال مقدر تقديره إن لفظ كان يفيد الانقطاع فيفيد أن الله اتصف بالحفظ فيما مضى وانقطع. فأجاب بأن كان هنا للاستمرار أى هو متصف بذلك أزلا وأبدا (قوله ونزل فى يتيم) أى بحسب ما كان و إلا فوقت طلبه كان رشيدا (قوله طلب من وليه) أى وكان عما لذلك اليتيم (قوله فمنعه) أى فلما منعه شكا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية فلما سمعها الولى قال أطعت الله وأطعت رسوله ونعوذ بالله من الحوب الكبير (قوله وآتوا اليتامى) شروع فى ذكر مواطن التقوى وقدم مال اليتيم لأن فيه وعيدا عظيما وتحذيرا شديدا، واليتامى جمع يتيم و يجمع أيضا على أيتام من اليتم وهو لغة الانفراد ومنه الدرة اليتيمة بمعنى عديمة المثيل ومنه يتم سيد (١٨٩) الكائنات عليه أفضل الصلاة

وكانوا يتناشدون بالرحم (إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً) حافظا لأعمالكم فمجازيكم بها أى لم يزل متصفا بذلك . ونزل فى يتيم طلب من وليه ماله فمنعه (وَآتُوا الْيَتَامَى) الصغار الألى لا أب لهم (أَمْوَالَهُمْ) إذا بلغوا (وَلاَ تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ) الحرام (بِالطَّيِّبِ) الحلال ، أى تأخذوه بدله كما تفعلون من أخذ الجيد من مال اليتيم وجعل الردىء من مالكم مكانه (وَلاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ) مضمومة (إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ) أى أكلها (كَانَ حُوباً) ذنبا (كَبِيراً) عظيما . ولما نزلت تحرجوا من ولاية اليتامى. وكان فيهم من تحته العشر أو الثمان من الأزواج فلا يعدل بينهن فنزل

والسلام قال العارف :

أخذ الإله أبا النبى ولم يزل   برسوله الفرد الكريم رحيما

نفسى الفداء لمفرد فى يتمه   والدر أحسن ما يكون يتيما

واصطلاحا أشار له المفسر بقوله الألى لا أب لهم أى ولو كانت أمهم موجودة فاليتم فى الآدمى من كان معدوم الأب وهو صغير وفى غيره من كان معدوم الأم فإن مات الأبوان قيل للصغير لطيم و إن ماتت أمه فقط قيل له عجمى (قوله الألى) بضم الهمزة وفتح اللام اسم موصول جمع الذى كالذين (قوله إذا بلغوا) أى وكانوا راشدين بدليل قوله تعالى ـ فإن آنستم منهم رشدا الآية (قوله ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب) هذا نهى آخر وكان ولى اليتيم فى الجاهلية يأخذ مال اليتيم الجيد و يدفع بدله الردىء كشاة هزيلة يدفعها و يأخذ شاة سمينة ودرهم زائف يتركه لليتيم و يأخذ بدله الجيد و يقول شاة بشاة ودرهم بدرهم (قوله الحرام) أى و إن كان جيدا وقوله الحلال أى و إن كان رديئا (قوله أى تأخذوه بدله) أشار بذلك إلى أن الباء داخلة على المتروك (قوله مضمومة) أى بأن تجمعوا ماله على أموالكم وتصرفوا من الجميع وقصده بذلك أكل الجميع وهذا نهى ثالث لأن الأمر الأول تضمن نهيا أى لا تمنعوا اليتامى من أموالهم إذا رشدوا ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم . إن قلت مقتضى الآية أن أكل مال اليتيم منفردا ليس بذلك عظيم . أجيب بأنه نص على مستقبح الأوصاف زيادة فى التشنيع على من يأكله مع الاستغناء و إلا فأكله منفردا كأكله مضموما لماله فى ارتكاب الإثم الكبير (قوله حوبا) بضم الحاء باتفاق السبعة وقرىء شذوذا بفتح الحاء وسكون الواو وقلبها ألفا والمعنى واحد (قوله ولما نزلت) أى آيات اليتيم التى ورد النهى فيها (قوله تحرجوا) أى شق عليهم وطلبوا الخروج من الحرج الذى هو الإثم (قوله من الأزواج) أى اليتامى فكان الواحد منهم إذا وجد يتيمة ذات مال وجمال رغب فيها لأجل مالها فلما نزلت آية النهى عن أكل مال اليتيم شق عليهم ذلك فنزلت و إن خفتم فالنهى فى الأولى عام فى اليتامى مطلقا أزواجا أولا ، والثانى خاص بالأزواج اليتامى .

(قوله أن لاتقسطوا) من أقسط بمعنى عدل وأما القاسط فمعناه الجائر وقرئ تقسطوا بفتح التاء وتحمل على أن لازائدة أولغة في أقسط بمعنى عدل فتكون مستعملة في الشئ وضده (قوله في اليتامى) أي في نكاحهم (قوله فتحرجتم) أي طلبتم الخروج من الحرج الذي هو الاثم وقوله فخافوا جواب الشرط، قالت عائشة هذه الآية في اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في جمالها ومالها ويريد أن ينتقص صداقها فنهوا عن نكاحهن إلا أن يقسطوا في إكمال الصداق وأمروا بالنكاح من غيرهن قالت عائشة فاستفتى الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فأنزل الله عز وجل ويستفتونك في النساء إلى قوله وترغبون أن تنكحوهن فبين الله لهم في هذه الآية أن اليتيمة إذا كانت ذات جمال ومال رغبوا في نكاحها ولم يلحقوها بأمثالها في إكمال الصداق وبين في تلك الآية أن اليتيمة إذا كانت مرغوبا عنها لقلة المال والجمال تركوها والتمسوا غيرها من النساء قال أي الله فكما يتركونها حين يرغبون عنها فليس لهم أن ينكحوها إذا رغبوا فيها إلا أن يقسطوا لها أو يعطوها حقها الأوفى من الصداق ، وقال الحسن كان الرجل من أهل المدينة تكون عنده الأيتام وفيهن من يحل له نكاحها فيتزوجها لأجل مالها وهي لاتعجبه وإنما تزوجها كراهية أن يدخل غريب فيشاركه في مالها ثم يسيء صحبتها ويتربص إلى أن تموت فيرثها فعاب الله عليهم ذلك وأنزل هذه الآية (قوله بين النساء) أي اليتامى (قوله بمعنى من) أي الواقعة على العاقل وهو جواب عن سؤال مقدر تقديره أن ما لغير العاقل ولا شك أن النساء عقلاء . فأجاب بأن ما بمعنى من وعبر عنهن بما لنقص عقلهن عن الرجال . وأجيب أيضا بأن ما واقعة على الأوصاف والمعنى وانكحوا الوصف الذي يعجبكم من النساء كالحسب والنسب والجمال وفي الحديث «تخيروا لنطفكم فان العرق دساس» (قوله من النساء) أي الغير اليتامى وقد تضمنت هذه الآية النهي عن نكاح اليتامى من أجل أموالهن والزيادة على أربع (قوله مثنى وثلاث ورباع) بدل من النساء (قوله أي اثنين اثنين) المعنى أباح لكم في الاختيار اثنين أو ثلاثا أو أربعا أي فالواو ليست للعطف وإلا لزم أنه يباح جمع تسع وبه قالت الظاهرية ولا بمعنى أو، وإلا لزم أن من اختار اثنين لايجوز له أن ينتقل إلى ثلاث أو أربع (قوله ولا تزيدوا على ذلك) هذا محط السياق (قوله إذ ليس لهن من الحقوق ما للزوجات) أي فلا يجب العدل بينهن لا في القسم ولا في النفقة ولا في الكسوة (قوله أدنى) يتعدى بإلى واللام تقول دنوت إليه وله (قوله أن لاتعولوا) العول في الأصل معناه الميل من قولهم عال الميزان عولا أي مال وعال في الحكم إذا جار (قوله تجوروا) أي تظلموا وفي الحديث «من لم يعدل بين نسائه جاء يوم القيامة وشقه ساقط» (قوله وآتوا النساء) أتى بهذه الآية استطرادا بين أحكام اليتامى لمناسبة ذكر النساء، وآتى بالمد مصدره الايتاء بمعنى الاعطاء فلذا فسره به ، وأما بالقصر فمصدره الاتيان بمعنى المجيء (قوله جمع صدقة) إما بضم الدال أوفتحها أو إسكانها ويقال أيضا صداق بفتح الصاد وكسرها ومعنى الجميع المهر الذي يجعل للمرأة في نظير البضع وأقله عند المالكية ربع دينار شرعي أو ثلاث دراهم شرعية أومتقوم بأحدهما وعند الشافعي يكفي أي شيء متمول ولو خاتما من حديد وعند الحنفية عشرة دراهم شرعية وأكثره لاحد له بل بحسب ماتراضوا عليه والأمر للأزواج والمعنى لاتنكحوا النساء إلا بالمهر وخصصت السنة نكاح التفويض وهو العقد من غير تسمية مهر فهو صحيح لكن يلزمه بعد الدخول صداق المثل (قوله مصدر) أي مؤكد لقوله آتوا من معناه كجلست قعودا ويسمى ذلك المصدر معنويا (قوله عن طيب نفس) أي خالصا لامنة للزوج به عليها (قوله فان طبن) أي النسوة وقوله منه الضمير عائد على الصداق المعلوم من قوله صدقات

(وَإِنْ خِفْتُمْ أَ) نْ (لاَ تُقْسِطُوا) تعدلوا (فِي الْيَتَامَى) فتحرجتم من أمرهم فخافوا أيضا أن لاتعدلوا بين النساء إذا نكحتموهن (فَانْكِحُوا) تزوجوا (مَا) بمعنى مَن (طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ) أي اثنين اثنين وثلاثا ثلاثا وأربعا أربعا ولاتزيدوا على ذلك (فَإِنْ خِفْتُمْ أَ) نْ (لاَ تَعْدِلُوا) فيهن بالنفقة والقَسم (فَوَاحِدَةً) انكحوها (أَوْ) اقتصروا على (مَامَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ) من الإماء إذ ليس لهن من الحقوق ما للزوجات (ذٰلِكَ) أي نكاح الأربع فقط أو الواحدة أو التسري (أَدْنَى) أقرب إلى (أَلاَّ تَعُولُوا) تجوروا (وَآتُوا) أعطوا (النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ) جمع صدقة: مهورهن (نِحْلَةً) مصدر : عطية عن طيب نفس (فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْساً) تمييز محول عن الفاعل ،

ومن يحتمل أن تكون للتبعيض أو للبيان فيحل للمرأة الرشيدة بعد الدخول أن تعطى زوجها المهر كله أو بعضه عند جميع الأئمة إلا الليث فعنده لا يحل أن تعطيه جميعه فمن على ذلك يتعين أن تكون للتبعيض لا للبيان (قوله أى طابت أنفسهن) هذا بيان لكون نفسا فى الأصل فاعلا (قوله فوهبنه لكم) أى اختيارا لاقهرا و إلافلا يحل أخذه ويشترط أيضا أن تكون المرأة رشيدة بالغة و إلا فلا يحل أخذه (قوله فكلوه) أى انتفعوا به فأطلق الأكل وأراد مطلق الانتفاع (قوله مريئا) أى ممروءا لاغصة فيه ولا عقبة من قولهم جرى الطعام فى المرىء أى العرق الأحمر الكائن تحت الحلقوم المسمى بالبلعوم وهنيئا مريئا حالان من مفعول كلوه والمعنى كلوه حال كونه هنيئا حلالا مريئا سائغا لانكد فيه (قوله فى الآخرة) أى ولا فى الدنيا فليس لورثتها طلبه (قوله على من كره ذلك) أى استنكافا عنه وجعله كالرجوع فى الهبة (قوله ولا تؤتوا السفهاء) هذا رجوع لتتميم أحكام اليتامى وأصل تؤتوا تؤتيوا استثقلت الضمة على الياء فحذفت فالتقى ساكنان الياء والواو حذفت الياء لالتقائهما (قوله والصبيان) معطوف على المبذرين (قوله أى أموالهم) أى و إنما نسبها للأولياء لأنهم هم المتصرفون فيها فالاضافة ليست للملك و إنما هى لأدنى ملابسة (قوله التى جعل الله لكم قياما) جعل بمعنى صير ولفظ الجلالة فاعله وقياما مفعول ثان والمفعول الأول محذوف تقديره جعلها والضمير عائد على الأموال و يحتمل أن جعل بمعنى خلق فقياما حال والمعنى لاتعطوا المبذرين

والصبيان أموالهم التى جعلها الله

أى طابت أنفسهن لكم عن شىء من الصداق فوهبنه لكم (فَكُلُوهُ هَنِيئًا) طيبا (مَرِيئًا) محمود العاقبة لاضرر فيه عليكم فى الآخرة، نزلت ردًّا على من كره ذلك (وَلَا تُؤْتُوا) أيها الأولياء (السُّفَهَاءَ) المبذرين من الرجال والنساء والصبيان (أَمْوَالَكُمُ) أى أموالهم التى فى أيديكم (الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا) مصدر قام أى تقوم بمعاشكم وصلاح أودكم فيضيعوها فى غير وجهها. وفى قراءة قِيَمًا جمع قيمة ماتقوم به الأمتعة (وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا) أى أطعموهم منها (وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا) عدوهم عدة جميلة بإعطائهم أموالهم إذا رشدوا (وَابْتَلُوا) اختبروا (الْيَتَامَى) قبل البلوغ فى دينهم وتصرفهم فى أحوالهم (حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ) أى صاروا أهلا له بالاحتلام أو السن وهو استكمال خمس عشرة سنة عند الشافعى (فَإِنْ آنَسْتُمْ) أبصرتم (مِنْهُمْ رُشْدًا) صلاحا فى دينهم ومالهم (فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا) أيها الأولياء (إِسْرَافًا) بغير حق حال (وَبِدَارًا) أى مبادرين إلى إنفاقها مخافة (أَنْ يَكْبَرُوا) رشداء فيلزمكم تسليمها إليهم (وَمَنْ كَانَ)،

مقومة لمعاشهم وصلاحهم (قوله أودكم) الأود بفتحتين و بفتح فسكون معناه العوج (قوله وفى قراءة قيما) أى وهى سبعية أيضا وقرىء شذوذا قواما بفتح القاف وكسرها وقوما كعنبا وعموم الآية يشمل من أعطى مال اليتيم لسفيه مبذر يتجر له فيه وهو مشهور بالسفه والتبذير فان الولى منهى عن ذلك ويضمنه لفهمه بالأولى (قوله وارزقوهم فيها) حكمة التعبير بفى أنه ينبغى للولى أن يعطى مال اليتيم لرجل أمين يتجر فيه ويكون مصرفه من الربح لامن أصل المال. وفى الحديث «اتجروا فى أموال اليتامى لاتأكلها الزكاة» فالتجارة فى أموال اليتامى مطلوبة عند جميع الأئمة (قوله عدوهم عدة جميلة) أى كأن يقول له مالك عندى وأنا أمين عليه فاذا بلغت ورشدت أعطيتك مالك وهكذا تطييبا لخاطرهم وجدهم فى أسباب الرشد (قوله وابتلوا اليتامى) أى ولا تتركوهم هملا بل علموهم الصنائع وأمور الدنيا والدين ولا تفرطوا فى ذلك حتى يبلغوا (قوله بالاحتلام) أى نزول المنى (قوله حتى إذا بلغوا) حتى ابتدائية و إذا شرطية وفعل الشرط قوله بلغوا وجوابها قوله فان آنستم الخ فشرط إعطاء الولى المال لليتيم بلوغ النكاح وعلم الرشد (قوله عند الشافعى) أى وعند مالك وأبى حنيفة ثمانية عشر. ومن علامات البلوغ الحيض وكبر الثدى للأنثى ونبات العانة ونتن الابط وفرق الأرنبة وغلظ الحنجرة فاذا وجدت تلك العلامات حكم ببلوغه عند مالك، وأما عند الشافعى فلا يحكم بالبلوغ إلا بالاحتلام أو الحيض أو بلوغ خمسة عشر سنة وماعدا ذلك علامة على البلوغ ولا يحكم عليه به (قوله أبصرتم) المناسب أن يقول علمتم لأن الرشد يعلم ولايشاهد بالبصر (قوله صلاحا فى دينهم ومالهم) هذا مذهب الشافعى و يكفى عند مالك فى الرشد إصلاح المال فقط (قوله فادفعوا) جواب الشرط الثانى (قوله حال) أى من الواو فى تأكلوا مؤولا بمسرفين (قوله مخافة أن يكبروا) قدره إشارة إلى أن قوله أن يكبروا مفعول لأجله ومفعول بدارا محذوف تقديره ولا تأكلوها حال كونكم مسرفين فيها مبادرين لأكلها مخافة طرو كبرهم عليكم فيأخذونها منكم (قوله أن يكبروا) مضارع كبر بوزن علم ومصدره كبرا كعنبا.

(قوله من الأولياء) أى أولياء الأيتام (قوله أى يعف عن مال اليتيم) أى يتباعد عنه لمافيه من الوعيد العظيم الآتى فى قوله تعالى: إنما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا، فالواجب على الولى إن كان غنيا التباعد عن مال اليتيم بالمرة بل ينبغى له أن لايخلط ماله بماله بل يعطيه لغيره ليتجر له فيه ويكون هو ناظرا عليه (قوله ويمتنع من أكله) أى فاذا أكله أو أطعمه لغيره ولو لمن يصنع سبحا أو جمعا لوالد اليتيم ضمنه إذا لم يوص الميت بذلك ، وأما إن لم يكن لليتامى ولىّ وليس فيهم كبير رشيد حرم الأكل من مالهم وكل من أكل شيئا لزمه عوضه (قوله بقدر أجرة عمله) أى مالم تزد على كفايته وإلا فله كفايته فقط وهـذا مذهب الشافعى وعند مالك له أجرة مثله مطلقا زادت عن كفايته أولا (قوله فاذا دفعتم) مرتب على قوله فادفعوا إليهم أموالهم والمعنى فاذا أردتم الدفع فأشهدوا لئلا يقع اختلاف فترجعوا إلى البينة هذا هو المشهور فى المذاهب أن الولىّ لايصدق فى الدفع إلا ببينة تشهد أنه دفعه لهم بعد رشدهم فان لم تكن بينة غرمه وهناك قول ضعيف عند مالك وهو أنه يصدق فى الدفع بيمين فعلة الاشهاد على هذا القول لئلا يحلف الولى، والفرق بين الأمين والوصى أن الوصى لما كان له التصرف فى مال اليتيم كان ضامنا له إلا ببينة تشهد بالدفع والأمين لاتصرف له فى الأمانة فصدق بيمين فى الدفع ولذا إذا تصرف فيها كانت متعلقة بذمته فلا يصدق فى دفعها إلا ببينة كالدين (قوله وهـذا أمر إرشاد) أى تعليم لمصالح الدنيا فهو أمر ندب (قوله الباء زائدة) أى فى فاعل كفى فلفظ الجلالة فاعل مرفوع بضمة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد ، وفى قوله وكفى بالله حسيبا وعد حسن لمن كان سليما ولم يلتمس من مال اليتيم شيئا ولو اتهمه اليتيم بأكله ظلما وعدوانا ، ووعيد لمن أكله وظلمه وإن لم يثبت عليه ذلك (قوله للرجال نصيب) سبب نزولها أن أوس بن ثابت توفى وترك امرأته واسمها أم كحة وثلاث بنات وأقام وصيين واسمهما سويد وعرفجة ولدا عمه فأخذا المال جميعه فجاءت المرأة للنبى صلى الله عليه وسلم وقالت مات أوس بن ثابت وترك ثلاث بنات وأنا امرأته ولم يكن عندى ما أنفقه عليهن وترك مالا حسنا فأخذه سويد وعرفجة ولم يعطيانى ولابناته شيئا فدعاهما النبىّ فقالا أولادها لايركبن فرسا ولا يحملن كلا ولا ينكين عدوا فنزلت هذه الآية ، وبين أن الارث غير مختص بالرجال البالغين وأوقف النبى التركة حتى نزلت يوصيكم الله الآية فأعطى الزوجة الثمن والبنات الثلثين وابنى عمه مابقى (قوله الأولاد) أخذه من قوله الوالدان وقوله والأقرباء أخذه من قوله والأقربون (قوله مما قل منه) بدل من قوله مما ترك (قوله نصيبا مفروضا) مفعول ثان لفعل محذوف قدره بقوله جعله الله (قوله . إذا حضر القسمة أولوا القربى) معنى ذلك إذا مات الميت وترك من يرث ومن لايرث وحضر جميعهم قسمة الميراث طلب الشارع إعطاء من لايرث وكذا المساكين واليتامى شيئا قبل القسمة جبرا لخاطرهم باجتهاد من يقسم التركة بحسب قلة المال وكثرته. واختلف هل هذا منسوخ وهو الحق وقيل ليس بمنسوخ واختلف على هذا هل الأمر للوجوب أو الندب وهو المعتمد على هذا القول (قوله إذا كانت الورثة صغارا) أى أو التركة قليلة .

(وليخش)

من الأولياء (غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ) أى يعفّ عن مال اليتيم ويمتنع من أكله (وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ) منه (بِالْمَعْرُوفِ) بقدر أجرة عمله (فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ) أى إلى اليتامى (أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ) أنهم تسلموها وبرئتم لئلا يقع اختلاف فترجعوا إلى البينة وهذا أمر إرشاد (وَكَفَى بِاللَّهِ) الباء زائدة (حَسِيبًا) حافظاً لأعمال خلقه ومحاسبهم . ونزل ردًّا لما كان عليه الجاهلية من عدم توريث النساء والصغار (لِلرِّجَالِ) الأولاد والأقرباء (نَصِيبٌ) حظ (مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ) المتوفون (وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ) أى المال (أَوْ كَثُرَ) جعله الله (نَصِيبًا مَفْرُوضًا) مقطوعاً بتسليمه إليهم (وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ) للميراث (أُولُوا الْقُرْبَى) ذوو القرابة ممن لايرث (وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ) شيئاً قبل القسمة (وَقُولُوا) أيها الأولياء (لَهُمْ) إذا كان الورثة صغاراً (قَوْلًا مَعْرُوفًا) جميلا بأن تعتذروا إليهم أنكم لا تملكونه وأنه للصغار ، وهذا قيل إنه منسوخ ، وقيل لا ولكن تهاون الناس فى تركه وعليه فهو ندب ، وعن ابن عباس واجب .

(قوله وليخش) قرأ السبعة بسكون اللام وغيرهم بكسرها وعلى كل اللام للأمر . وسبب نزولها أنه كان في الجاهلية إذا حضر أحدهم الموت وقد حضره جماعة حملوه على تفرقة ماله للفقراء والمساكين ويحرمون أولاده منه فيترتب على ذلك كونهم بعد موته عالة على الناس ويضيعون فنزلت الآية تحذيرا لمن يحمل الميت على ذلك من وصي أوغيره فانه كما يدين الفتى يدان فكما يتقي الله في يتامى غيره فجزاؤه أن يقيض الله له من يتقي الله في أولاده (قوله أي ليخف على اليتامى) المعنى ليخف الله على اليتامى (قوله الذين لو تركوا) لو شرطية بمعنى إن فنقلت الماضي للاستقبال كما قال ابن مالك وجماعة فتركوا فعل الشرط وقوله خافوا جوابه وقوله فليتقوا مرتب عليه (قوله خافوا عليهم الضياع) . إن قلت ماذنب اليتيم حتى يعاقب بالضياع . أجيب بأن ذلك تعذيب لأبيه لأن مايؤذي الحي يؤذي الميت وليس تعذيبا لهم بل قد يكون رفعة لهم إن اتقوا الله (قوله وليأتوا إليهم مايحبون الخ) أي يفعلوا بهم مايحبون أن يفعل بذريتهم بعد موتهم (قوله للميت) ويحتمل أن يكون لليتامى بأن يقولوا لهم لاتخافوا ولا تحزنوا فنحن مثل آبائكم (قوله ولا يتركهم عالة) أي فقراء يتكففون وجوه الناس (قوله إن الذين يأكلون) نزلت في حق رجل من غطفان مات أخوه وترك ولدا يتيما فأكل عمه ماله ، والمعنى يتلفون أموالهم فالتعبير بالأكل عن الاتلاف

(وَلْيَخْشَ) أي ليخف على اليتامى (الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا) أي قاربوا أن يتركوا (مِنْ خَلْفِهِمْ) أي بعد موتهم (ذُرِّيَّةً ضِعَافًا) أولاداً صغاراً (خَافُوا عَلَيْهِمْ) الضياع (فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ) في أمر اليتامى وليأتوا إليهم ما يحبون أن يفعل بذريتهم من بعدهم (وَلْيَقُولُوا) للميت (قَوْلاً سَدِيداً) صوابا بأن يأمروه أن يتصدق بدون ثلثه ويدع الباقي لورثته ولا يتركهم عالة (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً) بغير حق (إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ) أي ملئها (نَاراً) لأنه يؤول إليها (وَسَيَصْلَوْنَ) بالبناء للفاعل والمفعول: يدخلون (سَعِيراً) نارا شديدة يحترقون فيها (يُوصِيكُمُ) يأمركم (اللَّهُ فِي) شأن (أَوْلَادِكُمْ) بما يذكر (لِلذَّكَرِ) منهم (مِثْلُ حَظِّ) نصيب (الْأُنْثَيَيْنِ) أي إذا اجتمعتا معه فله نصف المال ولهما النصف فإن كان معه واحدة فلها الثلث وله الثلثان وإن انفرد حاز المال (فَإِنْ كُنَّ) أي الأولاد (نِسَاءً) فقط (فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ) الميت وكذا الاثنتان لأنه للأختين بقوله فلهما الثلثان مما ترك فهما أولى ، ولأن البنت تستحق الثلث مع الذكر فمع الأنثى أولى ، وفوق قيل صلة وقيل لدفع توهم زيادة النصيب بزيادة العدد لما فهم استحقاق البنتين الثلثين من جعل الثلث للواحدة مع الذكر ،

مجاز (قوله ظلما) يحتمل أن يكون مفعولا لأجله أي لأجل الظلم ويحتمل أن يكون حالا من يأكلون أي حال كون الآكل ظالما (قوله إنما يأكلون) هذه الجملة خبر إن الأولى والتعبير بالأكل مجاز باعتبار ما يؤول إليه او المعنى يأكلون سبب النار (قوله بالبناء للفاعل والمفعول) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله نارا شديدة) أشار بذلك إلى أنه ليس المراد خصوص الطبقة المسماة بذلك لأنها لعباد الوثن خاصة وربما مات آكل مال اليتيم مسلما. والحاصل أنه تارة تطلق تلك الأسماء على ما يعم جميع الطبقات وتارة تطلق على مسمياتها خاصة (قوله يحترقون فيها) أي إن لم يتوبوا ، روى أن آكل مال اليتيم يبعث يوم القيامة والدخان يخرج من قبره ومن فمه وأنفه وأذنيه وعينيه فيعرف الناس أنه كان يأكل مال اليتيم في الدنيا (قوله يوصيكم الله في أولادكم) هذا شروع في تفصيل ماأجمل أولا في قوله للرجال نصيب الخ (قوله يأمركم) أي على سبيل الوجوب (قوله للذكر مثل حظ الأنثيين) هذا كلام مستأنف واقع في جواب سؤال مقدر (قوله فله نصف المال الخ) أي إن لم يكن معهم صاحب فرض وإلا فيأخذ فرضه ثم الباقي يقسم للذكر مثل حظ الأنثيين (قوله فان كن نساء) إن حرف شرط وكن فعل الشرط ونساء خبر كن واسمها النون وفوق اثنتين صفة لنساء وقوله فلهن جواب الشرط (قوله أي الأولاد) أي بعضهم ففي الكلام استخدام فذكر الأولاد بمعنى وأعاد الضمير عليه بمعنى آخر نظير قوله تعالى - وبعولتهن أحق بردهن - بعد قوله والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء (قوله لأنه للأختين) أي الفرض المذكور وهذان وجهان : أحدهما القياس على الأختين . والثاني القياس على البنت الواحدة وهما على كون فوق ليست صلة (قوله وقيل لدفع توهم زيادة النصيب) هذا القيل محتمل لأن تكون أصلية أو زائدة فالمعنى أن

مافوق البنتين حكمهما حكم البنتين (قوله وفى قراءة بالرفع) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله ذكر أو أنثى) أى فان كان الولد ذكرا أخذ مافضل عن سد سيهما و إن كانت أنثى أخذت النصف فرضها والأم سدسها والأب الباقى فرضا وتعصيبا (قوله وألحق بالولد ولد الابن الخ) أى بالقياس المساوى (قوله بضم الهمزة وكسرها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله فرارا) راجع للكسر وقوله فى الموضعين أى فى قوله فلأمه الثلث وقوله فلأمه السدس : أى وما بقى بعد الزوج أى أو الزوجة وهما الغراوان ، وقد أشار لهما صاحب الرحبية بقوله :

وإن يكن زوج وأم وأب ... فثلث الباقى لها مرتب
وهكذا مع زوجة فصاعدا ... فلا تكن عن العلوم قاعدا

وثلث الباقى فى الحقيقة إما ربع أوسدس وقد انعقد الاجماع على ذلك (قوله فان كان له إخوة) تقدم أن الأم يفرض لها ثلث جميع المال أوثلث الباقى إن لم يكن للميت فرع وارث وأفاد هنا أنه مع وجود الاخوة يفرض لها السدس فيفهم منه أنه عند عدم الاخوة أيضا يكون لها الثلث فتحصل أن لها الثلث بشرطين عدميين وهما عدم الاخوة وعدم الفرع الوارث (قوله ذكورا و إناثا) أى أشقاء أو لأب أو لأم (قوله ولا شىء للاخوة) أى مطلقا لكونهم محجوبين بالأب، ولذلك قال فى التلمسانية :

وفيهم فى الحجب أمر عجب ... لكونهم قد حجبوا وحجبوا

فلو كان بدل الأب جد لكان مثله عند أبى حنيفة وعند الأئمة الثلاثة يشترك مع الاخوة على تفصيل فى ذلك مذكور فى الفروع (قوله من بعد وصية) متعلق بمحذوف قدره المفسر بقوله وإرث من ذكر الخ وهو قيد فى جميع ماتقدم (قوله تنفيذ وصية) أى وتخرج من رأس المال إن حملها الثلث وشرطها أن لاتكون فى معصية فلو أوصى بمال يصرف على الكنيسة أو على من يشرب الخمر أوغير ذلك فلا تنفذ (قوله بالبناء

(وَإِنْ كَانَتْ) المولودة (وَاحِدَةً) وفى قراءة بالرفع فكان تامة (فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ) أى الميت ويبدل منهما (لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ) ذكر أو أنثى ونكتة البدل إفادة أنهما لايشتركان فيه ، وألحق بالولد ولد الابن وبالأب الجد (فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ) فقط أو مع زوج (فَلِأُمِّهِ) بضم الهمزة وكسرها فرارا من الانتقال من ضمة إلى كسرة لثقله فى الموضعين (الثُّلُثُ) أى ثلث المال أو مايبقى بعد الزوج والباقى للأب (فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ) أى اثنان فصاعدا ذكوراً و إناثاً (فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ) والباقى للأب ولا شىء للاخوة ، و إرث من ذكر ماذكر (مِنْ بَعْدِ) تنفيذ (وَصِيَّةٍ يُوصِى) بالبناء للفاعل والمفعول (بِهَا أَوْ) قضاء (دَيْنٍ) عليه ، وتقديم الوصية على الدين و إن كانت مؤخرة عنه فى الوفاء للاهتمام بها (آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ) مبتدأ خبره (لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً) فى الدنيا أوالآخرة فظانٌّ أن ابنه أنفع له فيعطيه الميراث فيكون الأب أنفع و بالعكس و إنما العالم بذلك الله ففرض لكم الميراث ،

للمفعول والفاعل) أى فهما قراءتان سبعيتان فعلى الأولى نائب الفاعل الجار والمجرور قال ابن مالك :

وقابل من ظرف او من مصدر ... أو حرف جرّ بنيابة حرى

وعلى الثانية الفاعل ضمير يعود على الميت (قوله وتقديم الوصية) أى فى اللفظ و إلا فأو لأحد الشيئين لاتقتضى ترتيبا ولاتعقيبا والمعنى و إرث ماذكر يحصل من بعد وصية إن كانت أو دين إن كان فان اجتمعت الوصية والدين قدم الدين (قوله للاهتمام بها) أى وشأن الورثة الشح بها ومنازعة الموصى له بخلاف الدين (قوله آباؤكم وأبناؤكم) هذه الجملة معترضة بين قوله من بعد وصية وقوله فريضة من الله (قوله أيهم) اسم استفهام مبتدأ وأقرب خبره ولكم جار ومجرور متعلق بأقرب ونفعا تمييز والجملة فى محل نصب سدّت مسد مفعولى تدرون والمعنى لاتدرون أقربية نفعهم لكم و يحتمل أنها اسم موصول مفعول أول لتدرون والمفعول الثانى محذوف والمعنى لاتدرون الذى هو أقرب لكم نفعا الآباء أوالأبناء (قوله فى الدنيا) أى لحسن القيام بالمصالح والاحسان إليه بعد موته وقوله أوالآخرة أى كالشفاعة أو فى الدنيا والآخرة لما ورد أن أحد الوالدين أوالولدين إذا كان أرفع درجة من الآخر فى الجنة سأل أن يرفع إليه فيرفع الآخر بشفاعته (قوله فظان) إما بالرفع صفة لموصوف محذوف مبتدأ أى ففريق ظان أو بالجر مجرور برب وقوله فيكون الأب أنفع أى فى الواقع ونفس الأمر (قوله وبالعكس) أى وفريق ظان أن أباه أنفع فيعطيه الميراث فيكون الابن أنفع

(فريضة

(قوله فريضة) مفعول لفعل محذوف قدره بقوله ففرض لكم الميراث وهو راجع لقوله يوصيكم فيحتمل أنه مصدر مؤكد لعامله من لفظه ودرج على ذلك المفسر أومن معناه تقديره يوصيكم فريضة لأن الإيصاء معناه الأمر (قوله أي لم يزل متصفا بذلك) دفع به ماقد يتوهم من كان الاتصاف بذلك في الزمن الماضي وانقطع فأفاد أن صفات الله لاتتقيد بزمان فهي للاستمرار و بعضهم يجعلها في صفات الله زائدة (قوله ولكم نصف) هذا أيضا من جملة التفصيل لما أجمل في قوله أولا للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون - (قوله إن لم يكن لهن) أي للزوجات والمراد الجنس وقوله ولد أي واحد أومتعدد ذكر أوأنثى فالزوج يأخذ النصف بشرط عدمي (قوله أومن غيركم) أي ولومن زنا فان ولد الزنا ينسب لأمه (قوله فان كان لهن ولد) هذا مفهوم قوله : إن لم يكن لهن ولد ، صرح به لإفادة الحكم فيه (قوله من بعد وصية) تقدم أنه متعلق بمحذوف تقديره وهذا الاستحقاق يكون بعد تنفيذ وصية (قوله ولد الابن) أي ذكرا كان ذلك الولد أوأنثى فان بنت الابن كابن الابن . وأما أولاد البنت ذكورا أو إناثا فلايحجب الزوج بهم عن نصفه ولذلك قال شاعرهم :

بنونا بنو أبنائنا وبناتنا ... بنوهن أبناء الرجال الأباعد

(فَرِيضَةً مِنَ اللهِ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيماً) بخلقه (حَكِيماً) فيما دبره لهم، أي لم يزل متصفاً بذلك (وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ) منكم أو من غيركم (فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ) وألحق بالولد في ذلك ولد الابن بالإجماع (وَلَهُنَّ) أي الزوجات تعددن أولا (الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ) منهن أو من غيرهن (فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ) وولد الابن في ذلك كالولد إجماعاً (وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ) صفة والخبر (كَلَالَةً) أي لا والد له ولا ولد (أَوِ امْرَأَةٌ) تورث كلالة (وَلَهُ) أي للموروث كلالة (أَخٌ أَوْ أُخْتٌ) أي من أم وقرأ به ابن مسعود وغيره (فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ) مما ترك (فَإِنْ كَانُوا) أي الإخوة والأخوات من الأم (أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ) أي من واحد (فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ) يستوي فيه ذكرهم وأنثاهم (مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ) حال من ضمير يوصى أي غير مدخل الضرر على الورثة ،

وكلام المفسر في غاية الحسن حيث قال وولد الابن ولم يقل كالخازن وولد الولد لأنه يشمل أولاد البنات وهو غير صحيح (قوله إن لم يكن لكم ولد) أي ذكر أوأنثى واحد أومتعدد (قوله منهن أومن غيرهن) المناسب تقديمه عند قوله إن لم يكن لكم ولد ليكون على منوال ماتقدم له في نظيره وقوله أومن غيرهن أي نسيب فان كان ابن زنا فلايحجب الزوجة من الربع إلى الثمن لأنه لايلحق بأبيه ولايرث منه ومن لايرث لايحجب وارثا (قوله وولد الابن كالولد) أي وأما أولاد البنات فليسوا مثلهم لأنهم من ذوي الأرحام (قوله يورث صفة) أي و يصح أن يكون خبرا وقوله كلالة حال من الضمير في يورث (قوله والخبر كلالة) أي واسمها رجل وهذا على أنها ناقصة ، وأما على أنها تامة فرجل فاعل و يورث صفته وكلالة حال (قوله أي لاوالد له ولا ولد) هذا هو أرجح الأقوال في تفسير الكلالة . والحاصل أنه اختلف الناس في معنى الكلالة فقال جمهور اللغويين إنه الميت الذي لاولد له ولا والد ، وقيل الذي لاوالد له فقط ، وقيل الذي لاولد له فقط ، وقيل هو من لايرثه أب ولا أم وعلى هذه الأقوال كلها فالكلالة واقعة على الميت ، وقيل الكلالة الورثة ماعدا الأبوين والولد ، وسموا بذلك لأن الميت بذهاب طرفيه تكلله الورثة أي أحاطوا به من جميع نواحيه ويؤيد القول الذي مشى عليه المفسر أن الآية نزلت في جابر رضي الله عنه ولم يكن له يوم نزلت أب ولا ابن (قوله وقرأ به ابن مسعود وغيره) أي قراءة شاذة وإنما استدل بهذه القراءة لأنها بمنزلة رواية الآحاد ورواية الآحاد يستدل بها لأنها منقولة عن النبي صلى الله عليه وسلم (قوله أي من واحد) أي لأن أو في الآية لأحد الشيئين فاذا اجتمع ذكر وأنثى من ولد الأم كان لهما الثلث وكذا إن زادوا عن ذلك ويسقط الإخوة للأم بستة : الابن وابن الابن والبنت وبنت الابن والأب والجد (قوله من ضمير يوصى) أي وهو عائد على الميت (قوله أي غير مدخل الضرر) أشار بذلك إلى أن مضار اسم فاعل .

بأن يوصى بأكثر من الثلث (وَصِيَّةً) مصدر مؤكد ليوصيكم (مِنَ اللهِ وَاللهُ عَلِيمٌ) بما دبره لخلقه من الفرائض (حَلِيمٌ) بتأخير العقوبة عمن خالفه وخصت السنة توريث من ذكر بمن ليس فيه مانع من قتل أو اختلاف دين أو رق (تِلْكَ) الأحكام المذكورة من أمر اليتامى وما بعده (حُدُودُ اللهِ) شرائعه التي حدها لعباده ليعملوا بها ولا يعتدوها (وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ) فيما حكم به (يُدْخِلْهُ) بالياء والنون التفاتاً (جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ . وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ) بالوجهين (نَاراً خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ) فيها (عَذَابٌ مُهِينٌ) ذو إهانة روعى فى الضمائر فى الآيتين لفظ مَن وفى خالدين معناها (وَاللَّاتِى يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ) الزنا (مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ) أى من رجالكم المسلمين (فَإِنْ شَهِدُوا) عليهن بها (فَأَمْسِكُوهُنَّ) احبسوهن (فِي الْبُيُوتِ) وامنعوهن من مخالطة الناس (حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ) أى ملائكته (أَوْ) إلى أن (يَجْعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبِيلًا) طريقاً إلى الخروج منها، أمروا بذلك أول الإسلام ثم جعل لهن سبيلا بجلد البكر مائة وتغريبها عاماً ورجم المحصنة وفى الحديث لما بيّن الحد قال « خذوا عنى خذوا عنى قد جعل الله لهن سبيلا » رواه مسلم (وَالَّذَانِ) بتخفيف النون وتشديدها (يَأْتِيَانِهَا) أى الفاحشة الزنا أو اللواط (مِنْكُمْ) أى الرجال

(قوله أن يوصى بأكثر من الثلث) هذا تصوير لادخال الضرر ويبطل مازاد على الثلث إن لم يجز الورثة (قوله من قتل) أى فلا يرث القاتل من تركة المقتول شيئا كما فى الحديث (قوله أو اختلاف دين) أى بالاسلام والكفر فلا يرث المسلم الكافر ولا العكس (قوله أو رق) أى فلا يرث الرقيق من تركة الحرّ شيئا ولا العكس (قوله وما بعده) أى من المواريث والوصايا (قوله التى حدّها لعباده) أى بينها وفصلها (قوله بالياء والنون) أى فهما قراءتان سبعيتان وقوله التفاتا راجع للنون وهو التفات من الغيبة للتكلم (قوله من تحتها الأنهار) أى من تحت قصورها (قوله بالوجهين) أى الياء والنون (قوله خالدا فيها) المراد بالخلود طول المكث إن مات مسلما وعلى حقيقته إن مات كافرا، وحكمة الافراد فى جانب العذاب أنه كما يعذب بالنار يعذب بالغربة، وحكمة الجمع فى جانب النعيم أنه كما ينعم بالجنة ينعم باجتماعه مع أحبابه فيها ويزورهم ويزورونه (قوله لفظ من) أى فأفرد فى قوله يدخله فى الموضعين وفى قوله وله (قوله وفى خالدين معناها) أى فجمع (قوله واللاتى الخ) جمع التى وهو اسم موصول مبتدأ وقوله : يأتين الفاحشة صلته وقوله فاستشهدوا خبره وقرن بالفاء لأن المبتدأ أشبه الشرط فى العموم لأن المبتدأ إذا وقع اسما موصولا ووصل بجملة فعلية أشبه الشرط فيقرن خبره بالفاء خصوصا إذا أخبر عنه بجملة طلبية (قوله من نسائكم) بيان للاتى (قوله أربعة منكم) أى عدولا والعدل هو الذكر الحرّ المكلف الذى لم يرتكب كبيرة ولا صغيرة خسة ولا مايخل بالمروءة وهذه الشهادة على رؤية الزنا . وأما الاقرار فيكفى اثنان عليه ، والخطاب فى قوله فاستشهدوا لولاة الأمور كالقضاة والحكام (قوله أى من رجالكم المسلمين) أى الأحرار . وأما النساء والأرقاء والصبيان فلا تقبل شهادتهم يشترط فى الشهادة أن تكون متحدة وقتا ورؤية ومكانا ولو اختلف شىء من ذلك حدّ الشهود.

(قوله وامنعوهن من مخالطة الناس) أى الرجال وهو عطف علة على معلول (قوله أى ملائكته) دفع بذلك مايقال إن التوفى هو الموت ففيه إسناد الشىء لنفسه (قوله أو يجعل الله) أو حرف عطف ويجعل معطوف على يتوفى فهو داخل فى الغاية وأشار المفسر لذلك بقوله إلى أن يجعل ويصح أن تكون أو بمعنى إلا كما فى قوله لألزمنك أو تقضينى حقى فهو مخرج من قوله حتى يتوفاهن الموت فالمعنى إلا أن يجعل الله لهن سبيلا فلا تمسكوهن فى البيوت حتى يتوفاهن الموت (قوله ثم جعل لهن سبيلا) أى بنزول آية النور . واختلف فى هذه الآية قيل منسوخة بآية النور أو مفصلة لها وهو الحق وقد مشى عليه المفسر (قوله بجلد البكر مائة وتغريبها عاما) هذا هو مذهب الامام الشافعى وعند مالك التغريب خاص بالذكر ، وأما الأنثى فلا تغرب (قوله رواه مسلم) وتمامه الثيب ترجم والبكر تجلد (قوله بتخفيف النون وتشديدها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله أو اللواط) أو لتنويع الخلاف فى تفسير الفاحشة هنا وسيرجح الثانى بقوله وإرادة اللواط أظهر الخ ، ويصح أن يراد بالفاحشة الزنا واللواط معا الواقعان من الرجال ، وأما الزنا من النساء فقد تقدم حكمه .

(فآذوهما)

(قوله فآذوهما) أى مالم يتوبا (قوله وهذا منسوخ بالحد) أى فالبكر يجلد مائة ويغرب عاما والمحصن يرجم إلى أن يموت (قوله عند الشافعى) أى وعند مالك يرجم اللائط مطلقا فاعلا أومفعولا أحصنا أولم يحصنا حيث كانا بالغين مختارين ، وعند أبى حنيفة حده رميه من شاهق أورمى حائط عليه (قوله لكن المفعول به الخ) أى وأما الفاعل عنده فكالزانى إن كان محصنا يرجم وإن كان غير محصن جلد مائة وغرب عاما (قوله بل يجلد ويغرب) أى إن كان بالغا مختارا (قوله بدليل تثنية الضمير) أى فى قوله واللذان وقد يقال إن فيه تغليب الذكر على الأنثى (قوله وهومخصوص) أى ماذكرمن الأذى والتوبة والاعراض (قوله إنما التوبة على الله) هذا حسن ترتيب حيث ذكر الذنب ثم أردفه بذكر التوبة وقوله على الله أى التزمها تفضلا منه وإحسانا لأن وعد الكريم لايتخلف على حد : كتب ربكم على نفسه الرحمة (قوله المعصية) أى ولوكانت كفرا (قوله أى جاهلين) إنما قرن العصيان بالجهل لأن العصيان لايتأتى مع العلم بل حين وقوع المعصية يسلب العلم لأن أشد الناس خشية العلماء قال تعالى : إنما يخشى الله من عباده العلماء (قوله قبل أن يغرغروا) أى قبل أن تبلغ الروح الحلقوم وإنما كان الزمن الذى بين وقوع المعصية والغرغرة قريبا لأن كل ماهو آت قريب

والعمر وإن طال قليل وفيه إشارة إلى أنه ينبغى للانسان أن يجدد التوبة فى كل لحظة لأن الموت متوقع فى كل لحة ، ولذا قال أبو بكرالصديق رضى الله عنه : ماخرج منى نفس وانتظرت عوده ، وورد « أنه مامن نفس يخرج من ابن آدم إلا باذن من الله فى العود ثانيا وعمر جديد » (قوله وليست التوبة) أى قبولها (قوله وأخذ فى النزع) أى بلغت الروح الحلقوم وغرغرالميت لأن الانسان عند الغرغرة يرى مقعده فى الجنة أو النار فيظهر عليه علامة البشرى أو الحزن فلاينفعه الندم إذ ذاك (قوله ولا الذين) معطوف على قوله للذين يعملون السيئات ، المعنى ليست التوبة للذين يعملون السيئات الخ وليست التوبة للذين يموتون وهم كفار فهو فى محل جر (قوله أولئك أعتدنا) أصله أعددنا قلبت الدال الأولى تاء وقد أشار لذلك المفسر بقوله أعددنا والمعنى أحضرنا وهيأنا (قوله ياأيها الذين آمنوا لايحل لكم الخ) سبب نزولها أنه كان فى الجاهلية وصدر الاسلام إذا مات الرجل وترك امرأة جاء ابنه من غيرها أوقريبه فرمى عليها ثوبه فيخير فيها بعد ذلك فاما أن يتزوجها بلا مهر أو يزوجها لغيره ويأخذ مهرها أو يعضلها حتى تفتدى منه أوتموت ويأخذ ميراثها ثم لما توفى أبوقيس وترك امرأته كبيشة بنت معن الأنصارية قام ابن له قيل اسمه قيس فطرح عليها ثوبه ثم تركها فلم يقربها ولم ينفق عليها فأتت كبيشة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله إن أباقيس توفى وأخذنى ابنه فلم ينفق على ولم يخل سبيلى فقال امكثى فى بيتك حتى يأتى أمر الله فيك فنزلت هذه الآية (قوله أى ذاتهن) دفع بذلك مايقال إن ميراث الرجل من المرأة قد تقدم وهو إما النصف أوالربع وليس بمنهى عنه (قوله لغتان) المناسب قراءتان (قوله أى مكرهين) بكسر الراء اسم فاعل ومفعوله محذوف تقديره مكرهين لهن على ذلك .

(فَآذُوهُمَا) بالسب والضرب بالنعال (فَإِنْ تَابَا) منهما (وَأَصْلَحَا) العمل (فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا) ولاتؤذوهما (إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا) على من تاب (رَحِيمًا) به وهذا منسوخ بالحد إن أريد بها الزنا وكذا إن أريد بها اللواط عند الشافعى لكن المفعول به لايرجم عنده وإن كان محصنا بل يجلد ويغرب وإرادة اللواط أظهر بدليل تثنية الضمير والأول أراد الزانى والزانية ويرده تبيينهما بمن المتصلة بضمير الرجال واشتراكهما فى الأذى والتوبة والإعراض وهو مخصوص بالرجال لما تقدم فى النساء من الحبس (إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ) أى التى كتب على نفسه قبولها بفضله (لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ) المعصية (بِجَهَالَةٍ) حال أى جاهلين إذا عصوا ربهم (ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ) زمن (قَرِيبٍ) قبل أن يغرغروا (فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ) يقبل توبتهم (وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا) بخلقه (حَكِيمًا) فى صنعه بهم (وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ) الذنوب (حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ) وأخذ فى النزع (قَالَ) عند مشاهدة ماهو فيه (إِنِّي تُبْتُ الْآنَ) فلا ينفعه ذلك ولا يقبل منه (وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ) إذا تابوا فى الآخرة عند معاينة العذاب لاتقبل منهم (أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا) أعددنا (لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) مؤلما (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ) أى ذاتهن (كَرْهًا) بالفتح والضم لغتان أى مكرهين على ذلك

كانوا فى الجاهلية يرثون نساء أقربائهم فإن شاءوا تزوجوها بلا صداق أو زوجوها وأخذوا صداقها أو عضلوها حتى تفتدى بما ورثته أو تموت فيرثوها فنهوا عن ذلك (وَلاَ) أن (تَعْضُلُوهُنَّ) أى تمنعوا أزواجكم عن نكاح غيركم بإمساكهن ولا رغبة لكم فيهن ضرارا (لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ) من المهر (إِلاَّ أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ) بفتح الياء وكسرها أى بينت أو هى بينة: أى زنا أو نشوز فلكم أن تضاروهن حتى يفتدين منكم ويختلعن (وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ) أى بالإجمال فى القول والنفقة والمبيت (فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ) فاصبروا (فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً) ولعله يجعل فيهن ذلك بأن يرزقكم منهن ولدا صالحا (وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ) أى أخذها بدلها بأن طلقتموها (وَ) قد (آتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ) أى الزوجات (قِنْطَاراً) مالا كثيرا صداقا (فَلاَ تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً) ظلما (وَإِثْماً مُبِيناً) بينا ونصبهما على الحال والاستفهام للتوبيخ وللانكار فى (وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ) أى بأى وجه (وَقَدْ أَفْضَى) وصل (بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ) بالجماع المقرر للمهر (وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقاً) عهدا (غَلِيظاً) شديدا وهو ما أمر الله به من إمساكهن بمعروف أو تسريحهن بإحسان (وَلاَ تَنْكِحُوا مَا) بمعنى من (نَكَحَ آبَاؤُكُمْ ،

(قوله كانوا فى الجاهلية) أى وصدر الاسلام وهو إشارة لسبب نزول الآية وقد أجمل فيه (قوله بلا صداق) أى اتكالا على الصداق الذى دفعه أبوه (قوله ولا تعضلوهن) معطوف على قوله لا يحل لكم الخ والمعنى لا يحل لكم ميراث النساء ولا عضلهن وهو خطاب للأزواج ، كان الرجل يكره المرأة ولها عليه المهر فيسىء عشرتها ويضاررها لتفتدى منه (قوله أى تمنعوا أزواجكم) أشار بذلك إلى أن الضمير عائد على النساء لا بالمعنى الأول فان المراد بالنساء فيما تقدم نساء غيركم وفيما هنا نساؤكم ففى الكلام استخدام (قوله لتذهبوا) علة لقوله ولا تعضلوهن (قوله ببعض ما آتيتموهن) أى ومن باب أولى أخذ الجميع (قوله إلا أن يأتين بفاحشة) هذا استثناء من عموم الأحوال والمعنى لا يحل عضل النساء لأجل أخذ بعض ما آتيتموهن فى حال من الأحوال إلا فى حال إتيانهن بفاحشة مبينة (قوله بفتح الياء وكسرها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله أو نشوز) أى خروج عن طاعة الزوج (قوله فلكم أن تضاروهن) . إن قلت إن المضاررة لا تجوز فكيف ذلك . أجيب بأن هذا منسوخ أو بأن المراد بها الوعظ والهجر والضرب على طبق ما يأتى فى قوله تعالى - واللاتى تخافون نشوزهن - الآيات وتسميته حينئذ مضاررة مشاكلة نظير فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه (١٩٨) (قوله وعاشروهن) قيل معطوف على قوله فيما تقدم - وآتوا النساء صدقاتهن نحلة - وقيل معطوف على قوله ولا تعضلوهن وعليه فالعطف للتوكيد والمعنى لا تضاروهن وعاشروهن بالمعروف بأن تطيبوا لهن القول والفعل ومن ذلك تعليمهن مصالح دينهن ودنياهن (قوله أى بالاجمال فى القول) أى بالقول الجميل الخ (قوله فان كرهتموهن) أى طبعا من غير ظهور ما يوجب الكراهة منهن (قوله فاصبروا) هذا هو جواب الشرط ، وقوله فعسى أن تكرهوا شيئا علة له (قوله ولدا صالحا) أى ذكرا أو أنثى ففى الحديث « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به من أو ولد صالح يدعو له » وبالجملة فالاحسان إلى النساء من مكارم الأخلاق وإن وقعت منهن الاساءة لما فى الحديث « يغلبن كريما ويغلبهن لئيم فأحب أن أكون كريما مغلوبا ولا أحب أن أكون لئيما غالبا » (قوله بأن طلقتموها) أى بعد الدخول وأما قبله فليس لها عنده إلا نصف المهر (قوله مالا كثيرا) أشار بذلك إلى أنه ليس المراد بالقنطار الحديد (قوله ظلما) أشار بذلك إلى أنه أطلق البهتان وهو فى الأصل الكذب وأراد به الظلم مجازا (قوله والاستفهام للتوبيخ والانكار فى وكيف تأخذونه) أى وفيما قبله (قوله بالجماع) هكذا فسره به الشافعى وقال مالك بالخلوة التى يتأتى فيها الوطء (قوله المقرر للمهر) أى وهو الواقع من بالغ فى مطيقة وقال الشافعى بل ولو لم تكن مطيقة (قوله وأخذن) أى النساء والآخذ فى الحقيقة هو الله وإنما أسند للنساء مجازا عقليا من الاسناد للسبب (قوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم) شروع منه سبحانه وتعالى فى المحرمات من النسب على الرجال وابتدأ بتحريم زوجة الأب اعتناء بها فان الجاهلية كانوا يفعلون ذلك كثيرا ولما كان ذلك الأمر قبيحا شرعا وطبعا أفرده بالنهى ولم يدرجه فى جملة المحرمات الآتية (قوله ما نكح آباؤكم) المراد بالنكاح العقد وبالآباء الأصول وإن علوا فمن عقد أحد

من أصولك على امرأة فلا يحل لك ولا لأحد من ذريتك تزوجها بحال وهذه إحدى المحرمات بالصهر وهن أربع والباقي زوجة الابن وأم الزوجة و بنت الزوجة وكل ذلك يحصل التحريم فيه بمجرد العقد إلا بنت الزوجة فلا يحرمها إلا الدخول بأمها ، والمراد بالدخول عند مالك التلذذ مطلقا و إن لم تكن خلوة وعند الشافعي لابد من الوطء وأما جارية الأب فلا تحرم على الابن إلا إن تلذذ بها الأب وسيأتي في الآية تحريم باقي الأصهار (قوله من النساء) بيان لما التي بمعنى من وعبر بما التي لغير العاقل غالبا إشارة إلى أن النساء ناقصات عقل (قوله إلا لكن) أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع لأن النهي مستقبل والاستثناء ماض ولا يستثنى الماضي من المستقبل وفي الحقيقة الاستثناء من قوله بعد إنه كان فاحشة الخ وحكمة هذا الاستثناء دفع توهم أنه من فعله ولو قبل التحريم يحصل له هذا الوعيد الشديد (قوله إنه كان فاحشة) علة لقوله ولا تنكحوا وكان إما صلة أو مجردة عن معنى الزمان الماضي فهي بمعنى صار (قوله وساء سبيلا) مقول لقول محذوف معطوف على فاحشة أي ومقولا فيه ساء سبيلا ، ويحتمل أنه كلام مستأنف لإنشاء الذم (قوله ذلك) قدره إشارة إلى المخصوص بالذم والمعنى أن من تزوج بزوجة الأب بعد التحريم ارتكب أمرا قبيحا واستحق أشد البغض من الله وسلك طريقا قبيحا خبيثا (قوله حرمت عليكم أمهاتكم) شروع في ذكر المحرمات بالنسب وأمهات جمع أم فالهاء زائدة في الجمع للفرق بين جمع من يعقل ومن لا يعقل وهذا على أن المفرد أم

مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا) لكن (مَا قَدْ سَلَفَ) من فعلكم ذلك فإنه معفو عنه (إِنَّهُ) أي نكاحهن (كَانَ فَاحِشَةً) قبيحا (وَمَقْتًا) سببا للمقت من الله وهو أشد البغض (وَسَاءَ) بئس (سَبِيلًا) طريقا ذلك (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ) أن تنكحوهن وشملت الجدات من قبل الأب أو الأم (وَبَنَاتُكُمْ) وشملت بنات الأولاد و إن سفلن (وَأَخَوَاتُكُمْ) من جهة الأب أو الأم (وَعَمَّاتُكُمْ) أي أخوات آبائكم وأجدادكم (وَخَالَاتُكُمْ) أي أخوات أمهاتكم وجداتكم (وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ) ويدخل فيهن أولادهم (وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ) قبل استكمال الحولين خمس رضعات كما بينه الحديث (وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ) و يلحق بذلك بالسنة البنات منها وهن من أرضعتهن موطوءته والعمات والخالات و بنات الأخ و بنات الأخت منها لحديث « يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب » رواه البخاري ومسلم (وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ) جمع ربيبة وهي بنت الزوجة من غيره ،

وأما على أن المفرد أمهة فليست زائدة وقد يتعاكس على الأول فيقال في العقلاء أمات وفي غيرهم أمهات (قوله أن تنكحوهن) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف لأن الذوات لا تحرم و إنما التحريم متعلق بالفعل (قوله وشملت بنات الأولاد) أي ذكورا و إناثا (قوله وأخواتكم) جمع أخت يقال في الأنثى أخت وفي الذكر أخ وجمع الأول أخوات والثاني إخوة (قوله من جهة الأب أو الأم) أي ومن باب أولى الشقيقات (قوله أي أخوات آبائكم) أي مطلقا شقيقات أو لأب أو لأم (قوله وأجدادكم) أي و إن علوا (قوله أي أخوات أمهاتكم) أي مطلقا شقيقات أو لأب أو لأم (قوله وجداتكم) أي و إن علون (قوله و يدخل فيهن بنات أولادهن) أي الأخوات ذكورا أو إناثا و إن سفلن وفيه تغليب الأخت على الأخ لقربها وفي نسخة أولادهم بميم الجمع و يكون عائدا على الأخ وغلبه على الأخت تشريفا (قوله وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم) شروع في ذكر المحرمات بالرضاع (قوله قبل استكمال الحولين) ظاهره ولو كان مستغنيا عن اللبن ولكن يقيد عند مالك بما إذا لم يستغن عن اللبن داخل الحولين و إلا فلا يحرم كبعد الحولين (قوله خمس رضعات) أي متفرقات وهذا مذهب الامام الشافعي وابن حنبل ، وأما مذهب مالك وأبي حنيفة فالمصة الواحدة كافية في التحريم (قوله كما بينه الحديث) أي الصحيح لأن من قواعد الشافعي كلما صح الحديث كان مذهبا له ، وأما مالك فكذلك ما لم يعارضه عمل أهل المدينة و إجماعهم و إلا حمل الحديث عنده على أنه منسوخ فعمل أهل المدينة حجة عند مالك دون غيره (قوله وأخواتكم من الرضاعة) أي وسواء كانت تلك الأخت بنتا لمن أرضعتك أولا كما إذا أرضعت امرأة ابن عمرو و بنت زيد فإنها تصير أختا له من الرضاعة (قوله و يلحق بذلك) أي بما ذكر من الأمهات والأخوات من الرضاعة (قوله من أرضعتهن موطوءته) ظاهره ولو بزنا وهو كذلك عند مالك ، وأما عند الشافعي فيقيد الوطء بكونه من نكاح أو شبهته أو ملك أو شبهته ، وأما بالزنا فلا يحرم عنده .

(اللاتي في حجوركم) تربونها صفة موافقة للغالب فلا مفهوم لها (من نسائكم اللاتي دخلتم بهن) أي جامعتموهن (فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم) في نكاح بناتهن إذا فارقتموهن (وحلائل) أزواج (أبنائكم الذين من أصلابكم) بخلاف من تبنيتموهم فلكم نكاح حلائلهم (وأن تجمعوا بين الأختين) من نسب أو رضاع بالنكاح ويلحق بهما بالسنة الجمع بينها وبين عمتها أو خالتها. ويجوز نكاح كل واحدة على الانفراد وملكهما معاً ويطأ واحدة (إلا) لكن (ما قد سلف) في الجاهلية من نكاحكم بعض ما ذكر فلا جناح عليكم فيه (إن الله كان غفوراً) لما سلف منكم قبل النهي (رحيماً) بكم في ذلك (و) حرمت عليكم (المحصنات) أي ذوات الأزواج (من النساء) أن تنكحوهن قبل مفارقة أزواجهن حرائر مسلمات كن أولا (إلا ما ملكت أيمانكم) من الإماء بالسبي فلكم وطؤهن وإن كان لهن أزواج في دار الحرب بعد الاستبراء (كتاب الله) نصب على المصدر أي كتب ذلك (عليكم وأحل) بالبناء للفاعل والمفعول (لكم ما وراء ذلكم) أي سوى ما حرم عليكم من النساء (أن تبتغوا) تطلبوا النساء (بأموالكم) بصداق أو ثمن (محصنين) متزوجين (غير مسافحين) زانين (فما) أي من (استمتعتم) تمتعتم (به منهن) ممن تزوجتم،

(قوله اللاتي في حجوركم) جمع حجر وهو في الأصل مقدم الثوب أطلق وأريد به كونهم في تربيته (قوله موافقة للغالب) أي فإن الغالب عدم استغناء الربيبة عن أمها فهي في حجر زوجها (قوله أي جامعتموهن) هذا مذهب الشافعي وعند مالك يكفي مطلق التلذذ في التحريم (قوله الذين من أصلابكم) نزلت رداً لقول بعض المنافقين حين تزوج النبي صلى الله عليه وسلم حليلة زيد وكان متبنيا له: إن محمدا تزوج حليلة ابنه (قوله بين الأختين) أي مطلقا شقيقتين أو لأب أو لأم (قوله الجمع بينها وبين عمتها الخ) أي وضابط ذلك أن يقال كل اثنتين لو قدرت أية ذكرا حرم فإنه يحرم جمعهما، وأما لو كان التقدير في أحد الجانبين يحرم وفي الآخر لا يحرم فإنه لا يحرم كجمع المرأة وأم زوجها أو بنته من غيرها أو المرأة وجاريتها كما قال الأجهوري:

وجمع مرأة وأم البعل ... أو بنته أو رقها ذو حل

(قوله ويطأ واحدة) أي ويحرم الأخرى (قوله إلا لكن ما قد سلف) هذا استثناء منقطع كالأول ولم يقل هنا إنه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا لعله بالقياس على ما تقدم (قوله بعض ما ذكر) أي وهو نكاح الأختين (قوله والمحصنات) معطوف على قوله أمهاتكم فهو مندرج في سلك المحرمات ولذا قدر المفسر قوله حرمت عليكم، والمحصنات بفتح الصاد هنا باتفاق السبعة، وأما في غير هذا الموضع فقرأ الكسائي بالكسر فعلى الفتح هو اسم مفعول وفاعل الاحصان إما الأزواج أو الأولياء أو الله وعلى الكسر اسم فاعل بمعنى أنهن أحصن أنفسهن. واعلم أن الاحصان يطلق على التزوج كما في هذه الآية وعلى الحرية كما في قوله ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات وعلى الاسلام كما في قوله فإذا أحصن وعلى العفة كما في قوله محصنات غير مسافحات (قوله أن تنكحوهن) أي تعقدوا عليهن في العصمة وما ألحق بها كالعدة وقد أشار لذلك بقوله قبل مفارقة بالوطء أزواجهن (قوله أولا) أي بل كن إماء أو كتابيات (قوله إلا ما ملكت أيمانكم) الاستثناء متصل ويشير له قول المفسر وإن كان لهن أزواج ولكن فيه شائبة انقطاع من وجهين: الأول أن المستثنى الوطء والمستثنى منه العقد. الثاني أن المستثنى منه المتزوجات بالفعل والمستثنى من كن متزوجات فإنه بمجرد السبي تنقطع عصمة الكافر (قوله نصب على المصدر) أي المؤكد لعامله المعنوي المستفاد من قوله حرمت فإن التحريم والفرض والكتب بمعنى واحد (قوله بالبناء للفاعل والمفعول) أي فهما قراءتان سبعيتان والفاعل هو الله وحذف للعلم به (قوله ما وراء ذلكم) أي غير ما ذكر لكم وهذا عام مخصوص بغير ما حرم بالسنة كباقي المحرمات من الرضاع والجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها واللاعنة على ملاعنها والمعتدة فقوله أي سوى ما حرم عليكم من النساء أي كتابا وسنة (قوله أن تبتغوا) علة لقوله وأحل لكم أي أحل لكم لأجل أن تبتغوا (قوله بصداق) أي بالتزوج وقوله أو ثمن أي بالملك (قوله متزوجين) أي أو متملكين بدليل قوله أو ثمن وقوله غير مسافحين حال أخرى وسمي الزنا سفاحا لأن الزانيين لا يقصدان إلا صب الماء ولا يقصدان نسلا فإن الأصل في السفح الصب (قوله فما استمتعتم) أشار المفسر بقوله أي من إلى أن ما واقعة

بالوطء (فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ) مهورهن التى فرضتم لهن (فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ) أنتم وهن (بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ) من حطها أو بعضها أو زيادة عليها (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا) بخلقه (حَكِيمًا) فيما دبره لهم (وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا) أى غنى لـ(أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ) الحرائر (الْمُؤْمِنَاتِ) هو جرى على الغالب فلا مفهوم له (فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ) ينكح (مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ) فاكتفوا بظاهره وكلوا السرائر إليه فانه العالم بتفصيلها ورب أمة تفضل الحرة فيه وهذا تأنيس بنكاح الإماء (بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ) أى أنتم وهن سواء فى الدين فلا تستنكفوا من نكاحهن (فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ) مواليهن (وَآتُوهُنَّ) أعطوهن (أُجُورَهُنَّ) مهورهن (بِالْمَعْرُوفِ) من غير مطل ونقص (مُحْصَنَاتٍ) عفائف حال (غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ) زانيات جهرا (وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ) أخلاء يزنون بهن سرا (فَإِذَا أُحْصِنَّ) زوّجن وفى قراءة بالبناء للفاعل تزوجن (فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ) زنا (فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ) الحرائر الأبكار إذا زنين (مِنَ الْعَذَابِ) الحد فيجلدن خمسين ويغربن نصف سنة ويقاس عليهن العبيد ،

على من يعقل وهن الزوجات والمراد الزوجات اللاتى تمتعتم به منهن فالآية واردة فى النكاح الصحيح فهو بمعنى قوله تعالى ـ وآتوا النساء صدقاتهن نحلة ـ الآية وكرره لتعميم حكم الحل وقيل إن الآية وردت فى نكاح المتعة وكان فى صدر الاسلام حلالا فكان الرجل ينكح المرأة وقتا معلوما ثم يسرحها وقد نسخ هذا فعلى هذا الآية منسوخة (قوله بالوطء) أى أومقدماته (قوله مهورهن) سمى المهر أجرا لأنه فى مقابلة الاستمتاع لاالذات (قوله التى فرضتم لهن) أشار بذلك إلى أن فريضة مفعول لمحذوف وهو متصل بما قبله فان لم يكن فرض لها شيئا وقد دخل بها فانه يلزمه مهر مثلها (قوله ولاجناح عليكم) أى ولا عليهن (قوله أنتم وهن) أى إن كن رشيدات أو أولياؤهن إن كن سفيهات (قوله من حطها الخ) بيان لما والكلام موزع ، والمعنى فلا جناح عليكم فيما تراضيتم به من الحط ولا جناح عليهن فيما تراضين من أخذ الزيادة (قوله ومن لم يستطع) من شرطية أو موصولة ويستطع إما فعل الشرط أوصلة الموصول وقوله منكم : أى الأحرار وهو شروع فى بيان حكم نكاح الاماء للأحرار فأفاد أنه لايجوز للحر أن ينكح الأمة إلا بشروط ثلاثة أن لايجد للحرائر طولا وأن تكون تلك الأمة مؤمنة وأن يخشى على نفسه العنت وذلك الحكم يخصص ماتقدم فى قوله فانكحوا ماطاب لكم من النساء وقوله ـ وأحلّ لكم ما وراء ذلكم ـ وعلة حرمة نكاح الأمة لئلا يصير الولد رقيقا لسيد الأمة فان كان لا يولد له أو لها أو كان ولده يعتق على سيدها مثل أمة الجد فانه يجوز له تزوج الأمة بشرط كونها مؤمنة (قوله أن ينكح المحصنات) أن وما دخلت عليه فى تأويل مصدر مفعول لقوله طولا على حد أو إطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما (قوله فلا مفهوم له) أى فاذا وجد طولا لحرة كتابية فلا يجوز له أن يتزوج بالأمة (قوله فمما ملكت أيمانكم) إما جواب الشرط أو خبر المبتدأ وقدر المفسر العامل مؤخرا لافادة الحصر (قوله من فتياتكم) جمع فتاة وهى الشابة من النساء (قوله تفضل الحرة فيه) أى الايمان بأن تكون من كبار الأولياء وأرباب الأسرار مثلا (قوله بعضكم من بعض) أى من جنس بعض فى الدين والنسب كقول علىّ كرّم الله وجهه بيت شعر من البسيط :

الناس من جهة التمثيل أكفاء ... أبوهم آدم والأمّ حوّاء

(قوله من غير مطل) أى عدم أداء مع القدرة عليه (قوله حال) أى من قوله فانكحوهن أى حال كونهن عفائف من الزنا وهذا شرط كمال على المعتمد (قوله غير مسافحات) حال مؤكدة (قوله ولا متخذات أخدان) جمع خدن بالكسر وهو الصاحب والخليل وإنما ذكره بعده لأنه كان فى الجاهلية الزنا قسمان: جهرا وسرا فكان الأكابر منهم يحرمون القسم الأول ويحلون القسم الثانى (قوله وفى قراءة بالبناء للفاعل) أى فهما قراءتان سبعيتان والمعنى على هذه القراءة أحصن أنفسهن (قوله فان أتين) شرط فى الشرط وقوله فعليهن الخ جواب الثانى والثانى وجوابه جواب الأول على حد إن جئتنى فان لم أكرمك فعبدى حرّ (قوله الأبكار) إنما قيد بذلك لأن حد غير البكر من الأحرار الرجم وهو لايتنصف (قوله ويغرّبن نصف سنة) هذا مذهب الامام الشافعى ، وأما عند مالك فلا تغريب على الرقيق ذكرا أو أنثى

(قوله ولم يجعل الاحصان الخ) إنما احتاج للسؤال والجواب لأنه فسر الاحصان بالتزوج و إلا فلو فسره بالاسلام كما فعل غيره لما احتاج لذلك كله (قوله وأصله المشقة) أى أصله الثانى و إلا فأصله الأول الكسر بعد الجبر ثم نقل لكل مشقة تحصل للانسان (قوله والعقوبة فى الأخرى) أى إن لم يقم عليه الحد فى الدنيا على المعتمد من أن الحدود جوابر (قوله فلا يحلّ له نكاحها) محل ذلك إن لم يخف العنت فى أمة معينة ولم يجد من يكفه عنها من الحرائر فعند مالك يجوز له نكاحها لأنه عادم للحرائر حكما (قوله وعليه الشافعى) أى ومالك وأحمد وقال أبو حنيفة بجواز نكاح الأمه لمن ليس تحته حرّة بالفعل ولو كان واجدا لمهرها وخالف فى اشتراط إسلام الأمة (قوله ولو عدم) أى الطول وخاف العنت (قوله وأن تصبروا خير لكم) أى فالصبر أجمل حيث أمكن التحيل على ذلك لقوله فى الحديث «من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء» ولقوله تعالى ـ وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله ـ (قوله بالتوسعة فى ذلك) أى فى نكاح الأمة (قوله ليبين لكم) أى يفصل ويظهر (قوله فتتبعوهم) أى على منوال شرعكم (قوله و يتوب عليكم) أى يقبل توبتكم إذا تبتم (قوله عن معصيته) أى اللغوية وإلا فقبل التشريع لم تكن معصية (قوله والله يريد أن يتوب عليكم) أى يحبّ ذلك ويرضاه وليست الارادة على حقيقتها لأنه يقتضى أن إرادة الله متعلقة بتوبة كلّ عاص مع أنه ليس كذلك فالمعنى الله يحبّ توبة العبد فيتوب عليه ومن هنا قيل إن قبول التوبة قطعى (قوله أو المجوس) أى فكانوا يجوّزون نكاح الأخوات من الأب و بنت الأخ فلما حرمهن الله صاروا يقولون للمؤمنين إنكم تحلون نكاح بنت العمة وبنت الخالة فلا فرق بينهما وبين بنت الأخ والأخت (قوله فتكونوا مثلهم) أى لأن المصيبة إذا عمت هانت

ولم يجعل الإحصان شرطاً لوجوب الحد بل لإفادة أنه لا رجم عليهن أصلا (ذٰلِكَ) أى نكاح المملوكات عند عدم الطول (لِمَنْ خَشِيَ) خاف (الْعَنَتَ) الزنا وأصله المشقة سمى به الزنا لأنه سببها بالحد فى الدنيا والعقوبة فى الآخرة (مِنْكُمْ) بخلاف من لا يخافه من الأحرار فلا يحل له نكاحها وكذا من استطاع طول حرة وعليه الشافعى، وخرج بقوله من فتياتكم المؤمنات الكافرات فلا يحل له نكاحها ولو عدم وخاف (وَأَنْ تَصْبِرُوا) عن نكاح المملوكات (خَيْرٌ لَكُمْ) لئلا يصير الولد رقيقاً (وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) بالتوسعة فى ذلك (يُرِيدُ اللهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ) شرائع دينكم ومصالح أمركم (وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ) طرائق (الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ) من الأنبياء فى التحليل والتحريم فتتبعوهم (وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ) يرجع بكم عن معصيته التى كنتم عليها إلى طاعته (وَاللهُ عَلِيمٌ) بكم (حَكِيمٌ) فيما دبره لكم (وَاللهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ) كرره ليبنى عليه (وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ) اليهود والنصارى أو المجوس أو الزناة (أَنْ تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً) تعدلوا عن الحق بارتكاب ماحرم عليكم فتكونوا مثلهم (يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ) يسهل عليكم أحكام الشرع (وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفاً) لا يصبر عن النساء والشهوات (يٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ) بالحرام فى الشرع كالربا والغصب (إِلاَّ) لكن (أَنْ تَكُونَ) تقع (تِجَارَةٌ) وفى قراءة بالنصب،

(قوله يسهل عليكم أحكام الشرع) أى فلم يجعلها ثقيلة عسرة كما كان فى الأمم السابقة قال تعالى ـ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ـ وقال تعالى ـ ماجعل عليكم فى الدين من حرج ـ (قوله وخلق الانسان) هذا كالتعليل لقوله يريد الله أن يخفف عنكم (قوله لايصبر عن النساء) أى لما فى الحديث «لاخير فى النساء ولا صبر عنهن يغلبن كريما ويغلبهن لئيم فأحب أن أكون كريما مغلوبا ولاأحب أن أكون لئيما غالبا» وقوله أوالشهوات أى مطلقا ومن جملتها النساء وفى الحديث «إن لنفسك عليك حقا» (قوله يأيها الذين آمنوا الخ) لما بين النهى عن بعض الفروج و إباحة بعضها شرع يبين النهى عن بعض الأموال والأنفس (قوله لاتأكلوا أموالكم) أى بانفاقها فى المعاصى والمراد بالأكل مطلق الأخذ و إنما عبر بالأكل لأنه معظم المقصود من الأموال (قوله كالربا والغصب) أى والسرقة والرشوة وغير ذلك من المحرمات (قوله إلا لكن) أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع (قوله وفى قراءة بالنصب) أى على أن تكون ناقصة وتجارة خبرها واسمها محذوف وأما على الرفع فتكون تامة

أى تكون الأموال أموال تجارة صادرة (عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ) وطيب نفس فلكم أن تأكلوها (وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ) بارتكاب ما يؤدى إلى هلاكها أيا كان فى الدنيا أو الآخرة بقرينة (إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا) فى منعه لكم من ذلك (وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ) أى ما نهى عنه (عُدْوَانًا) تجاوزا للحلال حال (وَظُلْمًا) تأكيد (فَسَوْفَ نُصْلِيهِ) ندخله (نَارًا) يحترق فيها (وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا) هينا (إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ) وهى ماورد عليها وعيد كالقتل والزنا والسرقة ، وعن ابن عباس هى إلى السبعمائة أقرب (نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ) الصغائر بالطاعات (وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا) بضم الميم وفتحها أى إدخالا أو موضعا (كَرِيمًا) هو الجنة (وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ) من جهة الدنيا أو الدين لئلا يؤدى إلى التحاسد والتباغض (لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ) ثواب (مِمَّا اكْتَسَبُوا) بسبب ما عملوا من الجهاد وغيره (وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ) من طاعة أزواجهن وحفظ فروجهن، نزلت لما قالت أم سلمة : ليتنا كنا رجالا فجاهدنا وكان لنا مثل أجر الرجال ،

والقراءتان سبعيتان (قوله عن تراض منكم) أى وأما إذا لم تكن عن تراض بل كانت غصبا أو غشا أو خديعة فليست حلالا ويشترط أيضا أن تكون على الوجه المرضى فى الشرع وخص التجارة بالذكر لأن غالب التصرف فى الأموال بها ولأنها أرفق بذوى المروءات (قوله أيا كان فى الدنيا الخ) أى بأن يزنى وهو محصن فيترتب عليه الرجم أو يقتل أحدا فيقتل أو يقتل نفسه غما وأسفا لما روى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من تردى من جبل فقتل نفسه فهو فى نار جهنم يتردى فيها خالدا مخلدا فيها أبدا ، ومن تحسى سما فقتل نفسه فسمه فى يده يتحساه فى نار جهنم خالدا فيها أبدا، ومن قتل نفسه بحديدة فهو يتوجأ بها فى بطنه فى نار جهنم خالدا فيها أبدا» (قوله أى مانهى عنه) أى وهو قتل النفس أو أكل الأموال بالباطل (قوله تأكيد) أى لأن الظلم والعدوان بمعنى واحد وهو تجاوز الحد (قوله وكان ذلك) أى الاصلاء المذكور (قوله وهى ماورد عليها وعيد) أى أو حد ولا تحد بالعد (قوله أقرب) أى منها للسبعين التى قيل بها (قوله بالطاعات) أى بفعلها زيادة على الاجتناب كذا قيل وقيل لا يشترط ذلك بل تكفر الصغائر باجتناب الكبائر فقط فان اجتناب الكبائر من أعظم الطاعات وهو المعتمد (قوله بضم الميم) أى فيكون مصدرا على صورة المفعول لأن مصدر الرباعى يأتى على صورة اسم المفعول ومفعوله محذوف أى ندخلكم الجنة إدخالا وقوله وفتحها أى فيكون اسم مكان فقوله أى إدخالا أو موضعا لف ونشر مرتب ويحتمل أن كلا لكل لكن الأول أقرب وهما قراءتان سبعيتان إلا فى الاسراء فبالضم لا غير (قوله هو الجنة) هذا يناسب كونه اسم مكان وأما على كونه مصدرا ، فالمراد أن قرار الادخال الكريم الجنة ومعنى كونه كريما أنه لا نكد فيه ولا تعب بل فيه مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (قوله ولا تتمنوا) سيأتى فى المفسر سبب نزولها وهو تمنى أم سلمة كونها من الرجال وذلك لأن الله فضل الرجال على النساء بأمور: منها الجهاد والجمعة والزيادة فى الميراث وغير ذلك والتمنى هو التعلق بحصول أمر فى المستقبل عكس التلهف لأنه التعلق بحصول أمر فى الماضى فان تعلق بانتقال ما لغيره له أو لغيره مع زواله عنه فهو حسد مذموم وهو معنى قوله تعالى ـ أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ـ وفى ذلك قال ابن حنبل :

ألا قل لمن بات لى حاسدا   أتدرى على من أسأت الأدب
أسأت على الله فى فعله   كأنك لم ترض لى ماوهب
فكان جزاؤك أن خصنى   وسد عليك طريق الطلب

وإن تعلق بمثل ما لغيره مع بقاء نعمته فان كان تقوى أو صلاحا أو إنفاق مال فى الخير فهو مندوب وهو المعنى بقوله عليه الصلاة والسلام «لا حسد إلا فى اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الخير، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها الناس» وأما إن كان تمنى المال لمجرد الغنى فهو جائز (قوله وغيره) أى من أنواع البر كالصلاة والصوم وغيرهما (قوله من طاعة أزواجهن) أى لما فى الحديث «لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها» وفى الحديث «إذا بات الرجل غضبانا على زوجته باتت الملائكة تلعنها إلى الصباح» (قوله أم سلمة) أى وهى زوج النبى صلى الله عليه وسلم وقد ترتب على تمنيها نزول تلك الآية ونزول قوله تعالى ـ إن المسلمين والمسلمات ، إلى قوله : أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما ـ (قوله ليتنا كنا رجالا) أى ينتقل لنا وصفهم

ولا خصوصية لأم سلمة بهذا التمنى فقد تمنى مثلها جماعة من النسوة ، وقيل سبب نزولها تمنى الرجال أن الله كما فضلهم على النساء فى الدنيا يفضلهم عليهن فى الآخرة (قوله بهمزة ودونها) أى فهما قراءتان سبعيتان . والحاصل أن هذه المادة إن وردت فى القرآن بواو أوفاء لغير غائب ففيها القراءتان نحو : فاسئلوا أهل الذكر، واسئلوا الله من فضله و إن وردت بغيرهما فالقراءة بدون الهمزة لاغير نحو : سل بنى إسرائيل و إن وردت لغائب مع الواو أو الفاء نحو : وليسئلوا ما أنفقوا فالقراءة بالهمزة لاغير (قوله ولكل) أى لكل من مات من الرجال أو النساء موالى: أى ورثة يرثونهم ، وقوله مما ترك الوالدان والأقربون : أى من المال الذى تركه الوالدان والأقربون إن ماتوا وهذا حل المفسر، وقال غيره إن قوله الوالدان والأقربون بيان للموالى فيكونون وارثين لاموروثين وكل صحيح والأقرب الأول ، وعليه ابن عباس والقصد بذلك نسخ ما كانت عليه الجاهلية من توريث الحلفاء فكان الواحد منهم يأخذ بيمين صاحبه ويقول له دمى دمك وهدمى هدمك أعقل عنك وتعقل عنى وأرثك وترثنى ، وقد كان فى صدر الاسلام لكل واحد من صاحبه السدس ثم نسخ بهذه الآية أو بقوله تعالى — وألوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله — كما يأتى ، وقوله دمى دمك : أى أنت ولى دمى وأنا ولى دمك ، وقوله هدمى هدمك بفتح الهاء وسكون الدال : أى إذا وقع بيننا قتل كان المقتول منا هدرا ، وقوله أعقل عنك وتعقل عنى : أى إذا لزمتك دية شاركتك فيها وأنت كذلك (قوله والذين عاقدت أيمانكم) مبتدأ خبره

قوله فآتوهم وقد فرضه المفسر فى تحالف الجاهلية وبعضهم فرضه فى مؤاخاة النبى بين المهاجرين والأنصار وكل صحيح وعلى كل فالميراث لهم منسوخ (قوله بألف ودونها) أى فهما قراءتان سبعيتان. وروى عن حمزة التشديد مع حذف الألف (قوله فآتوهم الآن) أى فى صدر الاسلام، وقد علمت أن المفسر فرضه فى محالفة المهاجرين مع الأنصار (قوله وهذا منسوخ) أى قوله — والذين عقدت أيمانكم — الآية (قوله بقوله وأولوا الأرحام) وقيل منسوخ بالآية قبلها والواقع أن كلا ناسخ لها (قوله الرجال قوامون) سبب نزولها أن سعد بن الربيع أحد نقباء الأنصار نشزت زوجته واسمها حبيبة بنت زيد فلطمها فانطلق بها أبوها إلى النبى صلى الله عليه وسلم وقال له قد لطم كريمتى فقال النبى لتقتص من زوجها فذهبت مع أبيها ، فقال عليه الصلاة والسلام ارجعوا إن جبريل أتانى وقرأ الآية ، ثم قال أردنا أمرا وأراد الله أمرا وما أراده الله خير ، وهذا كلام مستأنف قصد به بيان تفضيل الرجال على النساء ، وأفاد أن التفضيل لحكمتين الأولى وهبية والثانية كسبية . واعلم أن جنس الرجال أفضل من جنس النساء فلا ينافى أن بعض أفراد النساء أفضل من بعض أفراد الرجال كمريم بنت عمران وفاطمة الزهراء وخديجة وعائشة (قوله مسلطون) أى قيام سلطنة كقيام الولاة على الرعايا فالمرأة رعية زوجها ، وفى الحديث «كل راع مسئول عن رعيته» (قوله و يأخذون على أيديهن) أى يمنعونهن من كل مكروه كالخروج من المنزل (قوله بما فضل) الباء سببية وما مصدرية : أى بتفضيل الله والبعض الأول الرجال والثانى النساء وأبهم البعض إشارة إلى أن التفضيل بالجملة لا بالتفصيل (قوله بالعلم الخ) أشار المفسر لبعض الأمور التى فضلت الرجال بها على النساء ومنها زيادة العقل والدين والولاية والشهادة والجهاد والجمعة والجماعات وكون الأنبياء والسلاطين من الرجال ومنها كون الرجل يتزوج بأربع فى الدنيا و بأكثر فى الجنة دون المرأة وكون الطلاق والرجعة بيد الرجل (قوله وبما أنفقوا) يقال فيه ماقيل فى قوله بما فضل الله : أى و بانفاقهم ومن جملة الانفاق دفع المهر (قوله مطيعات لأزواجهن) أى

(وَاسْئَلُوا) بهمزة ودونها (اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ) ما احتجتم إليه يعطكم (إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا) ومنه محل الفضل وسؤالكم (وَلِكُلٍّ) من الرجال والنساء (جَعَلْنَا مَوَالِيَ) عصبة يعطون (مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ) لهم من المال (وَالَّذِينَ عَاقَدَتْ) بألف ودونها (أَيْمَانُكُمْ) جمع يمين بمعنى القسم أو اليد أى الحلفاء الذين عاهدتموهم فى الجاهلية على النصرة والارث (فَآتُوهُمْ) الآن (نَصِيبَهُمْ) حظوظهم من الميراث وهو السدس (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا) مطلعا ومنه حالكم وهذا منسوخ بقوله : وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ) مسلطون (عَلَى النِّسَاءِ) يؤدبونهن و يأخذون على أيديهن (بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ) أى بتفضيله لهم عليهن بالعلم والعقل والولاية وغير ذلك (وَبِمَا أَنْفَقُوا) عليهن (مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ) منهن (قَانِتَاتٌ) مطيعات لأزواجهن (حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ) أى لفروجهن وغيرها ،

في غير معصية الله (قوله في غيبة أزواجهن) أي عنهن (قوله بما حفظ الله) أشار المفسر إلى أن ما اسم موصول أو نكرة موصوفة والعائد محذوف قدره بقوله هن والباء سببية : أي بسبب الذي أو شيء حفظهن الله به ولفظ الجلالة فاعل حفظ ، والمعنى أن الله كما أوصى الأزواج بحفظ النساء كذلك لا تسمى النساء صالحات إلا إذا حفظهن الأزواج لأنه كما يدين الفتى يدان ويحتمل أن ما مصدرية ، والمعنى بحفظ الله : أي توفيق الله لهن (قوله عصيانهن لكم) أي فيما تأمرونهن به (قوله بأن ظهرت أماراته) أي النشوز بأن ظننتم ذلك (قوله فعظوهن) أي بنحو اتقي الله واحذري عقابه فان الرجل له حق على المرأة وهذا الترتيب واجب وأخذ وجوبه من السنة (قوله غير مبرح) أي وهو الذي لا يكسر عظما ولا يشين جارحة . واعلم أن الهجر والضرب لا يسوغ فعلهما إلا إذا تحقق النشوز ويزاد في الضرب ظن الافادة ، وأما الوعظ فلا يشترط فيه تحقق النشوز ولا ظن الافادة (قوله طريقا إلى ضربهن ظلما) أي كأن توبخوهن على ما كان منهن فيلجأ الأمر إلى الخصام والضرب فان عدن للنشوز رجع الترتيب الأول ولا يضربن من أول وهلة (قوله فاحذروه أن يعاقبكم إن ظلمتموهن) أي فالمطلوب أن تستوصوا بهن خيرا لما في الحديث « استوصوا بالنساء خيرا فان المرأة خلقت من ضلع وإن أعوج ما في الضلع أعلاه فان ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء خيرا » (قوله وإن خفتم) الخطاب لولاة الأمور أو لأشراف البلدة التي هما بها (قوله والاضافة للاتساع) أي والأصل شقاقا بينهما فأضيف المصدر إلى ظرفه مثل مكر الليل (قوله حكما من أهله وحكما من أهلها) أي إن وجد كل من الأهلين معا فان لم يوجدا أو وجد أحدهما دون الآخر اختار ولي الأمر رجلين وبعثهما واحدا عنها وواحدا عنه .

في غيبة زأواجهن (بِمَا حَفِظَ) ـهن (اللَّهُ) حيث أوصى عليهن الأزواج (وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ) عصيانهن لكم بأن ظهرت أماراته (فَعِظُوهُنَّ) فخوفوهن الله (وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ) اعتزلوا إلى فراش آخر إن أظهرن النشوز (وَاضْرِبُوهُنَّ) ضربا غير مبرح إن لم يرجعن بالهجران (فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ) فيما يراد منهن (فَلَا تَبْغُوا) تطلبوا (عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا) طريقا إلى ضربهن ظلما (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا) فاحذروه أن يعاقبكم إن ظلمتموهن (وَإِنْ خِفْتُمْ) علمتم (شِقَاقَ) خلاف (بَيْنِهِمَا) بين الزوجين والإضافة للاتساع أي شقاقا بينهما (فَابْعَثُوا) إليهما برضاهما (حَكَمًا) رجلا عدلا (مِنْ أَهْلِهِ) أقاربه (وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا) ويوكل الزوج حكمه في طلاق وقبول عوض عليه ، وتوكل هي حكمها في الاختلاع فيجتهدان ويأمران الظالم بالرجوع أو يفرقان إن رأياه قال تعالى (إِنْ يُرِيدَا) أي الحكمان (إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا) بين الزوجين أي يقدرهما على ما هو الطاعة من إصلاح أو فراق (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا) بكل شيء (خَبِيرًا) بالبواطن كالظواهر (وَاعْبُدُوا اللَّهَ) وحدوه (وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَ) أحسنوا (بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) ؛

واعلم أن كون الحكمين من الأهلين عند وجودهما مندوب عند الشافعي وواجب عند مالك (قوله إن رأياه) أي صوابا ومصلحة (قوله أي الحكمان) ويحتمل أن يعود الضمير على الزوجين ، والمعنى إن يرد الزوجان إصلاحا معاشرة بالمعروف وترك ما يسيء تحصل الموافقة بينهما ، وقوله بين الزوجين ويحتمل أن يعود على الحكمين ، والمعنى لا يحصل اختلاف بين الحكمين بل تحصل الموافقة بينهما فيحكمان بما أنزل الله فتحصل أن الضميرين يصح عودهما معا على الزوجين أو الحكمين أو الأول للزوجين والثاني للحكمين وبالعكس، وقوله إصلاحا : أي مصلحة ، وإليه يشير قول المفسر بعد ذلك من إصلاح أو فراق (قوله واعبدوا الله) الخطاب للمكلفين لأن العبادة تتوقف على معرفة المعبود والنية ، ولكن المراد ما يشمل القربة التي هي ما تتوقف على معرفة المتقرب إليه والطاعة التي لا تتوقف على شيء (قوله وحدوه) حيث فسر العبادة بالتوحيد كان قوله بعد ذلك ولا تشركوا تأكيدا ولكن الأولى التعميم كما قدمناه فيكون قوله ولا تشركوا تأسيسا وهذا نظير قوله تعالى ـ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ـ (قوله ولا تشركوا به شيئا) يحتمل أن شيئا مفعول به ، والمعنى لا تشركوا به شيئا من الأشياء صنما أو غيره ، ويحتمل أنه مفعول مطلق صفة لمصدر محذوف ، والمعنى إشراكا شيئا جليا أو خفيا كالرياء والسمعة (قوله وبالوالدين) قرن بر الوالدين بعبادة الله إشارة لتأكد حقهما وتخويفا من عقوقهما وقدر المفسر

أحسنوا إشارة إلى أن إحسانا مفعول مطلق لفعل محذوف والجار والمجرور يحتمل أن يكون متعلقا بأحسنوا المقدر وإليه يشير المفسر . ويحتمل أنه متعلق باحسانا ولا يقال إن المصدر لا يعمل فى متقدم لأنه يقال محله فى غير الجار والمجرور والظرف (قوله برًّا ولين جانب) أى بأن يعظمهما ويخدمهما ويفعل معهما أنواع البرّ ، وقد بين أنواعه فى قوله تعالى - إما يبلغنّ عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أفّ ولا تنهرهما - الآية ، وإنما خص حالة الكبر لأن عندها يثقلان وإنما تكررت الآيات المتعلقة بالوصية على الوالدين دون العكس لأن الله جعل الرأفة القائمة بقلوب الوالدين على الأولاد مغنية عن التكاليف بالقيام بحقوق الأولاد بخلاف الأولاد فلذا شدّد على الأولاد دون الوالدين (قوله وبذى القربى) كرر الباء إشارة إلى تأكيد حق القرابة لما فى الحديث « الرحم معلقة بالعرش تقول يارب من وصلنى فأوصله ومن قطعنى فاقطعه » (قوله واليتامى) جمع يتيم وهو من مات أبوه ويستمر يتمه إلى البلوغ فاذا بلغ زال يتمه (قوله والمساكين) جمع مسكين وهو من التصقت يده بالتراب والمراد مايشمل الفقير (قوله أو النسب) أو مانعة خلو تجوز الجمع لما فى الحديث « الجيران ثلاثة فجار له ثلاثة حقوق: حق الجوار وحق القرابة وحق الإسلام ، وجار له حقان: حق الجوار وحق الإسلام ، وجار له حق واحد حق الجوار وهو المشرك من أهل الكتاب»

برًّا ولين جانب (وَبِذِى الْقُرْبَى) القرابة (وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِى الْقُرْبَى) القريب منك فى الجوار أو النسب (وَالْجَارِ الْجُنُبِ) البعيد عنك فى الجوار أو النسب (وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ) الرفيق فى سفر أو صناعة، وقيل الزوجة (وَابْنِ السَّبِيلِ) المنقطع فى سفره (وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ) من الأرقاء (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا) متكبرا (فَخُورًا) على الناس بما أوتى (الَّذِينَ) مبتدأ (يَبْخَلُونَ) بما يجب عليهم (وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ) به (وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) من العلم والمال وهم اليهود وخبر المبتدإ لهم وعيد شديد (وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ) بذلك وبغيره (عَذَابًا مُهِينًا) ذا إهانة (وَالَّذِينَ) عطف على الذين قبله (يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ) مرائين لهم (وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ) كالمنافقين وأهل مكة (وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا) صاحبا يعمل بأمره كهؤلاء (فَسَاءَ) بئس (قَرِينًا) هو (وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ) أى أىُّ ضرر عليهم فى ذلك ؟ والاستفهام للانكار ولو مصدرية ، أى لاضرر فيه وإنما الضرر فيما هم عليه (وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا) فيجازيهم بما عملوا (إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ) أحدا (مِثْقَالَ) وزن (ذَرَّةٍ) :

(قوله الرفيق فى سفر) ومثله الملاصق لك فى نحو درس علم أو صلاة (قوله المنقطع فى سفره) المناسب تفسيره بالغريب كان منقطعا أولا (قوله من الأرقاء) لامفهوم له بل مثله الدواب المملوكة وإنما خص الأرقاء لقوله تعالى - ولقد كرمنا بنى آدم - فالاحسان إليهم متأكد لقوله فى الحديث « إن الله ملككم إياهم ولوشاء ملكهم إياكم » (قوله إن الله) علة لمحذوف تقديره أمركم الله بذلك فلا تفخروا إن الله الخ (قوله متكبرا) أى معجبا لنفسه مستحقرا لغيره (قوله بما أوتى) أى من النعم (قوله أصغر
بما يجب عليهم) أى من الزكاة وغيرها (قوله بالبخل به) أى بما يجب (قوله من العلم) أى كصفات النبى الموجودة فى التوراة والانجيل (قوله وأعتدنا للكافرين) علة لخبر المبتدأ المحذوف (قوله مرائين لهم) أشار به إلى أن رئاء حال من الواو فى ينفقون (قوله كهؤلاء) أى الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ومن ينفق ماله مرائيا ومن لايؤمن بالله ولاباليوم الآخر (قوله فساء قرينا) ساء بمعنى بئس تساق للذم فهى نظيرتها فى المعنى والعمل وقرينا تمييز والأصل فساء القرين قرينهم وقدر المخصوص بالذم بقوله هو . واعلم أن كل إنسان له قرين من الشياطين يوسوس له فى الدنيا ويكون معه فى النار فى سلسلة ، واختلف فقيل الذم فى الدنيا على مطاوعته فيما يأمره به ، وقيل فى الآخرة على مقارنته له فى السلسلة فى النار (قوله أى أىّ ضرر) أشار بذلك إلى أن ماذا استفهام وهو للانكار والتوبيخ (قوله ولو مصدرية) أى والكلام على تقدير فى وإليه يشير المفسر بقوله : أى لاضرر عليهم فيه فالتقدير وماذا عليهم فى إيمانهم (قوله إن الله لايظلم مثقال ذرة) المقصود من ذلك إظهار العدل فى المجازاة على السيآت وكمال الفضل فى المجازاة على الحسنات

أصغر نملة بأن ينقصها من حسناته أو يزيدها فى سيآته (وَإِنْ تَكُ) الذرة (حَسَنَةً) من مؤمن وفى قراءة بالرفع فكان تامة (يُضَاعِفْهَا) من عشر إلى أكثر من سبعمائة وفى قراءة يضعفها بالتشديد (وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ) أى من عنده مع المضاعفة (أَجْرًا عَظِيمًا) لا يقدره أحد (فَكَيْفَ) حال الكفار (إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ) يشهد عليها بعملها وهو نبيها (وَجِئْنَا بِكَ) يا محمد (عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا يَوْمَئِذٍ) يوم المجىء (يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ) أى أن (تُسَوَّى) بالبناء للمفعول وللفاعل مع حذف إحدى التاءين فى الأصل ومع إدغامها فى السين أى تتسوى (بِهِمُ الْأَرْضُ) بأن يكونوا ترابا مثلها لعظم هوله كما فى آية أخرى « ويقول الكافر ياليتنى كنت ترابا » (وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا) عما عملوه وفى وقت آخر يكتمونه ويقولون: والله ربنا ما كنا مشركين (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ) أى لاتصلوا (وَأَنْتُمْ سُكَارَى) من الشراب لأن سبب نزولها صلاة جماعة فى حال السكر (حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ) بأن تصحوا (وَلَا جُنُبًا) بإيلاج أو إنزال ،

(قوله أصغر نملة) وقيل هو الهباء الذى يكون فى الشمس فقوله من مؤمن أى لامن كافر بل تكون هباء منثورا (قوله وفى قراءة بالرفع) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله يضاعفها) أى يضاعف ثوابها (قوله لا يقدره) أى لايحصره ولايعده بل من محض فضله وكرمه (قوله فكيف) خبر لمبتدأ محذوف قدره المفسر بقوله حال الكفار وهو استفهام تعجبى استعظامى أى تعجب من حالهم فانه بلغ الغاية فى الفظاعة والشناعة لعظيم مارأوه من الأهوال العظيمة (قوله إذا جئنا) ظرف متعلق بالمبتدا المحذوف (قوله على هؤلاء) أى أمم الأنبياء الكفار حين ينكرون تبليغ أنبيائهم لهم الرسالة . وحاصل ذلك أنه بعد انفضاض الوقف تحضر الأنبياء مع أممهم فيقول الله للأمم ألم تبلغكم الرسل الشرائع فيقولون ياربنا مابلغونا فيسأل الله الرسل ألم تبلغوهم ما أرسلتكم به فيقولون بلى فيقول الله للرسل هل لكم شهود فيقولون محمد وأمته فيؤتى بهم فيشهدون على الأمم بالتكذيب وللأنبياء بالبراءة ثم بعد ذلك إن وقع منهم إنكار تنطق عليهم ألسنتهم بل وجميع أعضائهم والأزمنة والأمكنة بتكذيبهم وهذا الاحتمال هو الأظهر، ويحتمل أن اسم الاشارة عائد على المشركين مطلقا من أول الزمان إلى آخره أو عائد على الكفار والمنافقين من أمته صلى الله عليه وسلم وإنما رجع للنبى وأمته على الاحتمال الأول وإن كانت الدعوى من معصوم تبكيتا لكفار الأمم السابقة وإظهارا لشرف هذه الأمة وعظم قدرها (قوله يوم المجىء) أشار بذلك إلى أن التنوين فى يومئذ عوض عن جملة جئنا من كل أمة إلى آخرها (قوله يود الذين كفروا) أى يتمنى الكفار مطلقا (قوله وعصوا الرسول) أى رسول كل أمة فأل فيه للجنس (قوله أى أن) أشار بذلك إلى أن لومصدرية (قوله بالبناء للمفعول) أى مع تخفيف السين وقوله وللفاعل الخ هذه قراءة ثانية وقوله ومع إدغامها قراءة ثالثة . فالحاصل أن القراآت ثلاث البناء للمفعول مع تخفيف السين والبناء للفاعل مع التخفيف بحذف احدى التاءين والتشديد بقلب التاء سينا وادغامها فى السين (قوله بأن يكونوا ترابا مثلها) أو بأن تنشق الأرض وتبتلعهم أو يدفنون فيها والأقرب ماذكره المفسر لأن خير مافسرته بالوارد (قوله ولا يكتمون) معطوف على يود فأخبر عنهم بأنهم يوم القيامة يقع منهم شيئان تمنى أن الأرض تسوى بهم وعدم كتمانهم عن الله حديثا (قوله وفى وقت آخر) جواب عن سؤال وهو أن هذه الآية أفادت عدم الكتمان وآية الأنعام أفادت اثباته . وحاصل الجواب أن الكتمان يقع منهم ابتداء وعدمه انتهاء (قوله لاتقربوا الصلاة) إنما نهى عن القربان للمبالغة فى النهى وقوله وأنتم سكارى . إن قلت ان السكران لاعقل عنده فكيف ينهى . أجيب بأن المراد لاتسكروا فى أوقات الصلوات (قوله لأن سبب نزولها) اختصر المفسر السبب وحاصله أنه روى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه قال صنع لنا ابن عوف طعاما فدعانا فأكلنا وأسقانا خمرا قبل أن تحرم الخمر فأخذت منا وحضرت الصلاة أى صلاة المغرب فقدمونى فقرأت قل يأيها الكافرون أعبد ماتعبدون ونحن نعبد ماتعبدون فنزلت الآية فحرمت فى أوقات الصلاة حتى نزلت آية المائدة فحرمت مطلقا (قوله حتى تعلموا ماتقولون) حتى جارة بمعنى إلى والفعل بعدها منصوب بأن مضمرة ومايجوز فيها أن تكون بمعنى الذى أو نكرة موصوفة والعائد على كل محذوف أومصدرية ولاحذف .

(قوله ونصبه على الحال) أى فهو معطوف على قوله وأنتم سكارى (قوله وهو يطلق) أى لفظ جنب (قوله إلا عابرى سبيل) الأحسن أن إلا بمعنى غير صفة لجنبا ومفهومه أن الجنب المسافر يكفيه التيمم وهو كذلك (قوله سيأتى) أى فى قوله أو على سفر الخ (قوله وقيل المراد النهى الخ) هذا تفسير آخر للآية و به أخذ الامام الشافعى وقال مالك بحرمة مرور الجنب فى المسجد إذا كان غير مضطر (قوله يضره الماء) أى فيتيمم و يصلى ولا إعادة عليه عند مالك وأبى حنيفة وقال الشافعى بالاعادة (قوله أى مسافرين) أى ولو كان غير قصر (قوله أو محدثون) أى بالريح مثلا (قوله وهو المكان المعد لقضاء الحاجة) أى فى الأصل ثم أطلق على نفس الحاجة من إطلاق المحل وإرادة الحال يدل عليه قوله أى أحدث (قوله وهو الجس باليد) أى ولو كان من غير قصد أو وجدان لغير محرم وعليه الشافعى وقال مالك يقيد بالقصد أو الوجدان وأخذ أبو حنيفة بكلام ابن عباس فالجس باليد عنده لا يوجب الوضوء مطلقا (قوله وهو راجع إلى ماعدا المرضى) أى وأما المرضى فيتيممون مع وجوده لأنهم لا يقدرون على استعماله أو يراد بعدم الوجود حقيقة أو حكما فيشمل المرضى لأن المعدوم شرعا كالمعدوم حسا (قوله بعد دخول الوقت) إنما قيد بذلك لأن التيمم لا يصح قبله (قوله ترابا طاهرا) هكذا فسره به الشافعى وقال مالك الصعيد هو ماصعد على وجه الأرض من أجزائها ولم يحرق بالنار ولم يكن من الجواهر النفيسة كالتراب أوالرمل أوالحجارة أوغير ذلك (قوله مع المرفقين) أى فمسحهما واجب و به أخذ الشافعى وقال مالك إن التكميل للمرفقين سنة وإنما الفرض عنده مسح اليدين للكوعين كما هو ظاهر الآية (قوله منه) قدره لبيان الممسوح به كما صرح به فى آية المائدة (قوله ومسح يتعدى بنفسه) أى فعليه تكون الباء زائدة وقوله و بالحرف أى وعليه تكون الباء للتعدية لأن سيبويه حكى مسحت رأسه و برأسه (قوله إن الله كان عفوا غفورا) تعليل للترخيص المستفاد مما قبله (قوله ألم تر) كلام مستأنف سيق لتعجيب النبى والمؤمنين من سوء حالهم (قوله إلى الذين) أبهمهم لفظاعة حالهم وشناعته (قوله من الكتاب) أى التوراة (قوله وهم اليهود) أى بعض علمائهم (قوله بالهدى) قدره اشارة إلى أن المقابل محذوف . والمعنى أنهم يأخذون الضلالة بدل الهدى والمراد بالضلالة الكفر وتكذيب سيدنا محمد والمراد بالهدى الايمان وتصديقه (قوله و يريدون أن تضلوا السبيل) هذا ترق فى التعجيب ، والمعنى أنهم اختاروا الضلالة لأنفسهم ومع ذلك يحبونها لغيرهم قال تعالى ـ ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء ـ روى عن ابن عباس أن هذه الآية نزلت فى حبرين من أحبار اليهود كانا يأتيان رأس المنافقين عبد الله بن أبى ورهطه يثبطانهم عن الاسلام وعنه أيضا أنها نزلت فى رفاعة بن زيد ومالك بن دخشم كانا إذا تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم لويا لسانهما وعاباه (قوله لتجتنبوهم) أى لتتحرزوا منهم (قوله وكفى بالله) الباء حرف جر زائد ولفظ الجلالة فاعل كفى (قوله وكفى بالله نصيرا) تأكيد لما قبله وهو بمعنى قوله تعالى ـ ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم ـ

ونصبه على الحال وهو يطلق على المفرد وغيره (إِلاَّ عَابِرِى) مجتازى (سَبِيلٍ) طريق، أى مسافرين (حَتَّى تَغْتَسِلُوا) فلكم أن تصلوا ، واستثناء المسافر لأن له حكما آخر سيأتى ، وقيل المراد النهى عن قربان مواضع الصلاة أى المساجد إلا عبورها من غير مكث (وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى) مرضاً يضره الماء (أَوْ عَلَى سَفَرٍ) أى مسافرين وأنتم جنب أو محدثون (أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ) هو المكان المعد لقضاء الحاجة ، أى أحدث (أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاءَ) وفى قراءة بلا ألف وكلاهما بمعنى اللمس وهو الجسّ باليد قاله ابن عمر وعليه الشافعى وألحق به الجس بباقى البشرة وعن ابن عباس هو الجماع (فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً) تتطهرون به للصلاة بعد الطلب والتفتيش وهو راجع إلى ماعدا المرضى (فَتَيَمَّمُوا) اقصدوا بعد دخول الوقت (صَعِيدًا طَيِّبًا) تراباً طاهراً فاضربوا به ضربتين (فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ) مع المرفقين منه ومسح يتعدى بنفسه و بالحرف (إِنَّ اللهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُوراً . أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً) حظًّا (مِنَ الْكِتَابِ) وهم اليهود (يَشْتَرُونَ الضَّلاَلَةَ) بالهدى (وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ) تخطئوا الطريق الحق لتكونوا مثلهم (وَاللهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ) منكم فيخبركم بهم لتجتنبوهم (وَكَفَى بِاللهِ وَلِيًّا) حافظاً لكم منهم (وَكَفَى بِاللهِ نَصِيراً) مانعاً لكم من كيدهم ،

(قوله من الذين هادوا) خبر مقدم لمبتدإ محذوف قدّره المفسر بقوله قوم وقوله يحرّفون نعت لذلك المحذوف وحذف للنعوت كثير إن تقدمه من التبعيضية على حد منا ظعن ومنا أقام، أى فريق ظعن وفريق أقام وهذا الكلام تفصيل لبعض قبائحهم (قوله الكلم) أى الكلام (قوله من نعت محمد) أى من كونه أبيض مشربا بحمرة ليس بالطويل البائن ولا بالقصير مثلا فقد حرّفوه وقالوا أسود اللون طويل جدا حرصا على الرياسة وعلى ما يأخذونه من سفلتهم ومن جملة ما غيروه آية الرجم بالجلد ، ومن ذلك أنه فى كتبهم من خالف محمدا خلد فى النار فغيروه وقالوا لن تمسنا النار إلا أربعين يوما مدة عبادة العجل (قوله وعصينا أمرك) هذا بحسب باطنهم . وأما بحسب ظاهرهم فمعناه عصينا قول غيرك وكذا قوله واسمع غير مسمع أى اسمع الخير منا غير سامع ما يؤذيك وكذا قوله وراعنا أى اشملنا بنظرك فهذا من الكلام الموجه الذى يحتمل معنيين مختلفين فى المدح والذم (قوله أى لا اسمعت) يحتمل أن المعنى لا اسمعت خيرا أو لا اسمعت شيئا أصلا بأن تبتلى بالصمم أو الموت (قوله وقد نهى عن خطابه بها) أى فى قوله تعالى : ياأيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا (قوله وهى كلمة سب بلغتهم) يحتمل أنها موضوعة للسب فى لغتهم ويحتمل أنهم قصدوا بها السب وإن كانت تحتمل الدعاء بخير من الرعاية وهى الحفظ وبشرّ ومعناها الرعونة وهى الطيش فى العقل كأنهم يقولون اشملنا برعونتك

(مِنَ الَّذِينَ هَادُوا) قوم (يُحَرِّفُونَ) يغيّرون (الْكَلِمَ) الذى أنزل الله فى التوراة من نعت محمد صلى الله عليه وسلم (عَنْ مَوَاضِعِهِ) التى وضع عليها (وَيَقُولُونَ) للنبى صلى الله عليه وسلم إذا أمرهم بشىء (سَمِعْنَا) قولك (وَعَصَيْنَا) أمرك (وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ) حال بمعنى الدعاء، أى لا اسمعت (وَ) يقولون له (رَاعِنَا) وقد نهى عن خطابه بها وهى كلمة سبّ بلغتهم (لَيًّا) تحريفا (بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا) قدحا (فِي الدِّينِ) الإسلام (وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا) بدل وعصينا (وَاسْمَعْ) فقط (وَانْظُرْنَا) انظر إلينا بدل راعنا (لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ) مما قالوه (وَأَقْوَمَ) أعدل منه (وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ) أبعدهم عن رحمته (بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا) منهم كعبد الله بن سلام وأصحابه (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا) من القرآن (مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ) من التوراة (مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا) نمحو ما فيها من العين والأنف والحاجب (فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا) فنجعلها كالأقفاء لوحا واحدا (أَوْ نَلْعَنَهُمْ) نمسخهم قردة (كَمَا لَعَنَّا) مسخنا (أَصْحَابَ السَّبْتِ) منهم (وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ) قضاؤه (مَفْعُولًا) ولما نزلت أسلم عبد الله بن سلام فقيل كان وعيدا بشرط فلما أسلم بعضهم رفع وقيل يكون طمس ومسخ قبل قيام الساعة (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ) أى الإشراك (بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ)

(قوله ليا بألسنتهم) أى صرفا للكلام عن ظاهره وأصله لويا اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون قلبت الواو ياء وأدغمت فى الياء وهو فى الأصل فتل الحبل فشبه به الكلام الذى قصد منه غير ظاهره وطوى ذكر المشبه به وهو الحبل المفتول ورمز له بشىء من لوازمه وهو اللىّ فاثباته تخييل (قوله لكان خيرا لهم) هذا جواب لو واسم التفضيل ليس على بابه ويحتمل أنه على بابه على حسب ما زعموا من أن حرصهم على الكفر يبقى لهم حظ الرياسة والدنيا التى يأخذونها من عوامهم وهو خير دنيوى (قوله إلا قليلا) صفة لموصوف محذوف أى الا فريقا قليلا (قوله نمحو) أى نزيل ما فيها (قوله فقيل كان وعيدا بشرط) أى لأن رحمة الله تسبق غضبه . والحاصل أنه اختلف فى ذلك الوعيد هل كان معلقا ثم ارتفع وقيل إنه واقع لكن فى آخر الزمان ، وقيل إنه واقع فى الآخرة فيقومون من قبورهم ممسوخة صورهم ولا مانع من إرادتها كلها وليس فى القرآن وعيد لأمة محمد بتعجيل العقوبة مثل هذا لأنهم بالغوا فى الكفر وإيذاء النبىّ صلى الله عليه وسلم وقوله بشرط أى وهو عدم إيمان أحد منهم ويؤيده ماروى أن عبد الله بن سلام لما قدم من الشام وقد سمع بهذه الآية أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يأتى أهله وقال يارسول الله ما كنت أرى أن أصل إليك حتى يتحوّل وجهى إلى قفاى ، وكذا ماروى أن عمر بن الخطاب قرأ هذه الآية على كعب الأحبار فقال كعب الأحبار يارب آمنت يارب أسلمت مخافة أن تصيبه وعيدها (قوله وقيل يكون) أى يحصل وقوله قبل قيام الساعة أى زمن عيسى (قوله إن الله لا يغفر أن يشرك به) أن وما دخلت عليه فى تأويل مصدر أشار له المفسر بقوله أى الإشراك ، والمعنى أن الله لا يغفر للكافر إشراكا أو غيره فالمراد بالشرك الكفر لا الشرك الأصغر الذى هو الرياء فانه من جملة الذنوب التى تغفر ، وهذا ردّ على اليهود حيث زعموا أن الشرك لا يضرهم لكون أجدادهم أنبياء وزعموا أنهم أبناء الله وأحباؤه

سوى (ذَٰلِكَ) من الذنوب (لِمَنْ يَشَاءُ) المغفرة له بأن يدخله الجنة بلا عذاب ومن شاء عذبه من المؤمنين بذنوبه ثم يدخله الجنة (وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا) ذنبا (عَظِيمًا) كبيرا (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ) وهم اليهود حيث قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه أى ليس الأمر بتزكيتهم أنفسهم (بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي) يطهر (مَنْ يَشَاءُ) بالإيمان (وَلَا يُظْلَمُونَ) ينقصون من أعمالهم (فَتِيلًا) قدر قشرة النواة (انْظُرْ) متعجبا (كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ) بذلك (وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُبِينًا) بينا . ونزل فى كعب بن الأشرف ونحوه من علماء اليهود لما قدموا مكة وشاهدوا قتلى بدر وحرضوا المشركين على الأخذ بثأرهم ومحاربة النبى صلى الله عليه وسلم (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ) صنمان لقريش (وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا) أبى سفيان وأصحابه حين قالوا لهم : أنحن أهدى سبيلا ونحن ولاة البيت نسقى الحاج ونقرى الضيف ونفك العانى ونفعل أم محمد وقد خالف دين آبائه وقطع الرحم وفارق الحرم (هَٰؤُلَاءِ) ،

(قوله من الذنوب) بيان لما (قوله لمن يشاء المغفرة له) أى إن مات من غير توبة وإلا فالتائب من الذنب كمن لاذنب له وهذا معنى قول صاحب الجوهرة :

ومن يمت ولم يتب من ذنبه فأمره مفوض لربه

والغالب المغفرة لأن فضل الله واسع ورحمته تغلب غضبه ، وكل ذلك مالم يمت هديما أوغريقا أومقتولا ظلما مثلا وإلا فيقوم ذلك مقام التوبة (قوله ألم تر) كالدليل لما قبله (قوله وهم اليهود) وقيل هم والنصارى لأن هذه المقالة وقعت منهما لقوله تعالى : وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه (قوله حيث قالوا نحن أبناء الله) أى كالأبناء من حيث إن منزلتنا عنده عظيمة وقائل هذه اللفظة كافر ولو على سبيل المجاز (قوله أى ليس الأمر بتزكيتهم الخ) أى ليس الأمر منوطا ومعتبرا بتزكيتهم أنفسهم وهذا تمهيد لقوله تعالى : بل الله يزكى من يشاء (قوله بالإيمان) أى وجميع الأعمال الصالحة وإنما اقتصر عليه لأن مدار النجاة عليه (قوله ولايظلمون) يحتمل أن الضمير عائد على المؤمنين أى فيجازيهم على أعمالهم الصالحة ولا ينقص منه شيء ولوكان أقل قليل وهذا هو التبادر من المفسر ، وقيل إنه عائد على الكفار أى فيعذبهم بذنوبهم ولاينقصون شيئا من أعمالهم ويحتمل العموم وهو الأولى (قوله قدر قشر النواة) هذا سبق قلم والمناسب قدر الخيط الذى يكون فى بطن النواة ، وأما القطمير فهو قشرة النواة ، والنقير النقرة التى تكون فى وسطها ، والثفروق هو ما بين النواة والقمع وذكر فى القرآن الثلاثة الأول ، وعادة العرب تمثل بأحد الأربعة لأقل قليل (قوله متعجبا) أشار بذلك إلى أن الاستفهام تعجبى (قوله وكفى به) أى بالافتراء (قوله ونزل فى كعب ابن الأشرف الخ) حاصل ماذكره الخازن أنه بعد وقعة بدر ضاق صدر كعب بن الأشرف فركب مع سبعين راكبا من اليهود حتى قدموا مكة فنزلوا على أبى سفيان وأصحابه أى فأحسنوا مثواهم ثم قال لهم أبوسفيان وأصحابه ماذا تريدون ؟ فقالوا نريد حرب محمد ونقض عهده فقال أبوسفيان وأصحابه لانأمن أن يكون هذا مكرا منكم فان كان ماتقولون حقا فاسجدوا لهذين الصنمين ففعلوا ثم قال كعب ليأت منكم ثلاثون رجلا ومنا ثلاثون فنلزق أكبادنا بالكعبة فنعاهد رب البيت لنجهدن فى قتال محمد ففعلوا ثم قال أبوسفيان لكعب إنك امرؤ تقرأ الكتاب ونحن أميون فأينا أهدى سبيلا أنحن أم محمد ؟ فقال كعب اعرض على دينكم فقال أبوسفيان نحن ننحر للحجيج ونسقيهم الماء ونقرى الضيف ونفك العانى ونصل الرحم ونعمر بيت ربنا ونطوف به ونحن من أهل الحرم، ومحمد فارق دين آبائه والحرم وقطع الرحم وديننا القديم ودين محمد حادث فقال كعب أنتم والله أهدى سبيلا مما عليه محمد فنزلت الآية (قوله ونحوه من علماء اليهود) أى وكانوا سبعين راكبا (قوله وحرضوا المشركين) أى أباسفيان وأصحابه (قوله بثأرهم) بالهمز وتركه (قوله ألم تر) أى تعلم وتنظر لفعلهم (قوله من الكتاب) أى التوراة (قوله يؤمنون بالجبت والطاغوت) أى بسجودهم لهما (قوله صنمان لقريش) وقيل الجبت اسم لكل صنم يعبد ، والطاغوت : الشيطان الذى يلبس الصنم ويكلم الناس فلكل صنم شيطان يغر الناس (قوله ونفك العانى) أى الأسير (قوله ونفعل) يحتمل أنه بالفاء والعين أى نفعل غير ماذكر من الأمور الجميلة المستحسنة أو بالعين ثم القاف أى نؤدى العقل بمعنى الدية عن حلفائنا

أي أنتم (أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً) أقوم طريقاً (أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيراً) مانعاً من عذابه (أَمْ) بل أ (لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ) أي ليس لهم شيء منه ولو كان (فَإِذاً لاَ يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيراً) أي شيئاً تافهاً قدر النقرة في ظهر النواة لفرط بخلهم (أَمْ) بل أ (يَحْسُدُونَ النَّاسَ) أي النبي صلى الله عليه وسلم (عَلَى مَا آتَيهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ) من النبوة وكثرة النساء أي يتمنون زواله عنه ويقولون لو كان نبيًّا لاشتغل عن النساء (فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ) جده كموسى وداود وسليمان (الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ) النبوة (وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً) فكان لداود تسع وتسعون امرأة ولسليمان ألف ما بين حرة وسرية (فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ) بمحمد صلى الله عليه وسلم (وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ) أعرض (عَنْهُ) فلم يؤمن (وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيراً) عذاباً لمن لا يؤمن (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ) ندخلهم (نَاراً) يحترقون فيها (كُلَّمَا نَضِجَتْ) احترقت (جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا) بأن تعاد إلى حالها الأول غير محترقة (لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ) ليقاسوا شدته (إِنَّ اللهَ كَانَ عَزِيزاً) لا يعجزه شيء (حَكِيماً) في خلقه (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ) من الحيض وكل قذر (وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِيلاً) دائماً لا تنسخه شمس هو ظل الجنة (إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ) أي ما اؤتمن عليه من الحقوق (إِلَى أَهْلِهَا). نزلت لما أخذ عليٌّ رضي الله عنه مفتاح الكعبة

(قوله أي أنتم) أشار بذلك إلى أنه خطاب لهم وإنما المولى حكاه عنهم بالمعنى **(قوله أي ليس لهم)** أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي **(قوله فإذا)** الفاء واقعة في جواب شرط مقدر أشار له المفسر بقوله ولو كان وإنما قدر لو دون إن لأن الجواب مرفوع لا مجزوم وهذا ذم لهم بالبخل بعد ذمهم بالجهل وسيأتي ذمهم بالحسد **(قوله بل)** الاضراب انتقالي من صفة لصفة أخرى أقبح منها **(قوله أي النبي)** أي فهو من باب تسمية الخاص باسم العام إشارة إلى أنه جمعت فيه كمالات الأولين والآخرين قال الشاعر .

وليس على الله بمستنكر ... أن يجمع العالم في واحد

(قوله جده) بيان لابراهيم فهو بالجر **(قوله تسع وتسعون امرأة)** أي غير امرأة وزيره فقد أخذها بعد موته فتكامل له مائة **(قوله فمنهم من آمن به)** أي كعبدالله بن سلام وأضرابه **(قوله فلم يؤمن)** أي ككعب بن الأشرف ومالك بن الصيف وأضرابهما **(قوله بأن تعاد إلى حالها)** ورد أنها تعاد في الساعة الواحدة مائة مرة بل ورد أنها تعاد في اليوم الواحد سبعين ألف مرة وورد أن بين منكبي الكافر مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع وورد أن ضرس الكافر يكون كأحد وغلظ جلده مسيرة ثلاثة أيام **(قوله والذين آمنوا)** ذكر للمقابل وهو راجع لقوله فمنهم من آمن به كما أن قوله إن الذين كفروا راجع لقوله ومنهم من صد عنه على عادته سبحانه إذا ذكر الوعيد أعقبه بالوعد **(قوله وكل قذر)** أي كالنفاس وغيره **(قوله لا تنسخه شمس)** أي لعدم وجودها . قال تعالى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا **(قوله إن الله يأمركم)** الخطاب للمكلفين لما سيأتي أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب **(قوله أن تؤدوا الأمانات)** أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مفعول ثان ليأمر والأصل يأمركم بتأدية الأمانات أو منصوب بنزع الخافض لأن حذفه مع أنّ وأن مطرد ويقال في وأن تحكموا بالعدل ما قيل فيه لأنه معطوف عليه وقوله إذا حكمتم ظرف له ولا يقال يلزم عليه تقديم معمول الصلة عليها لأنه يقال إنه ظرف ويغتفر فيه ما لا يغتفر في غيره **(قوله من الحقوق)**. اعلم أن الأمانات ثلاثة أقسام : الأول عبادات الله بأن يفعل المأمورات ويجتنب المنهيات . الثاني نعمه التي أنعم بها كالسمع والبصر والعافية وغير ذلك فلا يصرفها فيما يغضب الله الثالث حقوق العباد كالودائع وغيرها فيجب على الانسان تأدية الأمانات مطلقا كانت قولية أو فعلية أو اعتقادية ، فالقولية كحفظ القرآن والفعلية كحفظ الودائع والعواري والاعتقادية كالتوحيد وحسن الظن بالخلق وبالجملة فهذه الآية من جوامع الكلم وهي بمعنى قوله تعالى ـ إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض ـ الآية على التحقيق **(قوله نزلت لما أخذ عليّ مفتاح الكعبة الخ)** قال البغوي نزلت في عثمان بن طلحة الحجبي من بني عبد الدار وكان سادن الكعبة فلما دخل النبي صلى الله عليه وسلم

مكة يوم الفتح أغلق عثمان باب الكعبة وصعد السطح فطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم المفتاح فقيل له إنه مع عثمان وطلب منه فأبى ، وقال لو علمت أنه رسول الله لم أمنعه المفتاح فلوى عليّ بن أبى طالب يده وأخذ المفتاح وفتح الباب ودخل رسول الله البيت وصلى فيه ركعتين فلما خرج سأله العباس أن يعطيه المفتاح لتجتمع له السقاية والسدانة فأنزل الله هذه الآية فأمر رسول الله عليا أن يرد المفتاح إلى عثمان و يعتذر له ففعل ذلك فقال عثمان أكرهت وآذيت ثم جئت ترفق فقال عليّ لقد أنزل الله فى شأنك قرآنا وقرأ عليه الآية فأسلم فكان المفتاح معه إلى أن مات فدفعه إلى أخيه شيبة فهى فى أولادهم إلى يوم القيامة (قوله الحجبى) أى الذى يحجب الناس بمعنى يمنعهم من الدخول (قوله سادنها) أى خادمها وقوله قسرا أى قهرا (قوله لما قدم النبى) ظرف لأخذ وكان ذلك فى رمضان وقوله عام الفتح أى وهو سنة ثمان (قوله وقال لو علمت الخ) أى فهو غير مصدق برسالته و إلا ففدائه إذ ذاك غير خافية على أحد (قوله خالدة تالدة) أى مخلدة فى المستقبل كما كانت متأصلة فيكم (قوله فعمومها معتبر الخ) أشار بذلك لما قيل العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ومحل ذلك إن لم توجد قرينة الخصوص فيكون معتبرا كالنهى عن قتل النساء فان سببه أن رسول الله رأى امرأة حربية مقتولة

من عثمان بن طلحة الحجبى سادنها قسراً لما قدم النبى صلى الله عليه وسلم مكة عام الفتح ومنعه وقال لو علمت أنه رسول الله لم أمنعه فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم برده إليه وقال هاك خالدة تالدة فعجب من ذلك فقرأ له علىّ الآية فأسلم وأعطاه عند موته لأخيه شيبة فبقى فى ولده والآية و إن وردت على سبب خاص فعمومها معتبر بقرينة الجمع (وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ) يأمركم (أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللهَ نِعِمَّا) فيه إدغام ميم نعم فى ما النكرة الموصوفة أى نعم شيئاً (يَعِظُكُمْ بِهِ) تأدية الأمانة والحكم بالعدل (إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعاً) لما يقال (بَصِيراً) بما يفعل (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِى) أصحاب (الْأَمْرِ) أى الولاة (مِنْكُمْ) أى إذا أمروكم بطاعة الله ورسوله (فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ) اختلفتم (فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ) أى إلى كتابه (وَالرَّسُولِ) مدة حياته و بعده إلى سنته أى اكشفوا عليه منهما (إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ) أى الرد إليهما (خَيْرٌ) لكم من التنازع والقول بالرأى (وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً) مآلاً . ونزل لما اختصم يهودى ومنافق فدعا إلى كعب بن الأشرف ليحكم بينهما ودعا اليهودى إلى النبى صلى الله عليه وسلم فأتياه فقضى لليهودى فلم يرض المنافق وأتيا عمر فذكر له اليهودى ذلك فقال للمنافق أكذلك ؟ فقال نعم فقتله (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ

فذلك يدل على اختصاصه بالحربيات فلا يدخل فيه المرتدة ولا الزانية المحصنة (قوله وإذا حكمتم) فيه فصل بين المعطوف والمعطوف عليه وهو جائز إذا كان ظرفا (قوله نعما) بكسر النون إتباعا لكسرة العين وأصله نعم على وزن علم (قوله أى نعم شيئا) أشار بذلك إلى أن ما تمييز ويكون الفاعل مستترا وجوبا تقديره نعم هذا الشئ شيئا والمخصوص بالمدح محذوف قدره بقوله تأدية الأمانة وقيل ان ما فاعل وقد ذكر القولين ابن مالك بقوله : وما مميز وقيل فاعل فى نحو نعم ما يقول الفاضل (قوله ياأيها الذين آمنوا) هذا خطاب لسائر الناس بعد أن خاطب ولاة الأمور بالحكم بالعدل وفى هذه الآية إشارة لأدلة الفقه الأربعة فقوله أطيعوا الله إشارة للكتاب وقوله وأطيعوا الرسول إشارة للسنة وقوله وأولى الأمر إشارة للاجماع وقوله فان تنازعتم الخ إشارة للقياس (قوله وأولى الأمر) يدخل فيه الخلفاء الراشدون والأئمة المجتهدون والقضاة والحكام (قوله أى إذا أمروكم بطاعة الله ورسوله) أى لا بمعصية فلا يطاعون فى ذلك لما فى الحديث «لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق» (قوله فى شئ) أى غير منصوص عليه (قوله مدة حياته) أى بسؤاله وقوله إلى سنته أى فيعرض عليها (قوله إن كنتم تؤمنون) أى فردّوه (قوله ذلك خير) اسم التفضيل ليس على بابه بقرينة إن كنتم تؤمنون فمخالفة ما ذكر ليس فيها خير بل هى شر وضلال (قوله مآلا) أى عاقبة (قوله ونزل لما اختصم يهودى الخ) حاصلها تفصيلا ، قال ابن عباس : نزلت فى رجل من المنافقين يقال له بشر كان بينه و بين يهودى خصومة ، فقال اليهودى ننطلق إلى محمد ، وقال المنافق ننطلق إلى كعب بن الأشرف وهو الذى سماه الله الطاغوت فأبى اليهودى أن يخاصمه إلا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لليهودى فلما خرجا من عنده لزمه المنافق

وقال انطلق بنا إلى عمر فأتيا عمر فقال اليهودى اختصمت أنا وهذا إلى محمد فقضى عليه فلم يرض بقضائه وزعم أنه يخاصمنى إليك فقال عمر للمنافق أكذلك ؟ فقال نعم فقال لهما عمر رويدا حتى أخرج إليكما فدخل عمر البيت وأخذ السيف واشتمل عليه ثم خرج فضرب به المنافق حتى برد أى مات وقال هكذا أقضى بين من لم يرض بقضاء الله وقضاء رسوله فنزلت هذه الآية وقال جبريل إن عمر فرق بين الحق والباطل فسمى الفاروق وإنما دعا المنافق لكعب بن الأشرف لأنه يقبل الرشوة والنبى لايقبلها بل يحكم بالحق وكان الحق إذ ذاك مع اليهودى (قوله يزعمون) أى يقولون قولا كذبا لأن الزعم مطية الكذب (قوله وما أنزل من قبلك) أى وهو جميع الكتب السماوية (قوله الكثير الطغيان) وقيل إنه صنم يعبد من دون الله وقيل اسم لكل من يعبد من دون الله صنما أوغيره (قوله بعيدا) يحتمل أنه صفة كاشفة لأن الضلال هو البعد ، ويحتمل أنه صفة مخصصة ويكون معنى بعده أنه لايهتدى بعد ذلك أصلا وهذا هو مراد الشيطان ويؤيده قول المفسر عن الحق (قوله رأيت المنافقين) رأى بصرية والمنافقين مفعول لها وجملة يصدون حال (قوله يعرضون) أشار بذلك إلى أن الصد هنا بمعنى الاعراض فهو لازم لابمعنى المنع فيكون متعديا فقوله صدودا مفعول مطلق لقوله يصدون (قوله فكيف) يصح أن تكون مفعولا لمحذوف تقديره يصنعون كما قدره المفسر ويصح أن تكون خبرا لمحذوف تقديره صنعهم (قوله إذا أصابتهم مصيبة) أى عاجلة أوآجلة (قوله لا) هذا هو جواب الاستفهام (قوله ثم جاءوك) أى أهل المنافق يعتذرون إليك ويسترون على أنفسهم النفاق ويحتمل أنهم جاءوا مطالبين بدمه

(٢١٣) يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ) الكثير الطغيان وهو كعب بن الأشرف (وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ) ولا يوالوه (وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا) عن الحق (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ) فى القرآن من الحكم (وَإِلَى الرَّسُولِ) ليحكم بينكم (رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ) يعرضون (عَنْكَ) إلى غيرك (صُدُودًا. فَكَيْفَ) يصنعون (إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ) عقوبة (بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ) من الكفر والمعاصى أى أيقدرون على الإعراض والفرار منها ؟ لا (ثُمَّ جَاءُوكَ) معطوف على يصدون (يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ) ما (أَرَدْنَا) بالمحاكمة إلى غيرك (إِلَّا إِحْسَانًا) صلحا (وَتَوْفِيقًا) تأليفا بين الخصمين بالتقريب فى الحكم دون الحمل على مر الحق (أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ) من النفاق وكذبهم فى عذرهم (فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ) بالصفح (وَعِظْهُمْ) خوفهم من الله (وَقُلْ لَهُمْ فِي) شأن (أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا) مؤثرا فيهم ، أى ازجرهم ليرجعوا عن كفرهم (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ) فيما يأمر به ويحكم (بِإِذْنِ اللَّهِ) بأمره لا ليعصى ويخالف (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ) بتحاكمهم إلى الطاغوت (جَاءُوكَ) تائبين (فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ) فيه التفات عن الخطاب تفخيما لشأنه (لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا) عليهم (رَحِيمًا) بهم (فَلَا وَرَبِّكَ) لا زائدة (لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ) :

مثبتين إسلامه فلولا هذه الآية لربما اقتص من عمر لعدم البينة على كفر المنافق (قوله بالتقريب) أى التساهل فى الحكم كأن يعمل صلحا ويقسم المدعى به بين الخصمين (قوله فأعرض عنهم) أى ولا تقتلهم وهذا قبل الأمر باخراجهم وقتلهم والفاء واقعة فى جواب شرط مقدر تقديره إذا كان حالهم كذلك فأعرض عن قبول عذرهم (قوله فى شأن أنفسهم) أى فى حقها وما انطوت عليه ويحتمل أن المعنى خاليا بهم ليس معهم غيرهم (قوله ليرجعوا) أى لعله أن يترتب على ذلك رجوعهم عما هم عليه (قوله بأمره) أشار بذلك إلى أنه ليس المراد بالاذن الارادة وإلا فيلزم عليه أن لايتخلف عن طاعته أحد لأن ما أراد الله وقوعه واقع ولا بد مع أن الواقع خلافه فدفع ذلك المفسر بقوله بأمره لأنه لايلزم من الارادة الأمر ولا عكس (قوله بتحاكمهم) الباء سببية (قوله فاستغفروا الله) أى بالتوبة والاخلاص (قوله واستغفر لهم الرسول) أى سامحهم وعفا عنهم وطلب لهم المغفرة لأنه تعلق بهم حقان حق لله وحق لرسوله (قوله فيه التفات) أى وحقه واستغفرت لهم (قوله لا زائدة) أى لتأكيد القسم وهو اختيار الزمخشرى فى الكشاف وهو الأحسن ولذا اقتصر عليه المفسر (قوله حتى يحكموك الخ) هذه شروط ثلاثة لكمال الايمان وهذه الآية بمعنى قوله تعالى ـ وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون وإن يكن لهم الحق

اختلط (بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً) ضيقاً أو شكاً (مِمَّا قَضَيْتَ) به (وَيُسَلِّمُوا) ينقادوا لحكمك (تَسْلِيماً) من غير معارضة (وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ) مفسرة (اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ) كما كتبنا على بنى إسرائيل (مَا فَعَلُوهُ) أى المكتوب عليهم (إِلَّا قَلِيلٌ) بالرفع على البدل والنصب على الاستثناء (مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ) من طاعة الرسول (لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً) تحقيقاً لإيمانهم (وَإِذاً) أى لو ثبتوا (لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا) من عندنا (أَجْراً عَظِيماً) هو الجنة (وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً) .
قال بعض الصحابة للنبى صلى الله عليه وسلم: كيف نراك فى الجنة وأنت فى الدرجات العلى ونحن أسفل منك فنزل (وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ) فيما أمرا به (فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ) أفاضل أصحاب الأنبياء لمبالغتهم فى الصدق والتصديق (وَالشُّهَدَاءِ) القتلى فى سبيل الله (وَالصَّالِحِينَ) غير من ذكر (وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقاً) رفقاء فى الجنة بأن يستمتع فيها برؤيتهم وزيارتهم والحضور معهم وإن كان مقرهم فى الدرجات العالية بالنسبة إلى غيرهم (ذَٰلِكَ) أى كونهم مع من ذكر مبتدأ خبره (الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ) تفضل به عليهم ،

يأتوا إليه مذعنين - الآيات (قوله اختلط) أى أشكل والتبس (قوله من غير معارضة) أى بأن ينقادوا للأحكام من غير توقف (قوله ولو أنا كتبنا عليهم) بيان لسوء حالهم وأنهم لو شدد عليهم كما شدد على من قبلهم لم يفعل ذلك إلا القليل منهم (قوله مفسرة) أى بمعنى أى وضابطها أن يتقدمها جملة فيها معنى القول دون حروفه نظير وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين وانطلق الملأ منهم أن امشوا، ويحتمل أن تكون مصدرية وعليه فيكون كتبنا بمعنى ألزمنا التقدير ولو أنا ألزمناهم قتل أنفسهم (قوله أن اقتلوا) جمهور القراء على ضم النون والواو من أو اخرجوا ، وقرأ حمزة وعاصم بكسرهما ، وقرأ أبو عمرو بكسر النون وضم الواو وأما ضم النون وكسر الواو فلم يقرأ به أحد (قوله على البدل) أى وهو المختار عند النحاة قال ابن مالك :

* وبعد نفى أو كنفى انتخب * اتباع ما اتصل ، وقوله والنصب على الاستثناء أى فهما قراءتان سبعيتان على حد سواء وإن كان الرفع أرجح عند النحاة من النصب فالمنزه عنه القرآن كونه ليس على قواعد النحاة وأما كون بعض القراآت له وجه قوى فى العربية دون بعض فلا مانع منه (قوله لكان خيرا لهم) اسم التفضيل ليس على بابه إذ ما هم عليه ليس بخير (قوله أى لو ثبتوا) ليس تفسيرا لإذا بل إشارة إلى أن إذا واقعة فى جواب سؤال مقدر ، وقوله لآتيناهم جواب الشرط وأصل الكلام فما جزاؤهم لو ثبتوا إذا لآتيناهم الخ فالحامل للمفسر على تقدير لو ثبتوا قوله بعد لآتيناهم ، والحامل لنا على تقدير السؤال قوله إذا وهى هنا ملغاة عن عمل النصب لفقد شرطها (قوله صراطا مستقيما) أى دينا قيما لا اعوجاج فيه وهو دين الاسلام فتحصل أنهم لو امتثلوا لأعطاهم الله خير الدنيا والآخرة (قوله وأنت فى الدرجات العلى) أى التى ليس فوقها درجة وهذا السؤال كما توجه من الصحابة يتوجه أيضا من الأنبياء فانه أعلى من جميع المخلوقات على الاطلاق حتى الأنبياء قال البوصيرى : لا أنهم

كيف ترقى رقيك الأنبياء يا سماء ما طاولتها سماء

(قوله فيما أمرا به) أى ونهيا عنه فالطاعة امتثال المأمورات واجتناب المنهيات (قوله من النبيين الخ) بيان للذين، والمعنى أن من أطاع الله كان رفيقا لمن ذكر وليس ذلك بسفر ولا مشقة بل يكشف له عمن ذكر ويحادثه مع كون كل فى درجته لا يصعد هذا لهذا ولا ينزل هذا لهذا قال تعالى - إخوانا على سرر متقابلين - فإذا تمنى الشخص مشاهدة النبى ومحادثته حصل ذلك من غير مشقة ولا انتقال (قوله أفاضل أصحاب الأنبياء) أى فالصديقية تحت مرتبة النبوة (قوله والصالحين) أى القائمين بحقوق الله وحقوق عباده (قوله غير من ذكر) أتى به دفعا للتكرار لأن جميع من تقدم صالحون أيضا (قوله وحسن أولئك رفيقا) حسن كنعم تستعمل للمدح وفيها معنى التعجب وأولئك فاعل ورفيقا تمييز والمخصوص بالمدح محذوف تقديره هؤلاء (قوله رفقاء) أشار بذلك إلى أن رفيقا فعيل يستوى فيه الواحد وغيره، ويحتمل أنه أفرد نظرا لكل واحد ممن ذكر (قوله والحضور معهم) أى مجالستهم حينما أحب (قوله مبتدأ خبره الفضل) ويحتمل أن الفضل نعت لاسم الاشارة أو بدل ، وقوله من الله خبره .

(قوله لا أنهم نالوه بطاعتهم) أى نالوا ذلك الرفق بسبب طاعتهم ففى الحقيقة دخول الجنة وارتقاء منازلها ومرافقة من ذكر بمحض فضل الله و إلا فأىّ طاعة يستحق بها الانسان شيئا من ذلك (قوله أى فثقوا) أى اعتمدوا على ذلك الخبر ولا تشكوا (قوله ولا ينبئك مثل خبير) أى لا يخبرك بأحوال الجنة وغيرها مثل خبير عالم ببواطن الأشياء كظواهرها الذى هو الله تعالى (قوله حذركم) هو والحذر بفتحتين مصدران بمعنى التحفظ والتيقظ وهو مبالغة كأنه جعل حفظ النفس آلة تؤخذ، و بعضهم فسر الحذر بآلة الحرب وعليه فلا مبالغة فى قوله خذوا (قوله فانفروا) فعله نفر ينفر من باب ضرب وقعد ومصدره النفر والنفور والنفير (قوله ثبات) جمع ثبة وهى الجماعة من الرجال فوق العشرة إلى المائة، والسرية الجماعة أقلها مائة وغايتها أربعمائة والمنسر من أربعمائة إلى ثمانمائة، والجيش من ثمانمائة إلى أربعة آلاف والجحفل مازاد على ذلك (قوله سرية بعد أخرى) أى جماعات بعد جماعات سرية أوغيرها (قوله أوانفروا جميعا) هذا التخيير لولاة الأمور بحسب اجتهادهم (قوله لمن) اللام لام ابتداء دخلت على اسم إنّ لوقوع الخبر فاصلا ، وقوله ليتأخرن أشار بذلك إلى أن بطأ لازم بمعنى قام به البطء وهو التأخر و يصح أن يكون متعديا والمفعول محذوف أى غيره فالمعنى يكسلن غيره عن

القتال (قوله من حيث الظاهر)

لا أنهم نالوه بطاعتهم (وَكَفَى بِاللهِ عَلِيماً) بثواب الآخرة، أى فثقوا بما أخبركم به، ولا ينبئك مثل خبير (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ) من عدوكم، أى احترزوا منه وتيقظوا له (فَانْفِرُوا) انهضوا إلى قتاله (ثُبَاتٍ) متفرقين سرية بعد أخرى (أَوِ انْفِرُوا جَمِيعاً) مجتمعين (وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ) ليتأخرن عن القتال كعبد الله بن أبىّ المنافق وأصحابه وجعله منهم من حيث الظاهر واللام فى الفعل للقسم (فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ) كقتل وهزيمة (قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيداً) حاضرا فأصاب (وَلَئِنْ) لام قسم (أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللهِ) كفتح وغنيمة (لَيَقُولَنَّ) نادما (كَأَنْ) مخففة واسمها محذوف أى كأنه (لَمْ يَكُنْ) بالياء والتاء (بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ) معرفة وصداقة وهذا راجع إلى قوله قد أنعم الله علىّ اعترض به بين القول ومقوله وهو (يَا) للتنبيه (لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً) آخذ حظا وافرا من الغنيمة، قال تعالى (فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ) لإعلاء دينه (الَّذِينَ يَشْرُونَ) يبيعون (الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ، وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيُقْتَلْ) يستشهد (أَوْ يَغْلِبْ) يظفر بعدوه (فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً) ثوابا جزيلا (وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ) استفهام توبيخ، أى لا مانع لكم من القتال (فِي سَبِيلِ اللهِ، وَ) فى تخليص (الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ ،

أى و إلا ففى نفس الأمر ليس منهم بل هو عدو لهم (قوله وهزيمة) أى لبعض الجيش و إلا فمن قال إن رسول الله هزم فقد كفر وما وقع فى أحد وهوازن كان لأطراف الجيش من حيث الغنيمة (قوله فأصاب) هو بالنصب بأن مضمرة بعد فاء السببية بعد الأمر (قوله ولئن أصابكم فضل من الله) هذه الآية معنى قوله تعالى ـ إن تصبك حسنة تسؤهم و إن تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل و يتولوا وهم فرحون ـ (قوله بالياء والتاء) أى فهما قراءتان سبعيتان فعلى التاء الأمر ظاهر وعلى الياء فالمودة بمعنى الودّ (قوله وهذا راجع) أى قوله كأن لم يكن بينكم و بينه مودة والمعنى حاله فى الفرح بمصيبة المسلمين كحال من لم يكن بينكم و بينه مودة (قوله للتنبيه) أى لدخولها على الحرف و يحتمل أنها للنداء والمنادى محذوف أى ياهؤلاء (قوله فأفوز) منصوب بأن مضمرة فى جواب التمنى بعد فاء السببية (قوله فليقاتل) الفاء واقعة فى جواب شرط مقدر تقديره إذا ترك المنافقون القتال وتأخروا عنه فليقاتل الخ (قوله يبيعون) دفع بذلك مايقال إن القاعدة دخول الباء فى الشراء على المتروك ولا يصح ذلك هنا لأنه يصير ذما فأجاب بأن الشراء بمعنى البيع نظير ـ وشروه بثمن بخس ـ (قوله ومن يقاتل الخ) من اسم شرط مبتدأ و يقاتل فعل الشرط ، وقوله فيقتل أو يغلب معطوف على يقاتل عطف مسبب على سبب ، وقوله ـ فسوف نؤتيه أجرا عظيما ـ جواب الشرط وجملة الشرط وجوابه خبر المبتدا (قوله وما لكم الخ) ما اسم استفهام مبتدأ ولكم جار ومجرور خبره وجملة لاتقاتلون فى محل نصب على الحال ، والمعنى أى شىء ثبت لكم حال كونكم غير مقاتلين وهذا أحسن الأعاريب (قوله وفى تخليص المستضعفين) أشار بذلك إلى أن قوله والمستضعفين معطوف على سبيل الله لكن على حذف مضاف .

وسبب نزولها أنه كان قبل الهجرة لم يشرع الجهاد فلما هاجر عليه الصلاة والسلام أمر بالجهاد فتكاسل بعض ضعفاء المؤمنين وجميع المنافقين فنزلت الآية توبيخا لهم على ترك القتال لاعلاء كلمة الله وتخليص المستضعفين (قوله والولدان) قيل جمع وليد بمعنى ولد وقيل جمع ولد أى الصغار (قوله الذين حبسهم الكفار) أى بمكة (قوله كنت أنا وأمى) أى وأخى الفضل (قوله الذين) صفة للمستضعفين ويقولون صلة الذين (قوله الظالم) نعت القرية وأهلها فاعل الظالم وذكر النعت وإن كان المنعوت مؤنثا لأنه نعت سببى رفع اسما ظاهرا فذكر نظرا لذلك الاسم الظاهر (قوله إلى أن فتحت مكة) أى فى السنة الثامنة من الهجرة (قوله عتاب بن أسيد) أى وكان عمره ثمان عشرة سنة فكان ينصر المظلومين من الظالمين ويأخذ للضعيف من القوىّ والدعاء بهذه الآية مستجاب لمن وقع فى بلدة كثر ظلم أهلها (قوله الذين آمنوا الخ) المقصود من ذلك تحريض المؤمنين على القتال وترغيبهم فيه (قوله فى سبيل الله) أى فى مرضاته لإعلاء دينه وقوله فى سبيل الطاغوت أى فى مرضاته (قوله تغلبوهم) مجزوم فى جواب الأمر وقوله لقوتكم علة له (قوله كان ضعيفا) أى بالنسبة إلى كيد الله تعالى، وأما عظم كيد النساء فى آية يوسف فبالنسبة إلى الرجال فضعف كيد الشيطان لمقابلته بكيد الله وعظم كيد النساء لمقابلته بكيد الرجال وإلا فأصل كيد النساء من الشيطان وفى الحديث «النساء حبائل الشيطان» (قوله واهيا) أى لاضرر فيه أصلا ولذا خذل الشيطان أولياءه لما رأى الملائكة نزلت يوم بدر وكان النصر لأولياء الله وحزبه (قوله ألم تر) الاستفهام تعجبى أى تعجب يا محمد من قومك كيف يكرهون القتال مع كونهم قبل ذلك كانوا طالبين له وراغبين فيه (قوله وهم جماعة من الصحابة) منهم عبد الرحمن ابن عوف والمقداد بن الأسود وسعد بن أبى وقاص وقدامة بن مظعون وجماعة كانوا بمكة يتحملون أذى الكفار كثيرا والله يأمرهم بالتحمل والكف عن القتال فى نيف وسبعين آية فكانوا يقولون لولا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال، فلما هاجر النبى صلى الله عليه وسلم وأمر بالقتال كرهوا ذلك فنزلت الآية وقوله بمكة متعلق بطلبوه وليس ذلك نفاقا منهم وإنما كراهتهم ذلك إما لغلبة الرأفة عليهم أو لمحبتهم المعيشة فى طاعة الله وإلا لذمهم الله على ذلك ولما نزلت الآية أقلعوا عما خطر ببالهم وشمروا عن ساعد الجد والاجتهاد وجاهدوا فى الله حق جهاده (قوله إذا فريق) قيل إذا ظرف مكان وقيل ظرف زمان وقيل حرف والأولى الأول وعليه فإذا خبر مقدم وفريق مبتدأ مؤخر ومنهم صفة لفريق وكذلك جملة يخشون ويصح أن تكون حالا لوجود المسوغ والتقدير فى الحضرة فريق كائن منهم خاشون أو خاشين، وقوله كخشية الله مفعول مطلق أى خشية كخشية الله (قوله أى عذابهم بالقتل) ويحتمل أن المراد بخشيتهم احترامهم القرابة (قوله ونصب أشد على الحال) أى من خشية الثانى لأنه نعت نكرة تقدم عليها (قوله دلّ عليه إذا الخ) المناسب أن يقول وجواب لما إذا وما بعدها (قوله أى فاجأهم الخشية) الأوضح أن يقول أى فاجأ كتب القتال عليهم الخشية لأن الخشية فاجأت كتب القتال لاذواتهم (قوله جزعا من الموت) يحتمل أنهم قالوا ذلك لاعتقادهم أن القاتل يقطع على المقتول أجله فأعلمهم الله تعالى أن الأجل محتم لايزيد بالبعد عن القتال ولا ينقص به،

وَالْوِلْدَانِ) الذين حبسهم الكفار عن الهجرة وآذوهم، قال ابن عباس رضى الله عنهما: كنت أنا وأمى منهم (الَّذِينَ يَقُولُونَ) داعين: يا (رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ) مكة (الظَّالِمِ أَهْلُهَا) بالكفر (وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ) من عندك (وَلِيًّا) يتولى أمورنا (وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا) يمنعنا منهم، وقد استجاب الله دعاءهم فيسر لبعضهم الخروج وبقى بعضهم إلى أن فتحت مكة، وولى صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد فأنصف مظلومهم من ظالمهم (الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ) الشيطان (فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ) أنصار دينه تغلبوهم لقوتكم بالله (إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ) بالمؤمنين (كَانَ ضَعِيفًا) واهيا لايقاوم كيد الله بالكافرين (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ) عن قتال الكفار لما طلبوه بمكة لأذى الكفار لهم وهم جماعة من الصحابة (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ) فرض (عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ) يخافون (النَّاسَ) الكفار أى عذابهم بالقتل (كَخَشْيَةِ) هم عذاب (اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً) من خشيتهم له ونصب أشد على الحال وجواب لما دل عليه إذا وما بعدها أى فاجأهم الخشية (وَقَالُوا) جزعا من الموت

(ربنا

وليس ذلك نقصا فيهم قال تعالى ـ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئا ـ وقال تعالى ـ وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا ـ ويحتمل أنهم قالوا ذلك بحسب الطبيعة البشرية وليس عندهم اعتقاد ذلك (قوله قل لهم) أى ليزدادوا رغبة فى دار البقاء وزهدا فى دار الفناء (قوله خير لمن اتقى) أى لأنه لا كدر فيها ولا نصب ولذلك حين دخولها يقولون : الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن (قوله بترك معصيته) أى كالشرك وغيره ومعلوم أن كل من زادت تقواه كان نعيمه فى الآخرة أكبر (قوله بالتاء والياء) أى فهما قراءتان سبعيتان فعلى التاء يكون خطابا لهم وعلى الياء يكون تحديثا عنهم والمعنى بلغهم يا محمد أنهم لايظلمون فتيلا (قوله قدر قشر النواة) تقدم أنه غير مناسب والمناسب تفسيره بالخيط الذى يكون فى باطن النواة (قوله أينما تكونوا) هذا تسلية لهم أيضا وأين اسم شرط جازم وماصلة وتكونوا فعل الشرط مجزوم بحذف النون والواو اسمها و يدرككم جواب الشرط والموت فاعله ، والمعنى أن الموت يدرككم أينما تكونوا فى أى زمان أو مكان متى حضر الأجل (قوله فى بروج) جمع برج وهو القلعة والحصن (قوله مرتفعة) أى عالية البناء أو المعنى مطلية بالشيد أى الجص (٢١٧) (قوله أى اليهود) أى والمنافقين

(رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلاَ) هلا (أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ. قُلْ) لهم (مَتَاعُ الدُّنْيَا) ما يتمتع به فيها أو الاستمتاع بها (قَلِيلٌ) آيل إلى الفناء (وَالآخِرَةُ) أى الجنة (خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى) عقاب الله بترك معصيته (وَلاَ تُظْلَمُونَ) بالتاء والياء تنقصون من أعمالكم (فَتِيلاً) قدر قشرة النواة، فجاهدوا (أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِى بُرُوجٍ) حصون (مُشَيَّدَةٍ) مرتفعة فلا تخشوا القتال خوف الموت (وَإِنْ تُصِبْهُمْ) أى اليهود (حَسَنَةٌ) خصب وسعة (يَقُولُوا هٰذِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ ،وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ) جدب و بلاء كما حصل لهم عند قدوم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة (يَقُولُوا هٰذِهِ مِنْ عِنْدِكَ) يا محمد أى بشؤمك (قُلْ) لهم (كُلٌّ) من الحسنة والسيئة (مِنْ عِنْدِ اللهِ) من قِبَله (فَمَالِ هٰؤُلاَءِ الْقَوْمِ لاَ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ) أى لايقاربون أن يفهموا (حَدِيثًا) يلقى إليهم وما استفهام تعجيب من فرط جهلهم ونفى مقاربة الفعل أشد من نفيه (مَا أَصَابَكَ) أيها الإنسان (مِنْ حَسَنَةٍ) خير (فَمِنَ اللهِ) أتتك فضلا منه (وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ) بلية (فَمِنْ نَفْسِكَ) أتتك حيث ارتكبت ما يستوجبها من الذنوب (وَأَرْسَلْنَاكَ) يا محمد (لِلنَّاسِ رَسُولاً) حال مؤكدة (وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا) على رسالتك (مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ وَمَنْ تَوَلَّى) أعرض عن طاعته فلا يهمنك (فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا) حافظا لأعمالهم ،

(قوله عند قدوم النبى المدينة) أى حيث دعاهم إلى الإيمان فكفروا فحصل لهم الجدب فقالوا هذا شؤمه والشؤم ضد اليمن والبركة (قوله من عند الله) أى خلقا وإيجادا (قوله فمال هؤلاء القوم الخ) أى أى شىء ثبت لهؤلاء لايقربون من فهم الحديث والموعظة (قوله وما استفهام تعجيب) أى وتوبيخ (قوله أيها الانسان) أى فهو خطاب عام لكل أحد وقيل الخطاب للنبى والمراد به غيره (قوله فمن نفسك) أى من شؤمك وسوء كسبك فنسبة ذلك إلى النفس مجاز باعتبار سوء الكسب والشؤم من إسناد الشىء لسببه وبهذا اندفع التنافى بين هذه الآية وبين قوله تعالى ـ قل كل من عند الله ـ فنسبة الأشياء جميعها إلى الله من حيث الايجاد ونسبة الشر إلى العبد فباعتبار أن سوء كسبه سبب فى ذلك، عن عائشة رضى الله عنها قالت « مامن مسلم يصيبه وصب ولا نصب ولا الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله إلا بذنب وما يعفو الله عنه أكثر » وأما حديث «أشدكم بلاء الأنبياء» الخ فمعناه أن الله امتحنهم بالبلايا وألقى عليهم الصبر والمحبة فشاهدوا إعطاء الله فى تلك البلايا فصارت البلايا عطايا ، فتحصل أن البلاء إما أن يكون من شؤم الذنب وذلك للعصاة الذين لم يتلقوه بالرضا والتسليم وإما أن يكون اختبارا وامتحانا وذلك للأنبياء والصالحين ليرقيهم به أعلى الدرجات ، ولذلك قال العارف الجيلى :

تلذ لى الآلام مذ أنت مسقمى ... وإن تمتحنى فهى عندى صنائع

(قوله وأرسلناك للناس رسولا) والمعنى حيث ثبتت رسالته بشهادة الله اتضح من ذلك أن من أطاعه فقد أطاع الله (قوله فلا يهمنك) بضم الياء من أهم أو بفتحها من هم ، ومعناه لايحزنك إعراضهم وقدره المفسر إشارة إلى أن جواب الشرط محذوف وقوله فما أرسلناك الخ علة للجواب المحذوف .

(قوله بل نذيرا) اقتصر عليه لأنه فى سياق من أعراض ولا يناسبه إلا الأنذار و إلا فرسول الله بعث بشيرا ونذيرا (قوله أمرنا طاعة) أشار بذلك إلى أن طاعة خبر مبتدإ محذوف واجب الحذف لأن الخبر مصدر بدل من لفظ الفعل فهو نائب عن أطعنا ويصح أن يكون مبتدأ والخبر محذوف أى منا طاعة (قوله بادغام التاء فى الطاء) أى بعدقلبها طاء وقوله وتركه أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله أى أضمرت) المعنى أظهرت ماأضمرته و إلا فالاضمار كان واقعا منهم قبل الخروج من عند النبى صلى الله عليه وسلم (قوله من الطاعة) بيان للذى تقول (قوله أى عصيانك) تفسير لقوله غير الذى تقول (قوله ليجازوا عليه) أى فى العاجل والآجل (قوله فأعرض عنهم) أى لاتقتلهم ولا تفضحهم وهـذا قبل الأمر بقتالهم و إخراجهم (قوله ثق به) أى اعتمد عليه (قوله أفلا يتدبرون) الهمزة داخلة على محذوف تقديره أيعرضون عنك فلايتدبرون وهواستقباح لحالهم وتشنيع عليهم والتدبر فى الأصل النظر فى عواقب الأمور لتقع على الوجه الأكمل والمراد هنا مطلق التأمل والتفكر (قوله تناقضافى معانيه) أى بأن يكون بعض أخباره غير مطابق لبعض

وقوله وتباينا فى نظمه أى بأن يكون بعضـه فصيحا بليغا و بعضه ليس كذلك فلما كان جميعه على منوال واحـد ليس بعضه مناقضا لبعض بل أخباره كلهامتوافقة وهو فصيح بليغ ليس فيـه ماينافى ذلك ثبت أنه من عند الله لأن هذا الأمر لايقدرعليه غيره ولوثبت فرضا أنه من عند غيرالله لوجدوا فيـه اختلافا فى المعنى أو اللفظ . إن قلت إن قوله كثيرا ربمايوهم أن فيـه اختلافا قليلا . أجيب بأن التقييد بالكثرة للمبالغة والمعنى أن القرآن ليس فيه اختلاف أصلا فلوكان من عند غير الله لوجدوا فيـه اختلافا كثيرا فضلا عن القليل فهو من عندالله فلم يكن فيه اختلاف أصلا لا كثير ولاقليل (قوله و إذاجاءهم أمر الخ) سبب نزولها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يبعث البعوث والسرايا فاذا غلبوا الكفار أو غلبوهم بادر المنافقون للاستخبار عن حالهم ثم يتحدثون بذلك و يشيعونه قبل أن يسمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أو كبار أصحابه وقصدهم بذلك افتتان ضعفاء المؤمنين (قوله من الأمن الخ) بيان للأمر (قوله من المنافقين) أى وقصدهم بذلك فتنة الضعفاء وقوله أو ضعفاء المؤمنين : أى جهلا منهم بذلك وهما قولان والراجح الأول (قوله فتضعف قلوب المؤمنين) هذا ظاهر بالنسبة للهزيمة ، وأما إشاعة النصر فالضعف فيه من حيث إن هذا الخبر ربمـا وصل للكفار فيتجهزون و يعيدون الحرب ثانية ففيه فتنة للضعفاء على كل حال (قوله من أكابر الصحابة) أى كأبى بكر وعمر ونظائرهما (قوله حتى يخبروا به) بالبناء للمفعول أى حتى يخبرهم النبى به (قوله هل هو مماينبغى الخ) أى لعلموا صفته وكيفيته و إلافهم عالمون به قبل ذلك (قوله وهم المذيعون) أى المنافقون أو ضعفاء المؤمنين وهو تفسير للذين يستنبطونه وهو إظهار فى محل الاضمار أى لعلموه وقوله منهم من ابتدائية والجار والمجرور متعلق يستنبطون والمعنى يتلقونه من جهة الرسول أو كبار الصحابة (قوله بالاسلام) أى بسبب إرسال محمد صلى الله عليه وسلم

(إلا

بل نذيراً و إلينا أمرهم فنجازيهم وهذا قبل الأمر بالقتال (وَيَقُولُونَ) أى المنافقون إذا جاءوك: أمرنا (طَاعَةٌ) لك (فَإِذَا بَرَزُوا) خرجوا (مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ) بادغام التاء فى الطاء وتركه أى أضمرت (غَيْرَ الَّذِى تَقُولُ) لك فى حضورك من الطاعة: إى عصيانك (وَاللهُ يَكْتُبُ) يأمر بكتب (مَا يُبَيِّتُونَ) فى صحائفهم ليجازوا عليه (فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ) بالصفح (وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ) ثق به فإنه كافيك (وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلاً) مفوضاً إليه (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ) يتأملون (الْقُرْآنَ) وما فيه من المعانى البديعة (وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) تناقضاً فى معانيه وتبايناً فى نظمه (وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ) عن سرايا النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم بما حصل لهم (مِنَ الْأَمْنِ) بالنصر (أَوِ الْخَوْفِ) بالهزيمة (أَذَاعُوا بِهِ) أفشوه ، نزل فى جماعة من المنافقين أو فى ضعفاء المؤمنين كانوا يفعلون ذلك فتضعف قلوب المؤمنين و يتأذى النبى (وَلَوْ رَدُّوهُ) أى الخبر (إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ) أى ذوى الرأى من أكابر الصحابة ، أى لو سكتوا عنه حتى يخبروا به (لَعَلِمَهُ) هل هو مما ينبغى أن يذاع أولا (الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ) يتتبعونه و يطلبون علمه وهم المذيعون (مِنْهُمْ) من الرسول وأولى الأمر (وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ) بالإسلام (وَرَحْمَتُهُ) لكم بالقرآن (لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ) فيما يأمركم به من الفواحش ،

(قوله إلا قليلا) اعلم أن فى هذا الاستثناء ستة أوجه : أحدها أنه مستثنى من فاعل اتبعتم ، والمعنى لاتبعتم الشيطان إلا قليلا منكم فانه لم يتبعه كقس بن ساعدة وعمرو بن نفيل وورقة بن نوفل ممن كان على دين عيسى قبل بعثة محمد ، والمراد بالفضل والرحمة المنتفيين على هذا بعثة محمد والقرآن . ثانيها أنه مستثنى من فاعل اتبعتم أيضا لكنه واقع على من لم يبلغ التكاليف ويكون الاستثناء منقطعا . ثالثها أنه مستثنى من فاعل أذاعوا ، والمعنى أظهروا خبر الأمن أوالخوف إلاقليلافلم يظهروه . رابعها أنه مستثنى من فاعل علمه : أى علمه الذين يستنبطونه إلاقليلا فلم يعلموه . خامسها أنه مستثنى من فاعل وجدوا : أى إلاقليلا فلم يجدوا فيه اختلافا كثيرا لبلادتهم وعدم معرفتهم . سادسها أن قوله لاتبعتم خطاب لجميع الناس عموما ، والمراد بالقليل أمة محمد صلى الله عليه وسلم،وأحسن هذه الأوجه أولها وهوالمأخوذ من سياق المفسر وأبعدها الأخيرتأمل (قوله فقاتل فى سبيل الله) الفاء واقعة فى جواب شرط مقدّر تقديره إذا تكاسلوا عن القتال فقاتل الخ فانك منصور على كل حال ولواجتمعت عليك أهل الأرض جميعا (قوله لا تكلف إلا نفسك) هذه الجملة حال من فاعل قاتل ، والمعنى قاتل فى سبيل الله ولا تنظر لكسلهم حال كونك غير مكلف إلا نفسك فلايضرّك مخالفتهم وتقاعدهم عن القتال ، وقدكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شدّة الحرب لايتغير وجهه أبدا بل كان يتبسم إذ ذاك ولا يكترث بملاقاة الأعداء . قال البوصيرى :

مسفر يلتقى الكتيبة بسا   ما إذا أسهم الوجوه اللقاء

(قوله المعنى قاتل ولو وحدك) أى فكان من خصائصه صلى الله عليه وسلم أنه إذاهمّ بالحرب لايرجع حتى يحكم الله بينه و بين عدوه (قوله وحرض المؤمنين) أى بالآيات

(إِلاَّ قَلِيلاً . فَقَاتِلْ) يا محمد (فِى سَبِيلِ ٱللهِ لاَ تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ) فلا تهتم بتخلفهم عنك ، المعنى قاتل ولو وحدك فإنك موعود بالنصر (وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ) حثهم على القتال ورغبهم فيه (عَسَى ٱللهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ) حرب (ٱلَّذِينَ كَفَرُوا،وَٱللهُ أَشَدُّ بَأْسًا) منهم (وَأَشَدُّ تَنْكِيلاً) تعذيبا منهم ، فقال صلى الله عليه وسلم «والذى نفسى بيده لأخرجن ولو وحدى»فخرج بسبعين راكبا إلى بدر الصغرى فكف الله بأس الكفار بإلقاء الرعب فى قلوبهم ومنع أبى سفيان عن الخروج كما تقدم فى آل عمران (مَنْ يَشْفَعْ) بين الناس (شَفَاعَةً حَسَنَةً) موافقة للشرع (يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ) من الأجر (مِنْهَا) بسببها (وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً) مخالفة له ،

الواردة فى فضل الجهاد فإن تخلفوا بعد ذلك فلا يضرّونك و إنما وبالهم على أنفسهم (قوله عسى الله الخ) هذا وعد من الله بكفهم وهو و إن ورد بصيغة الترجى فهوفى المعنى محقق لتعلق قدرته و إرادته بذلك و يستحيل تخلف ماتعلقابه لأنه يصير عاجزا فلا فرق فى تحقق وعد الله بين أن يرد بصيغة الترجى أوغيره (قوله والله أشد بأسا) أى قوة وسطوة (قوله تنكيلا) من النكل وهو فى الأصل القيد ثم أطلق على العذاب (قوله والذى نفسى بيده) إنما أقسم بذلك لأنه دائما فى حضرة ربه ، وقوله بيده : أى قدرته وكان عليه الصلاة والسلام كثيرا مايحلف بذلك (قوله فخرج بسبعين راكبا) أى فى السنة الرابعة لأن أحدا كانت فى الثالثة فلما انصرف منها أبوسفيان نادى بأعلى صوته يامحمد ،وعدك العام القابل فى بدر، فقال عليه الصلاة والسلام إن شاء الله تعالى فلماجاء العام القابل طلب المؤمنين للخروج فتقاعد المنافقون وتبعهم بعض ضعفاء المؤمنين بسبب تثبيط نعيم بن مسعود الأشجعى لهم ، قال تعالى حكاية عنه ـ الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم ـ الآيات ، وقوله بسبعين راكبا تبع فى ذلك بعض السير وهو ضعيف ، والراجح أنه خرج معه ألف وخمسمائة من أصحابه وعشرة أفراس واستخلف على المدينة عبد الله بن رواحة فأقاموا على بدر ينتظرون أباسفيان فألقى الله فى قلوب الأعداء الرعب ولم ينتقلوا من محل يسمى الآن بوادى فاطمة فاجتمعت قبائل العرب من كل جهة لاقامة السوق فى بدر فصارت الصحابة يتجرون إلى أن ربحوا ربحا عظيما فمكثوا فى بدر ثمانية أيام فلم تأت الكفار ولم يحصل بينهم حرب أصلا . قال تعالى ـ فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء ـ وتقدّم بسط القصة فى آل عمران (قوله ومنع أبى سفيان) معطوف على إلقاء فهو مصدر (قوله من يشفع شفاعة حسنة) هذه الجملة أفادت أن تحريض النبى للمؤمنين على القتال شفاعة حسنة فله حظ وافر فى نظيرذلك.والشفاعة هى سؤال الخير للغير و يندرج فى ذلك الدعاء للمسلم بظهر الغيب ، فقد ورد « من دعا لأخيه المسلم بظهر الغيب أستجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك » وفى الحديث أيضا « ادعونى بألسنة ما عصيتمونى بها » قال العلماء : هو الدعاء للغير (قوله ومن يشفع شفاعة سيئة) إنما أطلق

عليها شفاعة مشاكلة لأن حقيقة الشفاعة لا تكون إلا فى الخير . قال بعضهم : هى النميمة وهى نقل الكلام لإيقاع العداوة بين الناس ، وقيل هى السعى بالفساد مطلقا (قوله نصيب) أشار بذلك إلى أن الكفل مرادف للنصيب و إنما غاير تفننا (قوله مقيتا) هو فى الأصل معناه الوصل لكل أحد قوته ، ومعلوم أن هذا لا يكون إلا من المقتدر أطلق وأريد منه المقتدر بمعنى القادر الذى لايعجزه شئ (قوله بما عمله) أى من خير أو شر (قوله و إذا حييتم بتحية) هذا من جملة أفراد الشفاعة الحسنة وفيه تعليم محاسن الأخلاق وهو أنه ينبغى للانسان أن يجازى على المعروف بأحسن منه أو بمثله. والتحية فى الأصل الدعاء بطول الحياة وكانت العرب إذا لقى بعضهم بعضا يقول له حياك الله ثم استعملت فى الاسلام ، و إنما اختير لفظ السلام على لفظها الأصلى لأنه أتم وأنفع لأن السلام معناه السلامة من الآفات الدنيوية والأخروية ورحمة الله إنعامه و إحسانه و بركاته حفظه من الزوال ، وأما طول الحياة فلا يلزم منه السلامة من الآفات بل قد يكون طول الحياة مذموما كما إذا كان فى المعاصى فكان السلام بهذا المعنى أتم وأكمل ، وأصل تحية تحيية كتزكية نقلت حركة الياء الأولى إلى ما قبلها ثم أدغمت فيما بعدها (قوله كأن قيل لكم سلام عليكم) أى بهذا اللفظ وما شابهه كالسلام عليكم أو سلامى عليكم أو سلام الله عليكم والأولى أن يأتى بميم الجمع ولو كان المسلم عليه واحدا أو مثنى أوجمع نسوة نظرا للملائكة المصاحبين للمسلم عليه فاذا سلم بغير هذا اللفظ كأمان الله عليكم أو غير ذلك فلا يجب عليه الرد ومن المطلوب المصافحة لما ورد أنها تذهب الغل من القلوب ، وأما تقبيل اليد فهو مكروه إلا لمن ترجى بركته كشيخ أو والد ، وأما المعانقة فمكروهة إلا لشوق كقدوم من سفر ونحوه . واعلم أن ابتداء السلام سنة ورده فرض كفاية ولكن الابتداء أفضل من الرد لما ورد أن للبادئ تسعين حسنة وللراد عشرة ومثله الوضوء قبل الوقت فانه مندوب لكنه أفضل من الوضوء بعده الواجب و إبراء المعسر مندوب وهو أفضل من إنظاره الواجب وجمع ذلك بعضهم فى قوله :

(يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ) نصيب من الوزر (مِنْهَا) بسببها (وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتاً) مقتدراً فيجازى كل أحد بما عمله (وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ) كأن قيل لكم سلام عليكم (فَحَيُّوا) المحيي (بِأَحْسَنَ مِنْهَا) بأن تقولوا له عليك السلام ورحمة الله و بركاته (أَوْ رُدُّوهَا) بأن تقولوا له كما قال أى الواجب أحدهما والأول أفضل (إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً) محاسبا فيجازى عليه ومنه رد السلام وخصت السنة الكافر والمبتدع والفاسق والمسلم على قاضى الحاجة ومن فى الحمام والآكل فلا يجب الرد عليهم بل يكره فى غير الأخير و يقال للكافر وعليك ،

الفرض أفضل من تطوع عابد   حتى ولو قد جاء منه بأكثر

إلا التطهر قبل وقت وابتدا   ء للسلام كذاك إبرا المعسر

(الله)

وقد تقدم فى آخر البقرة (قوله فحيوا) أصله حييوا استثقلت الضمة على الياء فحذفت الضمة فالتقى ساكنان الياء والواو فحذفت الياء وضم ما قبل الواو (قوله بأن تقولوا عليك السلام ورحمة الله و بركاته) أى فاذا اقتصر البادئ على السلام زاد الراد الرحمة والبركة. روى «أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك ، فقال وعليك السلام ورحمة الله ، وقال آخر السلام عليك ورحمة الله ، فقال وعليك السلام ورحمة الله و بركاته ، وقال آخر السلام عليك ورحمة الله و بركاته ، فقال وعليك السلام ورحمة الله و بركاته ، فقال الرجل نقصتنى الفضل عن سلامى فأين ماقال الله ؟ فقال صلى الله عليه وسلم لم تترك لى فضلا فرددت عليك مثله ، ولا يزاد على البركة شئ لا من البادئ ولا من الراد لما ورد أن رجلا سلم على ابن عباس فقال السلام عليكم ورحمة الله و بركاته ثم زاد شيئا ، فقال ابن عباس : إن السلام انتهى إلى البركة (قوله أو ردوها) أى ردوا مثلها على حد واسئل القرية لأن رد عينها محال (قوله والمبتدع) أى صاحب البدعة التى تخالف الشرع (قوله والفاسق) أى بالجارحة المتجاهر (قوله على قاضى الحاجة) أى ومن فى حكمه كمن فى محل مستقذر أو فى حال الاستنجاء (قوله ومن فى الحمام) أى فى محل الحرارة لا خارجه فى محل نزع الثياب (قوله والآكل) أى بالفعل بأن كان فمه مشغولا بالمضغ لا وقت خلوه منه فيجب الرد (قوله بل يكره فى غير الأخير) أى الآكل بالفعل (قوله و يقال للكافر وعليك) أى لأنه يقول فى سلامه السام عليك والسام الموت فيرد عليه بقوله وعليك ومحل ذلك مالم يتحقق منهم النطق بالسلام بلفظه و إلا فيرد .

(اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ) والله (لَيَجْمَعَنَّكُمْ) من قبوركم (إِلَى) فى (يَوْمِ الْقِيَامَةِ لاَ رَيْبَ) شك (فِيهِ وَمَنْ) أى لا أحد (أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثاً) قولا . ولما رجع ناس من أحداختلف الناس فيهم فقال فريق اقتلهم وقال فريق لا ، فنزل (فَمَا لَكُمْ) أى ما شأنكم صرتم (فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ) فرقتين (وَاللهُ أَرْكَسَهُمْ) ردهم (بِمَا كَسَبُوا) من الكفر والمعاصى (أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ) ه (اللهُ) أى تعدوهم من جملة المهتدين والاستفهام فى الموضعين للانكار (وَمَنْ يُضْلِلِ) ه (اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً) طريقا إلى الهدى (وَدُّوا) تمنوا (لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ) أنتم وهم (سَوَاءً) فى الكفر (فَلاَ تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ) توالونهم وإن أظهروا الإيمان (حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ) هجرة صحيحة تحقق إيمانهم (فَإِنْ تَوَلَّوْا) وأقاموا على ماهم عليه (فَخُذُوهُمْ) بالأسر (وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلاَ تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا) توالونه (وَلاَ نَصِيراً) تنتصرون به على عدوكم (إِلاَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ) يلجئون (إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ) عهد بالأمان لهم ولمن وصل إليهم كما عاهد النبى صلى الله عليه وسلم هلال بن عويمر الأسلمى ،

(قوله الله) مبتدأ ولاإله إلا هو خبر أول وليجمعنكم خبر ثان ورد بالخبر الأول على منكرى التوحيد و بالثانى على منكرى البعث (قوله والله) أشار بذلك إلى أن اللام فى ليجمعنكم موطئة لقسم محذوف (قوله ليجمعنكم) أى يحشركم بعد تفرقكم قال تعالى : وهو على جمعهم إذا يشاء قدير (قوله إلى فى) أشار بذلك إلى أن إلى المضمنة معنى فى ويصح بقاؤها على أصلها و يضمن الفعل معنى يحشر وهوالأقرب لأن التجوز فى الفعل أكثر من التجوز فى الحرف (قوله لاريب فيه) أى لاتردد ولاتحير فى ذلك اليوم (قوله أى لاأحد) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفى (قوله حديثا) تمييز (قوله ولما رجع ناس) هذا إشارة لسبب نزول الآية والمراد بالناس عبد الله بن أبى وأصحابه الثلثمائة وكانوا منافقين (قوله اختلف الناس) أى الصحابة وقوله اقتلهم أى للأمارة الدالة على كفرهم وقوله وقال فريق لا: أى لنطقهم بالشهادتين واللوم فى الحقيقة راجع على الفريق الثانى القائل لاتقتلهم (قوله فما لكم فى المنافقين) مامبتدأ ولكم جار ومجرور خبر وفى المنافقين متعلق بما تعلق به الخبر أومتعلق بمحذوف حال من فئتين لأنه نعت نكرة تقدم عليها أومتعلق بفئتين لتأويله بمشتق أى مفترقين وقوله فئتين خبرلصار المحذوفة كما قدره المفسر (قوله والله أركسهم) الركس فى الأصل النكس وهوقلب الشيء على رأسه فمعناه على هذا ردهم من حالة العز وهو عز الاسلام إلى حالة السفل وهو ذل الكفر بالسبي والقتل (قوله ردهم) أى عن القتال ومنعهم منه ولم يجر على أيديهم خير بسبب كسبهم لما فى الحديث « إن العبد ليحرم الخير بالذنب يصيبه » وفى نسخة بددهم أى فرق شملهم وجمعهم (قوله من الكفر الخ) بيان لما كسبوا وقوله والمعاصى عطف عام على خاص (قوله للانكار) أى مع التوبيخ ، والمعنى لاتفترقوا فى قتلهم ولا تجعلوهم من المهتدين ولاتعدوهم منهم وهذا إشارة لليأس من هداهم فلم يهتدوا بعد ذلك أبدا (قوله كما كفروا) نعت لمحذوف والتقدير ودوا لو تكفرون كفرا مثل كفرهم (قوله فلاتتخذوا منهم أولياء) مفرع على قوله ودوا لوتكفرون والجمع باعتبار الأفراد (قوله حتى يهاجروا) غاية فى عدم اتخاذ الأولياء منهم ، والمعنى امتنعوا من اتخاذ الأولياء منهم إلى أن تقع منهم الهجرة بمعنى الجهاد فى سبيل الله مخلصين له الدين . واعلم أن الهجرة ثلاثة أقسام : هجرة المؤمنين فى أول الاسلام وهى قوله تعالى : للفقراء المهاجرين ، وهجرة المنافقين وهى خروجهم للقتال مع رسول الله صابرين محتسبين لا لأغراض الدنيا وهى المرادة هنا ، وهجرة عن جميع المعاصى وهى التى قال فيها عليه الصلاة والسلام « المهاجر من هجر مانهى الله عنه » (قوله فان تولوا) أى أعرضوا عما أمرتم به وقوله وأقاموا على ماهم عليه دفع به مايتوهم من قوله تولوا أنه كان حصل منهم إقبال ثم أعرضوا. فأجاب بأن المراد أقاموا وداموا على ماهم عليه (قوله حيث وجدتموهم) أى فى حل أوحرم لأنهم من جملة الكفار فيفعل بهم مافعل بسائر الكفار (قوله إلا الذين يصلون) هذا استثناء من الأخذ والقتل فقط ولا يرجع للموالاة فانها لاتجوز مطلقا (قوله إلى قوم بينكم و بينهم ميثاق) أى وهم الأسلميون فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت خروجه إلى مكة قد وقع بينه و بين هلال ابن عويمر الأسلمى عهد أن لايعين على النبي ولايعينه وعلى أن من لجأ إليه لايتعرض له وكذلك بنو بكر بن زيد وخزاعة .

(أَوْ) الذين (جَاءُوكُمْ) وقد (حَصِرَتْ) ضاقت (صُدُورُهُمْ) عن (أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ) مع قومهم (أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ) معكم أى ممسكين عن قتالكم وقتالهم فلا تتعرضوا إليهم بأخذ ولا قتل، وهذا وما بعده منسوخ بآية السيف (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ) تسليطهم عليكم (لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ) بأن يقوى قلوبهم (فَلَقَاتَلُوكُمْ) ولكنه لم يشأه فألقى فى قلوبهم الرعب (فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ) الصلح أى انقادوا (فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا) طريقا بالأخذ والقتل (سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ) بإظهار الإيمان عندكم (وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ) بالكفر إذا رجعوا إليهم وهم أسد وغطفان (كُلَّمَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ) دعوا إلى الشرك (أُرْكِسُوا فِيهَا) وقعوا أشد وقوع (فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ) بترك قتالكم (وَ) لم (يُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَ) لم (يَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ) عنكم (فَخُذُوهُمْ) بالأسر (وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا) برهانا بينا ظاهرا على قتلهم وسبيهم لغدرهم (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا) أى ماينبغى أن يصدر منه قتل له (إِلَّا خَطَأً) مخطئا فى قتله من غير قصد (وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً) بأن قصد رمى غيره كصيد أوشجرة فأصابه أو ضربه بما لايقتل غالبا (فَتَحْرِيرُ) عتق (رَقَبَةٍ) نسمة (مُؤْمِنَةٍ) عليه (وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ) مؤداة (إِلَى أَهْلِهِ) أى ورثة المقتول

(قوله أوجاءوكم) معطوف على يصلون كما قدره المفسر فالمستثنى فريقان: فريق التجأ للمعاهدين وفريق ترك قتالنا مع قومه وقتال قومه معا (قوله وقد حصرت صدورهم) أى وهم بنومدلج جاءوا لرسول الله غير مقاتلين (قوله وهذا) أى قوله إلا الذين يصلون وقوله أوجاءوكم وقوله ومابعده أى وهو قوله فان اعتزلوكم الخ (قوله منسوخ بآية السيف) أى التى نزلت فى براءة وهى قوله تعالى: فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم الآيات فصار بعد نزول آية السيف لايقبل منهم عهد أبدا إلى أن انتشر الاسلام فخصصت آية السيف بالجزية والعهود (قوله ولوشاء الله الخ) هذا تسلية للمؤمنين وتذكير لنعم الله عليهم (قوله لسلطهم) هذا تمهيد لجواب لو وجوابها قوله فلقاتلوكم (قوله ولكنه لم يشأ الخ) أشار بهذا الاستدراك إلى تميم القياس لأنه ذكر المقدم بقوله: ولوشاء الله، والتالى بقوله: لسلطهم عليكم فذكر المفسر نقيض المقدم بقوله لكن والنتيجة بقوله: فألقى فى قلوبهم الرعب (قوله فان اعتزلوكم) أى بوجه من الوجوه المتقدمة وهى التجاؤهم إلى من بيننا و بينه عهد، أوتركهم القتال منا ومع قومهم (قوله أى انقادوا) للصلح والأمان ورضوا به (قوله آخرين) أى قوما آخرين من المنافقين وسيأتى أنهم أسد وغطفان كانوا حول المدينة فأسلموا ظاهرا ليأمنوا من القتل والأسر وكانوا إذا خلوا بالكفار يقولون آمنا بالقرد والعقرب والخنفساء واذا لقوا النبى وأصحابه يقولون إنا على دينكم ليأمنوا من الفريقين (قوله وقعوا أشد وقوع) أى رجعوا إلى الشرك أعظم رجوع (قوله لغدرهم) أى خيانتهم (قوله وما كان لمؤمن) أى لايسوغ ولايصح لمتصف بالايمان أن يقتل أخاه فى الايمان، والمعنى يبعد كل البعد لأن شأن الايمان الرأفة والرحمة بالاخوان قال تعالى مدحا فى أصحاب رسول الله: أشداء على الكفار رحماء بينهم (قوله إلا خطأ) الاستثناء منقطع لأن ماقبله محمول على العمد (إلا والمعنى لكن قديقع خطأ ويصح أن يكون متصلا والمعنى لاينبغى أن يقع القتل من المؤمن للمؤمن فى حال من الأحوال إلا فى حالة الخطأ (قوله مخطئا) أشار بذلك إلى أن خطأ حال إلا أنه مؤول باسم الفاعل (قوله من غير قصد) أى للضرب من أصله أوضرب من يجوز له ضربه فصادف غيره (قوله ومن قتل مؤمنا خطأ) حاصل ماذكره فى الخطأ ثلاثة أقسام: لأن المقتول إما مؤمن وورثته مسلمون أومؤمن وورثته حربيون أومعاهد، فالأول فيه الدية والكفارة وكذا الثالث. وأما الثانى ففيه الكفارة فقط ومن إما اسم موصول مبتدأ وقتل صلتها وقوله فتحرير خبره وقرن بالفاء لشبهه بالشرط، وإما اسم شرط وقتل فعله وقوله فتحرير جوابه والجملة خبره من حيث كونه مبتدأ (قوله عليه) أشار بذلك إلى أن قوله فتحرير مبتدأ خبره محذوف ويصح أن يكون خبرا لمحذوف والتقدير فالواجب عليه تحرير الخ أوفاعل بفعل محذوف أى فيجب عليه تحرير (قوله ودية) معطوف على تحرير والدية فى الأصل مصدر أطلقت على المال المأخوذ فى نظير القتل وهو المراد هنا ولذا وصفها بمسلمة وأصلها ودى حذفت الواو وعوض عنها تاء التأنيث.

(قوله إلا أن يصدقوا) أصله يتصدقوا قلبت التاء صادا وأدغمت في الصاد وهو حال من آهـله والمعنى إلا متصدقين (قوله بأن يعفوا) أي أهله وسمى العفو عنها صدقة تنبيها على فضله لأن كل معروف صدقة (قوله أنها مائة من الابل) هذا مخصوص بأهل الابل وأما على أهل الذهب فألف دينار وعلى أهل الورق اثنا عشر ألف درهم (قوله بنت مخاض) أى وهى ما أوفت سنة ودخلت فى الثانية (قوله وكذا بنات لبون) أى وابن اللبون ما أوفى سنتين ودخل فى الثالثة (قوله وحقاق) الحقة ما أوفت ثلاث سنين ودخلت فى الرابعة وقوله وجذاع الجذعة ما أوفت أربع سنين ودخلت فى الخامسة (قوله وأنها على عاقلة القاتل) أى وهو إن كان غنيا كواحد منهم عند مالك وعند الشافعى ليس عليه شئ منها وهذه دية الخطأ وأما دية العمد فمغلظة من أربعة أنواع باسقاط ابن اللبون من كل نوع خمس وعشرون عنـد مالك إلا إذا قتل الأب ابنه عمدا غير قاصد إزهاق روحه بأن لم يذبحه فعليه ثلاثون حقة وثلاثون جذعـة وأربعون خلفة والخلفة الناقة الحامل والتغليظ عنـد الشافعى يكون بتلك الأنواع الثلاثة لا غير (قوله إلا الأصل والفرع) هذا مذهب الشافعى وأما عند مالك فلا فرق بين الأصل والفرع وغيرهما فى أن كلا منهما يدفع كغيره (قوله على الغنى منهم نصف دينار) يؤخذ منـه أن العاقلة غير

(﴿إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا﴾) يتصدقوا عليه بها بأن يعفوا عنها و بينت السنة أنها مائة من الإبل عشرون بنت مخاض وكذا بنات لبون و بنولبون وحقاق وجذاع وأنها على عاقلة القاتل وهم عصبته إلا الأصل والفرع موزعة عليهم على ثلاث سنين على الغنى منهم نصف دينار والمتوسط ربع كل سنة فإن لم يفوا فمن بيت المال فإن تعذر فعلى الجانى (﴿فَإِن كَانَ﴾) المقتول (﴿مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ﴾) حرب (﴿لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾) على قاتله كفارة ولا دية تسلم إلى أهله لحرابتهم (﴿وَإِن كَانَ﴾) المقتول (﴿مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾) عهد كأهل الذمة (﴿فَدِيَةٌ﴾) له (﴿مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِ﴾) وهى ثلث دية المؤمن إن كان يهوديًا أو نصرانيًا وثلثا عشرها إن كان مجوسياً (﴿وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾) على قاتله (﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾) الرقبة بأن فقدها وما يحصلها به (﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾) عليه كفارة ولم يذكر الله تعالى الانتقال إلى الطعام كالظهار و به أخذ الشافعى فى أصح قوليه (﴿تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ﴾) مصدر منصوب بفعله المقدر (﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾) بخلقه (﴿حَكِيمًا﴾) فيما دبره لهم (﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾) بأن يقصد قتله بما يقتل غالباً عالماً بإيمانه (﴿فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ﴾)

محدودة بعدد وهومذهب الشافعى وعنـد مالك تفرض الدية على مازاد على ألف من أقاربه وقيل على سبعمائة (قوله و إن كان من قوم عدو لكم) أى بأن جاء من بلاد الكفر وأسلم عندنا ثم قتل خطأ (قوله حرب) بكسر الحاء أى محارب (قوله و إن كان من قوم الخ) أى بأن كان يهوديا أو نصرانيا أومجوسيا (قوله وهى ثلث دية المؤمن) هذا مذهب الامام الشافعى وأما عند مالك فهو على النصف من الحر المسلم كأنثى الحر المسلم (قوله وثلثا عشرها إن كان مجوسيا) هذا باتفاق بين مالك والشافعى وأنثاه على النصف منه (قوله الرقبة) قدره اشارة إلى أن مفعول يجد محذوف (قوله فصيام شهرين متتابعين) يقال فيـه من الاعراب ما قيل فى فتحرير رقبة (قوله و به أخـذ الشافعى) أى ومالك (قوله المقدر) أى وتقديره تاب الله عليكم توبة و يصح أن يكون مفعولا لأجله أى شرع لكم ذلك لأجل التوبة عليكم هو الأحسن. إن قلت إن الخطأ ليس بذنب فما معنى التوبة منه. أجيب بأن ذلك لجبر الخلل الذى حصل منـه فى عدم إمعان النظر والتحفظ (قوله ومن يقتل مؤمنا متعمدا) مقابل قوله ومن قتـل مؤمنا خطأ وقوله متعمدا أى وعدوانا ليخرج المقتول قصاصا أو حـدا كالزانى المحصن والمحارب . وسبب نزولها أن رجلا يقال له مقيس ابن صبابة أسلم هو وأخوه هشام على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ثم إن مقيسا وجد أخاه مقتولا فى بنى النجار فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فأرسل معه رجلا يقال له فهر من بنى مهران إلى بنى النجار فقال لهم إن رسول الله يأمركم أنكم إذا عرفتم عـين القاتل فسلموه لمقيس و إن لم تعرفوه فأعطوا له الدية فقالوا سمعا وطاعة إنا لا نعرف عين القاتل وأعطوا مائة بعير فلما ذهب من عنـدهم سوَّل الشيطان لمقيس أن يقتل فهرا بدل أخيه فتأخر عنـه وضربه فقتله وركب بعيرا

وساق باقيها راجعا إلى مكة ، وقال شعرا فى ذلك :

قتلت به فهرا وأحملت عقله ... سراة بنى النجار أرباب فارع

وأدركت ثارى واضطجعت توسدا ... وكنت إلى الأصنام أول راجع

فنزلت فيه الآية ولما كان عام الفتح استثناه النبي ممن أمنه فقتله الصحابة وهو متعلق بأستار الكعبة فعلى هذا الخلود فى الآية على ظاهره (قوله خالدا) حال من الضمير فى جزاؤه (قوله وغضب الله عليه) معطوف على محذوف والتقدير حكم الله عليه بذلك وغضب الله عليه (قوله ولعنه) عطف على غضب الله عليه مرادف لأن اللعنة هى الغضب (قوله وهذا مؤول الخ) شرع فى ذكر الأجوبة عن السؤال الوارد على الآية ، وحاصله أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وظاهر الآية يقتضى أن جزاء القاتل عمدا الخلود فى النار ولو مات مؤمنا وليس كذلك ، فأجاب المفسر عن ذلك بثلاثة أجوبة: الأول أنه محمول على المستحل لذلك، الثانى أن هذا جزاؤه إن جوزى أى إن عامله الله بعدله جازاه بذلك و إن عامله بفضله فجائز أن لا يدخله النار ولكن فى هذا الجواب شىء لأن فيه تسليم أنه إذا جوزى يخلد فى النار وهو غير سديد للقواطع الدالة على أنه لا يخلد فى النار إلا من مات على الكفر ،وقد أجاب البيضاوى بجواب آخر وهو أنه يحمل الخلود على طول المكث، الثالث أشار له المفسر بقوله وعن ابن عباس الخ (قوله وأنها ناسخة)

الأولى مخصصة وكلام ابن عباس خارج مخرج الزجر والتشديد وليس على حقيقته على مقتضى مذهب أهل السنة (قوله وسبق قدرها) أى فى تفسير الآية التى قبلها (قوله أن بين العمد والخطأ الخ) سبق للمفسر أنه أدخله فى الخطأ بقوله أو ضربه بما لا يقتل غالبا (قوله يسمى شبه العمد) أى فأشبه العمد من حيث تغليظ الدية بكونها من ثلاثة أنواع ثلاثين حقة وثلاثين جذعة وأربعين خلفة وأشبه الخطأ من حيث كونه لا قصاص فيه وهذا مذهب الشافعى ، وعند أبى حنيفة لا يقتص من القاتل إلا إذا قتله بآلة محددة كسيف و بندق و إلا فيلزمه الدية وعند مالك يقتص من القاتل إذا قتل بأى آلة ولو بضرب كف أو سوط لا بكروحة (قوله فى الصفة) أى من حيث كونها من ثلاثة أنواع (قوله فى التأجيل) أى كونها على ثلاث سنين وقوله والحمل أى كون العاقلة تحملها (قوله وهو) أى شبه العمد وقوله أولى بالكفارة أى فتجب وهذا مذهب الشافعى وعند مالك ليس كالخطأ بل تستحب الكفارة فقط (قوله ونزل لما مر نفر الخ) هذه رواية ابن عباس فى سبب نزول الآية وروى عنه أيضا أنها نزلت فى رجل من بنى مرة بن عون يقال له مرداس بن نهيك وكان من أهل فدك لم يسلم من قومه غيره فلما سمعوا بسرية رسول الله صلى الله عليه وسلم هربوا و بقى ذلك الرجل فلما رأى الخيل خاف أن لا يكونوا مسلمين فألجأ غنمه إلى عاقول من الجبل وصعد هو الجبل فلما تلاحقت الخيل سمعهم يكبرون فعرف أنهم من أصحاب رسول الله فكبر ونزل وهو يقول : لا إله إلا الله محمد رسول الله السلام عليكم فتغشاه أسامة بن زيد بسيفه فقتله واستاق غنمه ثم رجعوا إلى رسول الله فأخبروه الخبر فوجد رسول الله من ذلك وجدا شديدا وكان قد سبقهم الخبر فقال عليه الصلاة والسلام « أقتلتموه إرادة ما معه » ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على أسامة هذه الآية فقال أسامة استغفر لى يارسول الله فقال كيف أنت بلا إله إلا الله يقولها ثلاث مرات قال أسامة فما زال رسول الله يكررها حتى وددت أنى لم أكن أسلمت إلا يومئذ ثم استغفر له رسول الله وقال أعتق رقبة» وروى عن أسامة أنه قال: قلت يارسول الله إنما قالها خوفا من السلاح فقال أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها خوفا أم لا.

خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ) أبعده من رحمته (وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا) فى النار وهذا مؤول بمن يستحله ، أو بأن هذا جزاؤه إن جوزى ، ولا بدع فى خلف الوعيد لقوله « ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » وعن ابن عباس أنها على ظاهرها وأنها ناسخة لغيرها من آيات المغفرة و بينت آية البقرة أن قاتل العمد يقتل به وأن عليه الدية إن عفى عنه وسبق قدرها و بينت السنة أن بين العمد والخطأ قتلا يسمى شبه العمد ، وهو أن يقتله بما لا يقتل غالباً فلا قصاص فيه بل دية كالعمد فى الصفة والخطأ فى التأجيل والحمل وهو والعمد أولى بالكفارة من الخطإ . ونزل لما مر نفر من الصحابة برجل من بنى سليم وهو يسوق غنما فسلم عليهم فقالوا ما سلم علينا إلا تقية فقتلوه واستاقوا غنمه (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ) سافرتم للجهاد (فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا)

(قوله فتبينوا) أى تمهلوا حتى يكشف لكم حقيقة الأمر وما وقع من الصحابة اجتهاد غير أنهم مخطئون فيه حيث اعتمدوا على مجرد الظن فلذا عاتبهم الله على ذلك وهذا مرتب على وعيد القاتل عمدا أى حيث ثبت الوعيد العظيم للقاتل عمدا فالواجب التثبت والتحفظ فرتب على ذلك ماوقع من الصحابة (قوله فى الموضعين) أى هنا وقوله فيما يأتى فمن الله عليكم فتبينوا و بقى موضع ثالث فى الحجرات وهوقوله تعالى إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا وفيه القراءتان ويحتمل أن قوله فى الموضعين أى ماهنا بشقيه والحجرات والأول أقرب (قوله بألف ودونها) أى فهماقراءتان سبعيتان وروى عن عاصم كسر السين وسكون اللام وهى بمعنى المفتوحة (قوله أى التحية أو الانقياد) لف ونشر مرتب (قوله التى هى أمارة على إسلامه) تقدم أنه وقع منه الأمران (قوله تبتغون) النهى منصب على القيد والمقيد معا وليس كقولهم لاتطلب العلم تبتغى به الدنيا (قوله فعند الله) تعليل للنهى المذكور (قوله كذلك كنتم من قبل) أى كنتم مثله فى مبدإ الاسلام (قوله فمن الله عليكم) أى قبل منكم النطق بالشهادتين ولم يأمر بالبحث عن سرائركم (قوله فتبينوا) أى فى المستقبل فى مثل هذه الواقعة فهو تأكيد لفظى وقيل ليس تأكيدا لاختلاف متعلقيهما لأن الأول فيمن تقتلونه والثانى فى شأن نعمة الله عليكم بالاسلام لتشكروه (قوله من المؤمنين) متعلق بمحذوف حال من القاعدون (قوله بالرفع صفة) أى لقوله القاعدون إما لأن غير إذا وقعت بين ضدين قد تتعرف أو لأن أل فى القاعدون للجنس فأشبه النكرة والأظهر أنه مرفوع على البدلية من القاعدون لأنه لايشترط استواء البدل والمبدل منه تعريفا أوتنكيرا (قوله والنصب استثناء) أى فهماقراءتان سبعيتان (قوله من زمانة) بيان للضرر وهى المرض وقوله أونحوه أى كالعرج (قوله فضيلة) أى فى الآخرة والمعنى أن من تقاعد عن القتال لمرض ونحوه فهو ناقص عن المباشرين للجهاد درجة لأنهم استووا معهم فى الجهاد بالنية وإنما زاد المجاهدون بالمباشرة وكل من القسمين وعده الله بالجنة (قوله الجنة) أى لحسن عقيدتهم وخلوص نيتهم (قوله درجات) قيل سبعة وقيل سبعون وقيل سبعمائة كل درجة كما بين السماء والأرض (قوله بفعلهما المقدر) أى غفر لهم مغفرة ورحمهم رحمة (قوله فقتلوا يوم بدر) أى وهل ماتوا عصاة أوكفارا خلاف لأن الهجرة كانت ركنا أو شرطا فى صحة الاسلام قال تعالى: والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شىء حتى يهاجروا وهذا كان قبل الفتح ثم نسخ بعده والقائل لهؤلاء الملائكة لعلمهم بأن الله لم يقبل منهم الاسلام لفقد شرطه وهو الهجرة مع قدرتهم عليها وليس التخلف من أجل صيانة المال والعيال عذرا والتبادر من ذلك أنهم ماتوا كفارا (قوله إن الذين توفاهم) يصح أن يكون ماضيا ولم يؤت فيه بعلامة التأنيث لأن التأنيث مجازى ويصح أن يكون مضارعا حذفت منه إحدى التاءين والأصل تتوفاهم، قال ابن مالك:

فَتَبَيَّنُوا) وفى قراءة بالمثلثة فى الموضعين (وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ) بالألف ودونها أى التحية أو الانقياد بقوله: كلمة الشهادة التى هى أمارة على الإسلام (لَسْتَ مُؤْمِنًا) وإنما قلت هذا تقية لنفسك ومالك فتقتلوه (تَبْتَغُونَ) تطلبون بذلك (عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) متاعها من الغنيمة (فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ) تغنيكم عن قتل مثله لماله (كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ) تعصم دماؤكم وأموالكم بمجرد قولكم الشهادة (فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ) بالاشتهار بالإيمان والاستقامة (فَتَبَيَّنُوا) أن تقتلوا مؤمنا وافعلوا بالداخل فى الإسلام كما فعل بكم (إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا) فيجازيكم به (لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) عن الجهاد (غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ) بالرفع صفة والنصب استثناء من زمانة أو عمى أو نحوه (وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ، فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ) لضرر (دَرَجَةً) فضيلة لاستوائهما فى النية وزيادة المجاهدين بالمباشرة (وَكُلًّا) من الفريقين (وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى) الجنة (وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ) لغير ضرر (أَجْرًا عَظِيمًا) ويبدل منه (دَرَجَاتٍ مِنْهُ) منازل بعضها فوق بعض من الكرامة (وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً) منصوبان بفعلهما المقدر (وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا) لأوليائه (رَحِيمًا) بأهل طاعته. ونزل فى جماعة أسلموا ولم يهاجروا فقتلوا يوم بدر مع الكفار (إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ،

وما بتاءين ابتدى قد يقتصر فيه على تا كتبين العبر (قوله الملائكة) يعنى ملك الموت وهوعزرائيل و إنما جمع تعظيما وقيل المراد أعوانه وهم ستة ثلاثة منهم يقضبون أرواح المؤمنين وثلاثة منهم يقبضون أرواح الكفار (قوله قالوا لهم موبخين) أى عند قبض أرواحهم (قوله فيم كنتم) ما اسم استفهام حذفت ألفها لجرها بالحرف . قال ابن مالك :

وما فى الاستفهام إن جرت حذف ألفها وأولها الها إن تقف

(قوله أى فى أى شيء كنتم) أى أكنتم مؤمنين أم كفارا (قوله قالوا كنامستضعفين) هذا اعتذار غير صحيح فلذا ردت الملائكة عليهم هذا الاعتذار (قوله فأولئك مأواهم جهنم) هذا هو خبر إن وقرن بالفاء لأنه فى الأصل خبر عن الموصول وهو يشبه الشرط (قوله هى) هذا هو المخصوص بالذم (قوله إلا المستضعفين) هذا الاستثناء منقطع على التحقيق (قوله من الرجال) هو وما بعده بيان للمستضعفين وذلك كعباس بن ربيعة وسلمة بن هشام وغيرهما وقوله والنساء والولدان ، قال ابن عباس : كنت وأنا وأمى من المستضعفين من النساء والولدان (قوله لايستطيعون حيلة) هذه الجملة إما مستأنفة مبينة للاستضعاف جواب سؤال مقدر تقديره ماوجه استضعافهم أو صفة للمستضعفين (قوله فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم) عسى فى كلام الله بمنزلة التحقيق لعلمه بعواقب الأمور وقدرته على كل شيء ، وأما فى كلام غيره فللرجاء لجهله بعواقب الأمور وعجزه (قوله ومن يهاجر) هذا ترغيب فى الهجرة (قوله مهاجرا) بالفتح أى أماكن يهاجر إليها وعبر عنها بالمراغم إشارة إلى أن من فعل ذلك أرغم الله به أنف عدوه أى يقهره و يذله. والرغام فى الأصل التراب فأطلق وأريد لازمه وهو الذل والهوان لأن من التصق أنفه بالتراب فقد ذل وصغر (قوله كما وقع لجندع بن ضمرة الليثى) وذلك أنه لما نزل قوله تعالى - إن الذين توفاهم الملائكة - الآيات بعث بها صلى الله عليه وسلم إلى مكة فتليت على المسلمين الذين كانوا فيها إذ ذاك فسمعها رجل من بنى ليث شيخ مريض كبير يقال له جندع بن ضمرة فقال والله ما أنا ممن استثنى الله فإنى لأجد حيلة ولى من المال مايبلغنى إلى المدينة وأبعد منها والله لا أبيتن بمكة أخرجونى فخرجوا به على سرير حتى أتوا به التنعيم فأدركه الموت فصفق بيمينه على شماله ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك أبايعك على مابايعك رسولك ثم مات فبلغ خبره أصحاب رسول الله فقالوا لووافى المدينة لكان أتم وأوفى أجرا وضحك منه المشركون وقالوا ما أدرك ماطلب فنزلت الآية (قوله فقد وقع أجره على الله) أى تفضلا منه وكرما ويدخل فى ذلك من قصد أى طاعة ثم عجز عن إتمامها فيكتب له ثوابها كاملا وقوله على الله أى عنده وفى علمه (قوله وإذا ضربتم فى الأرض) ذكر هذه الآية عقب الهجرة للترغيب فيها فكأنه قال لا بأس فى الهجرة ولا مشقة فيها لكون الصلاة تقصر فيها فهذا من جملة السعة التى يرونها فى السفر (قوله سافرتم) أى سفرا طويلا وسيأتى أن أقله أربعة برد عند الشافعى والبريد أربعة فراسخ والفرسخ ثلاثة أميال والميل ستة آلاف ذراع والذراع ستة وثلاثون أصبعا والأصبع ست شعيرات والشعيرة ست شعرات من شعر البرذون وكذا عند مالك وعند أبى حنيفة ثلاثة أيام من أقصر الأيام مع الاستراحات فلا يصح القصر فى أقل من أربعة برد عند مالك والشافعى ولا فى أقل من ثلاثة أيام عند أبى حنيفة إلا فى مناسك الحج فإنهم يقصرون فى أقل من ذلك للسنة (قوله فى أن تقصروا) قدر المفسر فى إشارة إلى أن قوله أن تقصروا أن وما دخلت عليه فى تأويل مصدر مجرور بالحرف والجار والمجرور متعلق بجناح أى ليس عليكم جناح فى القصر .

الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ) بالمقام مع الكفار وترك الهجرة (قَالُوا) لهم موبخين (فِيمَ كُنْتُمْ) أى فى أى شيء كنتم فى أمر دينكم (قَالُوا) معتذرين (كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ) عاجزين عن إقامة الدين (فِي الْأَرْضِ) أرض مكة (قَالُوا) لهم توبيخا (أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا) من أرض الكفر إلى بلد آخر كما فعل غيركم ، قال الله تعالى (فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا) هى (إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ) الذين (لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً) لا قوة لهم على الهجرة ولا نفقة (وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا) طريقا إلى أرض الهجرة (فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا . وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا) مهاجرا (كَثِيرًا وَسَعَةً) فى الرزق (وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ) فى الطريق كما وقع لجندع بن ضمرة الليثى (فَقَدْ وَقَعَ) ثبت (أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا . وَإِذَا ضَرَبْتُمْ) سافرتم (فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ) فى (أَنْ تَقْصُرُوا

(قوله من الصلاة) يصح أن تكون تبعيضية وأل فى الصلاة للجنس أى وهو الرباعيات و يصح أن تكون زائدة على مذهب الأخفش وأل للجنس والمراد جنس مخصوص وهو الرباعيـة وقد بين بالسنة (قوله بأن تردوها من أربع إلى اثنتين) هـذا أحد أقوال ثلاثة لأنه اختلف هل فرضت الصلاة كاملة ثم نقصت فى السفر و بقيت فى الحضر على حالها أو فرضت ناقصة فبقيت فى السفر وزيدت فى الحضر وقيل فرض كل مستقلا (قوله بيان للواقع) أى قوله إن خفتم الخ أى لأن غالب أسفار نبينا وأصحابه لم تخل من خوف العدو لـكثرة المشركين حينئذ وقوله فلا مفهوم له أى لأنه يكون فى سفر التجارة وغـيرها من كل سفر مأذون فيه واجبا كان أو مندو با أومباحا (قوله وهى مرحلتان) أى سير يومين معتدلين كل يوم اثنا عشر ساعة بسير الجمال المثقلة بالأحمال (قوله أنه رخصة) أى جائز مالم يبلغ سفره ثلاث مراحل و إلا كان أفضل الخروج من خلاف أبى حنيفة فانه قال بوجوبه وعند مالك سـنة مؤكدة (قوله عدوا مبينا) العدو يقع بلفظ واحد على المذكر والمؤنث والمجموع والمثنى (قوله و إذا كنت فيهم) شروع فى ذكر صـلاة القسمة فى الخوف . واعلم أن صلاة الخوف على أقسام فتارة يكون العدو فى غير تجاه القبلة وفى هـذا القسم تـكون صلاة القسمة وهى على كيفيتين الأولى أن يقسم الجيش طائفتين فطائفة تقف تجاه العدو وطائفة تصلى مع الامام الصلاة بتمامها فبعد السلام تنصرف للعدو وتأتى الطائفة الثانية فيعيد الامام بهم الصلاة ثانيا فصلاة الطائفة الأولى فرض خلف فرض والثانية فرض خلف نفل وهذه الـكيفية انفردبها الامام الشافعى الثانية أن يصلى بكل طائفة ركعة فى الثنائية وركعتين فى الرباعية و بالطائفة الأولى ركـعتين فى الثلاثيـة و بالثانية ركعة و بها قال مالك والشافعى أيضا لـكن مالك يقول بها و إن كان العدو تجاه القبلة وتارة يكون العدو تجاه القبلة وهى على قسمين أيضا إما أن يتقدم الامام و يقف الجيش خلفه صفوفا فعند ركوع الامام تركع طائفة مع الامام وتسجد معـه فبعد وقوفهم تركع الطائفة الأخرى وتسجد و بهذه الـكيفية أخذ الامام الشافعى و إما أن يتقدم الامام ويصلون جميعا معه و يركعون و يسجدون و بها أخذ مالك وتارة يلتحم القتال فيصلون كيف شاءوا وحلّ للضرورة مشى وركض و إمساك ملطخ وهـذه الـكيفية عند مالك والشافعى وعند أبى حنيفة إن ضاق الوقت قدموا القتال وأخروا الصلاة ثم يقضونها وتفاصيل هـذه الأقسام مبينة عند أرباب المذاهب (قوله وتتأخر طائفة) أى بازاء العدو (قوله أى صلوا) أى شرعوا فى الصلاة (قوله طائفة أخرى) أى وهى الواقفة تجاه العدو (قوله فليصلوا معك) أى صلاة ثانية أو يتمموا معك الصلاة الأولى (قوله وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم) إنما زاد هنا الأمر بالحذر لكونها مظنة تنبه الـكفرة على تلك الطائفة ، وأما فى الطائفة الأولى فلم يتنبهوا لهم (قوله ببطن نخل) سـببه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى مع أصحابه جميعا الظهر فتنبه المشركون ، وقال بعضهم لبعض إنا نظفر بهم فى أوقات الصلاة وتحزب المشركون على ذلك فنزل جبريل على رسول الله بالآية وعلمه صلاة القسمة ففعلها فى صلاة العصر وقد مشى المفسر على أن هذه الآية فى صلاة بطن نخل وهو موضع من نجد إلى أرض غطفان بينه و بين المدينة يومان . وقال غيره إنها فى صلاة أرض عسفان ، وقال آخرون إنها فى ذات الرقاع (قوله ودّ الذين كفروا الخ) سبب نزولها كما قال ابن عباس

مِنَ الصَّلٰوةِ) بأن تردوها من أربع إلى اثنتين (إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ) أى ينالكم بمكروه (الَّذِينَ كَفَرُوا) بيان للواقع إذ ذاك فلا مفهوم له و بينت السنة أن المراد بالسفر الطويل وهو أربعة برد وهى مرحلتان ، و يؤخذ من قوله فليس عليكم جناح أنه رخصة لا واجب وعليه الشافعى (إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا) بيِّن العداوة (وَإِذَا كُنْتَ) يا محمد حاضرا (فِيهِمْ) وأنتم تخافون العدو (فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلٰوةَ) وهذا جرى على عادة القرآن فى الخطاب فلا مفهوم له (فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ) وتتأخر طائفة (وَلْيَأْخُذُوا) أى الطائفة التى قامت معك (أَسْلِحَتَهُمْ) معهم (فَإِذَا سَجَدُوا) أى صلوا (فَلْيَكُونُوا) أى الطائفة الأخرى (مِنْ وَرَائِكُمْ) يحرسون إلى أن تقضوا الصلاة وتذهب هذه الطائفة تحرس (وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ) معهم إلى أن تقضوا الصلاة وقد فعل صلى الله عليه وسلم كذلك ببطن نخل رواه الشيخان (وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ،

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا بنى محارب و بنى أنمار فنزلوا ولايرون من العدوّ أحدا فوضع الناس السلاح فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته حتى قطع الوادى والسماء ترش بالمطر فسال الوادى فحال السيل بين رسول الله و بين أصحابه فجلس تحت شجرة فبصر به غورث بن الحرث المحاربى فقال قتلنى الله إن لم أقتله ، ثم انحدر من الجبل ومعه السيف ولم يشعر به رسول الله إلاوهو قائم على رأسه وقد سلّ سيفه من غمده ، وقال يامحمد من يمنعك منى الآن ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ثم قال : اللهم اكفنى غورث بن الحرث بما شئت ، فأهوى غورث بالسيف ليضرب رسول الله به فأكب بوجهه من زلخة زلخها فندر السيف من يده ، فقام رسول الله وأخذ السيف ثم قال ياغورث من يمنعك منى الآن ؟ فقال لا أحد ، فقال أتشهد أن لا إله إلاالله وأن محمدا عبده ورسوله ؟ فقال لا ولكن أشهد أن لاأقاتلك ولا أعين عليك عدوّا فأعطاه رسول الله سيفه فقال غورث أنت خير منى ، فقال رسول الله أنا أحق بذلك منك فرجع غورث إلى أصحابه فقالوا له و يلك ياغورث ما منعك منه ، فقال والله لقد أهويت إليه بالسيف لاضربه به فوالله ما أدرى من زلخنى بين كتفى فخررت لوجهى وذكر لهم حاله

لَوْ تَغْفُلُونَ) إذا قمتم إلى الصلاة (عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً) بأن يحملوا عليكم فيأخذوكم وهذا علة الأمر بأخذ السلاح (وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ) فلا تحملوها وهذا يفيد إيجاب حملها عند عدم العذر وهو أحد قولين للشافعى ، والثانى أنه سنة ورجح (وَخُذُوا حِذْرَكُمْ) من العدو أى احترزوا منه ما استطعتم (إِنَّ اللهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً) ذا إهانة (فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلٰوةَ) فرغتم منها (فَاذْكُرُوا اللهَ) بالتهليل والتسبيح (قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِكُمْ) مضطجعين أى فى كل حال (فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ) أمنتم (فَأَقِيمُوا الصَّلٰوةَ) أدّوها بحقوقها (إِنَّ الصَّلٰوةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً) مكتوباً أى مفروضاً (مَوْقُوتاً) أى مقدراً وقتها فلا تؤخر عنه . ونزل لما بعث صلى الله عليه وسلم طائفة فى طلب أبى سفيان وأصحابه لما رجعوا من أحد فشكوا الجراحات (وَلاَ تَهِنُوا) تضعفوا (فِى ابْتِغَاءِ) طلب (الْقَوْمِ) الكفار لتقاتلوهم (إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ) تجدون ألم الجراح (فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ) أى مثلكم ولا يجبنوا عن قتالكم (وَتَرْجُونَ) أنتم (مِنَ اللهِ) من النصر والثواب عليه (مَالاَ يَرْجُونَ) هم ، فأنتم تزيدون عليهم بذلك فينبغى أن تكونوا أرغب منهم فيه (وَكَانَ اللهُ عَلِيماً) بكل شىء (حَكِيماً) فى صنعه .

مع رسول الله قال وسكن الوادى فقطع رسول الله الوادى إلى أصحابه وأخبرهم الخبر ، وقرأ هذه الآية . والزلخة : الدفعة (قوله لو تغفلون) أى غفلتكم (قوله فيميلون) أى يشتدون (قوله من مطر) أى لأنه يفسد بالماء (قوله (قوله أو كنتم مرضى) أى لاطاقة لكم على حمله (قوله فاذاقضيتم الصلاة) أى صلاة الخوف : أى أى تممتموها على الوجه المبين (قوله فاذكروا الله) الأمر للندب لأنه فى الفضائل ، وقوله بالتهليل والتسبيح: أى والتحميد والتكبير (قوله فى كل حال) أى فالمراد من قوله قياما وقعودا وعلى جنوبكم عموم الأحوال (قوله فأقيموا الصلاة) أى التى دخل وقتها حينئذ ومعنى إقامتها أداؤها بالشروط والأركان (قوله مقدّرا وقتها) أى مفروضا وقتا بعد وقت (قوله لما بعث) المناسب أن يقول لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر من حضر بالخروج لطلب أبى سفيان وأصحابه ، وقوله طائفة : أى وهى جميع من حضر أحدا من المؤمنين الخالصين وكانوا ستمائة وثلاثين (قوله لما رجعوا من أحد) أى فرغوا من وقعتها والضمير عائد على الصحابة فحينئذ تشاور أبوسفيان وأصحابه فى العود إلى المدينة ليستأصلوا المسلمين فبلغ ذلك رسول الله فنادى فى اليوم الثانى من وقعة أحد ليخرج من كان معنا بالأمس ولا يخرج معنا غيرهم فخرجوا حتى بلغوا إلى حمراء الأسد وتقدّم ذلك فى آل عمران (قوله ولا تهنوا) الجمهور على كسر الهاء وقرىء شذوذا بفتحها من وهن بالكسر أو الفتح (قوله فى ابتغاء القوم) أى قتالهم (قوله إن تكونوا تألمون) تعليل للنهى وتشجيع لهم، والمعنى ليس الألم مختصا بكم بل هم كذلك (قوله ولا يجبنوا) المناسب يجبنون بالنون إلا أن يقال حذفت تخفيفا (قوله والثواب عليه) أى على الجهاد فانكم تقاتلون فى سبيل الله وهم يقاتلون فى سبيل الطاغوت فأنتم أحق بالشجاعة والقدوم عليهم .

(قوله وسرق طعمة) بتثليث الطاء والكسر أفصح وأبيرق بضم الهمزة وفتح الباء بعدها راء مكسورة تصغير أبرق وطعمة من الأنصار من بنى ظفر سرق الدرع من دار جاره قتادة وكان فى جراب فيه دقيق فصار الدقيق يتناثر منه فاتهم طعمة بها فحلف كاذبا أنه ما أخذها وماله بها علم وكان ودعها عند يهودى يقال له زيد بن السمين، فقال أصحاب الدرع نتبع أثر الدقيق فتتبعوه حتى وصل إلى دار اليهودى فأخبر أنه ودعه عنده طعمة وشهد به قومه، فقال قوم طعمة نذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم نشهد أن اليهودى هو السارق فذهبوا وشهدوا زورا ولم يظهروا زورا ولم يظهر له صلى الله عليه وسلم قادح فيهم فهمّ بقطع اليهودى فنزلت الآية فأراد أن يقطع طعمة فهرب إلى مكة وارتد فنقب حائطا ليسرق متاع أهله فوقع عليه فمات مرتدا (قوله وخبأها) أى الدرع (قوله عند يهودى) أى واسمه زيد بن السمين (قوله متعلق بأنزل) أى على أنه حال منه (قوله لتحكم) متعلق بأنزلنا (قوله بما أراك) رأى عرفانية تتعدى بالهمزة لمفعولين الكاف

مفعول أول والمفعول الثانى محذوف تقديره إياه إذا علمت ذلك فالمناسب للمفسر أن يقول عرفك (قوله للخائنين) اللام للتعليل ومفعول خصيما محذوف تقديره شخصا بريئا فاللام على بابها لا بمعنى عن فقول المفسر مخاصما عنهم إيضاح للمعنى (قوله مما هممت به) أى من القضاء على اليهودى فانه ذنب صورة على حد وعصى آدم ربه فغوى فهو من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين (قوله عن الذين يختانون) أى كطعمة وقومه المعينين فانهم شركاء فى الاثم (قوله من كان خوانا) صيغة مبالغة بمعنى كثير الخيانة

وسرق طعمة بن أبيرق درعاً وخبأها عند يهودى فوجدت عنده فرماه طعمة بها وحلف إنه ماسرقها فسأل قومه النبى صلى الله عليه وسلم أنه يجادل عنه ويبرئه فنزل (إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ) القرآن (بِالْحَقِّ) متعلق بأنزل (لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ) أعلمك (اللهُ) فيه (وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ) كطعمة (خَصِيماً) مخاصما عنهم (وَاسْتَغْفِرِ اللهَ) مما هممت به (إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً . وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ) يخونونها بالمعاصى لأن وبال خيانتهم عليهم (إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّاناً) كثير الخيانة (أَثِيماً) أى يعاقبه (يَسْتَخْفُونَ) أى طعمة وقومه حياء (مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللهِ وَهُوَ مَعَهُمْ) بعلمه (إِذْ يُبَيِّتُونَ) يضمرون (مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ) من عزمهم على الحلف على نفى السرقة ورمى اليهودى بها (وَكَانَ اللهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطاً) علماً (هَا أَنْتُمْ) يا (هٰؤُلَاءِ) خطاب لقوم طعمة (جَادَلْتُمْ) خاصمتم (عَنْهُمْ) أى عن طعمة وذويه وقرئ عنه (فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) إذا عذبهم (أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً) يتولى أمرهم ويذب عنهم؟ أى لا أحد يفعل ذلك (وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً) ذنباً يسوء به غيره كرمى طعمة اليهودىَّ (أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ) بعمل ذنب قاصر عليه (ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ) منه أى يتب (يَجِدِ اللهَ غَفُوراً) له (رَحِيماً) به (وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْماً) ذنباً (فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ) لأن وباله عليها ولا يضر غيره (وَكَانَ اللهُ عَلِيماً حَكِيماً) فى صنعه (وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً) ذنباً صغيراً (أَوْ إِثْماً) ذنباً كبيراً ،

لأنه وقعت منهم خيانات كثيرة أولا السرقة ثم اتهام اليهودى ثم الحلف كاذبا ثم الشهادة زورا. إن قلت إن مقتضى الآية أن الله يحب من كان عنده أصل الخيانة مع أنه ليس كذلك. أجيب بأن ذلك بالنظر لمن نزلت فيهم وهو طعمة وقومه فالواقع أن عندهم خيانات كثيرة (قوله أى يعاقبه) تفسير لعدم محبة الله له (قوله يستخفون) أى يطلبون الخفاء والستر وهذه الجملة مستأنفة بيان لطلبهم الستر من الناس (قوله وهو معهم) الجملة حالية (قوله يضمرون) هذا هو المراد من التبييت هنا وإلا فهو فى الأصل تدبير الأمر ليلا (قوله علما) تمييز محول عن الفاعل (قوله ها أنتم) ها للتنبيه: أى تنبهوا يا مخاطبون فى المجادلة عن السارق (قوله وقرئ) أى شذوذا (قوله أى لا أحد) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفى (قوله ومن يعمل سوءا) حث وتحريض لطعمة على التوبة ومع ذلك لم يتب (قوله اليهودى) مفعول لرمى وطعمة فاعله (قوله قاصر عليه) كاليمين الكاذبة (قوله أى يتب) المراد التوبة الصادقة بشروطها فليس المراد مجرد الاستغفار باللسان مع الاصرار فانه توبة الكذابين (قوله ذنبا) أى متعلقا به أو بغيره (قوله ولا يضر غيره) إن قلت إن معصية طعمة أصابت قومه فضرتهم. أجيب بأن ضررهم إنما جاء من كذبهم لمعاونتهم له

وشهادتهم الزور معه وعزمهم على الحلف كذبا (قوله ثم يرم به) أي بالخطيئة والاثم وإنما أفرد الضمير لأن العطف بأو (قوله بريئا) صفة لموصوف محذوف : أي شخصا بريئا (قوله ولولا فضل الله الخ) جوابها قوله لهمت . واستشكل بأن الهم قد وقع منهم والمأخوذ من لولا أنه لم يقع لوجود فضل الله ورحمته . وأجيب بأن المراد هم يحصل معه الاضلال ، فالمنفي الهم في إضلالك الذي هو أبه لوجود فضل الله ورحمته (قوله بالعصمة) أي الحفظ من المعاصي والمخالفات صغيرها وكبيرها (قوله زائدة) أي في مفعول يضرونك المطلق (قوله والغيب) أي علم الغيب وهو ماغاب عنا (قوله بذلك) أي بانزال الكتاب والحكمة وتعليمه مالم يكن يعلم ، وقوله وغيره : أي كالفضائل التي اختص بها مما لايعلم كنهه إلا الله تعالى (قوله لاخير في كثير) لا نافية للجنس وخير اسمها وفي كثير متعلق بمحذوف خبرها ، وقوله من نجواهم متعلق بمحذوف حال من متعلق الخبر (قوله أي الناس) أشار بذلك إلى أن الآية عامة وليست مخصوصة بقوم طعمة المتقدم (قوله أي مايتناجون فيه ويتحدثون) أشار بذلك إلى أن معنى النجوى المحادثة من بعض القوم لبعض اثنان فوق . قال تعالى - ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم - الآية . والنجوى ضد السر وهو محادثة الانسان نفسه وعطف قوله يتحدثون على يتناجون للتفسير (قوله إلا من أمر) يحتمل أنه استثناء منقطع إن أبقينا الكلام على ظاهره لأن المستثنى الشخص والمستثنى منه الكلام ولا شك أنه غيره ويحتمل أنه متصل وهو على حذف مضاف وإليه يشير المفسر بقوله إلا نجوى الخ (قوله بصدقة) أي واجبة أو مندوبة (قوله أو معروف) المراد به كل طاعة لله فيدخل فيه جميع أعمال البر فهو من عطف العام على الخاص ، وقوله أو إصلاح بين الناس معطوف على قوله أو معروف من عطف الخاص على العام اعتناء بشأنه واهتماما به وإنما خصت الثلاثة لأن الأمر المرضى لله إما إيصال نفع وهو إما جسماني أو روحاني فالأول كالصدقات والثاني كالأمر بالمعروف أو دفع ضرر كالاصلاح بين الناس لأن المفاسد مترتبة على التشاحن وبالاصلاح يحصل الخير والبركة ودفع الشرور ولذا حث عليه

(٢٣٠)

(ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئاً) منه (فَقَدِ احْتَمَلَ) تحمل (بُهْتَاناً) برميه (وَإِثْماً مُبِيناً) بينا بكسبه (وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ) يا محمد (وَرَحْمَتُهُ) بالعصمة (لَهَمَّتْ) أضمرت (طَائِفَةٌ مِنْهُمْ) من قوم طعمة (أَنْ يُضِلُّوكَ) عن القضاء بالحق بتلبيسهم عليك (وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ) زائدة (شَيْءٍ) لأن وبال إضلالهم عليهم (وَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ) القرآن (وَالْحِكْمَةَ) ما فيه من الأحكام (وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ) من الأحكام والغيب (وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ) بذلك وغيره (عَظِيماً . لاَ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ) أي الناس ، أي ما يتناجون فيه ويتحدثون (إِلاَّ) نجوى (مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ) عمل بر (أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ) المذكور (ابْتِغَاءَ) طلب (مَرْضَاتِ اللهِ) لا غيره من أمور الدنيا (فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ) بالنون والياء أي الله (أَجْراً عَظِيماً . وَمَنْ يُشَاقِقِ) يخالف (الرَّسُولَ) فيما جاء به من الحق (مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى) ظهر له الحق بالمعجزات

(ويتبع)

صلى الله عليه وسلم بقوله «امش ميلا عد مريضا امش ميلين أصلح بين اثنين» وبالجملة فكثرة الكلام لاخير فيها . قال بعضهم من كثر لغطه كثر سقطه ، وفي الحديث «وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم» (قوله ومن يفعل ذلك) اسم الاشارة عائد على الثلاثة وإنما أفرد لأن العطف بأو . إن قلت مقتضى السياق ومن يأمر بذلك؟ أجيب بأن هذا راجع للمأمور به فاسم الاشارة عائد على المأمور به تقديره ومن يفعل المأمور به من صدقة أو معروف أو إصلاح فاستفيد من الآية أولا وآخرا ثواب الآمر والفاعل ، وفي الحديث «الدال على الخير كفاعله» . وأجيب أيضا بأنه عبر عن الأمر بالفعل لأنه فعل لساني والأقرب الأول (قوله لا غيره من أمور الدنيا) أي لأن ثواب الأعمال الصالحة منوط بالاخلاص كان من الآمر أو الفاعل فلو كان الفعل أو الأمر رياء وسمعة أو لغرض دنيوي لم يستحق عند الله أجرا (قوله بالنون والياء) أي فهما قراءتان سبعيتان وفي قراءة النون التفات من الغيبة للتكلم لأن الاسم الظاهر من قبيل الغيبة (قوله أجرا عظيما) أي وهو الجنة ومافيها . قال تعالى - للذين أحسنوا الحسنى وزيادة - وفي التعبير بسوف إشارة إلى أن جزاء الأعمال الصالحة في الآخرة لا الدنيا لأنها ليست دار جزاء بل عطاء الدنيا الكل من وجد فيها أطاع أو عصى كافرا أولا (قوله ومن يشاقق الرسول الخ) لما ذكر سبحانه وتعالى المطيعين وما أعد لهم في الآخرة ذكر وعيد الكفار وعاقبة أمرهم على عادته سبحانه في كتابه (قوله فيما جاء به من الحق) أي من الأمور التكليفية والأحكام الشرعية .

(قوله ويتبع) عطف لازم على ملزوم (قوله أى طريقهم) أى اعتقاداً وعملا (قوله نوله) هو ونصله إما بسكون الهاء أو كسرها بدون إشباع وهو المسمى بالاختلاس أو بالاشباع فالقراآت ثلاث وكلها سبعية (قوله بأن نخلى بينه) أى المشاقق وقوله وبينه أى الضلال ، والمعنى أن من خالف ماأمر الله به فان الله يستدرجه بالنعم ويمهله ولايعجل عقوبته قال تعالى : قل من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مدّا الآية (قوله وساءت مصيرا) ساء كبئس للذم فاعلها مستتر وجوبا يعود على جهنم ومصيرا تمييز المخصوص بالذم محذوف قدره المفسر بقوله هى (قوله أن يشرك به) أى إذا مات على ذلك لقوله تعالى : قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ماقد سلف (قوله لمن يشاء) أى إن مات من غير توبة (قوله فقد ضلّ ضلالا بعيدا) أى فالشرك أعظم أنواع الضلال . إن قلت قد قال فيما سبق فقد افترى إثما عظيما وهنا فقد ضلّ ضلالا بعيدا فما الحكمة فى ذلك ؟ . قلت إن ماتقدم فى شأن أهل الكتاب وهم عندهم علم بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحق وإنما كفرهم عناد فسماه الله افتراء أى كذبا، وماهنا فى شأن مشركى العرب وهم ليس لهم علم بذلك إن هم إلا كالأنعام بل هم أضلّ فلذا سماه الله ضلالا بعيدا (قوله إن يدعون) هذا كالدليل والتعليل لقوله : إنّ الله لايغفر أن يشرك به (قوله مايدعون) أشار بذلك إلى أن

(وَيَتَّبِعْ) طريقا (غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ) أى طريقهم الذى هم عليه من الدين بأن يكفر (نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى) نجعله وليا لما تولاه من الضلال بأن نخلى بينه وبينه فى الدنيا (وَنُصْلِهِ) ندخله فى الآخرة (جَهَنَّمَ) فيحترق فيها (وَسَاءَتْ مَصِيراً) مرجعا هى (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً بَعِيداً) عن الحق (إِنْ) ما (يَدْعُونَ) يعبد المشركون (مِنْ دُونِهِ) أى الله أى غيره (إِلَّا إِنَاثاً) أصناما مؤنثة كاللات والعزى ومناة (وَإِنْ) ما (يَدْعُونَ) يعبدون بعبادتها (إِلَّا شَيْطَاناً مَرِيداً) خارجا عن الطاعة لطاعتهم له فيها وهو إبليس (لَعَنَهُ اللَّهُ) أبعده عن رحمته (وَقَالَ) أى الشيطان (لَأَتَّخِذَنَّ) لأجعلن لى (مِنْ عِبَادِكَ نَصِيباً) حظا (مَفْرُوضاً) مقطوعا أدعوهم إلى طاعتى (وَلَأُضِلَّنَّهُمْ) عن الحق بالوسوسة (وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ) ألقى فى قلوبهم طول الحياة وأن لابعث ولا حساب (وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ) يقطعن (آذَانَ الْأَنْعَامِ) وقد فعل ذلك بالبحائر (وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ) دينه بالكفر وإحلال ماحرم وتحريم ما أحل (وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا) يتولاه ويطيعه (مِنْ دُونِ اللَّهِ) أى غيره (فَقَدْ خَسِرَ ،

إن نافية بمعنى ما (قوله يعبد المشركون) أطلق الدعاء على العبادة لأنه منها وكثيرا مايطلق الدعاء عليها (قوله أصناما مؤنثة) أى لتأنيث أسمائها ورد : أنه مامن مشرك إلا وكان له صنم قد سماه باسم أنثى من العرب وحلاه بأنواع الحلى وكانوا يقولون هم بنات الله (قوله كاللات والعزى ومناة) اللات مأخوذ من إله والعزى من العزيز ومناة من المنان فاقتطعوها وسموا بها أصنامهم (قوله بعبادتها) الباء سببية اى فالمسوّل لهم على عبادتها الشيطان فعبادتها لازمة لعبادة الشيطان لأنه يحضر عندهم فهم فى الصورة يعبدون الأصنام وفى الحقيقة العبادة للشيطان (قوله مريدا) أى متمردا بمعنى بلغ الغاية فى العتو والفجور لخروجه عن طاعة ربه حق أمر الناس بعبادة غير الله (قوله لعنه الله) صفة ثانية لشيطانا (قوله عن رحمته) أى جنته ومافيها (قوله وقال الخ) الجملة إما صفة لشيطانا أوحال منه أى مايدعون إلاشيطانا موصوفا بكونه مريدا وبكونه مطرودا عن رحمته وبكونه قائلا أوحال كونه قائلا وهذا القول قد وقع منه عند قول الله تعالى له : فاخرج إنك من الصاغرين (قوله نصيبا مفروضا) ورد أنهم تسعمائة وتسعة وتسعون من كل ألف لما فى الحديث « ماأنتم فيمن سواكم إلا كالشعرة البيضاء فى الثور الأسود » وورد « أن يوم القيامة يقول الله لآدم أخرج من ذرّيتك بعث النار فيقول يارب ومابعث النار فيقول الله تعالى أخرج من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين فعند ذلك تشيب الأطفال من شدة الهول» (قوله ولأضلنهم عن الحق) أى أميلن قلوبهم عن طريق الهدى والرشاد (قوله وقد فعل ذلك بالبحائر) جمع بحيرة وهى أن تلد الناقة أربعة بطون وتأتى فى الخامس بذكر فكانوا لايعملون عليها ولايأخذون نتاجها ويجعلون لبنها للطواغيت ويشقون آذانها علامة على ذلك (قوله فليغيرنّ خلق الله) أى ماخلقه ومن ذلك تغيير صفات نبينا الواقع من اليهود والنصارى وتغيير كتبهم ومن ذلك تغيير الجسم بالوشم وتغيير الشعر بالوصل لما فى الحديث « لعن الله الواشمة والمستوشمة

والواصلة والمستوصلة » (قوله خسرانا مبينا) أى لأنه ضيع رأس ماله وهى طاعة الله وعبادته (قوله إلا غرورا) أى مزين الظاهر فاسد الباطن (قوله أولئك) أى أولياء الشيطان (قوله معدلا) أى منفذا ومهربا (قوله والذين آمنوا) بيان لوعد المؤمنين إثر بيان وعيد الكفار (قوله أى وعدهم الله ذلك وعدا) أشار بذلك إلى أن وعدا وحقا منصوبان بفعلين محذوفين من لفظهما ويصح أن يكون حقا صفة لوعدا (قوله أى لا أحد) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفى وهو كالدليل لما قبله (قوله لما افتخر المسلمون وأهل الكتاب) أى حيث قال المسلمون نبينا خاتم الأنبياء وكتابنا يقضى على سائر الكتب ونحن آمنا بكتابكم ولم تؤمنوا بكتابنا فنحن أولى بالله منكم وقال أهل الكتاب كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم فنحن أولى منكم وقيل سبب نزول الآية افتخار أهل الكتاب ومشركى العرب وعليه فلا يحتاج لتأويل فى قوله يجز به بل يحمل الجزاء لكل من الفريقين على الخلود فى النار (قوله ليس الأمر منوطا) أشار بذلك إلى أن اسم ليس ضمير عائد على الأمر وقوله بأمانيكم متعلق بمحذوف خبرها أى منوطا بمعنى متعلقا ومرتبطا (قوله من يعمل سوءا) أى من مؤمن وكافر (قوله إما فى الآخرة) أى وهو محتم فى حق من مات كافرا ، وأما من مات عاصيا ولم يتب فتحت المشيئة (قوله كما ورد فى الحديث) أى وهو أن أبا بكر لما نزلت قال « يارسول الله وأينا لم يعمل السوء وإنا لمجزيون بكل سوء عملناه ؟ فقال صلى الله عليه وسلم أما أنت وأصحابك المؤمنون فتجزون بذلك فى الدنيا حتى تلقوا الله وليس عليكم ذنوب ، وأما الآخرون فيجتمع لهم ذلك حتى يجزوا به يوم القيامة » وفى رواية قال أبو بكر : فمن ينجو مع هذا ؟ فقال عليه الصلاة والسلام أما تمرض أو يصيبك البلاء قال بلى قال هو ذلك (قوله ومن يعمل) هذا مقابل قوله – من يعمل سوءا يجز به – (قوله شيئا) أشار بذلك إلى أن من للتبعيض (واتبع

خُسْرَانًا مُبِينًا) بينا لمصيره إلى النار المؤبدة عليه (يَعِدُهُمْ) طول العمر (وَيُمَنِّيهِمْ) نيل الآمال فى الدنيا وأن لابعث ولا جزاء (وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ) بذلك (إِلَّا غُرُورًا) باطلا (أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا) معدلا (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا) أى وعدهم الله ذلك وعدا وحقه حقا (وَمَنْ) أى لا أحد (أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا) أى قولا . ونزل لما افتخر المسلمون وأهل الكتاب (لَيْسَ) الأمر منوطا (بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ) بالعمل الصالح (مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ) إما فى الآخرة أو فى الدنيا بالبلاء والمحن كما ورد فى الحديث (وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ) أى غيره (وَلِيًّا) يحفظه (وَلَا نَصِيرًا) يمنعه منه (وَمَنْ يَعْمَلْ) شيئا (مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ) بالبناء للمفعول والفاعل (الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا) قدر نقرة النواة (وَمَنْ) لا أحد (أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ) أى انقاد وأخلص عمله (لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ) موحد ،

لأنه لا يمكن استيفاء جميع الأعمال الصالحة (قوله من الصالحات) الجار والمجرور متعلق بشيئا الذى قدّره المفسر (قوله من ذكر أو أنثى) حال من الضمير فى يعمل وكذا قوله وهو مؤمن ، وأما الكافر فأعماله الصالحة ضائعة قال تعالى : وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا (قوله فأولئك) هذه الجملة جواب الشرط (قوله بالبناء للمفعول) أى والجنة مفعول ثان والواو نائب الفاعل مفعول أوّل لأنه من أدخل الرباعى فهو ينصب مفعولين وقوله والفاعل أى من دخل فهو ينصب مفعولا واحدا فمفعوله الجنة والواو فاعله وهما قراءتان سبعيتان (قوله ولا يظلمون نقيرا) أى لا ينقصون شيئا أبدا لا قليلا ولا كثيرا ، ويؤخذ من الآية أن جزاء الأعمال الصالحة فى الآخرة ، وأما النعم التى يعطاها المؤمن فى الدنيا من عافية ورزق وغير ذلك فليست جزاء لأعماله الصالحة بل تكفل الله بها لكل حىّ فى الدنيا مسلما أو كافرا بل بعض العبيد من أهل المحبة فى الله لا ينتظر بعمله الجنة بل يقول إنما عبدناك لذاتك لا لشىء آخر . قال العارف ابن الفارض حين كشف له عن الجنة وما أعدّ له فيها فى مرض موته :

إن كان منزلتى فى الحب عندكم ما قد رأيت فقد ضيعت أيامى

(قوله أى لا أحد) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفى (قوله ممن أسلم وجهه) أى نفسه وذاته وعبر عنها بالوجه لأنه أشرف أعضاء الانسان (قوله وهو محسن) الجملة حال من ضمير أسلم .

(قوله واتبع) إما عطف لازم على ملزوم أوعلة على معلول أوحال ثانية ، والقصد بذلك إقامة الحجة على المشركين جميعا فى عدم اتباعهم لمحمد صلى الله عليه وسلم لأن إبراهيم متفق على مدحه حتى من اليهود والنصارى فالمعنى ماتقولون فيمن اتبع ملة إبراهيم فيقولون لاأحد أحسن منه فيقال لهم إن محمدا على ملة إبراهيم فلم لم تتبعوه وتتركوا ماأنتم عليه من عبادة غير الله (قوله حال) أى إما من ضمير اتبع أومن إبراهيم ولصحة هذين المعنيين أجمل المفسر فى الحال (قوله خالص المحبة له) أى لم يجعل فى قلبه غير محبة ربه لتخللها فى حشاشته وانطباعها فى مهجته وقوله : واتخذ الله إبراهيم خليلا كالدليل لما قبله أى من اتخذه الله خليلا فهو جدير بأن تتبع ملته (قوله ولله مافى السموات ومافى الأرض) هذا دليل لما تقدم أى حيث كانت السموات ومافيها والأرض ومافيها لله وحده ولامشارك له فى شئ من ذلك فما معنى إشراك من لايملك لنفسه شيئا مع من له جميع المخلوقات وهو آخذ بناصيتها ، وقيل أتى بهذه الآية دفعا لما يتوهم أن اتخاذ إبراهم خليلا عن احتياج كما هو شأن الآدميين بل ذلك من فضله وكرمه (قوله علما وقدرة) أشار بذلك لقولين فى تفسير قوله محيطا قيل علما وقيل قدرة وكل صحيح (قوله أى لم يزل) أشار بذلك إلى أن كان للاستمرار لاللانقطاع (قوله يطلبون منك الفتوى) أى بيان ماحكم الله به فى شأنهن والفتوى بالواو فتفتح الفاء وبالياء فتضم وجمعها فتاوى بكسر الواو ويجوز الفتح للخفة (قوله فى شأن النساء) أى مايتعلق بهن من دفع المهر لهنّ وعدم إيذائهن (قوله وميراثهنّ) عطف خاص ردّا على من كان يمنعه من الجاهلية (قوله يفتيكم) أى يبين لكم تلك الأحكام (قوله ومايتلى عليكم) يحتمل أن مامعطوف على لفظ الجلالة أوعلى الضمير المستتر فى يفتيكم والفاصل موجود وهو الكاف لقول ابن مالك :

وان على ضمير رفع متصل عطفت فافصل بالضمير المنفصل أوفاصل ما ، وعلى كل فيكون المعنى الله سبحانه وتعالى وكتابه والتغاير بالاعتبار فالمعنى يفتيكم بنفسه على لسان نبيه وبكتابه على لسان نبيه فتأمل وفيه مزيد اعتنـاء بتلك الفتوى (قوله من آية الميراث) أى وهى قوله تعالى : يوصيكم الله فى أولادكم الآيات وكذلك الوصية التى تقدمت فى أوائل السورة كقوله : وعاشروهنّ بالمعروف فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا، فالمناسب للمفسر أن لايقتصر على آية الميراث (قوله ويفتيكم أيضا) أشار بذلك إلى أن قوله فى يتامى النساء متعلق بمحذوف معطوف على الضمير فى قوله فيهنّ والعاطف محذوف ، التقدير الله وكتابه يفتيكم فى شأن النساء عموما والله وكتابه يفتيكم فى يتامى النساء فهو من عطف الخاص على العام والنكتة الاعتناء بشأنهنّ (قوله فى يتامى النساء) الاضافة على معنى من أى اليتامى من النساء أومن إضافة الصفة للموصوف أى النساء اليتامى (قوله من الميراث) أى وباقى الحقوق كالمهور (قوله عن أن تنكحوهنّ) معلوم أن حذف الجار مع أنّ وأن مطرد وانما قدّر عن إشارة إلى أن الرغبة بمعنى الزهد فتتعدى بعن وبعضهم قدر فى إشارة إلى أن الرغبة بمعنى الحب والمعنى تحبون وترغبون فى نكاحهنّ لمالهنّ ولولا ذلك ماتزوّجتموهن وهو مذموم أيضا بل الواجب تقوى الله فيهنّ فانّ أكل مال اليتيم فيه الوعيد الشديد فضلا عن كون اليتيم امرأة لاناصر لها روى مسلم عن عائشة قالت : هذه اليتيمة تكون فى حجر وليها فيرغب فى جمالها ومالها ويريد أن ينقص صداقها فنهوا عن نكاحهن إلا أن يقسطوا لهنّ فى إكمال الصداق وأمروا بنكاح من سواهنّ قالت عائشة رضى الله عنها فاستفتى الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عزوجل : ويستفتونك فى النساء إلى قوله : وترغبون أن تنكحوهنّ ، فبين لهم أن اليتيمة إذا كانت ذات جمال ومال رغبوا فى نكاحها ولم يلحقوها بسنتها فى إكمال الصداق وإذا كانت مرغوبا عنها فى قلة المال والجمال تركوها والتمسوا غيرها ، قال فكما يتركونها حين يرغبون عنها فليس لهم أن ينكحوها إذا رغبوا فيها إلا ان يقسطوا لها ويعطوها حقها الأوفى من الصداق وقد تقدم بسط ذلك أوّل السورة .

(وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ) الموافقة لملة الاسلام (حَنِيفاً) حال أى مائلا عن الأديان كلها إلى الدين القيم (وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً) صفيًّا خالص المحبة له (وَلِلهِ مَا فِى السَّمٰوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ) ملكا وخلقا وعبيدا (وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُحِيطًا) علما وقدرة أى لم يزل متصفا بذلك (وَيَسْتَفْتُونَكَ) يطلبون منك الفتوى (فِى) شأن (النِّسَاءِ) وميراثهن (قُلِ) لهم (اللهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِى الْكِتَابِ) القرآن من آية الميراث ويفتيكم أيضا (فِى يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِى لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ) فرض (لَهُنَّ) من الميراث (وَتَرْغَبُونَ) أيها الأولياء عن (أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ) ،

لدمامتهن وتعضلوهن أن يتزوجن طمعا فى ميراثهن، أى يفتيكم أن لاتفعلوا ذلك (وَ) فى (الْمُسْتَضْعَفِينَ) الصغار (مِنَ الْوِلْدَانِ) أن تعطوهم حقوقهم (وَ) يأمركم (أَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ) بالعدل فى الميراث والمهر (وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا) فيجازيكم به (وَإِنِ امْرَأَةٌ) مرفوع بفعل يفسره (خَافَتْ) توقعت (مِنْ بَعْلِهَا) زوجها (نُشُوزًا) ترفعا عليها بترك مضاجعتها والتقصير فى نفقتها لبغضها وطموح عينه إلى أجل منها (أَوْ إِعْرَاضًا) عنها بوجهه (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَصَّالَحَا) فيه إدغام التاء فى الأصل فى الصاد وفى قراءة يصلحا من أصلح (بَيْنَهُمَا صُلْحًا) فى القسم والنفقة بأن تترك له شيئا طلبا لبقاء الصحبة فإن رضيت بذلك وإلا فعلى الزوج أن يوفيها حقها أو يفارقها (وَالصُّلْحُ خَيْرٌ) من الفرقة والنشوز والاعراض، قال تعالى فى بيان ما جبل عليه الإنسان (وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ) شدة البخل، أى جبلت عليه فكأنها حاضرته لاتغيب عنه والمعنى أن المرأة لاتكاد تسمح بنصيبها من زوجها والرجل لايكاد يسمح عليها بنفسه إذا أحب غيرها،

(قوله لدمامتهن) أى نفرهن (قوله وتعضلوهن) أى تمنعوهن وهذا التخويف للأولياء كما هو مقتضى المفسر وفى الحقيقة هو عام للأولياء ومن يتزوج بها فتخويف الولى من حيث عضلهن عن الزواج لأخذ مالهن وتخويف الزوج من حيث تزوجها لأخذ مالها أو بغير مهر مثلها وعدم إعطائها إياه وبالجملة فلا يجوز لولى ولا زوج أكل مال اليتيم ميراثا أو مهرا (قوله والمستضعفين) معطوف على يتامى عطف عام على خاص (قوله من الولدان) أى ذكورا أو إناثا وكانوا فى الجاهلية لا يورثون الصبيان مطلقا ولا النساء وإنما كانوا يقولون لا نورث إلا من يحمى الحوزة ويذب عن الحرم فيحرمون المرأة والصبى (قوله وأن تقوموا لليتامى) معطوف على قوله فى يتامى من عطف العام أيضا ويصح نصبه باضمار فعل وهو الذى مشى عليه المفسر بقوله ويأمركم وهو خطاب للأولياء والحكام، والمراد باليتامى مطلقا ذكورا أو إناثا (قوله من خير) بيان لما (قوله مرفوع بفعل يفسره خافت) أى فهو من باب الاشتغال ولا يصح جعله مبتدأ لأن أداة الشرط لايليها إلا الفعل ولو تقديرا ونظيره وإن أحد من المشركين استجارك (قوله خافت) الخوف توقع الأمر المكروه فقوله توقعت أى انتظرته (قوله زوجها) أى ويقال له سيد أيضا قال تعالى - وألفيا سيدها - والسيد والبعل مختصان بالرجل والزوج كما يطلق على الرجل يطلق على المرأة (قوله بترك مضاجعتها) الباء سببية والمراد بالترك التقليل من ذلك (قوله والتقصير فى نفقتها) أى التقليل منها مع كونه لم يكن ترك الحقوق الواجبة، إلا فصالحه بالمال على ترك الحقوق الواجبة يحرم عليه ولايحل له أخذه مع أن الموضوع أنه لاجناح عليه ولاعليها فيه فتأمل (قوله وطموح عينه) أى تلفته ونظره إلى غيرها (قوله إلى أجل منها) أى ولو بحسب ماعنده (قوله أو إعراضا) معطوف على نشوزا، والمراد بالاعراض عنها بوجهه عدم البشاشة معها ولقاؤها بوجه عبوس قال الشاعر:

وللغدر عين لن تزال عبوسة … وعين الرضا مصحوبة بالتبسم

(قوله فلا جناح عليهما) أى لا إثم (وإن فى ذلك على المرأة إذا صالحته على ترك القسم أو النفقة أو الكسوة ولا على الرجل فى قبول ذلك منها ونفى الجناح عن الرجل ظاهر لأنه يأخذ منها شيئا فهو مظنة الجناح وأما نفى الجناح عن المرأة فمن حيث دفع ذلك لأنه ربما يقال إنه كالربا فانه حرام على الدافع والآخذ (قوله فيه إدغام التاء) أى بعد قلبها صادا وتسكينها (قوله وفى قراءة يصلحا) أى وهى سبعية أيضا، وقوله صلحا مفعول مطلق على كلا القراءتين ويصح على القراءة الثانية جعله مفعولا به إن ضمن يصلحا معنى يوفقا، وقوله بينهما حال من قوله صلحا لأنه نعت نكرة قدم عليها وأقحمه إشارة إلى أنه ينبغى أن يكون ذلك الصلح سرا لا يطلع عليه إلا أهلهما (قوله بأن تترك له شيئا) أى مما لها عليه من الحقوق كالنفقة والكسوة والمبيت (قوله فان رضيت بذلك) جواب الشرط محذوف تقديره لزمها ذلك (قوله والصلح خير) هذه الجملة كالتى بعدها معترضة بين جملة الشرط الأولى والثانية، وقوله خير اسم تفضيل والمفضل عليه محذوف قدره المفسر بقوله من الفرقة. لايقال الفرقة لاخير فيها إلا أن يقال قد يكون فى الفرقة خير أيضا لكنه متوهم، وأما خيرية الصلح فمحققة وقيل إنه ليس على بابه بل المعنى الصلح خير من الخيور كما أن النشوز شر من الشرور (قوله وأحضرت الأنفس الشح) الأنفس نائب فاعل أحضرت مفعول أول والشح مفعول ثان، والمعنى أحضر الله الأنفس الشح أى جبلها عليه فمتى تعلقت الأنفس بشىء فلا ترجع عنه إلا بمشقة (قوله والمعنى) أى المراد من الآية وفى ذلك ترغيب فى الصلح وترك هوى النفس،

(قوله عشرة النساء) قدره إشارة إلى أن مفعول تحسنوا محذوف (قوله بما تعملون) أى بعملكم مع النساء خيرا أو شرا (قوله فى المحبة) أى والمحادثة والضاجعة (قوله فلا تميلوا كل الميل) أى فلا تعرضوا كل الأعراض بل يلزمكم العدل فى المبيت وتركه حرام لما فى الحديث «من لم يعدل بين نسائه جاء يوم القيامة وشقه ساقط» وأما الميل القلبى إلى إحداها فلاحرج فيه ولذا قال عليه الصلاة والسلام «اللهم إن هذا قسمى فيما أملك فلا تؤاخذنى فيما لا أملك» (قوله الممال عليها) على بمعنى عن أى الممال عنها بمعنى المبغوضة (قوله كالمعلقة) الكاف بمعنى مثل مفعول ثان لتذروا والهاء مفعول أول لأنها إذا كانت بمعنى ترك تنصب مفعولين (قوله التى لا هى أيم) الأيم هى التى لا زوج لها كان سبق لها زواج أو لم تزوج أصلا (قوله وإن يتفرقا) مقابل قوله فلا جناح عليهما أن يصالحا (قوله بأن يرزقها زوجا غيره) أى و إن كان لأحدها عشق فى الآخر يغنيه الله بأن يرد

(وَإِنْ تُحْسِنُوا) عشرة النساء (وَتَتَّقُوا) الجور عليهن (فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا) فيجازيكم به (وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا) تسووا (بَيْنَ النِّسَاءِ) فى المحبة (وَلَوْ حَرَصْتُمْ) على ذلك (فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ) إلى التى تحبونها فى القسم والنفقة (فَتَذَرُوهَا) أى تتركوا الممال عنها (كَالْمُعَلَّقَةِ) التى لا هى أيم ولا ذات بعل (وَإِنْ تُصْلِحُوا) بالعدل فى القسم (وَتَتَّقُوا) الجور (فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا) لما فى قلبكم من الميل (رَحِيمًا) بكم فى ذلك (وَإِنْ يَتَفَرَّقَا) أى الزوجان بالطلاق (يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا) عن صاحبه (مِنْ سَعَتِهِ) أى فضله بأن يرزقها زوجا غيره ويرزقه غيرها (وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا) لخلقه فى الفضل (حَكِيمًا) فيما دبره لهم (وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ) بمعنى الكتب (مِنْ قَبْلِكُمْ) أى اليهود والنصارى (وَإِيَّاكُمْ) يا أهل القرآن (أَنِ) أى بأن (اتَّقُوا اللَّهَ) خافوا عقابه بأن تطيعوه (وَ) قلنا لهم ولكم (إِنْ تَكْفُرُوا) بما وصيتم به (فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) خلقا وملكا وعبيدا فلا يضره كفركم (وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا) عن خلقه وعبادتهم (حَمِيدًا) محمودا فى صنعه بهم (وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) كرره تأكيدا لتقرير موجب التقوى (وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا) شهيدا بأن ما فيهما له (إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ) يا (أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ) بدلكم (وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا. مَنْ كَانَ يُرِيدُ) بعمله (ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) لمن أراده لا عند غيره فلم يطلب أحدهما الأخس وهلا طلب الأعلى باخلاصه له حيث كان مطلبه لا يوجد إلا عنده (وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ) قائمين (بِالْقِسْطِ) بالعدل (شُهَدَاءَ) بالحق (لِلَّهِ،

قلبه من ذلك (قوله فى الفضل) متعلق بواسعا (قوله ولله ما فى السموات الخ) هذا كالعلة والدليل لقوله وكان الله واسعا حكيما (قوله فلا يضره كفركم) أى فليس أمرهم بالطاعة عن احتياج تنزه الله عن أن يصل له نفع من طاعتهم أو ضرر من كفرهم وهذا هو جواب الشرط، وقوله فإن لله ما فى السموات وما فى الأرض دليل الجواب (قوله إن يشأ يذهبكم) أى يستأصلكم بالمرة، وقوله ويأت بآخرين أى بقوم آخرين دفعة مكانكم (قوله من كان يريد ثواب الدنيا) جواب الشرط محذوف تقديره فقد ساء عمله وخاب نظره، وقوله فعند الله ثواب الدنيا والآخرة مرتب على محذوف التقدير فلا يقصر نظره وطلبه على أحدها فعند الله الخ (قوله لمن أراده) متعلق بقوله فعند الله ثواب الدنيا والآخرة وهذا معنى قوله تعالى — فمن الناس من يقول ربنا آتنا فى الدنيا وماله فى الآخرة من خلاق — الآية (قوله وهلا طلب الأعلى باخلاصه) أى فالواجب على المكلف أن لا يطلب بعمله الصالح إلا الآخرة لأن الدنيا مضمونة لكل حيوان (قوله يا أيها الذين آمنوا) قيل سبب نزولها أن غنيا وفقيرا اختصما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان النبى صلى الله عليه وسلم يرى أن الفقير لا يظلم الغنى فنزلت الآية فالخطاب للنبى وأمته (قوله قائمين) هذا بيان لأصل المادة وإلا فالمراد مديمين القيام لأن صيغة المبالغة لا تتحقق إلا بالدوام على القيام بالقسط يقال قسط يقسط: جار وعدل، والمراد هنا العدل بقرينة المقام، وأما أقسط فمعناه عدل لا غير واسم الفاعل من الأول قاسط ومن الثانى مقسط، وقوله شهداء خبر ثان لكونوا والواو اسمها وقوامين خبر أول (قوله بالحق) أى لا بالباطل فلا تجوز الشهادة به، وقوله لله أى لمحض وجهه لا لغرض آخر.

(قوله ولو على أنفسكم) الجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر لكان المحذوفة لأن حذف كان مع اسمها بعد لو كثير . قال ابن مالك :

ويحذفونها ويبقون الخبر   وبعد إن ولو كثيرا ذا اشتهر

أى هذا إذا كانت الشهادة على الغير بل ولو على النفس (قوله بأن تقروا بالحق) أى فالمراد بالشهادة الاقرار ، ويحتمل أن تكون الشهادة على حقيقتها وهى الاخبار عن الغير بأمر كأن يكون شاهدا على ابنه مثلا بحق فالواجب أداؤها ولو حصل منها ضرر للنفس (قوله أو الوالدين) فى حيز المبالغة ولاعبرة بغضبهما حينئذ إذا كان الولد شاهدا عليهما بحق (قوله إن يكن المشهود عليه) أى من الوالدين والأقربين والأجانب (قوله فالله أولى بهما) استشكل تثنية الضمير مع كون العطف بأو . وأجيب بأن الضمير ليس عائدا على الغنى والفقير المتقدمين بل هو عائد على جنسهما المدلول عليه بالمذكورين ويدل على ذلك قراءة أبى : فالله أولى بهم . وأجيب أيضا بأن أو للتقسيم للمشهود له والمشهود عليه لأنهما إما أن يكونا غنيين أو فقيرين أو المشهود له غنيا والمشهود عليه فقيرا أو بالعكس فالضمير فى الحقيقة عائد على المشهود له والمشهود عليه . وقد يجاب أيضا بأن أو بمعنى الواو (قوله لرضاه) أى الغنى فربما واساكم ، وقوله بأن تحابوا تصوير للمنفى (قوله لأن لا تعدلوا) تعليل للنهى لأن من اتبع الهوى فقد اتصف بالجور ومن ترك اتباعه فلا يتصف به فيصير المعنى انتهوا عن اتباع الهوى لأجل أن لا يحصل (٢٣٦) منكم جور وهذا ما مشى عليه المفسر من أن العدل بمعنى الجور فاحتاج إلى تقدير لا ، وقال فى الكشاف إن العدل ضد الجور وعليه فليس فيه تقدير لا ويصير المعنى انتهوا عن اتباع الهوى لأجل اتصافكم بالعدل وكل صحيح والثانى أقرب لعدم الكلفة (قوله تحرفوا الشهادة) أى بأن يشهد على خلاف ما يعلم من الدعوى (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا وأصل تلووا تلويون استثقلت الضمة على الياء فنقلت للواو قبلها بعد سلب حركتها فحذفت الياء التى هى لام الكلمة وحذفت النون للجازم فصار وزنه تفعوا وعلى القراءة الثانية حذفت عين الكلمة (بشر) التى هى الواو الأولى بعد نقل ضمتها إلى اللام فصار وزنه تفوا وفيه إجحاف لأنه لم يبق إلا فاؤها (قوله أو تعرضوا) أى بأن تنكروها من أصلها فالعطف مغاير خلافا لمن قال بالترادف (قوله فان الله) دليل الجواب والجواب محذوف تقديره يعاقبكم على ذلك لأن الله كان بما تعملون خبيرا (قوله يا أيها الذين آمنوا الخ) ذكر هذه الآية بعد الأمر بالعدل من ذكر السبب بعد المسبب لأن الايمان سبب للعدل (قوله داوموا الخ) دفع بذلك ما يقال إن فيه تحصيل الحاصل والمعنى داوموا على الايمان بفعل الطاعات لأن فعلها يزيد فى الايمان ولا تكونوا ممن بدل وغير ممن سيأتى ذكرهم والتشنيع عليهم (قوله بمعنى الكتب) أى فأل للجنس (قوله فى الفعلين) أى نزل وأنزل وفاعل الانزال هو الله تعالى (قوله ومن يكفر بالله وملائكته) أى بشىء من ذلك بأن أنكر صفة من صفات الله أو سب ملائكته أو أنكر الكتب السماوية أو سب رسله أو أنكر رسالتهم أو لم يصدق باليوم الآخر فالكفر بواحد من هذه المذكورات كاف فى استحقاق الوعيد لأن الايمان بكل واحد أصل من أصول الدين (قوله بعده) أى بعد رجوعه إليهم من المناجاة (قوله ما أقاموا عليه) أى مدة إقامتهم عليه ودفع بذلك ما يقال إن ظاهر الآية يقتضى عدم المغفرة لهم ولو تابوا فأفاد أن عدم المغفرة لهم مقيد بمدة إقامتهم على الكفر أما إن تابوا ورجعوا عنه فان الله يقبل توبتهم

وَلَوْ) كانت الشهادة (عَلَى أَنْفُسِكُمْ) فاشهدوا عليها بأن تقروا بالحق ولا تكتموه (أَوِ) على (الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ) المشهود عليه (غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا) منكم وأعلم بمصالحهما (فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى) فى شهادتكم بأن تحابوا الغنى لرضاه أو الفقير رحمة له لـ(أَنْ) لا (تَعْدِلُوا) تميلوا عن الحق (وَإِنْ تَلْوُوا) تحرفوا الشهادة وفى قراءة بحذف الواو الأولى تخفيفا (أَوْ تُعْرِضُوا) عن أدائها (فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا) فيجازيكم به (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا) داوموا على الإيمان (بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ) محمد صلى الله عليه وسلم وهو القرآن (وَالْكِتَابِ الَّذِي أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ) على الرسل بمعنى الكتب وفى قراءة بالبناء للفاعل فى الفعلين (وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا) عن الحق (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا) بموسى وهم اليهود (ثُمَّ كَفَرُوا) بعبادة العجل (ثُمَّ آمَنُوا) بعده (ثُمَّ كَفَرُوا) بعيسى (ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا) بمحمد (لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ) ما أقاموا عليه (وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا) طريقا إلى الحق ،

(بَشِّرِ) أخبر يامحمد (الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) مؤلما هو عذاب النار (الَّذِينَ) بدل أو نعت للمنافقين (يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ) لما يتوهمون فيهم من القوة (أَيَبْتَغُونَ) يطلبون (عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ) استفهام إنكارى أى لايجدونها عندهم (فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا) فى الدنيا والآخرة ولا ينالها إلا أولياؤه (وَقَدْ نَزَّلَ) بالبناء للفاعل والمفعول (عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ) القرآن فى سورة الأنعام (أَنْ) مخففة واسمها محذوف أى أنه (إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ) القرآن (يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ) أى الكافرين والمستهزئين (حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا) إن قعدتم معهم (مِثْلُهُمْ) فى الاثم (إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا) كما اجتمعوا فى الدنيا على الكفر والاستهزاء (الَّذِينَ) بدل من الذين قبله (يَتَرَبَّصُونَ) ينتظرون (بِكُمْ) الدوائر (فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ) ظفر وغنيمة (مِنَ اللَّهِ قَالُوا) لكم (أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ) فى الدين والجهاد فأعطونا من الغنيمة (وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ) من الظفر عليكم (قَالُوا) لهم (أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ)

قال تعالى – قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ماقد سلف – وخبر كان فى الآية محذوف وهو متعلق اللام تقديره لم يكن الله مريدا ليغفر لهم والفعل منصوب بأن مضمرة بعد هذه اللام لأنها لام الجحود والفعل فى تأويل مصدر معمول لمريدا التقدير لم يكن الله مريدا غفران كفرهم (قوله بشر) البشارة فى الأصل هى الخبر السار سمى بذلك لأنه يغير البشرة : أى الجلد (قوله أخبر) أشار بذلك إلى أن المراد بالبشارة هنا مطلق الاخبار وسماه بشارة تهكما بهم وإشارة إلى أن وعيدهم بالعذاب لايخلف كما أن وعد المؤمن بالخير لايخلف وفى الكلام استعارة تبعية حيث شبهت النذارة بالبشارة واستعير اسم المشبه به للمشبه واشتق من البشارة بشر بمعنى أنذر والجامع التأثر فى كل لأن من سمع الخبر الضار تأثر به ومن سمع الخبر السار تأثر به (قوله المنافقين) أى وهم الذين يسرون الكفر ويظهرون الاسلام . والنفاق قسمان : عملى واعتقادى ، فالعملى أشار إليه صلى الله عليه وسلم بقوله « إذا حدث كذب و إذا وعد أخلف و إذا اؤتمن خان » والاعتقادى هو إظهار الاسلام وإخفاء الكفر (قوله أولياء) أى أصحابا يوالونهم ويستعزون بهم لزعمهم أن الكفار لهم اليد العليا وأن الاسلام سيهدم لقلة أهله (قوله استفهام إنكارى) أى بمعنى النفى (قوله إلا أولياؤه) أى المؤمنون ، قال تعالى – ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لايعلمون – (قوله وقد نزل عليكم) أى يأيها المؤمنون والذى نزل هو قوله تعالى – و إذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره – وهذا نزل بمكة لأن المشركين كانوا يخوضون فى القرآن ويستهزئون به ، فلما هاجر النبى صلى الله عليه وسلم إلى المدينة صار اليهود يفعلون مثل المشركين وكان المنافقون يجلسون إليهم ويسمعون منهم الخوض ويستهزئون معهم ، فنهى الله تعالى المؤمنين عن مجالستهم والقعود معهم (قوله بالبناء للفاعل) أى والفاعل ضمير يعود على الله تعالى وأن وما دخلت عليه فى تأويل مصدر مفعوله وهذا على كونه مشددا وقرئ بالبناء للفاعل مخففا فأن وما دخلت عليه فى تأويل مصدر فاعل وقوله والمفعول : أى مشددا وأن وما دخلت عليه فى تأويل مصدر نائب فاعل (قوله يكفر بها) أى إما من غير استهزاء وهو الواقع من المشركين واليهود أو مع الاستهزاء وهو الواقع من المنافقين (قوله أى الكافرين) أى كالمشركين واليهود وقوله والمستهزئين : أى وهم المنافقون وسموا مستهزئين لقولهم إذا خلوا بشياطينهم إنا معكم إنما نحن مستهزئون (قوله فى حديث غيره) أى غير الحديث المتقدم من الكفر والاستهزاء (قوله إنكم إذا مثلهم) أى مشاركون لهم فى الاثم ، قال بعضهم :

وسمعك صن عن سماع القبيح … كصون اللسان عن النطق به
فانك عند سماع القبيح … شريك لقائله فانتبه

(قوله فى الاثم) أى كفرا أو غيره فالراضى بالكفر كافر والراضى بالمحرم عاص وبالجملة فجليس الطائع مثله وجليس العاصى مثله (قوله إن الله جامع المنافقين الخ) هذا كالعلة والدليل لقوله إنكم إذا مثلهم (قوله من الذين قبله) أى وهو قوله الذين يتخذون الكافرين أولياء والأحسن أنه نعت ثان للمنافقين (قوله فان كان لكم فتح) أى بأن كانت الغلبة للمؤمنين والخذلان للكفار (قوله من الظفر عليكم) أى كما وقع فى أحد (قوله ألم نستحوذ) الاستحواذ الاقتدار والاستيلاء .

(قوله فأبقينا عليكم) أى رفقنا بكم ورحمناكم (قوله فلنا عليكم المنة) أى فأعطونا نصيبا من الدنيا فهم لاحظ لهم بغير أخذ المال (قوله بالاستئصال) دفع بذلك مايقال إن الكفار بالمشاهدة لهم سبيل على المؤمنين فى الدنيا . فأجاب المفسر بأن معنى ذلك أن الكفار لايستأصلون المؤمنين . ويجاب أيضا بأن المراد فى القيامة فلا يطالبونا بشئ يوم القيامة أو المراد سبيلا بالشرع فان شريعة الاسلام ظاهرة إلى يوم القيامة فمن ذلك أن الكافر لايرث المسلم وليس له أن يملك عبدا مسلما ولا يقتل المسلم بالذمى (قوله يخادعون الله) أى رسوله وهذا بيان لبعض قبائحهم (قوله باظهارهم خلاف ما أبطنوه) أى من إظهار الايمان و إخفاء الكفر (قوله فيفتضحون فى الدنيا) أى و يفتضحون فى الآخرة أيضا لما روى أنه يوم القيامة حين يمتاز الكفار من المؤمنين تبقى هذه الأمة وفيها منافقوها فيتجلى الله لهم فيخر المؤمنون سجدا والمنافقون تصير ظهورهم طبقا فلايستطيعون السجود وروى أنهم يعطون على الصراط نورا كما يعطى المؤمنون فيمضون بنورهم ثم يطفأ نورهم و يبقى نور المؤمنين فينادون المؤمنين انظرونا نقتبس من نوركم وهو معنى قوله تعالى ـ يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم ـ الآية (قوله كسالى) أى لعدم الداعية فى قلوبهم وهو نصب على الحال والكسل الفتور والتوانى وقوله يراءون الناس أى النبي وأصحابه ، والمعنى أنهم يقصدون بصلاتهم النجاة من النبي وأصحابه والجملة حال من كسالى (قوله يصلون) إنما سميت الصلاة ذكرا لأنها اشتملت عليه (قوله مذبذبين) حال من فاعل يراءون وحقيقة المذبذب ما يذب ويدفع عن كلا الجانبين مرة بعد أخرى وقد أفاده المفسر بقوله مترددين (قوله لاإلى هؤلاء الخ) متعلق فى الموضعين بمحذوف حال من مذبذبين قدره المفسر بقوله منسوبين (قوله أى الكفار) أى فيقتلون و يترتب عليهم أحكامه وقوله أى المؤمنين أى فينجون فى الدنيا والآخرة (قوله ياأيها الذين آمنوا) خطاب للمؤمنين الخاص (قوله لاتتخذوا الكافرين) أى كما فعل المنافقون فترتب عليه الوعيد العظيم فاحذروا ذلك (قوله أتريدون) الاستفهام إنكارى بمعنى النفى أى لاتريدون ذلك (قوله فى الدرك الأسفل) الدركات بالكاف منازل أهل النار والدرجات بالجيم منازل أهل الجنة (قوله وهو قعرها) أى لأنها سبع طبقات العليا لعصاة المؤمنين وتسمى جهنم والثانية لظى للنصارى والثالثة الحطمة لليهود والرابعة السعير للصابئين والخامسة سقر للمجوس والسادسة الجحيم للمشركين والسابعة الهاوية للمنافقين وفرعون وجنوده لقوله تعالى ـ أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ـ (قوله إلا الذين) استثناء من قوله إن المنافقين (قوله مايفعل الله بعذابكم) ما استفهامية والباء سببية والاستفهام إنكارى بمعنى النفى : أى لايفعل بعذابكم شيئا حيث حسنت توبتكم

نستول (عَلَيْكُمْ) ونقدر على أخذكم وقتلكم فأبقينا عليكم (وَ) ألم (نَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) أن يظفروا بكم بتخذيلهم ومراسلتكم بأخبارهم فلناعليكم المنة قال تعالى (فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ) و بينهم (يَوْمَ الْقِيَامَةِ) بأن يدخلكم الجنة ويدخلهم النار (وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً) طريقا بالاستئصال (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ) باظهارهم خلاف ما أبطنوه من الكفر ليدفعوا عنهم أحكامه الدنيوية (وَهُوَ خَادِعُهُمْ) مجازيهم على خداعهم فيفتضحون فى الدنيا باطلاع الله نبيه على ما أبطنوه ويعاقبون فى الآخرة (وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ) مع المؤمنين (قَامُوا كُسَالَى) متثاقلين (يُرَاءُونَ النَّاسَ) بصلاتهم (وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ) يصلون (إِلَّا قَلِيلاً) رياء (مُذَبْذَبِينَ) مترددين (بَيْنَ ذَلِكَ) الكفر والايمان (لَا) منسوبين (إِلَى هَؤُلَاءِ) أى الكفار (وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ) أى المؤمنين (وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً) طريقا إلى الهدى (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ) بموالاتهم (سُلْطَاناً مُبِيناً) برهانا بينا على نفاقكم (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ) المكان (الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ) وهو قعرها (وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً) مانعاً من العذاب (إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا) من النفاق (وَأَصْلَحُوا) عملهم (وَاعْتَصَمُوا) وثقوا (بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ) من الرياء (فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ) فيما يؤتونه (وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْراً عَظِيماً) فى الآخرة هو الجنة (مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ) نعمه ، (وآمنتم)

(وَآمَنْتُمْ) به والاستفهام بمعنى النفى، أى لايعذبكم (وَكَانَ اللّٰهُ شَاكِرًا) لأعمال المؤمنين بالاثابة (عَلِيماً) بخلقه (لَا يُحِبُّ اللّٰهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ) من أحد، أى يعاقب عليه (إِلَّا مَنْ ظُلِمَ) فلا يؤاخذه بالجهر به بأن يخبر عن ظلم ظالمه ويدعو عليه (وَكَانَ اللّٰهُ سَمِيعاً) لما يقال (عَلِيماً) بما يفعل (إِنْ تُبْدُوا) تظهروا (خَيْرًا) من أعمال البر (أَوْ تُخْفُوهُ) تعملوه سرًّا (أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ) ظلم (فَإِنَّ اللّٰهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا. إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللّٰهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللّٰهِ وَرُسُلِهِ) بأن يؤمنوا به دونهم (وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ) من الرسل (وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ) منهم (وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ) الكفر والإيمان (سَبِيلاً) طريقاً يذهبون إليه (أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا) مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله (وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً) ذا إهانة هو عذاب النار،

ويصح أن تكون ما نافية والباء زائدة ومدخولها مفعول لقوله يفعل، والمعنى مايفعل عذابكم أى لايعذبكم حين صادقت التوبة فالمآل فى المعنيين واحد (قوله وآمنتم) عطف خاص على عام أومسبب على سبب لأن الشكر سبب فى الايمان فانّ الانسان إذاتذكر نعم الله حملته على الايمان (قوله لايحب الله الجهر بالسوء) هذا مرتب على ماتقدم من ذكر أحوال المنافقين أى فلا تتوهم أيها العاقل من تقبيح الله لبعض عبيده أنه يجوز لكل أحد التقبيح لمن علم منه سوءا أوظنه فيه، وسبب نزولها أن رجلا استضاف قوما فلم يحسنوا ضيافته فلماخرج تكلم فيهم جهرا بسوء، وقيل إن سبب نزولها أن رجلانال من أبى بكر والنبى صلى الله عليه وسلم حاضر فسكت عنه مرارا ثم رد عليه فقام النبى صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر يارسول الله شتمنى فلم تقل شيئا حتى إذا رددت عليه قمت فقال له إن ملكا كان يجيب عنك فلما رددت عليه ذهب الملك وجاء الشيطان فقمت فنزلت. وقوله بالسوء هو اسم جامع لكل فحش كالبر فانه اسم جامع لكل خير وقوله من القول بيان للجهر بالسوء ومثل القول الفعل فلا مفهوم للجهر ولا للقول وإنما خصا لأنهما سبب النزول ولكونهما الغالب (قوله من أحد) قدره إشارة إلى أن فاعل المصدر محذوف وهو من المواضع التى ينقاس فيها حذف الفاعل وقد جمعها بعضهم بقوله :

عند النيابة مصدر وتعجب ومفرغ ينقاس حذف الفاعل

(قوله أى يعاقب) دفع بذلك مايقال إن الحب والبغض معنى قائم بالقلب وهو مستحيل على الله تعالى. فأجاب بأن المراد لازمه وهو العقاب لأن من غضب من أحد عاقبه، ودخل فى الجهر بالسوء التعريض والسخرية به والغيبة والنميمة قال تعالى ـ يا أيها الذين آمنوا لايسخر قوم من قوم ـ الآية وقال تعالى ـ ولا يغتب بعضكم بعضا ـ إلى غير ذلك، وفى الحديث «إن الرجل ليتكلم بالكلمة الواحدة يهوى بها فى النار سبعين خريفا» (قوله بأن يخبر عن ظلم ظالمه) أى لمن ينصفه بأن يقول شتمنى أو غصبنى أو أخذ مالى أو ضربنى مثلا (قوله ويدعو عليه) أى بدعاء جائز مثل اللهم خلص حقى منه أو جازه أوانتقم ممن ظلمنى أوخذ لى بثأرى منه ولايجوز الدعاء على الظالم بسوء الخاتمة على المعتمد ولو بلغ فى الظلم مهما بلغ ولابخراب دياره أوهلاكه مثلا والصبر وعدم الدعاء أجمل وهومقام عظيم ولذا أمر به صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى فاصفح الصفح الجميل وقوله إلا من ظلم أى مثلا ومثله المستفتى والمستغيث والمحذر والمعرف والمتجاهر، وقد جمعها بعضهم بقوله :

تظلم واستغث واستفت حذر وعرف بدعة فسق المجاهر

وجمعت أيضا فى قول بعضهم : لقب ومستفت وفسق ظاهر متظلم ومعرف ومحذر

(قوله لما يقال) أى من الظالم والمظلوم وقوله بمايفعل أى من الظالم والمظلوم (قوله من أعمال البر) أى كالصلاة والصدقة وفعل المعروف وحسن الظن (قوله أوتعفوا عن سوء) هذا هو محط الفائدة بدليل قوله فان الله كان عفوّا قديرا وهذا بيان للخلق الكامل فالعفو والمسامحة أجلّ وأعلى من الانتصار (قوله فان الله الخ) دليل الجواب والجواب محذوف تقديره يعف عنكم (قوله ويريدون أن يفرقوا الخ) عطف سبب على مسبب أى فكفرهم بالتفرقة لاباعتقاد الشريك لله مثلا (قوله من الرسل) أى كموسى وعيسى (قوله ونكفر ببعض) أى كمحمد (قوله طريقا يذهبون إليه) أى واسطة بين الايمان والكفر وهو الايمان ببعض الأنبياء والكفر ببعض (قوله مصدر مؤكد) أى وعامله محذوف ويقدر مؤخرا عن الجملة المؤكدة لها تقديره أحقه حقا نظير زيد أبوك عطوفا. قال ابن مالك :

وإن تؤكد جملة فمضمر عاملها ولفظها يؤخر

ويصح أن يكون حالا من قوله هم الكافرون أى حال كون كفرهم حقا أى لاشك فيه (قوله والذين امنوا) مقابل قوله إن الذين بكفرون وقوله ولم يفرقوا مقابل قوله ويريدون أن يفرقوا (قوله بين أحد منهم) أى فى الايمان بأن يؤمنوا بجميعهم (قوله بالنون والياء) أى فهما قراءتان سبعيتان وعلى النون فيكون فيه التفات من الغيبة للتكلم لأن الاسم الظاهر من قبيل الغيبة (قوله يسئلك) أى سؤال تعنت وعناد فلذا لم يبلغهم الله مرادهم ولو كان سؤالهم لطلب الاسترشاد لأجيبوا (قوله اليهود) أى أحبارهم (قوله أن تنزل عليهم كتابا من السماء) أى فقالوا إن كنت نبيا فائتنا بكتاب محرر بخط سماوى فى ألواح كما أنزلت التوراة (قوله تعنتا) مفعول لأجله أى فالحامل لهم على السؤال التعنت والعناد لا الاسترشاد وإلا لأجيبوا (قوله فان استكبرت ذلك) قدره إشارة إلى أن قوله فقد سألوا موسى جواب شرط محذوف والمعنى إن استعظمت سؤالهم فقد وقع من أصولهم ماهو أعظم من ذلك (قوله أى آباؤهم) أى وإنما نسب السؤال لهم لأنهم راضون بها فكأنها وقعت منهم (قوله فقالوا) تفسير لسألوا على حد توضأ فغسل وجهه (قوله عيانا) أى معاينين له وذلك أن موسى عليه السلام اختار من قومه سبعين من بنى اسرائيل لخرج معهم إلى الجبل ليستغفروا لقومهم حيث عبدوا العجل فقالوا أرنا الله جهرة (قوله فأخذتهم الصاعقة)

(وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ) كلهم (وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ نُؤْتِيهِمْ) بالنون والياء (أُجُورَهُمْ) ثواب أعمالهم (وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا) لأوليائه (رَحِيمًا) بأهل طاعته (يَسْأَلُكَ) يا محمد (أَهْلُ الْكِتَابِ) اليهود (أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ) جملة كما أنزل على موسى تعنتا فإن استكبرت ذلك (فَقَدْ سَأَلُوا) أى آباؤهم (مُوسَى أَكْبَرَ) أعظم (مِنْ ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً) عيانا (فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ) الموت عقابا لهم (بِظُلْمِهِمْ) حيث تعنتوا فى السؤال (ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ) إلها (مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ) المعجزات على وحدانية الله (فَعَفَوْنَا عَنْ ذَٰلِكَ) ولم نستأصلهم (وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا) تسلطا بينا ظاهرا عليهم حيث أمرهم بقتل أنفسهم توبة فأطاعوه (وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ) الجبل (بِمِيثَاقِهِمْ) بسبب أخذ الميثاق عليهم ليخافوا فيقبلوه (وَقُلْنَا لَهُمُ) وهو مظل عليهم (ادْخُلُوا الْبَابَ) باب القرية (سُجَّدًا) سجود انحناء (وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا) وفى قراءة بفتح العين وتشديد الدال وفيه إدغام التاء فى الأصل فى الدال أى لا تعتدوا (فِي السَّبْتِ) باصطياد الحيتان فيه

(وأخذنا

أى ثم أحيوا بعد ذلك حين قال موسى رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياى (قوله ثم اتخذوا العجل) ثم للترتيب الذكرى الاخبارى (١) لأن عبادة العجل كانت قبل ذلك (قوله المعجزات) أى كالعصا واليد البيضاء والسنين وفلق البحر (قوله فعفونا عن ذلك) أى قبلنا توبتهم بقتل أنفسهم والمقصود من ذلك استدعاؤهم إلى التوبة كأنه قيل إن هؤلاء مع قبح فعلهم قبل الله توبتهم فتوبوا أنتم أيضا حتى يعفو عنكم (قوله سلطانا) أى قهرا عظيما وسلطنة جليلة (قوله فأطاعوه) أى فقتل منهم سبعون ألفا فى يوم واحد (قوله بميثاقهم) أى حين جاءهم موسى بالتوراة وفيها الأحكام فامتنعوا من قبولها فرفع الله فوقهم الطور فخافوا من وقوعه عليهم فقبلوه وسجدوا على جبينهم وأعينهم تنظر له فصار ذلك فيهم إلى الآن (قوله فيقبلوه) أى الميثاق ولاينقضوه (قوله وهو مظل عليهم) أى مرفوع عليهم والتقييد بذلك سبق قلم لأن القول لهم حين دخول القرية كان بعد مدة التيه، وتلك القرية قيل هى بيت المقدس وقيل أريحاء والقول قيل على لسان موسى وقيل على لسان يوشع بن نون وهى قرية الجبارين وأما رفع الجبل فكان قبل دخولهم التيه حين جاءتهم التوراة فلم يؤمنوا بها (قوله سجود انحناء) أى خضوع وتذلل فخالفوا ودخلوا يزحفون على أستاههم وتقدم بسط ذلك فى البقرة (قوله لاتعدوا) بسكون العين وضم الدال من عدا يعدو بمعنى جار وأصله تعدووا بضم الواو الأولى وهى لام الكلمة استثقلت الضمة عليها فحذفت فالتقى ساكنان حذفت الواو لالتقائهما ووزنه تفعوا (قوله وفى قراءة بفتح العين) أى فأصله تعتدوا

---

(١) قول المحشى ثم للترتيب الذكرى الخ هكذا فى بعض النسخ وفى نسخة ثم للترتيب لأن سؤال هؤلاء السبعين كان قبل عبادة العجل وهم غير السبعين الذين اختارهم للشفاعة فى قبول توبة من عبد العجل وتقدم ذلك فى سورة البقرة فانظره .

للبث الثاء دالا ثم أدغمت فى الدال والمعنى أنهم نهوا عن الاعتداء فى السبت بصيد السمك فخالف بعضهم واصطاد وامتنع بعضهم من غير نهى للآخرين وامتنع بعضهم مع نهى من اصطاد فحل بمن اصطاد العذاب ونجا من نهى وسيأتى بسط ذلك فى سورة الأعراف (قوله ميثاقا غليظا) أى أنهم إن خالفوا عذبهم الله بأى نوع من العذاب أراده (قوله بآيات الله) أى القرآن أو كتابهم (قوله بغير حق) أى حق فى زعمهم أى فهم مقرون بأن القتل بغير وجه (قوله بل طبع الله عليها) أى غشيت وغطيت بغطاء معنوى لاحسى كما قالوا تهكما بمعنى أنهم صم بكم عمى لايهتدون للحق ولايعونه (قوله إلا قليلا) قيل إنه مستثنى من فاعل يؤمنون ورد بأن من آمن لم يطبع على قلبه والأحسن أنه مستثنى من الهاء فى قوله بل طبع الله عليها أى إلا قليلا فلم يطبع على قلوبهم (قوله ثانيا بعيسى) أى وأولا بموسى (قوله وكرر الباء) أى فى قوله و بكفرهم (قوله للفصل) أى بأجنبي وهو قوله بل طبع الله (قوله حيث رموها بالزنا) أى منكرين تعلق قدرة الله تعالى بخلق ولد من غير والد ومعتقد ذلك كافر لأنه يلزم عليه القول بقدم العالم لأن كل ولد لابد له من والد وهكذا (قوله رسول الله)

(وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا) على ذلك فنقضوه (فَبِمَا نَقْضِهِمْ) مازائدة والباء للسببية متعلقة بمحذوف ، أى لعنَّاهم بسبب نقضهم (مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ) للنبي صلى الله عليه وسلم (قُلُوبُنَا غُلْفٌ) لاتعى كلامك (بَلْ طَبَعَ) ختم (ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ) فلا تعى وعظا (فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا) منهم كعبد الله بن سلام وأصحابه (وَبِكُفْرِهِمْ) ثانيا بعيسى ، وكرر الباء للفصل بينه و بين ما عطف عليه (وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا) حيث رموها بالزنا (وَقَوْلِهِمْ) مفتخرين (إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ) فى زعمهم ، أى بمجموع ذلك عذبناهم ، قال تعالى تكذيباً لهم فى قتله (وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ) المقتول والمصلوب وهو صاحبهم بعيسى ، أى ألقى الله عليه شبهه فظنوه إياه (وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا فِيهِ) أى فى عيسى (لَفِي شَكٍّ مِنْهُ) من قتله حيث قال بعضهم لما رأوا المقتول : الوجه وجه عيسى والجسد ليس بجسده فليس به ، وقال آخرون : بل هو هو (مَا لَهُمْ بِهِ) بقتله (مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ) استثناء منقطع أى لكن يتبعون فيه الظن الذى تخيلوه (وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا) حال مؤكدة لنفى القتل (بَلْ رَفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا) فى ملكه (حَكِيمًا) فى صنعه (وَإِنْ) ما (مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ) أحد (إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ) بعيسى (قَبْلَ مَوْتِهِ) أى الكتابى حين يعاين ملائكة الموت فلا ينفعه إيمان ،

إن قلت إنهم لم يعترفوا برسالته بل كفروا به وقالوا هو ساحر ابن ساحرة . أجيب بأنهم قالوا ذلك تهكما به نظير قول فرعون لموسى: إن رسولكم الذى أرسل إليكم لمجنون ، وقول مشركى العرب فى حق محمد : ياأيها الذى نزل عليه الذكر إنك لمجنون. وأجيب أيضا بأنه من كلامه تعالى مدحا له وتنزيها له عن مقالتهم فيكون منصوبا بفعل محذوف أى أمدح رسول الله (قوله فى زعمهم) متعلق بقوله قتلنا والمناسب حذفه لأن تكذيبهم فى القتل معلوم من قوله بعد وماقتلوه وفى نسخة فى زعمه بالافراد يكون متعلقا بقوله رسول الله وهى أولى (قوله ولكن شبه لهم) روى أن رهطا من اليهود سبوه وأمه فدعا عليهم فمسخهم الله قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فأخبره الله بذلك وكان له صاحب منافق فقالوا له اذهب إلى عيسى وأخرجه لنا فلما دخل دار عيسى ألقى شبهه عليه ورفع عيسى إلى السماء فلما خرج إليهم قتلوه (قوله بعيسى) متعلق بشبه وقوله عليه أى الصاحب وقوله شبهه أى شبه عيسى (قوله استثناء منقطع) أى لأن اتباع الظن ليس من جنس العلم (قوله مؤكدة لنفى القتل) أى انتفى قتلهم له انتفاء يقينا لاشك فيه فيلاحظ القيد بعد وجود النفى فهو من باب تيقن العدم لامن عدم التيقن وحصله أنه نفى للقيد الذى هو اليقين والمقيد الذى هو القتل ويصح أن يكون حالا من فاعل قتلوه أى مافعلوا القتل فى حال تيقنهم له بل فعلوه شاكين فيه ، وقيل منصوب بما بعد بل من قوله بل رفعه الله إليه ، ورد بأن مابعد بل لايعمل فيما قبلها (قوله بل رفعه الله إليه) أى إلى محل رضاه وانفراد حكمه وهو السماء الثالثة كما فى الجامع الصغير أو الثانية كما فى بعض المعاريج (قوله حين يعاين ملائكة الموت) روى أن اليهودى إذا حضره الموت ضربت الملائكة وجهه ودبره وقالوا له ياعدو الله أتاك عيسى

نبيا فكذبت به فيقول آمنت بأنه عبد الله ورسوله ويقال للنصرانى أتاك عيسى نبيا فزعمت أنه الله وابن الله فيقول امنت بأنه عبد الله فأهل الكتاب يؤمنون به ولكن لاينفعهم إيمانهم لحصوله وقت معاينة العذاب (قوله أو قبل موت عيسى) هذا تفسير آخر وهو صحيح أيضا والمعنى أن عيسى حين ينزل إلى الأرض مامن أحد يكون من اليهود أو النصارى أو ممن يعبد غير الله إلا آمن بعيسى حتى تصير الملة كلها إسلامية (قوله شهيدا) أى فيشهد على اليهود بالتكذيب وعلى النصارى بأنهم اعتقدوا فيه أنه ابن الله (قوله فبظلم) الجار والمجرور متعلق بحرمنا والباء سببية (قوله هم اليهود) سموا بذلك لأنهم هادوا بمعنى تابوا ورجعوا عن عبادة العجل (قوله أحلت لهم) صفة لطيبات أى طيبات كانت حلالا لهم فلما حرمت عليهم صاروا يقولون لسنا بأول من حرمت عليه بل كانت حراما على من قبلنا فرد الله عليهم بقوله: كل الطعام كان حلا لبنى إسرائيل إلا ماحرم اسرائيل على نفسه الآية (قوله و بصدهم) هذا تفصيل لبعض أنواع الظلم وكرر الجار للفصل بين العاطف والمعطوف بقوله حرمنا ولم يكرره فى قوله وأخذهم الربا وأكلهم أموال الناس لعدم الفاصل (قوله صدا كثيرا) أشار بذلك إلى أن كثيرا صفة لموصوف محذوف مفعول مطلق لقوله صدهم ويصح أن يكون المحذوف مفعولا به والتقدير خلقا كثيرا (قوله وقد نهوا عنه) الجملة حالية (قوله بالرشا فى الحكم) جمع رشوة وهى مايعطيه الشخص للحاكم ليحكم له والمقصود من ذكر هذه الأمور الاتعاظ بها و بيان أنها حرام فى شرعنا أيضا ففى الحديث «كل لحم نبت من السحت فالنار أولى به قالوا وماالسحت قال الرشوة فى الحكم» فالحاكم لايجوز له أن يأخذ شيئا على حكمه ومثله الضامن وذو الجاه والقرض ففى الحديث «ثلاثة لاتكون إلا لله القرض والضمان والجاه» (قوله منهم) أى وممن حذا حذوهم (قوله عذابا أليما) أى وهو الخلود فى النار (قوله لكن الراسخون) استدراك على قوله وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما والمعنى من كان من اليهود وفعل تلك الأفعال المتقدمة وأصر على الكفر ومات عليه أعتدنا لهم عذابا أليما، وأما من كان من اليهود غير أنه رسخ فى العلم وآمن وعمل صالحا فأولئك سنؤتيهم أجرا عظيما والراسخون مبتدأ وفى العلم متعلق به وقوله منهم متعلق بمحذوف حال من الراسخون وقوله أولئك مبتدأ وسنؤتيهم خبره والجملة خبر الراسخون (قوله والمؤمنون) عطف على الراسخون عطف مفصل على مجمل لأن الايمان وما بعده متنوع ولازم للرسوخ فى العلم فنزل التغاير الاعتبارى منزلة التغاير الذاتى وهذا على أن المراد المؤمنون منهم وأما على أن المراد المؤمنون من غيرهم أو ماهو أعم فالمغايرة ظاهرة وقوله يؤمنون الخ حال من المؤمنون والراسخون (قوله بما أنزل إليك) أى وهو القرآن وهذه الصفات للايمان الكامل فلا يكون الانسان كامل الايمان حتى يتصف بجميعها (قوله نصب على المدح) أى فتكون جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه، وإنما نصبهم تعظيما لشأنهم وما قاله المفسر هو أحسن الأجوبة عن الآية ويصح أنه معطوف على الكاف فى إليك ويكون المراد بالمقيمين الأنبياء ويصح أنه معطوف على ما أنزل ويكون المراد بالمقيمين الأنبياء أو الملائكة ويصح أن يكون معطوفا على الهاء فى منهم أى لكن الراسخون فى العلم منهم ومن المقيمين (قوله وقرئ بالرفع) أى وعليها فلا إشكال وهى شاذة وإن وردت عن كثير (قوله والمؤمنون بالله) أى المصدقون بأن الله يجب له كل كمال و يستحيل عليه كل نقص وقوله واليوم الآخر أى يصدقون بأنه حق ومايقع فيه صدق (قوله هو الجنة) أى الخلود فيها وهو مقابل قوله: وأعتدنا لهم عذابا أليما .

أو قبل موت عيسى لما ينزل قرب الساعة كما ورد فى الحديث (وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ) عيسى (عَلَيْهِمْ شَهِيدًا) بما فعلوه لما بعث إليهم (فَبِظُلْمٍ) أى فبسبب ظلم (مِنَ الَّذِينَ هَادُوا) هم اليهود (حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ) هى التى فى قوله تعالى: حرمنا كل ذى ظفر الآية (وَبِصَدِّهِمْ) الناس (عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) دينه صدا (كَثِيرًا وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ) فى التوراة (وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ) بالرشا فى الحكم (وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) مؤلما (لَكِنِ الرَّاسِخُونَ) الثابتون (فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ) كعبدالله ابن سلام (وَالْمُؤْمِنُونَ) المهاجرون والأنصار (يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ) من الكتب (وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ) نصب على المدح وقرئ بالرفع (وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ) بالنون والياء (أَجْرًا عَظِيمًا) هو الجنة،

(إنا

(قوله إنا أوحينا إليك) قيل سبب نزولها أن مسكينا وعدى بن زيد قالا يا محمد ما نعلم أن الله أنزل على بشر من شئ من بعد موسى وقيل هو جواب لقولهم لن نؤمن لك حتى تنزل علينا كتابا من السماء جملة واحدة ، فالمعنى أنكم تقرون بنبوة نوح وجميع الأنبياء المذكورين فى الآية ولم ينزل على أحد من هؤلاء كتابا جملة مثل ما أنزل على موسى فعدم إنزال الكتاب جملة ليس قادحا فى نبوتهم فكذلك محمد صلى الله عليه وسلم (قوله كما أوحينا) يحتمل أن تكون ما مصدرية ، والمعنى كوحينا وأن تكون اسم موصول والعائد محذوف والتقدير كالذى أوحيناه : أى الأحكام التى أوحيناها إلى نوح الخ (قوله إلى نوح) قدمه لأنه أول نبى أرسله الله لينذر الناس من الشرك ، وعاش ألف سنة وخمسين عاما وهو صابر على أذى قومه لم يشب فيها ولم تنتقص قواه وهو أول الأنبياء أولى العزم وكان أبا البشر بعد آدم لانحصار الناس فى ذريته (قوله إلى إبراهيم) خصه بعد نوح لأن أكثر الأنبياء من ذريته وهو ابن تارخ ، قيل هو آزر ، وقيل هو أخوه فآزر عم إبراهيم (قوله وإسمعيل) كان نبيا ورسولا بمكة ثم لما مات نقل إلى الشام (قوله وإسحق) كان رسولا بالشام بعد إسمعيل ومات بها (قوله ابنيه) أى إبراهيم : إسماعيل من هاجر وإسحق من سارة (قوله ويعقوب) هو إسرائيل ثم يوسف ابنه ثم شعيب بن نويب ثم هود بن عبد الله ثم صالح بن أسف ثم موسى وهرون ابنا عمران ثم أيوب ثم الخضر ثم داود بن إيشا ثم سليمان بن داود ثم يونس بن متى ثم إلياس ثم ذوالكفل ، وكل نبى ذكر فى القرآن فهو من ولد إبراهيم غير إدريس ونوح وهود ولوط وصالح ، ولم يكن نبى من العرب إلا خمسة هود وصالح وإسماعيل وشعيب ومحمد صلى الله عليهم وسلم (قوله أولاده) أى أولاد يعقوب منهم يوسف نبى ورسول باتفاق وباقيهم فيه الخلاف والصحيح نبوتهم وليسوا رسلا مشرعين ولذلك وقع منهم ما يخالف الشرع ظاهرا للمصالح التى ترتبت على تلك المخالفة وسيأتى ذلك فى سورة يوسف (قوله ويونس) أى ابن متى وفيه لغات ست بالواو والهمزة مع تثليث النون والذى قرئ به فى السبع ضم النون أو كسرها مع الواو ، وقوله وهرون : أى أخى موسى (قوله اسم للكتاب المؤتى) أى وهو مائة وخمسون سورة ليس فيها حكم ولا حلال ولا حرام بل هو تسبيح وتقديس وتحميد وثناء ومواعظ ، وكان داود عليه السلام يخرج إلى البرية فيقوم و يقرأ الزبور وتقوم علماء بنى إسرائيل خلفه و يقوم الناس خلف العلماء وتقوم الجن خلف الناس والشياطين خلف الجن وتجىء الدواب التى فى الجبال فيقمن بين يديه وترفرف الطيور على رءوس الناس وهم يستمعون لقراءة داود و يتعجبون منها لأن الله أعطاه صوتا حسنا ، وقد ورد : أن أبا موسى الأشعرى كان يقرأ القرآن ليلا بصوت حسن فلما أصبح قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « قد أعجبتنى قراءتك الليلة كأنك أعطيت مزمارا من مزامير داود ، فقال أبو موسى : لو علمت بك لحبرته لك تحبيرا (قوله وبالضم) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله ورسلا قد قصصناهم عليك الخ) هذا رد لقول اليهود للمصطفى عليه السلام إنك لم تذكر موسى مع ما عددته من الأنبياء فهذا دليل على عدم رسالتك فرد ذلك الله بهذه الآية وبما بعدها (قوله روى أنه تعالى الخ) هذه الرواية ضعيفة فلذا تبرأ منها المفسر ، والرواية المشهورة أن الأنبياء مائة ألف وفى رواية مائتا ألف وأربعة وعشرون ألفا الرسل منهم ثلثمائة وثلاثة عشر أو أربعة عشر أو خمسة عشر و بعد ذلك فالحق أنهم لم يبلغنا عددهم على الصحيح وإنما هى أحاديث مختلفة تقبل الطعن كما أفاده الأشياخ (قوله قاله الشيخ) أى الجلال المحلى ، وقوله فى سورة غافر : أى فى قوله تعالى ـ ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك ـ (قوله وكلم الله موسى) أى أزال عنه الحجاب فسمع كلام الله وليس المراد أن الله كان ساكتا ثم تكلم لأن ذلك مستحيل على الله تعالى (قوله تكليما) مصدر مؤكد لقوله كلم وإنما أكد رفعا لاحتمال المجاز لأن الله كلم موسى بكلامه الأزلى القديم من غير حرف ولا صوت ولا كيف ولا انحصار ولا يعلمه إلا الله .

(إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ، وَ) كما (أَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ) ابنيه (وَيَعْقُوبَ) ابن إسحاق (وَالْأَسْبَاطِ) أولاده (وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا) أباه (دَاوُدَ زَبُوراً) بالفتح اسم للكتاب المؤتى وبالضم مصدر بمعنى مزبوراً أى مكتوباً (وَ) أرسلنا (رُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ) روى أنه تعالى بعث ثمانية آلاف نبى : أربعة آلاف من بنى إسرائيل وأربعة آلاف من سائر الناس قاله الشيخ فى سورة غافر (وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى) بلا واسطة (تَكْلِيماً . رُسُلاً) بدل من رسلا قبله (مُبَشِّرِينَ) بالثواب من آمن (وَمُنْذِرِينَ) بالعقاب من كفر ، أرسلناهم

(قوله لئلا يكون) هذه اللام كى متعلقة بمنذرين وأضمر فى الأول وحذف وهذا هو الأولى ويحتمل أنه متعلق بمحذوف تقديره أرسلناهم وعلى ذلك درج المفسر إلا أن يقال إنه حلّ معنى لا حلّ إعراب (قوله حجة) أى معذرة يعتذرون بها وسماها الله حجة تفضلا منه وكرما فأهل الفترة ناجون ولو بدلوا وغيروا. قال تعالى ـ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ـ وقال تعالى ـ ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا ـ الآية، وماورد من تعذيب بعض أفراد من أهل الفترة فأحاديث آحاد لاتقاوم القطعيات كما أفاده أشياخنا المحققون (قوله بعد الرسل) أى وإنزال الكتب، والمعنى لو لم يرسل الله رسولا لكان للناس عذر فى ترك التوحيد فقطع الله عذرهم بإرسال الرسل والظرف متعلق بالنفى: أى انتفت حجتهم واعتذارهم بعد إرسال الرسل، وأما قبل الارسال فكانوا يعتذرون. فان قلت كيف يكون للناس حجة قبل الرسل مع قيام الأدلة التى تدل على معرفة الله ووحدانيته كما قيل:

وفى كل شىء له آية ... تدل على أنه الواحد

أجيب بأن الله لم يكلفنا بذلك بمجرد العقل بل لابد من ضميمة الرسل التى تنبه على الأدلة وشاهده هذه الآية وقوله تعالى ـ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ـ فلذلك قال أهل السنة: إن معرفة الله لا تثبت إلا بالشرع خلافا للمعتزلة (قوله لولا أرسلت) لولا للتحضيض وهو الطلب بحث وإزعاج ولكن المراد بها هنا العرض وهو الطلب بلين ورفق (قوله عزيزا) أى غالبا قاهرا لغيره منفردا بالايجاد والاعدام وقوله (٢٤٤) حكيما: أى يضع الشىء فى محله (قوله ونزل لما سئل اليهود) أى حين قال النبى صلى الله عليه وسلم لليهود «أنتم تشهدون بأنى مذكور فى كتبكم؟ فقالوا لا نشهد بذلك وما نعلم من بشر أوحى إليه بعد موسى» وقيل إن السائل مشركو العرب حيث قالوا للنبى إنا نسأل اليهود عنك وعن صفتك فى كتابهم فزعموا أنهم لايعرفونك فنزلت والمعنى إن أنكروك وكفروا بما أنزل إليك فقد كذبوا

(لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ) تقال (بَعْدَ) إرسال (الرُّسُلِ) إليهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين فبعثناهم لقطع عذرهم (وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا) فى ملكه (حَكِيمًا) فى صنعه. ونزل لما سئل اليهود عن نبوته صلى الله عليه وسلم فأنكروه (لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ) يبين نبوتك (بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ) من القرآن المعجز (أَنْزَلَهُ) ملتبسا (بِعِلْمِهِ) أى عالما به أو وفيه علمه (وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ) لك أيضا (وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا) على ذلك (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا) بالله (وَصَدُّوا) الناس (عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) دين الإسلام بكتمهم نعت محمد صلى الله عليه وسلم وهم اليهود (قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا) عن الحق (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا) بالله (وَظَلَمُوا) نبيه بكتمان نعته (لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا) من الطرق (إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ) أى الطريق المؤدى إليها (خَالِدِينَ) مقدرين الخلود (فِيهَا) إذا دخلوها (أَبَدًا

فيما قالوا لأن الله يشهد لك بالنبوة والرسالة ويشهد بما أنزل إليك (قوله لكن الله وكـن يشهد) استدراك على ما ذكر فى سبب النزول (قوله من القرآن المعجز) أى لكل مخلوق ولم ينزل كتاب معجز يتحدى به على نبى من الأنبياء غير نبينا (قوله أنزله بعلمه) أشار المفسر إلى أن الباء للملابسة أو بمعنى فى والمعنى على الأول أنزله ملتبسا بعلمه: أى وهو عالم به لأن التأليف يحسن على قدر علم مؤلفه فحيث كان هذا القرآن ناشئا عن علم الله التام المتعلق بكل شىء كان فى أعلى طبقات البلاغة فلا يمكن أحدا غيره الاتيان بشىء منه، والمعنى على الثانى أنزله والحال أن فيه علمه: أى معلوماته الغيبية بمعنى أنه مشتمل على المغيبات وعلى مصالح الخلق وما يحتاجون إليه فحيث اشتمل على ذلك فهو شاهد صدق على أنه من عند الله وإنما خص القرآن بالذكر لأن إنكارهم وتعرضهم كان له ولأنه أكبر معجزاته (قوله وكفى بالله شهيدا) لفظ الجلالة فاعل كفى والباء زائدة وشهيدا حال، وقوله على ذلك: أى على صحة نبوتك، والمعنى أن شهادة الله تغنيك وتكفيك (قوله وصدوا عن سبيل الله) أى منعوا الناس من طريق الهدى (قوله ضلالا بعيدا) أى لأنهم ضلوا فى أنفسهم وأضلوا غيرهم ومن كان هذا وصفه بعد عنه الهدى (قوله إن الذين كفروا وظلموا) أى وهم اليهود (قوله لم يكن الله ليغفر لهم) أى مريدا ليغفر لهم حيث ماتوا على الكفر (قوله إلا طريق جهنم) استثناء متصل لأنه مستثنى من عموم الطرق والمراد بجهنم الدار المسماة الحطمة، والمعنى أنهم لايهتدون إلى طريق الرشاد أبدا، بل دائما أعمالهم تجرهم إلى طريق جهنم.

وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا) هينا (يَا أَيُّهَا النَّاسُ) أى أهل مكة (قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ) محمد صلى الله عليه وسلم (بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا) به واقصدوا (خَيْرًا لَكُمْ) مما أنتم فيه (وَإِنْ تَكْفُرُوا) به (فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) مُلكا وخلقا وعبيدا فلا يضره كفركم (وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا) بخلقه (حَكِيمًا) فى صنعه بهم (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ) الإنجيل (لَا تَغْلُوا) تتجاوزوا الحد (فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا) القول (الْحَقَّ) من تنزيهه عن الشريك والولد (إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا) أوصلها الله (إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ) أى ذو روح (مِنْهُ) أضيف إليه تعالى تشريفا له، وليس كما زعمتم أنه ابن الله أو إلها معه أو ثالث ثلاثة لأن ذا الروح مركب والإله منزه عن التركيب وعن نسبة المركب إليه (فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا) الآلهة (ثَلَاثَةٌ) الله وعيسى وأمه (انْتَهُوا) عن ذلك وائتوا (خَيْرًا لَكُمْ) منه وهو التوحيد (إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ) تنزيها له عن (أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) خلقا وملكا وعبيدا والملكية تنافى البنوة (وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا) شهيدا على ذلك (لَنْ يَسْتَنْكِفَ) يتكبر ويأنف (الْمَسِيحُ) الذى زعمتم أنه إله ،

(قوله وكان ذلك على الله يسيرا) ردّ بذلك عليهم حيث زعموا وقالوا نحن أبناء الله وأحباؤه ولا يهون عليه أن يعذب أحباءه (قوله أى أهل مكة) جرى على القاعدة وهو أن الخاطب بيأيها الناس أهل مكة ولكن المراد العموم (قوله بالحق) متعلق بجاء وقوله من ربكم متعلق بمحذوف حال من الحق : أى جاءكم بالحق حال كونه من ربكم (قوله واقصدوا خيرا) أشار بذلك إلى أن قوله خيرا مفعول لمحذوف ويصح أن يكون خبرا لكان المحذوفة والتقدير آمنوا يكن الإيمان خيرا وهو الأقرب (قوله مما أنتم فيه) أى وهو الكفر على حسب زعمكم أن فيه خيرا وإلا فالكفر لاخير فيه (قوله فلايضرّه كفركم) قدره إشارة إلى أن جواب الشرط محذوف ، وقوله فان لله ما فى السموات والأرض دليل الجواب (قوله حكيما فى صنعه) أى لايصنع شيئا إلا محكما متقنا (قوله الانجيل) أى فالخطاب للنصارى فقط ويحتمل أنه خطاب لليهود والنصارى لأنّ غلو اليهود بتنقيص عيسى حيث قالوا إنه ابن زانية وغلو النصارى بالمبالغة فى تعظيمه حيث جعلوه ابن الله (قوله إلا القول الحق) أشار بذلك إلى أنه صفة لمصدر محذوف (قوله إنما المسيح عيسى ابن مريم) المسيح مبتدأ وعيسى بدل أوعطف بيان عليه وابن مريم صفته ورسول الله خبره (قوله وكلمته) أى أنه نشأ بكلمة كن من غير واسطة أب ولا نطفة ، وقوله ألقاها : أى بنفخ جبريل فى جيب درعها فوصل النفخ إلى فرجها فحملت به (قوله وروح منه) سمى بذلك لأنه حصل من الريح الحاصل من نفخ جبريل روى أن الله تعالى لما خلق أرواح البشر جعلها فى صلب آدم عليه السلام وأمسك عنده روح عيسى فلما أراد الله أن يخلقه أرسل بروحه مع جبريل إلى مريم فنفخ فى جيب درعها فحملت بعيسى (قوله منه) أى نشأت وخلقت فمن ابتدائية لا تبعيضية كما زعمت النصارى . حكى أن طبيبا حاذقا نصرانيا جاء للرشيد فناظر على بن الحسين الواقدى ذات يوم فقال له إن فى كتابكم مايدل على أن عيسى جزء من الله وتلا هذه الآية فقرأ الواقدى له ـ وسخر لكم مافى السموات وما فى الأرض جميعا منه ـ فقال إذن يلزم أن تكون جميع الأشياء جزءا منه سبحانه فبهت النصرانى وأسلم وفرح الرشيد فرحا شديدا وأعطى الواقدى صلة فاخرة (قوله أنه ابن الله الخ) أشار بذلك إلى أنهم فرق ثلاثة : فرقة تقول إنه ابن الله ، وفرقة تقول إنهما إلهان الله وعيسى ، وفرقة تقول الآلهة ثلاثة الله وعيسى وأمه (قوله لأن ذا الروح مركب) أشار بذلك إلى قياس من الشكل الأول ، وتقريره أن تقول: عيسى ذو روح وكل ذى روح مركب وكل مركب لا يكون إلها ينتج عيسى لا يكون إلها (قوله الآلهة ثلاثة) أشار بذلك إلى أن ثلاثة خبر لمحذوف والجملة مقول القول (قوله وائتوا خيرا) أى اقصدوه ويصح أن يكون خبرا لكان المحذوفة : أى يكن الانتهاء خيرا (قوله منه) أى مما ادعيتموه ، وقوله وهو التوحيد بيان للخير (قوله له ما فى السموات وما فى الأرض) أى فاذا كان يملك جميع ما فيهما ومن جملة ذلك عيسى فكيف يتوهم كون عيسى ابن الله فهذه الجملة تعليل لقوله سبحانه (قوله لن يستنكف المسيح) سبب نزولها أن وفد نجران قالوا يامحمد إنك تعيب صاحبنا فتقول إنه عبد الله ، فقال رسول الله « إنه ليس بعار على عيسى أن يكون عبدا لله » فنزلت .

(قوله عن أن يكون) أشار بذلك إلى أنه حذف الجر من أن ، والمعنى لن يستنكف المسيح عن كونه عبدا لله (قوله وهذا من أحسن الاستطراد) أى قوله ولا الملائكة المقربون لأن الاستطراد ذكر الشئ فى غير محله لمناسبة والمناسبة هنا الرد على النصارى فى عيسى فناسب أن يرد على المشركين فى قولهم الملائكة بنات الله (قوله ومن يستنكف) من اسم شرط ويستنكف فعل الشرط ويستكبر معطوف عليه وقوله : فسيحشرهم إليه جميعا جوابه ، ولكن لما كان فيه إجمال فصله بما بعده وجميعا حال من الهاء فى يحشرهم ، والمعنى أنه يحشر المستنكفين وغيرهم (قوله ويزيدهم من فضله) أى فوق مضاعفة أعمالهم (قوله ياأيها الناس) العبرة بعموم اللفظ وإن كان السياق لأهل مكة (قوله من ربكم) الجار والمجرور متعلق بمحذوف صفة لبرهان أوظرف لغو متعلق بجاء (قوله عليكم) أى إن خالفتم ولكم إن أطعتم (قوله وهو القرآن) أى فالعطف مغاير ويصح أن يراد بالبرهان النبى وماجاء به ويراد بالنور المبين القرآن ويكون عطف خاص على عام والنكتة الاعتناء بشأن القرآن ومامشى عليه المفسر أسهل لعدم الكلفة (قوله فأما الذين آمنوا الخ) أى فمنهم من آمن ومنهم من كفر فأما الذين آمنوا الخ وترك الشق الثانى لأنهم مهملون ولايعتنى بهم ، وأيضا قد تقدم ذكرهم فتركهم اتكالا على ماتقدم وأعاد ذكر المؤمنين ثانيا تعجيلا للمسرة والفرح وتعظيما لشأنهم (قوله واعتصموا به) أى تمسكوا به (قوله فى رحمة منه) أى وهى الجنة من باب تسمية

عن (أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ) عند الله لايستنكفون أن يكونوا عبيداً وهذا من أحسن الاستطراد ذكر للرد على من زعم أنها آلهة أو بنات الله كما رد بما قبله على النصارى الزاعمين ذلك المقصود خطابهم (وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا) فى الآخرة (فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ) ثواب أعمالهم (وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ) ما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا) عن عبادته (فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) مؤلما هو عذاب النار (وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ) أى غيره (وَلِيًّا) يدفعه عنهم (وَلَا نَصِيرًا) يمنعهم منه (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ) حجة (مِنْ رَبِّكُمْ) عليكم وهو النبى صلى الله عليه وسلم (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا) بينا وهو القرآن (فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا) طريقا (مُسْتَقِيمًا) هو دين الإسلام (يَسْتَفْتُونَكَ) فى الكلالة (قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ) مرفوع بفعل يفسره (هَلَكَ) مات (لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ)

المحل باسم الحال فيه وقوله وفضل أى إحسان وإكرام وزيادة إنعام وهو رؤية وجه الله الكريم ودوام رضاه (قوله ويهديهم) عطف سبب على مسبب لأن سبب الجنة هو الهدى فى الدنيا (قوله يستفتونك) ختم هذه السورة بهذه الآية لاشتمالها على الميراث كما ابتدأها بذلك للمشاكلة بين المبدإ والختام وجملة ماذكر فى هذه السورة من المواريث ثلاثة مواضع : الأول فى ميراث الأصول والفروع أى وهو قوله : يوصيكم الله فى أولادكم إلى آخر الربع . الثانى ميراث الزوجين والإخوة والأخوات للأم وهو قوله : ولكم نصف ماترك إلى قوله : غير مضار . الثالث ميراث الاخوة والأخوات الأشقاء أولأب وهو هذه الآية ، وأما أولوا الأرحام فسيأتى ذكرهم فى آخر الأنفال . وسبب نزول هذه الآية أن جابر بن عبد الله تمرض فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ليعوداه ماشيين فلما دخلا عليه وجداه مغمى عليه فتوضأ رسول الله ثم صب عليه من وضوئه فأفاق فقال يارسول الله كيف أصنع فى مالى فلم يرد عليه حتى نزلت الآية وكان له تسع أخوات وقيل سبع (قوله فى الكلالة) تنازعه كل من يستفتونك ويفتيكم فأعمل الثانى وأضمر فى الأول وحذف وهكذا كل ماجاء فى القرآن من التنازع كقوله تعالى : آتونى أفرغ عليه قطرا . هاؤم اقرءوا كتابيه ، وبهذا أخذ البصريون وتقدم أن الكلالة هى أن يموت الميت وليس له فرع ولاأصل وهوأصح الأقوال فيها (قوله إن امرؤ) هذه الجملة مستأنفة واقعة فى جواب سؤال مقدر تقديره وماتفسير الكلالة وماالحكم فيها فالوقف على الكلالة (قوله مرفوع بفعل يفسره هلك) أى فهو من باب الاشتغال وإنما لم يجعل امرؤ مبتدأ وجملة هلك خبره لأن إن الشرطية لايليها إلا الفعل ولو تقديرا (قوله ليس له ولد) الجملة فى محل رفع صفة لامرؤ ولايصح أن تكون حالا منه لأنه نكرة ولم يوجد له مسوغ لأن هلك ليس صفة له وإنما هو مفسر للفعل المحذوف فتأمل .

أى ولا والد وهو الكلالة (وَلَهُ أُخْتٌ) من أبوين أو أب (فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ، وَهُوَ) أى الأخ كذلك (يَرِثُهَا) جميع ما تركت (إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ) فإن كان لها ولد ذكر فلا شىء له أو أنثى فله ما فضل عن نصيبها ولو كانت الأخت أو الأخ من أم ففرضه السدس كما تقدم أول السورة (فَإِنْ كَانَتَا) أى الأختان (اثْنَتَيْنِ) أى فصاعداً لأنها نزلت فى جابر وقد مات عن أخوات (فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ) الأخ (وَإِنْ كَانُوا) أى الورثة (إِخْوَةً رِجَالاً وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ) منهم (مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ) شرائع دينكم لـ(أَنْ) لا (تَضِلُّوا، وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) ومنه الميراث . روى الشيخان عن البراء أنها آخر آية نزلت أى من الفرائض .

(سورة المائدة)

(مدنية مائة وعشرون أو وثنتان أو وثلاث آية)

(بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ . يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ) :

(قوله أى ولا والد) أخذ هذا من توريث الأخت لأنها لا ترث مع وجوده (قوله من أبوين) أى وهى الشقيقة (قوله وهو) الضمير عائد على لفظ امرؤ لا على معناه على حد عندى درهم ونصفه ، والمعنى أن ذاك على سبيل الفرض ، والتقدير أى إن فرض موته دونها فلها النصف وإن فرض موتها دونه فله المال كله إن لم يكن لها فرع وارث (قوله أو أنثى) أى واحدة أو متعددة وقوله فله مافضل عن نصيبها أى وهو النصف فى الأولى والثلث فى الثانية (قوله كما تقدم أول السورة) أى فى قوله وإن كان رجل يورث كلالة الآية (قوله وقد مات عن أخوات) جملة مستأنفة مقيدة لما قبلها لأنها حالية لأن جابرا عاش بعده صلى الله عليه وسلم بل ، قيل إنه آخر الصحابة موتا بالمدينة وقوله عن أخوات قيل تسع وقيل سبع (قوله وإن كانوا إخوة) أى وأخوات ففيه تغليب الذكور على الاناث (قوله شرائع دينكم) قدره إشارة إلى أن مفعول يبين محذوف (قوله لأن لا تضلوا) أشار بذلك إلى أنه مفعول لأجله ولا مقدرة ، والمعنى يبين لكم الشرائع لأجل عدم ضلالكم نظير قوله تعالى : إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ، أى لئلا تزولا ، ويصح أن يكون المحذوف مضافا والتقدير كراهة أن تضلوا (قوله والله بكل شئ عليم) كالعلة لما قبله ، وقد ختم هذه السورة ببيان كمال العلم وسعته كما ابتدأها بسعة قدرته وكمال تنزهه وذلك يدل على اختصاصه بالربوبية والألوهية (قوله أى من الفرائض) دفع بذلك مايقال إن آخر آية نزلت على الاطلاق : واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله فإنها نزلت قبل موت رسول الله بأحد وعشرين يوما ونزل قبلها آية الربا وقبلها : اليوم أكملت لكم دينكم وقبلها آية الكلالة فهى من الأواخر إذا علمت ذلك فقول المفسر أى من الفرائض غير متعين بل يصح أن يكون آخرا نسبيا .

[سورة المائدة]

وجه المناسبة بينها وبين ماقبلها أنه حيث وعدنا الله بالبيان كراهة وقوع الضلال منا تمم ذلك الوعد بذكر هذه السورة فإن فيها أحكاما لم تكن فى غيرها قال البغوى عن ميسرة قال إن الله تعالى أنزل فى هذه السورة ثمانية عشر حكما لم تنزل فى غيرها من سور القرآن وهى المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ماذكيتم وماذبح على النصب وأن تستقسموا بالأزلام وما علمتم من الجوارح مكلبين وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب وتمام بيان الطهر فى قوله : إذا قمتم إلى الصلاة ، والسارق والسارقة ، ولا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ، ماجعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ، وقوله : شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت (قوله مدنية) أى نزلت بعد الهجرة وإن كان بعضها نزل بمكة كقوله تعالى : ياأيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله فإنها نزلت عام الفتح وقوله تعالى : اليوم أكملت لكم دينكم ، فإنها نزلت بعرفة فى حجة الوداع والنبى صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة فقرأها النبى فى خطبته وقال ياأيها الناس إن سورة المائدة من آخر القرآن نزولا فأحلوا حلالها وحرموا حرامها ، وإنما خصها بذلك وإن كان كل سورة يجب تحليل حلالها وتحريم حرامها اعتناء بشأنها (قوله ياأيها الذين آمنوا) العبرة بعموم اللفظ وإن كان الخطاب لأهل المدينة (قوله أوفوا بالعقود) أى ماعقده الله وعهده عليكم من التكاليف والأحكام الدينية ، ومن هنا قالوا : أمور الدين أربعة: الصحة فى العقد والصدق فى القصد والوفاء بالعهد واجتناب الحد.

العهود المؤكدة التي بينكم و بين الله والناس (أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ) الإبل والبقر والغنم أكلاً بعد الذبح (إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ) تحريمه فى حرمت عليكم الميتة الآية فالاستثناء منقطع ويجوز أن يكون متصلا والتحريم لما عرض من الموت ونحوه (غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ) أى محرمون ونصب غير على الحال من ضمير لكم (إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ) من التحليل وغيره لا اعتراض عليه (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ) جمع شعيرة ، أى معالم دينه بالصيد فى الإحرام (وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ) بالقتال فيه (وَلَا الْهَدْيَ) ما أهدى إلى الحرم من النعم بالتعرض له (وَلَا الْقَلَائِدَ) جمع قلادة وهى ما كان يقلد به من شجر الحرم ليأمن ،

(قوله العهود) أشار بذلك إلى أن المراد بالعقد العقد المعنوى وهو العهد المشبه بعقد الحبل وقوله المؤكدة أخذ ذلك من قوله العقود لأن معنى العقد هوالعهد المؤكد (قوله التى بينكم و بين الله) أى كالمأمورات والمنهيات فالوفاء بالمأمورات فعلها والوفاء بالمنهيات تركها ودخل فى قوله و بين الله العهد الواقع بين العبد و بين رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجب على الانسان الوفاء به بأن يؤمن به و يصدق بماجاء به و يعظمه و يحترمه ولايخالف ماأمره به أصلا (قوله و بين الناس) أى كالمعاملات من بيع وشراء ونكاح وطلاق وتمليك وتخيير وعتق ودين ووديعة وصلح ، ومن ذلك أيضا احترام المؤمنين وتعظيمهم وعدم غيبتهم و إيذائهم والنميمة والكذب عليهم ، ومن ذلك أيضا وفاء المريدين بعهود المشايخ على مصطلح الصوفية (قوله أحلت لكم بهيمة الأنعام) كلام مستأنف مسوق لبيان امتنان الله علينا حيث أحلّ لنا أشياء لم تكن لليهود و بنى الفعل للمجهول للعلم بفاعله وهو الله و إضافة بهيمة للأنعام على معنى من كثوب خز لأن البهيمة كما فى القاموس كل ذات أربع قوائم ولو من حيوان الماء أوكل حىّ لايميز (قوله بعد الذبح) مراده مايشمل النحر ولوقال بعد التذكية لكان أشمل (قوله إلاما يتلى عليكم) أى وهو عشرة أشياء أوّلها الميتة وآخرها وماذبح على النصب فقوله الآية أى إلى قوله وماذبح على النصب (قوله فالاستثناء منقطع) أى لأن ماقبل إلا فيما أحلّ ومابعدها فيما حرّم وقوله والتحريم لما عرض أى فهو كان حلالا بحسب الأصل فهو استثناء حلال من حلال هكذا يؤخذ من عبارة المفسر وفيه أنه يلزم عليه أن كل استثناء منقطع لأن مابعد إلا دائما مخالف لما قبلها منقطعا أومتصلا مع أنهم قالوا إن الاستثناء المتصل أن يكون المستثنى من جنس المستثنى منه والمنقطع أن يكون من غير جنسه والمخالفة فى الحكم لابد منها على كل فالأحسن أن يقال إن الانقطاع من حيث إن المستثنى لفظ وهو قوله مايتلى عليكم والمستثنى منه ذات وهو بهيمة الأنعام ولاشك أنه من غير جنسه ويمكن أن يكون متصلا بتقدير مضاف والتقدير إلا محرم مايتلى (قوله غير محلى الصيد) أى غيرمحلين للصيد أى بمعنى معتقدين حله وقوله أى محرمون أى أوفى الحرم فيحرم صيد الأنعام الوحشية بل الصيد مطلقا أنعاما أوغيرها وهو تقييد لقوله : أحلت لكم بهيمة الأنعام كأن الله قال أحلّ الله لكم بهيمة الأنعام كلها والوحشية أيضا من الظباء والبقر والحمر إلا صيد الوحشى منها أومن غيرها وأنتم محرمون فلايجوز فعله ولا اعتقاد حله (قوله ونصب غير على الحال من ضمير لكم) أى وقوله وأنتم حرم حال من الضمير فى محلى (قوله إنّ الله يحكم مايريد) كالعلة لماقبله أى فالأحكام صادرة من الله تعالى على حسب إرادته فلا اعتراض عليه ولامعقب لحكمه وهذا مما يردّ على المعتزلة القائلين بوجوب الصلاح والأصلح (قوله أى معالم دينه) أى العلامات الدالة على دينه من مأمورات ومنهيات ، والمعنى لاتتهاونوا بمعالم دينه وقوله بالصيد فى الإحرام خصه لقرينة ماقبله ومابعده و إلا فاللفظ عام كقوله أوفوا بالعقود فأوّلا أمرنا بالوفاء بها وثانيا نهانا عن التفريط والتهاون بالشعائر وهى كناية عن معالم الدين والاحلال تارة يكون بالفعل أوالاعتقاد (قوله ولاالشهرالحرام) هوومابعده من عطف الخاص على العام اعتناء بشأن تلك الأمور (قوله بالقتال فيه) سيأتى للمفسرأنه منسوخ بآية براءة وان حمل على غير القتال كالظلم مثلا فليس بمنسوخ قال تعالى : فلاتظلموا فيهن أنفسكم (قوله ماأهدى إلى الحرم) إن حمل على هدايا الكفار فهو منسوخ بقوله تعالى : فلايقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا و بقوله : فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم . وسبب ذلك أن رجلا من ربيعة يقال له الحطم شريح بن هند أتى المدينة وترك خيله وجيوشه وجاء رسول الله بنفسه وقد كان أخبرهم النبىّ صلى الله عليه وسلم به فقال الوجه وجه كافر والقفا قفا غادر فلما وصل النبى صلى الله عليه وسلم قال له يامحمد ماتأمرنا به ؟ فقال شهادة أن لاإله إلا الله وأن محمدا رسول الله و إقام الصلاة و إيتاء الزكاة

فقال حسن إلا أن لى أمراء لا أقطع أمرا دونهم ولعلى أسلم وآتى بهم فلما خرج استاق جملة من غنم أهل المدينة و إبلهم فلما كان فى العام القابل جاء ومعه تلك الابل والغنم قد ساقها هدايا وهو مع بنى بكر وهم أصحاب حلف النبى عليه الصلاة والسلام فأحب أصحاب رسول الله أن يأخذوها منه فنزلت الآية (قوله أى فلا تتعرضوا لها) أى للقلائد وهى ماقلد به من شجر الحرم وقوله ولا لأصحابها أى الهدايا المقلدات والنهى عن التعرض للقلائد مبالغة عن التعرض للهدايا على حد ولا يبدين زينتهن لأنه إذا نهى عن إبداء الزينة فما بالك بالجسم الموضوع فيه الزينة، و يحتمل أن معنى قوله أولأصحابها أى الرجال المقلدين لأنهم كانوا فى الجاهلية إذا أرادوا الخروج من الحرم قلدوا أنفسهم بخشبة من شجر الحرم فلا يتعرض لهم فتحصل أن المعنى لاتتعرضوا للهدى و إن لم يكن مقلدا ولا للقلادة من القلد بل ولا للمقلد من الهدايا أوالرجال (قوله آمين) أى قوما آمين (قوله يبتغون فضلا) حال من الضمير فى آمين (قوله وهذا منسوخ) أى قوله ولا الشهر الحرام ولا الهدى ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام وقوله بآية براءة أى جنسها إذ الناسخ أكثر من آية فالمنسوخ ماعدا قوله لا تحلوا شعائر الله فليست منسوخة إن حملت على معالم دينه كما تقدم وأما إن حملت على شعائر الكفار و إحرامهم بمعنى لا تبطلوه ولا تهدموه كان أيضا منسوخا وليس فى المائدة منسوخ غير هذه الآية (قوله أمر إباحة) دفع بذلك مايقال إن الأمر يقتضى الوجوب على المحرم إذاحل من إحرامه أن يصطاد (قوله ولا يجرمنكم) هذه الآية نزلت عام الفتح حين تمكن النبى صلى الله عليه وسلم (٢٤٩) وأصحابه من مكة وأهلها فنهاهم الله تعالى عن التعرض للكفار بالقتال والايذاء والمعنى لاتعاملوهم مثل ما كانوا يعاملونكم به ولذا ورد أن رسول الله لما دخل مكة قال اذهبوا أنتم الطلقاء أنا قائل لكم كما قال أخى يوسف لاخوته: لاتثريب عليكم اليوم وبسبب ذلك صاروا مؤمنين ولذا قال البوصيرى :

ولو أن انتقامه لهوى النفـ ـس لدامت قطيعة وجفاء

أى فلا تتعرضوا لها ولا لأصحابها (وَلَا) تحلوا (آمِّينَ) قاصدين (الْبَيْتَ الْحَرَامَ) بأن تقاتلوهم (يَبْتَغُونَ فَضْلًا) رزقا (مِنْ رَبِّهِمْ) بالتجارة (وَرِضْوَانًا) منه بقصده بزعمهم الفاسد وهذا منسوخ بآية براءة (وَإِذَا حَلَلْتُمْ) من الإحرام (فَاصْطَادُوا) أمر إباحة (وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ) يكسبنكم (شَنَآنُ) بفتح النون وسكونها: بغض (قَوْمٍ) لأجل (أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا) عليهم بالقتل وغيره (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ) فعل ما أمرتم به (وَالتَّقْوَى) بترك مانهيتم عنه (وَلَا تَعَاوَنُوا) فيه حذف إحدى التاءين فى الأصل (عَلَى الْإِثْمِ) المعاصى (وَالْعُدْوَانِ) التعدى فى حدود الله (وَاتَّقُوا اللَّهَ) خافوا عقابه بأن تطيعوه (إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) لمن خالفه (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ) أى أكلها (وَالدَّمُ) أى المسفوح كما فى الأنعام (وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ)،

وقرأ الجمهور بفتح الياء من جرم الثلاثى واختلفوا فى معناه فقيل معناه لا يكسبنكم وقيل معناه لايحملنكم (قوله بفتح النون وسكونها) أى فهو مصدر شنئ كعلم فهو سماعى ومن المادة قول العرب: مشنوء من يشنؤك أى مبغوض من يبغضك وقوله تعالى إن شانئك هو الأبتر أى باغضك (قوله لأجل أن صدوكم) أشار بذلك إلى أنه مفعول لأجله فهو علة للشنآن أى لايحملنكم بغضكم لقوم لأجل صدهم إياكم عن المسجد الحرام (قوله أن تعتدوا) أى بأن تعتدوا أو على أن تعتدوا فمتى أسلموا فهم إخوانكم فلا تتعرضوا لهم (قوله فعل ما أمرتم به) قال ابن عباس البر متابعة السنة (قوله إن الله شديد العقاب) فى الآية وعيد وتهديد عظيم (قوله حرمت عليكم الميتة) هذا شروع فى بيان ما أجمل أولا فى قوله إلا مايتلى عليكم وذكر فى هذه الجملة العظيمة أحد عشر كلها محرمة منها عشرة مطعومة وواحد غير مطعوم وهو قوله : وأن تستقسموا بالأزلام (قوله الميتة) فيه رد على جاهلية العرب حيث قالوا كما حكى الله عنهم وقالوا مافى بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا و إن يكن ميتة فهم فيه شركاء، وعلى المشركين حيث أحلوا أكلها مطلقا (قوله أى المسفوح) أى السائل (قوله كما فى الأنعام) أى فى قوله تعالى: إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا الآية وأما غير المسفوح كالكبد والطحال والدم الباقى فى العروق فهو طاهر ويجوز أكله (قوله ولحم الخنزير) أى ولو ذكى وهو نجس كله ماعدا الشعر إن جز عند مالك فهو طاهر و يجوز استعماله (قوله وما أهل لغير الله به) الاهلال رفع الصوت والأظهر أن اللام بمعنى الباء والباء بمعنى عند والمعنى ومارفع الصوت عند ذكاته بغير الله أى باسم غير الله

كما إذا قال باسم اللات أو العزى قال تعالى ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق فان جمع بين اسم الله واسم غيره غلب اسم الله وتؤكل لأنه يعلو ولايعلى عليه والموضوع أن ذلك وقع من كتابى وأما من مسلم فهو مرتد لاتؤكل ذبيحته وهذا مذهب مالك بن أنس ومراد مالك بأهل الكتاب الذين تؤكل ذبيحتهم إن لم يذكروا اسم غير الله عليه اليهود والنصارى ولو غيروا و بدلوا (قوله بأن ذبح على اسم غيره) المناسب أن يقول بأن صرح عند ذبحها باسم غيره ليندفع التكرار بين ماهنا و بين مايأتى فى قوله وما ذبح على النصب (قوله والمنخنقة) كانوا فى الجاهلية يخنقون الشاة حتى إذا ماتت أكلوها فحرم الله ذلك (قوله والموقوذة) كانوا فى الجاهلية يضربون الشاة بنحو العصا حتى تموت و يأكلونها (قوله والنطيحة) فعيلة بمعنى مفعولة (قوله وما أكل السبع) كانوا فى الجاهلية إذا جرح السبع شيئا وأكل منه أكلوا مابقى. والسبع اسم لكل مايفترس من ذى الناب كالأسد والذئب ونحوهما (قوله أى أدركتم فيه الروح) أى مع بقاء الحياة المستقرة بحيث يتحرك بالاختيار أو يبصر بالاختيار ولو نفذت مقاتله ، وهـذا مذهب الشافعى ومذهب مالك لابد من استقرار الحياة مع عدم إنفاذ المقاتل فما أدرك بذكاة وهو مستقر الحياة وكان قبل إنفاذ مقتله أكل و إلا فلا يؤكل ولو ثبتت له حياة مستقرة. والمقاتل هى قطع النخاع ونثر الدماغ وفرى الودج وثقب المصران ونثر الحشوة وفى شق الودج قولان والاستثناء راجع للمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع وهو متصل على كلا المذهبين مع مراعاة الشرط المتقدم عندكل (قوله وما ذبح على النصب) أى ذكر اسم الصنم على ذلك المذبوح فان فعل ذلك مسلم لولى وقصد التقرب له كما يتقرب لله فهو مرتد لاتؤكل ذبيحته وأما إن قصد أن الذبح لله وثوابه للولى فلا بأس بذلك فان نذر ذبيحة لولى ميت كالسيد البدوى مثلا فان قصد انتفاعه بها كالحى فهو نذر باطل وأما إن قصد أنها تذبح فى محله من غير قصد فقراء ذلك المحل فلا يسوقها لذلك المحل بل يذبحها بأى محل شاء قال مالك سوق الهدايا لغير مكة ضلال و إما إن قصد بسوقها فقراء ذلك المحل لزمه سوقها

بأن ذبح على اسم غيره (وَالْمُنْخَنِقَةُ) الميتة خنقاً (وَالْمَوْقُوذَةُ) المقتولة ضربا (وَالْمُتَرَدِّيَةُ) الساقطة من علو إلى سفل فماتت (وَالنَّطِيحَةُ) المقتولة بنطح أخرى لهـا (وَمَاأَكَلَ السَّبُعُ) منه (إلَّا مَاذَكَّيْتُمْ) أى أدركتم فيه الروح من هذه الأشياء فذبحتموه (وَمَا ذُبِحَ عَلَى) اسم (النُّصُبِ)جمع نصاب وهى الأصنام (وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا) تطلبوا القسم والحكم (بِالْأَزْلَامِ) جمع زلم بفتح الزاى وضمها مع فتح اللام: قدح بكسر القاف صغير لاريش له ولا نصل وكانت سبعة عند سادن الكعبة عليها أعلام وكانوا يحكمونها فإن أمرتهم ائتمروا و إن نهتهم انتهوا (ذَلِكُمْ فِسْقٌ) خروج عن الطاعة . ونزل بعرفة عام حجة الوداع (الْيَوْمَ ،

يئس

(قوله وهى الأصنام) سميت الأصنام نصبا لأنها تنصب وترفع لتعظم وتعبد (قوله تطلبوا القسم) بالكسر ماقسم لكم من خير أو شر و بالفتح أى تمييزه لأن القسم بالفتح تمييز الأنصباء و بالكسر الحظ والنصيب (قوله مع فتح اللام) راجع لكل منهما (قوله وكانت سبعة) أى وكانت أزلامهم سبعة قداح مستوية مكتوب على واحد منها أمرنى ربى وعلى واحد نهانى ربى وعلى واحد منكم وعلى واحد من غيركم وعلى واحد ملصق وعلى واحد العقل وواحد غفل أى ليس عليه شئ وكانوا فى الجاهلية إذا أرادوا أمرا من سفر أو غيره جاءوا إلى هبل وهو أعظم صنم بمكة وكان فى الكعبة وأعطوا صاحب القداح مائة درهم فان خرج أمرنى ربى فعلوا ذلك الأمر و إن خرج نهانى ربى لم يفعلوا و إذا كان ذلك لنسب فان خرج منكم ألحقوه بهم و إن خرج من غيركم لم يلحقوه وإن خرج ملصق كان على حاله و إن اختلفوا فى العقل وهو الدية فمن خرج عليه العقل تحمله و إن خرج الغفل فعلوا ثانيا حتى يخرج المكتوب فنهاهم الله عن ذلك (قوله عند سادن الكعبة) أى خادمها (قوله عليها أعلام) أى كتابة (قوله وكانوا يحكمونها) فى نسخة يجيبونها أى يجيبون حكمها (قوله ذلكم فسق) أى الاستقسام المذكور خروج عن طاعة الله.

إن قلت إن هذه بعينها هى القرعة الجائزة فى الاسلام . أجيب بأن تحريم هذه إنما جاء من إحالتها للصنم وتفويض الأمر له ولذا لو فعلت القرعة بحضرة ولى ميت مثلا وفوض الأمر له لكان الحكم الحرمة كالاستقسام بالأزلام واسم الاشارة مبتدأ وفسق خبر وهو راجع إلى الاستقسام بالأزلام كما هو مروى عن ابن عباس، وقيل راجع إلى جميع ماتقدم وكل صحيح (قوله ونزل بعرفة) أى والنبى قائم يخطب بها قال فى اليوم للعهد الحضورى والمعنى اليوم الحاضر وهو يوم عرفة وكان يوم جمعة

يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ) أن ترتدوا عنه بعد طمعهم فى ذلك لما رأوا من قوته (فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ) أحكامه وفرائضه فلم ينزل بعدها حلال ولا حرام (وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي) بإكماله وقيل بدخول مكة آمنين (وَرَضِيتُ) أى اخترت (لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ، فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ) مجاعة إلى أكل شيء مما حرم عليه فأكله (غَيْرَ مُتَجَانِفٍ) مائل (لِإِثْمٍ) معصية (فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ) له ما أكل (رَحِيمٌ) به فى إباحته له بخلاف المائل لإثم أى المتلبس به كقاطع الطريق والباغى مثلا فلا يحل له الأكل (يَسْأَلُونَكَ) يا محمد (مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ) من الطعام ،

وعاش النبي صلى الله عليه وسلم بعد نزولها أحدا وثمانين يوما (قوله يئس) اليأس ضد الرجاء والمعنى انقطع طمع الكفار فى إبطال دينكم لما شاهدوا من دخول الناس فيه أفواجا وذلك أن قبل حجة الوداع حج أبو بكر بالناس وأرسل النبي صلى الله عليه وسلم عليا خلفه ينادى : لايحج بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ففى حجة الوداع تفرد النبي وأصحابه بالحج فحينئذ نزلت الآية المشرفة (قوله لما رأوا) علة لقوله يئس وقوله بعد طمعهم متعلق بيئس أيضا (قوله فلا تخشوهم) أى لاتخافوهم لاظاهرا ولا باطنا (قوله واخشون) بحذف الياء وصلا ووقفا بخلاف واخشونى فى البقرة فانها بثبوت الياء وصلا ووقفا اتفاقا وبخلاف الآتية فى يأيها الرسول لايحزنك ففيها الحذف والاثبات والمعنى لاتخافوا من الكفار وخافون لأنى مالك الدنيا والآخرة عزا وذلا ولا يملك ذلك غيرى فمن شهد ذلك وكمل دينه فلا يخاف إلا مولاه ولا يرجو سواه فانه المعطى المانع الضار النافع (قوله اليوم) بدل من اليوم قبله (قوله أحكامه وفرائضه) دفع بذلك ما يقال إنه قد نزل بعدها : واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله فيكون حينئذ الكمال نسبيا . فأجاب بأن المراد إكمال الأحكام والفرائض التى أرسل بها رسول الله وأما آية واتقوا يوما فهى موعظة ولا حكم فيها . إن قلت إن قوله أكملت لكم دينكم يقتضى نقصانه قبل ذلك . وأجيب بأن القرآن نزل جملة فى بيت العزة فى سماء الدنيا وصار ينزل بعد ذلك مفرقا فحين نزول هذه كأن الله تعالى يقول لاتنتظروا بعد ذلك حكما فانى قد أتممت لكم ماقدرته لكم وادخرته عندى ولذلك حين نزلت بكى عمر فقال له رسول الله ما يبكيك فقال * إذا تم شيء بدا نقصه * فقال له صدقت فكانت هذه الآية نعى رسول الله صلى الله عليه وسلم روى عن عمر بن الخطاب أن رجلا يهوديا قال له يا أمير المؤمنين آية فى كتابكم لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا فقال له أى آية ؟ قال : اليوم أكملت لكم دينكم الآية فقال عمر قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذى أنزلت فيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم بعرفة يوم الجمعة بعد العصر اه وقد تضمن جواب عمر أنهم جعلوا صبيحتها عيدا (قوله بإكماله) أى الدين والأحسن أن يراد بإتمام النعمة ماهو أعم (قوله ورضيت) هذه الجملة مستأنفة لبيان الحال وليست معطوفة على أكملت لأنه يقتضى أنه لم يرض الاسلام دينا إلا اليوم ولم يرضه قبل ذلك وليس كذلك لأن الاسلام لم يزل مرضيا لله وللنبي وأصحابه منذ أرسله ، ورضى متعد لواحد الاسلام مفعوله ودينا تمييز (قوله فمن اضطر) مفرع على حرمت عليكم الميتة فقوله اليوم يئس الذين كفروا من دينكم إلى قوله دينا معترض بينهما لبيان أن الأسلام حنيفية سمحاء لاصعوبة فيه كالأديان المتقدمة ومن اسم شرط واضطر فعل الشرط وجوابه محذوف تقديره فلا إثم عليه وقد صرح به فى آية البقرة (قوله أى أكل شيء) أى بقدر الضرورة وسد الرمق وبذلك قال الشافعى ، وقال مالك يأكل المضطر من الميتة ويشبع ويتزود فان استغنى عنها طرحها وقدم مال الغير على الميتة عند مالك إن لم يخف الضرر وقدم المختلف فيه على المتفق على حرمته (قوله غير متجانف لاثم) أى بأن كان اضطراره ناشئا عن إثمه فلا يجوز له الأكل هكذا حمل الآية مالك ، وقال الشافعى غير متجانف لاثم بأن كان عاصيا بسفره كالآبق وقاطع الطريق فقول المفسر كقاطع الطريق والباغى أى المسافرين ، وأما الحاضرون فيباح لهم أكل الميتة وأما عند مالك فلا فرق بين العاصى بالسفر والطائع به فانهما كالحاضر فيأكلان منها إذا اضطرا حيث لم يمكن إصراره على المعصية موقعا له فى الاضطرار (قوله يسئلونك) هذه الآية مرتبة على قوله حرمت عليكم الميتة الخ ، فلما بين المحرمات سألوا عن الحلال وصورة السؤال ماذا أحل الله لنا وروى فى سبب نزولها أن جبريل أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستأذن عليه فأذن له فلم يدخل فقال له النبي

(قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ) المستلذات (وَ) صيد (مَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ) الكواسب من الكلاب والسباع والطير (مُكَلِّبِينَ) حال من كلبت الكلب بالتشديد أى أرسلته على الصيد (تُعَلِّمُونَهُنَّ) حال من ضمير مكلبين أى تؤدبونهن (مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ) من آداب الصيد (فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ) و إن قتلته بأن لم يأكلن منه بخلاف غير المعلمة فلا يحل صيدها وعلامتها أن تسترسل إذا أرسلت وتنزجر إذا زجرت وتمسك الصيد ولا تأكل منه وأقل ما يعرف به ذلك ثلاث مرات فإن أكلت منه فليس مما أمسكن على صاحبها فلا يحل أكله كما فى حديث الصحيحين ، وفيه أن صيد السهم إذا أرسل وذكر اسم الله عليه كصيد المعلَّم من الجوارح (وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ) عند إرساله (وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ . الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ) المستلذات (وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ)

قد أذنا لك يارسول الله قال أجل ولكنا لاندخل بيتا فيه كلب فأمر صلى الله عليه وسلم أبا رافع بقتل كل كلب فى المدينة ففعل حتى انتهى إلى امرأة عندها كلب ينبح عليها فتركه رحمة لها ثم جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فأمره بقتله فرجع إلى الكلب فقتله فجاءوا إلى رسول الله فقالوا له ما يحل لنا من هذه الأمة التى أمرت بقتلها قال فسكت رسول الله فنزل ـ يسألونك ماذا أحل لهم ـ الآية فعند ذلك أذن رسول الله فى اقتناء الكلاب التى ينتفع بها ، ونهى عن إمساك مالا نفع فيه منها ، روى الشيخان عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أمسك كلبا فانه ينقص من عمله كل يوم قيراط » وفى رواية « قيراطان إلا كلب حرث أوماشية » ويؤخذ من هذا الحديث أن قتل غير النافع من الكلاب مندوب إن لم يكن عقورا يخشى منه الضرر ولايندفع إلا بالقتل و إلا وجب قتله عند مالك (قوله المستلذات) أى الشرعية وهى مالم يثبت تحريمها بكتاب أوسنة فلا يرد لحم الخنزير مثلا إذا أتقن طبخه (قوله وصيد ماعلمتم) قدره إشارة إلى أن مامعطوف على الطيبات لكن على حذف مضاف وصيد بمعنى مصيد ومن الجوارح بيان لما (قوله مكلبين حال) أى من التاء فى علمتم (قوله من كلبت) أى مأخوذ من كلبت (قوله أرسلته على الصيد) أى فمعنى مكلبين مرسلين بمعنى قاصدين إرساله احترازا عما لوذهب من غير إرسال وأتى بصيد فلايؤكل وفسره غيره بالتعليم فيكون حالا مؤكدة لعاملها وماقاله المفسر أوجه و إن ردّ بأنه لامستند له فى ذلك لأن المفسر حجة ، وعبر عن الارسال بالتكليب إما إشارة إلى أن ذلك غالب فى الكلاب أو أن الكلب يطلق على كل مايصاد به من سبع وطير (قوله حال من ضمير مكلبين) أى مؤكدة إن فسر مكلبين بمعلمين ومؤسسة إن فسر بمرسلين و يصح أن يكون جملة مستأنفة موضحة لما قبلها (قوله مما علمكم الله) من للتبعيض ، وقوله من آداب الصيد بيان لما (قوله فكلوا مما أمسكن عليكم) نتيجة قوله وما علمتم من الجوارح ، وقوله عليكم أى لكم (قوله بأن لم يأكلن منه) أى فان أكلن منه فلايؤكل وهو داخل فى قوله وما أكل السبع ، وهذا الشرط اعتبره الشافعى وعند مالك يؤكل ولو أكل منه الجارح فان أدرك حيا فلا بدّ من ذكاته الشرعية ، فقوله بأن لم يأكلن تفسير لقوله أمسكن عليكم لأنه إن أكل منه فليس ممسكا لصاحبه بل لنفسه وقد علمت أن هذا التقييد مذهب الشافعى وسيأتى إيضاحه فى آخر عبارة المفسر (قوله وعلامتها الخ) ذكر أربع علامات وهى معتبرة فى الكلب والسبع ، وأما فى الطير كالصقر فلا يعتبر فيه إلا قيدان أن لايأكل منه وأنه إذا أرسل استرسل . والحاصل أن المدار عند مالك فى الصقر أنه إذا أرسل استرسل وزاد الشافعى فيه أن لايأكل مما أمسك ، وأما فى الكلب والسبع ففيه القيود الأربعة التى ذكرها المفسر ماعدا الأكل عند مالك (قوله كما فى حديث الصحيحين) أى ولكن هذا الحديث لم يأخذ به مالك (قوله وفيه) أى فى الحديث (قوله وذكر اسم الله عليه) أى وهو سنة عند الشافعى وعند مالك واجب مع الذكر والقدرة ، وأما النية فلابد منها لأنها شرط صحة (قوله كصيد المعلم من الجوارح) ألحق مالك بالسهم ماصيد ببندق الرصاص لأن قوته تقوم مقام حد السهم (قوله عليه) اختلف فى مرجع الضمير فقيل عائد على ماعلمتم من الجوارح و إليه يشير المفسر بقوله عند إرساله وقيل عائد على ما أمسكن عليكم أى سموا الله إذا أدركتم ذكاته (قوله واتقوا الله) أى امتثلوا أوامره واجتنبوا نواهيه حيث بين لكم الحلال والحرام (قوله سريع الحساب) ورد أنه يحاسب الخلق فى قدر نصف يوم من أيام الدنيا (قوله اليوم) يحتمل أن المراد باليوم المتقدم فى قوله اليوم يئس الذين كفروا وهو يوم عرفة ، ويحتمل أن المراد يوم نزولها و يحتمل

أن المراد به الزمن مطلقا (قوله أى ذبائح اليهود والنصارى) أى إن ذبح ماهو حلّ لهم فى شرعنا ولم يذكر اسم غير الله عليه وتؤكل ذبائحهم ولوغيروا اليهودية بالنصرانية وعكسه عند مالك واشترط الشافعى عدم التغيير والتبديل (قوله وطعامكم إياهم) أى بمعنى إطعامكم إياهم ومعنى حلّ لهم أى لايحرم عليهم بشرعهم ولايحرم علينا أن نطعمهم من ذبائحنا (قوله والمحصنات من المؤمنات) أى الحرائر منهن وأما الإماء فتقدم أنهن حلّ بالشروط (قوله الحرائر) أى وأما الإماء فلايحلّ نكاحهن إلا بالملك وأما حرائرنا فلايحلّ لهم نكاحهن بل ولا إماؤنا فتحصل أن طعامنا حلّ لهم وطعامهم حلّ لنا ونساؤهم حلّ لنا ونساؤنا لسن حلا لهم (قوله إذا آتيتموهن أجورهن) بيان للأكمل واحترز عن الدخول على إسقاطه فلا يحلّ والظرف متعلق بالخبر المحذوف الذى قدره المفسر بقوله حلّ لكم (قوله محصنين) حال من آتيتموهن أى حال كونكم محصنين، وقوله غيرمسافحين نعت لمحصنين (قوله أخدان) جمع خدن وهو الخليل والصاحب الذى يزنى بالمرأة سرّا (قوله بالايمان) الباء بمعنى عن والكفر بمعنى الردّة أى يرتدّ عن الايمان (قوله حبط عمله الصالح) أى والسيء إن عاد للاسلام بمعنى بطل كل منهما فلو عاد للاسلام فلا عقاب عليه فى السيء ولا ثواب له فى الصالح والمرتدّ لايقضى الصلاة ولا الصوم ولا الزكاة إذا فاته جميع ذلك فى زمن الردّة أوقبل زمنها مالم يرتدّ بقصد إسقاط ذلك ولايقضى إلاما أسلم فى وقته لعموم آية ـ قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفرلهم ماقد سلف ـ عند مالك وعند الشافعى يقضى جميع ذلك، وأما الحج فوقته وهو العمر باق فيقضيه (قوله إذا مات عليه) أى الكفر وهو راجع لقوله وهو فى الآخرة من الخاسرين لا لما قبله فانه يحبط عمله زمن

الردّة مطلقا مات على الكفر أو الاسلام (قوله يا أيها الذين آمنوا) إنما وجه الخطاب للمؤمنين وإن كان الكفار مخاطبين بفروع الشريعة أيضا على الصحيح لعدم صحتها منهم إلا بالاسلام (قوله إذا قمتم) أى اشتغلتم بها قولا أوفعلا من قيام أو غيره (قوله أى أردتم القيام) دفع بذلك

أى ذبائح اليهود والنصارى (حِلٌّ) حلال (لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ) إياهم (حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ) الحرائر (مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ) حل لكم أن تنكحوهن (إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ) مهورهن (مُحْصِنِينَ) متزوجين (غَيْرَ مُسَافِحِينَ) معلنين بالزنا بهن (وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ) منهن تسرون بالزنا بهن (وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ) أى يرتد (فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ) الصالح قبل ذلك فلا يعتد به ولا يثاب عليه (وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) إذا مات عليه (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ) أى أردتم القيام (إِلَى الصَّلَاةِ) وأنتم محدثون (فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ) أى معها كما بينته السنة (وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ)،

مايقال إن مقتضى الآية أن الطهارة لاتجب إلا بعد الشروع فى الصلاة فأجاب بأن المراد أردتم القيام أى قصدتموه وعزمتم عليه وشرعت الطهارة قبل الصلاة لأن المصلى يناجى ربه وهو فى حضرته فيحتاج قبل ذلك للنظافة من الحدثين الأصغر والأكبر ومن الخبثين الحسى والمعنوى كالذنوب ليترتب على ذلك قبول طاعاته (قوله وأنتم محدثون) أى حدثا أصغر وأخذ المفسر هذا من قوله فيما يأتى: وإن كنتم جنبا وفيه إشارة للجواب عن إشكال البيضاوى حيث قال ظاهر الآية أن كل قائم إلى الصلاة يجب عليه الوضوء وإن لم يكن محدثا، وقوله وأنتم محدثون أى ممنوعون من الصلاة لعدم وجود الطهارة فيشمل من ولد ولم يحصل منه مايوجب الوضوء إلى أن بلغ فيجب عليه الوضوء لأنه كان ممنوعا من الصلاة قبل ذلك لعدم وجود الطهارة ولذا علق الوضوء بالقيام للصلاة (قوله وجوهكم) أى ليغسل كل منكم وجهه ولوتعدد وحدّه طولا من منابت شعر الرأس المعتاد لآخر الذقن وعرضا مابين وتدى الأذنين ويخلل لحيته إن كانت خفيفة وإلا غسل ظاهرها فقط ويتتبع أسارير جبهته والوترة ولايلزمه غسل داخل العينين وأما المضمضة والاستنشاق ومسح الأذنين فسنة (قوله أى معها) أشار بذلك إلى أن إلى بمعنى مع وهذا أسهل ماقيل وقيل إن إلى على بابها من الانتهاء والغاية داخلة وقيل خارجة وقيل إن كان مابعدها من جنس ماقبلها دخلت وإلا فلا والأصح أن إلى لايدخل مابعدها فيما قبلها عكس حتى، قال سيدى على الأجهورى

وفى دخول الغاية الأصح لا ... تدخل مع إلى وحتى دخلا

وأما فى الآية فاما أن يقال إنها بمعنى مع أو الغاية داخلة على خلاف القاعدة لوجود القرينة فغسل المرافق واجب لذاته وليس من باب مالايتم الواجب إلابه فهو واجب (قوله كما بينته السنة) أى فبينت السنة أن المرافق تغسل مع الأيدى ويجب تخليل أصابع الأيدى عند مالك لوجوب الدلك عنده.

(قوله الباء للالصاق) وقيل التبعيض لدخولها على متعدد ، وأما فى: وليطوفوا بالبيت فللالصاق لدخولها على غير متعدد وأورد على ذلك آية التيمم فان قيل إنها للالصاق يقال أى فرق بينهما ولما كان هذا المعنى معترضا عدل عنه المفسر وجعلها للالصاق فى كل وأحال بيان ذلك للسنة (قوله أى ألصقوا المسح بها) لعل فى كلام المفسر تسامحا لأن المسح معنى من المعانى لايلصق لأن الالصاق لا يكون إلا بين جسمين إلا أن يقال المراد بالمسح آلته وهى اليد (قوله من غير إسالة ماء) بيان لحقيقة المسح من حيث هو لا لما يكفى فى الوضوء فانّ الغسل يكفى أيضا (قوله وهو) أى المسح (قوله وهو مسح بعض شعرة) وقال أبو حنيفة يجب مسح ربع الرأس ، وقال مالك وأحمد يجب مسح الجميع كما يجب مسح الوجه فى التيمم (قوله بالنصب) أى لفظا وهى قراءة نافع وابن عامر والكسائى وحفص عن عاصم وقوله والجر أى وهى لباقى السبعة (قوله على الجوار) أى فهو فى المعنى منصوب بفتحة مقدّرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المجاورة. واعترض هذا الحل بأنه لم يرد الجر بالمجاورة إلا فى النعت ومع ذلك هو ضعيف والأولى أن يقال إنه مجرور لفظا ومعنى معطوف على الرءوس والمسح مسلط عليه ويحمل على حالة لبس الخف، أو يقال إن المراد بالمسح الغسل الخفيف وسماه مسحا رداً على من يتتبع الشك ويسرف فى الماء وهو بعيد (قوله وهما) أى الكعبان (قوله عند مفصل) بفتح الميم وكسر الصاد وأما بكسر الميم وفتح الصاد فهو اللسان ويجب على الانسان فى غسل رجليه أن يتتبع العقب بالغسل لما فى الحديث «ويل للأعقاب من النار» وتسنّ الزيادة على محلّ الفرض عند الشافعى وفسر بها الغرّة والتحجيل الواردين فى الحديث وكره مالك ذلك وفسر الغرّة والتحجيل بادامة الطهارة (قوله والفصل) هو مبتدأ وخبره يفيد وقصده بذلك تتميم الفرائض الستة عند الشافعى ومحصل ذلك أن الواو وإن كانت لاتقتضى ترتيبا لكن وجدت قرينة تفيد الترتيب من

الباء للالصاق ، أى ألصقوا المسح بها من غير إسالة ماء وهو اسم جنس فيكفى أقل ما يصدق عليه وهو مسح بعض شعرة وعليه الشافعى (وَأَرْجُلَكُمْ) بالنصب عطفا على أيديكم وبالجر على الجوار (إِلَى الْكَعْبَيْنِ) أى معهما كما بينته السنة وهما العظمان الناتئان فى كل رجل عند مفصل الساق والقدم، والفصل بين الأيدى والأرجل المغسولة بالرأس الممسوح يفيد وجوب الترتيب فى طهارة هذه الأعضاء وعليه الشافعى ، ويؤخذ من السنة وجوب النية فيه كغيره من العبادات (وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا) فاغتسلوا (وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى) مرضا يضره الماء (أَوْ عَلَى سَفَرٍ) أى مسافرين (أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ) أى أحدث (أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ) سبق مثله فى آية النساء (فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً) بعد طلبه (فَتَيَمَّمُوا) اقصدوا (صَعِيدًا طَيِّبًا) ترابا طاهرا (فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ) مع المرفقين (مِنْهُ) بضربتين والباء للالصاق وبينت السنة أن المراد استيعاب العضوين بالمسح (مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ) ضيق بما فرض عليكم من الوضوء والغسل والتيمم (وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ) ،

وهو الفصل بين المغسولات بالرأس الممسوح لكن يقال إن ذلك ظاهر فى غير الوجه مع الأيدى وعند مالك ليس الترتيب فرضا وإنما هو سنة إبقاء للواو على ظاهرها ولم يعتبر تلك القرينة (قوله وجوب النية فيه) أى لأنه عبادة وكلّ عبادة تحتاج لنية فتحصل أن فرائض الوضوء عند الامام الشافعى ستة الأربعة القرآنية والنية والترتيب ، وعند مالك سبعة الأربعة والنية والموالاة بأن لايفرق بين أجزائه تفريقا متفاحشا والتدليك وهو إمرار باطن الكف على الأعضاء وعند الحنفية الأربعة القرآنية لاغير (قوله وإن كنتم جنبا) أى بمغيب الحشفة أو خروج المنى بلذة معتادة فى اليقظة أو مطلقا فى النوم أو الحيض أو النفاس لأن الخطاب عام للذكور والاناث (قوله أى أحدث) أى فالمجىء من الغائط كناية عن الحدث وعبر عنه بالغائط لأن العادة قضاء الحاجة فى الغائط بمعنى المكان المنخفض (قوله سبق مثله) أى فيقال هنا جامعتم أوجسستم باليد (قوله مع المرفقين) أى فهو فرض عند الشافعى حملا على آية الوضوء وعند مالك مسح المرفقين سنة وإنما الفرض للكوعين (قوله بضربتين) أى فهما فرض عند الشافعى وعند مالك الأولى فرض والثانية سنة (قوله وبينت السنة الخ) جواب من الشافعية والحنفية عن التعارض الواقع بين آية الوضوء وآية التيمم (قوله من الوضوء والغسل والتيمم) أى فأوجب ماذكر عند القدرة عليه ووجود الماء أو الصعيد فان فقدا معا سقطت عنه الصلاة وقضاؤها على المعتمد عند مالك ويصلى ويقضى عند الشافعى .

(قوله من الأحداث والذنوب) أى فاذا تطهر الانسان فقد خلص من الحدث والذنوب لأنه ورد أن الذنوب تتساقط مع غسل الأعضاء (قوله بالاسلام) الباء للتعدية والجار والمجرور متعلق بنعمة فهو أعظم النعم لأنه به ينال كل خير (قوله إذ قلتم) ظرف لقوله: واثقكم به (قوله حين بايعتموه) أى عند العقبة سنة الهجرة لما جاءه سبعون من الأنصار ورئيسهم إذ ذاك البراء بن معرور وكان له اليد البيضاء فى الميثاق حتى أنه قال والذى بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا فبايعنا يارسول الله فنحن والله أبناء الحرب كابرا عن كابر، وبايعوه على أن يقاتلوا معه الأسود والأبيض وكذلك بيعة الرضوان تحت الشجرة حين صده المشركون عن البيت وأشاع إبليس أن عثمان قتل فبايع النبى صلى الله عليه وسلم الصحابة على عدم الرجوع حتى يقتلوا أو يدخلوا مكة ، هكذا حمل المفسر العهد على عهد النبى أصحابه ، ويحتمل أن المراد العهد الواقع يوم ألست بربكم فيكون المعنى اذكروا نعمة الله عليكم حيث خلقكم على التوحيد فى عالم الأرواح وجعل عالم الأجساد موافقا له فالايمان نعمة عظيمة لموافقته للاجابة الواقعة يوم ألست بربكم وكل صحيح لكن إن كان المراد عهد الله الأزلى فالنسبة له ظاهرة و إن كان المراد عهد النبى لأصحابه فاسناد العهد لله لأنه هو المعاهد حقيقة قال تعالى ـ إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ـ الآية (قوله سمعنا) أى سماع قبول (قوله مما نحب) أى بأن كان موافقا لماتهواه نفوسهم وقوله ونكره أى بأن لم يكن موافقا كالجهاد وأداء الزكاة مثلا (قوله بما فى القلوب) أى من الاخلاص وغيره فذات الصدور صفة لموصوف محذوف تقديره بالأمور الخفية

من الأحداث والذنوب (وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ) بالإسلام ببيان شرائع الدين (لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) نعمه (وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ) بالإسلام (وَمِيثَاقَهُ) عهده (الَّذِى وَاثَقَكُمْ بِهِ) عاهدكم عليه (إِذْ قُلْتُمْ) للنبى صلى الله عليه وسلم حين بايعتموه (سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا) فى كل ما تأمر به وتنهى مما نحب ونكره (وَاتَّقُوا اللهَ) فى ميثاقه أن تنقضوه (إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) بما فى القلوب فبغيره أولى (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ) قائمين (لِلَّهِ) بحقوقه (شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ) بالعدل (وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ) يحملنكم (شَنَآنُ) بغض (قَوْمٍ) أى الكفار (عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا) فتنالوا منهم لعداوتهم (اعْدِلُوا) فى العدو والولى (هُوَ) أى العدل (أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) فيجازيكم به (وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) وعدا حسنا (لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ)

صاحبات الصدور التى لايطلع عليها إلا الله (قوله يأيها الذين آمنوا الخ) شروع فى بيان الحقوق الواجبة على العباد وهى قسمان متعلق بالخالق وهو قوله قوامين لله و بالمخلوق وهو قوله شهداء بالقسط وقد تقدمت هذه الآية فى النساء وكررها اعتناء بشأنها فان مقام القيام بحق الله وحق عباده عظيم وهو حقيقة التوفيق فليس كل من آمن قام بالحقين وقوله قوامين خبر لكونوا وشهداء خبر ثان (قوله بحقوقه) أى الخاصة به كالصلاة والصوم والحج وغير ذلك (قوله شهداء بالقسط) أى فلا تشهدوا بخلاف الواقع بل بما فى نفس الأمر وهو المراد بقوله بالعدل (قوله يحملنكم) هو معنى يجرمنكم ومن ثم عداه بعلى و يجوز أن يفسر بيكسبنكم وهما متقاربان (قوله شنآن) بفتح النون وسكونها سبعيتان (قوله أى الكفار) أشار به إلى أنها نزلت فى قريش لما صدوا النبى صلى الله عليه وسلم عن المسجد الحرام ولكن العبرة بعموم اللفظ (قوله على أن لاتعدلوا) أن ومادخلت عليه فى تأويل مصدر مجرور بعلى أى على عدم العدل كنقض العهد و إيذاء من أسلم منهم (قوله فتنالوا منهم) أى مقصودكم من القتل وأخذ المال (قوله فى العدو والولى) أى فسووا بين المحب والمبغض فى العدل ولا تؤثروا المحب (قوله اعدلوا) تصريح بما علم من النهى عن ترك العدل اعتناء بشأن العدل (قوله أى العدل) أى المأخوذ من قوله اعدلوا فان الضمير لابد أن يرجع لمذكور ولو ضمنا كما هنا (قوله أقرب للتقوى) أى أقرب مايدل على التقوى لأنها فى القلب والعدل أكبر دليل عليها فعند القدرة يظهر الحال فمن ظهر العدل على يديه كان دليلا على تقواه ومن لا فلا ومنه ماورد: الظلم كمين فى النفس القوة تظهره والعجز يخفيه (قوله واتقوا الله) أى امتثلوا أوامره واجتنبوا نواهيه (قوله إن الله خبير بما تعملون) فيه وعد ووعيد و بين الوعد بقوله: وعد الله الذين آمنوا ، و بين الوعيد بقوله: والذين كفروا الخ (قوله وعد الله الذين آمنوا) تفصيل لما أجمل فى قوله إن الله خبير بما تعملون والذين مفعول أول لوعد وقدر المفسر المفعول الثانى بقوله وعدا حسنا أى موعودا فأطلق

الصدر وأراد اسم للفعول وقوله لهم مغفرة وأجر عظيم جملة مستأنفة بيان للوعود به الحسن (قوله الجنة) تفسير للأجر العظيم فيكون عطف الأجر العظيم على المغفرة من عطف السبب على السبب (قوله والذين كفروا) مبتدأ وأولئك مبتدأ ثان وأصحاب خبر الثانى والثانى وخبره خبر الأول والجملة مستأنفة لبيان وعيد الكفار ولم يقل فى جانب الكفار لهم عذاب الجحيم مثلا قطعا لرجائهم لأن صاحب الشىء لاينفك عنه (قوله يأيها الذين آمنوا) سبب نزولها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج هو وأصحابه لعسفان فى غزوة ذى أنمار وهى غزوة ذات الرقاع قاموا إلى الظهر جميعا فلما صلوا ندم المشركون على عدم المكر بهم فى الصلاة فقالوا إن لهم بعدها صلاة هى أحب إليهم من آبائهم وأبنائهم يعنون بها صلاة العصر وهموا أن يقعوا بهم إذا قاموا إليها فرد الله كيدهم بنزول آية صلاة الخوف وقيل ماروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بنى قريظة ومعه أبو بكر وعمر وعلى يستقرض منهم دية مسلمين قتلهما عمرو بن أمية الضمرى خطأ يحسبهما مشركين فقالوا ياأبا القاسم اجلس حتى نطعمك ونعطيك ماسألت فأجلسوه فى صفة وهموا بالفتك به وعمد عمرو بن جحاش إلى رحى عظيمة يطرحها عليه فأمسك الله تعالى يده ونزل جبريل عليه وأخبره فخرج هو وأصحابه ونقض عهدهم حينئذ وأقام الحرب عليهم ،وقيل هو ماروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل منزلا وتفرق أصحابه فى الشجر يستظلون به فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة وعلق سيفه بها ونام فجاء أعرابى وأخذ السيف من الشجرة وسله فاستيقظ النبى صلى الله عليه وسلم فوجده فى يده فقال له الأعرابى يامحمد من يمنعك منى فقال الله فسقط السيف من يده فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له من يمنعك منى فقال لاأحد، أشهد أن لاإله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله . والأحسن أن يراد بقوله إذ هم قوم ماهو أعم فيشمل هذه الوقائع وغيرها كواقعة السم

هو الجنة (وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ) هم قريش (أَنْ يَبْسُطُوا) يمدوا (إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ) ليفتكوا بكم (فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ) وعصمكم مما أرادوا بكم (وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ . وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ) بما يذكر بعد (وَبَعَثْنَا) فيه التفات عن الغيبة أقمنا (مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا) من كل سبط نقيب يكون كفيلا على قومه بالوفاء بالعهد توثقة عليهم ، (وقال)

(قوله أن يبسطوا الخ) يقال بسط إليه يده إذا بطش به و بسط إليه لسانه إذا شتمه والمراد مدوا إليكم أيديهم بالقتل (قوله واتقوا الله) أى دوموا على امتثال أوامره واجتناب نواهيه (قوله وعلى الله) أى لاعلى غيره فلا يعتمد الانسان على سبب ولا غيره بل يثق بالله و يفوض أمره إليه (قوله ولقد أخذ الله ميثاق بنى إسرائيل) كلام مستأنف مسوق لبيان تحريض المؤمنين على الوفاء بالعقود فان المقصود من ذكر الأمم السابقة ونقضهم عهود أنبيائهم تذكير هذه الأمة بأن الوفاء بالعهود أمره عظيم وأجره جسيم ونقضه فيه الوبال الكبير ولذا قال العارف أبو الحسن الشاذلى : فالويل لمن لم يعرفك بل الويل ثم الويل لمن أقر بوحدانيتك ولم يرض بأحكامك (قوله بمايذكر بعد) أى من قوله إنى معكم لئن أقمتم الصلاة الخ فعهد الله هو امتثال المأمورات واجتناب المنهيات والدال على ذلك تجب مطاوعته فالشيخ المتمسك بشرع رسول الله القائم بحقوق الله وحقوق عباده إذا أخذ العهد بذلك على إنسان وجب عليه اتباعه ونقض عهده إما كفر إذا قصد نقض ماهو عليه من التوحيد وغيره أو ضلال مبين إذا قصد عدم الالتزام بأوراده، وأما من خالف الشرع واتبع هوى نفسه فالواجب نقض عهده لأن من لاعهد له مع الله لاعهد له مع خلقه قال تعالى ـ فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى ـ هكذا ينبغى (قوله فيه التفات عن الغيبة) أى وكان مقتضى الظاهر و بعث و إنما التفت اعتناء بشأن البعث (قوله أقمنا) أشار بذلك إلى أن المراد بالبعث الجعل والاقامة لا الارسال و إلا لكانوا معصومين من النقض (قوله منهم) إما متعلق ببعثنا أو بمحذوف حال من اثنى عشر وقوله نقيبا تمييز والنقيب فعيل إما بمعنى فاعل لأنه ينقب على أحوال القوم أو بمعنى مفعول لأنهم نقبوا عليه واختاروه نقيبا عليهم مشتق من التنقيب وهو التفتيش ومنه فنقبوا فى البلاد سمى بذلك لأنه يفتش عن أحوال القوم و يسعى فى مصالحهم (قوله من كل سبط نقيب) أى فالنقباء على عدد الأسباط وهم أولاد يعقوب وكانوا اثنى عشر كل أولاد واحد منهم سبط (قوله توثقة عليهم) أى تأكيدا عليهم .

(قوله وقال لهم) أى للنقباء وعهد النقباء هو عهد بنى إسرائيل أو الضمير عائد على بنى إسرائيل عموما. وسبب ذلك أن بنى إسرائيل لما رجعوا إلى مصر بعد هلاك فرعون أمرهم الله تعالى بالسير إلى أريحاء بأرض الشام وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيون وقال لهم إنى كتبتها لكم دارا وقرارا فأخرجوا من فيها و إنى ناصركم وأمر موسى أن يأخذ من كل سبط نقيبا أمينا يكون كفيلا على قومه بالوفاء بما أمروا به ، فاختار النقباء وأخذ الميثاق على بنى إسرائيل وسار بهم ، فلما دنا من أرض كنعان بعث النقباء إليهم يتجسسون أحوالهم فرأوا خلقا أجسامهم عظيمة ولهم قوة وشوكة فهابوهم فرجعوا ، وكان موسى قد نهاهم أن يتحدثوا بما يرون من أحوال الكنعانيين فنكثوا الميثاق وتحدثوا إلا اثنين منهم ، قيل لما توجه النقباء لتجسس أحوال الجبارين لقيهم عوج ابن عنق وعنق أمه إحدى بنات آدم لصلبه وكان عمره ثلاثة آلاف سنة وطوله ثلاثة آلاف وثلثمائة وثلاثين ذراعا وكان على رأسه حزمة حطب فأخذ النقباء وجعلهم فى الحزمة وانطلق بهم إلى امرأته فطرحهم بين يديها وقال اطحنيهم بالرحى ، فقالت لا بل نتركهم حتى يخبروا قومهم بما رأوا فجعلوا يتعرفون أحوالهم ، وكان من أحوالهم أن عنقود العنب عندهم لا يحمله إلا خمسة رجال منهم و إن قشرة الرمانة تسع خمسة منهم ، فلما خرج النقباء من أرضهم قال بعضهم لبعض إن أخبرتم بنى إسرائيل بخبر القوم ارتدوا عن نبى الله ولكن اكتموه إلا عن موسى وهرون ثم انصرفوا إلى موسى وكان معهم حبة من عنبهم فنكثوا عهدهم وجعل كل واحد منهم نهى سبطه عن القتال ويخبره بما رأى إلا كالب ويوشع وكان عسكر موسى فرسخا فى فرسخ فجاء عوج ابن عنق حتى نظر إليهم فجاء إلى جبل وأخذ منه صخرة على قدر عسكر موسى ثم حملها على رأسه ليطبقها عليهم فبعث الله الهدهد فنقر وسط الصخرة المحاذى لرأسه فوقعت فى عنقه وطوقته فصرعته وأقبل موسى فقتله فأقبلت جماعته حتى حزوا رأسه ، وهذه القصة ذكرها كثير من المفسرين . قال المحققون : الحق أنه لا عوج ولا عنق و إنما الصحيح من القصة وجود الجبارين وقريتهم وأنهم عظام الأجسام ، و بالجملة فالصحيح هو ما قصه الله علينا فيما يأتى فى هذا الربع (قوله لام قسم) أى والله وجوابه هو قوله لأكفرن وحذف جواب الشرط لتأخره عن القسم اكتفاء بجواب القسم . قال ابن مالك :

* واحذف لدى اجتماع شرط وقسم * جواب ما أخرت (قوله وآمنتم برسلى) أخره عن الصلاة والزكاة مع أنهما من الفروع لأن بعضهم كان يفعلهما مع كونه يكذب ببعض الرسل ، فأفاد الله تعالى أن عدم الايمان لا ينفع مع فعل الطاعات (قوله وعزرتموهم) من التعزير يطلق على التعذيب وعلى التعظيم والتوقير والنصرة وهو المراد هنا (قوله بالانفاق فى سبيله) أى واجبا أو مندوبا وهو أعم من الزكاة (قوله فنقضوا الميثاق) أى بتكذيبهم الرسل وقتلهم الأنبياء وتضييعهم الفرائض (قوله يحرفون الكلم) بيان لقسوة قلوبهم (قوله تركوا) أشار بذلك إلى أن المراد بالنسيان الترك من إطلاق الملزوم و إرادة اللازم (قوله خيانة) أشار بذلك إلى أن خائنة بمعنى خيانة فالتاء للتأنيث بدليل القراءة الأخرى خيانة (قوله وهذا) أى الأمر بالعفو والصفح منسوخ إن أريد مع بقائهم على الكفر ، وأما إن أريد إن تابوا فلا نسخ .

(وَقَالَ) لهم (اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ) بالعون والنصرة (لَئِنْ) لام قسم (أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ) نصرتموهم (وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا) بالانفاق فى سبيله (لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ) الميثاق (مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ) أخطأ طريق الحق، والسواء فى الأصل الوسط فنقضوا الميثاق قال الله تعالى (فَبِمَا نَقْضِهِمْ) ما زائدة (مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ) أبعدناهم عن رحمتنا (وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً) لا تلين لقبول الإيمان (يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ) الذى فى التوراة من نعت محمد وغيره (عَنْ مَوَاضِعِهِ) التى وضعه الله عليها أى يبدلونه (وَنَسُوا) تركوا (حَظًّا) نصيبا (مِمَّا ذُكِّرُوا) أمروا (بِهِ) فى التوراة من اتباع محمد (وَلَا تَزَالُ) خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم (تَطَّلِعُ) تظهر (عَلَى خَائِنَةٍ) أى خيانة (مِنْهُمْ) بنقض العهد وغيره (إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ) ممن أسلم (فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) وهذا منسوخ بآية السيف ،

(قوله ومن الذين قالوا إنا نصارى) شروع في بيان قبائح النصارى إثر بيان قبائح اليهود والحكمة في قوله قالوا ولم يقل ومن النصارى أن هذه التسمية واقعة منهم لأنفسهم ولم يسمهم الله تعالى بذلك والجار والمجرور متعلق بأخذنا ، والأصل وأخذنا من الذين قالوا إنا نصارى ميثاقهم وهو الأحسن ، ولذا مشى عليه المفسر وقدم الجار والمجرور على قوله ميثاقهم هروبا من عود الضمير على متأخر لفظا ورتبة وهو غير جائز إلا في مواضع ليس هذا منها ، ونصارى نسبة للنصر لأنهم يزعمون أنهم أنصار الله ومفرده نصران ونصرانة ولكن ياء النسب لاتفارقه ، وقيل نسبة لقرية اسمها نصرة فيكون مفرده نصري ثم أطلق على كل من تعبد بهذا الدين (قوله ميثاقهم) أي عهدهم المؤكد (قوله فنسوا حظا) أي تركوه (قوله من الإيمان) أي بمحمد وبجميع الأنبياء ، وقوله وغيره : أي غير الإيمان كبشارة عيسى بمجيء محمد بعده رسولا (قوله ونقضوا الميثاق) أي بتكذيب الأنبياء وتحريف ما في الإنجيل . وهذا مرتب على قوله فنسوا حظا وكذا قوله فأغرينا وهو من غرا بالشيء إذا لصق به ، يقال غروت الجلد ألصقته بالغراء وهو كناية عن إيقاع العداوة بينهم والتعبير بالإغراء أبلغ كأن العداوة لاصقة بهم كالغراء اللاصق بالجلد (قوله بينهم) متعلق بأغرينا والضمير عائد على اليهود والنصارى : أي ألقينا العداوة بين اليهود والنصارى فكل من الفريقين تلعن الأخرى ، وقيل الضمير عائد على النصارى فقط باعتبار فرقهم لأنهم ثلاث فرق : الملكانية واليعقوبية والنسطورية فكل فرقة تلعن الأخرى وإنما لم يظهروا ذلك بين المسلمين خوفا من الشماتة بهم فكل فرقة تكفر الأخرى : أي في الدنيا وفي الآخرة كلما دخلت أمة لعنت أختها (قوله وسوف ينبئهم الله في الآخرة) أي بقوله يوم القيامة ـ وامتازوا اليوم أيها المجرمون ـ الآية

(وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى) متعلق بقوله (أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ) كما أخذنا على بني إسرائيل اليهود (فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ) في الإنجيل من الإيمان وغيره ونقضوا الميثاق (فَأَغْرَيْنَا) أوقعنا (بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) بتفرقهم واختلاف أهوائهم فكل فرقة تكفر الأخرى (وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ) في الآخرة (بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ) فيجازيهم عليه (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ) اليهود والنصارى (قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا) محمد (يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ) تكتمون (مِنَ الْكِتَابِ) التوراة والإنجيل كآية الرجم وصفته (وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ) من ذلك فلا يبينه إذا لم يكن فيه مصلحة إلا افتضاحكم (قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ) هو نور النبي صلى الله عليه وسلم (وَكِتَابٌ) قرآن (مُبِينٌ) بيّن ظاهر (يَهْدِي بِهِ) أي بالكتاب (اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ) بأن آمن (سُبُلَ السَّلَامِ) طريق السلامة (وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ) الكفر (إِلَى النُّورِ) الإيمان (بِإِذْنِهِ) بإرادته (وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) دين الإسلام (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ) حيث جعلوه إلها وهم اليعقوبية فرقة من النصارى (قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ) أن يدفع (مِنَ) عذاب (اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا) أي لا أحد يملك ذلك ولو كان المسيح إلها لقدر عليه ،

(قوله يا أهل الكتاب) خطاب للفريقين جميعا بعد أن ذكر كل فرقة على حدة (قوله كآية الرجم وصفته) أي فقد أخفوهما وأطلع الله نبيه على أنهما في التوراة فبين ذلك وأظهره وهو معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه لم يقرأ كتابهم ولم يجالس بين يدي معلم ، وهذا مثال لما في التوراة ولم يمثل لما في الإنجيل ولو مثل له لقال وكبشارة عيسى بمحمد (قوله ويعفو عن كثير) أي من قبائحهم كسبه فيما بينهم والكلام في شأنه هو والقرآن فلم يتعرض لهم في ذلك (قوله هو النبي) أي وسمي نورا لأنه ينور البصائر ويهديها للرشاد ولأنه أصل كل نور حسي ومعنوي (قوله من اتبع رضوانه) أي من سبق في علمه أنه يتبع رضوانه (قوله طرق السلامة) أي من العذاب والنجاة من العقاب وسبل السلام منصوب بنزع الخافض وإيماحه أن يتعدى إلى المفعول الثاني بإلى أو باللام . قال تعالى ـ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم (قوله وهم اليعقوبية) أي القائلون بالاتحاد (قوله ومن في الأرض جميعا) هذا ترق في الرد عليهم (قوله أي لا أحد) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي .

(والله

(قوله ولله ملك السموات والأرض) ترق فى الرد عليهم أيضا (قوله شاءه) أى تعلقت به إرادته وهى الممكنات خرج بذلك ذاته وصفاته والمستحيلات فلا تتعلق القدرة والارادة بشىء من ذلك (قوله أى كأبنائه فى القرب) أى فالمعنى على التشبيه وهذا هو الصحيح ، وقيل المعنى أبناء أنبياء الله فالكلام على حذف مضاف . وسبب نزولها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا جماعة من اليهود إلى الاسلام وخوفهم بعقاب الله تعالى فقالوا كيف تخوفنا به ونحن أبناء الله وأحباؤه وهذه مقالة اليهود ، وأما النصارى فقالوا مثلهم زاعمين أن الله قال فى الانجيل إن المسيح قال لهم إنى ذاهب إلى أبى وأبيكم (قوله قل لهم يا محمد) أى إلزاما لهم وتبكيتا إن صح مازعمتم فلأى شىء يعذبكم فى الدنيا بالقتل والمسخ وقد اعترفتم بأنه تعالى سيعذبكم فى الآخرة بالنار أياما بعدد أيام عبادة العجل ولو كان الأمر كما زعمتم لما صدر منكم ماصدر ولما وقع عليكم ماوقع (قوله لا اعتراض عليه) أى لأنه القادر الفعال بالاختيار (قوله على فترة من الرسل) أى فى وقت لاتعرفون فيه توحيدا فعليكم باتباعه (قوله إذ لم يكن بينه و بين عيسى رسول الخ) هذا هو الصحيح ، وقيل كان بين محمد وعيسى أربعة رسل ثلاثة من بنى إسرائيل وواحد من حمير وهو خالد بن سنان (قوله ومدة ذلك خمسمائة وستون سنة) وقيل خمسمائة وخمسة وستون ، وقيل خمسمائة وأربعون ، وقيل أربعمائة و بضع وثلاثون والصحيح أنها ستمائة ومدة مابين موسى وعيسى ألف وسبعمائة سنة لكنها ليست فترة لبعثة كثيرين من الأنبياء بينهما و يتعبدون بشريعة موسى كداود وسليمان وزكريا ويحيى (قوله لئلا تقولوا) أشار بذلك إلى أن أن المصدرية دخلت عليها اللام ولا النافية مقدرة بعدها ، والتقدير لعدم قولكم ماجاءنا الخ (قوله زائدة) أى فى فاعل جاء (قوله واذكر إذ قال موسى) أشار بذلك إلى

(وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ) شاءه (قَدِيرٌ . وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى) أى كل منهما (نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ) أى كأبنائه فى القرب والمنزلة وهو كأبينا فى الرحمة والشفقة (وَأَحِبَّاؤُهُ ، قُلْ) لهم يا محمد (فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ) إن صدقتم فى ذلك ولا يعذب الأب ولده ولا الحبيب حبيبه وقد عذبكم فأنتم كاذبون (بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ) من جملة مَن (خَلَقَ) من البشر لكم ما لهم وعليكم ما عليهم (يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ) المغفرة له (وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ) تعذيبه لا اعتراض عليه (وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ) المرجع (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا) محمد (يُبَيِّنُ لَكُمْ) شرائع الدين (عَلَىٰ فَتْرَةٍ) انقطاع (مِنَ الرُّسُلِ) إذ لم يكن بينه و بين عيسى رسول ، ومدة ذلك خمسمائة وستون سنة لـ(أَنْ) لا (تَقُولُوا) إذا عذبتم (مَا جَاءَنَا مِنْ) زائدة (بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ) فلا عذر لكم إذاً (وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ) ومنه تعذيبكم إن لم تتبعوه (وَ) اذكر (إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ) أى منكم (أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا) أصحاب خدم وحشم (وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ) من المنّ والسلوى وفلق البحر وغير ذلك ،

أن إذ ظرف لمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر ، والمقصود من ذلك توبيخ اليهود الذين فى زمنه صلى الله عليه وسلم وتسليته على عدم إيمانهم به و بيان نقضهم العهد تفصيلا ، والمعنى تسلّ ولا تحزن من عدم إيمانهم بك ومن تكذيبك فانهم كذبوا من يدعون أنه نبيهم إلى الآن (قوله اذكروا نعمة الله) أى تذكروها واشكروا عليها (قوله إذ جعل فيكم أنبياء) أى بكثرة ولم تكن فى غيركم (قوله وجعلكم ملوكا) أى ببسط الدنيا لكم وذلك بعد إغراق فرعون (قوله خدم) جمع خادم وهو صادق بالذكر والأنثى ، وقوله وحشم هم الخدم لكن من الرجال ، ورد أن أوّل من ملك الخدم بنو إسرائيل وكان يقال من كانت عنده دابة وجارية وزوجة فهو ملك ، وقيل الملك من اتسعت داره وكان فيها النهر يجرى ، وقيل جعلكم ملوكا : أى أحرارا بعد استرقاق فرعون لكم (قوله من العالمين) أى مطلقا لأن فلق البحر والمنّ والسلوى لم يكن لأحد غيرهم ولا لأمة محمد صلى الله عليه وسلم ولاحاجة هنا للتأويل بعالمى زمانهم (قوله من المنّ والسلوى) بيان لما . إن قلت إن هذه المقالة وقعت حين أخذ الميثاق عليهم فى قتال الجبارين فلا يظهر قول المفسر من المنّ والسلوى لأنه لم ينزل عليهم إلا فى التيه وذلك بعد توجههم من مصر لقتال الجبارين فحينئذ كان المناسب للمفسر أن يقول من النبوة والملك وفلق البحر . وقد يجاب بأنه لامانع من ذكر هذه الكلمة فى التيه أيضا .

(قوله ياقوم) الجمهور على كسر الميم من غير ياء وقرئ بضم الميم إجراء له مجرى المفرد و بالياء مفتوحة لأنه منادى مضاف لياء المتكلم ، قال ابن مالك : واجعل منادى صح إن يضف ليا كعبد عبدى عبد عبـدا عبديا

(قوله المطهرة) إنما سميت مطهرة لسكنى الأنبياء المطهرين فيها فشرفت وطهرت بهم فالظرف طاب بالمظروف . إن قلت إن الجبارين كانوا فيها وهم غير مطهرين . أجيب بأن الخير يغلب الشرّ والنور يغلب الظلمة (قوله أمركم بدخولها) دفع بذلك مايقال كيف الجمع بين الكتابة التى تفيد تحتم الدخول و بين قوله قال فانها محرمة عليهم أربعين سنة. فأجاب بأن المراد بالكتب الأمر بالدخول . وأجيب أيضا بأن قوله التى كتب الله لكم أى قدرها فى اللوح المحفوظ إن لم تقع منكم مخالفة وقد وقعت فحرمت عليهم أربعين سنة فهو قضاء معلق (قوله ولا ترتدوا على أدباركم) أى ترجعوا إلى مصر فانهم لما سمعوا بأخبار الجبارين قالوا نجعل لنا رئيسا ينصرف بنا إلى مصر وصاروا يبكون و يقولون ليتنا متنا بمصر (قوله فتنقلبوا خاسرين) أى لأن الفرار من الزحف من الكبائر (قوله (٢٦٠) قال رجلان) وصفهما بصفتين الأولى قوله من الذين يخافون والثانية قوله أنعم الله عليهما وهو حسن لأن فيه الوصف بالجملة بعد الوصف بالجار والمجرور وهو من قبيل المفرد (قوله وهما يوشع) أى ابن نون وهو الذى نبئ بعد موسى وقوله وكالب بكسر اللام وفتحها ابن يوقنا (قوله بقية النقباء) أى الاثنى عشر وقوله فأفشوه أى خبر الجبارين وقوله فجبنوا أى بنو إسرائيل (قوله ادخلوا عليهم الباب) أى امنعوهم من الخروج لئلا يجدوا فى أنفسهم قوة للحرب بخلاف ما إذا دخلتم عليهم القرية بغتة فانهم لايقدرون على الكرّ والفرّ

(يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ) المطهرة (الَّتِي كَتَبَ اللهُ لَكُمْ) أمركم بدخولها وهى الشام (وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ) تنهزموا خوف العدو (فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ) فى سعيكم (قَالُوا يَامُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ) من بقايا عاد طوالا ذوى قوة (وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ) لها (قَالَ) لهم (رَجُلاَنِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ) مخالفة أمر الله وهما يوشع وكالب من النقباء الذين بعثهم موسى فى كشف أحوال الجبابرة (أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمَا) بالعصمة فكتما ما اطلعا عليه من حالهم إلا عن موسى بخلاف بقية النقباء فأفشوه فجبنوا (ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ) باب القرية ولا تخشوهم فإنهم أجساد بلا قلوب (فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ) قالا ذلك تيقنا بنصر الله و إنجاز وعده (وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ . قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ) هم (إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ) عن القتال (قَالَ) موسى حينئذ (رَبِّ إِنِّي لاَ أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَ) إلا (أَخِي) ولا أملك غيرهما فاجبرهم على الطاعة (فَافْرُقْ) فافصل (بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ . قَالَ) تعالى له (فَإِنَّهَا) أى الأرض المقدسة (مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ) أن يدخلوها (أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ) يتحيرون (فِي الْأَرْضِ) ،

(قوله بلا قلوب) أى قوية نافعة (قوله تيقنا بنصر الله) أى فانهما مصدقان بذلك لاخبار موسى وهى لهما بذلك (قوله وعلى الله فتوكلوا) أى بعد ترتيب الأسباب ولا تعتمدوا عليها فانها غير مؤثرة (قوله ماداموا فيها) أى مدة إقامتهم فيها (قوله أنت وربك) قيل إن الواو للعطف وربك معطوف على الضمير المستتر فى اذهب وقد وجد الفاصل بالضمير المنفصل . قال ابن مالك : وإن على ضمير رفع متصـل عطفت فافصل بالضمير المنفصل

أى وليذهب ربك. واختلف فى الرب فقيل هو المولى جلّ وعلا فاسنادهم الذهاب إليه على حقيقته لأنهم كانوا يعتقدون التجسيم وقيل المراد بهرون وسموه ربا لأنه كان أكبر من موسى بسنة وهو الأحسن و يدل عليه السياق وقيل الواو للحال وربك مبتدأ خبره محذوف تقديره يعينك (قوله لا أملك غيرهما) إن قلت إن يوشع وكالب كانا فى طاعته أيضا . أجيب بأنه لم يثق بهما (قوله فافرق بيننا) أى احكم لنا بما نستحقه ، واحكم لهم بما يستحقونه وكان الأمر كذلك فصار التيه رحمة لموسى وهرون وعذابا على بنى إسرائيل (قوله أربعين سنة) يصح أن يكون ظرفا لقوله يتيهون وعلى هذا فهى محرمة عليهم أبدا لأنهم انقرضوا وما دخلها إلا من لم يبلغ العشرين حين الميثاق وقيل ظرف لقوله محرمة وعلى هذا فالتحريم مقيد بتلك المدة وقيل ظرف لهما معا .

وهى تسعة فراسخ قاله ابن عباس (فَلَا تَأْسَ) تحزن (عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ) روى أنهم كانوا يسيرون الليل جادين فإذا أصبحوا إذاهم فى الموضع الذى ابتدءوا منه ويسيرون النهار كذلك حتى انقرضوا كلهم إلا من لم يبلغ العشرين ، قيل وكانوا ستمائة ألف ، ومات هرون وموسى فى التيه وكان رحمة لهما وعذابا لأولئك ، وسأل موسى ربه عند موته أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر فأدناه كما فى الحديث ، ونبئ يوشع بعد الأربعين وأمر بقتال الجبارين فسار بمن بقى معه وقاتلهم وكان يوم الجمعة ووقفت له الشمس ساعة حتى فرغ من قتالهم وروى أحمد فى مسنده حديث « إن الشمس ،

(قوله وهى تسعة فراسخ) أى عرضا وطولها ثلاثون فرسخا (قوله فلا تأس على القوم الفاسقين) أى وذلك أنه ندم على دعائه عليهم فقيل له لاتأس فانهم أحق بذلك (قوله ومات هرون وموسى فى التيه) ومات موسى بعد هرون بسنة ، وقيل إن موسى هو الذى ملك الشام وكان يوشع على مقدمته وعاش فيها زمنا طويلا ومات ولم يعلم له قبر وهما طريقتان قيل إن موسى وهرون توجها إلى البرية فمات هرون فدفنه أخوه موسى ثم رجع إلى قومه فقالوا قتلته لحبنا إياه فتضرع موسى إلى ربه فأوحى الله إليه أن انطلق بهم إلى هرون فانى باعثه فانطلق بهم إلى قبره فناداه ياهرون فخرج من قبره ينفض رأسه قال أنا قتلتك ؟ قال لا ولكننى مت قال فعد إلى مضجعك ، وروى أن موسى خرج ليقضى حاجته فمر برهط من الملائكة يحفرون قبرا لم ير شيئا أحسن منه ولا مثل مافيه من الخضرة والنضرة والبهجة فقال لهم ياملائكة الله لمن تحفرون هذا القبر ؟ فقالوا لعبد كريم على ربه فقال إن هذا العبد لمن الله بمنزلة مارأيت كاليوم أحسن منه مضجعا فقالت الملائكة ياصفى الله أتحب أن يكون لك ؟ قال وددت قالوا فانزل واضطجع فيه وتوجه إلى ربك قال فنزل فاضطجع فيه وتوجه إلى ربه ثم تنفس أسهل نفس فقبض الله تعالى روحه ثم سوت عليه الملائكة التراب ، وقيل إن ملك الموت أتاه بتفاحة من الجنة فشمها فقبض الله روحه ، وقيل إنه روى أن ملك الموت جاءه وقال له أجب أمر ربك فلطم موسى عين ملك الموت ففقأها فقال ملك الموت يارب إنك أرسلتنى إلى عبد لايريد الموت وقد فقأ عينى قال فرد الله تعالى عينه وقال له ارجع إلى عبدى فقل له الحياة تريد فان كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور فما وارت يدك من شعره فانك تعيش بكل شعرة سنة قال ثم ماذا ؟ قال ثم تموت قال فالآن من قريب ، قال رب أدننى من الأرض المقدسة رمية حجر قال رسول الله لو أنى عنده لأريتكم قبره إلى جانب الطور عند الكثيب الأحمر ورواية فقء عين ملك الموت متكلم فيها وعلى فرض ورودها ففقء عين الملك من خصوصيات موسى لأن الملك لا تحكم عليه الصورة ولا يقال إن هذا جناية حرام . لأننا نقول إنه فقأ عين الصورة المتشكل فيها لا الصورة الأصلية وقصده بتلك الفعلة نهيه عن أن يأتى للمؤمن فى صورة فظيعة كما قرره أشياخنا (قوله وكان رحمة لهما) أى وكذا يوشع وكالب وذلك كنار إبراهيم فانها جعلت عليه بردا وسلاما (قوله وعذابا لأولئك) أى من حيث السير وقد أنعم الله عليهم فى التيه بنعم عظيمة منها أنهم شكوا لموسى حالهم من الجوع والعرى فدعا الله تعالى فأنزل عليهم المن والسلوى وأعطاهم من الكسوة مايكفيهم كل واحد على مقدار هيئته وشكوا له العطش فأتى موسى بحجر من جبل الطور فكان يضرب به بعصاه فيخرج منه اثنتاعشرة عينا وشكوا الحر فأرسل الله عليهم الغمام يظلهم وكان يطلع لهم عمود من نور يضىء لهم بالليل ولا تطول شعورهم وإذا ولد لهم مولود كان عليه ثوب كالظفر يطول بطوله ويتسع بقدره (قوله أن يدنيه) أى يقربه من الأرض المباركة أى يدفن بقربها لكونها مطهرة مباركة ويؤخذ من ذلك أن الانسان ينبغى له أن يتحرى الدفن فى الأرض المباركة بقرب نبى أو ولى وإنما لم يسأل الدفن فيها خوفا من أن يعرف قبره فيفتتن به الناس (قوله بعد الأربعين) أى مدة التيه (قوله بمن بقى) أى وهم أولادهم الذين لم يبلغوا العشرين سنة حين أخذ الميثاق (قوله وقاتلهم) روى أن الله نبأ يوشع بعد موت موسى وأخبرهم أن الله قد أمرهم بقتال الجبابرة فصدقوه وبايعوه فتوجه ببنى إسرائيل إلى أريحاء ومعه تابوت الميثاق وأحاط بمدينة أريحا ستة أشهر وفتحوها فى الشهر السابع ودخلوها فقاتلوا الجبارين وهزموهم وهجموا عليهم يقتلونهم وكانت العصابة من بنى إسرائيل يجتمعون على عنق الرجل يضربونها وكان القتال يوم الجمعة فبقيت منهم بقية وكادت الشمس تغرب وتدخل ليلة السبت فقال اللهم اردد الشمس على وقال للشمس إنك فى طاعة الله وأنا فى طاعة الله فسأل الشمس أن تقف والقمر أن يقيم حتى ينتقم من أعداء الله قبل دخول السبت فردت عليه الشمس وزيد فى النهار ساعة حتى قتلهم أجمعين ثم تتبع ملوك الشام فقتل منهم أحدا وثلاثين ملكا حتى غلب على جميع أرض الشام وصارت الشام كلها لبنى إسرائيل وفرق عماله فى نواحيها ثم مات يوشع ودفن بجبل إبراهيم وكان عمره مائة وستا وعشرين سنة وتدبيره أمر بنى إسرائيل بعد موسى سبعا وعشرين سنة .

(قوله لم تحبس على بشر) أى قبل يوشع و إلا فقد حبست لنبينا مرتين يوم الخندق حين شغل هو وأصحابه عن صلاة العصر حتى غربت الشمس فردها الله عليه حتى صلى العصر وصبيحة ليلة الاسراء حين انتظر قدوم العير وزيد فى رواية مرة لعلى بن أبى طالب حين كان النبى نائما على فخذه ولم يكن صلى العصر فما استيقظ حتى غربت الشمس فقال النبى صلى الله عليه وسلم اللهم إن عليا فى طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس حتى يصلى العصر (قوله ليالى سار) أى أيام سيره أى توجهه لقتالهم (قوله واتل عليهم) معطوف على العامل المحذوف فى قوله ـ و إذ أخذ الله ميثاق بنى إسرائيل ـ عطف قصة على قصة أى اذكر ماوقع من بنى إسرائيل واتل عليهم نبأ ابنى آدم الخ (قوله على قومك) أى سواء كانوا يهودا أونصارى أومشركين (قوله خبر ابنى آدم) أى قصتهما وما وقع لهما (قوله هابيل) هوالسعيد المقتول وقابيل هوالشقى القاتل وظاهر الآية أنهما من أولاد آدم لصلبه وهوالتحقيق و يؤيده قوله فيما يأتى فبعث الله غرابا وقيل لم يكونا لصلبه بل هما رجلان من بنى إسرائيل بدليل قوله فى آخر القصة من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل والأول هو الصحيح وقابيل هو أول أولاده وهابيل بعده بسنة وكلاهما بعد هبوطه إلى الأرض بمائة سنة ، وقيل إن قابيل هو وأخته ولدا فى الجنة ولم تر حواء لهما وحما ولا وصبا ولا دم نفاس وأما بقية أولاده فبالأرض ولذا كان يفتخر قابيل على هابيل و يقول له إنى ابن الجنة وأنت ابن الأرض فأنا خير منك . وحاصل ذلك أن حواء ولدت لآدم عشرين بطنا فى كل بطن ذكر وأنثى فصار الذكور عشرين والاناث كذلك فلما قتل قابيل هابيل نقصت الذكور عن الاناث فرزقه الله بشيث ومعناه هبة الله فتماثل الذكور مع الاناث (قوله بالحق) الجار والمجرور يحتمل أن يكون متعلقا بمحذوف

صفة لمصدر محذوف تقديره اتل تلاوة ملتبسة بالحق أوحال من فاعل

> لم تحبس على بشر إلا ليوشع ليالى سار إلى بيت المقدس» (وَٱتْلُ) يا محمد (عَلَيْهِمْ) على قومك (نَبَأَ) خبر (ٱبْنَىْ آدَمَ) هابيل وقابيل (بِٱلْحَقِّ) متعلق باتل (إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا) إلى الله وهو كبش لهابيل وزرع لقابيل (فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا) وهو هابيل بأن نزلت نار من السماء فأكلت قربانه (وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ) وهو قابيل فغضب وأضمر الحسد فى نفسه إلى أن حج آدم (قَالَ) له (لَأَقْتُلَنَّكَ) قال لم ؟ قال لتقبل قربانك دونى (قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ . لَئِنْ) لام قسم (بَسَطْتَ) مددت (إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَالَمِينَ) فى قتلك (إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ) ترجع (بِإِثْمِي) بإثم قتلى (وَإِثْمِكَ) ، .

اتل أى اتل عليهم حال كونك ملتبسا بالحق أى الصدق أوحال من المفعول وهو نبأ أى اتل نبأهما حال كونه ملتبسا بالحق وكل صحيح والمقصود من ذكر هذه القصص الاخبار بما فى الكتب القديمة لتقوم الحجة على أربابها وغيرهم فالأخبار بها من جملة المعجزات (قوله إذ قربا قربانا) أى قرب كل واحد قربانا والقربان مايتقرب به إلى الله . وسبب ذلك الذى أنه كان فى شرع آدم إذا كبر أولاده زوج ذكر هذه البطن لأنثى بطن أخرى فأمره الله أن يزوج قابيل أخت هابيل وكانت دميمة وهابيل أخت قابيل وكانت جميلة فرضى هابيل وأبى قابيل وقال إنك تأمرنا برأيك لامن عند الله فقال لهما قربا قربانا فأيكما تقبل منه فهو أحق بالجميلة فذهب هابيل وأخذ كبشا من أحسن غنمه وقربه وذهب قابيل لصبرة قمح من أردإ ماعنده وقيل قت ردىء حتى إنه وجد سنبلة جيدة ففركها وأكلها وكان علامة قبول القربان نزول نار من السماء تحرقه فنزلت على كبش هابيل فأحرقته وقيل رفع إلى السماء حتى نزل فداء للذبيح ولم يتقبل من قابيل (قوله فغضب) أى لأمرين فوزه بالجميلة و بقبول قربانه (قوله إنما يتقبل الله من المتقين) أى ولم يكن عندك تقوى لعقوقك لأبيك وعدم إخلاصك فى القربان (قوله لتقتلنى) اللام للتعليل أى لأجل قتلى (قوله ما أنا بباسط) جواب القسم لتقدمه وحذف جواب الشرط لتأخره قال ابن مالك :

واحذف لدى اجتماع شرط وقسم جواب ما أخرت فهو ملتزم

والباء فى بباسط زائدة فى خبرما على أنها حجازية وفى خبر المبتدإ على أنها تميمية (قوله إنى أخاف الله) أى فالمانع لى من قتلك خوف الله وكان فى شرعهم لايجب دفع الصائل بل يجب الاستسلام له وأما فى شرعنا فعند الشافعى يسن الاستسلام للمسلم الصائل و يجب قتل الكافر وعند مالك دفع الصائل واجب ولو بالقتل مسلما أوكافرا (قوله إنى أريد أن تبوء بإثمى) هذا تخويف من هابيل لقابيل لعله ينزجر . إن قلت إنه لاتحل إرادة المعصية من الغير . أجيب بأجوبة منها أن الهمزة محذوفة والاستفهام للانكار والأصل أإنى أريد والمعنى لا أريد ويؤيد هذا قراءة أنى بفتح النون بمعنى كيف ، ومنها أن لا محذوفة أى أن لا تبوء على حد إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا

الذى ارتكبته من قبل (فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ) ولا أريد أن أبوء بإثمك إذا قتلتك فأكون منهم ، قال تعالى (وَذَٰلِكَ جَزَاؤُا الظَّالِمِينَ . فَطَوَّعَتْ) زينت (لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ) فصار (مِنَ الْخَاسِرِينَ) بقتله ولم يدر ما يصنع به لأنه أول ميت على وجه الأرض من بنى آدم لحمله على ظهره (فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ) ينبش التراب بمنقاره وبرجليه ويثيره على غراب ميت معه حتى واراه (لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي) يستر (سَوْءَةَ) جيفة (أَخِيهِ قَالَ يَاوَيْلَتَى أَعَجَزْتُ) عن (أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ) على حمله وحفر له وواراه (مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ) الذى فعله قابيل (كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ) أى الشأن (مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ) قتلها (أَوْ) بغير (فَسَادٍ) أتاه (فِي الْأَرْضِ) من كفر أو زنا أو قطع طريق أو نحوه (فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا) بأن امتنع من قتلها (فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا) قال ابن عباس من حيث انتهاك حرمتها وصونها (وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ) أى بنى إسرائيل (رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ) المعجزات (ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ) مجاوزون الحد بالكفر والقتل وغير ذلك . ونزل ،

(قوله الذى ارتكبته) أى كالحسد ومخالفة أمر أبيه (قوله وذلك) أى المذكور وهو النار (قوله زينت) أى سهلت عليه القتل (قوله فقتله) قيل لما قصد قتله لم يدر كيف يقتله فتمثل له إبليس وقد أخذ طيرا فوضع رأسه على حجر ثم رضخه بحجر آخر وقابيل ينظر فتعلم القتل فوضع قابيل رأس هابيل بين حجرين وهو صابر ، واختلف فى موضع قتله فقيل على عقبة حراء وقيل بالبصرة عند مسجدها الأعظم (قوله لحمله على ظهره) أى فى جراب قيل أربعين يوما وقيل سنة . روى لما قتل ابن آدم أخاه رجفت الأرض بمن عليها سبعة أيام وشربت دم المقتول كما تشرب الماء فناداه الله ياقابيل أين أخوك هابيل فقال ماأدرى ما كنت عليه رقيبا فقال الله له إن دم أخيك ليناديني من الأرض فلم قتلت أخاك ؟ فقال فأين دمه إن كنت قتلته فحرّم الله على الأرض من يومئذ أن تشرب دما بعده أبدا . ويروى أنه لما قتل قابيل هابيل كان آدم بمكة فاشتاك الشجر أى ظهر له شوك وتغيرت الأطعمة وحمضت الفواكه واغبرت الأرض فقال آدم قد حدث فى الأرض حادث ، فلما رجع آدم سأل قابيل عن أخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود جلدك فغضب عليه فذهب قابيل مطرودا فأخذ أخته وهرب بها إلى عدن فأتاه إبليس وقال له إنما أكلت النار قربان هابيل لأنه كان يعبد النار فانصب أنت نارا تكون لك ولعقبك فبنى بيت النار فهو أوّل من عبد النار وكان قابيل لايمرّ به أحد إلا رماه بالحجارة فأقبل ابن لقابيل أعمى ومعه ابنه فقال ابن الأعمى لأبيه هذا أبوك قابيل فرماه بحجارة فقتله فقال ابن الأعمى لأبيه قتلت أباك قابيل فرفع الأعمى يده ولطم ابنه فمات فقال الأعمى ويل لى قتلت أبى برميق وابنى بلطمق واستمرت ذرّية قابيل يفسدون فى الأرض إلى أن جاء طوفان نوح فأغرقهم جميعا فلم يبق منهم أحد ولله الحمد وأبقى الله ذرّية شيث إلى يوم القيامة وما مات آدم حتى رأى من ذرّيته أربعين ألفا (قوله ويثيره على غراب ميت معه) أى بعد أن وضعه فى الحفرة التى نبشها (قوله ياويلتى) كلمة تحسر والألف بدل من ياء المتكلم أى هذا أوانك فاحضرى (قوله أعجزت) تعجب من عدم اهتدائه إلى ما اهتدى إليه الغراب (قوله فأصبح) أى صار وقوله من النادمين على حمله أى أو على عدم اهتدائه للدفن أوّلا فلا يقال إن الندم توبة فيقتضى أنه تاب فلا يخلد فى النار (قوله الذى فعله قابيل) أى من الفساد (قوله كتبنا على بنى إسرائيل) إنما خصهم بالذكر وإن كان القصاص فى كل ملة لأن اليهود مع علمهم بهذه المبالغة العظيمة أقدموا على قتل الأنبياء والأولياء وذلك يدل على قسوة قلوبهم (قوله ومن أحياها) أى تسبب فى بقائها إما بنهى قاتلها عن قتلها أو بإطعامها وحفظها من الأسباب المهلكة (قوله أى من حيث انتهاك حرمتها) أى النفوس المقتولة ولذا ورد فى الحديث « من سنّ سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة » فقابيل عليه وزر كل من وقع منه القتل من بنى آدم لتسببه فى ذلك فانه أول من وقع منه القتل (قوله ونزل) وجه المناسبة بينها وبين قصة ابنى آدم ظاهرة لأن قابيل قتل وأفسد فى الأرض هو وذرّيته .

في العرنيين لما قدموا المدينة وهم مرضى فأذن لهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يخرجوا إلى الابل ويشربوا من أبوالها وألبانها فلما صحوا قتلوا راعى النبي صلى الله عليه وسلم واستاقوا الابل (إِنَّمَا جَزَاؤُا الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ) بمحاربة المسلمين (وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا) بقطع الطريق (أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ) أى أيديهم اليمنى وأرجلهم اليسرى (أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ) أولترتيب الأحوال فالقتل لمن قتل فقط، والصلب لمن قتل واخذ المال، والقطع لمن أخذ المال ولم يقتل والنفى لمن أخاف فقط، قاله ابن عباس وعليه الشافعى وأصح قوليه أن الصلب ثلاثا بعد القتل وقيل قبله قليلا. ويلحق بالنفى ما أشبهه فى التنكيل من الحبس وغيره (ذَٰلِكَ) الجزاء المذكور (لَهُمْ خِزْيٌ) ذل (فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) هو عذاب النار (إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا) من المحاربين والقطاع (مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ غَفُورٌ) لهم ما أتوه (رَحِيمٌ) بهم، عبر بذلك دون فلا تحدوهم،

(قوله فى العرنيين) جمع عرنى نسبة لعرينة قبيلة من العرب كجهنى نسبة لجهينة وكانوا ثمانية رجال قدموا المدينة وأظهروا الاسلام وكانوا مرضى فاشتكوا له صلى الله عليه وسلم من مرضهم فأمرهم أن يخرجوا إلى إبل الصدقة وكانت خمسة عشر ترعى فى الجبل مع عتيق للمصطفى يقال له يسار النوبى فلما صحوا قتلوا الراعى واستاقوا الإبل وارتدوا عن الاسلام فقد وقع منهم المحاربة والقتل والسرقة والارتداد فبلغ رسول الله خبرهم فأرسل خلفهم نحو عشرين فارسا فأتوا بهم فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف وسمر أعينهم أى كحلهم بالنار وتركهم بالحرة يعضون الحجارة ويستسقون فلم يسقهم أحد. إن قلت إن تسمير الأعين وموتهم بالجوع والعطش مثلة، ورسول الله نهى عنها؟ أجيب بأجوبة منها أنهم فعلوا بالراعى كذلك، ومنها أن ذلك خصوصية له صلى الله عليه وسلم فيهم، ومنها أن ذلك كان جائزا ثم نسخ (قوله ويشربوا من أبوالها) أخذ مالك من ذلك طهارة فضلة مأكول اللحم (قوله بمحاربة المسلمين) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف تقديره يحاربون أولياء الله وأولياء رسوله وهم المسلمون وأفاد به أن هذا الأمر مستمر إلى يوم القيامة (قوله ويسعون فى الأرض) هذا تصوير للمحاربة وقوله فسادا مفعول لأجله أى يسعون لأجل الفساد (قوله بقطع الطريق) أى لأخذ المال أوهتك الحريم أوقتل النفوس (قوله أن يقتلوا) أى من غير صلب وقوله أو يصلبوا أى مع القتل فى محل مشهور لزجر غيره والتفعيل للتكثير لكثرة المحاربين (قوله أو ينفوا من الأرض) أى إلى مسافة القصر فما فوقها (قوله أولترتيب الأحوال) أى التقسيم فيها، والمعنى أن هذه العقوبات على حسب أحوال المحاربين وبين المفسر ذلك، قال بعض العلماء: أو فى جميع القرآن للتخيير إلا هذه (قوله وعليه الشافعى) أى موافقا فى الاجتهاد لابن عباس لامقلدا له وعند مالك أو على بابها للتخيير لكن بحسب مايراه الحاكم ليفيد

حدود المحارب أربعة لايجوز الخروج عنها وإنما الامام مخير فى فعل أيها شاء بالمحارب مالم يقتل المحارب مسلما مكافئا ولم يعف وليه فانه يتعين قتله فان عفا الولى رجع التخيير للامام فما أوجبه الشافعى استحسنه مالك للامام وجاز غيره مثلا يجب على الامام قتل القاتل ولايجوز غيره من الصلب والقطع من خلاف عند الشافعى واستحسنه مالك للامام ويجوز غيره من الحدود (قوله أن الصلب ثلاثا) أى لاأقل إلا أن يخاف التغير، وقيل يطال به حتى يتقطع جسده (قوله وقيل قبله قليلا) أى بحيث يحصل الزجر به وهذا مشهور مذهب مالك وأبى حنيفة وعليه فيقتل وهو مصلوب (قوله ويلحق بالنفى ماأشبهه) أى لأن المقصود من النفى البعد عن الخلق وذلك كما يحصل بابعاده من الأرض التى هو بها يحصل بحبسه ولوفى الأرض التى هو بها وهذا مذهب الشافعى ووافقه أبوحنيفة، وقال مالك: النفى إبعاده من الأرض على مسافة القصر ولا يكفى حبسه بأرضه (قوله ذلك لهم خزى) اسم الاشارة مبتدأ ولهم خبر مقدم وخزى مبتدأ مؤخر والجملة خبر المبتدإ وفى الدنيا صفة لخزى وهذا أحسن الأعاريب (قوله ولهم فى الآخرة عذاب عظيم) هذ محمول على من مات كافرا. وأما حدود المسلمين فالمعتمد أنها جوابر (قوله إلا الذين تابوا) استثناء منقطع أى لكن التائب يغفر له.

(قوله ليفيد أنه لايسقط الخ) حاصل ذلك أنه إن كان كافرا وتاب سقطت عنه جميع التبعات حدودا أوغيرها . وأما إن كان مسلما سقط عنه حقوق الله لاحقوق الآدميين، مثلا إن قتل وجاء تائبا فالنظر للولى إن شاء عفا و إن شاء اقتص (قوله كذا ظهر لى) أى فهمه من الآية وقوله ولم أر من تعرّض له أى من المفسرين و إن كان مذكورا فى كتب الفقه (قوله يقتل و يقطع) هذا سبق قلم والمناسب حذف قوله و يقطع . والحاصل عند الشافعى أنه إذا قتل وتاب فان عفا الولى سقط القتل وإلا فيقتل فقط . وأما إن أخذ المال وتاب فانه يؤخذ منه المال ولايقطع خلافا لما ذكره المفسر من أنه إذا قتل وأخذ المال ثم تاب فانه يجمع له بين القتل والقطع ، و إنما المنفى عنه الصلب وماذكرناه من المعتمد عند الشافعى يوافقه مالك (قوله وهو أصح قولى الشافعى) أى ومقابله أنه يصلب (قوله ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله) لما ذكر سبحانه وتعالى أن التوبة من الذنوب نافعة وكانت التوبة من جملة التقوى حثّ على طلبها هنا (قوله إليه) متعلق بابتغوا (قوله مايقرّبكم إليه) أى يوصلكم إليه ، وقوله من طاعته بيان لما سواء كانت تلك الطاعة فرضا أونفلا لما فى الحديث « ولايزال عبدى يتقرّب إلىّ بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به » الحديث ، فالتقوى هنا ترك المخالفات ، وابتغاء الوسيلة فعل المأمورات ، و يصح أن المراد بالتقوى امتثال المأمورات الواجبة وترك المنهيات المحرّمة وابتغاء الوسيلة مايقرّبه إليه مطلقا ، ومن جملة ذلك محبة أنبياء الله وأوليائه والصدقات وزيارة أحباب الله وكثرة الدعاء وصلة الرحم وكثرة الذكر وغير ذلك ، فالمعنى كل مايقربكم إلى الله فالزموه واتركوا مايبعدكم عنه ، إذا علمت ذلك فمن الضلال البين والخسران الظاهر تكفير المسلمين بزيارة أولياء الله زاعمين أن زيارتهم من عبادة غير الله كلا بل هى من جملة المحبة فى الله التى قال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا لاإيمان لمن لامحبة له » والوسيلة له التى قال الله فيها : وابتغوا إليه الوسيلة

ليفيد أنه لايسقط عنه بتوبته إلا حدود الله دون حقوق الآدميين كذا ظهرلى ولم أر من تعرض له والله أعلم ، فإذا قتل وأخذ المال يقتل و يقطع ولا يصلب وهو أصح قولى الشافعى ولا تفيد توبته بعد القدرة عليه شيئاً وهو أصح قوليه أيضا (يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ) خافوا عقابه بأن تطيعوه (وَابْتَغُوا) اطلبوا (إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ) مايقربكم إليه من طاعته (وَجَاهِدُوا فِى سَبِيلِهِ) لإعلاء دينه (لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) تفوزون (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ) ثبت (أَنَّ لَهُمْ مَا فِى الْأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ يُرِيدُونَ) يتمنون (أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ) دائم (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ) ،

(قوله وجاهدوا فى سبيله) عطف خاص على عام إشارة إلى أن الجهاد من أعظم الطاعات وهوقسمان : أصغر وهوقتال المشركين، وأكبر وهو الخروج عن الهوى والنفس والشيطان وكان قتال المشركين جهادا أصغر لأنه يحضر تارة و يغيب أخرى ، و إذا قتلك الكافر كنت شهيدا و إن قتلته صرت سعيدا بخلاف النفس فلاتغيب عنك وإذا قتلتك صرت من الأشقياء ، نسأل الله السلامة (قوله تفوزون) أى تظفرون بسعادة الدارين (قوله إنّ الذين كفروا) هذا كالدليل لما قبله كأن الله يقول الزموا التقوى ليحصل لكم الفوز لأن من لم تكن عنده التقوى كالكفار لاينفعه الفداء من العذاب الخ (قوله لوأن لهم) لوشرطية وفعل الشرط محذوف قدّره المفسر بقوله ثبت وأن ومادخلت عليه فاعل ثبت ولهم خبر أنّ مقدم ومافى الأرض اسمها مؤخر وجميعا توكيد له أو حال منه ومثله معطوف على اسم أن وقوله ليفتدوا علة له وقوله به أى بما ذكر وهومافى الأرض ومثله أوحذفه من الأول لدلالة الثانى عليه على حد * فانى وقيار بها لغريب * والتقدير لوأنّ لهم مافى الأرض جميعا ليفتدوا به ومثله معه ليفتدوا به وقوله ماتقبل منهم جواب الشرط ولومع مدخولها فى محل رفع خبر أن الأولى ، والمعنى لوثبت أن للكفار مافى الأرض جميعا ومثله معه و يريدون الافتداء بذلك من العذاب ماتنفعهم ذلك وهو كناية عن عدم قبولهم وعدم نفع عزالدنيا لهم (قوله يتمنون) أى حيث يقولون يامالك ليقض علينا ربك (قوله ولهم عذاب مقيم) دفع بذلك مايتوهم من قوله ولهم عذاب أليم أنه ربما ينقطع (قوله والسارق والسارقة) جمهور القراء على الرفع على الابتداء ولايصح النصب على الاشتغال لأن مابعدفاء الجزاء لايعمل فيماقبلها ومالايعمل لايفسرعاملا وهذه الفاء تشبه فاء الجزاء وصرّح بالسارقة لكون السرقة معهودة منهنّ أيضا وقدّم سبحانه وتعالى السارق على السارقة هنا وقدّم الزانية على الزانى فى سورة النور لأن الرجال فى السرقة أقوى من النساء والزنا من النساء أقوى من الرجال

(قوله أل فيهما موصولة) أى وصلتها الصفة الصريحة أى الذى سرق والتى سرقت (قوله مبتدأ) أى وهو مرفوع بضمة ظاهرة لأن إعرابهما ظهر فيما بعدهما (قوله دخلت الفاء فى خبره وهو فاقطعوا) أى لجملة فاقطعوا أيديهما خبر المبتدإ ولا يضر كونه جملة طلبية على المعتمد وقيل الخبر محذوف تقديره مما يتلى عليكم حكمهما وما بعد الفاء تفصيل له (قوله ربع دينار) أى أو ثلاثة دراهم شرعية أو مقوم بهما ويشترط فى القطع إخراجه من حرز مثله غير مأذون له فى دخوله ويثبت القطع ببينة أو باقراره طائعا فان أقر ثم رجع لزمه المال دون القطع فان سرق ولم تثبت عليه السرقة وجب عليه الستر على نفسه ورد المال والتوبة منه وكذا كل معصية فمن الجهل قول بعض من يدعى التصوف لو اطلعتم على لرجمتمونى وبالجملة من ستر على نفسه ستره الله (قوله نصب على المصدر) أى والعامل محذوف تقديره جازاه الله جزاء ويصح أن يكون مفعولا لأجله أى اقطعوا أيديهما لأجل الجزاء وقوله بما كسبا الباء سببية أى بسبب كسبهما وقوله نكالا علة للعلة فالعامل فيه جزاء (قوله غالب على أمره) أى فلا معقب لحكمه لأنه القاهر على كل شىء (قوله حكيم) أى يضع الشىء فى محله فلم يحكم بقطع يده ظلما لأن السارق لما خان هان ولذا أورد بعض اليهود على القاضى عبد الوهاب البغدادى سؤالا (٢٦٦) حيث قال: يد بخمس مئين عسجد وديت ما بالها قطعت فى ربع دينار

فأجاب رضى الله عنه بقوله:

عز الأمانة أغلاها وأرخصها ذل الخيانة فافهم حكمة البارى

ألْ فيهما موصولة مبتدأ ولشبهه بالشرط دخلت الفاء فى خبره وهو (فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا) أى يمين كل منهما من الكوع وبينت السنة أن الذى يقطع فيه ربع دينار فصاعدا وأنه إذا عاد قطعت رجله اليسرى من مفصل القدم ثم اليد اليسرى ثم الرجل اليمنى وبعد ذلك يعزر (جَزَاءً) نصب على المصدر (بِمَا كَسَبَا نَكَالاً) عقوبة لهما (مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ) غالب على أمره (حَكِيمٌ) فى خلقه (فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ) رجع عن السرقة (وَأَصْلَحَ) عمله (فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) فى التعبير بهذا ما تقدم فلا يسقط بتوبته حق الآدمى من القطع ورد المال ، نعم بينت السنة أنه إن عفا عنه قبل الرفع إلى الإمام سقط القطع وعليه الشافعى (أَلَمْ تَعْلَمْ) الاستفهام فيه للتقرير (أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ) تعذيبه (وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ) المغفرة له (وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) ومنه التعذيب والمغفرة (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ) صنع (الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ) يقعون فيه بسرعة أى يظهرونه إذا وجدوا فرصة (مِنَ) للبيان (الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ) بألسنتهم متعلق بقالوا (وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ) وهم المنافقون (وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا) قوم ،

(قوله من بعد ظلمه) أى من بعد تعديه وأخذه المال وظلمه للناس (قوله فى التعبير بهذا) أى قوله فان الله يتوب عليه دون أن يقول فلا تحدوه (قوله وعليه الشافعى) أى وعند مالك فلا ينفع عفوه عنه مطلقا قبل الرفع أو بعده حيث ثبتت السرقة ببينة أو إقرار ولم يرجع بل يقطع لأنه حق الله وقوله قبل الرفع أى وأما بعده فلا بد من قطعه اتفاقا (سماعون

(قوله يعذب من يشاء) أى إن لم يتب فالميت المصر على الذنب تحت المشيئة خلافا للمعتزلة (قوله ومنه التعذيب والمغفرة) أى من الشىء المقدور عليه (قوله يا أيها الرسول) أل للعهد الحضورى : أى الرسول الحاضر وقت نزول القرآن وهو محمد صلى الله عليه وسلم ولم يخاطب بيا أيها الرسول إلا فى موضعين هذا وما يأتى فى هذه السورة (قوله لا يحزنك) قرأ نافع بضم الياء وكسر الزاى والباقون بفتح الياء وضم الزاى والمقصود نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن الحزن الناشىء عن مسارعتهم إلى الكفر رفقا به وتسلية له (قوله إذا وجدوا فرصة) أى زمنا يتمكنون فيه من الظفر بمطلوبهم ، فالكفر حاصل منهم على كل حال غير أنهم إذا وجدوا زمنا أو مكانا يتمكنون فيه من إظهاره فعلوا قال تعالى ـ قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر ـ (قوله من للبيان) أى لقوله الذين يسارعون على حد ـ فاجتنبوا الرجس من الأوثان ـ (قوله متعلق بقالوا) أى لا بآمنا ، والمعنى أن إيمانهم لم يجاوز أفواههم وقوله ولم تؤمن قلوبهم الجملة حالية (قوله وهم المنافقون) أى ويسمون الآن زنادقة (قوله ومن الذين هادوا) يحتمل أنه معطوف على من الذين قالوا آمنا فيكون بيانا للذين يسارعون فى الكفر أيضا وهو الأقرب وعليه فقوله سماعون حال من الذين هادوا ويحتمل أنه خبر مقدم وقوله سماعون صفة لموصوف محذوف هو المبتدأ المؤخر فيكون

كلاما مستأنفا وقد مشى عليه المفسر وعلى كل فقوله لهم فى الدنيا خزى الخ راجع للفريقين (قوله سماعون للكذب) أى من أحبارهم ، وسبب نزولها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة وقع بينه و بين قريظة صلح فصاروا يترددون عليه و بينه و بين يهود خيبر حرب فاتفق أنه زنى منهم محصنان شريف بشريفة فأفتوهم الأحبار بأنهما يجلدان مائة سوط و يسوّدان بالفحم و يركبان على حمار مقلوبين ثم إنهم بعثوا قريظة للنبى صلى الله عليه وسلم يسألونه عن ذلك وقالوا لهم إن قال لكم مثل ذلك فهو صادق وقوله حجة لنا عند ربنا و إلا فهو كذاب فأتوه فأخبرهم بأنهما يرجمان وفى التوراة كذلك ، فقالوا إن أحبارنا أخبرونا بأنهما يجلدان ، فقال جبريل للنبىّ صلى الله عليه وسلم اجعل بينك و بينهم ابن صوريا ووصفه له ، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم هل تعرفون شابا أبيض أعور يقال له ابن صوريا ؟ قالوا نعم هو أعلم يهودى على وجه الأرض بما فى التوراة ، قال فأرسلوا إليه فأحضروه ففعلوا ، فأتاهم فقال له النبىّ عليه الصلاة والسلام أنت ابن صوريا ؟ قال نعم ، قال وأنت أعلم اليهود ؟ قال كذلك يزعمون ، قال النبى لهم أترضون به حكما ؟ قالوا نعم ، قال النبى له أنشدك لله الذى لا إله إلا هو الذى فلق البحر وأنجاكم وأغرق آل فرعون هل تجدون فى كتابكم الرجم على من أحصن ؟ قال نعم والذى ذكرتنى به لولا خشيت أن تحرقنى التوراة إن كذبت أو غيرت ما اعترفت فوثب عليه سفلة اليهود فقال أنا خفت إن كذبت ينزل علينا العذاب ثم سأل النبى عن أشياء كان يعرفها من أعلامه فأجابه عنها فأسلم وأمر النبى بالزانيين فرجما عند باب المسجد ، هكذا ذكر شيخنا الشيخ الجمل هنا عن أبى السعود ولم نرها فيه ولكن تقدم لنا أن ابن صوريا أتى بالتوراة وقرأ ماقبل آية الرجم وما بعدها ووضع يده عليها ولم يقرأها ، فنبهه عليها عبد الله بن سلام فافتضح هو وأصحابه فلعلهما روايتان فى إسلامه وعدمه (قوله أى يبدلونه) أى بأن يضعوا مكانه غيره (قوله يقولون) أى يهود خيبر وقوله لمن أرسلوهم أى وهم قريظة (قوله الحكم المحرف) أى فى الواقع وليس المراد أنهم يقولون لهم ذلك بل التحريف واقع من الأحبار سرّا (قوله فلن تملك له من الله شيئا) فيه رد على المعتزلة القائلين بأن العبد يخلق أفعال نفسه (قوله ذل بالفضيحة) أى للمنافقين بظهور نفاقهم بين المسلمين وقوله والجزية أى لليهود (قوله سماعون للكذب) خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله هم وكرره تأكيدا (قوله بضم الحاء وسكونها) أى فهما قراءتان سبعيتان وسمى سحتا لأنه يسحت البركة أى يمحقها و يذهبها (قوله كالرشا) أى والربا (قوله أوأعرض عنهم) أى بأن تردّهم لأهل دينهم (قوله منسوخ الخ) وليس فى هذه السورة منسوخ إلا هذا وقوله ولا آمين البيت الحرام (قوله وهو أصح قولى الشافعى) أى ومقابله التخيير باق وليس بمنسوخ وهو مشهور مذهب مالك (قوله مع مسلم) أى بأن كانت الدعوى بين مسلم وكافر (قوله وجب إجماعا) أى بإجماع الأئمة (قوله فلن يضروك شيئا) أى لأن الله عاصمك وحافظك من الناس (قوله وعندهم) خبر مقدّم والتوراة مبتدأ مؤخر والجملة حال من الواو فى يحكمونك

(سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ) الذى افترته أحبارهم سماع قبول (سَمَّاعُونَ) منك (لِقَوْمٍ) لأجل قوم (آخَرِينَ) من اليهود (لَمْ يَأْتُوكَ) وهم أهل خيبر زنى فيهم محصنان فكرهوا رجمهما فبعثوا قريظة ليسألوا النبى صلى الله عليه وسلم عن حكمهما (يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ) الذى فى التوراة كآية الرجم (مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ) التى وضعه الله عليها أى يبدلونه (يَقُولُونَ) لمن أرسلوهم (إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا) الحكم المحرف أى الجلد أى أفتاكم به محمد (فَخُذُوهُ) فاقبلوه (وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ) بل أفتاكم بخلافه (فَاحْذَرُوا) أن تقبلوه (وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ) إضلاله (فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا) فى دفعها (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ) من الكفر ولو أراده لكان (لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ) ذلّ بالفضيحة والجزية (وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) هم (سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ) بضم الحاء وسكونها أى الحرام كالرشا (فَإِنْ جَاءُوكَ) لتحكم بينهم (فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ) هذا التخيير منسوخ بقوله : وأن احكم بينهم الآية فيجب الحكم بينهم إذا ترافعوا إلينا وهو أصح قولى الشافعى فلو ترافعوا إلينا مع مسلم وجب إجماعا (وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ) بينهم (فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ) بالعدل (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) العادلين فى الحكم أى يثيبهم (وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ) بالرجم ،

(قوله استفهام تعجيب) أى إيقاع المخاطب فى العجب (قوله بل ماهو أهون عليهم) أى وهو الجلد (قوله وماأولئك بالمؤمنين) أى لا مكتابهم لاعراضهم عنه وتحريفه ولا بك لعدم الانقياد لك فى أحكامك (قوله إنا أنزلنا التوراة) كلام مستأنف مسوق لبيان فضل التوراة وأنها كتاب عظيم كله هدى ونور (قوله فيها هدى) أى لمن أراد الله هدايته وأما من أراد الله شقاوته فلا تنفعه التوراة ولا غيرها ، قال البوصيرى : وإذا ضلت العقول على علم فماذا تقوله النصحاء

(قوله ونور) فى الكلام استعارة مصرحة حيث شبهت الأحكام بالنور بجامع الاهتداء فى كل واستعير اسم المشبه به للمشبه وحيث أريد بالنور الأحكام ، فالمراد بالهدى التوحيد فالعطف مغاير (قوله يحكم بها النبيون) كلام مستأنف لبيان المنتفع بالتوراة وهم الأنبياء والعلماء والمراد بالأنبياء مايشمل المرسلين فحكم المرسلين ظاهر وحكم الأنبياء بالقضاء بها لاعلى أنها شرع لهم (قوله الذين أسلموا) أى كمل إسلامهم وهو وصف كاشف لأن كل نبى منقاد لله وحكمة الوصف بذلك التعريض باليهود حيث افتخروا بأصولهم ولم يسلموا بل حرفوا التوراة وبدلوها (قوله للذين هادوا) اللام للاختصاص أى أحكام التوراة مختصة بالذين هادوا أعمّ من أن تكون أحكاما لهم أو عليهم (قوله والربانيون) معطوف على النبيون (قوله العلماء منهم) وقيل الزهاد وقيل الذين يربون الناس بصغار العلم قبل كباره وهذا لاينافى كلام المفسر بل يقال سموا ربانيين لكونهم منسوبين للرب لزهدهم ماسواه أوللتربية لكونهم يربون الخلق (قوله والأحبار) جمع حبر بالفتح والكسر وأما المداد فبالكسر لاغير من التحبير وهو التحسين يقال حبره إذا حسنه سموا بذلك لأنهم يزينون الكلام ويحسنونه وهو عطف على النبيون أيضا وقد وسط بين المعطوفات الذين هم الحكام بالمحكوم لهم وذكر الأحبار بعد الربانيين من ذكر العام بعد الخاص لأن الحبر العالم كان ربانيا أولا (قوله أى بسبب الذى) أشار بذلك إلى أن الباء سببية وما اسم موصول بمعنى الذى والعائد محذوف أى بسبب الذى استحفظوه وفاعل الحفظ هو الله أى بسبب الشرع الذى أمرهم الله بحفظه وقوله من كتاب الله بيان لما فالأنبياء والعلماء أمناء الله على خلقه يحكمون بين الناس بأحكام الله التى علمها الله لهم ومن لم يحكم بذلك فقد خان الله فى أمانته وكذب على ربه فحينئذ يستحق الوعيد (قوله فلاتخشوا الناس) تفريع على قوله والربانيون والأحبار والخطاب لعلماء اليهود الذين فى زمنه صلى الله عليه وسلم (قوله وغيرهما) أى كقوله تعالى ـ انّ النفس بالنفس ـ فغيروها وقالوا ما لم يكن القاتل شريفا وإلا فلايقتل بالوضيع (قوله ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) نزلت فى قريظة وبنى النضير فكان الواحد من بنى النضير إذا قتل واحدا من قريظة أدى إليهم نصف الدية وإذا قتل الواحد من قريظة واحدا من بنى النضير أدّى إليهم الدية كاملة فغيروا حكم الله الذى أنزله فى التوراة وكل آية وردت فى الكفار تجر بذيلها على عصاة المؤمنين (قوله وكتبنا عليهم فيها) هذا شرع من قبلنا وهو شرع لنا ولم يرد ماينسخه ففى هذه الآية دليل لمذهب مالك حيث قال شرع من قبلنا شرع لنا مالم يرد ناسخ (قوله أن النفس) أن حرف توكيد ونصب والنفس اسمها وقوله بالنفس الجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر أن قدره المفسر بقوله تقتل وهو حل معنى لاحل إعراب لأن الخبر يقدّر كونا عاما لاخاصا فالمناسب تقديره تؤخذ ليصلح للجميع والجملة من أن واسمها وخبرها فى محل نصب على المفعولية بكتبنا . واعلم أنه قرئ بنصب الجميع وهو ظاهر لأنه معطوف على اسم أن وقرئ برفع الأربعة مبتدأ وخبر معطوف على جملة أن واسمها وخبرها ويؤول كتبنا

استفهام تعجيب أى لم يقصدوا بذلك معرفة الحق بل ما هو أهون عليهم (ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ) يعرضون عن حكمك بالرجم الموافق لكتابهم (مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ) التحكيم (وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ . إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى) من الضلالة (وَنُورٌ) بيان للأحكام (يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ) من بنى إسرائيل (الَّذِينَ أَسْلَمُوا) انقادوا لله (لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ) العلماء منهم (وَالْأَحْبَارُ) الفقهاء (بِمَا) أى بسبب الذى (اسْتُحْفِظُوا) استودعوه أى استحفظهم الله إياه (مِنْ كِتَابِ اللَّهِ) أن يبدلوه (وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ) أنه حق (فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ) أيها اليهود فى إظهار ما عندكم من نعت محمد صلى الله عليه وسلم والرجم وغيرهما (وَاخْشَوْنِ) فى كتمانه (وَلَا تَشْتَرُوا) تستبدلوا (بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا) من الدنيا تأخذونه على كتمانها (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) به (وَكَتَبْنَا) فرضنا (عَلَيْهِمْ فِيهَا) أى التوراة (أَنَّ النَّفْسَ) تقتل (بِالنَّفْسِ) إذا قتلتها (وَالْعَيْنَ) تفقأ (بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ) يجدع (بِالْأَنْفِ

والأذن)

بقلنا فالجمل كلها فى محل نصب مقول القول وهو الأحسن وقرئ بنصب الجميع ماعدا الجروح فبالرفع مبتدأ وخبر معطوف على أن واسمها وخبرها (قوله والأذن بالأذن) بضم الذال وسكونها قراءتان سبعيتان (قوله بالوجهين) أى الرفع والنصب عند نصب الجميع وأما عند رفع ماقبله فبالرفع لاغير (قوله ومالايمكن) ما اسم موصول مبتدأ وقوله فيه الحكومة خبر (قوله فيه الحكومة) أى بأن يقدر رقيقا سالما من العيوب ثم ينظر لما نقصه فيؤخذ بنسبته من الدية وظاهر المفسر أن كل ما لايمكن فيه القصاص فيه الحكومة ولعله مذهبه و إلا فمذهب مالك الحكومة فى كل مالم يرد فيه شئ مقرر فى الخطأ و إلا ففيه ماقرر فى الخطأ كرض الأنثيين وكسر الصلب ففيه الدية كاملة وفى نحو الجائفة والآمة ثلثها على ماهو مبين فى المذهب (قوله بأن مكن) أى القاتل من نفسه للقصاص و يحتمل أن المعنى فمن تصدق به أى القصاص بأن عفا الولى عن القاتل فهو كفارة لما عليه من الذنوب . والحاصل أن القاتل تعلق به ثلاثة حقوق : حق لله وحق للولى وحق للمقتول فان سلم القاتل نفسه طوعا تائبا سقط حق الله وحق الولى و يرضى الله المقتول من عنده وأما إن أخذ القاتل كرها وقتل من غير توبة فقد سقط حق الولى و بقى حق الله وحق المقتول هكذا ذكره ابن القيم وهو مبنى على أن الحدود زواجر وأما على مامشى عليه مالك من أن الحدود جوابر فمتى قتل ولو من غير توبة فقد سقطت الحقوق كلها لأن السيف يجب ماقبله (قوله فأولئك هم الظالمون) أى لمخالفة شرع الله مع عدم استحلاله لذلك وعبر فيما تقدم بالكافرون لتبديلهم وتغييرهم ما أنزل الله واستحلالهم لذلك (قوله وقفينا) شروع فى ذكر

(وَالْأُذُنَ) تقطع (بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ) تقلع (بِالسِّنِّ) وفى قراءة بالرفع فى الأربعة (وَالْجُرُوحَ) بالوجهين (قِصَاصٌ) أى يقتص فيها إذا أمكن كاليد والرجل والذكر ونحو ذلك وما لايمكن فيه الحكومة ، وهذا الحكم و إن كتب عليهم فهو مقرر فى شرعنا (فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ) أى بالقصاص بأن مكن من نفسه (فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ) لما أتاه (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ) فى القصاص وغيره (فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ . وَقَفَّيْنَا) أتبعنا (عَلَىٰ آثَارِهِمْ) أى النبيين (بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ) قبله (مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى) من الضلالة (وَنُورٌ) بيان للأحكام (وَمُصَدِّقًا) حال (لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ) لما فيها من الأحكام (وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ . وَ) قلنا (لِيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ) من الأحكام وفى قراءة بنصب يحكم وكسر لامه عطفا على معمول آتيناه (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ،

مايتعلق بفضل عيسى وكتابه بعد ذكر فضل موسى وكتابه وقفينا من التقفية وهى الاتيان فى القفا ومعناه العقب وقد ضمن قفينا معنى جئنا فلا يقال يلزم عليه أن التضعيف كالهمز فمقتضاه أن تتعدى لمفعولين بأن يقال مثلا وقفيناهم عيسى (قوله أتبعنا) أى جئنا بعيسى تابعا لآثارهم (قوله أى النبيين) أى المتقدم ذكرهم فى قوله يحكم بها النبيون فالأنبياء الذين بين موسى وعيسى يعملون بالتوراة و يحكمون بها بين الناس فلما جاء عيسى نسخ العمل بالتوراة وصار الحكم للانجيل (قوله مصدقا) حال من عيسى وقوله من التوراة بيان لما (قوله وآتيناه الانجيل) معطوف على قفينا (قوله فيه) خبر مقدم وهدى مبتدأ مؤخر ونور معطوف عليه والجملة حال من الانجيل والمراد بالهدى التوحيد و بالنور الأحكام فالعطف مغاير (قوله ومصدقا لما بين يديه) أى معترفا بأنها من عند الله و إن نسخت أحكامها لأن الله سبحانه وتعالى كلف أمة كل عصر بأحكام تناسبها فالنسخ فى الأحكام الفرعية لا الأصول كالتوحيد فلا نسخ فيه بل ما كان عليه آدم من التوحيد هو ماعليه باقى الأنبياء (قوله وهدى) أى ذو هدى أو بولغ فيه حتى جعل نفس الهدى مبالغة على حد زيد عدل ، وعبر أولا بقوله فيه هدى وثانيا بقوله وهدى مبالغة (قوله وموعظة) أى أحكاما يتعظون بها والحكمة فى زيادة الموعظة فى الانجيل دون التوراة لأن التوراة كان فيها الأحكام الشرعية فقط و إنما المواعظ كانت فى الألواح وقد تكسرت وأما الانجيل فهو مشتمل على الأحكام والمواعظ (قوله للمتقين) خصهم لأنهم المنتفعون بذلك (قوله وقلنا) قدره المفسر إشارة إلى أن الواو حرف عطف والمعطوف محذوف وقوله ليحكم اللام لام الأمر والفعل مجزوم بها والجملة مقول القول والمحذوف معطوف على آتينا والمعنى آتينا عيسى ابن مريم الانجيل وأمرناه ومن تبعه بالحكم به (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله بنصب يحكم) أى بأن مضمرة بعد لام كى (قوله عطفا على معمول آتيناه) فيه شئ لأنه إن أراد معموله الذى هو الانجيل فهو غير ظاهر و إن أراد معموله الذى هو قوله هدى وموعظة، والمعنى آتيناه الانجيل لأجل الهدى والموعظة ولحكم أهل الانجيل فهو صحيح التركيب والأحسن

أن قوله ليحكم متعلق بمحذوف والواو للاستئناف والمعنى وآتيناه ذلك ليحكم (قوله فأولئك هم الفاسقون) عبر بالفسق هنا لأنه خروج عن أمره تعالى وطاعته لأنه تقدمه أمر وهو قوله وليحكم وفى الحقيقة الفسق يرجع للظلم لأنه مخالفة الأمر فتعبيره بالظلم أولا و بالفسق ثانيا تفنن (قوله وأنزلنا إليك) معطوف على أنزلنا التوراة (قوله متعلق بأنزلنا) المناسب أن يقول متعلق بمحذوف حال من الكتاب وقوله مصدقا حال من الكتاب أيضا (قوله من الكتاب) بيان لما وأل فى الكتاب للجنس فيشمل جميع الكتب السماوية (قوله ومهيمنا) المهيمن معناه الحاضر الرقيب فالقرآن شاهد على سائر الكتب وعلى من آمن من أصحابها ومن كفر (قوله والكتاب بمعنى الكتب) أى فأل للجنس (قوله ولا تتبع أهواءهم) الخطاب للنبى والمراد غيره والمعنى لا يميل الحاكم بين الناس لأهوائهم بأن يحكم بها و يترك ما أنزل الله (قوله من الحق) بيان لما (قوله أيها الامم) أى من لدن آدم إلى محمد فكل أمة لها شرع مختص بها والاختلاف إنما هو فى الفروع لا الأصول فكل ماورد دالا على اختلاف الشرائع كهذه الآية فباعتبار الفروع وما ورد دالا على الاتحاد كقوله ـ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ـ وقوله ـ أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ـ فمحمول على الأصول (قوله شرعة) أى أحكاما شرعها و بينها للتعبد بها والشريعة فى كلام العرب مورد الماء الذى يقصد للشرب منه استعير للطريقة الالهية قال بعضهم الشريعة والمنهاج عبارة عن معنى واحد والتكرار للتأكيد (قوله أمة واحدة) أى جماعة متفقة على دين واحد من غير نسخ (قوله ولكن ليبلوكم) هذا هو حكمة تفرق الشرائع فى الفروع (قوله لينظر المطيع) أى ليظهر أمر المطيع من العاصى (قوله فاستبقوا الخيرات) أى بادروا إلى وجوه البر والطاعات (قوله جميعا) حال من الكاف فى مرجعكم ولا يقال هو حال من المضاف إليه وهو لا يجوز لأنه يقال المضاف مقتض للعمل فى المضاف إليه قال ابن مالك :

ولا تجز حالا من المضاف له إلا إذا اقتضى المضاف عمله

(قوله فينبئكم) أى يخبركم بالذى كنتم تختلفون فيه فيترتب على ذلك الثواب للمطيع والعقاب للعاصى (قوله وأن احكم بينهم) الواو حرف عطف وأن وما دخلت عليه فى تأويل مصدر معطوف على الكتاب التقدير وأنزلنا إليك الكتاب والحكم والفعل و إن كان أمرا لفظا إلا أنه فى معنى المضارع ليفيد استمرار الحكم وليس هذا مكررا مع قوله فاحكم بينهم بما أنزل الله لأن ما تقدم فى شأن رجم المحصنين وما هنا فى شأن الدماء والديات لأن سبب نزولها أن بنى النضير كانوا إذا قتلوا من قريظة قتيلا أعطوهم سبعين وسقا من تمر و إذا قتلت قريظة قتيلا من بنى النضير أعطوهم مائة وأربعين وسقا فقال لهم رسول الله أنا أحكم أن دم القرظى كدم النضيرى ليس لأحدهم فضل على الآخر فى دم ولا عقل ولا جراحة فغضب بنو النضير وقالوا لا نرضى بحكمك فانك تريد صغارنا (قوله واحذرهم أن يفتنوك) سبب نزولها أن كعب بن أسيد وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس قال بعضهم لبعض اذهبوا بنا إلى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فأتوه فقالوا يا محمد قد عرفت أنا أحبار اليهود وأشرافهم وساداتهم وأنا إن اتبعناك اتبعنا اليهود ولم يخالفونا وأن بيننا و بين قومنا خصومة فنتحاكم إليك فاقض لنا عليهم نؤمن بك ونصدقك فأبى رسول الله فنزلت الآية وقوله أن يفتنوك مفعول لأجله على تقدير لام العلة ولا النافية وهو ما مشى عليه المفسر ويحتمل أنه بدل اشتمال من الهاء فى احذرهم والمعنى احذرهم فتنتهم والخطاب له صلى الله عليه وسلم والمراد غيره لعصمته من الفتنه .

فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ . وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ) يامحمد (الْكِتَابَ) القرآن (بِالْحَقِّ) متعلق بأنزلنا (مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ) قبله (مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا) شاهدا (عَلَيْهِ) والكتاب بمعنى الكتب (فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ) بين أهل الكتاب إذا ترافعوا إليك (بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ) إليك (وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ) عادلا (عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ) أيها الأمم (شِرْعَةً) شريعة (وَمِنْهَاجًا) طريقا واضحا فى الدين يمشون عليه (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً) على شريعة واحدة (وَلَٰكِنْ) فرقكم فرقا (لِيَبْلُوَكُمْ) ليختبركم (فِيمَا آتَاكُمْ) من الشرائع المختلفة لينظر المطيع منكم والعاصى (فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ) سارعوا إليها (إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا) بالبعث (فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) من أمر الدين ويجزى كلا منكم بعمله (وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ) ل(أَنْ) لا (يَفْتِنُوكَ) يضلوك (عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا) عن الحكم المنزل وأرادوا غيره (فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ) بالعقوبة فى الدنيا ،

(بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ) التى أتوها ومنها التولى ويجازيهم على جميعها فى الأخرى (وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ. أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ) بالياء والتاء يطلبون من المداهنة والميل إذا تولوا، استفهام إنكارى (وَمَنْ) أى لا أحد (أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ) عند قوم (يُوقِنُونَ) به خصوا بالذكر لأنهم الذين يتدبرونه (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ) توالونهم وتوادونهم (بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) لاتحادهم فى الكفر (وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ) من جملتهم (إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) بموالاتهم الكفار (فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) ضعف اعتقاد كعبد الله بن أبى المنافق (يُسَارِعُونَ فِيهِمْ) فى موالاتهم (يَقُولُونَ) معتذرين عنها (نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ) يدور بها الدهر علينا من جدب أو غلبة ولا يتم أمر محمد فلا يميرونا قال تعالى (فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ) بالنصر لنبيه بإظهار دينه (أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ) بهتك ستر المنافقين وافتضاحهم،

(قوله ببعض ذنوبهم) أى لا بجميعها نعاقبهم فى الدنيا بالقتل والسبى والجلاء إنما هو ببعض ذنوبهم وأما فى الآخرة فيجازيهم على الجميع كما قال المفسر لأن العذاب المنقضى وإن طال لا يكفى جزاء لذنوب الكافر جميعها كما أن نعيم الدنيا وإن كثر ليس جزاء لأعمال المؤمن الصالحة وإن عذب فى الدنيا بمرض أو غيره فهو جزاء لأعمال المؤمن السيئة والنعيم فى الدنيا للكافر قد يكون جزاء لما عمل من الصالحات كالصدقات مثلا (قوله ومنها التولى) أى الاعراض عن حكمه صلى الله عليه وسلم (قوله وإن كثيرا من الناس لفاسقون) أى خارجون عن دائرة الحق، وتقدم أن بعث النار من كل ألف واحد ناج والباقى خارج عن حدود الله، والمعنى تسل يا محمد فان الغالب فى الناس الفسق فلا خصوصية لليهود بذلك (قوله أفحكم الجاهلية) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير أيتولون عنك فيبغون حكم الجاهلية فحكم مفعول ليبغون (قوله بالياء والتاء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله استفهام إنكارى) أى فهو بمعنى النفى، والمعنى لايبغون حكم الجاهلية منك على سبيل الظفر به لعصمتك (قوله أى لا أحد) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفى والآية كالدليل لما قبلها (قوله عند قوم) أشار بذلك إلى أن اللام بمعنى عند (قوله به) قدره إشارة إلى أن مفعول يوقنون محذوف والضمير عائد على حكم الله (قوله يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا الخ) انتهى لكل من أظهر الايمان وإن كان فى الباطن خاليا من الايمان، وسبب نزولها أن عبادة بن الصامت رضى الله عنه وعبد الله بن أبى ابن سلول رأس المنافقين اختصما فقال عبادة إن لى أولياء من اليهود كثيرا عددهم شديدة شوكتهم وإنى أبرأ إلى الله وإلى رسوله من ولاية اليهود ولامولى لى إلا الله ورسوله فقال عبد الله بن أبى إنى لاأبرأ من ولاية اليهود فانى أخاف الدوائر ولابد لى منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا الحباب ما نفست به من ولاية اليهود على عبادة بن الصامت هو لك دونه، فقال إذا أقبل فنزلت. وأتخذ ينصب مفعولين اليهود والنصارى مفعول أول وأولياء مفعول ثان (قوله بعضهم أولياء بعض) جملة مستأنفة، والمعنى بعض كل فريق أولياء البعض الآخر من ذلك الفريق لأن بين اليهود والنصارى العداوة الكبرى (قوله فانه منهم) أى لأنه لايوالى أحد أحدا إلا وهو عنه راض فاذا رضى عنه وعن دينه صار من أهل ملته، وأما معاملتهم مع كراهتهم فلاضرر فى ذلك (قوله إن الله لايهدى القوم الظالمين) علة لكون من تولاهم منهم (قوله كعبد الله بن أبى) أى وأصحابه (قوله معتذرين عنها) أى الموالاة (قوله دائرة) أى أمر مكروه فالدوائر هى حوادث الدهر وشروره، والدولة هى العز والنصر فالمؤمن لاينتظر إلا الدولة لا الدائرة (قوله أو غلبة) أى للكفار على المسلمين (قوله فلا يميرونا) أى يعطونا الميرة وهى الطعام (قوله قال تعالى) أى ردا لقول المنافقين نخشى أن تصيبنا دائرة وبشارة للمؤمنين لاعتقادهم أن الله ناصرهم، ففى الحديث «أنا عند ظن عبدى بى فليظن بى ما يشاء» (قوله أو أمر من عنده) أو مانعة خلو تجوز الجمع وقد حصل الأمران معا، فقد روى أن رسول الله أمر وهو على المنبر باخراجهم من المسجد واحدا واحدا ونزلت سورة براءة بفضيحتهم وذمهم ظاهرا وباطنا، ولذا تسمى الفاضحة. وعسى وإن كانت للترجى الا أنها فى كلام الله للتحقيق لأن كلامه موافق لعلمه وهو لايتخلف.

(قوله فيصبحوا) عطف على يأتى وفاء السببية مغنية عن الرابط (قوله نادمين) أى على تخلف مرادهم وحسرتهم من أجل نصر محمد وأصحابه وخذلان الكفار وليس المراد نادمين على ماتقدم منهم من الذنوب تائبين من ذلك و إلا فيكون حينئذ ندما محمودا لغلبة رحمة الله على غضبه (قوله بالرفع استئنافا) أى نحويا أو بيانيا واقعا فى جواب سؤال مقدر تقديره ماذا يقول المؤمنون حينئذ بناء على جواز اقتران البيانى بالواو ، وأما على قراءة عدم الواو فيكون بيانيا لاغير (قوله عطفا على يأتى) أى مسلط عليه عسى ، والمعنى فعسى الله أن يأتى بالفتح و يقول الذين آمنوا تعجبا من كذب المنافقين هكذا ذكر المفسر ، والمناسب أن يقول عطفا على فيصبحوا لأنه نتيجة ماقبله لأن تعجب المؤمنين ناشئ عن الفتح لهم والفضيحة للمنافقين (قوله أهؤلاء) الهمزة للاستفهام التعجبي والهاء للتنبيه وأولاء اسم إشارة مبتدأ والذين خبره وأقسموا صلته ، وقوله إنهم لمعكم جملة تفسيرية لمعنى أقسموا لأن يمينهم إنا معكم (قوله غاية اجتهادهم) أشار بذلك إلى أن جهد صفة لمصدر محذوف مفعول مطلق لأقسموا ، والتقدير إقساما جهد أيمانهم : أى أغلظها (قوله قال تعالى) أشار بذلك إلى أن قوله حبطت أعمالهم من كلامه تعالى إخبار عن المنافقين لامن كلام المؤمنين لأنهم لاعلم لهم بذلك (قوله الصالحة) أى بحسب الظاهر (قوله يا أيها الذين آمنوا) هذا تحذير عام لكل مؤمن من موالاة الكفار و بيان عاقبة من والاهم ومال إلى دينهم (قوله من يرتد) من اسم شرط جازم و يرتد فعل الشرط وجوابه قوله فسوف يأت الله الخ والجملة خبر المبتدإ (قوله بالفك والادغام) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله وقد ارتد جماعة بعد موت النبى) أى وهم ثمان فرق سبعة فى خلافة أبى بكر وفرقة فى زمن عمر وارتد ثلاث فرق أيضا فى زمن رسول الله بنو مدلج ورئيسهم ذوالحمار لقب به لأنه كان له حمار يأتمر بأمره و ينتهى بنهيه وهو الأسود العنسى بفتح العين وسكون النون وكان كاهنا تنبأ باليمن واستولى على بلاده وأخرج عمال رسول الله فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى معاذ ابن جبل وسادات اليمن فأهلكه الله تعالى على يد فيروز الديلمى فبيته وقتله ، فأخبر رسول الله بقتله ليلة قتله فسرّ المسلمون بذلك وقبض رسول الله من الغد ، وأتى خبر قتله فى آخر ربيع الأول ، و بنو حنيفة وهم قوم مسيلمة الكذاب تنبأ وكتب إلى رسول الله من مسيلمة رسول الله : أما بعد فان الأرض نصفها لى ونصفها لك ، فكتب إليه رسول الله : من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب : أما بعد فان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وهلك فى خلافة أبى بكر على يد وحشى غلام مطعم بن عدى قاتل حمزة فكان يقول قتلت خير الناس فى الجاهلية وشرّ الناس فى الاسلام . و بنو أسد وهم قوم طلحة بن خويلد تنبأ فبعث إليه رسول الله خالد بن الوليد فقاتله فانهزم بعد القتال الى الشام ثم أسلم بعد ذلك وحسن اسلامه . والسبع اللاتى فى خلافة أبى بكر الصديق هم فزارة قوم عيينة بن حصن الفزارى وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيرى و بنو سليم وبنو يربوع قوم مالك بن بريدة اليربوعى و بعض تميم وكندة قوم الأشعث بن قيس الكندى وبنو بكر بن وائل فكفى الله أمرهم على يد أبى بكر الصديق حين خرج لقتالهم حيث منعوا الزكاة فكره ذلك الصحابة وقالوا هم أهل القبلة فكيف نقاتلهم فتقلد أبو بكر بسيفه وخرج وحده فلم يجدوا بدّا من الخروج على أثره ، فقال ابن مسعود كرهنا ذلك فى الابتداء وحمدناه فى الانتهاء وقال بعض الصحابة ماولد بعد النبيين أفضل من أبى بكر لقد قام مقام نبى من الأنبياء فى قتال أهل الردة ، والفرقة التى ارتدت فى زمن عمر بن الخطاب هم غسان فكفى الله أمرهم على يد عمر رضى الله عنه (قوله بدلهم) أى بدل المرتدين فالضمير عائد على من باعتبار معناها وأشار به الى الرابط بين المبتدإ وخبره وهذا لايحتاج له الا على القول بأن الجزاء وحده هو الخبر ، وأما على القول بأن الخبر هو مجموع فعل الشرط والجزاء أو الفعل وحده فلاحاجة لتقديره لأنه موجود فى يرتد .

(فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ) من الشك وموالاة الكفار (نَادِمِينَ . وَيَقُولُ) بالرفع استئنافا بواو ودونها و بالنصب عطفاً على يأتى (الَّذِينَ آمَنُوا) لبعضهم إذا هتك سترهم تعجباً (أَهٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ) غاية اجتهادهم فيها (إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ) فى الدين ، قال تعالى (حَبِطَتْ) بطلت (أَعْمَالُهُمْ) الصالحة (فَأَصْبَحُوا) صاروا (خَاسِرِينَ) الدنيا بالفضيحة والآخرة بالعقاب (يٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ) بالفك والادغام : يرجع (مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ) إلى الكفر إخبار بما علم الله تعالى وقوعه ، وقد ارتد جماعة بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم (فَسَوْفَ يَأْتِ اللَّهُ) بدلهم ، (بقوم

(بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ) قال صلى الله عليه وسلم : هم قوم هذا وأشار إلى أبى موسى الأشعرى رواه الحاكم فى صحيحه (أَذِلَّةٍ) عاطفين (عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ) أشداء (عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ) فيه كما يخاف المنافقون لوم الكفار (ذَٰلِكَ) المذكور من الأوصاف (فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ) كثير الفضل (عَلِيمٌ) بمن هو أهله . ونزل لما قال ابن سلام يارسول الله إن قومنا هجرونا (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) خاشعون أو يصلون صلاة التطوع (وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا) فيعينهم وينصرهم (فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ) لنصره إياهم أوقعه موقع فانهم بيانا لأنهم من حزبه أى أتباعه (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا) مهزوءاً به (وَلَعِبًا مِنَ) للبيان (الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ) ،

(قوله يحبهم ويحبونه) معنى محبة الله لهم إقامتهم له فى خدمته مع الرضا والاثابة ومعنى محبتهم لله موالاة طاعته وتقديم خدمته على كل شئ ولما كانت محبتهم لله ناشئة عن محبة الله لهم قدم محبة الله لهم. قال العارف رضى الله عنه على لسان الحضرة العلية :

أيها المعرض عنا إن إعراضك منا ... لو أردناك جعلنا كل ما فيك يردنا

(قوله وأشار إلى أبى موسى الأشعرى) أى فالقوم هم الأشعريون ، وقيل هم أبو بكر وأصحابه الذين باشروا قتال المرتدين والأقرب أن الآية عامة لأصحاب رسول الله ومن كان على قدمهم إلى يوم القيامة بقرينة التسويف (قوله أذلة) جمع ذليل ، وقوله عاطفين أشار به إلى أن أذلة مضمن معنى عاطفين لتعديته بعلى ، والمعنى متواضعين لإخوانهم مغالظين على الكفار ، ومن هذا المعنى قوله تعالى - أشداء على الكفار رحماء بينهم - (قوله يجاهدون فى سبيل الله) أى لإعلاء دينه (قوله ولا يخافون لومة لائم) تعريض بالمنافقين فانهم كانوا إذا خرجوا فى جيش المسلمين خافوا أولياءهم اليهود لئلا يحصل منهم اللوم لهم (قوله ذلك المذكور) أى من الأوصاف الستة (قوله ونزل لما قال ابن سلام الخ) أى لما أسلم هجره قومه قريظة و بنو النضير (قوله إنما وليكم) الخطاب لعبد الله ابن سلام وأتباعه الذين هداهم الله إلى الإسلام فلما نزلت هذه الآية قال عبد الله بن سلام رضيت بالله ربا و برسوله نبيا و بالمؤمنين أولياء ، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فكل من انتسب لله فهو وليه . قال تعالى - الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور (قوله ورسوله) أى لأنه الواسطة العظمى فى كل نعمة ، وقوله والذين آمنوا : أى لكونهم الاخوان لمن تخلى عنه رسول الله أو المؤمنون فهو هالك لأن موالاة الثلاثة شرط فى صحة الإيمان (قوله الذين يقيمون الصلاة) بدل من الذين قبله ومعنى إقامة الصلاة أداؤها بشروطها وأركانها وآدابها (قوله ويؤتون الزكاة) أى الحقوق التى عليهم فى أموالهم (قوله وهم راكعون) الجملة حالية من يقيمون و يؤتون ، وقوله خاشعون : أى فأطلق الركوع وأراد لازمه وهو الخشوع (قوله أو يصلون صلاة التطوع) أى فالمراد بالركوع صلاة النوافل وخصها بالذكر لأن نفل الصلاة أفضل من نفل غيرها وعليه فجملة وهم راكعون معطوفة على ماقبلها فتحصل أنه وصفهم بأوصاف ثلاثة : إقامة صلاة الفرائض و إيتاء الزكاة وصلاة النوافل ، وقيل قوله وهم راكعون حال من فاعل يؤتون الزكاة ، والمراد بها ما يشمل صدقة التطوع والركوع على حقيقته ، والمراد كمال رغبتهم فى الاحسان ومسارعتهم إليه ، روى أنها نزلت فى على كرم الله وجهه حين سأله سائل وهو فى الصلاة فنزع خاتمه وأعطاه له (قوله ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا) من اسم شرط و يتول فعله والله مفعول يتول ، والمعنى يختار الله وليا يعبده و يلتجئ إليه و يختار رسوله وليا بأن يؤمن به و يتوسل به و يعظمه و يوقره و يختار الذين آمنوا أولياء بأن يعينهم و ينصرهم و يوقرهم إذا حضروا و يحفظهم إذا غابوا ، وقوله فان حزب الله الخ يحتمل أنها جواب الشرط ، و إنما أوقع الظاهر موقع المضمر لنكتة التشريف و يؤخذ ذلك من عبارة المفسر ، و يحتمل أنها دليل الجواب ، والجواب محذوف تقديره يكن من حزب الله (قوله هم الغالبون) أى القاهرون لأعدائهم (قوله يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا) لا ناهية وتتخذوا مجزوم بلا الناهية والذين مفعول أول للا تتخذوا الأولى واتخذوا الثانية صلة الذين ومفعولها الأول قوله دينكم ومفعولها الثانى هزوا ولعبا ، وقوله أولياء مفعول ثان للا تتخذوا الأولى (قوله من للبيان) أى فهو بيان للذين اتخذوا دينكم ، فالمعنى لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا وهم الذين أوتوا الكتاب .

(قوله المشركين) إنما اقتصر عليهم و إن كان الجميع كفارا لتحصل المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه (قوله بالجر) أى عطف على مجرور من وقوله والنصب أى عطف على الذين الواقع مفعولا به فعلى الأول الاستهزاء واقع من الفريقين وعلى الثانى واقع من أهل الكتاب فقط وثبوت الاستهزاء لغيرهم مأخوذ من آية أخرى (قوله إن كنتم مؤمنين) أى فاتركوا موالاتهم فيؤخذ من الآية أن من والاهم فليس بمؤمن فهو وعيد عظيم لمن اتخذ الكفار أولياء من دون المؤمنين (قوله و إذا ناديتم) يحتمل أنه معطوف على الذين المجرور بمن وعليه فالمستهزئون ثلاث فرق، ويحتمل أنه معطوف على الذين الواقع مفعولا ، فيكون من جملة أوصاف الفريق الأول (قوله بالأذان) ورد أن المنافقين والكفار كانوا إذا سمعوا الأذان ضحكوا وقالوا يا محمد لقد ابتدعت شيئا لم يسمع بمثله فيما مضى قبلك من الأمم فان كنت تدعى النبوة فقد خالفت الأنبياء قبلك ولو كان فيك خير لكان أولى الناس به الأنبياء فمن أين لك صياح العير فما أقبح هذا الصوت وهذا الأمر فنزلت آية ومن أحسن قولا وهذه الآية (قوله لايعقلون) أى لايعون ولايتأملون جلال الله وهيبته ولو عقلوه ماوسعهم الاستهزاء ولذا ورد أن رسول الله كان إذا نودى بالصلاة تغيرت حالته قال بعض الصحابة كأنه لايعرفنا ولانعرفه وكان علىّ إذا سمع النداء ينتقع لونه ، وهذا الوعيد يجر بذيله على من يتعاطى الضحك وأسبابه فى الصلاة ولذلك جعله أبو حنيفة من مبطلات الوضوء والصلاة وجعله غيره من مبطلات الصلاة فقط و إنما لم يكفروا فاعله لأنه لم يكن مستهزئا بأمر الله حقيقة و إلا كان كافرا إجماعا وداخلا فى عموم الكفار (قوله ونزل لما قال اليهود) أى سبب نزولها قول طائفة من اليهود كأبى ياسر ورافع بن أبى رافع وآزر بن آزر وقصدهم بهذا السؤال اختباره صلى الله عليه وسلم هل هو مؤمن بعيسى فيخالفوه أولا فيتبعوه لكراهتهم له (قوله بمن تؤمن من الرسل) أى بأىّ رسول تؤمن (قوله فقال بالله) متعلق بمحذوف تقديره أومن بالله وقوله الآية أى إلى قوله مسلمون وتلك الآية هى آية البقرة التى أولها قولوا آمنا الآية (قوله هل تنقمون) جمهور القراء على كسر القاف من نقم بفتحها وهو الفصيح وقرىء شذوذا بفتح القاف وماضيه نقم بكسرها وهو فى الأصل النقض ثم أطلق على الكراهية والانكار ولذا عدى بمن دون على (قوله منا) أى من أوصافنا وأخلاقنا (قوله إلا أن آمنا) استثناء مفرغ وأن ومادخلت عليه فى تأويل مصدر مفعول لتنقموا والاستفهام انكارى بمعنى النفى والمعنى لاتنكرون ولاتكرهون من أوصافنا إلا إيماننا بالله الخ (قوله وماأنزل من قبل) أى من سائر الكتب السماوية (قوله وأن أكثركم) قرأ الجمهور بفتح الهمزة وقرىء شذوذا بكسرها على الاستئناف (قوله عطف على أن آمنا) أى فهو فى محل نصب على حذف مضاف تقديره واعتقادنا أن أكثركم فاسقون ، و إنما قدرنا المضاف لصحة العطف فان المعطوف على الصفة صفة وكون أكثرهم فاسقين وصف لهم لالنا فقدر المضاف لذلك و يصح أنه منصوب على المعية والمعنى إلا إيماننا مع كون أكثركم فاسقين مع تقدير المضاف أى مع اعتقادنا أن أكثركم فاسقون ، و يحتمل أن أن ومادخلت عليه فى تأويل مصدر فى محل الرفع مبتدأ والخبر محذوف تقديره وفسق أكثركم ثابت عندنا ويحتمل أنه فى محل جر معطوف على لفظ الجلالة مسلط عليه آمنا التقدير وما تكرهون منا إلا إيماننا بالله وإيماننا بأن أكثرهم فاسقون (قوله المعنى ماتنكرون الخ) إنما أتى بذلك جوابا عن سؤال مقدر تقديره إن قوله وأن أكثركم فاسقون وصف لهم وأما الايمان فهو وصف لنا فيشكل عطف ماليس وصفا لنا على ماهو وصف لنا فلذلك حول المفسر العبارة (قوله ومخالفتكم) من اضافة المصدر لمفعوله والفاعل محذوف تقديره مخالفتنا إياكم .

المشركين بالجر والنصب (أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ) بترك موالاتهم (إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) صادقين فى إيمانكم (وَ) الذين (إِذَا نَادَيْتُمْ) دعوتم (إِلَى الصَّلَاةِ) بالأذان (اتَّخَذُوهَا) أى الصلاة (هُزُوًا وَلَعِبًا) بأن يستهزئوا بها ويتضاحكوا (ذَلِكَ) الاتخاذ (بِأَنَّهُمْ) أى بسبب أنهم (قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ) . ونزل لما قال اليهود للنبى صلى الله عليه وسلم بمن تؤمن من الرسل ؟ فقال بالله وما أنزل إلينا الآية فلما ذكر عيسى قالوا لانعلم دينا شرا من دينكم (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ) تنكرون (مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ) إلى الأنبياء (وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ) عطف على أن آمنا ، المعنى ماتنكرون إلا إيماننا ومخالفتكم فى عدم قبوله ،

المعبر

(قوله المعبر عنه بالفسق) أى فأطلق اللازم وهو الفسق وأراد الملزوم وهو عدم قبول الايمان ثم أطلق وأريد لازمه وهو مخالفتنا لهم فى اتصافنا بقبول الايمان وهم بعدمه وقوله فى عدم قبوله أى الايمان (قوله وليس هذا مما ينكر) تتميم للكلام اشارة إلى أن الاستفهام انكارى (قوله قل هل أنبئكم بشر) هذا الكلام من باب المقابلة لأنه فى مقابلة قول اليهود لا نعلم دينا شرا من دينكم (قوله الذى تنقمونه) أى وهو ديننا (قوله مثوبة) تمييز لشر (قوله بمعنى جزاء) أى بالعقاب وكان على المفسر أن يزيده فتسمية الجزاء بالعقاب ثوابا تهكم بهم على حد: فبشرهم بعذاب أليم (قوله هو من لعنه الله) أشار بذلك إلى أن قوله من لعنه خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله هو وهو جواب عن سؤال مقدر تقديره ومن الأشر (قوله وغضب عليه) أى انتقم منه على سبيل الأبد (قوله بالمسخ) أى فجعل شبابهم قردة ومشايخهم خنازير (قوله الشيطان) تقدم أنه أحد تفاسير فى الطاغوت وقيل هو كل ما أوقع فى الضلال وعابده هو التابع له فى الضلال (قوله وفيما قبله) أى وهو لعنه وغضب عليه وكذلك راعى لفظها فى وعبد الطاغوت (قوله وفى قراءة) أى سبعية لحمزة وقوله اسم جمع لعبد أى لا جمع له بل جمعه أعبد. قال ابن مالك :

* افعل اسما صح عينا أفعل * (قوله ونصبه بالعطف على القردة) أى فتكون الصلات ثلاثا وهى لعنه

المعبر عنه بالفسق اللازم عنه وليس هذا مما ينكر (قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ) أخبركم (بِشَرٍّ مِنْ) أهل (ذٰلِكَ) الذين تنقمونه (مَثُوبَةً) ثوابا بمعنى جزاء (عِنْدَ اللهِ) هو (مَنْ لَعَنَهُ اللهُ) أبعده عن رحمته (وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ) بالمسخ (وَ) مَن (عَبَدَ الطَّاغُوتَ) الشيطان بطاعته . وراعى فى منهم معنى مَن وفيما قبله لفظها وهم اليهود . وفى قراءة بضم باء عبد و إضافته إلى ما بعده اسم جمع لعبد ونصبه بالعطف على القردة (أُولٰئِكَ شَرٌّ مَكَانًا) تمييز لأن مأواهم النار (وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ) طريق الحق وأصل السواء الوسط ، وذكر شر وأضل فى مقابلة قولهم لا نعلم دينا شرا من دينكم (وَإِذَا جَاءُوكُمْ) أى منافقو اليهود (قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا) إليكم متلبسين (بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا) من عندكم متلبسين (بِهِ) ولم يؤمنوا (وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ)هُ من النفاق (وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ) أى اليهود (يُسَارِعُونَ) يقعون سريعا (فِي الْإِثْمِ) الكذب (وَالْعُدْوَانِ) الظلم (وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ) الحرام كالرشا (لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)هُ عملهم هذا (لَوْلَا) هلا (يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ) منهم (عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ) الكذب (وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ)هُ ترك نهيهم (وَقَالَتِ الْيَهُودُ) لما ضيق عليهم .

وغضب عليه وجعل والرابعة على القراءة الأولى عبد (قوله تمييز) أى تمييز نسبة ونسب الشر للمكان وحقه لأهله كناية عن نهايتهم فى ذلك (قوله وذكر شر) أى المجرور فى قوله وبشر والمرفوع فى قوله أولئك شر وقوله فى مقابلة قولهم الخ جواب عن سؤال مقدر تقديره كيف ذلك مع أن المؤمنين لا شر عندهم . فأجاب بما ذكر. وأجيب أيضا بأن شر المؤمنين باعتبار تعبهم فى الدنيا فعذاب الآخرة للكفار أشر من ضيق الدنيا على المؤمنين. وأجيب أيضا بأن المفضل عليه جماعة من الكفار فيكون المعنى هؤلاء المتصفون بتلك الأوصاف شر من غيرهم من الكفرة الذين لم يجمعوا بين هذه الخصال (قوله وإذا جاءوكم) الخطاب للنبى فجمعه للتعظيم أوله ومن عنده من المؤمنين فالجمع ظاهر (قوله وقد دخلوا) الجملة حالية من فاعل قالوا وكذا قوله وهم قد خرجوا به (قوله متلبسين) قدره إشارة إلى أن قوله بالكفر متعلق بمحذوف حال من فاعل دخلوا وكذا قوله به حال من فاعل خرجوا (قوله وترى كثيرا) رأى بصرية تنصب مفعولا واحدا وهو قوله كثيرا وقوله يسارعون حال من قوله كثيرا (قوله كالرشا) بضم الراء وكسرها من الرشوة بضم وكسر فالمضموم للمضموم والمكسور للمكسور وأدخلت الكاف الربا (قوله عملهم هذا) قدره إشارة للمخصوص بالذم (قوله هلا) أشار بذلك إلى أن لولا للتحضيض والتوبيخ لعلمائهم حيث لم ينهوهم عما ارتكبوه من المخالفات (قوله لبئس ما كانوا يصنعون) عبر فى جانب العوام بيعملون وفى جانب العلماء بيصنعون لأن الصنع أبلغ من العمل إذ هو عمل مع إتقان فذمهم بأبلغ وجه وكل آية وردت فى الكفار فإنها تجر بذيلها على عصاة المؤمنين . قال ابن عباس هذه أشد آية فى القرآن يعنى فى حق العلماء ، وقال الضحاك ما فى القرآن أخوف آية عندى منها (قوله وقالت اليهود) أى بعضهم وهو فنحاص بن عازوراء و إنما نسب القول لهم عموما لرضاهم به ولم ينهوه عنه

(قوله بتكذيبهم) الباء سببية (قوله بعد أن كانوا أكثر الناس مالا) أى وأخصب أرضا (قوله مقبوضة) أى ممسوكة عن بسط العطاء لنا (قوله كنوا به عن البخل) أى لأنه يلزم من قبض اليد عن الإعطاء للمستحقين البخل (قوله تعالى الله عن ذلك) أى تنزه سبحانه عن ماوصفوه به من البخل لأن البخل هو منع المستحق من حقه وليس لأحد حقّ على الله تعالى بل هو الكريم الحقيقى الذى عمّ عطاؤه الطائع والعاصى لالغرض ولا لعوض (قوله دعاء) إما بالرفع خبر لمحذوف والتقدير هو دعاء أى طلب من نفسه بنفسه غلول أيديهم ، ويصح النصب على أنه مفعول لأجله أى قال تعالى لأجل الدعاء عليهم (قوله ولعنوا) معطوف على غلت فهو فى حيز الدعاء فبسبب هذه المقالة صاروا أشقياء آيسين من رحمة الله فلم يوفقوا لفعل خير بعد ذلك أبدا وطردوا عن رحمة الله فى الدنيا والآخرة (قوله بل يداه) إضراب إبطالى ويداه مبتدأ ومبسوطتان خبره وجملة ينفق إما خبر ثان أو استئناف بيانى . وكيف اسم شرط ويشاء فعل الشرط ومفعوله محذوف تقديره الانفاق له وجواب الشرط محذوف دلّ عليه قوله ينفق (قوله مبالغة فى الوصف بالجود) أى الاعطاء الكثير الذى عمّ الطائع والعاصى . واعلم أن معاملة الله للمؤمنين بالفضل إعطاء أومنعا لأنه مامنعهم عطاء الدنيا إلا لكونه ادّخر لهم ماهو أعظم منه فى الآخرة . وأما معاملته للكفار فبالفضل عند الإعطاء وبالعدل عند المنع فلايوصف بالبخل على كل حال تنزه الله عنه لأن البخل هو منع المستحق من حقه وتعالى الله عن أن يكون لأحد حق عليه (قوله وثنى اليد الخ)

بتكذيبهم النبى صلى الله عليه وسلم بعد أن كانوا أكثر الناس مالاً (يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ) مقبوضة عن إدرار الرزق علينا ، كنّوا به عن البخل . تعالى الله عن ذلك . قال تعالى (غُلَّتْ) أمسكت (أَيْدِيهِمْ) عن فعل الخيرات دعاء عليهم (وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ) مبالغة فى الوصف بالجود وثنى اليد لإفادة الكثرة إذ غاية ما يبذله السخى من ماله أن يعطى بيديه (يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ) من توسيع وتضييق لا اعتراض عليه (وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ) من القرآن (طُغْيَاناً وَكُفْراً) لكفرهم به (وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) فكل فرقة منهم تخالف الأخرى (كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِلْحَرْبِ) أى لحرب النبى صلى الله عليه وسلم (أَطْفَأَهَا اللهُ) أى كلما أرادوه ردهم (وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا) أى مفسدين بالمعاصى (وَاللهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ) بمعنى أنه يعاقبهم ،

أى فذكر اليدين : مشاكلة والتثنية كناية عن كثرة العطاء لكن على مراده هو لا على مراد عبيده لأنه ليس لأحد حق عليه يطلبه منه ثم فى إطلاق اليد على الله طريقتان : طريقة السلف أن اليد صفة من صفاته أزلية كالسمع والبصر ينشأ عنها الخير لا الشرّ وهى أخصّ من القدرة لأن القدرة ينشأ عنها جميع الممكنات إيجادا وإعداما خيرا أوشرا ولايعلمها إلا هو ، ويشهد لما قلنا قوله تعالى - قال مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدىّ - أى اصطفيته ولم يقل بقدرتى ، وطريقة الخلف أن اليد تطلق بمعنى الجارحة وهى مستحيلة على الله وتطلق على القدرة والنعمة والملك ويصح إرادة كل منها فى حق الله . إن قلت على تفسيرها بالقدرة أو النعمة فلم ثنيت ثانيا بعد إفرادها أولا ؟ . أجيب بأن التثنية لإفادة كثرة الكرم والعطاء كما قال المفسر . إن قلت على تفسيرها بالنعمة فمقتضاه جمعها لأن النعم كثيرة قال تعالى - وإن تعدّوا نعمة الله لاتحصوها - . أجيب بأن التثنية بحسب الجنس لأن النعم جنسان مثل نعمة الدنيا ونعمة الدين ونعمة الظاهر ونعمة الباطن ونعمة الاعطاء ونعمة المنع وتحت كل واحد من الجنسين أنواع كثيرة وماقلناه عقائد المؤمنين وعقيدة اليهود أنها الجارحة لأنهم مجسمة (قوله من توسيع وتضييق) أى على مقتضى المصلحة والحكمة الالهية (ولو) فى الحديث « إنّ من عبادى من لايصلح له إلا الفقر فلو أغنيته لفسد حاله وإنّ من عبادى من لايصلح له إلا الغنى فلو أفقرته لفسد حاله » (قوله فكل فرقة منهم) أى اليهود كالجبرية والقدرية والمشبهة والمرجئة والنصارى كذلك فرق كالملكانية والنسطورية واليعقوبية والماردانية . إن قلت إن المسلمين فرق أيضا . أجيب بأن افتراق المسلمين فى الفروع لا الأصول وكلهم على خير مسلمين لبعضهم . وأما من خرج عن ذلك فهو ضال مضلّ (قوله كلما أوقدوا نارا للحرب) أى بتعاطى أسبابه ومباديه (قوله ردهم) أى قهرهم وجعلهم أذلة خاسئين (قوله أى مفسدين) أشار بذلك إلى أنه حال من فاعل يسعون ويصح أن يكون مصدرا مؤكدا ليسعون

من معناه (قوله ولو أن أهل الكتاب) بين الحلم في الآخرة فهو ترديد لهم لعلهم يهتدون ومن هنا لايجوز لعن كافر معين حي لأنه يحتمل أنه يهتدى (قوله من الكتب) أى ككتاب شعياء وكتاب دانيال وكتاب أرمياء ففي هذه الكتب أيضا ذكر محمد صلى الله عليه وسلم فالمراد بإقامة الكتب الايمان به صلى الله عليه وسلم وقيل المراد بما أنزل إليهم من ربهم القرآن لأنهم مأمورون بالايمان به لأنهم من جملة أمته صلى الله عليه وسلم ولعل هذا هو الأقرب (قوله بأن يوسع عليهم الرزق) أى بأن يفيض عليهم بركات السماء والأرض ، ويؤخذ من هذه الآية أن طاعة الله سبب في بسط الرزق ومعاصيه سبب في قبضه قال تعالى : ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب . وقال تعالى : من عمل صالحا من ذكر أوأنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة . وقال عليه الصلاة والسلام : « إذا رأيت قساوة في قلبك وحرمانا في رزقك ووهنا في بدنك فاعلم أنك تكلمت فيما لايعنيك » (قوله مقتصدة) أى معتدلة ليست مفرطة ولا مفرطة وقوله تعمل به أى بالقرآن أو بما ذكر من التوراة ومابعدها (قوله ومنهم من آمن) الأوضح أن يحذف قوله ومنهم من آمن ويقتصر على قوله كعبد الله الخ كما قال غيره من المفسرين وفي نسخة وهم من آمن وهي الصواب (قوله وكثير) مبتدأ وجملة ساء مايعملون خبره وساء كلمة ذم * ومامميز وقيل فاعل * وجملة يعملون إما صلة إن جعلت ماموصولة أو صفة إن جعلت نكرة والعائد محذوف قدره المفسر (قوله ياأيها الرسول بلغ) . سبب نزولها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث ضاق ذرعا لعلمه أن قوما يكذبونه ولابد فنزلت الآية تسلية له ، وفي ندائه بياأيها الرسول شهادة له بالرسالة وأل في الرسول للعهد الحضوري أى الرسول الحاضر وقت نزولها وهو محمد صلى الله عليه وسلم (قوله جميع) قدره إشارة إلى أن ما اسم موصول بمعنى الذى ولايصح تقديرها نكرة لأنه يصدق بتبليغ البعض مع أنه غير مكلف . واعلم أنما أوحى إلى رسول الله ينقسم إلى ثلاثة أقسام : ماأمر بتبليغه وهو القرآن والأحكام المتعلقة بالخلق عموما فقد بلغه ولم يزد عليه حرفا ولم يكتم منه حرفا ولوجاز عليه الكتم لكتم آيات العتاب الصادرة له من الله كآية : عبس وتولى ، وآية : ماكان لنبي أن يكون له أسرى ، وسورة تبت يدا أبي لهب ، ولفظ قل من قل ياأيها الكافرون وقل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس ، وقد شهد له بتمام التبليغ حيث أنزل قبيل وفاته : اليوم أكملت لكم دينكم ، وورد أنه قال لعزرائيل حين قبض روحه : اقبض فقد بلغت ، وما أمر بكتمه فقد كتمه ولم يبلغ منه حرفا وهو جميع الأسرار التي لاتليق بالأمة ، وماخير في تبليغه وكتمه فقد كتم البعض وبلغ البعض وهو الأسرار التي تليق بالأمة ولذا ورد عن أبي هريرة أنه قال « أعطاني حبيبي جرابين من العلم لوبثثت لكم أحدهما لقطع مني هذا الحلقوم » (قوله خوفا أن تنال بمكروه) أى يمنعك عن مطلوبك كالقتل والأسر ومنع الحق عنك فانك معصوم من ذلك ، وأما مثل السب فتحمله ولايكن مانعا لك من التبليغ وهذا إخبار من الله بأن رسوله لم يكتم شيئا فهو معصوم من الكتمان لاستحالته عليه (قوله بالافراد والجمع) أى فهما قراءتان سبعيتان ، وعلى كل فهو مفعول لبلغت فعلى الافراد منصوب بالفتحة الظاهرة وعلى الجمع منصوب بالكسرة لأنه جمع مؤنث سالم والمعنى واحد على كل لأن المفرد المضاف يفيد العموم (قوله لأن كتمان بعضها الخ) أشار بذلك إلى دفع سؤال ورد على الآية وحاصله أن ظاهر قوله وإن لم تفعل فما بلغت رسالته اتحاد الشرط والجواب لأنه ينحل المعنى إن لم تبلغ فما بلغت . وحاصل الجواب أن المعنى وإن تركت شيئا مما أمرت بتبليغه ولو حرفا فقد تركت الكل وصار مابلغته غير معتد به لأن كتمان بعضه ككتمانه كله (قوله والله يعصمك) أى يحفظك وهو من تمام الأمر بالتبليغ .

(وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم (وَاتَّقَوْا) الكفر (لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ . وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ) بالعمل بما فيهما ومنه الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم (وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ) من الكتب (مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ) بأن يوسع عليهم الرزق ويفيض من كل جهة (مِنْهُمْ أُمَّةٌ) جماعة (مُقْتَصِدَةٌ) تعمل به وهم من آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم كعبدالله بن سلام وأصحابه (وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ) بئس (مَا) شيئا (يَعْمَلُونَ) . (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ) جميع (مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ) ولا تكتم شيئا خوفا أن تنال بمكروه (وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ) أى لم تبلغ جميع ما أنزل إليك (فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ) بالإفراد والجمع لأن كتمان بعضها ككتمان كلها (وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ)

(قوله أن يقتلوك) دفع ماقيل إنه قد أوذي أشد الإيذاء قولا وفعلا فأجاب بأن المراد العصمة من القتل ومافي معناه من كل مايعطل عليه التبليغ وهكذا كل نبي أمر بالقتال وماورد من قتل بعض الأنبياء فلم يكونوا مأمورين بالقتال (قوله وكان صلى الله عليه وسلم يحرس الخ) عن عائشة رضي الله عنها قالت « سهر رسول الله صلى الله عليه وسلم في مقدمه المدينة ليلة فقال ليت رجلا صالحا من أصحابي يحرسني الليلة قال فبينما نحن كذلك سمعنا خشخشة سلاح قال من هذا ؟ قال سعد بن أبي وقاص فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ماجاء بك ؟ فقال وقع في نفسي خوف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت أحرسه فدعا له رسول الله ثم نام » وفي رواية : أنه لما جاء سعد وحذيفة بن اليمان قالا جئنا نحرسك فنام عليه الصلاة والسلام حتى سمعت غطيطه ونزلت هذه الآية فأخرج رأسه من قبة أدم وقال انصرفوا أيها الناس فقد عصمني الله ، ورد أنه كان يحفظه سبعون ألف ملك لايفارقونه في نوم ولايقظة (قوله إن الله لايهدي القوم الكافرين) أي لبلوغ مطلوبهم فيك لعصمتك منهم ، ولذلك في بعض الغزوات حين احتاطت به الأعداء صار يقول : أنا النبي لا كذب ، أنا ابن عبدالمطلب ، و يرميهم بالتراب في وجوههم وكان يمر بين صفي القتال على بغلة لاتصلح لكر ولافر (قوله قل ياأهل الكتاب) أي اليهود والنصارى (قوله معتد به) أي عند الله وهو الهدى والحق وهذا جواب عن سؤال كيف يقول لستم على شيء مع أنهم على شيء وهو الدين الباطل (قوله حتى تقيموا التوراة والانجيل) أي تأتمرون بأمرها وتنتهون بنهيها لأن فيهما بيان أن دينه هوالدين القيم وأن وجوده ناسخ لجميع

أن يقتلوك وكان صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت فقال انصرفوا فقد عصمني الله، رواه الحاكم (إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَافِرِينَ. قُلْ يَٰأَهْلَ ٱلْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ) من الدين معتد به (حَتَّىٰ تُقِيمُوا ٱلتَّوْرَاةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ) بأن تعملوا بما فيه ومنه الإيمان بي (وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ) من القرآن (طُغْيَانًا وَكُفْرًا) لكفرهم به (فَلَا تَأْسَ) تحزن (عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَافِرِينَ) إن لم يؤمنوا بك ، أي لاتهتم بهم (إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَٱلَّذِينَ هَادُوا) هم اليهود مبتدأ (وَٱلصَّابِئُونَ) فرقة منهم (وَٱلنَّصَارَىٰ) ويبدل من المبتدإ (مَنْ آمَنَ) منهم (بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) في الآخرة خبر مبتدإ ودال على خبر إن (لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ) على الإيمان بالله ورسله (وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ)

الشرائع (قوله كثيرا منهم) أي كعلمائهم ورؤسائهم . وأما القليل منهم كعبد الله بن سلام والنجاشي وأضرابهما فقد زادهم القرآن اهتداء ونورا (قوله ماأنزل إليك) نسب الانزال أولا إليهم لأنهم مأمورون باتباعه ونسب الانزال ثانيا إليه لأنه منزل إليه حقيقة فيصح نسبة الانزال إليهم باعتبار أنهم مأمورون بالعمل به ، و إليه باعتبار أنه يبلغه منهم

(قوله طغيانا وكفرا) قيل الطغيان والكفر مترادفان ، وقيل الطغيان أعم لأنه مجاوزة الحد (قوله إن الذين آمنوا) إن حرف توكيد ونصب والذين اسمها وآمنوا صلته وخبرها محذوف دل عليه قوله فلاخوف عليهم الخ وقوله والذين هادوا الواو للاستئناف أو عطف جمل والذين مبتدأ والصابئون والنصارى معطوفان عليه وقوله من آمن بدل من الذين هادوا وماعطف عليه بدل بعض من كل وقوله فلاخوف عليهم خبر المبتدأ وهذا أحد أوجه تسعة وهوأحسنها ولذا درج عليه المفسر (قوله آمنوا) أي حقيقة بقلوبهم وألسنتهم خرج المنافقون (قوله فرقة منهم) أي اليهود وقيل من النصارى وقيل طائفة يعبدون الكواكب السبعة وقيل يعبدون الملائكة (قوله وعمل صالحا) أي فان مات ولم يكن عمل صالحا غيرالايمان فهوتحت المشيئة (قوله منهم) قدره إشارة إلى أن العائد محذوف (قوله لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل) أي في التوراة ، والمقصود من ذلك إقامة الحجة على من كان في زمنه صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى وتقدم أن الميثاق هوالعهد المؤكد باليمين (قوله وأرسلنا) معطوف على أخذ (قوله رسلا) أي كشعياء وأرمياء و يوشع (قوله كلما جاءهم رسول) كلما شرطية وجاءهم فعل الشرط وقوله بما لاتهوى متعلق بجاء وما اسم موصول وقوله لاتهوى صلته والعائد محذوف تقديره لاتهواه وجواب الشرط محذوف قدره المفسر بقوله كذبوه والأوضح له أن يقول عادوه وعصوه وقوله فريقا كذبوا الخ كلام مستأنف بيان لوجه العصيان والمعاداة

منهم (بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ) من الحق كذبوه (فَرِيقًا) منهم (كَذَّبُوا وَفَرِيقًا) منهم (يَقْتُلُونَ) كزكريا ويحيي والتعبير به دون قتلوا حكاية للحال الماضية للفاصلة (وَحَسِبُوا) ظنوا (أَ) ن (لَا تَكُونُ) بالرفع فأن مخففة، والنصب فهى ناصبة أى تقع (فِتْنَةٌ) عذاب بهم على تكذيب الرسل وقتلهم (فَعَمُوا) عن الحق فلم يبصروه (وَصَمُّوا) عن استماعه (ثُمَّ تَابَ اللّهُ عَلَيْهِمْ) لما تابوا (ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا) ثانياً (كَثِيرٌ مِنْهُمْ) بدل من الضمير (وَاللّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ) فيجازيهم به (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ) سبق مثله (وَقَالَ) لهم (الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ) فإنى عبد ولست بإله (إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللّهِ) فى العبادة غيره (فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ) منعه أن يدخلها (وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ) زائدة (أَنْصَارٍ) يمنعونهم من عذاب الله (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللّهَ ثَالِثُ) آلهة (ثَلَاثَةٍ) أى أحدها، والآخران: عيسى وأمه.

(قوله منهم) قدره إشارة إلى أن الجملة الشرطية صفة لرسلا والعائد محذوف ولوجعلت استئنافية لما احتيج لتقديره (قوله من الحق) بيان لما (قوله كذبوا) أى من غير قتل كداود وسليمان و يوشع وعيسى ومحمد (قوله كزكريا و يحيي) أى وشعياء (قوله دون قتلوا) أى لمراعاة كذبوا (قوله حكاية للحال الماضية) أى كأنها حاصلة الآن (قوله للفاصلة) أى المحافظة على رءوس الآى وتناسبها مع بعضها ولعل فيه حذف الواو ويكون علة ثانية (قوله وحسبوا) سبب هذا الحسبان أنهم كانوا يعتقدون أنهم يقربون لكونهم من ذرّية الأنبياء فلا يضرهم تكذيب الأنبياء وقتلهم إياهم بل سلفهم يدفعون عنهم عذاب الآخرة (قوله بالرفع فأن مخففة) أى واسمها محذوف تقديره أنه وقوله لا تكون خبرها قال ابن مالك:

و إن تخفف أن فاسمها استكن والخبر اجعل جملة من بعد أن

وقوله والنصب أى فهما قراءتان سبعيتان. واعلم أنّ أن إن وقعت بعد مايفيد اليقين كانت مخففة من الثقيلة لا غير نحو علم أن سيكون، و إن وقعت بعد مايفيد الظنّ كانت ناصبة لاغير نحو وظنوا أن لاملجأ من الله إلا إليه، و إن وقعت بعد مايحتملهما كان فيها الأمران كهذه الآية فالرفع على تأو يل حسب بمعنى علم والنصب على تأو يلها بالظنّ. إن قلت مقتضى هذه القاعدة أن كل مايفيد الأمرين يجوز فيه الرفع والنصب مع أنه لم يسمع فى: أحسب الناس أن يتركوا الرفع، ولا النصب فى: أفلا يرون أن لايرجع. أجيب بأن القراءة سنة متبعة لأنه ليس كل ماجاز نحوا جاز قراءة وجملة أن لاتكون فتنة فى محل نصب سدّت مسد مفعولى حسب على كلا القراءتين عند جمهور البصريين وقيل مسد مفعولها الأوّل ومفعولها الثانى محذوف تقديره حاصلة (قوله فتنة) بالرفع فاعل تكون لأنها بمعنى توجد فهى تامة (قوله فعموا وصموا) معطوف على حسبوا وهذا إشارة إلى ماوقع منهم فى المرّة الأولى من الفساد والقتل فى زمن شعياء وأرمياء حتى قتلوا شعياء وحبسوا أرمياء فسلط الله عليهم بختنصر ففرق جمعهم وأسرهم وخرب بيت المقدس وصاروا فى غاية الذل والهوان فلما تابوا توجه ملك من ملوك فارس فعمر بيت المقدس وقتل بختنصر وردهم إلى وطنهم فكثروا وكانوا أحسن ما كانوا عليه فمكثوا ثلاثين سنة ثم عموا وصموا ثانيا وقتلوا زكريا ويحيي وإلى هذه القصة الاشارة بقوله تعالى فى سورة الاسراء - لتفسدن فى الأرض مرّتين - الآيات وهذا هو الصحيح فالمراد ببنى إسرائيل من كان فى زمن شعياء وأرمياء لامن كان فى زمن موسى وهرون (قوله بدل من الضمير) أى فى قوله عموا وصموا والضمير هو الفاعل وهذا هروب من تخريج الآية على لغة أكلونى البراغيث فانها ضعيفة ودفع بقوله كثير منهم مايتوهم أنهم عموا وصموا جميعهم وعطف قوله ثم عموا وصموا بثم المفيدة للتراخى لأن بين التوبة والعمى ثلاثين سنة (قوله لقد كفر الذين قالوا) وهم اليعقوبية من النصارى وهو شروع فى ذكر قبائح النصارى بعد ذكر قبائح اليهود (قوله إن الله هو المسيح) معنى ذلك عندهم أن الله حلّ فى ذات عيسى واتحد بها (قوله وقال المسيح) الجملة حالية من الواو فى قالوا وهو رد لما ادعوه من ألوهيته أى فلاعذر لهم فى تلك الدعوى فان عيسى تبرأ منها و بين لهم طريق الهدى (قوله إنه من يشرك بالله) كالعلة لقوله اعبدوا الله (قوله منعه أن يدخلها) أى فالمراد بالتحريم مطلق المنع (قوله وما للظالمين) أى المشركين (قوله أنصار) أى أعوان يحفظونهم من غضب الله (قوله والآخران عيسى الخ) هذا وجه فى التثليث عندهم وهناك وجه آخر عندهم وهو أن الاله مركب من ثلاثة الأب والابن وروح القدس

فرادهم بالأب ذات الله وبالابن صفة الكلام وبروح القدس الحياة فاختلطت صفة الكلام بجسد عيسى كاختلاط الماء باللبن وزعموا أن الأب إله والابن إله والروح إله والكل إله واحد . واعلم أن النصارى فى اعتقاد التثليث على أربع فرق : واحدة تقول كل من ذات الله تعالى وذات عيسى وذات مريم إله ، وأخرى تقول الإله مجموع صفات ثلاث الوجود والعلم والحياة وعيسى ابنه ، وأخرى تقول الإله مجموع ذات وصفتين ذات الله ويسمونها الأب وصفة كلامه ويسمونها الابن وصفة الحياة ويسمونها روح القدس والكل إله واحد ، وأخرى تقول الإله مجموع ذاتين وصفة الله وذات عيسى والحياة الحالة فى جسد عيسى (قوله وهم فرقة من النصارى) أى وهم النسطورية والمرقوسية (قوله ومامن إله إلا إله واحد) الواو إما حالية أواستئنافية وما نافية ومن زائدة لاستغراق النفى وإله مبتدأ والخبر محذوف تقديره كائن فى الوجود وإلا ملغاة وإله بدل من الضمير فى الخبر نظير لا إله إلا الله والمقصود من ذلك التشنيع والرد عليهم فى دعواهم التثليث لأن حقيقة الإله هو المستغنى عما سواه المفتقر إليه كل ماعداه وليس شىء من ذلك وصفا لعيسى ولا لأمه ولا لأحد أبدا سواه سبحانه وتعالى (قوله ليمسن الذين كفروا) جواب لقسم محذوف وجواب الشرط محذوف لدلالة هذا عليه والتقدير والله إن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا الخ نظير قوله تعالى ـ وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ـ (قوله أى ثبتوا على الكفر) أشار بذلك إلى أن من فى منهم للتبعيض لأن كثيرا منهم تابوا (قوله توبيخ) أى وإنكار وهذا استدعاء لهم الى التوبة (قوله والله غفور رحيم) الجملة حالية كالتعليل لما قبلها (قوله ما المسيح ابن مريم الخ) هذا استئناف مسوق لبيان إقامة الحجة عليهم وبطلان دعاويهم الباطلة وما نافية والمسيح مبتدأ وإلا أداة حصر ورسول خبره وهو من حصر المبتدأ فى الخبر أى ان عيسى محصور فى وصف الرسالة وليس بإله فالمقصود من ذلك نفى الألوهية عنه (قوله قد خلت) أى ذهبت وفنيت (قوله صديقة) أى ملازمة للصدق وهذان الوصفان لعيسى وأمه مختصان بهما شرفهما الله بهما ثم وصفهما بعد ذلك بوصف البشرية الذى لايميزهم عن الحيوانات غير العاقلة فضلا عن العاقلة (قوله كيف نبين) كيف معمول لنبين لا لانظر لأن اسم الاستفهام لايعمل فيه ماقبله لأن له الصدارة (قوله ثم انظر) هذا ترق فى التعجب ولذا أتى بثم المفيدة للتراخى (قوله مع قيام البرهان) أى الدليل الواضح على باهر قدرتنا وكمال صفاتنا (قوله قل أتعبدون) هذا تبكيت لهم وإلزامهم الحجة (قوله مالايملك لكم ضرا ولا نفعا) أى وهو عيسى والمعنى لايملك بذاته شيئا أصلا لاضرا ولا نفعا ، وأما اجراء النفع أوالضر على يديه فبخلق الله لذلك ولوشاء لم يخلقه (قوله والله هو السميع العليم) أى فهو أحق بالعبادة (قوله للانكار) أى مع التوبيخ (قوله قل ياأهل الكتاب) شروع فى ذكر قبائحهم جميعا بعد أن ذكر كل فريق منهم على حدة (قوله غلوا) قدره المفسر اشارة الى أن غير الحق صفة لمصدر محذوف مفعول مطلق لقوله تغلوا ويصح أن يكون غير الحق حالا من فاعل تغلوا (قوله غير الحق) أى وأما الغلو فى الحق كالتشديد على النفس بأن يصوم النهار ويقوم الليل مثلا فليس بحرام ولا ضلال (قوله بأن تضعوا عيسى) أى تنقصوه عن مرتبته كقول اليهود انه ابن زنا ، وقوله أو ترفعوه فوق حقه كقول النصارى : انه ابن الله أوهو الله فكل من الفريقين قد غلا فى دينه غير الحق .

وهم فرقة من النصارى (وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ) من التثليث ويوحدوا (لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا) أى ثبتوا على الكفر (مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم هو النار (أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ) مما قالوه ، استفهام توبيخ (وَاللهُ غَفُورٌ) لمن تاب (رَحِيمٌ) به (مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ) مضت (مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ) فهو يمضى مثلهم وليس بإله كما زعموا وإلا لما مضى (وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ) مبالغة فى الصدق (كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ) كغيرهما من الحيوانات ومن كان كذلك لا يكون إلها لتركيبه وضعفه وما ينشأ منه من البول والغائط (انْظُرْ) متعجبا (كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ) على وحدانيتنا (ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى) كيف (يُؤْفَكُونَ) يصرفون عن الحق مع قيام البرهان (قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ) أى غيره (مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللهُ هُوَ السَّمِيعُ) لأقوالكم (الْعَلِيمُ) بأحوالكم والاستفهام للانكار (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ) اليهود والنصارى (لَا تَغْلُوا) تجاوزوا الحد (فِي دِينِكُمْ) غلوا (غَيْرَ الْحَقِّ) بأن تضعوا عيسى أو ترفعوه فوق حقه (وَلَا تَتَّبِعُوا) أهواء

أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ) بغلوهم وهم أسلافهم (وَأَضَلُّوا كَثِيراً) من الناس (وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ) عن طريق الحق والسواء في الأصل الوسط (لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ) بأن دعا عليهم فمسخوا قردة وهم أصحاب أيلة (وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ) بأن دعا عليهم فمسخوا خنازير وهم أصحاب المائدة (ذَٰلِكَ) اللعن (بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ) أى لا ينهى بعضهم بعضا (عَنْ) معاودة (مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) ه فعلهم هذا (تَرَى) يا محمد (كَثِيراً مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا) من أهل مكة بغضًا لك (لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ) من العمل لمعادهم الموجب لهم (أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ . وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ) محمد (وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ) أى الكفار (أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ فَاسِقُونَ) خارجون عن الإيمان (لَتَجِدَنَّ) يا محمد (أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا) من أهل مكة لتضاعف كفرهم وجهلهم ،

(قوله أهواء قوم) الأهواء جمع هوى وهو ما تدعو شهوة النفس إليه وما ذكر فى القرآن إلا على وجه الذم لأنه لا يقال فلان يهوى الخير وإنما يقال يحبه ويريده (قوله من قبل) أى من قبل بعثة النبى صلى الله عليه وسلم فالخطاب لمن كان فى زمنه (قوله بغلوهم) الباء سببية : أى بسبب غلوهم فى عيسى حيث رفعوه جدا ووضعوه جدا (قوله وهم أسلافهم) جمع سلف وهو المتقدم عليهم فى الزمن وهم اليهود والنصارى (قوله وأضلوا كثيرا) أى بهذا الاعتقاد الفاسد (قوله عن سواء السبيل) السواء فى الأصل الوسط والسبيل الطريق ، والمراد الدين الحق فشبه التمسك بالدين الحق بالمشى فى وسط الطريق بجامع أن كلا سالم من العطب (قوله عن طريق الحق) أى وهو دين الاسلام . إن قلت إنه قد تقدم ضلالهم فى قوله قد ضلوا من قبل . أجيب بأنه يحمل الضلال الأول على الكفر بموسى وعيسى ، والضلال الثانى على الكفر بمحمد (قوله لعن الذين كفروا) أى اليهود والنصارى فلعن اليهود على لسان داود ولعن النصارى على لسان عيسى (قوله على لسان داود) اختلف فى المراد باللسان فقيل هو الجارحة فداود وعيسى صرحا بلعنهم وقيل هو الكتاب ، والمعنى أنزل الله لعنتهم فى كتاب داود وعيسى وهو الأقرب ، وكلام المفسر يفيد الأول (قوله فمسخوا قردة) أى وخنازير وقوله وهم أصحاب أيلة أى الذين اعتدوا فى السبت واصطادوا السمك فيه وستأتى قصتهم فى سورة الأعراف (قوله فمسخوا خنازير) أى وقردة فقد حذف من كل نظير ما أثبته فى الآخر وهذا على المشهور من أن كلا مسخوا قردة وخنازير وقيل إن أصحاب السبت مسخوا قردة وأصحاب المائدة مسخوا خنازير وهو ظاهر المفسر (قوله وهم أصحاب المائدة) أى وسيأتى أنهم ثلثمائة وثلاثون رجلا (قوله بما عصوا) الباء سببية وما مصدرية وقوله وكانوا يعتدون معطوف على عصوا والمعطوف على الصلة صلة ، والمعنى ذلك بسبب عصيانهم وكونهم معتدين (قوله عن معاودة منكر) إنما قدر المفسر هذا المضاف لدفع ما أورد بأن المنكر الذى فعل لا معنى للنهى عنه لأن رفع الواقع محال فأجاب بأن المعنى النهى عن المعاودة (قوله فعلهم) هذا هو المخصوص بالذم (قوله ترى) أى تبصر وقوله كثيرا منهم أى أهل الكتاب (قوله يتولون الذين كفروا) أى يوالونهم ويصادقونهم (قوله بغضا لك) مفعول لأجله أى من أجل بغضك (قوله لبئس ما قدمت) اللام موطئة للقسم وبئس كلمة ذم وما فاعل وقدمت صلته والعائد محذوف أى قدمته وأنفسهم فاعل قدمت وقوله أن سخط الله عليهم هو المخصوص بالذم لكن على حذف مضاف تقديره موجب أن سخط الله والمعنى أن ما قدمت لهم أنفسهم من الضلال تسبب عن سخط الله وتسبب عن سخط الله الخلود فى النار (قوله من العمل) بيان لما (قوله وفى العذاب هم خالدون) هذه الجملة معطوفة على جملة أن سخط الله عليهم فهى من جملة المخصوص بالذم فالمعنى موجب سخط الله والخلود فى النار (قوله وما أنزل إليه) أى وهو القرآن (قوله ما اتخذوهم أولياء) أى أنصارا يوالونهم وقد فعلوا ذلك فكانوا يأخذون الهدايا لكفار مكة ويصادقونهم ويتوددون إليهم خوفا من زوال عزهم ورياستهم (قوله لتجدن أشد الناس عداوة) كلام مستأنف سيق للتقبيح على اليهود والتشنيع عليهم واللام موطئة لقسم محذوف وأشد مفعول أول لتجدن وعداوة منصوب على التمييز وللذين آمنوا متعلق بعداوة أو بمحذوف صفة لعداوة واليهود مفعول ثان هكذا أعربوا والأقرب أن أشد مفعول ثان مقدم واليهود مفعول أول مؤخر (قوله والذين أشركوا) معطوف على اليهود وقوله لتضاعف كفرهم علة

اتوله أشد وقوله وجهلهم أى وتضاعف جهلهم (قوله وانهما كهم فى اتباع الهوى) عطف على تضاعف عطف علة على معلول والهوى بالقصر ما تهواه النفس وتميل إليه (قوله ولتجدنّ أقربهم) يقال فى إعرابه ماقيل فى الذى قبله من أن أقرب مفعول ثان والذين قالوا مفعول أول ومودّة تمييز وللذين صفة للمودة أومتعلق به (قوله الذين قالوا إنا نصارى) أى أنصاردين الله . إن قلت مقتضى الآية مدح النصارى وذم اليهود مع أن كفر النصارى أشد لأنهم ينازعون فى الربوبية واليهود أخف منهم لأنهم ينازعون فى النبوّة . أجيب بأن مدح النصارى من جهة قرب مودتهم للمسلمين وذم اليهود من حيث إنهم أشد عداوة للمسلمين وذلك لايقتضى شدة الكفر ولا عدمها وأيضا الحرص فى اليهود دون النصارى وأيضا مذهب اليهود أن إيصال الشر والأذى إلى من خالفهم فى الدين قربة ومذهب النصارى أنه حرام (قوله ذلك) اسم الاشارة مبتدأ و بأن منهم خبر وقسيسين اسم أن ومنهم متعلق بمحذوف خبر أن ورهبانا معطوف على قسيسين وقوله وأنهم لايستكبرون معطوف على قسيسين (قوله أى قرب مودتهم) أشار بذلك إلى مرجع اسم الاشارة (قوله بسبب) أشار بذلك إلى أن الباء سببية (قوله قسيسين) جمع قسيس من تقسس الشئ إذا تتبعه يقال قس الأثر تبعه فهو أعجمى معرب و يقال قس وقس بفتح القاف وكسرها وهو عالم النصارى (قوله ورهبانا) جمع راهب وهو الزاهد التارك للدنيا وشهواتها (قوله نزلت فى وفد النجاشى) أى واسمه أصحمة وقيل أصمحة وقيل صحمة . وحاصل ذلك أنه سنة خمس من البعثة اشتدّ أذى الكفار لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن أسلم ولم يكن أمر بجهاد فأمر الصحابة الذين لاعزوة لهم بالخروج إلى أرض الحبشة وهى الهجرة الأولى وقال إن بها ملكا صالحا لايظلم ولايظلم عنده أحد فاخرجوا إليه حتى يجعل الله للمسلمين فرجا فخرج إليها أحد عشر رجلا وأربع نسوة سرا منهم عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجوا إلى البحر وأخذوا سفينة بنصف دينار إلى أرض الحبشة وذلك فى رجب ثم تتابع المسلمون فكانوا اثنين وثمانين رجلا سوى النساء والصبيان فلما كانت وقعة بدر وقتل فيها صناديد الكفار قال كفار قريش إن ثأركم بأرض الحبشة فأهدوا إلى النجاشى وابعثوا إليه رجلين من ذوى رأيكم لعله يعطيكم من عنده لتقتلوهم بمن قتل منكم ببدر فبعث كفار قريش عمرو بن العاصى وعبد الله بن ربيعة فقالا له أيها الملك إنه قد خرج فينا رجل سفه عقول قريش وأحلامها وزعم أنه نبى و إنه قد بعث إليك برهط من أصحابه ليفسدوا عليك قومك فأحببنا أن نأتيك ونخبرك خبرهم وإن قومنا يسألونك أن تردهم إليهم فقال حتى نسألهم فأمر بهم فأحضروا فلما أتوا باب النجاشى قالوا يستأذن أولياء الله فقال ائذنوا لهم فمرحبا بأولياء الله فلما دخلوا عليه سلموا فقال الرهط من المشركين أيها الملك ألاترى أنا صدقناك إنهم لم يحيوك بتحيتك التى تحيا بها فقال لهم الملك مامنعكم أن تحيونى قالوا إنا حييناك بتحية أهل الجنة وتحية الملائكة فقال لهم النجاشى مايقول صاحبكم فى عيسى وأمه فقال جعفر بن أبى طالب يقول هو عبد الله ورسوله وكلمة الله وروح منه ألقاها إلى مريم العذراء و يقول فى مريم إنها العذراء البتول قال فأخذ النجاشى عودا من الأرض وقال والله مازاد صاحبكم على ماقال عيسى قدر هذا العود فكره المشركون قوله وتغيرت وجوههم فقال هل تعرفون شيئا مما أنزل على صاحبكم قالوا نعم قال اقرءوا فقرأ جعفر سورة مريم وهناك قسيسون ورهبانيون وسائر النصارى فعرفوا ماقرأ فانحدرت دموعهم مما عرفوا من الحق فأنزل الله تعالى فيهم ذلك بأن منهم قسيسين الخ الآيتين فقال النجاشى لجعفر وأصحابه اذهبوا فأنتم بأرضى آمنون ، وفى بعض الروايات أن عمرا أسلم على يد النجاشى ، و بذلك يلغز فيقال صحابى أسلم على يد تابعى لأن النجاشى لم يجتمع برسول الله صلى الله عليه وسلم وعمرو اجتمع به بعد مقدمه من الحبشة وأقام المسلمون عند النجاشى بخير دار وخير جوار إلى أن هاجر رسول الله إلى المدينة وعلا أمره وقهر أعداءه وذلك سنة ست من الهجرة وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشى على يد عمرو بن أمية الضمرى أن يزوجه أم حبيبة بنت أبى سفيان وكانت قد هاجرت مع زوجها ومات عنها فأرسل النجاشى جارية يقال لها أبرهة إلى أم حبيبة يخبرها أن رسول الله قد خطبها فسرت بذلك وأعطت الجارية أوضاحا كانت لها وأذنت

وانهما كهم فى اتباع الهوى (وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَٰلِكَ) أى قرب مودتهم للمؤمنين (بِأَنَّ) بسبب أن (مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ) علماء (وَرُهْبَانًا) عُبَّادا (وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ) عن اتباع الحق كما يستكبر اليهود وأهل مكة ، نزلت فى وفد النجاشى القادمين عليهم من الحبشة قرأ صلى الله عليه وسلم عليهم سورة يٰسٓ فبكوا وأسلموا وقالوا ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى ، قال تعالى : (وإذا

لخالد بن سعيد فى نكاحها فأنكحها لرسول الله على صداق مبلغه أربعمائة دينار وكان الخاطب لرسول الله النجاشى فأرسل إليها بجميع الصداق على يد جاريته أبرهة فلما جاءتها بالدنانير وهبتها منها خمسين دينارا فلم تأخذها وقالت إن الملك أمرنى أن لا آخذ منك شيئا وقالت أنا صاحبة ذهب الملك وثيابه وقد صدقت بمحمد وآمنت به وحاجتى إليك منى أن تقرئيه منى السلام قالت نعم وقد أمر الملك نساءه أن يبعثن إليك بما عندهن من دهن وعود وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحاصر خيبر قالت أم حبيبة فخرجنا إلى المدينة ورسول الله بخيبر فخرج من قدم منى وأقمت بالمدينة حتى قدم رسول الله فدخلت عليه فكان يسألنى عن النجاشى فقرأت عليه السلام من أبرهة جارية الملك فرد رسول الله عليها السلام وأنزل الله عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة يعنى أباسفيان وذلك بتزوج رسول الله أم حبيبة ولما بلغ أباسفيان تزوج رسول الله بأم حبيبة قال ذلك الفحل لا يجدع أنفه وبعث النجاشى بعد خروج جعفر وأصحابه إلى رسول الله ابنه أزهى فى ستين من أصحابه وكتب إليه يارسول الله إنى أشهد أنك رسول الله صادقا مصدقا وقد بايعتك وبايعت ابن عمك جعفرا وأسلمت لله رب العالمين وقد بعثت إليك ابنى أزهى وإن شئت أن آتيك بنفسى فعلت والسلام عليك يارسول الله فركبوا فى سفينة فى أثر جعفر حتى إذا كانوا فى وسط البحر غرقوا ووافى جعفر وأصحابه رسول الله وهو بخيبر ووافى جعفر فى سبعين رجلا عليهم الثياب الصوف منهم اثنان وستون رجلا من الحبشة وثمانية من الشام فقرأ عليهم رسول الله سورة يس إلى آخرها فبكى القوم حين سمعوا القرآن وآمنوا وقالوا ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى عليه السلام فأنزل الله هذه الآية فيهم ولذلك قال

(٢٨٣)

(وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ) من القرآن (تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا) صدقنا بنبيك وكتابك (فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ) المقرين بتصديقهما (وَ) قالوا فى جواب من عيرهم بالاسلام من اليهود (مَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ) القرآن أى لا مانع لنا من الإيمان مع وجود مقتضيه (وَنَطْمَعُ) عطف على نؤمن (أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ) المؤمنين الجنة، قال تعالى (فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ) بالإيمان (وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ) . ونزل لما هم قوم من الصحابة أن يلازموا الصوم والقيام ولا يقربوا النساء والطيب ولا يأكلوا اللحم ولا يناموا على الفراش،

قتادة نزلت فى ناس من أهل الكتاب كانوا على شريعة من الحق مما جاء بها عيسى عليه السلام فلما بعث صلى الله عليه وسلم آمنوا به وصدقوه فأثنى الله عليهم (قوله وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول) صنيع المفسر يقتضى أنه مستأنف حيث قال قال تعالى ـ ولذلك جعله بعضهم أول الربع ويصح أن يكون عطفا على لا يستكبرون (قوله تفيض) أى تمتلىء بالدمع حتى يسيل (قوله من الدمع) من ابتدائية وقوله مما عرفوا من تعليلية ومن الحق بيانية (قوله يقولون) استئناف مبنى على سؤال كأنه قيل فماذا يقولون (قوله ومالنا لا نؤمن بالله) جملة مستأنفة جوابا للسؤال الوارد عليهم (قوله وما جاءنا من الحق) معطوف على لفظ الجلالة أى لا مانع لنا من الإيمان بالله وبما جاءنا من الحق ويراد بالحق القرآن (قوله عطف على نؤمن) أى مسلطة عليه لا على سبيل الاستفهام الانكارى والمعنى أى شىء ثبت لنا فى كوننا لا نؤمن بالله ولا بالقرآن ولا نطمع فى أن يدخلنا ربنا الخ مع وجود مقتضى ما ذكر (قوله بما قالوا) أى بسبب قولهم ورتب الثواب على القول لأنه قد سبق بما يدل على إخلاصهم فيه (قوله والذين كفروا) لما ذكر الله تعالى الوعد لمؤمنى النصارى ذكر الوعيد لمن بقى منهم على الكفر جمعا بين الترغيب والترهيب (قوله ونزل لما هم قوم) أى وهم عشرة اجتمعوا فى بيت عثمان بن مظعون الجمحى وسبب اجتماعهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعظ الناس يوما حتى أبكاهم فرقت أفئدتهم وعزموا على الترهب وهم أبو بكر وعلى بن أبى طالب وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر وأبو ذر الغفارى وسالم مولى أبى حذيفة والمقداد بن الأسود وسلمان الفارسى ومعقل بن مقرن وعثمان بن مظعون فتشاوروا واتفقوا على أنهم يلبسون المسوح ويجبون مذاكيرهم ويصومون الدهر ويقومون الليل ولا ينامون على الفراش ولا يأكلون اللحم والودك ولا يقربون النساء ولا الطيب وأن يسيحوا فى الأرض فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فأتى دار عثمان بن مظعون فلم يصادفه فقال لامرأته أحق ما بلغنى عن زوجك وأصحابك فكرهت أن تكذب وكرهت أن تفشى سر زوجها فقالت يارسول الله إن كان قد أخبرك عثمان فقد صدق فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم

فلما جاء عثمان أخبرته بذلك فأتى هو وأصحابه العشرة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم ألم أخبر أنكم اتفقتم على كذا . كذا فقالوا بلى يارسول الله وما أردنا إلا الخير فقال رسول الله إنى لم أومر بذلك ثم قال صلى الله عليه وسلم إن لأنفسكم عليكم حقا فصوموا وأفطروا وقوموا وناموا فانى أقوم وأنام وأصوم وأفطر وآكل اللحم والدسم وآتى النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى ثم جمع الناس وخطبهم فقال مابال أقوام حرموا النساء والطعام والطيب وشهوات الدنيا و إنى لست آمركم أن تكونوا قسيسين ورهبانا فانه ليس فى دينى ترك اللحم والنساء ولا اتخاذ الصوامع و إن سياحة أمتى ورهبانيتهم الجهاد اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وحجوا واعتمروا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وصوموا رمضان واستقيموا يستقم لكم فإنما هلك من كان قبلكم بالتشديد شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم فتلك بقاياهم فى الديارات والصوامع فنزلت تلك الآية (قوله يأيها الذين آمنوا) هذا هو فاعل نزل (قوله لاتحرموا طيبات ما أحل الله لكم) أى لاتجعلوها حراما على أنفسكم فمن حرم حلالا فلا يحرم عليه إلا الزوجة لأن الله جعل بيده تحريمها وتحليلها دون ماسواها واعتقاد التحريم من غير إنشاء منه كفر (قوله تتجاوزوا أمر الله) أى ونهيه فلا تفعلوا مانهى الله عنه ولا تفرطوا فيما أمر به (قوله إن الله لايحب المعتدين) أى المتجاوزين الحد ومن جملة ذلك قطع المذاكير والشهوة والاسراف فى المطاعم والمشارب قال تعالى : كلوا واشربوا ولا تسرفوا (قوله حال) أى من حلالا لأنه فى الأصل نعت نكرة قدم عليها وطيبا صفته (قوله واتقوا الله) أى امتثلوا أوامره واجتنبوا نواهيه فتقوى الله لاتتوقف على الرهبانية كما كان فى الأمم السابقة (قوله لايؤاخذكم الله باللغو) هذا مرتب على قوله لاتحرموا طيبات ما أحل الله لكم لأن بعض الصحابة حلف على الترهب لظن أنه قربة فلما نزلت الآية شكوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم من اليمين فنزلت هذه الآية (قوله هو مايسبق إليه اللسان لابقصد الحلف) أى بل بقصد التبرر أولاقصد له وهذا مذهب الشافعى وأما عند مالك وأبى حنيفة بما

(يٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا) تتجاوزوا أمر الله (إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ . وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ حَلاَلاً طَيِّباً) مفعول والجار والمجرور قبله حال متعلق به (وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِى أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ . لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ) الكائن (فِي أَيْمَانِكُمْ) هو ما يسبق إليه اللسان من غير قصد الحلف كقول الإنسان لا والله و بلى والله (وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ) بالتخفيف والتشديد وفى قراءة عاقدتم (الْأَيْمَانَ) عليه بأن حلفتم عن قصد (فَكَفَّارَتُهُ) أى اليمين إذا حنثتم فيه (إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ) لكل مسكين مدٌّ (مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ) منه (أَهْلِيكُمْ) أى أقصده وأغلبه لا أعلاه ولا أدناه (أَوْ كِسْوَتُهُمْ)

فاللغو أن يحلف على ظنه فيتبين خلافه وهذا فى غير الطلاق وأما هو فلا ينفع فيه اللغو ، واللغو عند مالك وأبى حنيفة تكفر إن تعلقت بمستقبل فقط لا إن تعلقت بحال أو ماض . والحاصل أنه إن قصد باليمين التبرر فهو لغو عند الشافعى لا عند مالك وأبى حنيفة وأما إن سبق لسانه باليمين من غير قصد أصلا فهو لغو اتفاقا والحلف على ظن شىء فتبين خلافه لغو اتفاقا أيضا (قوله وفى قراءة عاقدتم) والثلاث سبعيات فالتخفيف ظاهر والتشديد للمبالغة وما مصدرية أى بتعقيدكم الايمان (قوله فكفارته) مبتدأ و إطعام خبره وهو مضاف لمفعوله الأول والمفعول الثانى قوله من أوسط والفاعل محذوف قياسا يعود على الحالف تقديره إطعامه عشرة مساكين (قوله أى اليمين) إن قلت إن اليمين مؤنثة فلم عاد الضمير عليها مذكرا . أجيب بأنها تذكر بمعنى الحلف (قوله إذا حنثتم فيه) أى وهو الحلف بالله أو بصفة من صفاته القديمة ، وأما الحلف بغير ذلك فلا حنث فيه ثم هو إن كان مما يعظم شرعا كالكعبة والنبى فقيل مكروه وقيل حرام و إلا فهو ممنوع لما فى الحديث «من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت» (قوله عشرة مساكين) المراد ما يشمل الفقراء والفقير هو من لايملك قوت عامه ، والمسكين من التصقت يده بالتراب عند مالك (قوله لكل مسكين مد) أى وهو رطل وثلث بالبغدادى و بالمصرى رطل وأوقيتان وربع أوقية (قوله ماتطعمون أهليكم) قدر المفسر المفعول الثانى بقوله منه والأوضح أن يقدره متصلا به وأهليكم مفعوله الأول (قوله أغلبه) هذا تفسير لأوسط فان كان القمح غالب اقتياتهم مثلا أخرج منه ولو كان هو يقتات ذرة مثلا وهل المراد بالغالب وقت الاخراج وهو مذهب مالك أو فى السنة وهو مذهب الشافعى وقوله لا أعلاه ولا أدناه أى لاتفهم أن المراد بالأوسط ما قابل الأعلى كالقمح والأدنى كالدخن بل المراد به

الغالب فى الاقتيات كان هو فى نفسه أعلى أو أدنى أو أوسط ويكفى بدل الأمداد عند مالك لكل واحد رطلان من خبز أو إطعام العشرة غداء وعشاء أو غداءين أو عشاءين (قوله بما يسمى كسوة) أى وإن لم يكن من غالب كسوة الناس لأن قيد الأوسطية مخصوص بالاطعام واشترط مالك كون الكسوة تستر البدن للرجل ثوب وللمرأة درع وخمار (قوله وعمامة وإزار) الواو بمعنى أو ويكفى المنديل عند الشافعى (قوله وعليه الشافعى) أى ومالك (قوله كما فى كفارة القتل والظهار) أى كما ثبت عند الفقهاء فى كفارة القتل بالتصريح بمؤمنة والظهار بحمل المطلق على المقيد وهذا مذهب مالك والشافعى وعند أبى حنيفة لا يحمل المطلق على المقيد إلا إذا اتحد السبب وأما هنا فقد اختلف السبب فلا حمل فيكفى فى اليمين والظهار عنده عتق الكافرة (قوله فمن لم يجد) أى بأن لم يكن عنده ما يباع على المفلس بأن لم يكن عنده أزيد من قوت يومه وهو مذهب مالك والشافعى فى القديم وقال فى الجديد ينتقل للصيام إن لم يكن عنده ما يكفيه العمر الغالب (قوله فصيام ثلاثة أيام) أى فالكفارة مخير فيها ابتداء فى الثلاثة مرتب انتهاء فى الصيام وأفضلها فى التخيير عند مالك الاطعام ثم الكسوة ثم العتق وعند الشافعى العتق ثم الكسوة ثم الاطعام (قوله كفارته) أشار بذلك إلى أن صيام مبتدأ خبره محذوف والأوضح أن يقدر المحذوف هو المبتدأ (قوله وعليه الشافعى) أى ومالك خلافا لأبى حنيفة فى اشتراطه التتابع (قوله ما لم يكن على فعل بر) أى فالحنث أفضل (قوله كما فى

سورة البقرة) أى فى قوله تعالى ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس فمن حلف على شئ وكان فعله خيرا من تركه فالأفضل حنثه كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك (قوله ما ذكر) أى وهو حكم اليمين (قوله على ذلك) أى البيان فانه من أعظم النعم (قوله يا أيها الذين آمنوا) سبب نزولها دعاء عمر رضى الله عنه بقوله اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا وذلك أنه لما نزل قوله تعالى: يسئلونك عن الخمر والميسر الآية أحضر رسول الله عمر وقرأها عليه فقال اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا ثم نزلت يأيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى فأحضره رسول الله وقرأها عليه فقال اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا فنزلت هذه الآية فأحضره وقرأها عليه فقال انتهينا يارب وذكرت عقب ما قبلها لأنه لما نهى فيما قبلها عن تحريم الطيبات مما أحل الله وكانت الخمر والميسر مما يستطاب عندهم ربما يتوهم أنهما داخلان فى جملة الطيبات فأفاد أنهما ليسا كذلك (قوله الذى يخامر العقل) أى يستره ويغطيه ولو كان متخذا من غير العنب (قوله القمار) من المقامرة وهى المغالبة لأن كلا يريد المغالبة لصاحبه والمراد بالقمار اللعب بالملاهى كالطاب والطولة والمنقلة فيحرم اللعب بذلك إذا كان بمال إجماعا وبغيره ففيها الخلاف بين العلماء بالكراهة والحرمة ما لم يضيع بسببها الفرائض وإلا فالحرام إجماعا وسمى ميسرا لأن فيه أخذ المال بيسر (قوله والأنصاب) جمع نصب سميت بذلك لأنها تنصب وترفع للعبادة (قوله قداح الاستقسام) تقدم أنها سبعة (قوله رجس) خبر عن كل واحد مما تقدم من الخمر وما بعده وحيث قرن الخمر والميسر بالأنصاب والأزلام فهو دليل على أنهما من الكبائر وقوله خبيث مستقذر تفسير للرجس وأما الرجز فهو العذاب وأما الركس فهو العذرة والشئ النتن (قوله الذى يزينه) أى يأمر به ويحسنه وليس المراد من عمل يده (قوله لعلكم تفلحون) الترجى فى كلام الله تعالى للتحقيق (قوله فى الخمر والميسر) إنما أعادهما ثانيا لأنهما اللذان كانا فى المسلمين بخلاف الأنصاب والأزلام

بما يسمى كسوة كقميص وعمامة وإزار ولا يكفى دفع ما ذكر إلى مسكين واحد وعليه الشافعى (أَوْ تَحْرِيرُ) عتق (رَقَبَةٍ) أى مؤمنة كما فى كفارة القتل والظهار حملا للمطلق على المقيد (فَمَنْ لَمْ يَجِدْ) واحداً مما ذكر (فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ) كفارته وظاهره أنه لا يشترط التتابع وعليه الشافعى (ذَٰلِكَ) المذكور (كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ) وحنثتم (وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ) أن تنكثوها ما لم تكن على فعل برّ أو إصلاح بين الناس كما فى سورة البقرة (كَذَٰلِكَ) أى مثل ما بين لكم ما ذكر (يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) ۝ على ذلك (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ) المسكر الذى يخامر العقل (وَالْمَيْسِرُ) القمار (وَالْأَنْصَابُ) الأصنام (وَالْأَزْلَامُ) قداح الاستقسام (رِجْسٌ) خبيث مستقذر (مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ) الذى يزينه (فَاجْتَنِبُوهُ) أى الرجس المعبر به عن هذه الأشياء أن تفعلوه (لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ) إذا أتيتموهما لما يحصل فيهما من الشر والفتن (وَيَصُدَّكُمْ) بالاشتغال بهما (عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ)

خصها بالذكر تعظيما لها (فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ) عن إتيانهما ، أى انتهوا (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا) المعاصى (فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ) عن الطاعة (فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ) الإبلاغ البين وجزاؤكم علينا (لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا) أكلوا من الخمر والميسر قبل التحريم (إِذَا مَا اتَّقَوْا) المحرمات (وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا) ثبتوا على التقوى والإيمان (ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا) العمل (وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) بمعنى أنه يثيبهم (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ) ليختبرنكم (اللَّهُ بِشَيْءٍ) يرسله لكم (مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ) أى الصغار منه (أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ) الكبار منه ، وكان ذلك بالحديبية وهم محرمون فكانت الوحوش والطير تغشاهم فى رحالهم (لِيَعْلَمَ اللَّهُ) علم ظهور (مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ) حال أى غائبا لم يره فيجتنب الصيد (فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ) النهى عنه فاصطاده (فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ) .

وذكرها أوّلا لمزيد التنفير عنهما وأكد التحريم بأمور إنما وجمعهما مع الأنصاب والأزلام وكونهما رجسا من عمل الشيطان وكون اجتنابهما موجبا للفلاح وكونهما يصدان عن ذكر الله وعن الصلاة ويوقعان فى العداوة والبغضاء والاستفهام التهديدى (قوله خصها بالذكر) أى الصلاة مع دخولها فى الذكر (قوله أى انتهوا) أشار بذلك إلى أن الاستفهام بمعنى الأمر وهو استفهام تهديدى وهو أبلغ من الأمر صريحا كأنه قيل قد بينت لكم مافى هذه الأمور من القبائح فهل أنتم منتهون عنها أم أنتم مقيمون عليها فلكم الوعيد (قوله وأطيعوا الله) معطوف على معنى الاستفهام أى انتهوا وأطيعوا (قوله واحذروا المعاصى) أى فإنها تجر إلى الكفر (قوله أنما على رسولنا البلاغ المبين) أى وقد فعله فلم ينتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم للرفيق الأعلى حتى بلغ ماأمر بتبليغه ففى الحديث «تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها ونهارها كليلها لايضل عنها إلا هالك» (قوله وجزاؤكم علينا) أشار بذلك إلى أن جواب الشرط محذوف (قوله ليس على الذين آمنوا) سبب نزولها أنه لما نزل تحريم الخمر والميسر قال أبو بكر وبعض الصحابة يارسول الله كيف باخواننا الذين ماتوا وقد شربوا الخمر وفعلوا القمار فنزلت (قوله أكلوا من الخمر والميسر) أى تناولوا ذلك شربا للخمر وانتفاعا بمال القمار عاشوا أو ماتوا (قوله إذا مااتقوا) ظرف لقوله ـ ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح ـ . والحاصل أنه كرر سبحانه وتعالى قوله اتقوا ثلاثا فقيل الأول محمول على مبدإ العمر والثانى على وسطه والثالث على آخره ، وقيل الأول اتقوا المحرمات خوف الوقوع فى الكفر والثانى الشبهات خوف الوقوع فى المحرمات والثالث بعض المباحات خوف الوقوع فى الشبهات وقيل الأول تقوى العبد بينه وبين ربه والثانى تقوى العبد بينه وبين نفسه والثالث تقوى العبد بينه وبين الناس لأن العبد لايكمل إلا إذا كان طائعا فيما بينه وبين ربه مجاهدا فيما بينه وبين نفسه محافظا على حقوق العباد (قوله ثبتوا على التقوى) هذا إشارة للمعنى الأول وهو أن المراد بالأول التقوى فى أول العمر الخ (قوله يأيها الذين آمنوا) نزلت عام الحديبية حين أحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وكانوا ألفا وأربعمائة بالعمرة من ذى الحليفة وأرسل عثمان لأهل مكة يخبرهم بأن رسول الله قاصد زيارة بيت الله فجلسوا ينتظرون عثمان فكانت وحوش البر والطيور تأتى إليهم من كل فج فنزلت الآية (قوله ليختبرنكم) أى يعاملكم معاملة المختبر (قوله من الصيد) أى المصيد وهو وحوش البر والطيور وهذا الابتلاء نظير ابتلاء قوم موسى بتحريم صيد السمك يوم السبت ولكن الله حفظ الأمة المحمدية من الوقوع فيما يخالف أمر ربهم فتم لهم السعد والعز فى الدنيا والآخرة ، وأما أمة موسى فتعدوا واصطادوا فمسخوا قردة وخنازير (قوله أيديكم ورماحكم) هو على التوزيع فالأيدى راجع للصغار والرماح راجع للكبار (قوله بالحديبية) أى سنة ست وقوله وهم محرمون : أى بالعمرة وأشيع قتل عثمان فبايع النبى أصحابه تحت الشجرة على أنهم يدخلون مكة حربا ثم حصل صلح بين الكفار وبين رسول الله فأمرهم رسول الله بالتحلل من العمرة بالحلاق وذبح الهدايا (قوله علم ظهور) أى للخلق أى ليظهرلهم المطيع من العاصى (قوله حال) أى من فاعل يخاف أى حال كون العبد غائبا عن الله أى محجوبا عنه لم يره (قوله بعد ذلك النهى) أى المستفاد من قوله ليبلونكم مع علته التى هى قوله ليعلم الله .

(يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ) محرمون بحج أو عمرة (وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ) بالتنوين ورفع مابعده أى فعليه جزاء هو (مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ) أى شبهه فى الخلقة ، وفى قراءة بإضافة جزاء (يَحْكُمُ بِهِ) أى بالمثل رجلان (ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ) لهما فطنة يميزان بها أشبه الأشياء به ، وقد حكم ابن عباس وعمر وعلىّ رضى الله عنهم فى النعامة ببدنة، وابن عباس وأبو عبيدة فى بقر الوحش وحماره ببقرة ، وابن عمر وابن عوف فى الظبى بشاة وحكم بها ابن عباس وعمر وغيرهما فى الحمام لأنه يشبهها فى العبّ (هَدْيًا) حال من جزاء (بَالِغَ الْكَعْبَةِ) أى يبلغ به الحرم فيذبح فيه ويتصدق به على مساكينه ولا يجوز أن يذبح حيث كان ونصبه نعتاً لما قبله و إن أضيف لأن إضافته لفظية لاتفيد تعريفاً فإن لم يكن للصيد مثل من النعم كالعصفور والجراد فعليه قيمته (أَوْ) عليه (كَفَّارَةٌ) غير الجزاء و إن وجده هى (طَعَامُ مَسَاكِينَ) من غالب قوت البلد ما يساوى قيمة الجزاء لكل مسكين مد وفى قراءة بإضافة كفارة لما بعده وهى للبيان (أَوْ) عليه (عَدْلُ) مثل (ذَٰلِكَ) الطعام (صِيَامًا) يصومه عن كل مد يوما و إن وجده وجب ذلك عليه (لِيَذُوقَ وَبَالَ):

(قوله يأيها الذين آمنوا لاتقتلوا الصيد وأنتم حرم) لما كان قتل الصيد فى حال الاحرام مشددا فى النهى عنه كرر فى هذه السورة أربع مرات : أولها فى قوله غير محلى الصيد وأنتم حرم ، ثانيها ليبلونكم الله بشىء من الصيد الآية ثالثها لاتقتلوا الصيد وأنتم حرم ، رابعها وحرم عليكم صيد البر الآية (قوله لاتقتلوا الصيد) أتى به و إن علم من قوله فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم ليرتب عليه قوله ومن قتله منكم متعمدا الآية (قوله وأنتم حرم) الجملة حالية من فاعل تقتلوا وحرم جمع حرام يقع على المحرم و إن كان فى الحل وعلى من فى الحرم و إن كان حلالا فهما سيان فى النهى عن قتل الصيد (قوله ومن قتله) من اسم شرط جازم وقتل فعل الشرط وقوله فجزاء مبتدأ خبره محذوف قدره المفسر بقوله فعليه وقوله مثل خبر لمحذوف تقديره هو مثل والجملة جواب الشرط ، والمعنى أن ماقتله المحرم أو من فى الحرم أوله مدخل فى قتله فعليه جزاؤه وهو ميتة لايجوز أكله ويقدم المضطر ميتة غيره عليه (قوله متعمدا) سيأتى للمفسر أنه لامفهوم له بل الخطأ والنسيان كذلك إلا أن الحرمة مختصة بالمتعمد (قوله من النعم) أى الإنسية وهى الابل والبقر والغنم والجار والمجرور حال من مثل أوصفة له (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله بإضافة جزاء) إن قلت على هذه القراءة يقتضى أن الجزاء لمثل المقتول لاللمقتول نفسه مع أنه ليس كذلك . أجيب بأجوبة منها أن الاضافة بيانية ومنها أن مثل زائدة ومنها أن جزاء مصدر مضاف لمفعوله أى أن يجازى القاتل مثل المقتول حال كون المثل من النعم (قوله رجلان) قدره اشارة إلى أن ذوا صفة لموصوف محذوف (قوله ذوا عدل) أى عدل شهادة (قوله يميزان بها) أى بتلك الفطنة أى العقل الذكى (قوله وقد حكم ابن عباس) أى وحكم الصحابة المذكور بين أصول المماثلة وأما جزئيات الوقائع فلا بد لكل واحدة من حكم إلى يوم القيامة لاختلاف الصيد بالكبر والصغر ولا بد من كون الجزاء المحكوم به يجزىء ضحية عند مالك (قوله فى النعامة) أى ومثلها الزرافة والفيل وقوله فى الظبى أى ومثله الضبّ (قوله لأنه يشبهها فى العب) أى شرب الماء بلا مص وهذا التعليل للامام الشافعى ، وقال مالك بوجوب الشاة فى خصوص حمام مكة و يمامه تعبدا فان لم يكن شاة فصيام عشرة أيام من غير تقويم ولا حكم وحمام غيرها وسائر الطيور ليس فيه إلا قيمته طعاما أو عدله صياما (قوله حال من جزاء) و يصح أن يكون تمييزا وأن يكون مفعولا مطلقا والتقدير يهديه هديا (قوله فعليه قيمته) أى طعاما لكل مسكين مد أو يصوم عن كل مد يوما فهو مخير بين أمرين فيما لامثل له و بين ثلاثة فيما له مثل (قوله و إن وجده) أى الجزاء وهو مبالغة فى الكفارة أى الكفارة عليه هذا إذا لم يجد الجزاء بل و إن وجده (قوله لكل مسكين) أى من مساكين المحل الذى هو به وأما الصيام فلا يختص بزمان ولامكان (قوله وجب ذلك) أى الجزاء بأقسامه الثلاثة وقوله ليذوق متعلق بقوله وجب وكان المناسب أن يأتى بالواو ليفيد أنه كلام مستأنف وليس جوابا لقوله فان وجده لفساد ذلك (قوله و بال أمره) أى جزاء ذنبه الصادر منه و يؤخذ من ذلك أن قتل الصيد متعمدا للمحرم أومن فى الحرم كبيرة ولو أخرج الجزاء فيحتاج لتوبة .

(قوله ثقل جزاء أمره) أى لأن إخراج المال ثقيل على النفس والصوم فيه إنهاك للبدن فهو ثقيل أيضا (قوله عفا الله عما سلف) أى لا يؤاخذ به فلا يرد أن ما قبل التحريم لا ذنب فى قتله (قوله فينتقم الله منه) أى يعاقبه (قوله فيما ذكر) أى فى لزوم الجزاء وإن كان لا إثم فيه (قوله الخطأ) أى والغلط والنسيان (قوله كالسمك) أى وغيره من دواب البحر وإن كان على صورة آدمى أو خنزير (قوله كالسرطان) أى والضفدع والتمساح (قوله وهو ما يعيش فيه) الأولى ما لا يعيش إلا فيه (قوله من الوحش) استثنى الشارع الفأرة والحية والعقرب والكلب العقور والحدأة والعادى من السباع (قوله فلو صاده حلال) أى لنفسه أو لحلال وأما ذبحه لمحرم من غير دلالة من المحرم عليه فميتة عند مالك وعند الشافعى ليس بميتة (قوله كما بينته السنة) أى كما روى عن أبى قتادة الأنصارى قال كنت جالسا مع رجال من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فى منزل فى طريق مكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم أمامنا والقوم محرمون وأنا غير محرم وذلك عام الحديبية فأبصروا حمارا وحشيا وأنا مشغول أخصف النعل فلم يؤذنونى وأحبوا لو أبصرته فالتفت فأبصرته فقمت إلى الفرس فأسرجته ثم ركبت ونسيت السوط والرمح فقلت لهم ناولوهما لى فقالوا والله لا نعينك عليه فغضبت ونزلت فأخذتهما ثم ركبت فشددت على الحمار فعقرته ثم جئت به وقد مات فوقعوا فيه يأكلون ثم إنهم شكوا فى أكلهم إياه وهم حرم فرحنا وخبأت العضد فأدركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته عن ذلك فقال هل منكم شىء منه؟ فقلت نعم فناولته العضد فأكل منها وهو محرم زاد فى رواية

ثقل جزاء (أَمْرِهِ) الذى فعله (عَفَا اللهُ عَمَّا سَلَفَ) من قتل الصيد قبل تحريمه (وَمَنْ عَادَ) إليه (فَيَنْتَقِمُ اللهُ مِنْهُ وَاللهُ عَزِيزٌ) غالب على أمره (ذُو انْتِقَامٍ) ممن عصاه وألحق بقتله متعمداً فيما ذكر الخطأ (أُحِلَّ لَكُمْ) أيها الناس حلالا كنتم أو محرمين (صَيْدُ الْبَحْرِ) أن تأكلوه وهو ما لا يعيش إلا فيه كالسمك بخلاف ما يعيش فيه وفى البر كالسرطان (وَطَعَامُهُ) ما يقذفه ميتاً (مَتَاعاً) تمتيعاً (لَكُمْ) تأكلونه (وَلِلسَّيَّارَةِ) المسافرين منكم يتزودونه (وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ) وهو ما يعيش فيه من الوحش المأكول أن تصيدوه (مَا دُمْتُمْ حُرُماً) فلو صاده حلال فللمحرم أكله كما بينته السنة (وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِى إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ. جَعَلَ اللهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ) المحرم (قِيَاماً لِلنَّاسِ) يقوم به أمر دينهم بالحج إليه ودنياهم بأمن داخله وعدم التعرض له وجبى ثمرات كل شىء إليه وفى قراءة قِيَماً بلا ألف مصدر قام غير معل (وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ) بمعنى الأشهر الحرم: ذوالقعدة وذوالحجة والمحرم ورجب.

أن النبى قال لهم إنما هى طعمة أطعمكموها الله (قوله الذى إليه تحشرون) أى لا إلى غيره فلا أحد غير الله يلتجأ إليه حتى يتوهم الفرار من وعيد الله (قوله جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس) يحتمل أن جعل بمعنى صير فيكون قوله الكعبة مفعولا أول وقياما مفعول ثان، ويحتمل أنها بمعنى خلق فيكون قياما حالا والبيت الحرام عطف بيان على الكعبة. إن قلت إن عطف البيان إنما يكون مبينا أو موضحا وهنا ليس كذلك إذ من المعلوم أن الكعبة هى البيت الحرام. أجيب بأنه للاحتراز عن بيت خثعم الذى سموه الكعبة اليمانية فهو هنا للتوضيح لدفع الالتباس بغيره. وأجيب أيضا بأنه جىء به لمجرد المدح إذ الكعبة عند العرب لا تنصرف إلا للبيت الحرام على حد الحمد لله رب العالمين إذ من المعلوم أن الله هو رب العالمين. إن قلت إن البيت جامد والمدح لا يكون إلا بمشتق. أجيب بأنه وصف بمشتق وهو الحرام. والكعبة لغة بيت مربع فسميت الكعبة لذلك (قوله قياما) أصله قواما وقعت الواو بعد كسرة قلبت ياء (قوله بالحج إليه) أى فهو أحد أركان الدين فلا يكمل الا به لأن من أتى بأركان الدين ماعداه مع القدرة عليه فلم يكمل دينه وقد حرم نفسه من الرحمات المشار إليها بقوله صلى الله عليه وسلم «ينزل من السماء كل يوم وليلة مائة وعشرون رحمة ستون للطائفين وأربعون للمصلين وعشرون للناظرين» (قوله بأمن داخله) أى الحرم لا خصوص الكعبة (قوله وعدم التعرض له) أى للداخل عاقلا أو غيره (قوله وجبى ثمرات كل شىء إليه) أى نقلها له وذلك بدعوة إبراهيم عليه السلام حين قال وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون، وقال تعالى فى مقام الامتنان يجبى إليه ثمرات كل شىء (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله قيما) أى على وزن عنب (قوله مصدر قام) أى أيضا إذ قياما مصدر له أيضا (قوله غير معل) أى الآن بقلب واوه ياء فلا ينافى أن أصله معل وهو قياما فالياء الثابتة فى قياما هى الموجودة فى قيما غير أن ألفه حذفت فيلاحظ أن قيما فرع عن قياما فلم يحصل فيه تغير الا حذف الألف (قوله والشهر الحرام) معطوف

على الكعبة وأل فيه للجنس فيشمل الأشهر الأربعة ولهذا أشار المفسر بقوله يعني الأشهر الخ (قوله قياما) قدره إشارة إلى أنه محذوف من الثاني لدلالة الأول عليه (قوله بأمنهم القتال فيها) أى فكانت العرب يغير بعضهم على بعض و يقتل بعضهم بعضا إلا في الأشهر الحرم (قوله والهدى) أى فهو من مصالح الدين لجبره نقص الحج والدنيا لحصول البركة فيما بقي من ماله بسبب إنفاقه الهدى في سبيل الله وهكذا كل صدقة بها مصالح الدين بتكفير الذنوب ومصالح الدنيا بنمو المال ووقاية صاحبها مصارع السوء (قوله والقلائد) أى التي كانوا يقلدون بها أنفسهم إذا خرجوا من مكة لمصالحهم فكانوا يأخذون من شجر الحرم شيئا ويضعونه في عنقهم إذا خرجوا ليأمنوا على أنفسهم وأموالهم (قوله ذلك لتعلموا) اسم الاشارة مبتدأ ولتعلموا خبره وأن واسمها وخبرها في محل نصب سدت مسد مفعولي تعلموا ، وقوله وأن الله بكل شيء عليم معطوف على أن الأولى من عطف العام على الخاص (قوله فان جعله ذلك) أى المتقدم ذكره وهو الكعبة والشهر الحرام والهدى والقلائد (قوله لجلب المصالح) علة لما قبله وقوله دليل الخ خبر إن (قوله وماهو كائن) أى الآن أو في المستقبل (قوله شديد العقاب لأعدائه) أى الذين بطروا نعمته وسماهم أعداء لمخالفتهم أمره فكل من خالفه فهو كالعدو له والمعنى يعامله معاملة العدو (قوله لأوليائه) أى أحبابه الذين يشكرون نعمه و إنما قدم شديد العقاب لأنه تقدم ذكر النعم لحذر من الاغترار بها والطغيان فيها لأن الفقر مع

قياما لهم بأمنهم القتال فيها (وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ) قياما لهم بأمن صاحبهما من التعرض له (ذَٰلِكَ) الجعل المذكور (لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) فإن جعله ذلك لجلب المصالح لكم ودفع المضار عنكم قبل وقوعها دليل على علمه بما هو في الوجود وما هو كائن (اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) لأعدائه (وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ) لأوليائه (رَحِيمٌ) بهم (مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ) الابلاغ لكم (وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ) تظهرون من العمل (وَمَا تَكْتُمُونَ) تخفون منه فيجازيكم به (قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ) الحرام (وَالطَّيِّبُ) الحلال (وَلَوْ أَعْجَبَكَ) أى سرك (كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ) في تركه (يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) تفوزون . ونزل لما أكثروا سؤاله صلى الله عليه وسلم (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ) تظهر (لَكُمْ تَسُؤْكُمْ) لما فيها من المشقة ،

الشكر خير من الغنى مع البطر (قوله ما على الرسول إلا البلاغ) هو بالرفع فاعل لفعل محذوف أو مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله والمعنى ليس على الرسول إلا تبليغ أمر دينكم لاجزاؤكم (قوله الابلاغ) أشار بذلك الى أنه استعمل مصدر المجرد موضع المزيد في الآية لمزيد البلاغة لأن زيادة البنية تدل على زيادة المعنى ففيه الاشارة الى أنه بلغ البلاغ الكامل (قوله فيجازيكم به) أى ان خيرا فخير وان شرا فشر (قوله ولو أعجبك كثرة الخبيث) معطوف على محذوف تقديره هذا اذا لم يعجبك بل ولو أعجبك وجواب الشرط محذوف تقديره فلا يستويان لأن الله طيب لا يقبل الا طيبا والمقصود من ذلك أمره صلى الله عليه وسلم أن يخاطب بذلك أمته فليس الخطاب له لأنه قد زهد الحلال فضلا عن كونه يعجبه كثرة الحرام (قوله فاتقوا الله في تركه) أى ولا تتعرضوا لأخذ الحرام فانه يورث غضب الله ولا لأخذ الشبهات أيضا فانها تورث قسوة القلب (قوله تفوزون) أى تظفرون برضا الله فان العز كل العز للمتقي (قوله ونزل لما أكثروا سؤاله) أى عن أمور لو أجابهم عنها لشق عليهم وعن أمور لو أجابهم بها لساءتهم . فالأول كسؤالهم عن الحج هل هو واجب في العمرة مرة أو كل عام مرة . والثاني كسؤال رجل عن أبيه بعد موته أين هو فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه في النار (قوله عن أشياء) أصله شيئاء على وزن فعلاء كحمراء استثقلت العرب النطق في كلمة يكثر استعمالها بألف بين همزتين خصوصا قبل الهمزة الأولى ياء فقلبوها قلبا مكانيا فقدموا الهمزة الأولى التي هي لام الكلمة قبل الشين فصار وزنه لفعاء وهو ممنوع من الصرف لألف التأنيث الممدودة (قوله لما فيها من المشقة) علة لقوله تسؤكم والمشقة اما لحصول التكليف بها أو لحصول الاساءة والفضيحة بها ففي الحديث « ان الله أحل لكم أشياء وحرم أشياء وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تسألوا عنها » .

(قوله وإن تسألوا عنها) إن حرف شرط وتسألوا فعل الشرط وعنها متعلق بتسألوا والضمير عائد على الأشياء المتقدمة وقوله حين ينزل القرآن ظرف متعلق بتسألوا وقوله تبد لكم جواب الشرط (قوله المعنى إذا سألتم الخ) حاصل ما أفاده المفسر أن هنا جملتين شرطيتين ونهي فالأصل تأخير النهي عن الجملتين وتأخير الجملة الأولى عن الثانية وإنما قدم النهي ونتيجته وهي الاساءة اعتناء بزجر عباده وهذا التقديم والتأخير باعتبار المعنى وإلا فالواو لاتقتضي ترتيبا ولا تعقيبا (قوله إذا سألتم عن أشياء) هو معنى الجملة الثانية وقوله متى أبداها ساءتكم هو معنى الجملة الأولى وقوله فلاتسألوا عنها هو معنى النهي وماذكره المفسر أحد احتمالات في الآية وهو أحسنها (قوله عفا الله عنها) أي لم يؤاخذكم بذلك (قوله عن مسئلتكم) أي عن جوابها والمعنى لم يجبكم بالتشديد مع استحقاقكم إياه بالسؤال عما لايعنيكم فضلا منه ولطفا بكم (قوله فلا تعودوا) أي لمثل هذه الأسئلة (قوله والله غفور حليم) في معنى العلة لقوله عفا الله عنها أي عفا عنها لأنه غفور يستر الذنوب ويمحوها حليم لايعجل بالعقوبة على من عصاه (قوله قد سألها) هذا امتنان من الله تعالى على هذه الأمة حيث لم يشدد عليهم كما شدد على من قبلهم رحمة منه وزجرا لهم عن وقوع مثل ذلك منهم (قوله أي الأشياء) أي نوع الأشياء وهو مافيه الاساءة كسؤال قوم صالح أن يأتي لهم من الجبل بناقة وكسؤال قوم عيسى المائدة وكسؤال قوم موسى رؤية الله جهرة فأجاب سؤالهم بالتشديد عليهم في التكاليف فخالفوا فحل بهم ماحل من العذاب وإنما

قال هنا قد سألها ولم يقل عنها إشارة إلى أن السؤال كما يتعدى بالحرف يتعدى بنفسه (قوله ببيان أحكامها) أي أحكام الأشياء التي سألوها مع التشديد عليهم (قوله بتركهم العمل) أشار بذلك إلى أن الكفر إنما هو بترك العمل لابنفس تلك الأشياء فالكلام على حذف مضاف (قوله ماجعل الله) رد وإبطال لما كان عليه الجاهلية (قوله شرع) إن قلت إنه لم يرد في اللغة جعل بمعنى شرع فالمناسب أن يفسرها بصير ويكون المفعول الثاني محذوفا والتقدير مشروعة (قوله من بحيرة) من زائدة في المفعول ووجد شرطها وهو كون مدخولها نكرة في سياق نفي (قوله درها) أي لبنها وقوله للطواغيت أي خدمتها وهذا أحد أقوال في تفسير البحيرة ومابعدها وهو أصحها وقيل البحيرة هي الناقة التي تنتج خمسة أبطن في آخرها ذكر فتشق أذنها وتترك فلاتركب ولا تحلب ولا تطرد عن مرعى ولا ماء وإذا لقيها الضعيف لم يركبها وقيل هي الأنثى الخامسة في النتاج وقيل هي بنت السائبة ، وسبب هذا الاختلاف اختلاف العرب في البحيرة ، فبعضهم يطلقها على واحد من الأمور المتقدمة ، وبعضهم على واحد آخر منها وهكذا (قوله والسائبة كانوا الخ) وقيل هي الناقة تنتج عشر إناث فلاتركب ولايشرب لبنها إلاضعيف أو ولد ، وقيل هي الناقة تترك ليحج عليها حجة (قوله والوصيلة الناقة البكر الخ)وقيل هي الشاة التي تنتج سبعة أبطن عناقين عناقين ، فاذا ولدت في آخرها عناقا وجديا قيل وصلت أخاها فجرت مجرى السائبة ، وقيل هي الشاة تنتج سبعة أبطن فاذا كان السابع أنثى لم ينتفع النساء منها بشيء إلا أن تموت فيأكلها الرجال والنساء ، وإن كان ذكرا ذبحوه وأكلوه جميعا ، وإن كان ذكرا وأنثى قالوا وصلت أخاها فيتركونها معه فلا ينتفع بها إلاالرجال دون النساء وقالوا خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا ، وقيل هي الشاة تنتج عشر إناث متواليات في خمسة أبطن ثم ماولدت بعد ذلك فللذكور دون الاناث وقيل غير ذلك (قوله والحام فحل الابل) وقيل هو الفحل ينتج له سبع إناث متواليات فيحمي ظهره وقيل هو الفحل الذي ينتج من بين أولاده ذكورها وإناثها عشر إناث وقيل غير ذلك،

(وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ) أي في زمن النبي صلى الله عليه وسلم (تُبْدَ لَكُمْ) المعنى إذا سألتم عن أشياء في زمنه ينزل القرآن بابدائها ومتى أبداها ساءتكم فلا تسألوا عنها قد (عَفَا اللَّهُ عَنْهَا) عن مسئلتكم فلا تعودوا (وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ . قَدْ سَأَلَهَا) أي الأشياء (قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ) أنبياءهم فأجيبوا ببيان أحكامها (ثُمَّ أَصْبَحُوا) صاروا (بِهَا كَافِرِينَ) بتركهم العمل بها (مَا جَعَلَ) شرع (اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ) كما كان أهل الجاهلية يفعلونه . روى البخاري عن سعيد بن المسيب قال : البحيرة التي يمنح درها للطواغيت فلا يحلبها أحد من الناس . والسائبة كانوا يسيبونها لآلهتهم فلا يحمل عليها شيء . والوصيلة الناقة البكر تبكر في أول نتاج الإبل بأنثى ثم تثني بعد بأنثى وكانوا يسيبونها لطواغيتهم إن وصلت إحداهما بأخرى ليس بينهما ذكر . والحام فحل الإبل ،

يضرب

وقد علمت أن اختلاف تلك الأقوال لاختلاف اصطلاح الجاهلية فيها ولم يجعل الله سبحانه وتعالى شيئا منها فى دين الاسلام على جميع الأقوال (قوله الضراب المعدود) أى وهو عشر مرات ينشأ عن كل مرة حمل (قوله ولكن الذين كفروا) أى علماؤهم وقوله وأكثرهم لايعقلون أى عوامهم فهم كالأنعام بل هم أضل (قوله وإذا قيل لهم) الضمير عائد على قوله وأكثرهم الذين هم عوامهم ، والقائل يحتمل أنه النبى صلى الله عليه وسلم أو أصحابه (قوله تعالوا) فعل أمر بمعنى أقبلوا وأصله تعالوون تحركت الواو الأولى وانفتح ماقبلها قلبت ألفا فصار تعالاون التقى ساكنان حذفت الألف لالتقائهما وحذفت النون لأن فعل الأمر يبنى على مايجزم به مضارعه وهو يجزم بحذف النون وهو بفتح اللام لكل مخاطب ولوأنثى قال تعالى ـ فتعالين ـ (قوله إلى ما أنزل الله) أى إلى الذى أنزله الله وهو القرآن ، وقوله وإلى الرسول معطوف على ما أى وتعالوا إلى الرسول أى ليبين لكم أحكام الله (قوله أى إلى حكمه) أشار بذلك إلى أن قوله وإلى الرسول على حذف مضاف ، وقوله من تحليل ماحرمتم بيان لحكمه وهو البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ومثل ذلك فى الحرمة مايفعله بعض سفهاء العوام من كونهم يرسلون عجلا أو شاة على اسم ولىّ من الأولياء تأكل من أموال الناس ولايتعرض لها أحد فاذا نصحهم إنسان وقال لهم إن ذلك حرام أساءوا به الظنّ وقالوا إنه لايحب الأولياء فاذا اعتقدوا أن ذلك قربة وطاعة فقد كفروا وإلافهو من جملة المحرمات ويحسبون أنهم على شىء ألا إنهم هم الكاذبون (قوله قالوا حسبنا ماوجدنا) حسبنا مبتدأ وماوجدناه خبره (قوله أحسبهم ذلك ولو كان الخ) الواو فى أولو للحال وهمزة الانكار الواقعة قبلها داخلة على

محذوف قدره المفسر والمعنى أكافيهم دين آبائهم ولو كانوا الخ ويصح أن تكون للعطف على جملة شرطية مقدرة قبلها والتقدير أيقولون ذلك ولو كان آباؤهم يعلمون شيئا ويهتدون بل ولو كانوا لايعلمون الخ نظير أحسن إلى فلان وإن أساء إليك أى أحسن إليه فى حال عدم إساءته بل ولو فى حال إساءته (قوله لايعلمون شيئا) عبر هنا بيعلمون وفى البقرة بيعقلون وقال هنا ما وجدنا وهناك ما ألفينا تفننا (قوله للانكار) أى والتوبيخ (قوله ياأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم) قيل إنه مرتبط بما قبله فيكون قوله لايضركم من ضل يعنى من أهل الكتاب ، والمعنى أن الله كلفنا بقتال الكفار حتى يسلموا أو يؤدّوا الجزية فاذا أدّوها كففنا أنفسنا عنهم ولايضرنا كفرهم وقيل مستأنفة نزلت فى العصاة فالمعنى عليك بحفظ نفسك ولاتتعرض لغيرك فلايضرك ضلال من ضلّ . إن قلت إن هذا يوهم أن المدار على هدى الانسان فى نفسه ولا يلزمه الأمر بالمعروف ولا النهى عن المنكر ، وهو خلاف النصوص الشرعية من الآيات والأحاديث النبوية . أجيب بحمل ذلك على من عجز عن ذلك وإلى هذين القولين أشار المفسر فيما يأتى بقوله قيل المراد الخ وفى الحقيقة المراد ماهو أعم ، فاذا امتثل العبد ما أمره الله به وترك مانهاه عنه فلايضره مخالفة من خالف (قوله عليكم أنفسكم) بنصب أنفسكم على الاغراء لأن عليكم اسم فعل بمعنى الزموا والفاعل مستتر وجوبا تقديره أنتم ، والمعنى الزموا حفظ أنفسكم وهدايتها ووقايتها من النار والكاف فى عليكم ونظيره من أسماء الأفعال كإليك ولديك قيل فى محل جر بعلى بحسب الأصل وقيل فى محل نصب ولاوجه له وقيل فى محل رفع توكيد للضمير المستتر ، وذهب ابن بابشاذ إلى أنها حرف خطاب وقرئ شذوذا برفع أنفسكم وخرجت على أحد وجهين : الأوّل كونها مبتدأ وعليكم خبر مقدم والمعنى على الاغراء على كل حال فان الاغراء جاء بالجملة الابتدائية ، ومنه قراءة بعضهم ناقة الله وسقياها بالرفع . الثانى أنه توكيد للضمير المستتر فى عليكم وإن كان خلاف القياس لأن القياس لايؤكد بالنفس الضمير المتصل إلا بعد الضمير المنفصل لقول ابن مالك :

يضرب الضراب المعدود فإذا قضى ضرابه ودعوه للطواغيت وأعفوه من الحمل فلا يحمل عليه شىء وسموه الحامى (وَلَـٰكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ) فى ذلك ونسبته إليه (وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) أن ذلك افتراء لأنهم قلدوا فيه آباءهم (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ) أى إلى حكمه من تحليل ما حرمتم (قَالُوا حَسْبُنَا) كافينا (مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا) من الدين والشريعة ، قال تعالى (أ)حسبهم ذلك (وَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ) إلى الحق والاستفهام للإنكار (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ) أى احفظوها وقوموا بصلاحها (لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ) قيل المراد لا يضركم من ضل من أهل الكتاب ،

وإن تؤكد الضمير المتصل بالنفس والعين فبعد المنفصل (قوله وقيل المراد غيرهم) أى غير أهل الكتاب من العصاة وليس فيها دليل على ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر إذ قد ورد أن الصديق قال يوما على المنبر : يأيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية وتضعونها فى غير موضعها ولا تدرون ما هى و إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الناس إذا رأوا منكرا فلم يغيروه عمهم الله بعقاب فأمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ولا تغتروا بقول الله عزّ وجلّ ـ يأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم ـ فيقول أحدكم علىّ نفسى والله لتأمرنّ بالمعروف وتنهون عن المنكر أو ليستعملنّ الله عليكم شراركم فيسومونكم سوء العذاب ثم ليدعونّ خياركم فلا يستجاب لهم » وعنه صلى الله عليه وسلم قال « ما من قوم عمل فيهم منكر وسنّ فيهم قبيح فلم يغيروه ولم ينكروه إلا وحق الله أن يعمهم بالعقوبة جميعا ثم لا يستجاب لهم » وقال الصديق أيضا إن هذه الآية تعدّونها رخصة والله ما أنزل آية أشدّ منها (قوله سألت عنها) أى عن هذه الآية وقوله فقال أى فى بيان معناها (قوله شحا مطاعا) الشح نهاية البخل وقوله مطاعا أى يطيعه صاحبه (قوله وهوى) بالقصر ما تميل إليه النفس من القبائح (قوله متبعا) أى يتبعه صاحبه (قوله ودنيا مؤثرة) بهمزة ودونها أى يقدمها صاحبها على الآخرة (قوله وإعجاب كل ذى رأى برأيه) أى فلا يعجبه رأى غيره ولا يقبل نصيحته زاد الخازن فى تلك الرواية بعد قوله فعليك بنفسك « ودع العوام فان من ورائكم أيام الصبر فمن صبر فيهنّ قبض على الجمر للعامل فيهنّ مثل أجر خمسين رجلا يعملون مثل عملكم » اهـ (قوله إلى الله مرجعكم جميعا) فيه وعد لمن أطاع ووعيد لمن اغترّ وعصى (قوله يأيها الذين آمنوا) لما بين سبحانه ما يتعلق بمصالح الدين شرع يبين ما يتعلق بمصالح الدنيا إشارة إلى أن الانسان ينبغى له أن يضبط مصالح دينه ودنياه لأنه مكلف بحفظهما (قوله شهادة) مبتدأ وبينكم مضاف إليه و إذا ظرف

وقيل المراد غيرهم لحديث أبى ثعلبة الخشنى « سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحاً مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك نفسك » رواه الحاكم وغيره (إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) فيجازيكم به (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ) أى أسبابه (حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنكُمْ) خبر بمعنى الأمر أى ليشهد و إضافة شهادة لبين على الاتساع وحين بدل من إذا أو ظرف لحضر (أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ) أى غير ملتكم

لشهادة وحضر فعل ماض وأحدكم مفعول مقدم والموت فاعل مؤخر وحين بدل من الظرف قبله وقوله اثنان خبره . إن قلت إن الذات لا يخبر بها عن المعنى ولا عكسه . أجيب بأن الكلام على حذف مضاف إما فى الأول تقديره ذوا شهادة أحدكم اثنان أو فى الثانى تقديره شهادة اثنين وقوله ذوا عدل صفة لاثنان ، والعدل هو الذكر البالغ العاقل غير مرتكب كبيرة ولا صغيرة خسة وغير مصرّ على صغيرة غيرها (قوله خبر بمعنى الأمر) أى فهى جملة خبرية لفظا إنشائية معنى (قوله أى ليشهد) بضم الياء من أشهد الرباعى وتلك الشهادة يحتمل أن تكون حقيقية واشتراط العدالة ظاهر ويحتمل أن المراد بالشهادة الوصية والمعنى إذا حضر أحدكم الموت فليوص اثنين وعلى هذا فاشتراط العدالة من حيث الوصية أى كونه عدلا فى الوصية بأن يحسن التصرف فيما ولى عليه وأما كونهما اثنين فشرط كمال ولكون سبب النزول كذلك كما سيأتى (قوله على الاتساع) أى التسمح والتجوّز وكان حقها أن تضاف إلى الأموال و إنما أضيفت إلى البين لأن الشهادة على الأموال تمنع فساد البين (قوله بدل من إذا) أى فكل منهما ظرف لشهادة وقوله أو ظرف لحضر أى فقوله إذا ظرف لشهادة أى فعلى هذا تغاير متعلق الظرفين (قوله أو آخران) معطوف على اثنان أى فان لم يجد العدلين لكون رفقته فى السفر كفارا كما هو سبب النزول فليشهد أو يوص آخرين . وحاصله لأجل اتضاح المعنى أن بزيلا السهمى مولى عمرو بن العاص وقيل بديل بالدال وعدىّ بن بداء وتميما الدارى سافروا من المدينة إلى الشام بتجارة فحضرت بزيلا السهمى الوفاة وكان مسلما وعدىّ وتميم نصرانيان فكتب متاعه فى وثيقة ومن جملة ما كتب فى الوثيقة جام من الفضة قدره ثلثمائة مثقال مخوص بالذهب وأمرهما أن يسلما متاعه لورثته ثم قضى عليه ففتشا متاعه فوجدا ذلك الجام فأخذاه وباعاه بألف درهم فلما حضرا سلما متاعه لورثته فوجدوا فيه صحيفة مكتوبا فيها جميع المتاع ومن جملته جام من فضة ففتشوا عليه فلم يجدوه فجاءوهما فقالوا لهما صاحبنا قد تمرض وأنفق على نفسه قالا لا قالوا فهل باع من متاعه شيئا قالا لا قالوا فأين الجام قالا لا علم لنا به فلم ترفع أقارب بزيل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبروه بالواقعة فأحضرهما وتميما فسألهما عنه

فقالا لاعلم لنا به فنزلت الآية فأحضرهما بعد صلاة العصر عند المنبر وحلفهما ثم بعد ذلك ظهر الجام قيل بمكة مع رجل وقيل بيدهما فأخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فنزلت الآيتان الأخيرتان فأحضر رسول الله عمرو بن العاصي والمطلب بن أبي وداعة وحلفهما حلفا لشهادتنا أحق من شهادتهما وما اعتدينا فأعطى الجام لهما (قوله إن أنتم) شرط فى المعطوف وقوله أنتم فاعل بفعل محذوف يفسره قوله ضربتم فجملة ضربتم لامحل لها من الاعراب لأنها مفسرة للمحذوف وقوله فأصابتكم معطوف على ضربتم (قوله صفة آخران) أى وجملة الشرط وجوابه معترضة بين الصفة والموصوف (قوله أى صلاة العصر) أى فأل للعهد لأن وقت العصر معظم فى جميع الملل وإنما كان معظما لأنه وقت نزول ملائكة الليل وصعود ملائكة النهار (قوله إن ارتبتم) شرط فى تحليفهما (قوله ويقولان لانشترى الخ) بيان لكيفية يمينهما (قوله بأن نحلف به

(إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ) سافرتم (فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا) توقفونهما صفة آخران (مِن بَعْدِ الصَّلَاةِ) أى صلاة العصر (فَيُقْسِمَانِ) يحلفان (بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ) شككتم فيها ويقولان (لَا نَشْتَرِي بِهِ) بالله (ثَمَنًا) عوضا نأخذه بدله من الدنيا بأن نحلف به أو نشهد كاذبا لأجله (وَلَوْ كَانَ) المقسم له أو المشهود له (ذَا قُرْبَىٰ) قرابة منا (وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ) التى أمرنا بها (إِنَّا إِذًا) إن كتمناها (لَّمِنَ الْآثِمِينَ . فَإِنْ عُثِرَ) اطلع بعد حلفهما (عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا) أى فعلا مايوجبه من خيانة أو كذب فى الشهادة بأن وجد عندهما مثلا ما اتهما به وادعيا أنهما ابتاعاه من الميت أو وصى لهما به (فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا) فى توجه اليمين عليهما (مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ) الوصية وهم الورثة ويبدل من آخران (الْأَوْلَيَانِ) بالميت أى الأقربان إليه وفى قراءة الأولين جمع أول صفة أو بدل من الذين (فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ) على خيانة الشاهدين ويقولان (لَشَهَادَتُنَا) يميننا (أَحَقُّ) أصدق (مِن شَهَادَتِهِمَا) يمينهما (وَمَا اعْتَدَيْنَا) تجاوزنا الحق فى اليمين (إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ) المعنى ليشهد المحتضر على وصيته اثنين أو يوصى إليهما من أهل دينه أو غيرهم إن فقدهم لسفر ونحوه فإن ارتاب الورثة فيهما فادعوا أنهما خانا بأخذ شىء أو دفعه إلى شخص زعما أن الميت أوصى له به فليحلفا إلى آخره فإن اطلع على أمارة تكذيبهما فادعيا دافعا له حلف أقرب الورثة على كذبهما وصدق ماادعوه والحكم ثابت فى الوصيين منسوخ فى الشاهدين وكذا شهادة غير أهل الملة منسوخة واعتبار صلاة العصر للتغليظ وتخصيص الحلف فى الآية باثنين من أقرب الورثة لخصوص الواقعة التى نزلت لها وهى مارواه البخارى أن رجلا من بنى سهم خرج مع تميم الدارى

أو نشهد الخ) أشار بذلك إلى قولين قيل قالوا لاعلم لنا به وقيل قالوا أوصى به للغير وأعطيناه له وسياق الآية فى يمينهما يشهد للثانى (قوله كاذبا) المناسب كذبا (قوله ولانكتم) معطوف على لانشترى (قوله بأن وجد عندهما) أى وقيل عند رجل مكى باعاه له بألف درهم كما سيأتى (قوله وادّعيا أنهما ابتاعاه الخ) إشارة لوجهين فى دعواهما وسيأتى الثالث فى قوله ودفعه إلى شخص زعما أن الميت أوصى له به (قوله من الذين استحق عليهم) أى لهم ونائب الفاعل قدره المفسر بقوله الوصية أى الايصاء (قوله الأوليان) تثنية أولى بمعنى أقرب كما قال المفسر (قوله جمع أول) بمعنى أسبق وهى بمعنى القراءة الأولى من حيث إنهم أقارب الميت (قوله فيقسمان) عطف على يقومان (قوله يميننا) أى فالمراد بالشهادة اليمين (قوله وما اعتدينا) هذا من جملة اليمين (قوله المعنى) أى معنى الآيتين (قوله أو يوصى) إشارة إلى التفسير الثانى (قوله إن فقدهم) أى أهل دينه (قوله بأخذ شىء) أى وقد ادعيا أنهما اشترياه من الميت أو أنه أوصى لهما به (قوله دافعا له) أى لما ادّعى عليهما به من الخيانة (قوله منسوخ فى الشاهدين) أى عند من يشترط فى الشهود الاسلام ولو عند فقد المسلمين، وأما عند من لم يشترط ذلك عند الفقد فلا نسخ (قوله للتغليظ) أى لأن اليمين تغلظ بالزمان ككونها بعد العصر والمكان ككونها فى المسجد فى الحقوق المهمة من الأموال وغيرها (قوله وتخصيص الحلف فى الآية باثنين) أى مع أنه يصح من واحد أو أكثر ممن يظن به العلم من المستحقين (قوله أن رجلا) تقدم أن اسمه بزيل وقيل بديل بالزاى أو الدال (قوله مع تميم) أى وقد أسلم بعد ذلك وصار من مشاهير الصحابة وكان يحدث بالواقعة .

(قوله وعدى بن بداء) ولم يثبت إسلامه و بداء بفتح الموحدة والدال المشددة بعدها ألف ثم همزة (قوله جاما) الجام فى الأصل الكأس ولكن المراد به هنا إناء كبير من فضة وزنه ثلثمائة مثقال (قوله مخوصا بالذهب) أى منقوشا به (قوله فأحلفهما) أى بعد العصر عند المنبر (قوله فقال) أى الرجل وقوله ابتعناه أى بألف درهم (قوله فقام رجلان) سيأتى فى الرواية الأخرى اسم أحدهما وهو عمرو بن العاص والثانى هو المطلب بن أبى وداعة (قوله من رد اليمين على الورثة) أى توجهها عليهم بعد أن حلف تميم وعدى وظهر كذبهما (قوله أن يأتوا) المقام للتثنية وكذا قوله أو يخافوا أيضا وإنما جمع لأن المراد مايعم الشاهدين المذكورين وغيرهما وإنما ردّت اليمين على الوارث مع أن حقها أن تكون من الوصيين لاغير لأنه مدعى عليهما إما لظهور خيانتهما فبطل تصديقهما باليمين أولتغير الدعوى أى انقلابها لأنه صار المدعى عليه مدعيا حيث ادّعى الملك (قوله فلايكذبوا) أى فلايأتوا باليمين كاذبة ، والمعنى أنه إنما شرع الله ردّ اليمين على الورثة فى مثل هذه الواقعة ليتحفظ الشاهد أوالوصى من اليمين الكاذبة أو يبنى على حصول الفضيحة (قوله إلى سبيل الخير) متعلق بيهدى وفى بعض النسخ إلى سبيل الشرّ فيكون متعلقا بالخارجين .

[تنبيه] ما كتبناه فى تفسير تلك الآيات الثلاث هو جهد المقل وإلا فلم يزل العلماء يستشكلونها إعرابا وتفسيرا وأحكاما وقالوا إنها من أصعب آى القرآن وأشكله (قوله اذكر) قدّره المفسر إشارة إلى أن يوم ظرف متعلق بمحذوف (قوله يوم يجمع الله الرسل) أى الثلثمائة وثلاثة عشر أوأربعة عشر أوخمسة عشر ، والحق أنه لايعلم عدّتهم إلا الله تعالى (قوله فيقول) مقتضى الآية أنه يجمعهم فى سؤال واحد ولكن يرى كل واحد منهم أنه المسئول لاغيره اذكر وترى كل أمة أن رسولها هو المسئول ولامانع من ذلك فان الله يحول بين المرء وقلبه (قوله توبيخا لقومهم) دفع بذلك مايقال كيف يسأل الله الرسل مع أنه العالم بالحقيقة ؟ فأجاب بأن حكمة السؤال توبيخ الأمم على ماوقع منهم من الكفر والعصيان وليس المقصود أن الله يعلم شيئالم يكن عالما به من قبل ، تنزه الله عن ذلك ، يوضح هذا الجواب قوله تعالى : فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد ، إلى أن قال : يومئذ يودّ الذين كفروا وعصوا الرسول لوتسوّى بهم الأرض ولايكتمون الله حديثا (قوله أى الذى) أشار بذلك إلى أن ما اسم استفهام مبتدأ وذا اسم موصول خبر وأجبتم صلته والعائد محذوف قدّره المفسر بقوله به قال ابن مالك :

ومثل ماذا بعد ما استفهام ... أومن إذا لم تلغ فى الكلام

(قوله بذلك) أى بما أجبنا به (قوله إنك أنت علام الغيوب) علة لما قبله أى فعلمنا فى جانب علمك كلاشىء لأنك تعلم ماغاب عنا وماظهر ، وأما علمنا فهو قاصر على بعض ماظهر (قوله وذهب عنهم علمه الخ) جواب عما يقال كيف يقولون لاعلم لنا مع أنهم عالمون بذلك فيلزم عليه الاخبار بخلاف الواقع . فأجاب بأن فى ذلك الوقت يتجلى الله بالجلال على كل أحد حتى ينسى الرسل العصمة والمغفرة وتذهل كل مرضعة عما أرضعت . وأما قوله تعالى

وعدى بن بداء أى وهما نصرانيان فمات السهمى بأرض ليس فيها مسلم فلما قدما بتركته فقدوا جامًا من فضة مخوصا بالذهب فرفعا إلى النبى صلى الله عليه وسلم فنزلت فأحلفهما ثم وجد الجام بمكة فقال ابتعناه من تميم وعدى فنزلت الآية الثانية فقام رجلان من أولياء السهمى فحلفا وفى رواية الترمذى فقام عمرو بن العاصى ورجل آخر منهم فحلفا وكانا أقرب إليه وفى رواية فمرض فأوصى إليهما وأمرهما أن يبلغا ما ترك أهله فلما مات أخذا الجام ودفعا إلى أهله ما بقى (ذٰلِكَ) الحكم المذكور من رد اليمين على الورثة (أَدْنَى) أقرب إلى (أَنْ يَأْتُوا) أى الشهود أو الأوصياء (بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا) الذى تحملوها عليه من غير تحريف ولا خيانة (أَوْ) أقرب إلى أن (يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ) على الورثة المدعين فيحلفون على خيانتهم وكذبهم فيفتضحون ويغرمون فلا يكذبوا (وَاتَّقُوا اللّٰهَ) بترك الخيانة والكذب (وَاسْمَعُوا) ما تؤمرون به سماع قبول (وَاللّٰهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) الخارجين عن طاعته إلى سبيل الخير . اذكر (يَوْمَ يَجْمَعُ اللّٰهُ الرُّسُلَ) هو يوم القيامة (فَيَقُولُ) لهم توبيخا لقومهم (مَاذَا) أى الذى (أُجِبْتُمْ) به حين دعوتم إلى التوحيد (قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا) بذلك (إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ) ماغاب عن العباد وذهب عنهم علمه لشدة هول يوم القيامة وفزعهم ثم يشهدون على أممهم لما يسكنون ،

ـ لايحزنهم الفزع الأكبر ـ أى انتهاء وأما فى ابتداء الوقف فلشدّة الهول يكونون جثيا على الركب يقولون : ربّ سلم سلم ثم يحصل لهم ذهول ونسيان لما أجيبوا به فاذا أمنوا وسكن روعهم شهدوا على أممهم فلامنافاة . وأجيب أيضا بأن معنى قولهم لاعلم لنا تفويض الحكم والعلم لله تعالى كأنهم يقولون أنت الحكم العدل وهم عبيدك فلاعلاقة لنا بهم . وأجيب أيضا بأن المراد نفى العلم الحقيقى إذ هو لايكون إلا لله تعالى لأنه المطلع على السرائر والظواهر ، وأما نحن فانما نعلم منهم ماظهر وماذكره المفسر من أن الأنبياء يحصل لهم الفزع ابتداء حتى يذهلوا عن جواب أممهم لهم ثم يسكنون إحدى الطريقتين والطريقة الثانية وعليها المحققون أن الرسل ومن كان على قدمهم آمنون ابتداء وانتهاء وإنما الفزع والهول للكفار والفساق . وأما قول الرسل حينئذ : نفسى نفسى لا أملك غيرها فلايقتضى حصول الفزع وإنما معنى ذلك أنه يقول ليست الشفاعة العظمى لى وإنما هى لغيرى فلا أملك إلا نفسى ولم يجعل الله لى الشفاعة العامة وذهاب الأمم للرسل وردّهم إياهم إنما هو لإظهار لفضله صلى الله عليه وسلم وذلك هو المقام المحمود فالأحسن الجواب الثانى أوالثالث (قوله اذكر) قدّره إشارة إلى أن إذ ظرف متعلق بمحذوف وليس متعلقا بما قبله لأن هذه القصة مستقلة (قوله ياعيسى ابن مريم) ياحرف نداء وعيسى منادى مبنى على ضم مقدّر على الألف منع من ظهوره التعذر فى محل نصب وابن نعت له باعتبار المحل (قوله اذكر نعمتى) المقصود من ذلك توبيخ الكفرة حيث فرّطوا فى حقه وأفرطوا وليس المراد تكليفه بالشكر فى ذلك اليوم لانقطاع التكليف بالموت

اذكر (إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ) بشكرها (إِذْ أَيَّدْتُكَ) قوّيتك (بِرُوحِ الْقُدُسِ) جبريل (تُكَلِّمُ النَّاسَ) حال من الكاف فى أيدتك (فِي الْمَهْدِ) أى طفلا (وَكَهْلًا) يفيد نزوله قبل الساعة لأنه رفع قبل الكهولة كما سبق فى آل عمران (وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ) كصورة (الطَّيْرِ) والكاف اسم بمعنى مثل مفعول (بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي) بإرادتى (وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى) من قبورهم أحياء (بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ) حين هموا بقتلك (إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ) المعجزات (فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ) ما (هَذَا) الذى جئت به (إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ) وفى قراءة ساحر أى عيسى (وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ) أمرتهم على لسانه (أَنْ) أى بأن (آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي) عيسى (قَالُوا آمَنَّا) بهما (وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ) .

(قوله قوّيتك بروح القدس) أى فكان يسير معه حيث سار يعينه على الحوادث التى تقع ويلهمه العلوم والمعارف (قوله فى المهد) تقدم أن المهد فراش الصبى ولكن المراد منه الطفولية فتكلم بقوله إنى عبد الله إلى آخر مافى سورة مريم (قوله وكهلا) إنما ذكر ذلك إشارة إلى أن كلامه على نسق واحد فى ذكاء العقل وغزارة العلم (قوله كما سبق فى آل عمران) الذى سبق له فيها أنه رفع وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وهو سنّ الكهولة لأن من الثلاثين للأربعين هو سنّ الكهولة فقول الله تعالى وكهلا صادق بكلامه قبل الرفع وبعده فلايصح قوله هنا لأنه رفع قبل الكهولة ولكن الذى تقدم لنا أنه بعث على رأس الأربعين كغيره ومكث ثمانين بعد البعثة ورفع وهو ابن مائة وعشرين سنة فاذا نزل عاش أربعين فيكون مدة عمره مائة وستين سنة فيكون معنى قوله فى المهد وكهلا صغيرا وكبيرا فعلى هذا ليس فى الآية دليل على نزوله وإنما نزوله مأخوذ من غير هذا المحل (قوله الكتاب) أى الكتابة وقوله والحكمة أى العلم النافع وقوله والتوراة أى كتاب موسى والانجيل كتابه هو وهو ناسخ لبعض مافى التوراة وهو مكلف بالعمل بما فى التوراة ماعدا مانسخه الانجيل منها فيكون العمل بما فى الانجيل (قوله كهيئة الطير) تقدم أنه الخفاش (قوله الأكمه) هو من خلق من غير بصر (قوله وإذ تخرج الموتى) تقدم أنه أحيا سام بن نوح ورجلين وامرأة قيل وجارية فيكون جميع من أحياهم خمسة (قوله حين هموا) أى اليهود بقتلك فرفعتك إلى السماء وألقيت شبهك على صاحبهم فقتلوه (قوله الذى جئت به) أى ويحتمل أن اسم الاشارة عائد على عيسى مبالغة على حد زيد عدل (قوله أمرتهم على لسانه) دفع بذلك مايقال إن الايحاء لايكون إلا للرسل والحواريون ليسوا رسلا . فأجاب بأن المراد بالوحى الأمر على لسان عيسى . وأجاب غيره بأن المراد بالوحى الالهام على حد : وأوحينا إلى أمّ موسى (قوله أن آمنوا) أن تفسيرية بمعنى أى لأنه تقدمها جملة فيها معنى القول دون حروفه ؛

اذكر (إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ) أي يفعل (رَبُّكَ) وفي قراءة بالفوقانية ونصب مابعده أي تقدر أن تسأله (أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ) لهم عيسى (اتَّقُوا اللَّهَ) في اقتراح الآيات (إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ . قَالُوا نُرِيدُ) سؤالها من أجل (أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ) تسكن (قُلُوبُنَا) بزيادة اليقين (وَنَعْلَمَ) نزداد علماً (أَنْ) مخففة أي أنك (قَدْ صَدَقْتَنَا) في أدعاء النبوّة (وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ . قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا) أي يوم نزولها (عِيدًا) نعظمه ونشرفه (لِأَوَّلِنَا) بدل من لنا بإعادة الجار (وَآخِرِنَا) ممن يأتي بعدنا (وَآيَةً مِنْكَ) على قدرتك ونبوتي (وَارْزُقْنَا) إياها (وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ. قَالَ اللَّهُ)مستجيباً له (إِنِّي مُنَزِّلُهَا) بالتخفيف والتشديد (عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ)أي بعد نزولها (مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ) فنزلت

(قوله إذ قال) ظرف لمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر وهو كلام مستأنف لا ارتباط له بما قبله لأن المقصود مما تقدم تعداد النعم على عيسى ، والمقصود مما هنا إعلام هذه الأمة بما وقع لأمة عيسى من التعنت في السؤال وما ترتب عليه و إن كان فيها نعمة لعيسى أيضا لكنها غير مقصودة بالذكر (قوله الحواريون) هم أول من آمن بعيسى (قوله أي يفعل) أي فأطلق اللازم وهو الاستطاعة وأراد الملزوم وهو الفعل ودفع بذلك مايقال إن الحواريين مؤمنون فكيف يشكون في قدرة الله تعالى ، وشذ من قال بكفرهم كالزمخشري (قوله وفي قراءة) وهي سبعية أيضا (قوله ونصب مابعده) أي على التعظيم (قوله أي تقدر أن تسأله) أي فالكلام على حذف مضاف في هذه القراءة الثانية والتقدير هل تستطيع سؤال ربك و إنما قالوا ذلك خوفا من أن تكون هذه المسئلة كسؤال موسى الرؤية فلم تحصل وكسؤال قومه الرؤية أيضا فأخذتهم الصاعقة وهذه القراءة للكسائي وكانت عائشة رضي الله عنها تقرأ بها وتقول جل الحواريون عن كونهم يشكون في قدرة الله تعالى (قوله مائدة) هي مايبسط على الأرض من المناديل ونحوها وأما الخوان فهي مايوضع على الأرض وله قوائم وأما السفرة فهي ما كانت من جلد مستدير ، فالخوان فعل الملوك والمناديل فعل العجم والسفر فعل العرب والمقصود هنا الطعام الذي يؤكل كان على خوان أو غيره . والمائدة إما من الميد وهو التحرك كأنها تميد بما عليها من الطعام وعليه فهي اسم فاعل على أصلها أو من ماده بمعنى أعطاه فهي فاعلة بمعنى مفعولة أي معطاة (قوله اتقوا الله) أي تأدبوا في السؤال ولا تخترعوا أموراً خارجة عن العادة فان الأدب في السؤال أن يسأل أمرا معتادا ومن هنا حرم العلماء الدعاء بما تحيله العادة (قوله في اقتراح الآيات) أي اختراعها (قوله إن كنتم مؤمنين) جواب الشرط محذوف دلّ عليه قوله اتقوا الله (قوله أن نأكل منها) قيل اقتياتا وقيل تبركا وهو المتبادر (قوله بزيادة اليقين) أي لأن الانتقال من علم اليقين إلى عين اليقين أقوى في الايمان (قوله أي أنك قد صدقتنا) قدر المفسر اسم أن غير ضمير شأن وهو شاذ فالمناسب أن يقول أي أنه لأن أن إذا خففت كان اسمها ضمير شأن (قوله عليها) متعلق بالشاهدين والمعنى ونكون من الشاهدين عليها عند من لم يحضرها ليزداد من آمن بشهادتنا يقينا وطمأنينة (قوله قال عيسى) أي حين أبدوا هذه الأمور فقام واغتسل ولبس المسح وصلى ركعتين فطأطأ رأسه وغض بصره وقال اللهم ربنا الخ وهذه الآداب لاتخص عيسى بل ينبغي لكل داع فعلها لأن إظهار الذل والفاقة في الدعاء من أسباب الاجابة (قوله أي يوم نزولها) أي وقد نزلت يوم الأحد فاتخذه النصارى عيدا (قوله عيدا) هو مشتق من العود وهو الرجوع لأنه يعود وجمعه أعياد وتصغيره عييد وكان قياسه أعوادا وعويدا و إنما فعلوا ذلك فرقا بينه وبين عود الخشب (قوله بدل من لنا) أي بدل كل من كل (قوله وارزقنا) أي انفعنا بها وهو مغاير لما قبله لأنه لايلزم من الانزال انتفاعهم بها (قوله وأنت خير الرازقين) تتميم لما قبله على وجه الاستدلال كأنه قال وارزقنا لأنك خير الرازقين واسم التفضيل على بابه من حيث إن أسباب الرزق كثيرة والله خير من يأتي بالرزق لأنه الخالق له والموجد له وأما غيره فهو رازق باعتبار أنه سبب في الرزق وجار على يديه (قوله قال الله) أي على لسان ملك أو إلهاما له (قوله بالتخفيف والتشديد) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله بعد) مبني على الضم لحذف المضاف إليه ونية معناه (قوله بعد نزولها) إشارة إلى تقدير المضاف إليه (قوله لا أعذبه) الضمير عائد على العذاب والمعنى لا يكون ذلك العذاب لأحد من العالمين من حيث شدته وقبحه والجملة صفة لعذابا (قوله من العالمين)

أى عالى زمانهم أو مطلقا والشدة فى الدنيا والآخرة لما قيل : إن أشد الناس عذابا يوم القيامة المنافقون ومن كفر من أصحاب المائدة وآل فرعون (قوله فنزلت الملائكة) روى أنها نزلت سفرة حمراء مدورة وعليها منديل بين غمامتين غمامة من فوقها وغمامة من تحتها وهم ينظرون إليها حتى سقطت بين أيديهم فبكى عيسى وقال اللهم اجعلنى من الشاكرين ثم قام وتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال: بسم الله خير الرازقين كلوا مما سألتم فقالوا ياروح الله كن أنت أول من يأكل منها فقال معاذ الله أن آكل منها يأكل منها من سألها فخافوا أن يأكلوا منها فدعا لها أهل الفاقة والمرض والبرص والجذام والمقعدين فقال كلوا من رزق الله لكم الهناء ولغيركم البلاء فأكلوا منها وهم ألف وثلثمائة رجل وامرأة وفى رواية سبعة آلاف وثلثمائة فلما أتموا الأكل طارت المائدة وهم ينظرون حتى توارت عنهم ولم يأكل منها مريض أو زمن أو مبتلى إلا عوفى ولا فقير إلا استغنى وندم من لم يأكل منها فكانت تنزل أربعين صباحا متوالية وقيل يوما بعد يوم (قوله عليها سبعة أرغفة الخ) هذه أشهر الروايات وفى رواية خمسة أرغفة على واحد زيتون وعلى الثانى عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد وسمكة مشوية بلافلوس ولاشوك تسيل دسما وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من أصناف البقول ماخلا الكراث فقال شمعون رأس الحواريين ياروح الله أمن طعام الدنيا أم من طعام الآخرة قال ليس منهما ولكنه شئ اخترعه الله بالقدرة العالية وفى رواية نزلت سمكة من السماء فيها طعم كل شئ (قوله خبزا ولحما) جمع بأن اللحم لحم سمك (قوله فخانوا وادخروا الخ) أى فسبب مسخهم خيانتهم وادخارهم أى مع كفرهم وفى رواية أن سبب مسخهم أنه بعد تمام الأربعين

يوما من نزولها أوحى الله إلى عيسى أن

فنزلت الملائكة بها من السماء عليها سبعة أرغفة وسبعة أحوات فأكلوا منها حتى شبعوا قاله ابن عباس . وفى حديث أنزلت المائدة من السماء خبزاً ولحماً فأمروا أن لا يخونوا ولا يدخروا لغد فخانوا وادخروا فمسخوا قردة وخنازير (وَ) اذكر (إِذْ قَالَ) أى يقول (اللَّهُ) لعيسى فى القيامة توبيخاً لقومه (يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ) عيسى وقد أرعد (سُبْحَانَكَ) تنزيها لك عما لا يليق بك من الشريك وغيره (مَا يَكُونُ) ما ينبغى (لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ) خبر ليس ولى للتبيين (إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ

اجعل مائدتى هذه للفقراء دون الأغنياء فتمارى الأغنياء فى ذلك وعادوا الفقراء (قوله فمسخوا) أى فمسخ الله منهم ثلثمائة وثلاثين رجلا باتوا ليلتهم مع نسائهم ثم أصبحوا خنازير فلما أبصرت الخنازير عيسى بكت وجعل يدعوهم بأسمائهم فيشيرون برءوسهم ولا يقدرون على الكلام فعاشوا ثلاثة أيام وقيل سبعة وقيل أربعة ثم هلكوا (قوله و إذقال الله) معطوف على قوله إذ قال الحواريون عطف قصة على قصة وفى الحقيقة هو من أفراد سؤال الرسل فهو داخل تحت قوله يوم يجمع الله الرسل الخ و إنما خصه بالذكر تقبيحا وتشنيعا عليهم لبشاعة عقيدتهم فى نبيهم (قوله فى القيامة) مشى المفسر والجمهور على أن ذلك القول إنما يقع يوم القيامة وعليه فاذ بمعنى إذا وقال بمعنى يقول وإنما عبر بالماضى لاستواء الأزمان فى علمه حالها وماضيها ومستقبلها لأنه أحاط بكل شئ علما فلذا أتى بالماضى الذى يدل على تحقق الحصول وقيل إن السؤال وقع فى الدنيا بعد رفعه إلى السماء وعليه فاذ وقال على بابهما (قوله توبيخا لقومه) جواب عما يقال إن الله تعالى عالم بكل شئ فلم كان هذا السؤال. فأجاب بأن المقصود منه توبيخ من كفر وهذا يؤيد ماقاله الجمهور و يضعف الاحتمال الثانى (قوله من دون الله) متعلق بمحذوف صفة لإلهين أى إلهين كائنين من غير الله فالله ثالثهما وليس المعنى أن عيسى وأمه إلهان فقط والله ليس بإله فانهم لم يقولوا ذلك (قوله وقد أرعد) أى أخذته الرعدة حتى خرج من كل شعرة عين دم كما فى رواية (قوله من الشريك وغيره) أى كالصاحبة والولد (قوله ما يكون لى أن أقول ماليس لى بحق) ما نافية و يكون فعل مضارع ولى جار ومجرور خبرها مقدم وأن أقول فى محل رفع اسمها مؤخر وما اسم موصول وليس فعل ماض ناقص واسمها مستتر هو عائد الموصول تقديره هو و بحق خبرها ، ولى للتبيين على حد سقيا لك ورعيا ، والمعنى لاينبغى ولا يجوز على لأنك عصمتنى أن قول ماليس حقا منسوبا لى وهذا أحسن الأعاريب (قوله إن كنت قلته فقد علمته) إن قلت إن مدخول إن لابد من كونه مستقبلا والقول والعلم متعلقهما ماض . أجيب بأن الكلام على التقدير ، والمعنى إن يثبت

أى قلته فقد تبين وظهر أن علمك متعلق به لأنه يستحيل وقوع شىء لم يتعلق علم الله به بحيث لم يتعلق علمه بما قال فلم يحصل ذلك منه لأنه لايقع شىء فى ملكه إلا وهو عالم به (قوله تعلم مافى نفسى) ليست علم هنا عرفانية لأن المعرفة تستدعى سبق الجهل فهى هنا على بابها ومفعولها الثانى محذوف تقديره منطويا وثابتا والنفس بمعنى الذات والمعنى تعلم حقيقة ذاتى وما انطوت عليه (قوله ولاأعلم مافى نفسك) أى لاأعلم حقيقة ذاتك ولا ما احتوت عليه من الصفات لأن من جهل ماقام بالذات فقد جهل الذات فلا يعلم الله إلا الله . واعلم أنهم اختلفوا فى إطلاق النفس على الله تعالى فقيل لايجوز إطلاقها عليه إلا فى مقام المشاكلة والحقّ أنه يجوز إطلاق النفس على الله من غير مشاكلة إذ ورد إطلاقها فى غير المشاكلة قال تعالى ـ كتب ربكم على نفسه الرحمة ، ويحذركم الله نفسه ـ (قوله أى ما تخفيه من معلوماتك) أى كذاتك وصفاتك فان معلومات الله منها ماهو ظاهر لنا كالحوادث ومنها ما هو خفىّ عنا ولا يحيط بجميع ذلك إلا الله تعالى (قوله إنك أنت علام الغيوب) دليل للدليل لأن قوله إن كنت قلته فقد علمته دعوى من عيسى ثم استدل عليها بقوله تعلم مافى نفسى ولاأعلم مافى نفسك ودليل هذا أنه علام الغيوب وأكدهذه الجملة بانّ والضمير المنفصل وصيغة المبالغة والجمع مع أل الاستغراقية (قوله إلا ما أمرتنى به) هذا استثناء مفرّغ وما اسم موصول فى محلّ نصب هى وصلتها بالقول (قوله وهو أن اعبدوا الله) أشار بذلك إلى أن قوله أن اعبدوا الله فى محلّ رفع خبر لمحذوف تقديره وهو أن اعبدوا (قوله (٢٩٨) وكنت عليهم شهيدا) الجملة حالية (قوله أمنعهم مما يقولون) أى فلم تقع هـــذه المقالة منهم وهو بينهم وإنما ابتدعوها بعد رفعه (قوله مادمت فيهم) مامصدرية ظرفية تقدر بمصدر مضاف إلى زمان وصلتها دام ويجوز فيها التمام والنقصان فان كانت تامة كان معناها الاقامة وفيهم متعلق بها وإن كانت ناقصة يكون قوله فيهم خبرها فعلى الأول يصير المعنى وكنت عليهم شهيدا مدّة إقامتى فيهم وعلى الثانى وكنت عليهم شهيدا مدّة دوامى مستقرّا فيهم

تَعْلَمُ مَا) أخفيه (فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ) أى ما تخفيه من معلوماتك (إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ . مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ) وهو (أَنِ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا) رقيباً أمنعهم مما يقولون (مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي) قبضتنى بالرفع إلى السماء (كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ) الحفيظ لأعمالهم (وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ) من قولى لهم وقولهم بعدى وغير ذلك (شَهِيدٌ) مطلع عالم به (إِنْ تُعَذِّبْهُمْ) أى من أقام على الكفر منهم (فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ) وأنت مالكهم تتصرف فيهم كيف شئت لا اعتراض عليك (وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ) أى لمن آمن منهم (فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ) الغالب على أمره (الْحَكِيمُ) فى صنعه (قَالَ اللهُ هٰذَا) أى يوم القيامة (يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ) فى الدنيا كعيسى (صِدْقُهُمْ) لأنه يوم الجزاء (لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ) بطاعته ، (وَرَضُوا

(قوله فلما توفيتنى) يستعمل التوفى فى أخذ الشىء وافيا أى كاملا والموت نوع منه قال تعالى ـ الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها وليس المراد الموت بل المراد الرفع كما قال المفسر (قوله قبضتنى بالرفع إلى السماء) حاصل مافى المقام أن هذه العقيدة وقعت منهم بعد رفعه إلى السماء وتستمر إلى نزوله ولم تقع منهم قبل رفعه وأما بعد نزوله فلم يبق نصرانى أبدا بل إما الاسلام أو السيف فتعين أن يكون معنى توفيتنى رفعتنى إلى السماء ولو على القول بأن هــذا السؤال واقع يوم القيامة بل ذلك مما يؤيده تأمل (قوله أى لمن آمن منهم) دفع بذلك مايقال إن المغفرة لاتكون للمشركين . فأجاب بأن المعنى وإن تغفر لمن آمن منهم ولذا قال عيسى فيما تقدّم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار (قوله يوم ينفع) قرأ الجمهور برفعه من غير تنوين وقرأ نافع بنصبه من غير تنوين ونقل عن الأعمش النصب مع التنوين وعن الحسن الرفع مع التنوين فتوجيه القراءة الأولى أن هذا مبتدأ ويوم خبره وجملة ينفع الصادقين صدقهم فى محل جر باضافة يوم إليها وكذا القراءة الثانية غير أن الظرف مبنى لاضافته إلى الجملة الفعلية وهومذهب الكوفيين ومذهب البصريين أنه منصوب على الظرفية متعلق بمحذوف خبره تقديره يقع يوم ينفع وأما قراءة التنوين فالرفع على الخبرية والنصب على الظرفية كما قال البصريون والجملة فى محل رفع على الأول أو نصب على الثانى صفة لما قبلها (قوله الصادقين فى الدنيا) أى فالصدق فى الدنيا نافع فى الآخرة وأما الصدق فى الآخرة فلا يفيد شيئا لتقدم الكذب فى الدنيا كما سيأتى (قوله بطاعته) أى باقامته لهم فى الطاعة أو بسبب تلبسهم بامتثال مأموراته واجتناب

(وَرَضُوا عَنْهُ) بثوابه (ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) ولا ينفع الكاذبين فى الدنيا صدقهم فيه كالكفار لما يؤمنون عند رؤية العذاب (لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ) خزائن المطر والنبات والرزق وغيرها (وَمَا فِيهِنَّ) أتى بما تغليبا لغير العاقل (وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) ومنه إثابة الصادقين وتعذيب الكاذبين ، وخص العقل ذاته فليس عليها بقادر .

تم الجزء الأول ، ويليه الجزء الثانى

وأوله :

سورة الأنعام

بلوائه فرضا الله على عبده توفيقه لخدمته فى الدنيا وإدخاله جنته فى الآخرة ورضا العبد عن ربه فى الدنيا صبره على أحكام ربه وفى الآخرة قناعته بما أعطاه له من النعيم الدائم (قوله بثوابه) أى أى برؤية ثوابه لهم فى الجنة حيث أعطاهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (قوله ذلك الفوز العظيم) اسم الاشارة يعود على الجنات وما بعدها (قوله لما يؤمنون الخ) أى كما فى قوله تعالى : فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده (قوله لله ملك السموات والأرض) تنبيه على فساد زعم الكفار أن لله شريكا فالمعنى أن الله مالك السموات والأرض وما فيهن فأين الشريك له ولا يليق أن يكون شىء من ملكه شريكا له (قوله تغليبا لغير العاقل) أى وإشارة إلى أن ما سواه فى رتبة العبودية سواء إن كل من فى السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا فلا فرق بين عاقل وغيره فى كونه مملوكا لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا

(قوله وخص العقل ذاته الخ) دفع بذلك ما يقال إن من جملة الأشياء ذاته فيقتضى أنه قادر على ذاته فأجاب بذلك لأن القدرة إنما تتعلق بالممكنات لا بالواجبات ولا بالمستحيلات فالمراد بالشىء الموجود الممكن .

فهرس

الجزء الأول

من حاشية الشيخ الصاوى على تفسير الجلالين

صحيفة

٢ خطبة صاحب الحاشية وفيها مقدمة تحتوى على مبادئ علم التفسير وغير ذلك

٣ خطبة الجلال السيوطى

٥ تفسير سورة البقرة

فائدة : فيما قاله ابن العربى فى فضل سورة البقرة وماقاله العلماء فى صيغ الاستعاذة و بيان معنى الم .

٦ بيان المتقين وجزائهم

٧ « الكافرين وجزائهم

٨ « المنافقين ومعاملتهم للمؤمنين وضرب الله الأمثال لهم .

١٣ الأدلة الواضحة على استحقاق الله تعالى للعبادة وحده دون غيره .

٢٠ الكلام على الملائكة وعلى آدم وأمر الله الملائكة بالسجود له والكلام على إبليس .

٣٤ قصة البقرة التى أمر موسى قومه بذبحها

٥٣ الكلمات التى ابتلى بها الله إبراهيم وبناؤه الكعبة هو و إسماعيل .

٧٧ الكلام على فرضية صوم رمضان وبعض أحكامه .

٩٤ الكلام على الخمر والميسر

١١١ فضل آية الكرسى

١٢٧ فضل الآيتين من آخر سورة البقرة

صحيفة

١٢٩ تفسير سورة آل عمران

١٣٨ فضل الآيتين : قل اللهم مالك الملك إلى بغير حساب .

١٥٥ الميثاق الذى أخذه الله على النبيين بإيمانهم بمحمد صلى الله عليه وعليهم وسلم .

١٦٨ المتقون وأوصافهم وجزاؤهم

١٨٥ فضل قوله تعالى ـ إنّ فى خلق السموات والأرض ـ إلى آخر السورة .

١٨٧ تفسير سورة النساء

١٩٣ المواريث

١٩٨ مايحرم نكاحهنّ من النساء

٢١١ الأمانات وأقسامها

٢٢٢ الكلام على قتل النفس

٢٤١ رفع السيد عيسى عليه السلام إلى السماء

٢٤٧ تفسير سورة المائدة

٢٤٨ مأحل وماحرم من المطعومات

٢٦٢ قصة هابيل وقابيل ابنى آدم عليه السلام

٢٦٤ جزاء قطاع الطريق والسارق والسارقة

٢٧٩ الردّ على النصارى القائلين بأن الله هو المسيح ابن مريم

٢٩٥ المعجزات التى امتن الله بها على عيسى عليه السلام والكلام على المائدة .